طرائف العــــرب

طرائف العرب
أدهم شرقاوي / قسّ بن ساعدة
دار كلمات للنشر والتوزيع
بريد إلكتروني:
Dar_Kalemat@hotmail.com
الموقع الإلكتروني:
www. kalemat.com

ردمك: 978-99966-45-99-0

طرائف العرب

طرائف

أدهم شرقاوي
قسّ بن ساعدة

المجلد الثاني

2021

kalemat

طرائف الأنبياء والصحابة

قابيل وهابيل (١)

ذَكَرَ السُّدِّيُّ عَنْ أَبِي مَالك وَأَبِي صَالِح ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس ، وَعَنْ مُرَّةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُود وَعَنْ نَاس مِنَ الصَّحَابَة ، أَنَّ آدَمَ(٢) كَانَ يُزَوِّجُ ذَكَرَ كُلِّ بَطْنٍ بِأُنْثَى الآخر وَأَنَّ هَابيلَ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِأُخْت قَابيلَ ، وَكَانَ أكبر من هابيل وَأُخْت هابيل أَحْسَنُ ، فَأَرَادَ قَابيلُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِهَا عَلَى أَخيه ، وَأَمَرَهُ آدَمُ عَلَيْه السَّلاَمُ أَنْ يُزَوِّجَهُ إِيَّاهَا فَأَبَى ، فَأَمَرَهُمَا أَنْ يُقَرِّبَا قُرْبَانًا ، وَذَهَبَ آدم ليحج إِلَى مَكَّة ، واستحفظ السَّمَوَات عَلَى بَنيه فَأَبَيْنَ ، وَالأَرَضينَ وَالجْبَال فَأَبَيْنَ ، فَتَقَبَّلَ قابيل بحفْظ ذَلك .

فَلَمَّا ذهب قربا قربانهما ؛ فَقَرَّبَ هَابيلُ جَذَعَةً سَمينَةً ، وَكَانَ صَاحبَ غَنَم ، وَقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زَرْعه ، فَنَزَلَتْ نَارٌ فَأَكَلَتْ قُرْبَانَ هَابيلَ وَتَرَكَتْ قُرْبَانَ قَابيلَ ، فَغَضِبَ وَقَالَ : لأَقْتُلَنَّكَ حَتَّى لاَ تَنْكِحَ أُخْتِي ، فَقَالَ : إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ .

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ من وجوه أُخَرَ ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو .

وَقَالَ

عَبْدُ اللَّه بْنُ عَمْرو ، وَايْمُ اللَّه إِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ لأَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ ، وَلَكنْ مَنَعَهُ التَّحَرُّجُ أَنْ يَبْسُطَ إِلَيْه يَدَهُ! وَذَكَرَ أَبُو جَعْفَر الباقر أَن آدم كَانَ مباشرا لتقريبهما الْقُرْبَانَ وَالتَّقَبُّلُ منْ هَابيلَ دُونَ قَابيلَ ، فَقَالَ قَابيلُ لآدَمَ : إِنَّمَا تُقُبِّلَ منْهُ لأَنَّكَ دَعَوْتَ لَهُ وَلَمْ تَدْعُ لِي .

وَتَوَعَّدَ أَخَاهُ فيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ .

فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَة أَبْطَأَ هَابيلُ في الرَّعْي ، فَبَعَثَ آدَمُ أَخَاهُ قَابِيلَ لِيَنْظُرَ مَا أَبْطَأَ بِهِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ إِذَا هُوَ به ، فَقَالَ لَهُ : تُقُبِّلَ منكَ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ منِّي .

فَقَالَ : إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ منَ الْمُتَّقينَ .

فَغَضبَ قَابيلُ عنْدَهَا وَضَرَبَهُ بحَديدَة كَانَتْ مَعَهُ فقَتَلَهُ .

وَقيلَ : إِنَّهُ إِنَّمَا قَتَلَهُ بصَخْرَة رَمَاهَا عَلَى رَأْسه وَهُوَ نَائمٌ فَشَدَخَتْهُ .

وَقيلَ : بل خنقه خنقا شَديدًا وعضه كَمَا تَفْعَلُ السِّبَاعُ فَمَاتَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

---

(١) قابيل وهابيل هما شخصيتان ذكرتا في العهد القديم ، وهما أول ابنين لآدم وحواء .

(٢) آدم في الديانات الصابئية واليهودية والمسيحية والإسلام هو أول مخلوق من البشر خلقه الله وخلق حواء من ضلعه الأيسر ولا يشترك الصابئة مع غيرهم في هذا المعتقد . ووضعه في الأرض قال تعالى : ﴿اني جاعل في الأرض خليفة﴾ .

وَفَاة آدَمَ ووَصِيَّته إِلَى ابْنه شيثَ عَلَيْه السَّلاَم

وَمَعْنَى شيثَ : هبَةُ اللَّه ، وَسَمَّيَاهُ بذَلكَ لأَنَّهُمَا رُزقَاهُ بَعْدَ أَنْ قُتلَ هَابيلُ .

قَالَ أَبُو ذَرٍّ في حَديثه عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مائَةَ صَحيفَةٍ وَأَرْبَعَ صُحُف ، عَلَى شيث خَمْسينَ صَحيفَةً» .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ الْوَفَاةُ عَهدَ إِلَى ابْنه شيثَ وَعَلَّمَهُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَار ، وَعَلَّمَهُ عبَادَات تلْكَ السَّاعَات ، وَأَعْلَمَهُ بوُقُوع الطُّوفَان بَعْدَ ذَلكَ .

قَالَ : وَيُقَالُ إِنَّ أَنْسَاب بنى آدم الْيَوْم كلهَا تنْهى إِلَى شيث ، وَسَائرُ أَوْلاَد آدَمَ غَيْرَهُ انْقرَضُوا وَبَادُوا .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَلَمَا تُوُفِّيَ آدَمُ عَلَيْه السَّلاَمُ - وَكَانَ ذَلكَ يَوْمَ الْجُمُعَة - جَاءَتْهُ الْمَلاَئكَةُ بحنوط ، وكفن من عنْد الله عز وجل من الْجَنَّة ، وعزوا فيه ابْنه ووصيه شيثا عَلَيْه السَّلاَمُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَسَفَت الشَّمْسُ وَالْقَمَر سَبْعَةَ أَيَّام بليا ليهن .

وَقد قَالَ عبد الله ابْن الإِمَام أَحْمَدَ : حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالد ، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلَمَةَ ، عَنْ حُمَيْد ، عَن الْحَسَن ، عَن يحيى - هُوَ ابْنُ ضَمْرَةَ السَّعْديُّ - قَالَ : رَأَيْتُ شَيْخًا بالْمَدينَة يَتكَلَّمُ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقَالُوا هَذَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، فَقَالَ : إِنَّ آدَمَ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لبَنيه : أَيْ بَنيَّ! إِنِّي أَشْتَهي منْ ثمَار الْجَنَّة .

قَالَ : فَذَهَبُوا يَطْلُبُونَ لَهُ ، فاستقبلتهم الْمَلاَئكَةَ وَمَعَهُمْ أَكْفَانه حنوطه ، وَمَعَهُمْ الفؤوس وَالْمَسَاحي وَالْمَكَاتلُ ، فَقَالُوا لَهُمْ : يَا بَني آدَمَ مَا تُريدُونَ وَمَا تَطْلُبُونَ؟ أَوْ مَا تُريدُونَ وأيت تَطْلُبُونَ؟ قَالُوا : أَبُونَا مَريضٌ وَاشْتَهَى منْ ثمَار الْجَنَّة ، فَقَالُوا لَهُمْ : ارْجعُوا فَقَدْ قُضيَ أَبُوكُمْ .

فَجَاءُوا فَلَمَّا رَأَتْهُمْ حَوَّاءُ عَرَفَتْهُمْ فَلاَذَتْ بآدَمَ ، فَقَالَ : إِلَيْك عَنِّي فَإِنِّي إِنَّمَا أُتيتُ منْ قبلك ، فخلى بينى وَبَين مَلاَئكَة ربى عزوجل .

فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه ، وحفروا لَهُ ولحدوه وصلوا عَلَيْه ثمَّ أدخلوه قَبْرَهُ فَوَضَعُوهُ في قَبْره ، ثُمَّ حَثَوْا عَلَيْه ، ثُمَّ قَالُوا : يَا بَني آدَمَ هَذه سُنَّتُكُمْ .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكرَ(١) منْ طَريق شَيْبَانَ بْنِ فَرُّوخَ ، عَنْ مُحَمَّد بْن زيَادٍ ، عَنْ

---

(١) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي الإمام والعلامة الحافظ الكبير محدث الشام .

مَيْمُون بْن مِهْرَانَ ، عَن ابْن عَبَّاس ، أَن رَسُول اله ﷺ قَالَ : «كَبَّرت الْمَلاَئكَةُ عَلَى آدَمَ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ أَبُو بَكْر عَلَى فَاطمَةَ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ عُمَرُ عَلَى أَبِي بَكْر أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ صُهَيْبٌ عَلَى عُمَرَ أَرْبَعًا» قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : وَرَوَاهُ غَيْرُهُ عَنْ مَيْمُون فَقَالَ عَن ابْن عمر .

واختلفوا فِي مَوْضع دَفْنه : فَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ دُفِنَ عِنْدَ الْجَبَل الذي أهبط فيه[١] فِي الْهِنْد ، وَقِيلَ بِجَبَلِ أَبِي قُبَيْس بِمَكَّةَ .

وَيُقَالُ إِنَّ نُوحًا عَلَيْه السَّلاَمُ لَمَّا كَانَ زَمَنُ الطُّوفَانِ حَمَلَهُ هُوَ وَحَوَّاءُ فِي تَابُوت ، فَدَفَنَهُمَا بِبَيْت الْمَقْدس .

حَكَى ذَلكَ ابْنُ جَرير .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ : رَأْسُهُ عِنْدَ مَسْجِدِ إِبْرَاهِيمَ وَرِجْلاَهُ عِنْدَ صَخْرَة بَيت الْمَقدّس .

وَقد مَاتَت بعده حَوَّاء بسنه وَاحِدَة .

إِدْرِيس عَلَيْه السَّلاَمُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكتَاب إِدْريسَ إِنَّهُ كَانَ صديقًا نبيا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانا عليا﴾ فَإِدْرِيسُ عَلَيْه السَّلاَمُ قَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْه وَوَصَفَهُ بِالنُّبُوَّة وَالصِّدِّيقيَّة ، وَهُوَ فِي عَمُود نَسَب رَسُول اللَّه ﷺ عَلَى مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحد منْ عُلَمَاء النَّسَبِ .

وَكَانَ أَوَّلَ بَنِي آدَمَ أُعْطِيَ النُّبُوَّةَ بَعْدَ آدَمَ وَشِيث عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ .

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ ، وَقَدْ أَدْرَكَ مِنْ حَيَاةِ آدَمَ ثَلاَثَمِائَة سَنَة وَثَمَانِي سنين .

وَقَدْ قَالَ طَائفَةٌ منَ النَّاس إِنَّهُ الْمُشَارُ إِلَيْه فِي حَديث مُعَاوِيَة بْن الْحَكَم السُّلَمِيِّ لَمَّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَن الْخَطِّ بِالرَّمْل فَقَالَ : «إِنَّهُ كَانَ نَبِيٌّ يَخُطُّ به فَمَنْ وَافق خطه فَذَاك» .

ويزعم كثير من عُلَمَاء التَّفْسير وَالأَحْكَام أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي ذَلكَ ، وَيُسَمُّونَهُ هَرْمَسَ الْهَرَامسَة ، وَيَكْذبُونَ عَلَيْه أَشْيَاءَ كَثِيرَةً كَمَا كَذَبُوا عَلَى غَيْرِه مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاء وَالْحُكَمَاء وَالأَوْلِيَاء .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَليًا﴾ هُوَ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي حَدِيث الإِسْرَاء : أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ مَرَّ بِه وَهُوَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَة .

---

(١) قمة جبل في سرنديب التي تعرف اليوم بجزيرة سيلان أو سريلانكا .

هُود عَلَيْهِ السَّلاَمُ[1]

وَكَانَ من قَبيلَة يُقَال لَهُم عَاد بن عوض بن سَام بن نوح .

وَكَانُوا عَرَبًا يَسْكُنُونَ الأَحْقَافَ[2] وَكَانَت بالْيمن بَين عمان وَحضر موت ، بِأَرْضٍ مُطِلَّة عَلَى الْبَحْر يُقَالُ لَهَا الشِّحْرُ ، وَاسْمُ وَاديهِمْ مُغيثٌ .

وَكَانُوا كَثيرًا مَا يَسْكُنُونَ الخِيَامَ ذَوَات الأَعْمِدَة الضِّخَام ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بعَاد ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعمَاد﴾ أي عَاد إرم وهم عَاد الاولى .

وَيُقَالُ إِنَّ هُودًا عَلَيْه السَّلاَمُ أول من تكلم بالْعَرَبيَّة ، وَزعم وهب ابْن مُنَبِّه أَنَّ أَبَاهُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَا ، وَقَالَ غَيْرُهُ : أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَا نُوحٌ ، وَقِيلَ آدَمُ وَهُوَ الأَشْبَهُ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلكَ .

وَأَنَّ عَادًا - وَهُمْ عَادُ الأُولَى - كَانُوا أَوَّلَ مَنْ عَبَدَ الأَصْنَامَ بَعْدَ الطُّوفَانِ .

وَكَانَت أصنامهم ثَلاَثَة : صدا وصمودا ، وَهرَا .

فَبَعَثَ اللَّهُ فيهِمْ أَخَاهُمْ هُودًا عَلَيْه السَّلاَمُ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّه

وأَن عادا كَانُوا جُفَاةً كَافرينَ ، عُتَاةً مُتَمَرِّدينَ في عبَادَة الأَصْنَام ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ فيهِمْ رَجُلاً منْهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّه وَإِلَى إِفْرَاده بِالْعِبَادَةِ وَالإِخْلاَصِ لَهُ ، فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ وَتَنَقَّصُوهُ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ أَخْذَ عَزِيز مُقْتَدر .

فَلَمَّا أَمَرَهُمْ بعبَادَة اللَّه وَرَغَّبَهُمْ في طَاعَته وَاسْتغْفَاره ، وَوَعَدَهُمْ عَلَى ذَلكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخرَة ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى مُخَالَفَة ذَلكَ عُقُوبَةَ الدُّنْيَا وَالآخرَة «قَالَ الْمَلأُ الَّذينَ كَفَرُوا منْ قَوْمه إِنَّا لنراك في سفاهة» أَي هَذَا الامر الذي تدعونا إِلَيْه سفه بالنِّسْبَة إِلَى مَا نَحن عَلَيْه من عبَادَة هَذه الاصنام التي يرتجى منْهَا النَّصْر والرزق ، وَمَعَ هَذَا نظن أَنَّك تكذب في دعواك

أَن الله أرسلك .

«قَالَ يَا قَوْم لَيْسَ بي سَفَاهَةٌ وَلَكنِّي رَسُول من رب الْعَالمين» ، أَي لَيْسَ الامر كَمَا تظنون وَلاَ كَمَا تَعْتَقدُونَ «أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصحٌ أَمين» وَالْبَلاَغُ يَسْتَلْزِمُ

(١) هود بن رباح بن عاد بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام عاد قوم سيدنا هود بعد نجاه المؤمنين مع سيدنا نوح في السفينة .

(٢) وَهِيَ جِبَالُ الرَّمْلِ .

عَدَمَ الْكَذب فِي أَصْلِ الْمُبَلِّغ ، وَعدم الزِّيَادَة فيه وَالنَّقْص منْهُ ، ويستلزم أداءه بِعِبَارَةٍ فَصيحَة وَجيزَة جَامعَة مَانعَة لاَ لَبْسَ فيهَا وَلاَ اخْتلاَف وَلاَ اضْطرَاب .

وَهُوَ مَعَ هَذَا الْبَلاَغ عَلَى هَذه الصِّفَة في غَايَة النُّصْح لقَوْمه وَالشَّفَقَة عَلَيْهِمْ وَالْحِرْص عَلَى هدَايَتهمْ ، لاَ يَبْتَغي منْهُمْ أَجْرًا وَلاَ يَطْلُبُ منْهُمْ جعلا ؛ بل هُوَ مخلص لله عز وجل فِي الدَّعْوَة إِلَيْه وَالنُّصْح لخَلْقه ، لاَ يَطْلُبُ أَجْرَهُ إِلاَّ منَ الَّذي أَرْسَلَهُ ، فَإِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخرَة كُلَّهُ فِي يَدَيْه وَأَمْرُهُ إِلَيْه

وَقَالَ : ﴿يَا قَوْم لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذي فَطَرَني أَفَلاَ تَعْقلُونَ﴾ أَي أما لَكُمْ عَقْلٌ تُمَيِّزُونَ به وَتَفْهَمُونَ أَنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى الْحَقِّ الْمُبين الَّذي تَشْهَدُ به فطَرُكُمُ الَّتي خُلقْتُمْ عَلَيْهَا ، وَهُوَ دينُ الْحَقِّ الَّذي بَعَثَ اللَّهُ بِه نُوحًا وَأَهْلَكَ مَنْ خَالَفَهُ منَ الْخَلْق .

وَهَا أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْه وَلاَ أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا عَلَيْه ، بَلْ أَبْتَغي ذَلكَ عنْدَ اللَّه مَالكُ الضَّرِّ وَالنَّفْع .

وَلِهَذَا قَالَ مُؤْمنُ ﴿يس﴾ : ﴿اتَّبعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * ومالي لاَ أعبد الذي فطرني وَإِلَيْه ترجعون؟﴾ وَقَالَ قوم هود لَهُ فيمَا قَالُوا : ﴿يَا هُودُ مَا جئْتَنَا ببَيِّنَة وَمَا نَحْنُ بتَاركي آلهَتنَا عَنْ قَوْلكَ ، وَمَا نَحْنُ لَكَ بمُؤْمنينَ * إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلهَتنَا بسوء﴾ ، يَقُولُونَ مَا جئْتَنَا بخَارق يَشْهَدُ لَكَ بصدْق

ماجئت به ، وَمَا نَحْنُ بالَّذين نَتْرُكُ عبَادَةَ أَصْنَامنَا عَنْ مُجَرَّد قَوْلكَ ؛ بلاَ دَليلٍ أَقَمْتَهُ وَلاَ بُرْهَان نَصَبْتَهُ ، وَمَا نَظُنُّ إِلاَّ أَنَّكَ مَجْنُونٌ فيمَا تزعمه .

وَعنْدنَا أَنه إِنَّمَا أَصَابَك هَذَا لأن بَعْضَ آلهَتنَا غَضبَ عَلَيْكَ فَأَصَابَكَ فِي عَقْلكَ فَاعْتَرَاكَ جُنُونٌ بسَبَب ذَلكَ .

وَهُوَ قَوْلُهُمْ : ﴿إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلهَتنَا بسُوء﴾ .

﴿قَالَ إِني أشهد الله واشهدوا أنى برِئ مِمَّا تشركون منْ دُونه ، فَكيدُوني جَميعًا ثُمَّ لاَ تُنْظرُون﴾ .

وَهَذَا تحد منْهُ لَهُم ، وتبرأ من آلهتهم وتنقص منْهُ لَهَا ، وَبَيَان أَنَّهَا لاَ تَنْفَع شَيْئا وَلاَ تضر ، وَأَنَّهَا جماد حكمهَا حكمه وفعلها فعله .

فَإِن كَانَت كَمَا تَزْعُمُونَ من أَنَّهَا تنصر وَتَنْفَع وتضر فها أَنا برِئ منْهَا .

مولد إسْمَاعِيل عَلَيْه السَّلاَم[١]

قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ[٢] سَأَلَ اللَّهَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، وَأَنَّ اللَّهَ بَشَّرَهُ بِذَلِكَ .

وَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ لإِبْرَاهِيمَ بِبِلاَدِ بَيت الْمَقدّس عشرُون سنة قَالَت سارة[٣] لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلاَم : إِن لرَب قَدْ أَحْرَمَنِي الْوَلَدَ ، فَادْخُلْ عَلَى أَمَتِي هَذِهِ لَعَلَّ الله يرزقني مِنْهَا وَلَدًا .

فَلَمَّا وَهَبَتْهَا لَهُ دَخَلَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْه السَّلاَمُ ، فَحِينَ دَخَلَ بِهَا حَمَلَتْ مِنْهُ .

قَالُوا : فَلَمَّا حَمَلَت ارْتَفَعَتْ نَفْسُهَا وَتَعَاظَمَتْ عَلَى سَيِّدَتهَا ، فَغَارَتْ مِنْهَا سَارَةُ فَشَكَتْ ذَلكَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ لَهَا : افْعَلِي بِهَا مَا شِئْتِ ، فَخَافَتْ هَاجَرُ فَهَرَبَتْ فَنَزَلَتْ عِنْدَ عَيْن هُنَاكَ .

فَقَالَ لَهَا مَلَكٌ منَ الْملاَئكَة : لاَ تَخَافي فَإِنَّ اللَّهَ جَاعلٌ منْ هَذَا الْغُلاَم الَّذي حَمَلْت خَيْرًا وَأَمَرَهَا بِالرُّجُوعِ وَبَشَّرَهَا أَنَّهَا سَتَلدُ ابْنًا وَتُسَمِّيه إِسْمَاعِيلَ ، وَيَكُونُ وَحْشَ النَّاس ، يَده على الْكل ، وَيَدَه الْكُلِّ بِه ، وَيَمْلِكُ جَمِيعَ بِلاَدِ إِخْوَتهِ .

فَشَكَرَت الله عز وجل عَلَى ذَلكَ .

وَهَذه الْبشَارَةُ إِنَّمَا انْطَبَقَتْ عَلَى وَلَده مُحَمَّد صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلاَمُهُ عَلَيْه ؛ فَإِنَّهُ الذي به سَادت الْعَرَبُ ، وَمَلَكَتْ جَمِيعَ الْبَلاَد غَرْبًا وَشَرْقًا ، وَأَتَاهَا اللَّهُ منَ الْعلْم النَّافع وَالْعَمَلِ الصَّالحِ مَا لم تؤت أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ قَبْلَهُمْ ، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ بِشَرَفِ رَسُولِهَا عَلَى سَائِرِ

---

(١) إسماعيل بن إبراهيم شخصية مذكورة في كل من التوراة والقرآن . يؤمن المسلمون بنبوته ، بينما يعتقد اليهود والمسيحيون أنه شخصية تاريخية ورد ذكره في العهد القديم . يعتقد البعض بأنه أبو العرب الحجازية .

(٢) ولد إبراهيم عليه السلام بأرض بابل في العراق في عهد النمرود الذي كان حاكما لتلك البلاد مستبدا جبارا وقد نصّب نفسه الها لقومه الذين كانوا يعيشون في دياجير الجهل والضلال وعبادة الأصنام . وكان أب ابراهيم وهو ازر نجارا وينحت الأصنام ويبيعها . ولما شبّ إبرهيم عليه السلام تزوج امرأة اسمها «سارة» وكانت عقيما لا تلد . ولد لازر ابراهيم عليه السلام وهاران وولد لهاران لوط عليه السلام .

(٣) سارة هي زوجة النبي إبراهيم وأم النبي إسحاق أبو النبي يعقوب الذي ينحدر من نسله أنبياء بني إسرائيل . وسارة بالأصل اسم عبري ، ويعني بالعربية «البهجة والسرور» .

الرُّسُلِ ، وَبَرَكَةِ رِسَالَتِهِ ويمن سفارته وَكَمَالِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ ، وَعُمُومِ بَعْثَتِهِ لِجَمِيعِ أهل الارض .

وَلَمَّا رَجِعَتْ هَاجَرُ[١] وَضَعَتْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ .

قَالُوا : وولدته وَلإِبْرَاهِيمَ مِنَ الْعُمُرِ ستٌّ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، قَبْلَ مَوْلِدِ إِسْحَاقَ[٢] بِثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً .

وَلَمَّا وُلِدَ إِسْمَاعِيل أوحى الله إِلَى إِبْرَاهِيم يبشره بإسحاق مِنْ سَارَةَ ، فَخَرَّ لِلَّه سَاجِدًا ، وَقَالَ لَهُ : قَد اسْتَجَبْتُ لَكَ فِي إِسْمَاعِيلَ وَبَارَكْتُ عَلَيْهِ وكثرته ونميته ، وَيُولَدُ لَهُ اثْنَا عَشَرَ عَظِيمًا ، وَأَجْعَلُهُ رَئِيسًا لشَعْب عَظِيم .

وَهَذِه أَيْضًا بِشَارَةٌ بِهَذِه الأُمَّة الْعَظِيمَة ، وَهَؤُلاَء الاثْنَا عَشَرَ عَظِيمًا هُمُ الْخُلَفَاءُ الراشدونَ[٣] الاثْنَا عَشَرَ ، الْمُبَشَّرُ بِهِمْ فِي حَدِيث عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا» .

ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً لَمْ أَفْهَمْهَا ، فَسَأَلْتُ أَبِي مَا قَالَ .

قَالَ «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْش» .

وَفِي رِوَايَة : «لاَ يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ قَائِمًا ، وَفِي رِوَايَةٍ عَزِيزًا ، حَتَّى يَكُونَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْش» .

فَهَؤُلاَء مِنْهُمُ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ ، وَمِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَيْضًا ، وَمِنْهُمْ بَعْضُ بَنِي الْعَبَّاس .

---

(١) شخصية تراثية ورد ذكرها في سفر التكوين وجاء ذكرها باسمها في الأحاديث النبوية وذكرها النبي محمد أيضاً بلفظ أُم إسماعيل ,وأُشير إليها دون تسمية في القرآن الكريم . حسب سفر التكوين ، هاجر أمة أو جارية مصرية لسارة ويوجد في التراث الإسلامي ما يؤيد ذلك وهي امرأة مكرمة في الإسلام فهي والدة نبي وفق معتقدات المسلمين وهو إسماعيل وإن كان المسيحيون واليهود لا يؤمنون بنبوته

(٢) اسحق هو ابن ووريث إبراهيم وهو أبو يعقوب وعيسى كما هو مكتوب في سفر التكوين من كتاب التوراة سُميَ اسحق لأن أمه سارة ضحكت عندما سمعت بأنها حامل بولد بينما كانت طاعنة جداً بالسن .

(٣) الخلفاء الراشدون هم الخلفاء الأربعة الأول الذين تعاقبوا على إمرة المسلمين بعد وفاة النبي محمد .

مولد إِسْحَاق عَلَيْه السَّلَام

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿وبشرناه بإسحق نَبيا من الصَّالِحِين ❁ وباركنا عَلَيْه وعَلى إِسْحَق وَمن ذريتهما محسن وظالم لنَفسه مُبين﴾ .

وَقد كَانَت الْبشَارَة به من الملائكة لإبراهيم وَسَارة لما مروا بهما مُجْتَازِينَ ذَاهِبِين إِلَى مَدَائِن قَوْم لُوط ، ليُدَمِّرُوا عَلَيْهِمْ لكُفْرهمْ وَفُجُورهمْ .

يَذْكُرُ تَعَالَى : «أَنَّ الْمَلائكَة ❁ قَالُوا : وَكَانُوا ثَلاَثَةً : جبْريلَ وَميكَائيلَ وَإِسْرَافيلَ – لَمَّا وَرَدُوا عَلَى الْخَلِيلِ حسبهم أَولا أضيافا ، فعاملهم مُعَامَلَة الضيوف ، وشوى لَهُم عجلا سمينتا منْ خيَار بَقره ، فَلَمَّا قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَرَ لَهُمْ همَّةً إِلَى الأَكْلِ بِالْكُلِّيَّة ، وَذَلكَ لأَنَّ الْمَلاَئكَةَ لَيْس فيهمْ قُوَّةُ الْحَاجَة إِلَى الطَّعَام «فَنَكِرَهُمْ» إِبْرَاهِيمُ «وَأَوْجَسَ منْهُمْ خيفَةً ، قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسلْنَا إِلَى قوم لوطَ» أَيْ لِنُدَمِّرَ عَلَيْهِمْ .

فَاسْتَبْشَرَتْ عنْدَ ذَلكَ سَارَةُ غَضبا لله عَلَيْهم ، وَكَانَت قَائمَة على رُؤُوس الأَضْيَاف كَمَا جَرَتْ به عَادَةُ النَّاس منَ الْعَرَب وَغَيْرِهِمْ .

فَلَمَّا ضَحكَت اسْتَبْشَارًا بذَلكَ ، قَالَ الله تَعَالَى : ﴿فبشرناها بإسحق وَمن وَرَاء إِسْحَق يَعْقُوب﴾ أَيْ بَشَّرَتْهَا الْمَلاَئكَةُ بذَلكَ «فَأَقْبَلَت امْرَأَتُهُ في صرة» أَي في صرخة «فصكت وَجهها» أَيْ كَمَا يَفْعَلُ النِّسَاءُ عنْدَ التَّعَجُّب وَقَالَتْ : «يَا وَيْلَتَى أَأَلدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلي شَيخا» أَيْ كَيْفَ يَلدُ مثْلي وَأَنَا كَبيرَةٌ وَعَقيمٌ أَيْضا ، وَهَذَا بعلى ، أَيْ زَوْجي ، شَيْخًا؟ تَعَجَّبَتْ منْ وُجُود وَلَد وَالْحَالَة هَذه .

وَلِهَذَا قَالَت : «إن هَذَا لشيء عَجيبٌ ❁ قَالُوا : أَتَعْجَبينَ منْ أَمْرِ اللَّهِ! رَحْمَةُ اللَّه وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْت إِنَّهُ حَميدٌ مجيد» .

وَكَذَلكَ تَعَجَّبَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْه السَّلاَمُ اسْتبْشَارًا بهَذه الْبشَارَة وَتَثْبيتًا لَهَا وَفَرَحًا بهَا ، «قَالَ أَبَشَّرْتُمُوني على أَن مسنى الْكبير فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ❁ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بالْحَقِّ فَلاَ تَكُنْ من القانطين» أَكَّدُوا الْخَبَرَ بِهَذِه الْبِشَارَة وَقَرَّرُوهُ مَعَهُ ، فَبَشَّرُوهُمَا «بِغُلاَم عليم» ؛ وَهُوَ إِسْحَق أَخُو إِسْمَاعيل .

غُلاَم عليم مُنَاسبٌ لمَقامه وَصَبْره ، وَهَكَذَا وَصَفَهُ رَبُّهُ بصدْق الْوَعْد وَالصَّبْر .

وَقَالَ في الآيَة الأُخْرَى : ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بإسحق وَمن وَرَاء إِسْحَق يَعْقُوب﴾ .

وَهَذَا ممَّا اسْتَدَلَّ به مُحَمَّدُ بْنُ كَعْب الْقُرَظيُّ وَغَيْرُهُ عَلَى أَنَّ الذَّبيحَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ ، وَأَن إِسْحَق لاَ يَجُوزُ أَنْ يُؤْمَرَ بِذَبْحِه بَعْدَ أَنْ وَقَعَت الْبِشَارَةُ بِوُجُوده وَوُجُود

وَلَده يَعْقُوب[١] الْمُشْتَقّ منَ الْعَقب منْ بَعْده .

فَقَوله تَعَالَى : ﴿فبشرناها بإسحق وَمن وَرَاء إسْحَق يَعْقُوب﴾ دَليل على أَنَّهَا تستمتع بوُجُود وَلَدها إسْحَق ، ثُمَّ منْ بَعْده يُولَدُ وَلَدُهُ يَعْقُوبُ .

أَيْ يُولد في حياتهما لنقر أعينهما به كَمَا قرت بولده .

وَلَوْ لَمْ يُرِدْ هَذَا لَمْ يَكُنْ لِذكْرِ يَعْقُوبَ وَتَخْصِيصِ التَّنْصِيصِ عَلَيْهِ مِنْ دُونِ سَائِرِ نسل إسْحَق فَائدَة .

بناء البيت العتيق

الْبَيْتَ الْعَتيقَ الَّذي هُوَ أَوَّلُ مَسْجد وُضعَ لعُمُوم النَّاسِ ، يَعْبُدُونَ اللَّهَ فيه .

وَبَوَّأَهُ اللَّهُ مَكَانَهُ ، أَيْ أَرْشَدَهُ إلَيْه وَدَلَّهُ عَلَيْه .

وَقَدْ رُوِّي عَنْ أَميرِ الْمُؤْمنينَ عَليِّ بْنِ أَبي طَالبٍ وَغَيْرِهِ : أَنَّهُ أُرْشدَ إلَيْهِ بوحي من الله عز وجل .

وَقد ذكرنَا في صفة خلق السَّموَات : أَنَّ الْكَعْبَةَ بحيَال الْبَيْت الْمعْمُور ، بحَيْثُ أَنَّهُ لَو سقط لسقط عَلَيْهَا ، وكَذَلكَ معابد السَّموَات السَّبْع ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَف : إنَّ في كُلِّ سَمَاء بَيْتًا يَعْبُدُ اللَّهَ فيه أَهْلُ كُلِّ سَمَاء ، وَهُوَ فيهَا كَالْكَعْبَة لأَهْل الأَرْض .

فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إبْرَاهيمَ عَلَيْه السَّلاَمُ أَنْ يَبْنيَ لَهُ بَيْتًا يَكُونُ لأَهْلَ الأَرْض كَتلْكَ المعابد لملائكة السَّموَات ، وَأَرْشَدَهُ اللَّهُ إلَى مَكَان الْبَيْت الْمُهَيَّأ لَهُ ، الْمعين لذَلك مُنْذُ خلق السَّموَات وَالأَرْضَ ، كَمَا ثَبَتَ في الصَّحيحَيْن : «إنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خلق الله السَّموَات وَالأَرْضَ ، فَهُوَ حَرَامٌ بحُرْمَة اللَّه إلَى يَوْم الْقيَامَة» .

وَلَمْ يَجِئْ فِي خَبَرٍ صَحِيحٍ عَنْ مَعْصُومٍ أَنَّ الْبَيْتَ كَانَ مَبْنيًّا قَبْلَ الْخَليلِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ .

وَمَنْ تَمَسَّكَ في هَذَا بقَوْله : «مَكَان الْبَيْت» فَلَيْسَ بناهض وَلاَ ظَاهر ، لأَنَّ الْمُرَادَ مَكَانُهُ الْمُقَدَّرُ في علم الله ، الْمُقَرّر في قَدَره ، الْمُعَظَّمُ عنْدَ الأَنْبيَاء مَوْضعُهُ ، منْ لَدُنْ آدَمَ إلَى زَمَان إبْرَاهيمَ .

---

(١) يعقوب أو ياكوف (بالعبرية) معناه «ماسك كعب القدم» ويُعرف أيضاً بإسرائيل أي «الله قد كافح» . أبوه إسحاق وجّده إبراهيم . كان ليعقوب دور رئيسي في الأحداث الأخيرة من سفر التكوين في العهد القديم .

وَقَدْ ذَكَرْ أَنَّ آدَمَ نَصَبَ عَلَيْهِ قُبَّةً ، وَأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ قَالُوا لَهُ : قَدْ طُفْنَا قَبْلَكَ بِهَذَا الْبَيْت ، وَأَنَّ السَّفِينَةَ طَافَتْ به أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ .

وَلَكِنْ كُلُّ هَذه الأَخْبَار عَنْ بنى إِسْرَائيل .

وأَنَّهَا لا تصدق وَلاَ تُكَذَّبُ فَلاَ يُحْتَجُّ بهَا ، فَأَمَّا إِنْ رَدَّهَا الْحَقُّ فَهِيَ مَرْدُودَةٌ .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْت وُضعَ للنَّاسِ لَلَّذي ببَكَّةَ مُبَارَكًا وَهدى للْعَالَمين﴾ .

أَيْ أَوَّلُ بَيْت وُضعَ لعُمُوم النَّاسِ للْبَرَكَة وَالْهدى ، الْبَيْت الذي ببكة .

وَقيل مَحل الْكَعْبَة ﴿فيه آيَات بَيِّنَات﴾ أَيْ عَلَى أَنَّهُ بنَاءُ الْخَلِيلِ ، وَالِدِ الأَنْبِيَاءِ منْ بَعْده وَإِمَام الْحُنَفَاء منْ وَلَده ، الَّذين يَقْتَدُونَ به وَيَتَمَسَّكُونَ بسُنَّته .

وَلهَذَا قَالَ : ﴿مَقَامُ إِبْرَاهيم﴾ أَي الْحَجَرُ الَّذي كَانَ يَقفُ عَلَيْه قَائمًا لَمَّا ارْتَفَعَ الْبنَاءُ عَنْ قَامَته ، فَوَضَعَ لَهُ وَلَدُهُ هَذَا الْحَجَرَ الْمَشْهُورَ ، ليَرْتَفعَ عَلَيْه لَمَّا تَعَالَى الْبناء وَعظم الفناء .

كَمَا ذكر في حَديث ابْن عَبَّاس الطَّويل .

وَقَدْ كَانَ هَذَا الْحَجَرُ مُلْصَقًا بحَائط الْكَعْبَة عَلَى مَا كَانَ عَلَيْه منْ قَديم الزَّمَان إِلَى أَيَّام عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَأَخَّرَهُ عَن الْبَيْت قليلا ، لَئَلَّا يشغل المصلي عنْدَهُ الطَّائفينَ بالْبَيْت ، وَاتَّبَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا ، فَإِنَّهُ قَدْ وَافقه ربه في أَشْيَاء : منْهَا قَوْله لرَسُوله .

ﷺ : لَو اتَّخَذْنَا منْ مَقَام إِبْرَاهيمَ مُصَلَّى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿وَاتَّخذُوا من مقام إِبْرَاهِيم مصلى﴾ .

وَقَدْ كَانَتْ آثَارُ قَدَمَي الْخَلِيلِ بَاقِيَةً فِي الصَّخْرَةِ إِلَى أَوَّلِ الإِسْلاَمِ .

غير عتبة بابك

قال ابن عباس (١) : لمّا شبّ اسماعيل تزوّج امرأة من جرهم ، فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل ، فسألا عنه امرأته فقالت :

خرج يبتغي لنا .

ثم سألها عن عيشهم فقالت :

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، صحابي جليل ، وابن عم النبي محمد ، حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير وترجمان القرآن ، ولد ببني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان النبي محمد دائم الدعاء لابن عباس فدعا أن يملأ الله جوفه علماً وأن يجعله صالحاً .

نحن بشر في ضيق وشدّة ، وشكت إليه ، فقال :
فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له :
يغيّر عتبة بابه .
فلما جاء أخبرته فقال : ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك .

صِفَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ[(١)] : حَدَّثَنَا يُونُسُ وَحُجَيْنٌ قَالاَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِذا أقرب من رَأَيْت شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دِحْيَةُ» .
تَفَرَّدَ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَبِهَذَا اللَّفْظِ .
وَقَالَ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ ، حَدثنَا إِسْرَائِيل ، عَن عُثْمَان –يَعْنِي ابْنَ الْمُغِيرَةِ –عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «رَأَيْتُ عِيسَى بن مَرْيَمَ وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ ؛ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ ، وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسِيمٌ» .
قَالُوا لَهُ : فَإِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ : «انْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ» يَعْنِي نَفسه .

ففهمناها سليمان[(٢)]

أن رجلين دخلا على داود عليه السلام[(٣)] أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي فقيه ومحدِّث مسلم ، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي .

(٢) سليمان هو أحد ملوك مملكة إسرائيل حسب الوارد في سفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الأول وحسب التلمود ، هو أحد الأنبياء الثمانية والأربعين وابن داود وثالث ملوك مملكة إسرائيل الموحدة قبل انقسامها إلى مملكة إسرائيل الشمالية وهي المملكة التي بقي يحكمها قبائل إسرائيل الاثنا عشر ومملكة يهوذا في الجنوب والتي حكمها أبناء قبيلة يهوذا وهي القبيلة الوحيدة الباقية من القبائل الاثنا عشر حسب كتابات اليهود .

(٣) داوُود أو داؤود ، وتلفظ بالعبرية الحديثة : دافيد) معناه «محبوب» ، هو ثاني ملك على مملكة إسرائيل الموحدة (١٠١١ ق .م . – ٩٧١ ق .م .) وأحد أنبياء بني إسرائيل بحسب المعتقد الإسلامي ، =

حرث فقال أحدهما إن هذا دخلت غنمه بالليل إلى حرثي فأهلكته وأكلته ولم تبق لي فيه شيئا فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره إذ ذاك على ما نقله أئمة التفسير إحدى عشر سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا إلى داود عليه السلام وقالا له ما قاله ولده سليمان عليه السلام فدعاه داود عليه السلام وقال له ما هو الأرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم إلى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده في قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الأغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم إلى صاحب الأغنام ليقوم به فإذا عاد الكرم إلى هيئته وصورته التي كان عليها ليلة دخلت الغنم إليه سلم صاحب الكرم الغنم إلى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالى ﴿وداود وسليمان إن يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾ .

قلب الأم

عن أبي هريرة[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال :

خرجت امرأتان ومعهما صبيّان ، فعدا الذئب على أحدهما ، فأخذتا تختصمان في الصبي الباقي ، فاختصمتا الى داود عليه السلام ، فقضى به للكبرى منهما ، فمرّتا على سليمان عليه السلام ، فقال ما أمركما؟

فقصّتا القصّة .

= إلا أنه في اليهودية يعتبر ملكًا وليس نبيًا جاء بعد إش-بوشيت (أو إشباعل) ، الابن الرابع للملك شاول . يتم وصفه على أنه أحق وأنزه ملك من بين ملوك إسرائيل التاريخيين – ولكن ليس بلا خطأ – وأيضاً هو محارب ممتاز ، موسيقي وشاعر (ويعتبره التراث اليهودي والمسيحي مؤلف العديد من المزامير) .

(١) الصحابي أبو هُرَيْرَة عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة صحابي من صحابة رسول الله ، قد أجمع أهل الحديث السُنَّة أن أبا هريرة أكثر الصحابة روايةً وحفظاً لحديث رسول الله .

فقال : ائتوني بالسكين أشق الغلام بينكما .
فقالت الصغرى : أتشقه؟
قال : نعم .
قالت : لا تفعل ، حظي منه لها .
فقال : هو ابنك . فقضى به لها .

ريش الأوز

وعن محمد بن كعب القرظي[1] قال : جاء رجل الى سليمان النبي عليه السلام فقال : يا نبيّ الله! ان لي جيرانا يسرقون أوزي .

فنادى الصلاة جامعة .

ثم خطبهم ، فقال في خطبته : وأحدكم يسرق أوز جاره ، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه!

فمسح رجل برأسه ، فقال سليمان : خذوه فإنه صاحبكم .

هدهد سليمان

وذكروا في الإسرائيليات أنّ الهدهد جاء إلى سليمان ، فقال : أريد أن تكون في ضيافتي ، فقال سليمان : أنا وحدي؟ فقال : لا بل أنت والعسكر ، في يوم كذا ، على جزيرة كذا ؛ فلمّا كان ذلك اليوم ، جاء سليمان وعسكره ، فطار الهدهد ، فصاد جرادةً ، فخنقها ، ورمى بها في البحر ، وقال : كلوا ، فمن لم ينل من اللّحم نال من المرقة ؛ فضحك سليمان من ذلك وجنوده حولاً كاملاً .

موسى عليه السلام

يَذْكُرُ تَعَالَى مُلَخَّصَ الْقِصَّةِ ، ثُمَّ يَبْسُطُهَا بَعْدَ هَذَا ، فَذكر أَنه يَتْلُو عَلَى نَبِيِّهِ خَبَرَ

(١) القرظي محمد بن كعب بن سليم وقال ابن سعد محمد بن كعب بن حيان بن سليم الإمام العلامة الصادق أبو حمزة وقيل أبو عبد الله القرظي المدني من حلفاء الأوس وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة سكن الكوفة ثم المدينة .

مُوسَى وَفِرْعَوْنَ[١] بالحْقِّ ، أَيْ بالصِّدْق الَّذي كَأَنَّ سَامعَهُ مُشَاهدٌ للْأَمْر مُعَاينٌ لَهُ .

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شيعًا﴾ ، أَيْ تَجَبَّرَ وَعَتَا وَطَغَى وَبَغَى ، وَآثَرَ الحْيَاةَ الدُّنْيَا ، وَأَعْرَضَ عَنْ طَاعَة الرَّبِّ الأَعْلَى .

وَجَعَلَ أَهلهَا شيعًا ، أَيْ قَسَّمَ رَعيَّتَهُ إِلَى أَقْسَام ، وَفرَق وَأَنْوَاع ، يستضعف طَائفَة منْهُم ، وَهُمْ شَعْبُ بَني إِسْرَائيلَ الَّذينَ هُمْ منْ سلالَةَ نَبي اللَّه يَعْقُوب ابْن إِسْحَق بْنِ إِبْرَاهيمَ خَليلِ اللَّه ، وَكَانُوا إِذْ ذَاكَ خيَار أهل الارض .

وَقد سلط عَلَيْهمْ هَذَا الْملكَ الظَّالمَ الْغَاشمَ الْكَافرَ الْفَاجرَ ، يستعبدهم ويستخدمهم في أخس الصَّنَائع والحرف وأرداها وَأَدْنَاها وَمَعَ هَذَا «يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ منَ المفسدين» .

وَكَانَ الحْاملُ لَهُ عَلَى هَذَا الصَّنيع الْقَبيح أَنَّ بَني إِسْرَائيلَ كَانُوا يَتَدَارَسُونَ فيمَا بَيْنَهُمْ مَا يأثرونه عَن إبْرَاهيم عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، منْ أَنَّهُ سَيَخْرُجُ منْ ذُرِّيَّته غُلاَمٌ يَكُونُ هَلاَكُ مَلك مصْرَ عَلَى يَدَيْه .

وَذَلكَ – وَالله أعلم – حين كَانَ جَرَى عَلَى سَارَّةَ امْرَأَة الخْليلِ منْ مَلك مصْرَ ، منْ إرَادَته إِيَّاهَا عَلَى السُّوء وَعصْمَة اللَّه لَهَا .

وَكَانَتْ هَذه الْبشَارَةُ مَشْهُورَةً فِي بَني إِسْرَائيلَ ، فَتَحَدَّث بِهَا الْقبْطُ فيمَا بَيْنَهُمْ ، ووصلت إِلَى فرْعَوْنَ فَذكرهَا لَهُ بعض أُمَرَائه وَأَسَاورَته وَهُمْ يَسْمُرُونَ عنْدَهُ ، فَأَمَرَ عنْدَ ذَلكَ بقَتْلِ أَبْنَاء بَني إِسْرَائيلَ ، حَذرًا منْ وُجُود هَذَا الْغُلاَم ، وَلَنْ يُغْني حَذَرٌ منْ قَدَر! وَذَكَرَ السُّدِّيُّ عَنْ أَبي صَالح وَأَبي مَالك ، عَن ابْن عَبَّاس ، وَعَن مُرَّةَ عَن ابْن مَسْعُود ، وَعَنْ أُنَاس منَ الصَّحَابَة : أَنَّ فرْعَوْنَ رَأَى في مَنَامه ، كَأَنَّ نَارًا قَدْ أَقْبَلَتْ منْ نَحْو بَيْت الْمَقْدس ، فَأَحْرَقَتْ دَوْرَ مصْرَ وَجَميعَ الْقبْط وَلَمْ تَضُرَّ بَني إِسْرَائيلَ .

فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ هَالَهُ ذَلكَ ، فَجَمَعَ الكهنة والحذقة والسحرة .

وسألهم عَن ذَلك ، فَقَالُوا : هَذَا غُلاَم يُولد من هَؤُلاَء ، يَكُونُ سَبَبَ هَلاَك أَهْلِ مصْرَ عَلَى يَدَيْه ، فَلهَذَا أَمَرَ بقَتْلِ الْغلْمَانِ وَتَرْكِ النِّسْوَانِ .

---

(١) رمسيس الثاني (حوالي ١٣٠٣ ق .م _يوليو أو أغسطس ١٢١٣ ق .م) يُشار إليه أيضًا رمسيس الأكبر ، كان فرعون الثالث من حكام الأسرة التاسعة عشر (حكم ١٢٧٩ – ١٢١٣ ق .م) . ينظر إليه على أنه الفرعون الأكثر شهرة والأقوى طوال عهد الإمبراطورية المصرية . سماه خلفائه والحكام اللاحقين له بالجد الأعظم .

وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الارض﴾ وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ أَي الَّذِينَ يَئُولُ مُلْكُ مِصْرَ وَبِلاَدُهَا إِلَيْهِمْ .

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وجنودهما مِنْهُم مَا كَانُوا يحذرون﴾ أي سنجعل الضَّعِيفَ قَوِيا والمقهور قاهر وَالذَّلِيلَ عَزِيزًا .

وَقَدْ جَرَى هَذَا كُلُّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائيل بِمَا صَبَرُوا﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ ومقام كريم * كَذَلِك وأورثناها بني إِسْرَائيل﴾ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ فِرْعَوْنَ احْتَرَزَ كُلَّ الاحْتِرَازِ أَنْ لاَ يُوجَدَ مُوسَى ، حَتَّى جَعَلَ رِجَالاً وَقَوَابِلَ يَدُورُونَ عَلَى الْحَبَالَى ، وَيَعْلَمُونَ مِيقَاتَ وَضْعِهِنَّ ، فَلاَ تَلِدُ امْرَأَةٌ ذَكَرًا إِلاَّ ذَبَحَهُ أُولَئِكَ الذَّبَّاحُونَ من سَاعَته .

وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ : أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَأْمُرُ بقتل الْغِلْمَانِ ، لِتَضْعُفَ شَوْكَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلاَ يُقَاوِمُونَهُمْ إذا غالبوهم أو قاتلوهم .

وَهَذَا فيه نظر ، بل هُوَ بَاطِل .

وَإِنَّمَا هَذَا في الامر بقتل الْوِلْدَان بعد بعثة مُوسَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ واستحيوا نسَاءَهُمْ﴾ وَلِهَذَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْد مَا جِئْتَنَا﴾ .

فَالصَّحِيحُ أَنَّ فِرْعَوْنَ إِنَّمَا أَمَرَ بِقَتْلِ الْغِلْمَان أولا ، حذرا من وجود مُوسَى .

هَذَا ، وَالْقدر يَقُول : يَا هذا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ ، الْمَغْرُورُ بِكَثْرَة جُنُوده

وَسُلْطَة بَأْسه وَاتِّسَاع سُلْطَانه : قَدْ حَكَمَ الْعَظِيمُ الَّذِي لاَ يُغَالَبُ وَلاَ يُمَانَعُ ، وَلاَ تُخَالَفُ أَقْدَارُهُ : أَنَّ هَذَا الْمَوْلُودَ الَّذِي تَحْتَرِزُ مِنْهُ ، وَقَدْ قَتَلْتَ بِسَبَبِه مِنَ النُّفُوس مَا لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحْصَى ، لاَ يَكُونُ مُرَبَّاهُ إِلاَّ فِي دَارِكَ وَعَلَى فِرَاشكَ ، وَلاَ يُغَذَّى إِلاَّ بِطَعَامكَ وَشَرَابكَ فِي مَنْزلك وَأَنت الَّذي تتبناه وتربية وتتفداه ، وَلاَ تَطَّلِعُ عَلَى سِرِّ مَعْنَاهُ ، ثُمَّ يَكُونُ هَلاَكُكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ عَلَى يَدَيْه ، لِمُخَالَفَتكَ مَا جَاءكَ به مِنَ الْحَقِّ الْمُبِين ، وَتَكْذِيبكَ مَا أُوحِيَ إِلَيْه ، لِتَعْلَمَ أَنْتَ وَسَائِرُ الْخَلْقَ ، أَن رب السَّمَوَات وَالأَرْض هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ ، وَأَنَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ ، ذُو الْبَأْسِ الْعَظِيمِ ، وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، والمشيئة الَّتِي لاَ مرد لَهَا!

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحد منَ الْمُفَسِّرينَ : أَنَّ الْقبْطَ شَكَوْا إِلَى فرْعَوْنَ قلَّةَ بَني إِسْرَائيلَ ، بسَبَب قتل ولدانهم الذُّكُور ، وخشي أَنْ تَتَفَانَى الْكبَارُ مَعَ قَتْلِ الصِّغَار ، فَيَصيرُونَ هم الَّذين يلون مَا كَانَ بَنو إِسْرَائيل يعالجون فَأَمَرَ فرْعَوْنُ بقَتْلِ الأَبْنَاء عَامًا وَأَنْ يُتْرَكُوا عَاما فَذكرُوا أَن هرون عَلَيْه السَّلاَم ولد في عَام الْمُسَامحَة عَن قتل الابناء ، وَأَن مُوسَى عَلَيْه السَّلاَم ولد في عَام قَتْلهمْ ، فَضَاقَتْ أُمُّهُ بِه ذَرْعًا واحترزت من أول مَا حبلت ، وَلم يكن يظْهر عَلَيْهِم مَخَايلُ الْحَبَلِ .

فَلَمَّا وَضَعَتْ أُلْهِمَتْ أَن اتَّخَذَتْ لَهُ تَابُوتًا ، فَرَبَطَتْهُ في حَبْل وَكَانَتْ دَارُهَا مُتَاخمَةً للنِّيلِ ، فَكَانَتْ تُرْضعُهُ ، فَإِذَا خَشيَتْ منْ أَحَد وَضَعَتْهُ في ذَلكَ التَّابُوت ، فَأَرْسَلَتْهُ في الْبَحْر ، وَأَمْسَكَتْ طَرَفَ الْحَبْلِ عنْدَهَا ، فَإِذَا ذَهَبُوا اسْتَرْجَعَتْهُ إِلَيْهَا به .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضعيه ، فَإِذَا خفْت عَلَيْه فَأَلْقيه في الْيَمِّ وَلاَ تَخَافي وَلاَ تَحْزَني إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْك وَجَاعلُوهُ منَ الْمُرْسَلينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فرْعَوْنَ ليَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ، إِنَّ فرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطئينَ ۞ وَقَالَت امْرَأَةُ فرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لي وَلَكَ ، لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفعَنَا أَوْ نَتَّخذَهُ وَلَدًا وَهم لاَ يَشْعُرُونَ﴾ .

هَذَا الْوَحْيُ وَحيٌ إِلْهَام وَإِرْشَاد كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَن اتَّخذي منَ الْجبَال بُيُوتًا وَمنَ الشَّجَر وَممَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلي منْ كُلِ الثَّمَرَات فَاسْلُكي سُبُلَ رَبك ذللا يخرج من بطونها﴾ .

قَالَ السُّهَيْليُّ : وَاسْمُ أُمِّ مُوسَى «أيارخا» ، وَقيلَ «أَيَاذَخْتُ» .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهَا أُرْشدَتْ إِلَى هَذَا ، وَأُلْقيَ في خَلَدهَا وَرُوعهَا أَنْ لاَ تَخَافي وَلاَ تَحْزَني ، فَإِنَّهُ إِنْ ذَهَبَ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَرُدُّهُ إِلَيْك ، وَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُهُ نَبيًّا مُرْسَلاً ، يُعْلي كَلمَتَهُ في الدُّنْيَا وَالآخرَة ، فَكَانَتْ تَصْنَعُ مَا أُمرَتْ به فَأَرْسَلَتْهُ ذَاتَ يَوْم وَذَهَلَتْ أَنْ تَرْبُطَ طَرَفَ الْحَبْلِ عنْدَهَا فَذَهَبَ مَعَ النِّيلِ فَمَرَّ عَلَى دَارِ فرْعَوْنَ «فَالتقطه آل فرْعَوْن» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ليَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : هَذه لاَمُ الْعَاقبَة ، وَهُوَ ظَاهرٌ إِنْ كَانَ مُتَعَلِّقًا بقَوْله فَالْتَقَطَهُ .

وَأَمَّا إِنْ جُعلَ مُتَعَلِّقًا بمَضْمُون الْكَلاَم ، وَهُوَ أَنَّ آلَ فرْعَوْنَ قُيِّضُوا لالْتِقَاطه ليَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ، صَارَت اللَّام معللة كَغَيْرهَا ، وَالله أعلم .

ويقوى هَذَا التَّقْدير الثَّاني قَوْله : ﴿إِن فرْعَوْن وهامان﴾ وَهُوَ الْوَزير السوء «وجنودهما «التَّابعين لَهُمَا» كَانُوا خَاطئينَ» ، أَيْ كَانُوا عَلَى خلاَف الصَّوَاب ، فَاسْتَحَقُّوا هَذه الْعُقُوبَةَ وَالْحَسْرَةَ .

وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ : أَنَّ الْجَوَارِيَ الْتَقَطْنَهُ مِنَ الْبَحْرِ فِي تَابُوت مُغْلَق عَلَيْه ، فَلَمْ يَتَجَاسَرْنَ عَلَى فَتْحه ، حَتَّى وَضَعْنَهُ بَيْنَ يَدَي امْرَأَة فِرْعَوْنَ «آسيَةَ[1]» بِنْتِ مُزَاحِمِ بْنِ عُبَيْد بْنِ الرَّيَّان بْنِ الْوَلِيد ، الَّذي كَانَ فِرْعَوْنَ مصْرَ فِي زَمَنِ يُوسُفَ .

وَقِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سِبْطِ مُوسَى .

وَقِيلَ بَلْ كَانَتْ عَمَّتَهُ ، حَكَاهُ السُّهَيْلي ، فَالله أعلم

فَلَمَّا فَتَحَت الْبَابَ وَكَشَفَت الْحِجَابَ ، رَأَتْ وَجْهَهُ يَتَلأْلأُ بِتِلْكَ الأَنْوَارِ النَّبَوِيَّةِ وَالْجَلاَلَة الْمُوسَوِيَّة ، فَلَمَّا رَأَتْهُ ووَقَعَ نَظَرُهَا عَلَيْه أَحَبَّتْهُ حبا شَديدا

فَلَمَّا جَاءَ فِرْعَوْنُ قَالَ : مَا هَذَا؟ وَأَمَرَ بِذَبْحِهِ ، فَاسْتَوْهَبَتْهُ مِنْهُ وَدَفَعَتْ عَنْهُ وَقَالَتْ : «قُرَّةُ عين لِي وَلَكَ» .

فَقَالَ لَهَا فِرْعَوْن : أما لَك فَنعم وأما لي فَلاَ .

أَيْ لاَ حَاجَةَ لِي به .

وَالْبَلاَءُ مُوكل بِالْمَنْطق! وَقَوْلها : «عَسى أَن ينفعنا» قد أَنَالَهَا اللَّهُ مَا رَجَتْ مِنَ النَّفْع : أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَهَدَاهَا اللَّهُ به ، وَأَمَّا فِي الآخرَة فَأَسْكَنَهَا جَنَّتَهُ بسَبَبِه .

«أَوْ نَتَّخذَهُ وَلَدًا » وَذَلكَ أَنَّهُمَا تَبَنَّيَاهُ ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ .

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿وهم لاَ يَشْعُرُونَ﴾ أَيْ لاَ يَدْرُونَ مَاذَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِمْ ، أَنَّ قَيَّضَهُمْ لالْتقَاطه ، منَ النِّقْمَة الْعَظيمَة بفرْعَوْنَ وَجُنُوده؟ وَعند أهل الْكتاب أَن الَّتي التقطت مُوسَى «دربتة» ابْنَةُ فِرْعَوْنَ وَلَيْسَ لامْرَأَته ذكْرٌ بِالْكُلِّيَّة وَهَذَا من غلطهم على كتاب الله عز وجل .

قَالَ ابْنُ عَبَّاس وَمُجَاهدٌ وَعكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْر وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُمْ : «وَأَصْبح فؤاد أم مُوسَى فَارغًا» أَي من كل شيء من أُمُور الدُّنْيَا إلاَّ من مُوسَى «إِن كَادَت لتبدى به» أَيْ لَتُظْهِرُ أَمْرَهُ وَتَسْأَلُ عَنْهُ جَهْرَةً «لَوْلاَ أَن ربطنا على قَلبهَا» أَيْ صَبَّرْنَاهَا وَثَبَّتْنَاهَا «لتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمنينَ * وَقَالَتْ لأخته» وَهِي ابْنَتهَا الْكَبِيرَة : «قصيه»[2] «فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جنب» .[3]

(١) آسية بنت مزاحم زوجة فرعون موسى . التي تلقت النبي موسى من اليم وآمنت به وأسندت رضاعته لأمه .

(٢) أَي اتَّبِعي أَثَرَهُ ، وَاطْلُبِي لِي خَبَرَهُ .

(٣) قَالَ مُجَاهِدُ : عَنْ بُعْدٍ . وَقَالَ قَتَادَةُ : جَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَكَأَنَّهَا لاَ تُرِيدُهُ .

وَلِهَذَا قَالَ : «وهم لاَ يَشْعُرُونَ» ، وَذَلِكَ لأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَمَّا اسْتَقَرَّ بِدَارِ فِرْعَوْنَ أَرَادُوا أَنْ يُغَذُّوهُ بِرَضَاعَةٍ فَلَمْ يَقْبَلْ ثَدْيًا وَلاَ أَخَذَ طَعَامًا ، فَحَارُوا فِي أمره ، واجتهدوا عَلَى تَغْذِيَتِه بِكُلِّ مُمْكِنٍ فَلَمْ يَفْعَلْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ فَأَرْسَلُوهُ مَعَ الْقَوَابِلِ وَالنِّسَاءِ إِلَى السُّوقِ ، لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ مَنْ يُوَافِقُ رَضَاعَتَهُ .

فَبَيْنَمَا هُمْ وُقُوفٌ بِهِ وَالنَّاسُ عُكُوفٌ عَلَيْهِ إِذْ بَصُرَتْ بِهِ أُخْتُهُ ، فَلَمْ تُظْهِرْ أَنَّهَا تَعْرِفُهُ بَلْ قَالَتْ : «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وهم لَهُ ناصحون؟» .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ ، قَالُوا لَهَا : مَا يُدْرِيكِ بِنُصْحِهِمْ وَشَفَقَتِهِمْ عليْهِ؟ فَقَالَتْ : رَغْبَةً فِي سُرُورِ الْمُلْكِ وَرَجَاءَ مَنْفَعَتِهِ .

فَأَطْلَقُوهَا وَذَهَبُوا مَعَهَا إِلَى مَنْزِلِهِمْ ، فَأَخَذَتْهُ أُمُّهُ .

فَلَمَّا أَرْضَعَتْهُ الْتَقَمَ ثَدْيَهَا وَأَخَذَ يَمْتَصُّهُ وَيَرْتَضِعُهُ ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا ، وَذهب البشير إِلَى «آسِيَةَ» يُعْلِمُهَا بِذَلِكَ ، فَاسْتَدْعَتْهَا إِلَى مَنْزِلِهَا وَعَرَضَتْ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ عِنْدَهَا ، وَأَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهَا ، فَأَبَتْ عَلَيْهَا وَقَالَتْ : إِنَّ لِي بَعْلاً وَأَوْلاَدًا ، وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى هَذَا إِلاَّ أَنْ تُرْسِلِيهِ مَعِي .

فَأَرْسَلَتْهُ مَعَهَا ، وَرَتَّبَتْ لَهَا رَوَاتِبَ ، وَأَجْرَتْ عَلَيْهَا النَّفَقَاتِ وَالْكُسَاوى وَالْهِبَاتِ ، فَرَجَعَتْ بِهِ تَحُوزُهُ إِلَى رَحْلِهَا وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ شَمَلَهُ بِشَمْلِهَا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ ، وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وعد الله حق﴾ أَيْ كَمَا وَعَدْنَاهَا بِرَدِّهِ وَرِسَالَتِهِ ، فَهَذَا رَدُّهُ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ الْبِشَارَةِ بِرِسَالَتِه .

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرهم لاَ يعلمُونَ﴾ .

وَقد امتن على مُوسَى بِهَذَا لَيْلَةَ كَلمه ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ : ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَن اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوت فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ، فَلْيُلْقِه الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ، يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحبَّةً مِني﴾ وَذَلِكَ أَنه كَانَ لاَ يَرَاهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَحَبَّهُ «وَلِتُصْنَعَ عَلَى عيني»(١) وَتُغَذَّى بِأَطْيَبِ الْمَآكِلِ ، وَتَلْبَسَ أَحْسَنَ الْمَلاَبِسِ بِمَرْأًى مِنِّي ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِحِفْظِي وَكَلاَءَتِي لَكَ فِيمَا صَنَعْتُ بِكَ وَلَكَ ، وَقَدَّرْتُهُ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرِي .

(١) قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ : أَيْ تُطْعَمَ وَتُرَفَّهَ .

«إِذْ تَمْشي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يكفله؟ فرددناك إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ ، وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ منَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا» .

﴿وَلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما ، وَكَذَلكَ نَجْزِي الْمُحْسنينَ * وَدَخَلَ الْمَدينَةَ عَلَى حين غَفْلَة منْ أَهْلهَا فَوَجَدَ فيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتلاَن : هَذَا منْ شيعَته وَهَذَا منْ عَدُوِّه ، فَاسْتَغَاثَهُ الَّذي منْ شيعَته عَلَى الَّذي منْ عَدُوِّه ، فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْه ، قَالَ هَذَا منْ عَمَل الشَّيْطَان ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضلٌّ مُبينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي فَاغْفرْ لي ، فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيمُ * قَالَ رَبِّ بمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيرًا للْمُجْرمينَ﴾ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَى أُمِّه برده لَهَا وَإِحْسَانه بذَلكَ وَامْتنَانه عَلَيْهَا ، شَرَعَ في ذكْر أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ، وَهُوَ احْتكَامُ الْخَلْق وَالْخُلُق ، وَهُوَ سنُّ الأَرْبَعينَ في قَوْل الأَكْثَرينَ ، آتَاهُ اللَّهُ حُكْمًا وَعلْمًا ، وَهُوَ النُّبُوَّةُ والرسالة التي كَانَ بشر بهَا أمه حين قَالَ : ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْك وَجَاعلُوهُ منَ الْمُرْسَلينَ﴾ .

ثُمَّ شَرَعَ في ذكْر سَبَب خُرُوجه منْ بلاَد مصْرَ ، وَذَهَابه إِلَى أَرْض مَدْيَنَ وَإِقَامَته هُنَالكَ ، حَتَّى كَمَلَ الأَجَلُ وَانْقَضَى الأَمَدُ ، وَكَانَ مَا كَانَ منْ كلاَم اللَّه لَهُ ، وَإِكْرَامه بمَا أَكْرَمَهُ به .

قَالَ تَعَالَى : ﴿وَدَخَلَ الْمَدينَةَ عَلَى حين غَفْلَة منْ أَهْلهَا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاس وَسَعيدُ بْنُ جُبَيْر وَعكْرمَةُ وَقَتَادَة والسدى : وَلذَلك نصف النَّهَار ، وَعَن ابْن عَبَّاس : بَيْنَ الْعشَائَيْن .

«فَوَجَدَ فيهَا رَجُلَيْن يقتتلاَن» أي يتضاربان ويتهارشان «هَذَا من شيعته» أي إسرائيلى ، «وَهَذَا من عدوه» أَيْ قبْطيٌّ .

قَالَهُ ابْنُ عَبَّاس وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ .

«فَاسْتَغَاثَهُ الَّذي منْ شيعَته على الذى من عدوه» وَذَلكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ ، كَانَتْ لَهُ بديَار مصْرَ صَوْلَةٌ ، بسَبَب نسْبَته إِلَى تَبَنِّي فرْعَوْنَ لَهُ وَتَرْبِيَته في بَيْته ، وَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائيلَ قَدْ عَزُّوا وَصَارَتْ لَهُمْ وَجَاهَةٌ ، وَارْتَفَعَتْ رؤوسهم بسَبَب أَنَّهُمْ أَرْضَعُوهُ ، وَهُمْ أَخْوَالُهُ أَيْ منَ الرَّضَاعَة ، فَلَمَّا اسْتَغَاثَ ذَلكَ الإِسْرَائيليُّ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ عَلَى ذَلكَ الْقبْطيِّ أَقْبَلَ إِلَيْه مُوسَى «فَوَكَزَهُ» .

قَالَ مُجَاهدٌ : أَيْ طَعَنَهُ بجُمْع كَفِّه ، وَقَالَ قَتَادَةُ : بعَصًا كَانَتْ مَعَهُ ، «فَقَضَى عَلَيْه» أَيْ فَمَاتَ منْهَا .

وَقَدْ كَانَ ذَلكَ الْقبْطيُّ كَافرًا مُشْركًا باللَّه الْعَظيم ، وَلَمْ يُرِدْ مُوسَى قَتْلَهُ بالْكُلِّيَّة ، وَإِنَّمَا أَرَادَ زَجْرَهُ وَرَدْعَهُ .

وَمَعَ هَذَا ، «قَالَ» مُوسَى : ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ❋ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ❋ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أَيْ مِنَ الْعِزِّ وَالْجَاه «فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا للمجرمين» .

«فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ، قَالَ لَهُ مُوسَى : إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ❋ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ .

بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ، قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ؟ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ❋ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ، قَالَ يَا مُوسَى إِن المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ❋ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، قَالَ رَبِّ نجني من الْقَوْمِ الظَّالِمين» يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ مُوسَى أَصْبَحَ بِمَدِينَةِ مِصْرَ خَائِفًا – أَيْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه – أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقَتِيلَ الَّذِي رُفِعَ إِلَيْه أَمْرُهُ ، إِنَّمَا قَتَلَهُ مُوسَى فِي نُصْرَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَتَقْوَى ظُنُونُهُمْ أَنَّ مُوسَى مِنْهُمْ ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ .

فَصَارَ يَسِيرُ فِي الْمَدِينَةِ فِي صَبِيحَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ «خَائِفًا يَتَرَقَّبُ» أَيْ يَتَلَفَّتُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا ذَلِكَ الرَّجُلُ الإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ، أَيْ يَصْرُخُ بِهِ وَيَسْتَغِيثُهُ عَلَى آخَرَ قَدْ قَاتَلَهُ ، فَعَنَّفَهُ مُوسَى وَلاَمَهُ عَلَى كَثْرَةِ شَرِّهِ وَمُخَاصَمَتِه ، قَالَ لَهُ : «إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ» ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِذَلِكَ الْقِبْطِيِّ ، الَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لِمُوسَى وَلِلإِسْرَائِيلِيِّ ، فَيَرْدَعُهُ عَنْهُ وَيُخَلِّصُهُ مِنْهُ ، فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْقِبْطِيِّ «قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تكون من المصلحين» .

قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا قَالَ هَذَا الْكَلاَمَ الإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي اطَّلَعَ عَلَى مَا كَانَ صَنَعَ مُوسَى بِالأَمْسِ ، وَكَأَنَّهُ لَمَّا رَأَى مُوسَى مُقْبِلاً إِلَى الْقِبْطِيِّ اعْتَقَدَ أَنَّهُ جَاءَ إِلَيْهِ ، لَمَّا عَنَّفَهُ قبل ذلك بقوله : «إِنَّك لغَوِيّ مُبِين»

فَقَالَ مَا قَالَ لِمُوسَى ، وَأَظْهَرَ الأَمْرَ الَّذِي كَانَ وَقَعَ بِالأَمْسِ .

فَذَهَبَ الْقِبْطِيُّ فَاسْتَعْدَى فِرْعَوْنَ على مُوسَى

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ قَائِلَ هَذَا هُوَ الْقِبْطِيُّ ، وَأَنَّهُ لَمَّا رَآهُ مُقْبِلاً إِلَيْهِ خَافَهُ ، وَرَأَى من سجيته انتصارا جَديدا لِلإِسْرَائِيلِيِّ .

فَقَالَ مَا قَالَ مِنْ بَابِ الظَّنِّ وَالْفِرَاسَة : أَنَّ هَذَا لَعَلَّهُ قَاتِلُ ذَاكَ الْقَتِيلِ بِالأَمْسِ ، أَوْ لَعَلَّهُ فَهِمَ مِنْ كَلامِ الإِسْرَائِيلِيِّ حِينَ اسْتَصْرَخَهُ عَلَيْهِ مَا دَلَّهُ عَلَى هَذَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ فِرْعَوْنَ بَلَغَهُ أَنَّ مُوسَى هُوَ قَاتِلُ ذَلِكَ الْمَقْتُولِ بِالأَمْسِ فَأَرْسَلَ فِي طَلَبِه .

وَسَبَقَهُمْ رَجُلٌ نَاصِحٌ مِنْ طَرِيقٍ أقرب .

«وَجَاء من أَقْصَى الْمَدِينَة» ساعيا إلَيْه مشفقا عَلَيْه فَقَالَ : «يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُج» أَيْ مِنْ هَذِهِ الْبَلْدَةِ «إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» أَيْ فِيمَا أَقُولُهُ لَكَ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «فَخرج مِنْهَا خَائفًا يترقب» ، أَيْ فَخَرَجَ مِنْ مَدِينَة مصْرَ مِنْ فَوْرِهِ عَلَى وَجْهِه لاَ يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقٍ وَلاَ يَعْرِفُهُ ، قَائلاً : «رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً منَ النَّاس يَسْقُونَ * وَوَجَدَ منْ دُونهمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَان ، قَالَ مَا خَطْبُكُمَا؟ قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدرَ الرِّعَاءُ ، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ، فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيّ من خير فَقير» .

يُخْبرُ تَعَالَى عَنْ خُرُوجِ عَبْده وَرَسُوله وَكَليمه منْ مصْرَ خَائفًا يَتَرَقَّبُ ،

أَيْ يَتَلَفَّتُ ، خَشْيَةَ أَنْ يُدْركَهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْم فِرْعَوْنَ ، وَهُوَ لاَ يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ ، وَلاَ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ ، وَذَلكَ لأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ منْ مصْرَ قَبلهَا .

«وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ» أَيْ اتَّجَهَ لَهُ طَرِيقٌ يَذْهَبُ فِيه ، «قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يهدينِي سَوَاء السَّبِيل» أَيْ عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذه الطَّرِيقُ مُوَصِّلَةً إِلَى الْمَقْصُود .

وَكَذَا وَقع ، فقد أَوْصَلَتْهُ إِلَى مَقْصُود وَأَيَّ مَقْصُود .

«وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدين» وَكَانَتْ بِئْرًا يَسْتَقُونَ منْهَا ، وَمَدْيَنُ هيَ الْمَدينَةُ الَّتِي أَهْلَكَ اللَّهُ فيهَا أَصْحَابَ الأَيْكَة ، وَهُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَقَدْ كَانَ هَلاَكُهُمْ قَبْلَ زَمَنِ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ في أَحَد قَوْلَي الْعُلَمَاء .

وَلَمَّا وَرَدَ الْمَاءَ الْمَذْكُورَ «وَجَدَ عَلَيْه أُمَّةً منَ النَّاسِ يَسْقُونَ * وَوَجَدَ منْ دونهم امْرَأَتَيْن تذودان أَي تكفكفان عَنْهُمَا غَنَمَهُمَا أَنْ تَخْتَلطَ بغَنَم النَّاس» .

وَعنْدَ أَهْلِ الْكتَابِ أَنَّهُنَّ كُنَّ سَبْعَ بَنَات ، وَهَذَا أَيْضًا من الْغَلَط ، ولعلهن كن سبعا ، وَلَكنْ إِنَّمَا كَانَ تَسْقِي اثْنَتَان منْهُنَّ ، وَهَذَا الْجمع مُمكن إن كَانَ ذَاك مَحْفُوظًا ، وَإِلاَّ فَالظَّاهرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ سوى بِنْتَيْن «قَالَ مَا خَطْبُكُمَا؟ قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبيرٌ» أَي لاَ نقدر على وُرُود الْمَاءِ إلاَّ بَعْدَ صُدُورِ الرِّعَاءِ ، لِضَعْفنَا ، وَسَبَبُ مُبَاشَرَتنَا هَذهِ الرَّعِيَّةَ ضَعْفُ أَبِينَا وَكِبَرُهُ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «فَسَقَى لَهُمَا» .

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : وَذَلِكَ أَنَّ الرِّعَاءَ كَانُوا إِذَا فَرَغُوا مِنْ وِرْدِهِمْ ، وضعُوا على فَم الْبِئْر صَخْرَة عَظِيمَة ، فتجيء هَاتَان الْمَرْأَتَان فَيَشْرَعَان غَنَمَهُمَا فِي فَضْل أَغْنَام النَّاس ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ ، جَاء مُوسَى فرفع تِلْكَ الصَّخْرَة وَحْدَهُ ، ثُمَّ اسْتَقَى لَهُمَا وَسَقَى غَنَمَهُمَا ، ثُمَّ رد الْحجر كَمَا كَانَ .

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ : وَكَانَ لاَ يَرْفَعُهُ إِلاَّ عَشَرَةٌ ، وَإِنَّمَا اسْتَقَى ذَنُوبًا وَاحِدًا فَكَفَاهُمَا .

ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ، قَالُوا : وَكَانَ ظِلَّ شَجَرَة مِنَ السَّمُر وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُود ، أَنَّهُ رَآهَا خَضْرَاءَ تَرِفُّ «فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير» .

قَالَ ابْنُ عَبَّاس : سَارَ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَدْيَنَ لَمْ يَأْكُلْ إِلاَّ الْبَقْلَ وَوَرَقَ الشَّجَر ، وَكَانَ حَافِيًا فَسَقَطَتْ نَعْلاً قَدَمَيْه مِنَ الْحُفَاء وَجَلَسَ فِي الظِّلِّ – وَهُوَ صَفْوَةُ اللَّه مِنْ خلقه – وَإِنَ بَطْنه للاصق بِظَهْرِهِ مِنَ الْجُوعِ ، وَإِنَّ خُضْرَةَ الْبَقْلِ لَتُرَى مِنْ دَاخِلِ جَوْفِهِ ، وَأَنَّهُ لَمُحْتَاجٌ إِلَى شِقِّ تَمْرَة .

قَالَ عَطاء ابْن السَّائِبِ[1] لَمَّا قَالَ : «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيّ من خير فَقِير» أَسْمَعَ الْمَرْأَةَ .

«فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء ، قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ، فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْه الْقَصَصَ ، قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْم الظَّالِمِينَ * قَالَت إِحْدَاهمَا يَا أَبَت اسْتَأْجِرهُ ، إِن خير مَن اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْن ، عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَج ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيّ ، وَاللَه على مَا نَقُول وَكيل» .

لَمَّا جَلَسَ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ فِي الظِّلِّ وَقَالَ : «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خير فَقِير» سَمِعَتْهُ الْمَرْأَتَان فِيمَا قِيلَ ، فَذَهَبَتَا إِلَى أَبِيهِمَا ، فَيُقَال إِنَّه استنكر سرعَة رجوعهما ، فأخبرتاه بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ .

فَأَمَرَ إِحْدَاهُمَا ، أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ فَتَدْعُوهُ ، «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تمشي على استحياء»

(١) الإمام الحافظ ، محدث الكوفة أبو السائب ، وقيل : أبو زيد ، وقيل : أبو يزيد ، وأبو محمد الكوفي .

أَي مَشى الحْرَائر ، «قَالَتْ إنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سقيت لنا» .

صَرَّحَتْ لَهُ بِهَذَا لِئَلَّا يُوهِمَ كَلامُهَا رِيبَةً ، وَهَذَا مِنْ تَمَام حَيَائِهَا وَصِيَانَتِهَا .

فَلَمَّا جَاءَهُ وقص عَلَيْه الْقَصَص «وَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ ، وَمَا كَانَ مَنْ أَمْرِه فِي خُرُوجِه مِنْ بِلَادِ مِصْرَ فِرَارًا مَنْ فِرْعَوْنِهَا» ، قَالَ «لَهُ ذَلِكَ الشَّيْخُ» لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِن الْقَوْمِ الظَّالِمِين» أَيْ خَرَجْتَ مِنْ سُلْطَانِهِمْ فَلَسْتَ فِي دَوْلَتِهِمْ .

وَقَد اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الشَّيْخ مَنْ هُوَ؟ فَقِيلَ هُوَ شُعَيْبٌ عَلَيْه السَّلاَمُ(١) .

وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ كَثِيرِينَ وَمِمَّنْ نَصَّ عَلَيْه الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ(٢) وَمَالِكُ بْنُ أَنَس(٣) ، وَجَاءَ مُصَرَّحًا بِه فِي حَدِيث ، وَلَكِنْ فِي إِسْنَادِه نَظَرٌ .

وَصَرَّحَ طَائِفَةٌ بِأَنَّ شُعَيْبًا عَلَيْه السَّلاَمُ عَاشَ عُمْرًا طَوِيلاً بَعْدَ هَلاَكِ قَوْمِه ، حَتَّى أَدْرَكَهُ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ وَتَزَوَّجَ بِابْنَته .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِم وَغَيره مِن الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ : أَنَّ صَاحِبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ هَذَا ، اسْمُهُ شُعَيْبٌ ، وَكَانَ سَيِّدَ الْمَاء ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِالنَّبِيِّ صَاحِب مَدْيَنَ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ ابْنُ أَخِي شُعَيْب ، وَقِيلَ : ابْنُ عَمِّه ، وَقِيلَ : رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ قَوْم شُعَيْبٍ ، وَقِيلَ : رَجُلٌ اسْمُهُ «يَثْرُونُ» هكَذَا هُوَ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ : يثرون كَاهِن مَدين .

---

(١) هو نبي الله شعيب (عليه السلام) . يعتقد انه قد عاش بعد إبراهيم ، ويقال أنه ابن ميكيل بن يشجن ، ويقال له بالسريانية يثرون ، ويقال أن جدته أو أمه هي بنت لوط والثابت هو أنه من مَدْيَن الواقعة في أطراف الشام شمال غربي الحجاز بمنطقة البدع بالمملكة العربية السعودية ، يعتقد أنه عاش ٢٤٢ سنة . ذُكر شعيب في القرآن الكريم ١١ مرة . حسب النص القرأني بعث الله تعالى نبيه شعيباً في قومه (مدين) .

(٢) الحسن بن يسار البصري إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد وعشرين من الهجرة ، كانت أم الحسن تابعة لخدمة أم سلمة ، فترسلها في حاجاتها فيبكي الحسن وهو طفل فترضعه أم سلمة لتسكته وبذلك رضع من أم سلمة ، وتربى في بيت النبوة . كانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له ، ودعا له عمر بن الخطاب ، فقال «اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس» . حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره .

(٣) أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني فقيه ومحدِّث مسلم ، وثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي .

أَي كبيرها وعالمها .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْد اللَّهِ : اسْمُهُ يَثْرُونُ .

زَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَهُوَ ابْنُ أخي شُعَيْب .

وَزَاد ابْنُ عَبَّاس : صَاحِبُ مَدْيَنَ .

وَالْمَقْصُودُ : أَنَّهُ لَمَّا أَضَافَهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ منْ أَمْرِه بَشَّرَهُ بِأَنَّهُ قَدْ نَجَا ، فَعِنْدَ ذَلكَ قَالَتْ إِحْدَى الْبِنْتَيْنِ لأَبِيهَا : «يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرهُ» أَيْ لِرَعْي غَنَمِكَ ، ثُمَّ مَدَحَتْهُ بِأَنَّهُ قَوِيٌّ أَمِينٌ .

قَالَ عُمَرُ وَابْنُ عَبَّاس وَشُرَيْحٌ الْقَاضِي وَأَبُو مَالك وَقَتَادَة وَمُحَمّد بن إِسْحَق وَغَيْرُ وَاحد : لَمَّا قَالَتْ ذَلكَ ، قَالَ لَهَا أَبُوهَا : وَمَا علْمُك بهَذَا؟ فَقَالَتْ إِنَّهُ رَفَعَ صَخْرَةً لاَ يُطِيقُ رَفْعَهَا إِلاَّ عَشَرَةٌ ، وَإِنَّهُ لَمَّا جِئْتُ مَعَهُ تَقَدَّمْتُ أَمَامَهُ ، فَقَالَ : كُونِي مِنْ وَرَائِي ، فَإِذَا اخْتَلَفَ الطَّرِيقُ فَاحْذفِي لِي بِحَصَاة أَعْلَمْ بِهَا كَيْفَ الطَّرِيقُ .

قَالَ ابْنُ مَسْعُود(١) : أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلاَثَةٌ : صَاحِبُ يُوسُفَ حِينَ قَالَ لامْرَأَته أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ، وَصَاحِبَةُ مُوسَى حِينَ قَالَت : «يَا أَبَت اسْتَأْجِرهُ إِن خير من اسْتَأْجَرت الْقوي الامين» ، وَأَبُو بَكْر حِينَ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب .

«قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَج ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِين» .

اسْتدلَّ بِهَذه جَمَاعَةٌ منْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَلَى صحَّة مَا إِذَا بَاعَهُ أَحَدَ هَذَيْن الْعَبْدَيْنِ أَو الثَّوْبَيْن وَنَحْوَ ذَلَكَ ، أَنَّهُ يَصِحُّ ، لِقَوْلِهِ : «إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ» .

وَفِي هَذَا نَظَرٌ ، لأَنَّ هَذه مُرَاوَضَةٌ لاَ مُعَاقَدَةٌ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَاسْتَدَلَّ أَصْحَابُ أَحْمَدَ عَلَى صِحَة الاِسْتِئْجَار بِالطُّعْمَةِ وَالْكُسْوَةِ ، كَمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ .

وَاسْتَأْنَسُوا بِالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ مترجما عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ :

---

(١) عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ، فقيه الأمة ، حليف بني زهرة وأحد أوائل المهاجرين حيث هاجر الهجرتين وصلى على القبلتين ، وأول من جهر بقراءة القرآن . تولى قضاء الكوفة وبيت المال في خلافة عمر وصدر من خلافة عثمان .

«بَابُ اسْتِئْجَارِ الأُجِيرِ عَلَى طَعَامِ بَطْنِه» حَدثنَا مُحَمَّد ابْن الْمُصَفَّى الحمصي ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ ، عَنْ مَسْلَمَةَ بْنَ عَليّ ، عَن سعيد ابْن أَبِي أَيُّوب ، عَن الْحَارث بْن يَزِيدَ ، عَنْ عَليّ بن رَبَاح ، قَالَ : سَمعت عتبَة ابْن النُّدَّر يَقُولُ : كُنَّا عنْدَ رَسُول اللَّه ﷺ فَقَرَأَ طسم ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ قِصَّةَ مُوسَى قَالَ : «إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِيَ سنينَ أَو عشر سنين على عفة فرجه وَطَعَام بَطْنه» .

وَهَذَا الحَديث منْ هَذَا الْوَجْه لاَ يَصحُّ ، لأَنَّ مَسْلَمَةَ بْنَ عَلِيٍّ الْخُشَنِيَّ الدِّمَشْقِيَّ الْبَلَاطِيَّ ضَعِيفٌ عنْدَ الأُئمَّة لاَ يُحْتَجُّ بتَفَرُّده .

وَلَكِنْ قَدْ رُوِيَ منْ وَجْه آخَرَ ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْد الله ابْن بكر ، حَدَّثَني ابْنُ لَهيعَةَ .

وَحَدَّثَ أَبُو زُرْعَةَ ، عن صَفْوَانُ ، عن الْوَلِيدُ ، عن عَبْدُ اللَّه بن لَهيعَة ، عَن الْحَارث بن يزيد الْحَضْرَميّ ، عَنْ عَلِيِّ بْن رَبَاح اللَّخْمِيِّ قَالَ : سَمعْتُ عتبَة ابْن النُّدَّر السُّلَمِيَّ صَاحِبَ رَسُول اللَّه ﷺ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : «إِن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام آجر نَفسه بعفة فرجه وطعمة بَطْنه» .

أيما الأجلين قضيت

قال عتبة بن المنذر السلميّ : سئل رسول ﷺ أيّ الأجلين قضى موسى- عليه السلام-؟ فقال : أكثرهما وأوفاهما ، ثم قال رسول الله ﷺ : «إنّ موسى- عليه السلام- لما أراد فراق شعيب أمر امرأته تسأل أباها أن يعطيها من نتاج غنمه ما يعيشون به ، فأعطاها ما وضعت غنمه من قالب لون ذلك العام ، فلما وردت الحوض وقف موسى بإزاء الحوض فلم تصدر منها شاة إلاّ ضرب جنبها بعصاه ، فوضعت قوالب ألوان كلّها ووضعت اثنتين أو ثلاثة كلّ شاة ، ليس فيهنّ فشوش(١) ولا ضبوب(٢) ولا ثعول(٣) ولا كميشة(٤) تفوت الكفّ ، فإن افتتحتم الشام وجدتم بها بقايا منها ، فاتّخذوها ، وهي السامريّة

(١) التي يَنْفَشُّ لبنُها من غير حَلْب .

(٢) الشاةُ الضيقةُ الإِحليل .

(٣) من ذوات الضَّرْع : الزائدة الحلمات .

(٤) صغيرة الضرع .

وَقَدْ رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَابْنُ أَبِي حَاتِم من حَدِيث عُوَيْد ابْن أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ ، عَنْ أَبِيه عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ الصَّامت ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سُئِلَ أَيَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قَالَ : «أَوْفَاهُمَا وَأَبَرهمَا» قَالَ : «وَإِن سُئِلت أَيَّ الْمَرْأَتَيْنِ تَزَوَّجَ؟ فَقُلِ الصُّغْرَى مِنْهُمَا» .

قَالَ ابْنُ جَرِير : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَام ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِك قَالَ : «لَمَّا دَعَا نَبِيُّ اللَّه مُوسَى صَاحِبَهُ إِلَى الأَجَلِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمَا ، قَالَ لَهُ صَاحِبه : كل شَاة ولدت على غير لَوْنهَا فلك وَلَدهَا ، فعمد مُوسَى فوضع حبَالاً على المَاء فَلَمَّا رَأَتْ الحبال فَزِعَتْ فَجَالَتْ جَوْلَةً فَوَلَدْنَ كُلُّهُنَّ بُلْقًا إِلاَّ شَاة وَاحِدَة ، فذهب بأولادهن كُلهنَّ ذَلك الْعَام» .

فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الاجل «وَعَنْ مُجَاهد[1] أَنَّهُ أَكْمَلَ عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا» .

وَقَوْلُهُ : «وَسَارَ بِأَهْله» أَيْ منْ عنْد صِهْره ، زاعما - فيمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحد منَ الْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرهِمْ - أَنَّهُ اشْتَاقَ إِلَى أَهْله ، فَقَصَدَ زِيَارَتَهُمْ ببلاد مصْرَ في صُورَة مُخْتَف ، فَلَمَّا سَارَ بِأَهْله وَمَعَهُ وِلْدَانٌ منْهُمْ وَغَنَمٌ قَد اسْتَفَادَهَا مُدَّةَ مُقَامه .

قَالُوا : وَاتَّفَقَ ذَلكَ في لَيْلَة مُظْلمَة بَاردَة ، وتَاهوا في طريقهم فَلَم يهتدوا إِلَى السُّلُوك في الدَّرْب الْمَأْلُوف ، وَجَعَلَ يُورِي زِنَادَهُ فَلاَ يُوْرِي شَيْئًا ، وَاشْتَدَّ الظَّلاَمُ وَالْبَرْدُ .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلكَ إِذْ أَبْصَرَ عَنْ بُعْد نَارًا تَأَجَّجُ في جَانب الطُّور[2] «فَقَالَ لأَهْله امْكُثُوا إِنِّي آنست نَارا» وَكَأَنَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ رَآهَا دُونَهُمْ ، لأَنَّ هَذه النَّار هيَ نور في الْحَقيقَة ، وَلاَ يصلح رُؤْيَتُهَا لكُلِّ أَحَد ، «لَعَلِّي آتيكُمْ منْهَا بخَبَر» أَيْ لَعَلِّي أَسْتَعْلمُ منْ عنْدَهَا عَنِ الطَّريق «أَو جذوة من النَّار لَعَلَّكُمْ تصطلون» فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ تَاهُوا عَنِ الطَّريق في لَيْلَة بَاردَة وَمُظْلمَة ، لقَوْله في الآيَة الأُخْرَى : «وَهَلْ أَتَاكَ حَديثُ مُوسَى ﴿ إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْله امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ، لَعَلِّي آتيكُمْ منْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ على النَّار هدى» فَدَلَّ عَلَى وُجُود الظَّلاَم وَكَوْنهمْ تَاهُوا عَنِ الطَّريق .

وَجَمَعَ الْكُلَّ فِي سُورَةِ النَّمْلِ فِي قَوْلهَ : «إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْله إِنِّي آنَسْتُ نَارًا

(١) «مُجاهِد بْن جَبْر» مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي . ويعرف اختصاراً في المصادر والكتب التراثية بمجاهد . وهو إمامٌ وفقيه وعالمُ ثقة وكثير الحديث ، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي .

(٢) وَهُوَ الْجَبَلُ الْغَرْبِيُّ مِنْهُ عَنْ يَمِينِه .

سَأتيكُمْ منْهَا بِخَبَرٍ ، أَوْ آتيكُمْ بشهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تصطلون» وَقَدْ أَتَاهُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ وَأَيُّ خَبَرٍ ، وَوَجَدَ عِنْدَهَا هُدًى وَأَيَّ هُدًى ، وَاقْتَبَسَ مِنْهَا نُورًا وَأَيُّ نُورٍ؟ ! .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنا الله رب الْعَالمين﴾ .

وَقَالَ فِي النَّمْلِ : ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّه رب الْعَالمين﴾ أَيْ سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيحكم مَا يُرِيد ﴿يَا مُوسَى إِنَّه أَنا الله الْعَزِيز الْحَكِيم﴾ .

قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ : لَمَّا قَصَدَ مُوسَى إِلَى تِلْكَ النَّارِ الَّتِي رَآهَا فَانْتَهَى إِلَيْهَا ، وَجَدَهَا تَأَجَّجُ فِي شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ مِنَ الْعَوْسَجِ(١) ، وَكُلُّ مَا لِتِلْكَ النَّارِ فِي اضْطِرَامٍ ، وَكُلُّ مَا لِخُضْرَةِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ فِي ازْدِيَادٍ .

فَوَقَفَ مُتَعَجِّبًا ، وَكَانَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ فِي لِحْفِ جَبَلٍ غَرْبِيٍّ مِنْهُ عَنْ يَمِينِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ ، وَمَا كنت من الشَّاهدين﴾ وَكَانَ مُوسَى فِي وَادٍ اسْمُهُ «طُوًى» فَكَانَ مُوسَى مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، وَتِلْكَ الشَّجَرَةُ عَنْ يَمِينِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الْغَرْبِ ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ، فَأُمِرَ أَوَّلاً بِخَلْعِ نَعْلَيْهِ تَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَتَوْقِيرًا لِتِلْكَ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ ، وَلاَ سِيَّمَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ .

وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ(٢) : أَنَّهُ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ النُّورِ ، مَهَابَةً لَهُ وَخَوْفًا عَلَى بَصَرِهِ .

ثُمَّ خَاطَبَهُ تَعَالَى كَمَا يَشَاءُ قَائِلاً لَهُ : ﴿إِنِّي أَنا الله رب الْعَالمين﴾ ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فاعبدني وأقم الصَّلاَة لذكري﴾ أَيْ أَنا رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، الَّذِي لاَ تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ وَإِقَامَةُ الصَّلاَةِ إِلاَّ لَهُ .

ثُمَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ ، وَإِنَّمَا الدَّارُ الْبَاقِيَةُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، الَّتِي لابد مِنْ كَوْنِهَا وَوُجُودِهَا ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ أَيْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ .

وَحَضَّهُ وَحَثَّهُ عَلَى الْعَمَلِ لَهَا ، وَمُجَانَبَةِ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا مِمَّنْ عَصَى مَوْلاَهُ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ .

---

(١) العوسج : الشوك .

(٢) أهل الكتاب هو اسم يطلق ، في الإسلام على اليهود والنصارى بالدرجة الأولى ، والصابئة والمجوس بدرجة أقل . وأهل الكتاب هم أصحاب كتب مقدسة ، تمييزاً لهم عن الوثنيين .

ثُمَّ قَالَ لَهُ مُخَاطِبًا وَمُؤَانِسًا وَمُبَيِّنًا لَهُ أَنَّهُ الْقَادِر على كل شيء ، الَّذي يَقُول للشيء كن فَيكون : ﴿وَمَا تِلْكَ بيمينك يَا مُوسَى؟﴾ أَيْ أَمَّا هَذه عَصَاكَ الَّتي تَعْرِفُهَا مُنْذُ صحبتهَا؟ ﴿قَالَ هِيَ عصاي أتوكأ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مآرب أُخْرَى﴾ .

أي بلَى هَذه عَصَايَ الَّتي أَعْرِفُهَا وَأَتحقَّقُهَا ، ﴿قَالَ أَلْقهَا يَا مُوسَى . فألقاها فَإِذا هِيَ حَيَّة تسْعَى﴾ وَهَذَا خَارِقٌ عَظِيمٌ وَبُرْهَانٌ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّ الَّذِي يكلمهُ هُوَ الَّذِي يَقُول للشيء كُنْ فَيَكُونُ ، وَأَنَّهُ الْفَعَّالُ بِالاخْتِيَار .

وَعِنْدَ أَهْلِ الْكتاب : أَنه سَأَلَ برهَانا صَادقا عَلَى صدْقه عنْدَ مَنْ يُكَذِّبُهُ منْ أَهْلِ مصر ، فَقَالَ لَهُ الرب عز وجل : مَا هَذه الَّتي فِي يَدكَ؟ قَالَ عَصَايَ ، قَالَ أَلْقهَا إِلَى الأَرْض ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ فَهَرَبَ مُوسَى منْ قُدَّامهَا ، فَأَمَرَهُ الرب عز وجل أَنْ يَبْسُطَ يَدَهُ وَيَأْخُذَهَا بِذَنَبِهَا ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ منْهَا ارْتَدَّتْ عَصًا في يَده .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الآيَة الأُخْرَى : «وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدبرا وَلم يعقب» أَي قد صَارَتْ حَيَّةً عَظِيمَةً لَهَا ضَخَامَةٌ هَائلَةٌ وَأَنْيَابٌ تصك ، وَهيَ مَعَ ذَلكَ فِي سُرْعَة حَرَكَة الْجَانِّ ، وَهُوَ ضَرْبٌ منَ الحيَّات يُقَالُ لَهُ الْجَانُّ والجنان ، وَهُوَ لطيف وَلَكن سَرِيعُ الاضْطِرَابِ وَالْحَرَكَةِ جداً ، فَهَذه جَمَعَت الضَّخَامَةَ وَالسُّرْعَةَ الشَّديدَةَ .

فَلَمَّا عَايَنَهَا مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ «وَلَّى مُدَبِّرًا» أَيْ هَاربًا منْهَا ، لأَنَّ طَبيعَتَهُ الْبَشَرِيَّةَ تَقْتَضِي ذَلكَ «وَلَمْ يُعَقِّبْ» (١) ، فناداه ربه قَائلا لَهُ : «يَا مُوسَى أَقْبلْ وَلاَ تَخفْ إِنَّكَ منَ الآمنينَ» .

فَلَمَّا رَجعَ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُمْسكَهَا «قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعيدُهَا سيرَتَهَا الأُولَى» فَيُقَالُ إِنَّهُ هَابَهَا شَديدًا ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي كُمِّ مدْرَعَته ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي وَسَط فمها .

وَعند أهل الْكتاب : أَمسك بذَنَبهَا ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ منْهَا إذَا هيَ قَدْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ عَصًا ذَاتَ شُعْبَتَيْن ، فَسُبْحَانَ الْقَدير الْعَظيم ، رَبِّ الْمَشْرِقَيْن وَالْمَغْرِبَيْن! ثُمَّ أَمَرَهُ تَعَالَى بإِدْخَال يَده في جَيْبه ، ثُمَّ أَمَرَهُ بنَزْعهَا فَإِذَا هيَ تَتَلأْلأُ كَالْقَمَر بَيَاضًا منْ غَيْر سُوءٍ ، أَيْ منْ غَيْر بَرَصٍ وَلاَ بَهَقٍ ، وَلهَذَا قَالَ : «اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ

(١) أَيْ وَلَمْ يلْتَفت .

منْ غَيْرِ سُوء ، وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ» قِيلَ مَعْنَاهُ : إِذَا خِفْتَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى فُؤَادِكَ يَسْكُنْ جَأْشُكَ .

وَهَذَا وَإِنْ كَانَ خَاصًّا بِهِ ، إِلاَّ أَن بركَة الايمان بِهِ حق بِأَن ينفع مَنِ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ عَلَى وَجْه الاقْتدَاء بالأَنْبيَاء .

وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّمْلِ : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، فِي تِسْعِ آيَات إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِه ، إِنَّهُمْ كَانُوا قوما فاسقين﴾ .

أي هَاتَان الآيَتَان وهما : الْعَصَا وَالْيَد ، هما الْبُرْهَانَان الْمُشَارُ إِلَيْهِمَا فِي قَوْلِه : «فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه إِنَّهُمْ كَانُوا قوما فاسقين» وَمَعَ ذَلِكَ سَبْعُ آيَات أُخَرُ .

فَذَلِكَ تسْعُ آيَات بَيِّنَات وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي آخِرِ سُورَةِ سُبْحَانَ ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَات بَيِّنَات فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاَءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَات وَالأَرْضِ بَصَائِرَ ، وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ وَهِيَ الْمَبْسُوطَةُ فِي سُورَةِ الأَعْرَاف فِي قَوْلِه : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِه ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّه وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِه مِنْ آيَة لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ، آيَات مُفَصَّلاَت فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مجرمين﴾ وَهَذه التسع الآيَات غير الْعشْر الْكَلمَات ، فَإِن التسع من كَلِمَات اللَّهِ الْقَدَرِيَّةِ ، وَالْعَشْرَ مِنْ كَلِمَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ

موسى وفرعون

أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَمَرَ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون * وَأَخِي هرون هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ، فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمن اتبعكما الغالبون﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَبْدِه وَرَسُوله وَكَلِيمه مُوسَى عَلَيْه السَّلاَم ، فِي جَوَابِه لِرَبه عز وجل حِينَ أَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى عَدُوِّه الَّذِي خَرَجَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ فِرَارًا مِنْ سَطْوَتِه

وَظُلْمه ، حينَ كَانَ منْ أَمْره مَا كَانَ فِي قَتْلِ ذَلكَ الْقبْطيِّ وَلهَذَا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ منْهُمْ نَفسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون ❁ وَأَخي هرون هُوَ أَفْصَحُ منِّي لسَانًا فَأَرْسلْهُ مَعي ردْءًا يصدقني إِنِّي أَخَاف أَن يكذبُون﴾ أَيْ اجْعَلْهُ مَعي مُعينًا وَردْءًا ووَزيرًا يُسَاعدُني ، وَيُعينُني عَلَى أَدَاء رسَالَتكَ إِلَيْهِمْ فَإِنَّهُ أَفْصَحُ منِّي لسَانًا وَأَبْلَغُ بيَانًا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُجيبًا لَهُ إِلَى سُؤَاله : ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخيكَ ونجعل لَكمَا سُلْطَانا﴾ أَي برهانا ﴿فَلاَ يصلونَ إِلَيْكُمَا﴾ أَيْ فَلاَ يَنَالُونَ منْكُمَا مَكْرُوهًا بِسَبَبِ قيَامكُمَا بآيَاتنَا ، وَقيلَ ببَرَكَة آيَاتنَا .

﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالبون﴾ .

وَقَالَ فِي سُورَة طه : ﴿اذْهَبْ إِلَى فرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ❁ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ❁ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ❁ وَاحْلُلْ عُقْدَةً منْ لسَانِي يفقهوا قولي﴾ قيلَ إِنَّهُ أَصَابَهُ فِي لسَانه لُثْغَةٌ ، بسَبَب تلْكَ الجَمْرَة الَّتي وَضعهَا على لسَانه ، وَالَّتي كَانَ فرْعَوْنُ أَرَادَ اخْتبَارَ عَقْله ، حينَ أَخَذَ بلحْيَته وَهُوَ صَغيرٌ فَهمَّ بقَتْله ، فَخَافَتْ عَلَيْه آسيَةُ وَقَالَتْ : إِنَّهُ طفْلٌ ، فَاخْتَبَرَهُ بوَضْع تَمْرَة وَجَمْرَة بَيْنَ يَدَيْه فَهَمَّ بأَخْذ التَّمْرَة فَصَرَفَ الْمَلَكُ يَدَهُ إِلَى الْجَمْرَة ، فَأَخَذَهَا فَوَضَعَهَا عَلَى لسَانه فَأَصَابَهُ لُثْغَةٌ بسَبَبهَا .

فَسَأَلَ زَوَالَ بَعْضهَا بمقْدَار مَا يَفْهَمُونَ قَوْلَهُ ، وَلَمْ يَسْأَلْ زَوَالَهَا بالْكُلِّيَّة .

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : وَالرُّسُلُ إِنَّمَا يَسْأَلُونَ بِحَسَبِ الْحَاجَة ، وَلهَذَا بَقيَتْ فِي لسَانه بَقيَّةٌ .

وَلهَذَا قَالَ فرْعَوْنُ ، قَبَّحَهُ اللَّهُ ، فيمَا زَعَمَ إِنَّهُ يَعيبُ بِه الْكَلِيمَ : «وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ» أَيْ يُفْصحُ عَنْ مُرَاده ، وَيُعَبِّرُ عَمَّا فِي ضَميره وَفُؤَاده .

ثُمَّ قَالَ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ : ﴿وَاجعَل لي وزيرا من أَهلي ❁ هرون أخي ❁ اشْدُد بن أَزْرِي ❁ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ❁ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثيرًا ❁ وَنَذْكُرَكَ كَثيرًا ❁ إِنَّكَ كُنْتَ بنَا بَصيرًا ❁ قَالَ قد أُوتيت سؤلك يَا مُوسَى﴾ أَيْ قَدْ أَجَبْنَاكَ إِلَى جَميع مَا سَأَلْتَ ، وَأَعْطَيْنَاكَ الَّذي طَلَبْتَ .

وَهَذَا منْ وَجَاهَته عنْدَ ربه عز وجل ، حينَ شَفَعَ أَنْ يُوحيَ اللَّهُ إِلَى أَخيه فَأَوْحَى إِلَيْه .

وَهَذَا جَاهٌ عَظيمٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَكَانَ عنْد الله وجيها﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ووَهَبْنَا لَهُ منْ رَحْمَتنَا أَخَاهُ هرون نَبيا﴾ .

وَقَدْ سَمعَتْ أُمُّ الْمُؤْمنينَ عَائشَةُ رَجُلاً يَقُولُ لأ ناس وهم سائرون فِي طَرِيقِ الْحَجِّ : أَيُّ أَخٍ

أَمَنُّ عَلَى أَخيه؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَتْ عَائشَةُ لَمنْ حَوْلَ هَوْدَجِهَا : هُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ حينَ شَفَعَ فِي أَخيه هرون فأوحى إِلَيْه .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ووَهَبْنَا لَهُ منْ رَحْمَتنَا أَخَاهُ هرون نَبيا﴾ .

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فينَا وَليدًا وَلَبثْتَ فينَا منْ عُمُركَ سنينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتي فَعَلْتَ وَأَنْتَ منَ الْكَافرينَ» تَقْدير الْكَلاَم : فَأَتيَاهُ فَقَالاَ لَهُ ذَلك ، وبلغاه مَا أرسلا به منْ دَعْوَته إلَى عبَادَة اللَّه تعَالَى وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ ، وَأَنْ يَفُكَّ أُسَارَى بَني إسْرَائيلَ منْ قَبْضَته وَقَهْره وَسَطْوَته ، وَيَتْركُهُمْ يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ حَيْثُ شَاءُوا ، وَيَتَفَرَّغُونَ لتَوْحيده وَدُعَائه وَالتَّضَرُّع لَدَيْه .

فَتَكَبَّرَ فرْعَوْنُ في نَفْسه وَعَتَا وطغى ، وَنظر إلَى مُوسَى بعَين الازدراء والنقص قَائلاً لَهُ : «أَلَمْ نُرَبِّكَ فينَا وَليدًا وَلَبثْتَ فينَا من عمرك سنين؟» أَيْ أَمَا أَنْتَ الَّذي رَبَّيْنَاهُ في مَنْزلنَا؟ وَأَحْسَنَّا إلَيْه وَأَنْعَمْنَا عَلَيْه مُدَّةً منَ الدَّهْر؟

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فرْعَوْنَ الَّذي بُعثَ إلَيْه هُوَ الَّذي فر منْهُ ، خلافًا لمَا عنْدَ أَهْل الْكتَاب : منْ أَنَّ فرْعَوْنَ الَّذي فَرَّ منْهُ مَاتَ في مُدَّة مُقَامه بمَدْيَنَ ، وَأَنَّ الَّذي بُعثَ إلَيْه فرْعَوْنُ آخَرُ .

وَقَوْلُهُ : «وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتي فَعَلْتَ وَأَنْتَ منَ الْكَافرين» أَيْ وَقَتَلْتَ الرَّجُلَ الْقبْطيَّ ، وَفَرَرْتَ منَّا وَجَحَدْتَ نعْمَتَنَا .

«قَالَ فَعَلْتُهَا إذًا وَأَنَا منَ الضَّالِّينَ» أَيْ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إلَى وَيَنْزلَ عَلَى ، «فَفَرَرْتُ منْكُمْ لَمَّا خفْتُكُمْ فَوَهَبَ لي رَبِّي حكما وَجَعَلَني من الْمُرْسلين» .

ثُمَّ قَالَ مُجيبًا لفرْعَوْنَ عَمَّا امْتَنَّ به منَ التَّرْبيَة وَالإحْسَان إلَيْه : «وَتلْكَ نعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيّ أَن عبدت بني إسْرَائيل» أَيْ وَهَذه النِّعْمَةُ الَّتي ذَكَرْتَ ، منْ أَنَّكَ أَحْسَنْتَ إلَيَّ وَأَنَا رَجُلٌ وَاحدٌ منْ بَني إسْرَائيلَ تُقَابلُ مَا اسْتَخْدَمْتَ هَذَا الشَّعْبَ الْعَظيمَ بكَمَاله ، وَاسْتَعْبَدْتَهُمْ في أَعْمَالكَ وَخدْمَتكَ وَأَشْغَالكَ .

﴿قَالَ فرْعَوْن ومارب الْعَالَمين؟ * قَالَ رب السَّمَوَات وَالأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا إنْ كُنْتُمْ مُوقنينَ * قَالَ لمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائكُمُ الأَوَّلينَ * قَالَ إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذي أُرْسلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرق وَالْمَغْرب وَمَا بينهمَا إن كُنْتُم تعقلون﴾ .

وَهُوَ في هَذه الْمَقَالَة مُعَاندٌ ، يَعْلَمُ أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالقُ الْبَارئُ الْمُصَوِّرُ ، الإلَهُ الْحَقُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَجَحَدُوا بهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًا ،

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَت عَاقبَة المفسدين﴾ .

وَلهَذَا قَالَ لُموسَى عَلَيْه السَّلاَمُ عَلَى سَبيلِ الإِنْكَار لرسَالَته ، وَالإِظْهَار أَنَّهُ مَا ثَمَّ رَبٌّ أَرْسلهُ : ﴿وَمَا رب الْعَالَمين؟﴾ لأَنَّهُمَا قَالاَ لَهُ : ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمينَ﴾ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمَا : وَمَنْ رَبُّ الْعَالَمينَ؟ الَّذي تَزْعُمَان أَنَّهُ أَرْسَلَكُمَا وَابْتَعَثَكُمَا؟ فَأَجَابَهُ مُوسَى قَائلاً : ﴿رب السَّمَوَات والارض وَمَا بَينهمَا إن كُنْتُم موقنين﴾ يَعْني رب الْعَالمين خَالق هَذه السَّمَوَات والارض الْمُشَاهدَة ، وَمَا بَينهمَا من الْمَخْلُوقَات المتعددة ، من السَّحَابِ وَالرِّيَاح وَالْمَطَر وَالنَّبَات وَالْحَيَوَانَات الَّتي يَعْلَمُ كُلُّ مُوقن أَنَّهَا لَمْ تَحْدُثْ بأَنْفُسهَا ، وَلاَ بُدَّ لَهَا منْ مُوجدٍ وَمُحْدثٍ وَخَالقٍ وَهُوَ اللَّهُ الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَالَمينَ .

«قَالَ » أَيْ فرْعَوْنُ» لمَنْ حَوْلَهُ» منْ أُمَرَائه وَمَرَازبَته وَوُزَرَائه ، عَلَى سَبيلِ التَّهَكُّم والتنقص مَا قَرَّرَهُ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ : «أَلاَّ تَسْتَمعُونَ» يَعْني كَلاَمَهُ هَذَا .

«قَالَ» مُوسَى مُخَاطبًا لَهُ وَلَهُمْ : ﴿ربكُم وَرب آبائكم الاولين﴾ أَيْ هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ وَالَّذينَ منْ قَبْلكُمْ ، منَ الآبَاء وَالأَجْدَاد ، وَالْقُرُون السَّالفَة في الآبَاد ، فَإِنَّ كُلَّ أَحَد يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ نفسه ، وَلاَ أَبَوهُ وَلاَ أمه ، وَلاَ يَحْدُثْ منْ غَيْرِ مُحْدثٍ ، وَإِنَّمَا أَوْجَدَهُ وَخَلَقَهُ رب الْعَالمين .

يَذْكُرُ تَعَالَى مَا كَانَ بَيْنَ فرْعَوْنَ وَمُوسَى منَ الْمُقَاوَلَة وَالْمُحَاجَّة وَالْمُنَاظَرَة ، وَمَا أَقَامَهُ الْكَليمُ عَلَى فرْعَوْنَ اللَّئيم ، منَ الْحُجَّة الْعَقْليَّة الْمَعْنَويَّة ثُمَّ الْحسِّيَّة .

وَذَلكَ أَنَّ فرْعَوْنَ أَظْهَرَ جَحْدَ الصَّانع تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الإِلَهُ فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى .

﴿وَقَالَ فرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلمْتُ لَكُمْ منْ إِلَه غَيْري﴾ .

وَمَعَ هَذَا كُلِّه لَمْ يَسْتَفقْ فرْعَوْنُ منْ رَقْدَته ، وَلاَ نَزَعَ عَنْ ضَلاَلَته ، بَل اسْتَمَرَّ عَلَى طُغْيَانه وَعنَاده وَكُفْرَانه : ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذي أُرْسلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرق وَالْمَغْرب وَمَا بَينهمَا إن كُنْتُم تعقلون﴾ أَيْ هُوَ الْمُسَخِّرُ لهَذه الْكَوَاكب الزَّاهرَة الْمُسَيَّرَ للأَفْلاَك الدَّائرَة ، خَالقُ الظَّلاَم وَالضِّيَاء ، وَرَبُّ الأَرْض وَالسَّمَاء ، رَبُّ الأَوَّلينَ وَالآخرينَ ، خَالقُ الشَّمْس وَالْقَمَر ، وَالْكَوَاكب السَّائرَة ، وَالثَّوَابت الْحَائرَة ، خَالقُ اللَّيْل بظَلاَمه ، وَالنَّهَار بضيَائه ، وَالْكُلُّ تَحْتَ قَهْره وَتَسْخيره وَتَسْييره سَائرُونَ ، وَفي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ، يَتَعَاقَبُونَ في سَائر الأَوْقَات وَيَدُورُونَ .

فَهُوَ تَعَالَى الْخَالقُ الْمَالكُ الْمُتَصرِّفُ في خَلْقه بمَا يَشَاءُ .

فَلَمَّا قَامَت الحُجَجُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَانْقَطَعَتْ شُبَهُهُ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ قَوْلٌ سوَى الْعنَاد ، عَدَلَ إِلَى اسْتِعْمَال سُلْطَانه وجاهه وسطوته ﴿قَالَ لَئِن اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ منَ المسجونين ❊ قَالَ أولو جئتك بشيء مُبين ❊ قَالَ فَأْت به إنْ كُنْتَ منَ الصَّادقينَ ❊ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ❊ ونزع يَده فَإِذا هِيَ بَيْضَاء للناظرين﴾ .

وَهَذَان هُمَا الْبُرْهَانَان اللَّذَان أَيَّدَهُ اللَّهُ بِهمَا ، وَهمَا الْعَصَا وَالْيَدُ ، وَذَلكَ مَقَامٌ أَظْهَرَ فيه الخَارقَ الْعَظيمَ ، الَّذي بَهَرَ به الْعُقُولَ وَالأَبْصَارَ ، حين أَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ، أَيْ عَظيمُ الشَّكْل ، بَديعٌ في الضَّخَامَة وَالْهَوْل ، وَالمْنْظَر الْعَظيم الْفَظيع الْبَاهر ، حَتَّى قيلَ إِنَّ فرْعَوْنَ لما شَاهد ذلك وعاينه ، أخذه رهب شَديدٌ وَخَوْفٌ عَظيمٌ ، بحَيْثُ إِنَّهُ حَصَلَ لَهُ إِسْهَالٌ عَظيمٌ أَكْثَرَ منْ أَرْبَعينَ مَرَّةً في يَوْم ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلكَ لاَ يَتَبَرَّزُ في كُلِّ أَرْبَعينَ يَوْمًا إِلاَّ مَرَّةً وَاحدَةً ، فَانْعَكَسَ عَلَيْه الحَالُ .

وَهَكَذَا لَمَّا أَدْخَلَ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ يَدَهُ في جَيْبه وَاسْتَخْرَجَهَا ، أَخْرَجَهَا وَهيَ كَفلْقَة الْقَمَر تَتَلأْلأُ نُورًا يَبْهَرُ الأَبْصَارَ ، فَإِذَا أَعَادَهَا إِلَى جيبه واستخرجها رَجَعَتْ إِلَى صفَتهَا الأُولَى .

وَمَعَ هَذَا كُلِّه لم ينْتَفع فرْعَوْن بشيء منْ ذَلكَ ، بَل اسْتَمَرَّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْه ، وَأَظْهَرَ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ سحْرٌ ، وَأَرَادَ مُعَارَضَتَهُ بِالسَّحَرَة ، فَأَرْسَلَ يَجْمَعُهُمْ منْ سَائر مَمْلَكَته وَمن هم في رَعيَّته وَتَحْتَ قَهْره وَدَوْلَته

وَقَالَ تَعَالَى في سُورَة طه : ﴿فَلَبِثْتَ سنينَ في أَهْل مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ❊ وَاصْطَنَعْتُكَ لنَفْسي ، اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتي وَلاَ تَنيَا في ذكْري ، اذْهَبَا إِلَى فرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ❊ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ❊ قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ❊ قَالاَ لاَ تخافا إِنَّني مَعَكُمَا أسمع وَأرى﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطبًا لمُوسَى فيمَا كَلَّمَهُ به لَيْلَة أوحى إِلَيْه ، وأنعم بالنُّبُوَّة عَلَيْه ، وَكَلَّمَهُ منْهُ إِلَيْه : قَدْ كُنْتُ مُشَاهدًا لَكَ وَأَنْتَ في دَار فرْعَوْنَ ، وَأَنْتَ تَحْتَ كَنَفي وَحفْظي وَلُطْفي ، ثُمَّ أَخْرَجْتُكَ منْ أَرْض مصْرَ إِلَى أَرْض مَدْيَنَ بمَشيئَتي وَقُدْرَتي وَتَدْبيري ، فَلَبثْتَ فيهَا سنينَ «ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَر» أَيْ منِّي لذَلكَ ، فَوَافَقَ ذَلكَ تَقْديري وَتَسْييري «وَاصْطَنَعْتَكَ لنَفْسي» أَيْ اصْطَفَيْتُكَ لنَفْسي برسَالَتي وَبكَلاَمي .

«اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بآيَاتي وَلاَ تَنيَا في ذكْري» ، يَعْني وَلاَ تفترا في ذكري إذا قَدمْتُمَا عَلَيْه وَوَفَدْتُمَا إِلَيْه ، فَإِنَّ ذَلكَ عَوْنٌ لكمَا على مخاطبته ومجاوبته ، وَأَدَاء النَّصيحَة إِلَيْه وَإِقَامَة الحُجَّة عَلَيْه .

وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الأَحَادِيث : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِي الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلاَق قرنه﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا الله كثيرا لَعَلَّكُمْ تفلحون﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَو يخْشَى﴾ وَهَذَا مِنْ حِلْمِه تَعَالَى وَكَرَمِه وَرَأْفَته وَرَحْمَته بِخَلْقه ، مَعَ عِلْمه بِكُفْرِ فِرْعَوْنَ وَعُتُوِّه وَتَجَبُّره ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ أَرْدَى خَلْقه ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْه صَفْوَتَهُ مِنْ خَلْقِهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَان ، وَمَعَ هَذَا يَقُولُ لَهُمَا وَيَأْمُرُهُمَا أَنْ يَدْعُوَاهُ إِلَيْه بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ بِرِفْق وَلِين ، وَيُعَاملاَهُ بِأَلطف مُعَامَلَة من يرجوا أَن يتَذَكَّر أَو يخْشَى

قَالَ يزيد الرَّقَاشِي (١) عِنْد هَذِه الآيَة : يامن يَتَحَبَّبُ إِلَى مَنْ يُعَاديه ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَوَلاَّهُ وَيُنَادِيه؟ ! «قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ علينا أَو أَن يطغى» ، وَذَلِكَ أَن فِرْعَوْن كَانَ جبارا عنيدا وشيطانا مَرِيدًا ، لَهُ سُلْطَانٌ فِي بِلاَد مِصْرَ طَوِيلٌ عَرِيضٌ ، وَجَاهٌ وَجُنُودٌ ، وَعَسَاكِرُ وَسَطْوَةٌ ، فَهَابَاهُ مِنْ حَيْثُ الْبَشَرِيَّةُ ، وَخَافَا أَنْ يَسْطُوَ عَلَيْهِمَا فِي بَادِئِ الأَمْر ، فَثَبَّتَهُمَا تَعَالَى وَهُوَ الْعَلِيُّ الأَعْلَى فَقَالَ : «لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى» ، كَمَا قَالَ فِي الآيَة الأُخْرَى : «إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ» .

" فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَة مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ على من كَذبَ وَتَوَلَّى «يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَمَرَهُمَا أَنْ يَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ فَيَدْعُوَاهُ إِلَى اللَّه تَعَالَى ، أَنْ يَعْبُدَهُ وَحده لاَ شريك لَهُ وَأَن يُرْسل مَعَهُمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيُطْلِقَهُمْ مِنْ أَسْرِه وَقَهْرِه وَلاَ يعذبهم» .

«قد جِئْنَاك بِآيَة من رَبك» وَهُوَ الْبُرْهَانُ الْعَظِيمُ فِي الْعَصِيِّ وَالْيَد ، «وَالسَّلاَمُ على من اتبع الْهدى» تَقْيِيدٌ مُفِيدٌ بَلِيغٌ عَظِيمٌ ، ثُمَّ تَهَدَّدَاهُ وَتَوَعَّدَاهُ عَلَى التَّكْذِيب فَقَالاَ : «إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَن الْعَذَاب على من كذب وَتَوَلَّى» أَيْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ بِقَلْبِهِ ، وَتَوَلَّى عَنِ الْعَمَلِ بِقَالَبِهِ .

---

(١) يزيد بن أبان الرقاشي اسمه يزيد بن أبان الرقاشى ، أبو عمرو البصري ، القاص (من زهاد أهل البصرة ، و هو عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى) كنيته أبو عمرو وقيل :الرقاشى البصري يعتبر يزيد بن أبان الرقاشي من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ضعيف زاهد ،وعند الإمام شمس الدين الذهبي ضعيف .

وَقَدْ ذَكَرَ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ : أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ مِنْ بِلاَدِ مَدْيَنَ ، دَخَلَ عَلَى أُمِّهِ وأخيه هرون ، وهما يتعشيان من طَعَام فيه «الطفشيل»[١] ، فَأَكَلَ مَعَهُمَا .

ثُمَّ قَالَ يَا هرون : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي وَأَمَرَكَ أَنْ نَدْعُوَ فِرْعَوْنَ إِلَى عِبَادَتِهِ ، فَقُمْ مَعِي .

فَقَامَا يَقْصِدَان بَابَ فِرْعَوْنَ فَإِذَا هُوَ مُغْلَقٌ .

فَقَالَ مُوسَى لِلْبَوَّابِينَ وَالْحَجَبَةِ : أَعْلِمُوهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْبَابِ .

فَجَعَلُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ .

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمَا عَلَيْهِ إِلاَّ بَعْدَ حِينٍ طَوِيلٍ .

وَقَالَ مُحَمَّد بن إِسْحَق : أَذِنَ لَهُمَا بَعْدَ سَنَتَيْنِ ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُ أَحَدٌ يَتَجَاسَرُ عَلَى الاسْتِئْذَانِ لَهُمَا .

وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ مَشَايِخَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى عِنْدِ فِرْعَوْنَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُظْهِرَ مَا آتَاهُ من الآيَات وَقَالَ لَهُ إِنِّي سَأُقَسِّي قَلْبَهُ فَلاَ يُرْسِلُ الشَّعْبَ ، وَأُكْثِرُ آيَاتِي وأعاجيبي بِأَرْض مصر .

وَأوحى الله إِلَى هرون أَنْ يَخْرُجَ إِلَى أَخِيهِ يَتَلَقَّاهُ بِالْبَرِّيَّةِ عِنْدَ جَبَلِ حُورِيبَ ، فَلَمَّا تَلْقَاهُ أَخْبَرَهُ مُوسَى بِمَا أَمَرَهُ به رَبُّهُ .

فَلَمَّا دَخَلاَ مصْرَ جَمْعَا شُيُوخَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَذَهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ ، فَلَمَّا بَلَّغَاهُ رِسَالَةَ اللَّه قَالَ : مَنْ هُوَ اللَّهُ لاَ أَعْرِفُهُ وَلاَ أُرْسِلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ : أَنَّهُ أَنْكَرَ إِثْبَاتَ الصَّانع تَعَالَى قَائلاً : «فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبنَا الَّذي أَعْطى كل شيء خلقه ثمَّ هدىَ» أَيْ هُوَ الَّذي خَلَقَ الْخَلْقَ وَقَدَّرَ لَهُمْ أَعْمَالاً وَأَرْزَاقًا وَآجَالاً ، وَكَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي كِتَابِهِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، ثُمَّ هَدَى كُلَّ مَخْلُوق إِلَى مَا قدره لَهُ ، فطابق عمله فيهم على الْوَجْه الَّذِي قَدره وَعلمه ، وَقدرته وَقدره لكَمَالِ علمه .

«قَالَ فَمَا بَال الْقُرُون الاولى» يَقُولُ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى : فَإِذَا كَانَ رَبُّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْمُقَدِّرُ الْهَادي الْخَلاَئِقَ لِمَا قَدَّرَهُ ، وَهُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ مِنْ أَنَّهُ لاَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سواهُ ، فَلِمَ عَبَدَ الأَوَّلُونَ غَيْرَهُ؟ وَأَشْرَكُوا به مِنَ الْكَوَاكِب وَالأَنْدَاد مَا قَدْ عَلِمْتَ؟ فَهَلَّا اهْتَدَى إِلَى مَا ذَكَرْتَهُ الْقُرُونُ الأُولَى؟ «قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ ربي وَلاَ ينسى» أَيْ هُمْ وَإِنْ عَبَدُوا غَيْرَهُ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِحُجَّةٍ لَكَ ، وَلاَ يَدُلُّ عَلَى خِلاَفِ مَا أَقُول لأنهم جهلة

(١) وَهُوَ اللِّفْتُ .

مثلك ، وكل شيء فَعَلُوهُ مُسْتَطَرٌ عَلَيْهِمْ فِي الزُّبُرِ ، مِنْ صَغِيرٍ وكبير ، وسيجزيهم على ذَلِك ربى عز وجل ، وَلاَ يَظْلِمُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّة ، لأَنَّ جَمِيعَ أَفْعَالِ الْعِبَادِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ لاَ يضل عَنهُ شيء وَلاَ يَنْسَى رَبِّي شَيْئًا .

ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ عَظَمَةَ الرَّبِّ وَقُدْرَتَهُ عَلَى خَلْقِ الأَشْيَاء ، وَجَعْلَهُ الأَرْضَ مهَادًا وَالسَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ، وَتَسْخِيرَهُ السَّحَابَ وَالأَمْطَارَ لِرِزْقِ الْعِبَادِ وَدَوَابِّهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ

ثُمَّ طَلَبَ مِنْ مُوسَى أَنَّ يُوَاعِدَهُ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ وَمَكَانٍ مَعْلُومٍ .

وَكَانَ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ مَقَاصِدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ : أَنْ يُظْهِرَ آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجَهُ وَبَرَاهِينَهُ جَهْرَةً بِحَضْرَةِ النَّاسِ .

وَلِهَذَا «قَالَ : مَوْعِدكُمْ يَوْمِ الزِّينَة» وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ مِنْ أَعْيَادِهِمْ وَمُجْتَمَعٍ لَهُمْ «وَأَن يحْشر النَّاس ضحى» أَيْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي وَقْتِ اشْتِدَادِ ضِيَاءِ الشَّمْسِ ، فَيَكُونُ الْحَقُّ أَظْهَرَ وَأَجْلَى ، وَلَمْ يَطْلُبْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَيْلاً فِي ظَلاَمٍ ، كَيْمَا يروج عَلَيْهِم محالا وَبَاطِلاً ، بَلْ طَلَبَ أَنْ يَكُونَ نَهَارًا جَهْرَةً ، لأنه على بَصِيرَة من ربه ، ويقين بِأَن اللَّهَ سَيُظْهِرُ كَلِمَتَهُ وَدِينَهُ ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّه كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى * قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ، وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلح الْيَوْم من استعلى﴾ .

يخبر تَعَالَى عَن فِرْعَوْن أَنه فَجَمَعَ مَنْ كَانَ بِبِلاَدِه مِنَ السَّحَرَة ، وَكَانَتْ بِلاَدُ مِصْرَ فِي ذَلِكَ الزَّمَان مَمْلُوءَةً سَحَرَةً فُضَلاءَ ، فِي فَنِّهِمْ غَايَةٌ ، فَجَمَعُوا لَهُ مِنْ كُلِّ بَلَد وَمِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ خُلُقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ ، فَقِيلَ : كَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفًا – قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ .

وَقِيلَ سَبْعِينَ ألفا قَالَه الْقَاسم بن أبي بردة ، وَقَالَ السُّدِّيُّ : بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا ، وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَق : خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا .

وَقَالَ كَعْبُ الأَحْبَار : كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس : كَانُوا سَبْعِينَ رَجُلاً ، وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعِينَ غُلاَمًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل ، أَمَرَهُمْ فِرْعَوْنُ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْعُرَفَاءِ فَيَتَعَلَّمُوا السِّحْرَ .

وَلِهَذَا قَالُوا : «وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْه من السحر» .

وَحَضَرَ فِرْعَوْنُ وَأُمَرَاؤُهُ وَأَهْلُ دَوْلَته وَأَهْلُ بَلَده عَنْ بَكْرَة أَبِيهِمْ .

وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ نَادَى فِيهِمْ أَنْ يَحْضُرُوا هَذَا الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ ، فَخَرَجُوا وَهُمْ يَقُولُونَ : «لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هم الغالبين» .

وَتَقَدَّمَ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ إِلَى السَّحَرَةِ فَوَعَظَهُمْ ، وَزَجَرَهُمْ عَنْ تَعَاطِي السِّحْرِ الْبَاطِلِ ، الَّذِي فيه مُعَارَضَةٌ لآيَاتِ اللَّه وَحُجَجِه فَقَالَ : ﴿وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَن افترى * فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ .

قِيلَ : مَعْنَاهُ أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَقَائِلٌ يَقُولُ : هَذَا كَلاَمُ نَبِيٍّ وَلَيْس بِسَاحِرٍ ، وَقَائِلٌ مِنْهُمْ يَقُولُ : بَلْ هُوَ سَاحِرٌ

«فَأَجْمِعُوا كيدكم» أَيْ جَمِيعَ مَا عِنْدَكُمْ «ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا» أَي جملَة وَاحدَة ، ثمَّ حضوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى التَّقَدُّمِ فِي هَذَا الْمَقَامِ ، لأَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ قَدْ وَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ ، وَمَا يعدهم الشَّيْطَان إِلاَّ غرُورًا .

ولما اصطف السَّحَرَة ووقف مُوسَى وهرون عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ تُجَاهَهُمْ – قَالُوا لَهُ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ قَبْلَنَا ، وَإِمَّا أَنْ نُلْقِيَ قَبْلَكَ «قَالَ بَلْ أَلْقُوا» أَنْتُمْ ، وَكَانُوا قَدْ عَمَدُوا إِلَى حبَال وَعصِيٍّ ، فَأَوْدَعُوهَا الزِّئْبَقَ وَغَيْره ، منَ الآلاَت الَّتي تضطرب بسببها تلْكَ الْحِبَالُ وَالْعصيُّ اضْطِرَابًا يُخَيَّلُ للرَّائي أَنَّهَا تَسْعَى باخْتيَارِهَا ، وَإِنَّمَا تَتَحَرَّكُ بِسَبَب ذَلكَ ، فَعِنْدَ ذَلكَ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ، وَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ، وَهُمْ يَقُولُونَ : «بعزَّة فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغالبون» .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاس واسترهبوهم وَجَاءُوا بِسحر عَظِيم﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْه من سحرهم أَنَّهَا تسْعَى * فأوجس فِي نَفسه خيفة مُوسَى﴾ أَيْ خَافَ عَلَى النَّاس أَنْ يَفْتَتِنُوا بِسِحْرِهِمْ وَمِحَالِهِمْ ، قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَ مَا فِي يَده ، فَإِنَّهُ لاَ يصنع شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْه فِي السَّاعَة الرَّاهنَة : «لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى * وَأَلْق مَا فِي يَمِينكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا . إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ، وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِر حَيْثُ أَتَى» فَعِنْدَ ذَلكَ أَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ وَقَالَ : «مَا جِئْتُمْ بِه السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسدينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحق بكلماته وَلَو كره المجرمون» .

وَذَلِكَ أَن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَم لما أَلْقَاهَا ، صَارَتْ حَيَّةً عَظِيمَةً ذَاتَ قَوَائِمَ ، فِيمَا

ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحد منْ عُلَمَاء السَّلَف ، وَعُنُق عَظيم وَشَكْل هَائل مُزْعج ، بحَيْثُ إنَّ النَّاسَ انْحَازُوا منْهَا وَهَرَبُوا سرَاعًا ، وَتَأَخَّرُوا عَنْ مَكَانهَا وَأَقْبَلَتْ هيَ عَلَى مَا أَلْقَوْهُ منَ الحْبَال وَالْعصيِّ ، فَجَعَلَتْ تَلَقَّفَهُ وَاحدًا وَاحدًا في أَسْرَع مَا يَكُونُ منَ الحْرَكَة ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إلَيْهَا وَيَتعَجَّبُونَ منْهَا ، وَأَمَّا السَّحَرَةُ فَإنَّهُمْ رَأَوْا مَا هَالَهُمْ وَحَيَّرَهُمْ في أَمْرهمْ ، وَاطَّلَعُوا عَلَى أَمْر لَمْ يَكُنْ في خَلَدهمْ وَلاَ بَالهمْ وَلاَ يَدْخُلُ تَحت صناعاتهم وأشغالهم ، فَعنْدَ ذَلك وهنالك تَحَقَّقُوا بمَا عنْدَهُمْ منَ الْعلْم أَنَّ هَذَا لَيْسَ بسحر وَلاَ شعوذة ، وَلاَ محَال وَلاَ خَيَال ، وَلاَ زُور وَلاَ بُهْتَان وَلاَ ضَلاَل ، بَلْ حَقٌّ لاَ يَقْدرُ عَلَيْه إلاَّ الحْقُّ ، الَّذي ابْتَعَثَ هَذَا الْمُؤَيَّدَ به بالحْقِّ .

وَكَشفَ اللَّهُ عَنْ قُلُوبهمْ غشَاوَةَ الْغَفْلَة ، وَأَنَارَهَا بمَا خَلَقَ فيهَا منَ الْهُدَى وأراح عَنْهَا الْقَسْوَةَ ، وَأَنَابُوا إلَى رَبِّهمْ

وَخَرُّوا لَهُ سَاجدينَ ، وَقَالُوا جَهْرَةً للْحَاضرينَ وَلَمْ يَخْشَوْا عُقُوبَةً وَلاَ بلوى : «آمنا برَبّ مُوسَى وهرون» كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿فَأُلْقيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمنا برَبّ هرون وَمُوسَى﴾ .

قَالَ سَعيدُ بْنُ جُبَيْر [(١)] وَعكْرمَةُ وَالْقَاسمُ بْنُ أبي بردة وَالأَوْزَاعيُّ وَغَيْرُهُمْ : لمَّا سَجَدَ السَّحَرَةُ رَأَوْا مَنَازلَهُمْ وَقُصُورَهُمْ في الجْنَّة تُهَيَّأُ لَهُمْ ، وَتُزَخْرَفُ لقُدُومهمْ وَلهَذَا لَمْ يَلْتَفتُوا إلَى تَهْويل فرْعَوْنَ وَتَهْديده وَوَعيده .

وَذَلكَ لأَنَّ فرْعَوْنَ لمَّا رَأَى هَؤُلاَء السَّحَرَة قد أَسْلمُوا وأشهروا ذكر مُوسَى وهرون في النَّاس عَلَى هَذه الصِّفَة الجْميلَة ، أَفْزَعَهُ ذَلكَ ، وَرَأَى أَمْرًا بَهرَهُ ، وَأَعْمَى بَصيرَتَهُ وَبَصَرَهُ ، وَكَانَ فيه كَيْدٌ وَمَكْرٌ وَخدَاعٌ ، وَصَنْعَةٌ بَليغَةٌ في الصَّدِّ عَنْ سَبيل اللَّه ، فَقَالَ مُخَاطبًا للسَّحَرَة بحَضْرَة النَّاس : «آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذن لكم» أَيْ هَلَّا شَاوَرْتُمُوني فيمَا صَنَعْتُمْ منَ الأَمْر الْفَظيع بحَضْرَة رَعيَّتي؟ ! ثُمَّ تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ وَأَبْرَقَ وَأَرْعَدَ ، وَكَذَبَ فَأَبْعَدَ قَائلاً : «إنَّهُ لَكَبيرُكُمُ الَّذي علمكُم السحر» ، وَقَالَ في الآيَة الأُخْرَى : «إنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ في الْمَدينَة لتُخْرجُوا منْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تعلمُونَ» .

وَهَذَا الَّذي قَالَهُ منَ الْبُهْتَان الَّذي يَعْلَمُ كُلُّ فَرْد عَاقل مَا فيه منَ الْكُفْر وَالْكَذب وَالْهَذَيَان ، بَلْ لاَ يَرُوجُ مثْلَهُ عَلَى الصِّبْيَان ، فَإنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ منْ أَهْل دَوْلَته وَغَيْرهمْ

(١) الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد ، أبو محمد ، ويقال : أبو عبد الله الأسدي الوالبي ، مولاهم الكوفي ،سعيد بن جبير الأسدي تابعي حبشي الأصل ، كان تقياً وعالماً بالدين درس العلم عن عبد الله بن عباس حبر الأمة وعن عبد الله بن عمر وعن السيدة عائشة أم المؤمنين .

يَعْلَمُونَ أَنَّ مُوسَى لَمْ يَرَهُ هَؤُلاَءِ يَوْمًا منَ الدَّهْرِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ كَبِيرَهُمُ الَّذي عَلَّمَهُمُ السِّحْرَ؟ ثُمَّ هُوَ لَمْ يَجْمَعْهُمْ وَلاَ علْمَ بِاجْتِمَاعِهِمْ ، حَتَّى كَانَ فِرْعَوْنُ هُوَ الَّذي اسْتَدْعَاهُمْ ، وَاجْتَبَاهُمْ منْ كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ ، وَوَادٍ سَحِيقٍ ، وَمِنْ حَوَاضِرِ بِلاَدِ مِصْرَ وَالأَطْرَافِ ، وَمِنَ المُدُنِ وَالأَرْيَافِ .

احتجاج آدم وموسى

حَاجَّ مُوسَى آدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاسَ بِذَنْبِكَ مِنَ الجَنَّةِ وَأَشْقَيْتَهُمْ .

قَالَ آدَمُ : «يَا مُوسَى أَنْتَ الَّذي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاَته وَبِكَلاَمه ، أَتَلُومُني عَلَى أَمْرٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي ، أَوْ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي؟» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» .

حكمة عيسى عليه السلام(١)

ومن المنقول عن عيسى عليه السلام : أن إبليس جاء إليه ، فقال له : ألست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك؟

قال : بلى .

قال : فارم بنفسك من هذه الجبل ، فانه ان قدر لك السلامة تسلم .

فقال له : يا ملعون ، إن لله عز وجلّ أن يختبر عباده ، وليس للعبد أن يختبر ربّه عز وجلّ .

قصة المائدة

أَنَّ عيسَى عَلَيْه السَّلاَمُ أَمَرَ الحَوَارِيِّينَ بِصِيَام ثَلاَثِينَ يَوْمًا ، فَلَمَّا أَتَمُّوهَا سَأَلُوا منْ عيسَى إِنْزَالَ مَائدَة منَ السَّمَاء عَلَيْهِمْ لِيَأْكُلُوا منْهَا وَتَطْمَئنَّ بِذَلكَ قُلُوبُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَبَّلَ صيَامَهُمْ وَأَجَابَهُمْ إِلَى طَلبَتهِمْ ، وَتَكُونَ لَهُمْ عِيدًا يُفْطِرُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ فِطْرِهِمْ وَتَكُونَ كَافيَةً لأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ لِغَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ .

---

(١) عيسى بن مريم ويُعرف أيضاً بيسوع في العهد الجديد ، هو رسول الله والمسيح في الإسلام ، ويعتبر من أولو العزم من الرسل ، أُرسل ليقود بني إسرائيل إلى كتاب مقدس جديد وهو الإنجيل .

فَوَعَظَهُمْ عيسَى عَلَيْه السَّلاَمُ فِي ذَلكَ وَخَافَ عَلَيْهِمْ أَنْ لاَ يَقُومُوا بِشُكْرِهَا وَلاَ يُؤَدُّوا حَقَّ شُرُوطِهَا فَأَبَوْا عَلَيْه إلاَّ أَنْ يَسْأَلَ لَهُمْ ذَلكَ منْ ربه عزوجل .

فلما لم يُقْلعُوا عَنْ ذَلكَ قَامَ إِلَى مُصَلَّاهُ وَلَبسَ مسْحًا منْ شَعْر وَصفَّ بَيْنَ قَدَمَيْه وَأَطْرَقَ رَأْسَهُ وَأَسْبَلَ عَيْنَيْه بالْبُكَاء وَتَضَرَّعَ إلَى اللَّه في الدُّعَاء وَالسُّؤَال أَنْ يُجَابُوا إلَى مَا طلبُوا .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَائدَةَ منَ السَّمَاء وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا تَنْحَدرُ بَيْنَ غَمَامَتَيْن ، وَجَعَلَتْ تَدْنُو قَليلا قَليلا ، وَكلما دنت سَأَلَ عيسَى ربه عز وجل أَنْ يَجْعَلَهَا رَحْمَةً لاَ نقْمَةً وَأَنْ يَجْعَلَهَا بَرَكَةً وَسَلاَمَةً .

فَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو حَتَّى اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ يَدَيْ عيسَى عَلَيْه السَّلاَمُ وَهيَ مُغَطَّاةٌ بمَنْديل فَقَامَ عيسَى يَكْشفُ عَنْهَا وَهُوَ يَقُولُ : «بِسْمِ اللَّهِ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» فَإِذَا عَلَيْهَا سَبْعَةٌ منَ الْحِيتَان وَسَبْعَةُ أَرْغفَة .

وَيُقَالُ : وَخَلٌّ وَيُقَالُ : وَرُمَّانٌ وَثمَارٌ ، وَلَهَا رَائحَةٌ عَظيمَةٌ جداً ، قَالَ اللَّهُ لَهَا كُوني فَكَانَتْ .

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بالأَكْلِ منْهَا ، فَقَالُوا : لاَ نَأْكُلُ حَتَّى تَأْكُلَ .

فَقَالَ : إنَّكُمُ الَّذينَ ابْتَدَأْتُمُ السُّؤَالَ لَهَا .

فَأَبَوْا أَنْ يَأْكُلُوا منْهَا ابْتدَاءً ، فَأَمَرَ الْفُقَرَاءَ وَالْمَحَاويجَ وَالْمَرْضَى والزمنى وَكَانُوا قريبا منْ أَلْف وَثَلاَثمائَة فَأَكَلُوا منْهَا فَبَرَأَ كُلُّ مَنْ به عَاهَةٌ أَوْ آفَةٌ أَوْ مَرَضٌ مُزْمنٌ ، فَنَدمَ النَّاسُ عَلَى تَرْكَ الأَكْل منْهَا لَمَا رَأَوْا منْ إصْلاَح حَال أُولَئكَ .

ثُمَّ قيلَ إنَّهَا كَانَتْ تَنْزلُ كُلَّ يَوْم مَرَّةً فَيَأْكُلُ النَّاسُ منْهَا ، يَأْكُلُ آخرُهُمْ كَمَا يَأْكُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى قيلَ إنَّهَا كَانَ يَأْكُلُ منْهَا نَحْوُ سَبْعَة آلاَف .

ثُمَّ كَانَتْ تَنْزلُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْم ، كَمَا كَانَتْ نَاقَةُ صَالح يَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْم .

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ عيسَى أَنْ يَقْصُرَهَا عَلَى الْفُقَرَاء أَو الْمَحَاويج دُونَ الأَغْنيَاء .

فَشَقَّ ذَلكَ عَلَى كَثير منَ النَّاس وَتَكَلَّمَ مُنَافقُوهُمْ في ذَلكَ ، فَرُفعَتْ بالْكُلِّيَّة وَمُسخَ الَّذينَ تَكَلَّمُوا في ذَلكَ خَنَازيرَ .

صفَةُ عيسَى عَلَيه السَّلاَمُ وَشَمَائلُهُ وَفَضَائلُهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿مَا الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ منْ قَبْله الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صديقَة﴾ .

قيلَ سُمِّيَ الْمَسيحَ لَمسْحه الأَرْضَ وَهُوَ سيَاحَتُهُ فيهَا وَفرَارُهُ بدينه منَ الْفتَن في

ذَلِكَ الزَّمَان ، لشدَّة تَكْذيب الْيَهُود لَهُ وَافْترَائِهِمْ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمِّهِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ .

وَقيلَ لأَنَّهُ كَانَ مَمْسُوحَ الْقَدَمَيْن .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ برسلنا وقفينا بعيسَى بن مَرْيَم وَآتَيْنَاهُ الانجيل فيه هدى وَنور﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَآتينا عيسَى بن مَرْيَم﴾ وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا ثَبَتَ في الصَّحيحَيْن : «مَا منْ مَوْلُود إلاَّ وَالشَّيْطَانُ يَطْعَنُ في خَاصرَته حينَ يُولَدُ فَيَسْتَهلُّ صَارخًا إلاَّ مَرْيَمَ وَابْنَهَا ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ في الْحِجَاب» وَتَقَدَّمَ حَديثُ عُمَيْر بْن هَانئ]عَنْ جُنَادَة ، عَنْ عُبَادَةَ عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ أَنَّهُ قَالَ «مَنْ شَهدَ أَنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شريك لَهُ وَأَن مُحَمَّدًا عبد الله وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عيسَى عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ وَكَلمَتُهُ الَّتي أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منْهُ ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ منَ الْعَمَل» .

قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثير ، أَنْبَأَنَا إسْرَائيلُ ، عَنْ عُثْمَانَ بْن الْمُغيرَة ، عَنْ مُجَاهد ، عَن ابْن عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ النَّبيُّ ﷺ : «رَأَيْتُ عيسَى وَمُوسَى وَإبْرَاهيمَ .

فَأَمَّا عيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ(١) عَريضُ الصَّدْر .

وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسيمٌ سبْطٌ(٢) كَأَنَّهُ منْ رجَال الزُّطِّ» .

مولد رسول الله ﷺ

أخبر أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببغداد ثنا يحيى بن معين ثنا حجاج بن محمد عن يونس بن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل .

قال أبو حاتم : ولد النبي ﷺ عام الفيل يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في اليوم الذي بعث الله طيرا أبابيل على أصحاب الفيل ، وكان من شأن الفيل أن ملكا كان باليمن غلب عليها وكان أصله من الحبشة يقال له «أبرهة»(٣) بنى كنيسة بصنعاء فسماها «القليس» وزعم أنه مات «أبو رغال» وهو

(١) الْمُتَوَسّط بَين الطول وَالْقصر .

(٢) السبط : المسترسل الشّعْر .

(٣) أبرهة الحبشي ويقال له أيضاً أبرهة الأشرم هو قائد عسكري من مملكة أكسوم وأعلن نفسه ملكا على حميَّر .

الذي رجم قبره ، وبعث أبرهة من المغمس رجلا يقال له الأسود بن مقصود على مقدمة خيله ، فجمع إليه أهل الحرم ، وأصاب لعبد المطلب[١] مائتي بعير بالأراك ، ثم بعث أبرهة حناطة الحميري إلى أهل مكة فقال : سل عن شريفها ثم أبلغه أني لم آت لقتال ، إنما جئت لأهدم هذا البيت ، فانطلق حناطة حتى دخل مكة ، فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال : إن الملك أرسلني إليك ليخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه ، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم ، فقال عبد المطلب ما عندنا له قتال ، فقال : سنخلي بينه وبين البيت ، فإن خلى الله بينه وبينه فو الله ما لنا به قوة! قال : فانطلق معي إليه ، قال : فخرج معه حتى قدم المعسكر وكان «ذو نفر» صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال : يا ذا نفر! هل عندكم من غناء فيما نزل بنا؟ فقال :

ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة وعشية ، ولكن سأبعث لك إلى أنيس سائس الفيل فأمره أن يضع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده ، قال : فأرسل إلى أنيس فأتاه ، فقال : إن هذا سيد قريش ، صاحب عين مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير ، فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لي ، فدخل أنيس على أبرهة فقال : أيها الملك! هذا سيد قريش وصاحب عين مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له ، فقد جاءك غير ناصب لك ولا مخالف عليك . فأذن له ، وكان عبد المطلب رجلا عظيما جسيما وسيما ، فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه ، وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته ، فهبط إلى البساط فجلس عليه معه ، فقال له عبد المطلب : أيها الملك إنك قد أصبت لي مالا عظيما فأردده عليّ ، فقال له : لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك ، قال : ولم؟ قال : جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وعصمتكم ومنعتكم لأهدمه فلم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك! قال : أنا رب هذه الإبل ، ولهذا البيت رب سيمنعه! قال : ما كان ليمنعه مني! قال : فأنت وذاك! قال : فأمر بإبله فردت عليه ، ثم خرج عبد المطلب وأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ، وأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وعبّى جيشه وقرّب فيله وحمل عليه ما أراد أن يحمل وهو قائم ، فلما حرّكه وقف وكاد أن يرزم إلى الأرض فيبرك ،

(١) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، جد رسول الله .

فضربوه بالمعول في رأسه فأبى ، فأدخلوا محاجنهم تحت أقرانه ومرافقه فأبى ، فوجهوه إلى اليمن فهرول ، فصرفوه إلى الحرم فوقف ، ولحق الفيل بجبل من تلك الجبال ، فأرسل الله الطير من البحر كالبلسان ، مع كل طير ثلاثة أحجار : حجران في رجليه ، وحجر في منقاره ، ويحملن أمثال الحمص والعدس من الحجارة ، فإذا غشين القوم أرسلنها عليهم ، فلم تصب تلك الحجارة أحد إلا هلك ، وليس كل القوم أصاب فذلك قول الله تعالى أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ السورة كلها ، وبعث الله على أبرهة داء في جسده ، ورجعوا سراعا يتساقطون في كل بلد ، وجعل أبرهة تتساقط أنامله ، كلما سقطت أنملة اتبعها مدة من قيح ودم فانتهى إلى اليمن وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه ثم مات ، فلما هلك استخلف ابنه يكسوم بن أبرهة ، وسميت هذه السنة «سنة الفيل» .

خروج النبي ﷺ إلى الشام

الحسن بن سفيان[(١)] قال : خرج أبو طالب[(٢)] إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ وأشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب طووا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب . وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت ، فأتاهم وهم يحلون رواحلهم وأحلاسهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال هذا سيد العالمين! هذا رسول رب العالمين! هذا يبعثه الله رحمة للعالمين! فقال له أشياخ من قريش : ما علمك؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ، ولا يسجدون إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ؛ ثم رجع فصنع لهم طعاما ، فلما أتاهم به وكان هو ﷺ في رعية الإبل قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله ، فقال : انظروا إليه ، عليه غمامة تظله!

---

(١) الحسن بن سفيان بن عامر الشيباني النسوي ، أبو العباس : مصنف (المسند) في الحديث . كان محدث خراسان في عصره ، مقدما في الفقه والأدب .

(٢) أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب الهاشمي القرشي الكناني ، يُكنّى بأبي طالب ، هو عم النبي محمد وكافله (٥٤٠ م – ٦١٩ م) . قال عنه ابنه الإمام علي : «والله ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطّلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطّ» ، قيل له : فما كانوا يعبدون؟ قال : «كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم متمسّكين به» .

فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال عليه ، قال : فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم لو رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم؟ قالوا : جئنا إن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا وقد بعث إليه ناس ، وإنا أخبرنا بخبره فبعثنا إلى طريقك هذا ، فقال لهم : «أفرأيتم أمرا إذا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟» قالوا : لا ، فتابعوه وأقاموا معه ، قال :

فأتاهم فقال لهم : «أنشدكم بالله! أيكم وليه؟» قال»

أبو طالب : أنا ، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت .

قال أبو حاتم : فقدم رسول الله ﷺ بمكة ، وكانت سفرته الثانية بعدها مع ميسرة غلام خديجة(1) ، ثم تزوج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد وهو ابن خمس وعشرين سنة وخويلد هو ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن معيص عامر بن لؤي بن غالب وكانت قبل أن يتزوج بها رسول الله ﷺ تحت أبي هالة أخي بني تميم ، ثم كانت تحت عتيق ابن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان السبب في ذلك أن خديجة كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه ، وكانت قريش قوما تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظيم أمانته وكريم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا ، وتعطيه

(1) خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية (٦٨ ق .هـ - ٣ ق .هـ/ ٥٥٦م - ٦٢٠م) أم المؤمنين وأولى زوجات النبي محمد وأم كل أبنائه ما عدا ولده إبراهيم ،]تزوجت خديجة قبل زواجها بالنبي مرتين ، الأولى من عتيق بن عابد المخزومي الذي مات عنها ، ثم تزوجت بأبي هالة بن النباش بن زرارة التميمي حليف بني عبد الدار فمات عنها أيضاً ، وأنجبت من كليهما ، كانت خديجة من أغنياء قريش وأكرمهم نسبًا ، وعُرف عنها طيب أخلاقها ورجاحة عقلها ، وكانت تلقب بالطَّاهرة ، تزوجت خديجة من الرسول وهي في عمر الأربعين وكان في عمر الخامسة والعشرين ، وأنجبت له ستة أبناء : القاسم وعبد الله وزينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة .

أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له «ميسرة» فقبله منها رسول الله ﷺ ، وخرج في مالها معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام ، نزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فأطلع الراهب إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحريري ظلا على رأس رسول الله ﷺ من الشمس وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به ، وأخبرها ميسرة عن قول الراهب وعن ما كان من أمر الإضلال ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ؛ فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها بعثت إلى رسول الله ﷺ وقالت : إني قد رغبت فيك وفي قرابتك وفي أمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك ﷺ لأعمامه ، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب[(١)] عمه حتى دخل على خويلد ابن أسد فخطبها إليه ، فزوجها من رسول الله ﷺ ؛ فولد له منها زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، والقاسم وكان به يكنى والطاهر والطيب فهلكوا قبل الوحي .

وأما البنات فكلهن أسلمن وهاجرن إلى المدينة ، وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد[(٢)]- وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس- ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان من الإظلال عليه ، فقال ورقة : إن كان هذا حقا يا خديجة إن محمدا لنبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن بهذه الأمة سيظهر في هذا الوقت .

---

(١) حمزة بن عبد المطلب الهاشمي القرشي صحابي من صحابة رسول الإسلام محمد ، وعمُّه وأخوه من الرضاعة وأحد وزرائه الأربعة عشر ، وهو خير أعمامه لقوله : «خَيْرُ إِخْوَتِي عَلِيٌّ ، وَخَيْرُ أَعْمَامِي حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» .

(٢) ورقة بن نوفل الأسدي القرشي شخصية تاريخية ، ورد ذكره في أكثر من مؤلف سواء عند مؤرخين مسلمين ومسيحيين . أتفق معظمها أنه كان يقرأ الإنجيل . كان حنيفا موحدا في عصر الجاهلية . وتقول روايات أنه كان نصرانيا .

الإسراء برسول الله ﷺ ليلة المعراج

أخبر الحسن بن سفيان الشيباني وأحمد بن علي بن المثنى التميمي وعمران بن موسى بن مجاشع السختياني قالوا : حدثنا هدبة بن خالد القيسي حدثنا همام ابن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال : «بينا أنا في الحطيم- وربما قال في الحجر- مضطجع إذ أتاني جبريل(١) فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبي ثم أعيد ، ثم أتيت بدابّة دون البغل وفوق الحمار ، يضع خطوة عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟

قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتح ، فلما»

خلصت إذا»

فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه ، فرد علي السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح! ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل : ما هذا؟

قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتح له فلما خلصت إذا نحن بعيسى ويحيى وهما ابنا الخالة ، قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، قال : فسلمت وردا ، ثم قالا : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح! ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل؟ قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبا

(١) جبريل أو جبرائيل ومعناها بالعبرية رجل الله فكلمة جبرَ تعني رجل وكلمة إل تعني الله ، فهو كخادم الله الخاص ولله المثل الأعلى . يؤمن المسلمون بأن جبريل (وتكتب وتنطق كما في بعض القراءات القرآنيه هكذا : جبرائيل) هو ملك سماوي مخلوق من نور نزل بالوحي على الأنبياء بأمر الله كما هو الحال مع القرآن الذي نزل به على الرسول محمد بن عبد الله . ومعنى كلمة جبريل فهي عبد الله ، أخرج البخاري عن عكرمة قال : جبر وميك وسراف : عبد ، إيل الله

بالأخ الصالح والنبي الصالح! ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتح ، فلما خلصت فإذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح! ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال :

محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتح ، فلما خلصت إذا بهارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، قال :

فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح! ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل :

ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد وقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح! فلما تجاوزت بكى ، قال : ما يبكيك؟ قال : أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ، ثم صعد بي حتى أتى السماء السابعة فاستفتح ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتحت ، فلما خلصت إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح! ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال :

هذه سدرة المنتهى ، قال ، فإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان ، فقلت : ما هذان يا جبريل قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ؛ ثم رفع إلى البيت المعمور ، ثم أتى بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال : هي الفطرة وأنت عليها وأمتك ، ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت بموسى فقال : بما أمرت؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت؟

قلت : أمرت بأربعين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، إني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت؟

قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، فإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عشرا ، فرجعت إلى موسى ، قال : بما أمرت؟ قلت : أمرت بعشرين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، ثم رجعت إلى موسى ، فقال :

بما أمرت؟ قلت : أمرت بعشر صلوات كل يوم ؛ قال : إن أمتك لا تستطيع عشر صلاة كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة . فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم ، فلما جاوزت ناداني مناد : أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي .

قال أبو حاتم : أسرى النبي ﷺ إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السماء ، وفرض عليه خمس صلوات ، ثم بعث الله جبريل ليؤم رسول الله ﷺ عند البيت ويعلمه أوقات الصلوات ، فلما كان الظهر نودي : إن الصلاة جامعة ، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم ، فصلى بهم حين زالت الشمس على مثل الشراك ، يؤم جبريل محمدا ويؤم محمد الناس ، ثم صلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى به المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى به العشاء حين غاب الشفق ، ثم صلى به الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم .

ثم صلى به الظهر من الغد حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثليه ، ثم صلى به المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى به

العشاء حين ذهب ثلث الليل ، ثم صلى به الفجر حين أسفر ، ثم التفت جبريل إلى محمد ﷺ ثم قال : يا محمد! هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك ، الوقت فيما بين هذين الوقتين .

هجرة رسول الله ﷺ إلى يثرب

عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما حرتان» ، فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر رسول الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين ، وتجهز أبو بكر مهاجرا ، فقال له رسول الله ﷺ : على رسلك ، فإني أرجو أن يؤذن ، فقال أبو بكر : وترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال : نعم ، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ لصحبته وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر ؛ قالت عائشة : فبينا نحن جلوس يوما في بيتنا في نحر الظهيرة فقال قائل لأبي : هذا رسول الله ﷺ مقبل متقنعا ، في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، قال أبو بكر : فداه أبي وأمي! إن جاء به في هذه الساعة إلا لأمر! قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن ، فأذن له فدخل ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : «أخرج من عندك» ، قال أبو بكر : إنما هو أهلك بأبي أنت يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ : «فإنه قد أذن لي بالخروج» ، فقال أبو بكر : فالصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ : «نعم» ، فقال أبو بكر : بأبي أنت يا رسول الله! خذ إحدى راحلتيّ هاتين ، فقال رسول الله ﷺ : «بالثمن» ؛ قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر من نطاقها فأوكت به الجراب ، فلذلك كانت تسمى ذات النطاق ، ولحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل يقال له : ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال .

قال أبو حاتم : لما أمر الله جل وعلا رسوله ﷺ بالهجرة استأجر رسول الله ﷺ رجلا من بني الديل وهو من بني عدي هاديا خريتا(١) قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش ، فأمناه ودفعا إليه راحلتيهما وأوعداه بغار ثور بعد ثلاث ، وخرج ﷺ وأبو بكر حتى أتيا الغار في جبل ثور كمنا فيه ، وخرج

(١) الخريت : الماهر بالهداية

المشركون يطلبونهما حتى جاءوا إلى الجبل وأشرفوا على الغار، فقال أبو بكر: يا رسول الله! لو أبصر أحدهم تحت قدمه لأبصرنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، فأعمى الله أعينهم عن رسول الله ﷺ، فلما أيسوا رجعوا، ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاث ليال؛ يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر الصديق وهو غلام شاب، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح بمكة مع قريش كبائت بها، فلا يسمع أمرا يكاد به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط للكلام؛ ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منيحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل، يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث؛ ثم خرج النبي ﷺ بعد ثلاث، معه أبو بكر وعامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم الدليل طريق الساحل فاجتنوا ليلتهم حتى أظهروا وقام الظهيرة رمى أبو بكر بصره هل يرى ظلا يأوون إليه، فإذا هم بصخرة فانتهوا إليها فإذا بقية ظلها، فسوى أبو بكر ثم فرش لرسول الله ﷺ ثم قال: اضطجع يا رسول الله! فاضطجع، ثم ذهب ينظر هل يرى من الطلب أحدا، فإذا هو براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي يريدون من الظل، فسأله أبو بكر: لمن أنت يا غلام؛ قال: لفلان-رجل من قريش، فعرفه أبو بكر فقال: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، فقال: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فأمره فاعتقل شاة من غنمه وأمره أن ينفض عنها من الغبار، فحلب له كثبة من لبن، وكان معه إداوة لرسول الله ﷺ على فمها خرقة، فصب اللبن حتى برد أسفله ثم ملأها، فانتهى بها إلى رسول الله ﷺ وقد استيقظ فقال: اشرب يا رسول الله! فشرب وشرب أبو بكر، فقال أبو بكر: قد أتى الرجل يا رسول الله! قال: لا تحزن، والقوم يطلبونهم؛ قال سراقة بن مالك بن جعشم[1]: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل

---

(١) سراقة بن مالك المدلجي الكناني، سيد بني مدلج وأحد أشراف قبيلة كنانة وصحابي جليل قائف يقتص الأثر لحق بالرسول محمد وصاحبه أبي بكر الصديق في الهجرة وهو يومئذ مشرك طمعا في جائزة قريش، فلما وصل للرسول انغرست قدما فرسه في الوحل فطلب من رسول الله أن يدعوا الله لينجيه مما هو فيه على أن يرجع عنهم ويعمي عنهم الطلب فدعا له رسول الله ثم قال له: سراقة بن مالك المدلجي كيف بك إذا لبست سِوَارَيْ كسرى ومِنْطَقَتَه وتاجه، فقال سراقة: كسرى بن هرمز؟ فقال رسول الله نعم ثم انصرف سراقة، فلما فتح سعد بن أبي وقاص المدائن في زمن خلافة =

واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فقال سراقة : فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل فقال : يا سراقة! إني رأيت آنفا أسودة بالساحل ، أراها محمدا وأصحابه ، قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت لهم : إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في مجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحططت بزجة الأرض حتى أتيت فرسي ، فركبتها ودفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم ، فعرد بي[1] فرسي فخررت عنها ، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي ، فاستخرجت منها الأزلام فاستسقمت بها أخرج أم لا! فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصيت الأزلام ، فقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت فلم تكن تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم بأخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم بالزاد والمتاع فلم يرزءاني[2] ولم يسألاني إلا أنهما قالا :

أخف علينا ، فسألته أن يكتب لي كتاب موادعة وأمن ، فأمر أبا بكر ، فكتب لي في رق من أدم ، قال سراقة : والله لأعمين على من ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي فخذ منها سهما فإنك ستمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك ، فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا في إبلك وغنمك ، وانطلق راجعا إلى أصحابه ، ومضى رسول الله ﷺ فلقي الزبير بن العوام في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابا بيضاء .

ثم ساروا إلى خيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي وتجلس

= عمر بن الخطاب ، أرسل سواري كسرى وتاجه ضمن الغنائم إلى الخليفة فتحقق لسراقة وعد النبي له حيث ألبسه عمر سواري كسرى .

(١) أي هرب وفر .

(٢) أي لم يأخذ مني شيء .

بفناء الخيمة ثم تسقي وتطعم ، فينالونها تمرا ويشترون ، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ، فإذا ، القوم مرملون مسنتون ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر خيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت : فاحلبها ، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله عليه وقال :

«اللهم! بارك لها في شاتها» ، فتفاجت ودرت واجترت ، فدعا بإناء لها يربض الرهط ، فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقا أصحابه فشربوا حتى رووا وشرب آخرهم ، وقال : «ساقي القوم آخرهم شربا» ، فشربوا جميعا عللا بعد نهل حتى أراضوا ، ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء ، فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها ، فقل ما لبثت فجاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا له حفلا عجافا يتساوكن[1] هزلا ، مخهن قليل ، لا نقى بهن .

فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لك هذا والشاء عازب ولا حلوبة في البيت؟ فقالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، قال :

والله إني أراه صاحب قريش الذي نطلبه ، صفيه لي يا أم معبد! قالت : رأيت

خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن؟ قالت هي أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لي أن ، أحلبها»؟ قالت : نعم بأبي أنت وأمي! إن رأيت بها حلبا رجلا ظاهر الوضاءة مليح الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزره صلعة ، وسيم جسيم ، قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صهل ، أحور أكحل ، أزج أقرن ، رجل شديد سواد الشعر ، في عنقه سطع ، وفي لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرون ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا يتثنى من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا ، وله رفقاء يحفون ، به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تسارعوا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند ؛ قال : هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره! لو كنت وافقت لالتمست إلى أن أصحب ،

---

(١) أي يسرن سيرا ضعيفا .

ولأفعلنه إن وجدت إلى ذلك سبيلا . وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعونه ولا يدرون من يقوله ، وهو يقول :

جــزى اللهــ رب الناس خير جزائـه   رفيقــين حــلاّ خيمتــي أم معبد
همــا نزلا بالبــــر وارتحـــلا بــــه   فأفلــح مـــن أمسى رفيق محمـد
فيـــال قصـــي مــا زوى الله عنكـم   بــه مـــن فعال لا تجازى وســودد
سلـــوا أختكـــم عن شاتهـــا وإنائهـا   فإنكـــم إن تسألـــوا الشـــاة تشهد
دعاهــا بشـــاة حائــل فتحلبـــت   لــه بصريــح ضــرة الشاة مزيـد
فغــــادره رهنــــا لديــها لحالــب   يرددهـــا فـــي مصـــدر ثم مـــورد

فأجابه حسان بن ثابت

لقـــد خـــاب قوم زال عنهم نبيّهــــم   وقـــد سرّ مـن يسري إليه ويغتدي
ترحّـــل عـــن قوم فضلّت عقولهـــم   وحـــلّ علـــى قـــوم بنـــور مجدّد
وهـــل يستوي ضلال قــوم تسكعـــوا   عمـــي وهـــداة يهتـــدون بمهتدي
نبـــيّ يـــرى ما لا يرى الناس حولــه   ويتلـــو كتــاب الله في كل مشهد
وإن قـــال فـــي يـــوم مقالـــة غائـب   فتصديقهـــا في ضحوة اليوم أو غد
ليهنـــئ أبـــا بكـــر سعـــادة جـــدّه   بصحبتـــه من يسعد الله يسعـــد
ليهنـــئ بنـــي كعـــب مقـــام فتاتهم   ومقعدهـــا للمؤمنـــــين بمرصـــد

فلما سمع المسلمون الأبيات خرج المسلمون سراعا فوجا فوجا يلحقون برسول الله ﷺ فأخذوا على خيمة أم معبد .

وسمع المسلمون بالمدينة بخروج النبي ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرون قدومه حتى يردّهم حرّ الظهيرة فكان أول من قدم عليهم من المهاجرين مصعب بن عمير(١) أخو بني عبد الدار بن قصي ، فقالوا : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال : هو وأصحابه على إثري ، ثم أتاهم بعده عمرو بن أم مكتوم الأعشى أخو بني

(١) مصعب بن عمير العبدري القرشي ، يكنى أبا محمد . كان من فضلاء الصحابة وخيارهم ، ومن السابقين إلى الإسلام ، أسلم في دار الأرقم ، وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه ، وكان يلتقي برسول الله سرا ، فبصر به عثمان بن طلحة العبدري يصلي ، فأعلم أهله وأمه ، فأخذوه فحبسوه ، فلم يزل محبوسا إلى أن هاجر إلى أرض الحبشة ، وعاد من الحبشة إلى مكة ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن الكريم ، ويصلي بهم .

فهر ، فقالوا : ما فعل من وراءك رسول الله وأصحابه؟ فقال : هم الآن على أثري ، ثم أتاهم بعده عمار بن ياسر[١] وسعد بن أبي وقاص[٢] وعبد الله بن مسعود وبلال[٣] ، ثم أتاهم عمر بن الخطاب في عشرين راكبا ، وكان رسول الله ﷺ حيث خرج من الغار سلك بهم الدليل أسفل من مكة ، ثم مضى بهم حتى جاوز بهم الساحل أسفل عسفان ، ثم استجاز بهم على أسفل أمج حتى عارض بهم الطريق ، ثم أجاز بهم فسلك بهم الخرار ، ثم أجاز بهم ثنية المرة ، ثم سلك بهم القفا ، ثم أجاز بهم مدلجة لفف ، ثم استبطن بهم مدلجة لفف ، ثم استبطن بهم مدلجة مجاج ، ثم سلك مرجح من ذي العضوين ثم بطن ذي كشد ، ثم أخذ بهما الجداجد ثم الأجرد ، ثم سلك بهم بطن أعداء ثم مدلجة تعهن ثم العبابيد ثم الفاجة ثم العرج ثم بطن العائر ثم بطن ريم ، ثم رحلوا من بطن ريم ونزلوا بعض حرار المدينة ؛ وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، وبعثوا رجلا من أهل البادية يؤذن بهم الأنصار ، فجاء البدوي وآذن بهم الأنصار ، وصعد رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فنظر إلى رسول الله ﷺ مبيضين؟ فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب! هذا جدكم الذي تنتظرون! فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة وهم خمسمائة رجل من الأنصار ، فتلقى الناس والعواتق فوق الأجاجير ، والصبيان والولائد يقولون :

طلع البدر علينـــا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا للـــه داع

وأخذت الحبشة يلعبون بحرابهم لقدوم رسول الله ﷺ فرحا بذلك .

---

(١) عمار بن ياسر العنسي المذحجي ، هو صحابي من أصحاب النبي محمد ومن السابقين إلى الإسلام .

(٢) سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي صحابي من أوائل من دخلوا في الإسلام وكان في السابعة عشر من عمره ، ولم يسبقه في الإسلام إلا أبو بكر وعلي وزيد وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٣) بلال بن رباح الحبشي ، أبو عبد الله ، صحابي من السابقين إلى الإسلام كان مولى أو عبدا لبني جمح من قريش أعلن إسلامه فعذبه سيده أمية بن خلف الجمحي القرشي ، فابتاعه أبو بكر الصديق وأعتقه ، اشتهر بصبره على التعذيب وقولته الشهيرة تحت التعذيب «أحد أحد» .

عجوز في الجنة

كان النبي ﷺ يداعب أصحابه ويقابلهم بالابتسامة وكان لا يقول إلا حقاً وإن كان مازحاً .

وفي يوم من الأيام جاءت امرأة عجوز من الصحابيات إلى رسول الله ﷺ وقالت له : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة ، فداعبها ﷺ قائلاً : إن الجنة لا تدخلها عجوز ، فانصرفت العجوز باكية ، فقال النبي ﷺ للحاضرين : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، إن الله تعالى يقول ﴿إنَّا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً﴾ أي أنها حين تدخل الجنة سيعيد الله إليها شبابها وجمالها .»

بعينيه بياضاً

وقال زيد بن أسلم[1] : إن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلي النبي –صلي الله عليه وسلم– فقالت : إن زوجي يدعوك ، قال : «ومن هو ؟ أهو الذي بعينه بياض»؟ قالت : والله ما بعينه بياض فقال : «بلي إن بعينه بياضا» فقالت : لا والله ، فقال –ﷺ– : «ما من أحد إلا بعينه بياض» (أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح ، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف ، كما ذكر العراقي في تخريج الإحياء) . وأراد به البياض المحيط بالحدقة .

وحدّثنا القرشيّ قال : دخلت امرأة على رسول الله ﷺ فقال : «من زوّجك»؟ فسمّته له ، فقال : «الذي في عينيه بياض»؟

---

(١) زيد بن أسلم هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني ، والده أسلم مولى عمر بن الخطاب ، من أئمة العلم والحديث ، كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الإسلام محمد بن عبد الله يدرس فيها الناس الفقة والحديث ، روى الحديث عن عبدالله بن عمر وجابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وعطاء بن يسار ، وتلقى على يديه مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي وسفيان بن عيينة . وصفه الإمام الذهبي بأنه الإمام الحجة القدوة الفقيه ، وقال البخاري : كان زين العابدين علي بن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم في المدينة ، فكلم في ذلك فقال : إنما يجلس الرجل إلى مَن ينفعه في دينه ، ظهر لزيد بن أسلم في مسند الإمام أحمد بن حنبل أكثر من مئتي حديث ، توفي سنة ١٣٦هـ .

فرجعت فجعلت تنظر الى زوجها ، فقال : ما لك؟
قالت : قال رسول الله ﷺ : «زوجك فلان»؟
قلت : نعم . قال : «الذي في عينيه بياض»؟
قال : أوليس البياض في عيني أكثر من السواد؟

لسان حسان

قال النبي صلّى الله عليه وآله لحسان بن ثابت[1] : ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته . ثم قال : «والله ما يسرني به مقول من معد ، والله إن لو وضعته على حجر لفلقه ، أو على شعر لحلقه»

أعرابي على قبر الرسول

وقف أعرابيٌ على قَبْر رسول الله ﷺ
فقال : قُلتَ فَقَبِلْنا ، وأمرتَ فحَفظنا ،
وبلَّغت عن ربك فسَمعْنا .
«ولَو أنهم إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهم جاءُوك
فاستَغْفرُوا الله واسْتَغْفر لهم الرّسُولُ لَوَجَدُوا الله تواباً رَحيَماً» .
وقد ظَلمنا أنفسنا وجِئْناك فاستَغفر لنا .
فما بَقِيت عينٌ إلا سالَتْ .

وصف السحابة

عَنْ مُوسَى بْنِ مُحَمَّد بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ ، عَنْ أَبِيه ، عَنْ جَدِّه قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ ذَاتَ يَوْم جَالسٌ مَعَ أَصْحَابِه إِذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ ، فَقَالُوا : يا رَسُولَ اللهِ ، هَذِهِ سَحَابَةٌ ، فَقَالَ : «كَيْفَ تَرَوْنَ قَوَاعدَهَا؟» .

قَالُوا : مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ تَمَكُّنَهَا! قَالَ : «وَكَيْفَ تَرَوْنَ رَحَاهَا؟» .

---

(١) حسان بن ثابت الأنصاري شاعر عربي وصحابي من الأنصار ، ينتمي إلى قبيلة الخزرج من أهل المدينة ، كما كان شاعرًا معتبرًا يفد على ملوك آل غسان في الشام قبل إسلامه ، ثم أسلم وصار شاعر الرسول بعد الهجرة . توفي أثناء خلافة علي بن أبي طالب بين عامي ٣٥ و٤٠ هـ .

قَالُوا : مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ اسْتدَارَتَهَا! قَالَ : «وَكَيْفَ تَرَوْنَ بَوَاسقَهَا؟» .
قَالُوا : مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ اسْتِقَامَتِهَا! قَالَ : «وَكَيْفَ تَرَوْنَ بَرْقَهَا أَوَمِيضًا أَمْ خَفِيًّا أَمْ يَشُقُّ شَقًّا؟» .
قَالُوا : بَلْ يَشُقُّ شَقًّا ، قَالَ : «فَكَيْفَ تَرَوْنَ جَوْنَهَا؟» .
قَالُوا : مَا أَحْسَنَهُ وَأَشَدَّ سَوَادَهُ! فقَالَ عَلَيْه السَّلامُ : «الْحَيَا» فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه ، مَا رَأَيْنَا الَّذي هُوَ منْكَ أَفْصَحُ ، قَالَ : «وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا أُنزِلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِي لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ»

ولد الناقة

حدّثنا أنس بن مالك[1] قال : جاء رجل الى النبي ﷺ ليستحمله فقال : «أنا حاملك على ولد ناقة» .
قال : يا رسول الله ، وما أصنع بولد ناقة؟
قال : «وهل تلد الإبل الا النوق؟» .

نحن من ماء

قال محمد بن إسحاق[2] : لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ، خرج هو ورجلٌ آخر تبعه ، فرأيا رجلاً ، فسألاه عن قريش وعن محمد وأصحابه ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما ؛ فقال رسول الله ﷺ : «إذا أخبرتنا أخبرناك» فقال الشيخ : بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا . ثم قال : ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ : «نحن من ماء» وكان العراق يسمى ماءً ، فأوهمه أنّه من العراق ، وإنّما أراد أنّه خلق من نطفة .

---

(١) أنس بن مالك النجاري الخزرجي خادم رسول الله محمد وصاحبه ، كان يتسمى بخادم رسول الله ويفتخر بذلك .

(٢) ابن إسحاق وهو الإمام أبو بكر محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار المدني . كان مولى لقيس بن مخرمة بن المطلب القرشي ، ولد في المدينة سنة ٨٥ هـ/٧٠٣م ، وبها نشأ ، وكان فتى جميلا وقرأ على علمائها ومحدثيها .

ما فعل شراد جملك؟

قال خوّات بن جبير[١] : نزلت مع رسول الله ﷺ مرّ فقال : «أبا عبد الله! ما فعل شرادُ جملك؟» ثمّ ارتحلنا ، فجعل لا يلحقني في الميسر إلا قال : «السلام عليكم أبا عبد الله ، ما فعل شراد جملك؟» .

قال : فتعجلت إلى المدينة ، فاجتنبت المسجد ومجالسة رسول الله ﷺ ، فلما طال ذلك عليّ تحيّنت ساعة خلوة المسجد ، ثم أتيت المسجد ، فجعلت أصلي ، فخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره ، فجاء ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم جلس ، وطولت رجاء أن يذهب ويدعني ، فقال : «طوّل أبا عبد الله ما شئت ، فلست بقائم حتّى تنصرف» فقلت : والله لأعتذرنّ إلى رسول الله ﷺ ، ولأبرئن صدره ؛ فانصرفت ، فقال : «السلام عليكم أبا عبد الله ، ما فعل شرادُ الجمل؟» . فقلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذاك الجمل منذ أسلمت ، فقال : «رحمك الله» مرتين أو ثلاثاً ، ثم أمسك عني ، فلم يعد .

نعيمان يمازح النبي

عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : كان بالمدينة رجلٌ يقال له : نعيمان[٢] ، وكان لا يدخل المدينة طرفة إلاّ اشترى منها ، ثمّ جاء بها إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله هذا أهديته لك ؛ فإذا جاء صاحبه ، فطالب نعيمان

(١) خوات بن جبير بن أمية بن امرئ القيس ، وهو البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس ، الأنصاري الأوسي ، يكنى أبا عبد الله ، وقيل : أبو صالح . أصاب ساقه حجر فرجع ، فضرب له رسول الله بسهمه . وقال ابن إسحاق : لم يشهد خوات بدراً ، ولكن رسول الله ضرب له بسهمه مع أصحاب بدر ، ومثله قال ابن الكلبي . وهو صاحب ذات النحيين ، وهي امرأة من بني تيم الله كانت تبيع في الجاهلية ، وتضرب العرب المثل بها فتقول : أشغل من ذات النحيين ، وقد روي عن النبي ، صلاة الخوف ، و«ما أسكر كثيره فقليله حرام» . وتوفي بالمدينة سنة أربعين ، وعمره أربع وتسعون سنة ، وكان يخضب بالحناء ، والكتم .

(٢) النعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن النجار الأنصاري ، قال ابن سعد شهد بدرا وأحد والخندق والمشاهد كلها . وكان من صفاته كذلك حب الفكاهة والطرفة وخاصة مع النبي قالت أم سلمة : (كان الضحاك مضحاكا مزاحا) .

بثمنه ، جاء به إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله اعطِ هذا ثمن متاعه ، فيقول رسول الله ﷺ : «أو لم تهده لي؟» فيقول : يا رسول الله! والله لم يكن عندي ثمنه ، ولقد أحببت أن تأكله ؛ فيضحك رسول الله ﷺ ، ويأمر لصاحبه بثمنه .

بعينيه رمداً

عن عبد الجبار بن صيفي ، عن جدّه ، قال : إنّ صهيباً[١] قدم على النبيّ ﷺ ، وبين يديه تمرٌ وخبزٌ ، فقال : «ادن فكل» .

قال : فأخذ يأكل من التمر ، فقال النبي ﷺ : «إنّ بعينك رمداً» فقال : يا رسول الله! أنا آكل من الناحية الأخرى ؛ فتبسم النبي ﷺ .

عدد القوم

وعن على رضي الله عنه قال :

لما سار رسول الله ﷺ الى بدر وجدنا عندها رجلين : رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط . فأما القرشي فأفلت ، وأما مولى عقبة فأخذناه ، فجعلنا نقول له : كم القوم؟ فيقول : هو والله كثير عددهم ، شديد بأسهم .

فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به الى النبي ﷺ ، ثم ان النبي ﷺ سأله : كم ينحرون من الجزر؟

فقال : عشرا لكل يوم .

فقال رسول الله ﷺ : القوم ألف ، كل جزور لمئة وتبعها .

الجار المؤذي

وعن أبي هريرة قال :

قال رجل : يا رسول الله ، ان لي جارا يؤذيني .

فقال : انطلق وأخرج متاعك الى الطريق .

---

(١) صهيب الرومي وهو صهيب بن سنان النمري الربعي ، صحابي من صحابة النبي محمد أسلم مبكرا في دار الأرقم وجهر بإسلامه ولقي في ذلك تعذيبا من قريش . شهد جميع مشاهد وغزوات النبي محمد معه .

فانطلق وأخرج متاعه فاجتمع الناس عليه ، فقالوا ما شأنك؟

قال : لي جار يؤذيني ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : «انطلق وأخرج متاعك الى الطريق» .

فجعلوا يقولون : اللهم العنه ، اللهم اخزه .

فبلغه فأتاه ، فقال : ارجع الى منزلك فوالله لا أؤذيك .

العفو عن القاتل

وعن الحسن[1] أن رجلا أتى رسول الله ﷺ برجل قد قتل حميما له ، فقال له النبي ﷺ : «أتأخذ الدية؟»

قال : لا

قال : أفتعفوا؟

قال : لا .

قال : اذهب فاقتله!

فلما جاوزه الرجل قال رسول الله ﷺ : إن قتله فهو مثله .

فلحق الرجل رجلا فقال له : إن رسول الله ﷺ قال كذا ، فتركه وهو يجر نسعه في عنقه .

قال ابن قتيبة : لم يرد رسول الله ﷺ أنه مثله في المأثم واستيجاب النار ان قتله . وكيف يريد هذه وقد أباح الله عز زجلّ قتله بالقصاص ، ولكن كره رسول الله أن يقتص وأحب له العفو ، فعرّض تعريضا أوهمه به أنه ان هو قتله كان مثله في الاثم ليعفو عنه ، وكان مراده أن يقتل نفسا كما قتل الأوّل نفسا ، فهذا قاتل وهذ قاتل ، فقد استويا في قاتل وقاتل ، الا أ ، الأوّل ظالم والآخر مقتصّ .

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، سبط نبي الإسلام محمد وحفيده وثاني الأئمة عند الشيعة ،أطلق عليه النبي محمد لقب سيد شباب أهل الجنة ، كنيته أبو محمد ، ولد في النصف من شهر رمضان عام ٣ هـ وتوفي سنة ٥٠ هـ ودفن في البقيع .

شهادة بصدق النبي

عن خزيمة بن ثابت[١] أن النبي ﷺ ابتاع فرسا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه ، فأسرع النبي ﷺ في المشي ، وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي ، فيساومون الفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابي في السّوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي ﷺ ، فنادى الأعرابي النبي فقال :

إن كنت مبتاعا هذا الفرس فابتعه وإلا بعته .

فقام النبي فقال : أليس قد ابتعته منك؟

قال لا .

فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان . فطفق الأعرابي يقول : هلمّ شهيدا يشهد أني قد بايعتك .

فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : ويلك ، ان النبي ﷺ لا يقول إلا حقا ، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ومراجعة الأعرابي . فطفق الأعرابي يقول : هلمّ شهيدا يشهد أنى قد بايعتك .

فقال خزيمة : أنا أشهد أنك قد بايعته .

فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال : بما تشهد؟

فقال : بتصديقك يا رسول الله .

فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين .

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال لخزيمة : لم تشهد ولم تكن معنا؟ قال : يا رسول الله أنا أصدّقك بخبر السماء ، أفلا أصدّقك بما تقول؟

الحرب خدعة

ومن المنقول عن نعيم بن مسعود[٢] : بينما الناس على خوفهم يوم الأحزاب أتى

(١) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غيان بن عامر بن خطمة ابن جشم بن مالك بن الأوس ، الأنصاري الأوسي ، صاحب لقب ذو الشهادتين . ثم من بني خطمة ، وأمه كبشة بنت أوس من بني ساعدة ، يكنى أبا عمارة .

(٢) نعيم بن مسعود الأشجعي الغطفاني . صحابي أسلم قبل غزوة الخندق ثم عمل على التفريق بين قريش و اليهود وقومه غطفان .

نعيم بن مسعود رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ولم يعلم بي أحد من قومي ، مرني أمرك .

فقال له رسول الله ﷺ : انما أنت منا رجل واحد ، فخذّل عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة .

فانطلق نعيم حتى أتى بني قريظة فقال لهم : يا معشر قريظة _وكان لهم نديما في الجاهلية _اني لكم نديم وصديق ,قد عرفتم ذلك . قالوا صدقت ,قال : تعلمون والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة ,ان البلد لبلدكم ,به أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم ,وان قريشا وغطفان بلادهم غيرها ,وانما جاؤوا حتى نزلوا معكم, فان رأوا فرصة انتهزوها ,وان رأوا غير ذلك رجعوا الى بلادهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم ,وخلوا بينكم وبين الرجل فلا طاقة لكم به ,فان هم فعلوا ذلك فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم تستوثقون به ,ولا تبرحوا حتى تناجزوا محمدا .

فقالوا : لقد أشرت برأي ونصح .

ثم ذهب الى قريش فأتى أبا سفيان[(١)] وأشراف قريش ، فقال : يا معشر قريش ، انكم قد عرفتم ودّي ايّاكم وفراقي محمدا ودينه ، واني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا علي .

فقالوا : نفعل ، ما أنت عندما بمتهم .

فقال : تعلمون أن بني قريظة من يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، فبعثوا اليه : ألا يرضيك أن نأخذ لك من القوم رهنا من أشرافهم ، فندفعهم اليك ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك حتى نخرجهم من بلادك؟ فقال : بلى ، فان بعثوا اليكم يسألونكم نفرا من رجالكم ، فلا تعطوهم رجلا واحدا فاحذروا .

ثم جاء غطفان فقال : يا معشر غطفان ، قد علمتم أني رجل منكم .

قالوا : صدقت .

قال لهم كما قال لهذا الحي من قريش .

---

(١) أبو سفيان وهو صخر بن حرب الأموي القرشي الكناني ، سيد قبائل قريش وكنانة وأحد أشراف العرب وساداتهم في الجاهلية وصدر الإسلام ولد في مكة قبل عام الفيل بعشر سنين ، وأسلم يوم فتح مكة .

فلما أصبحوا بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل[1] في نفر من قريش : ان أبا سفيان يقول لكم يا معشر يهود ان الكراع والخف قد هلكا ، انا لسنا بدار مقام ، فاخرجوا الى محمد حتى نناجزه ، فبعثوا اليه أن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم ، لا تذهبوا وتدعونا نناجز محمدا .

فقال أبو سفيان : قد والله حذرنا نعيم . فبعث إليهم أبو سفيان : انا لا نعطيكم رجلا واحدا ، فان شئتم أن تخرجوا فتقاتلوا وإن شئتم فاقعدوا ، فقالت يهود : هذا والله الذي قال لنا نعيم . والله ما أراد القوم الا أن يقاتلوا محمدا فان أصابوا فرصة انتهزوها والا مضوا بلادهم وخلوا بيننا وبين الرجل ، فبعثوا إليهم : انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فأبوا ، فبعث الله تعالى الريح على أبي سفيان وأصحابه وغطفان فخذلهم الله عز وجلّ .

الراوي أشعب[2]

قيل لأشعب : قد لقيت رجالاً من الصحابة رضي الله عنهم فلو حفظت أحاديث تتحدث بها ؟!!

فقال : أنا أعلم الناس بالحديث !!

قالوا : فحدثنا .

قال حدثني عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال رسول الله : «خلتان لا يجتمعان في مؤمن إلا دخل الجنة» ، ثم سكت !!

قالوا : هات ، ما الخلتان ؟!!!

قال : نسي عكرمة أحدهما . . ونسيت أنا الأخرى .

(١) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي الكناني كان سيدا من سادات بني قريش من قبيلة كنانة وكان من أشد المعادين لنبي المسلمين محمد وكنيته أبا الحكم ولكن أبو جهل كناه بها الوليد بن المغيرة وقيل محمد ﷺ وكان أبوه هشام بن المغيرة سيد بني مخزوم من كنانة في حرب الفجار ضد قبائل قيس عيلان .

(٢) شعيب بن جبير ، وقد ولد في سنة تسع من الهجرة ، وكان أبوه من مماليك عثمان بن عفان ، وقد عمر أشعب حتى أيام خلافة المهدي . وهو أحد ظرفاء أهل المدينة ، عرف بالطمع وكان له طرائف كثيرة ما زالت تروى في القصص الشعبية .

استخلاف أبي بكر بن أبي قحافة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال الشيخ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي : واسمه عبد الله ولقبه عتيق ، واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأم أبي بكر أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب –أخو عمرو بن كعب– بن سعد بن تيم بن مرة بن لؤي بن غالب .

قال محمد بن الحسن بن قتيبة اللخمي بعسقلان : حدثنا محمد بن المتوكل ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : كنت عند عبد الرحمن بن عوف(١) في خلافة عمر بن الخطاب ، فلما كان في آخر حجة حجها عمر أتاني عبد الرحمن بن عوف في منزلي عشاء فقال : لو شهدت أمير المؤمنين اليوم وجاءه رجل وقال : يا أمير المؤمنين! إني سمعت فلانا يقول : لو مات أمير المؤمنين لبايعت فلانا ، فقال عمر : إني لقائم العشية في الناس ومحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا المسلمين أمرهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين :

إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، وإنهم الذين يغلبون على مجلسك ، وإني أخشى أن تقول فيهم اليوم مقالة لا يعونها ولا يضعونها مواضعها ، وأن يطيروا بها كل مطير ، ولكن أمهل يا أمير المؤمنين حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ودار الهجرة فتخلص بالمهاجرين والأنصار وتقول ما قلت متمكنا فيعون مقالتك ويضعونها مواضعها ، قال عمر : أما والله لأقومن به في أول مقام أقومه بالمدينة! قال ابن عباس : فلما قدمنا المدينة وجاء يوم الجمع هجّرت لما حدثني عبد الرحمن ابن عوف فوجدت سعيد بن زيد بن نفيل(٢) قد سبقني بالهجرة جالسا إلى جنب المنبر فجلست إلى جنبه تمس ركبتي ركبته ، فلما زالت الشمس خرج علينا عمر فقلت وهو مقبل : أما والله ليقولن اليوم أمير المؤمنين على هذا المنبر مقالة لم يقل عليه أحد قبله ، قال : فغضب سعيد بن زيد فقال : وأيّ مقال يقول لم يقل قبله؟ فلما ارتقى عمر المنبر أخذ

---

(١) الصحابي عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٢) الصحابي سعيد بن زيد العدوي القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، أسلم قبل أن يدخل النبي دار الأرقم .

المؤذن في أذانه فلما فرغ من أذانه قام عمر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد! فإني أريد أن أقول مقالة قد قدر لي أن أقولها ، لا أدري لعلها بين يدي أجلي ، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته ، ومن خشي أن لا يعيها فإني لا أحل لأحد أن يكذب عليّ : إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب ، وكان مما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، وإني خائف أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، ألا! وإن الرجم على من أحصن إذا زنى وقامت عليه البينة أو كان الحمل أو الاعتراف ، ثم إنا قد كنا نقرأ ولا ترغبوا عن آبائكم ثم إن رسول الله ﷺ قال : «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله» . ثم إنه بلغني أن فلانا منكم يقول : لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلانا ، فلا يغتر امرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك ، ألا وإن الله وقى شرها ودفع عن الإسلام والمسلمين ضرها ، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر وإنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله ﷺ ، إن عليا والزبير ومن تبعهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة وتخلفت عنا الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت : يا أبا بكر! انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم فلقينا رجلين صالحين من الأنصار شهدا بدرا فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء الأنصار ، قالا : فارجعوا فامضوا أمركم بينكم ، فقلت : والله لنأتينهم! فأتيناهم فإذا هم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة بين أظهرهم رجل مزمل ، قلت : من هذا؟ قالوا : سعد بن عبادة[(١)] ، قال : قلت : ما شأنه؟ قالوا : وجع» ، فقام خطيب الأنصار فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد! فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رهط منا وقد دفت إلينا دافة منكم وإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويحضنونا بأمر دوننا ، وقد كنت زورت في نفسي مقالة أريد أن أقوم بها بين يدي أبي بكر وكنت أداريء من أبي بكر بعض الحد وكان أوقر مني وأحلم ، فلما أردت الكلام قال : على رسلك! فكرهت أن أغضبه ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ووالله ما ترك

(١) سعد بن عبادة الأنصاري الساعدي الخزرجي أبو ثابت ، وقيل أبو قيس . زعيم الخزرج قبل الإسلام . صحابي أسلم مبكرا ، وشهد بيعة العقبة ، وعاش إلى جوار الرسول محمد .

كلمة قد كنت زورتها إلا جاء بها أو بأحسن منها في بديهته ثم قال : أما بعد! وأما ما ذكرتم فيكم من خير يا معشر الأنصار فأنتم له أهل ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب دارا ونسبا ، ولقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح ، فوالله ما كرهت مما قال شيئا غير هذه الكلمة ؛ كنت لأن أقدم فتضرب عنقي ، لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إليّ من أن أتأمرعلى قوم فيهم أبو بكر ، فلما قضى أبو بكر مقالته قام رجل من الأنصار فقال : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وإلا أجلنا الحرب فيما بيننا وبينكم خدعة ، قال معمر : فقال قتادة : قال عمر : فإنه لا يصلح سيفان في غمد ، ولكن منا الأمراء ومنكم الوزراء ، قال معمر عن الزهري في حديثه : فارتفعت الأصوات بيننا وكثر اللغط حتى أشفقت الاختلاف فقلت : يا أبا بكر! ابسط يدك أبايعك ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار ، قال : ونزونا على سعد بن عبادة حتى قال قائل منهم : قتلتم سعدا ، قال قلت : قتل الله سعدا! وأنا والله ما رأينا فيما حضرنا أمرا كان أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فأما أن نتابعهم على ما لا نرضى ، وإما أن نخالفهم فيكون فسادا فلا يغرن امرأ يقول : كانت بيعة أبي بكر فلتة ، وقد كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها وليس فيكم من يقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر ، فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فإنه لا يبايع هو ولا الذي بايعه بعده ؛ قال الزهري : وأخبرني عروة أن الرجلين اللذين لقياهما من الأنصار عويم بن ساعدة ومعن بن عدي ، والذي قال «أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب» الحباب بن المنذر .

قال أبو حاتم(١) : نظر المسلمون إلى أعظم أركان الدين وعماد الإسلام للمؤمنين فوجدوها الصلاة المفروضة ، وإن رسول الله ﷺ ولّى أبا بكر إقامتها في الأوقات المعلومات ، فرضي المسلمون للمسلمين ما رضي لهم رسول الله ﷺ فبايعوه طائعين

(١) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران ، الحنظلي الغطفاني ، من تميم بن حنظلة بن يربوع ، وقيل : عرف بالحنظلي لأنه كان يسكن في درب حنظلة ، بمدينة الري ، بدأ كتابة الحديث سنة تسع ومائتين أي وعمره أربع عشرة سنة ، ورحل في طلبه وهو صغير ، فرحل إلى الكوفة والبصرة وبغداد ودمشق وحمص ، ورحل إلى مصر وبقي في الرحلة زمانا .

في سائر الأركان ، وبايعوه في السر والإعلان .

فلما كان اليوم الثاني قام عمر بن الخطاب على المنبر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس! إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا مني وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدا عهده إليّ رسول الله ﷺ ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيأمرنا بقول يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان قد هدى به أهله ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم : صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا إليه فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس! فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم بالبلاء ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ؛ قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

فلما فرغ الناس من بيعة أبي بكر وهو يوم الثلاثاء أقبلوا على جهازه ﷺ فاختلفوا في غسله فقالوا : والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه ، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم السبات حتى ما منهم أحد إلا وذقنه في صدره ، ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت- لا يدرى من هو- أن اغسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ، فقاموا فغسلوه وعليه قميصه ، فأسنده عليّ إلى صدره ، فكان العباس والفضل والقثم يقلبونه ، وكان أسامة بن زيد وشقران مولياه يصبان عليه الماء وعليّ يغسله ويدلكه من ورائه لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : بأبي أنت وأمي! ما أطيبك حيا وميتا! ولم ير من رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، أدرج فيها إدراجا . ثم دخل الناس يصلون عليه أرسالا ، بدأ به الرجال حتى إذا فرغوا أدخل»

النساء ثم أدخل الصبيان ثم أدخل العبيد ، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد . وكان أبو عبيدة بن الجراح يحفر كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن

سهل يحفر كحفر أهل المدينة وكان يلحد ، فدعا العباس بن عبد المطلب رجلين فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة ، وقال للآخر : اذهب إلى أبي طلحة ، فقال :

اللهم! خر لرسولك ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ . وكان المسلمون اختلفوا في دفنه فقائل يقول : ندفنه في مسجده ، وقائل يقول : ندفنه مع أصحابه ؛ فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض» ، فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه ، فحفر أبو طلحة تحته . ثم دفن ﷺ ليلة الأربعاء حين زاغت الشمس ، ونزل في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله ﷺ وطرح تحته قطيفة ، وكان آخرهم عهدا به قثم بن العباس ، وكان المغيرة بن شعبة يقول : لا بل أنا ، وكان يحكي قصة .

ثم قام أبو بكر في الناس خطيبا بعد خطبته الأولى فقال : الحمد لله أحمده وأومن بوحدانيته وأستعينه على أمركم كله سره وعلانيته ، ونعوذ بالله مما يأتي به الليل والنهار ، وترتكب عليه السر والجهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله حافظا ونصيرا ، وأن محمدا عبده ورسوله بالحق بشيرا ونذيرا قدام الساعة ، فمن أطاعه رشد ، ومن عصاه هلك وشرد ، فعليكم أيها الناس بتقوى الله! فإن أكيس الكيس التقوى ، وإن أحمق الحمق الفجور ، فاتبعوا كتاب الله واقبلوا نصيحته ، واقتدوا بسنة رسوله وخذوا شريعته ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وهو الحكيم العليم ، وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا واحذروا الخطايا التي لكل بني آدم فيها نصيب ، وتزودوا للآخرة فإن المصير إليها قريب ، ولكن خيركم من اتبع طاعة الله واجتنب معصيته ، فاحذروا يوما لا ينفع فيه من حميم ولا شفيع ، ولا حميم يطاع ، وليعمل عامل ما استطاع من عمل يقربه إلى ربه ، واعملوا من قبل أن لا تقدروا على العمل ، وإنّ الله لو شاء لخلقكم سدى ، ولكن جعلكم أئمة هدى ، فاتبعوا ما أمركم الله به واجتنبوا ما نهاكم عنه ، واعملوا الخير فإن قليله كثير نام مبارك ، واتقوا الله حق تقاته ، واحذروا ما حذركم في كتابه ، وتوقوا معصيته خشية من عقابه ، فليس فيها رغبة لأحد ، واستعفوا عما حرم الله وأمر باجتنابه ، وإياكم والمحقرات فإنها تقرب إلى الموجبات ، واعملوا قبل أن لا تعملوا ، وتوبوا من الخطايا التي لا يغسلها إلا الله برحمته ، وصلوا على نبيكم كما أمركم ربكم ؛ ثم قال : أيها الناس! إن الذي رأيتم مني لم يكن على حرص على ولايتكم ، ولكني خفت الفتنة والاختلاف فدخلت

فيها ، وهأنذا وقد رجع الأمر إلى أحسنه وكفى الله تلك الثائرة ، وهذا أمركم إليكم تولوا من أحببتم من الناس وأنا أجيبكم على ذلك ، وأكون كأحدكم ، فأجابه الناس : رضينا بك قسما وحظا إذ أنت ثاني اثنين مع رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر :

اللهم! صل على محمد والسلام على محمد ورحمة الله وبركاته ، اللهم! إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونؤمن بك ونخلع من يكفرك .

ثم نزل واستقام له الأمر بعد رسول الله ﷺ وبايعه الناس ورضوا به وسموه «خليفة رسول الله ﷺ» إلا شرذمة مع علي بن أبي طالب ، تخلفوا عن بيعته .

وكان أسامة بن زيد[١] يقول : أمرني رسول الله ﷺ أن أغير صباحا على أهل أبني[٢] ثم أمر أبو بكر أن يبعثوا بعث أسامة بن زيد فقال له الناس : إن العرب قد انتقضت عليك ، وإنك لا تصنع بتفرق المسلمين عنك شيئا ، قال : والذي نفس أبي بكر بيده! لو ظننت أن السباع أكلتني بهذه القرية لأنفذت هذا البعث الذي أمر رسول الله ﷺ بإنفاذه ، ثم قال أبو بكر لأسامة : إن تخلف معي عمر بن الخطاب فافعل ، فأذن له أسامة فتخلف عمر مع أبي بكر ومضى أسامة حتى أوطأهم ، ثم رجع فسمع به المسلمون فخرجوا مسرورين بقدومه ولواءه معقود حتى دخل المسجد فصلى ركعتين ثم دخل بيته ولواءه معقود ، ويقال : إنه لم يحل اللواء حتى توفي و وضعه في بيته .

ثم كتب أبو بكر الصديق كتابا إلى معاذ بن جبل[٣] يخبره بموت رسول الله ﷺ ، وبعثه مع عمار بن ياسر ، وقد كان معاذ أتى اليمن فبينا هو ذات ليلة على فراشه إذا هو

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي هو وأبوه صحابيان ، كنيته أبو محمد ، ويقال : أبو زيد . وأمه أم أيمن حاضنة محمد بن عبد الله نبي الإسلام ، ومولاه ، وابن مولاه ، قال ابن سعد : ولد أسامة في الإسلام ومات النبي وله عشرون سنة .

(٢) أبني : موضع بالشام من جهة البلقاء جاء ذكره في قول النبي ﷺ لأسامة بن زيد حيث أمره بالمسير إلى الشام وشن الغارة على أبني .

(٣) معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس ، يكنى أبا عبد الرحمن ، إمام فقيه ، وعالم ، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع الرسول محمد ﷺ ، وأردفه الرسول وراءه ، وشيعه ماشيًا في مخرجه وهو راكب ، وبعثه قاضيًا إلى الجند من اليمن بعد غزوة تبوك وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة ليعلِّم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم ، وكان له من الولد عبد الرحمن وأم عبد الله وولد آخر لم يذكر اسمه .

بهاتف يهتف عند رأسه : يا معاذ! كيف يهنئك العيش ومحمد في سكرات الموت؟ فوقف فزعا ، ما ظن إلا أن القيامة قد قامت ، فلما رأى السماء مصحية والنجوم ظاهرة استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم نودي الليلة الثانية : يا معاذ! كيف يهنئك العيش ومحمد بين أطباق الثرى؟ فجعل معاذ يده على رأسه وجعل يتردد في سكك صنعاء وينادي بأعلى صوته : يا أهل اليمن! ذروني لا حاجة لي في جواركم ، فما شر الأيام يوم جئتكم وفارقت رسول الله ﷺ ! فخرج الشبان من الرجال والعواتق من النساء وقالوا : يا معاذ! ما الذي دهاك؟ فلم يلتفت إليهم وأتى منزله وشد على راحلته وأخذ جرابا فيه سويق وأداوة من ماء ثم قال : لا أنزل عن ناقتي هذه إن شاء الله إلا لوقت صلاة حتى آتي المدينة ، فبينا هو على ثلاثة مراحل من المدينة إذ لقيه عمار فعرفه بالبعير ، قال : اعلم يا معاذ أن محمدا قد ذاق الموت وفارق الدنيا ، فقال معاذ : يا أيها الهاتف في هذا الليل القار من أنت يرحمك الله! قال : أنا عمار بن ياسر ، قال : وأين تريد؟ قال : هذا كتاب أبي بكر إلى معاذ يعلمه أن محمدا قد مات وفارق الدنيا ، قال معاذ : فإلى من المهتدى والمشتكى؟ فمن لليتامى والأرامل والضعفاء؟ ثم سار ورجع عمار معه وجعل يقول : نشدتك بالله كيف أصحاب محمد قال : تركتهم كنعم بلا راع ، قال : كيف تركت المدينة ، قال : تركتها وهي أضيق على أهلها من الخاتم ، فلما كان قريبا من المدينة سمعت عجوزا وهي تذكر رسول الله ﷺ وهي تبكي ، فقالت : يا عبد الله! لو رأيت ابنته فاطمة وهي تبكي وتقول : يا أبتاه! إلى جبريل ننعاه! يا أبتاه! انقطع عنا أخبار السماء ، ولا ينزل الوحي إلينا من عند الله أبدا ، فدخل معاذ المدينة ليلا وأتى باب عائشة فدق عليها الباب فقالت : من هذا الذي يطرق بنا ليلا؟ قال : أنا معاذ بن جبل ، ففتحت الباب فقال : يا عائشة! كيف رأيت رسول الله ﷺ عند شدة وجعه؟

قالت : يا معاذ! لو رأيت رسول الله ﷺ يصفار مرة ويحمار أخرى ، يرفع يدا ويضع أخرى لما هنأك العيش طول أيام الدنيا! فبكى معاذ حتى خشي أن يكون الشيطان قد استفزه ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأتى أصحاب محمد ﷺ .

ثم ظهر طليحة في أرض بني أسد ومالت فزارة فيها عيينة بن حصن بن بدر مرتدين عن الإسلام وبايعه بنو عامر على مثل ذلك ، وتربصوا ينظرون الوقعة بين المسلمين وبين بني أسد وفزارة . وقد كان أمر رسول الله ﷺ الذين بعثهم على الصدقات قد جمعوا ما كان على الناس منها ، فلما بلغهم وفاة رسول الله ﷺ فأما

عدي بن حاتم فتمسك بالإسلام وبقي في يده الصدقات ، وكذلك الزبرقان بن بدر ، وأما مالك بن نويرة فأرسل ما في يده وقال لقومه : قد هلك هذا الرجل فشأنكم بأموالكم ، وقد كانت طيء وبنو سعد كلمهما عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فقالا - وهما كانا أحزم رأيا وأفضل في الإسلام رغبة من مالك بن نويرة- لقومهما : لا تعجلوا فإنه ليكونن لهذا الأمر قائم ، فإن كان ذلك كذلك ألقاكم ولم تبدلوا دينكم ولم تعزلوا أمركم ، وإن كان الذي تطلبون فلعمري إن ذلك أموالكم بأيديكم ، لا يغلبنكم عليها أحد غيركم ، وسكناهم بذلك حتى أتاهم خبر الناس واجتماعهم على أبي بكر بعد رسول الله ﷺ وبيعة المسلمين إياه فبعثا ما بأيديهم من الصدقة إلى أبي بكر ، فلم يزل أبو بكر يعرف فضلهما على من سواهما من المسلمين .

ثم جهز أبو بكر الجيش ليقاتل من كفر من العرب ، فترك إعطاء الصدقات وارتد عن الإسلام ، فقال له عمر : كيف تقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» ، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والذي نفس أبي بكر بيده! لو منعوني عقالا أو عناقا- كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه حتى آخذها ، قال عمر : فلما رأيت شرح صدر أبي بكر لقتالهم علمت أنه الحق . فأمر أبو بكر على الناس خالد بن الوليد وأمر ثابت بن قيس بن شماس على الناس الأنصار»

وجمع أمر الناس إلى خالد بن الوليد[(١)] ، ثم أمرهم أن يسيروا وسار معهم مشيعا حتى نزل ذا القصة من المدينة على بريد وأميال فضرب معسكره وعبأ جيشه ثم تقدم إلى خالد بن الوليد وقال : إذا غشيتم دارا من دور الناس فسمعتم أذانا للصلاة فأمسكوا عنها حتى تسألوهم ما الذي يعلمون ، وإن لم تسمعوا الأذان فشنوا الغارة واقتلوا وحرقوا ، ثم أمر خالد بن الوليد أن يصمد لطليحة وهو على ماء من مياه بني أسد ؛ وكان طليحة يدعي النبوة وينسج للناس الأكاذيب والأباطيل ويزعم أن جبريل يأتيه ، وكان يقول للناس : أيها الناس! إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئا ، واذكروا الله قعودا و قياما ، وجعل يعيب الصلاة ويقول : إن الصريح تحت

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي صحابي وقائد عسكري مسلم ، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول .

الرغوة ، وكان أول ما ابتلى من الناس طليحة أنه أصلب هو وأصحابه العطش في منزلهم فيه ، فقال طليحة فيما شجع لهم من أباطيله : اركبوا علالا يعني فرسا ، واضربوا أميالا تجدوا قلالا ؛ ففعلوا فوجدوا ماء ، فافتتن الأعراب به ، ثم قال أبو بكر لخالد بن الوليد : لآتيك من ناحية خيبر إن شاء الله فيمن بقي من المسلمين ، وأراد بذلك أبو بكر أن يبلغ الخبر الناس بخروجه إليهم ، ثم ودع خالدا ورجع إلى المدينة . ومضى خالد بالناس وكانت بنو فزارة وأسد يقولون : والله! لا نبايع أبا الفصيل - يعنون أبا بكر ، وكانت طيء على إسلامها ، لم تزل عنه مع عدي بن حاتم ومكنف بن زيد الخيل ، فكانا يكالبانها ويقولان لبني فزارة : والله! لا نزال نقاتلكم إن شاء الله ، فلما قرب خالد بن الوليد من القوم وبعث عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم أخا بني العجلان طليعة أمامه ، وخرج طليحة بن خويلد[1] المتنبىء وأخوه سلمة بن خويلد أيضا طليعة لمن وراءهما فالتقيا عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم فانفرد طليحة بعكاشة ، وسلمة بن خويلد بثابت ، فأما سلمة فلم يلبث ثابتا أن قتله ؛ ثم صرخ طليحة وقال : يا سلمة! أعني على الرجل فإنه قاتلي ، فاكتنفا عكشاة حتى قتلاه ، وكرا راجعين إلى من وراءهما ، فلما وصل خالد والمسلمون إلى ثابت بن أقرم وعكاشة بن محصن وهما قتيلان عظم ذلك على المسلمين وراءهم ، ثم مضى خالد حتى نزل على طيء في خللهم سلمى ؛ فضرب معسكره وانضم إليه من كان من المسلمين في تلك القبائل ، ثم تهيأ للقتال وسار إلى طليحة وهو على مائة ، والتقى معه طليحة في سبعمائة رجل من بني فزارة ، فاقتتلوا قتالا شديدا وطليحة متلفف في كساء له بفناء بيت له من شعر ، يتنبأ ويسجع ، فهز عيينة بن حصن الحرب وشد القتال ثم كر على طليحة فقال : هل جاءك جبريل بعد؟ قال : لا ، فرجع عيينة وقاتل حتى إذا هزته الحرب كر عليه ثانيا وقال : لا أبا لك! هل جاءك جبريل بعد؟ قال : نعم! قال : فماذا قال لك ، قال :

قال لي : إن لك رحى كرحاه ، وحديثا لا تنساه ، قال عيينة : أظن الله أنه قد علم أنه سيكون لك حديث لا تنساه يا بني فزارة هكذا ، فانصرفوا فهذا والله كذاب ،

(١) طليحة بن خويلد الأسدي من قادة حروب الردة بعد وفاة النبي محمد سنة ١١ هـ . ادّعى النبوة في قومه بني أسد وتبعه بعض طيء وغطفان في أرض نجد ، إلا أنه هزم مع أتباعه على يد خالد بن الوليد في معركة بزاخة ودخل الإسلام على إثر ذلك .

فانصرف وانصرفت معه فزارة وانهزم الناس ، وكان طليحة قد أعد فرسا له عنده وهيأ بعيرا لا مرأته النوار ، ثم اجتمعت إليه فزارة وهم مبارزون فقالوا : ما تأمرنا فلما سمع منهم ذلك استوى على فرسه وحمل امرأته على البعير ثم نجابها ، وقال لهم : من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت وينجو بأهله فليفعل . ثم سلك الحوشية حتى لحق بالشام وانصرفت فزارة ، وقتل منهم من قتل ، ثم دخلت القبائل في الإسلام على ما كانوا عليه من قبل .

الهادي

من المنقول عن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

لمّا هاجر رسول الله ﷺ يركب ، وأبو بكر رديفه . وكان أبو بكر يعرف الطريق لاختلافه الى الشام .

فكان يمرّ بالقوم فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر؟

فيقول : هاد يهديني .

وعن الحسن قال :

لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر من الغار لم يستقبلهما أحد يعرف أبا بكر الا قال له : من هذا معك يا أبا بكر؟ فيقول : دليل يدلّني الطريق .

صاحب رسول الله

عن أبي الدرداء(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : كنت جالسا عند النبي ﷺ ، إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبي ﷺ : «أما صاحبكم فقد غامر» . فسلم ، وقال : «إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ ، فأقبلت إليك» . فقال عليه الصلاة والسلام : «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثا . ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر ، فسأل : «أثمّ أبو بكر؟» فقالوا : لا . فأتى إلى النبي ﷺ فسلم ، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعرّ ،

(١) أبو الدرداء الانصاري هو عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي ، صحابي من الأنصار يلقب بحكيم الأمة ، أسلم يوم بدر ، كان تاجرا في المدينة المنورة وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي . ولاه معاوية بن أبي سفيان قضاء دمشق بأمر من عمر بن الخطاب .

حتى أشفق أبو بكر ، فجثا على ركبتيه فقال : «يا رسول الله ، والله أنا كنت أظلم مرتين» . فقال النبي ﷺ : «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» . مرتين ، فما أوذي بعدها

لا عافاك الله

مرّ رجل بأبي بكر ومعه ثوب ، فقال : أتبيع الثوب؟ فقال : لا عافاك الله . فقال أبو بكر رضي الله عنه : لقد علّمتم لو كنتم تعلمون . قل :

لا ، وعافاك الله .

على فراش الموت

قال أبو العباس : ومما يؤثر من حكيم الأخبار ، وبارع الآداب ، ما حدثنا به عن عبد الرحمن بن عوف وهو أنه قال :

دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رحمة الله عليه في علته التي مات فيها ،
فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله ،
فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ،
ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي .
إني ولَّيْتُ أموركم خيركم في نفسي ،
فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه ،
والله لتتخذن نضائد الديباج ، وستور الحرير ،
ولتألمن النوم على الصوف الأذربي كما يألم أحدكم
النوم على حسك السعدان ،
والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه
في غير حدٍّ خير له من أن يخوض غمرات الدنيا .
يا هادي الطريق جرت ، إنما هو والله الفجر أو البحر .
فقلت : خفض عليك يا خليفة رسول الله ،
فإن هذا يهيضك إلى ما بك ، فوالله ما زلت صالحاً مصلحاً ،
لا تأس على شيء فاتك من أمر الدنيا ،
ولقد تخليت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً

استخلاف عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو حفص العدوي ، وأم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أخت أبي جهل بن هشام .

عن محمد بن القاسم الدقاق قال : حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا هارون بن زياد الحنائي حدثنا الحارث بن عمير عن حميد عن أنس قال : قال النبي ﷺ : «اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر» .

قال أبو حاتم : فلما حانت منية أبي بكر رحمة الله عليه اغتسل قبلها يوم الإثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما حتى قطعته العلة عن حضور الصلاة وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس ، وكان الناس يعودونه وهو في منزله الذي أقطع له النبي ﷺ وجاه دار عثمان بن عفان اليوم ، فبينا هو في ليلة من الليالي عند نسائه أسماء بنت عميس وحبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير وبناته أسماء وعائشة وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر إذ قالت عائشة : أتريد أن تعهد إلى الناس عهدا؟ قال : نعم ، قالت : فبين للناس حتى يعرفوا الوالي بعدك ، قال : نعم ، قالت عائشة : إن أولى الناس بهذا الأمر بعدك عمر ، وقال عبد الرحمن بن أبي بكر : إن قريشا تحب ولاية عثمان بن عفان ، وتبغض ولاية عمر لغلظه ، فقال أبو بكر : نعم الوالي عمر ، وما هو بخير له أن يلي أمر أمة محمد ، أما إنه لا يقوى عليهم غيره ، إن عمر رآني لينا فاشتد ، ولو كان واليا لـلان لأهل اللين واشتد على أهل الريب ، فلما أصبح دعا نفرا من المهاجرين والأنصار يستشيرهم في عمر ، منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فقال لعبد الرحمن بن عوف :

يا أبا محمد! أخبرني عن عمر ، فقال : يا خليفة رسول الله! هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة ، فقال لعبد الرحمن بن عوف :

ذلك لأنه رآني لينا فاشتد ، ولو آل إليه الأمر لترك كثيرا مما هو عليه اليوم ، إني إذا غضبت على الرجل أراني الرضا عنه وإذا لنت له أراني الشدة عليه ، لا تذكر يا أبا محمد مما ذكرت لك شيئا ، قال : نعم ، ثم دعا عثمان بن عفان فقال :

يا أبا عبد الله! أخبرني عن عمر ، فقال : أنت أخبر به ، فقال أبو بكر : فعليّ ذلك ، قال : إن علمي أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله ، قال : يرحمك الله يا أبا عبد الله! لا تذكر مما ذكرت لك شيئا ، قال : أفعل ، فقال له أبو بكر : لو تركته ما عدوتك ، وما أدري لعلي تاركه ، والخيرة له ألا يلي أمركم ، ولوددت أني خلو من أمركم ، وأني كنت فيمن مضى من سلفكم ؛ ثم قال لعثمان : اكتب : هذا ما عهد عليه أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ، أما بعد ؛ ثم أغمي عليه فذهب عنه فكتب عثمان : أما بعد ، فقد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا ، ثم أفاق أبو بكر فقال : اقرأ عليّ ، فقرأ عليه ذكر عمر ، فكبر أبو بكر فقال : جزاك الله عن الإسلام خيرا! ثم رفع أبو بكر يديه فقال : اللهم! وليته بغير أمر نبيك ، ولم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به ، وقد حضر من أمري ما قد حضر ، فاجتهدت لهم الرأي فوليت عليهم خيرهم لهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على رشدهم ، ولم أرد محاباة عمر ، فاجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وهدى الصالحين بعده وأصلح له رعيته ، وكتب بهذا العهد إلى الشام إلى المسلمين إلى أمراء الأجناد أن قد وليت عليكم خيركم ولم آل لنفسي ولا للمسلمين خيرا .

وأوصى أن تغسله أسماء بنت عميس(١) ، ثم نادى عمر بن الخطاب فقال له :

إني مستخلفك على أصحاب رسول الله ﷺ ، يا عمر : إن لله حقا في الليل لا يقبله في النهار ، وحقا في النهار لا يقبله في الليل ، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، يا عمر! إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الحق أن يكون ثقيلا ، يا عمر! إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الباطل أن يكون خفيفا ، يا عمر! إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا ، فلا ترغب رغبة فتتمنى على الله فيها ما ليس لك ، ولا ترهب رهبة تلقى فيها يديك ، يا عمر! إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم ردا عليهم ما كان من خير ، فإذا ذكرتهم قلت : لأرجو ألا أكون منهم ، وإنما ذكر أهل الجنة

(١) أسماء بنت عميس الخثعمية صحابية كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب ثم لأبي بكر الصديق ثم لعلي بن أبي طالب . هاجرت أسماء للحبشة ثم إلى يثرب ، لذا فتُكنّى بصاحبة الهجرتين .

بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء ، فإذا ذكرتهم قلت : أي عمل من أعمالهم أعمل! فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من الحاضر من الموت ولست بمعجزه .

وتوفي أبو بكر رضي الله عنه ليلة الإثنين لسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة ، وله يوم مات اثنتان وستون سنة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوما ، وكان مرضه خمس عشرة ليلة ، وغسلته أسماء بنت عميس ، وكفن في ثلاثة أثواب ، ونزل في قبره عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ودفن ليلا بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأراد ابن عمر أن ينزل قبر أبي بكر مع أبيه فقال له عمر : قد كفيت ، وكان أبو قحافة بمكة فسمع الهائعة[1] فقال : ما هذا؟ فقيل : مات ابنك ، فقال : رزء جليل ، فإلى من عهد؟ قالوا : لعمر ، قال : صاحبه ؛ وورثه أبو قحافة السدس ، وكان من عمال أبي بكر يوم توفي عتاب بن أسيد على مكة ، وعثمان بن أبي العاص على الطائف ، والعلاء بن الحضرمي على البحرين ، ويعلى بن أمية على خولان ، ومهاجر بن أبي أمية على صنعاء ، وزياد بن لبيد على حضر موت ، وعمرو بن العاص[2] على فلسطين ، وعلى الشام أربعة نفر من الأجناد : خالد بن الوليد ، وأبوعبيدة بن الجراح[3] ، وشرحبيل بن حسنة[4] ، ويزيد بن أبي

(١) الصَّوتُ المفزع .

(٢) عمرو بن العاص السهمي القرشي الكناني (٥٩٢م - ٦٨٢م) ، أبو عبد الله ، ابن سيد بني سهم من قريش العاص بن وائل السهمي ، أرسلته قريش قبل إسلامه إلى الحبشة ليطلب من النجاشي تسليمه المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة فرارا من الكفار وإعادتهم إلى مكة لمحاسبتهم وردهم عن دينهم الجديد فلم يستجب له النجاشي . وبعد إسلامه فتح مصر بعد أن قهر الروم وأصبح والياً عليها بعد أن عينه عمر بن الخطاب . و أبرز ما عرف عن عمرو بن العاص أنه كان أدهى دهاة العرب في عصره ، فقد نقلت عن سعة حيلته و عبقرية تدبيره روايات تشبه الأساطير ، حتى ان الخليفة عمر بن الخطاب لقبه بأرطبون العرب .

(٣) أبو عبيدة بن الجراح الفهري القرشي ، صحابي جليل وأمين الأمة الإسلامية .

(٤) شُرَحبيل بن حسَنة يعتقد أنه نسب إلى أمه حسنة العدوية ولا يعرف شيء عن أبيه صحابي من صحابة النبي محمد صلى الله عليه و سلم ومن مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية وكان من قادة جيش أبي عبيدة بن الجراح وفاتح غور الأردن .

سفيان[١] ؛ ومات أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ في اليوم الذي دفن فيه أبو بكر .

ثم قام عمر بن الخطاب في الناس خطيبا وهي أول خطبة خطبها بعد ما استخلف ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس! إني لا أعلمكم من نفسي شيئا تجهلونه ، أنا عمر بن الخطاب وقد علمتم من هيئتي وشأني ، وإن بلاء الله عندي في الأمور كلها حسن ، وقد فارقني رسول الله ﷺ وهو عني راض بحمد الله ، ولم يجد عليّ في شيء من خلقي وأنا أسعد الناس بذلك إن شاء الله ، وقمت لخليفته من بعده بحق الطاعة وأحسنت له المؤازرة ، ولم أحرص على القيام عليكم كالذي حرص عليّ ولكن خليفتكم المتوفى أوصى إليّ بالخلافة عليكم برضى منكم ، وآلوه الهمة ، ذلكم وإياكم ، ولولا الذي أرجو أن يأجرني الله في قيامي عليكم لم أقم عليكم و لنحيته عن نفسي ووليته غيري ، وقد كنت أرى فيكم أمورا على عهد نبيكم ﷺ كدت أكرهها ، ويسوءني منكم ، فقد رأيتم تشددي فيها ، والأمر الذي أمر به من فوقي ، أريد طاعة الله وإقامة الدين فأطعتكم ، قد علمتم- أو من علم ذلك منكم- أني قد كنت أفعل ذلك وليس لي عليكم من سلطان وأكن أهن في شيء منه ، وقد ولاّني الله اليوم أمركم ولقد علمت أني أنفع بحضرتكم لكم ، فإني أسأل الله ربي أن يعينني عليه وأن يحرسني عندما بقي كما حرسني عند غيره ، وأن يلقنني العقل في قسمكم كالذي أمر به ، ثم إني مسلم وعبد من عبيده ضعيف إلا ما أعان الله ، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئا إن شاء الله ، وإنما العظمة لله ، ليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحد منكم : إن عمر بن الخطاب تغير لما ولي أمر المسلمين ، فمن ظلمته مظلمة فإني أعطيه الحق من نفسي وأتقدم عليكم وأبين لكم أمري ، أيما رجل كانت له حاجة إلى أمير المؤمنين أو ظلم بمظلمة أو عتب علينا في حق فليؤذني ، فإنما أنا امرؤ منكم ، ولم يحملني سلطاني الذي أنا عليه أن أتعظم عليكم ، وأغلق بابي دونكم ، وأترك مظالمكم بينكم ، وإذا منع الله أهل الفاقة منكم اليوم شيئا»

بعد اليوم فإنما هو فيء الله الذي أفاءه عليكم ، لست وإن كنت أمير المؤمنين ولن

(١) يزيد بن أبي سفيان الأموي القرشي ، أبو خالد ، صحابي جليل من فضلاء الصحابة استعمله النبي محمد على صدقات بني فراس من قبيلة كنانة وكانوا أخواله ، وهو أحد القادة الذين ارسلهم الخليفة أبو بكر الصديق لفتح بلاد الشام ويقال له يزيد الخير .

أخفى إبقاء ، إن كان بيني وبين أحد منكم خصومة أقاضيه إلى أحدكم ثم أقنع بالذي يقضي بيننا فاعلموا ذاك ، وإنكم قوم مسلمون على شريعة الإسلام ، ثم عليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم وحرماتكم التي حرم الله عليكم من دمائكم وأموالكم وأعراضكم ، وأعطوا الحق من أنفسكم ، ولا يحملن بعضكم بعضا إلى أن يوقع إلى السلطان شأنه ، فليستعد بي فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة ، من منع من نفسه حقا واجبا عليه أو استحل من دماء المسلمين وأعراضهم وأبشارهم فأنا أقتص منه وإن كان يدلي إليّ بقرابة قريبة ، ثم إنكم– معشر العرب– في كثير منكم جفاء في الدين وخرق في الأمور إلا من عصمه الله برحمة ، وإني قد جعلت بسبيل أمانة عظيمة أنا مسؤول عنها ، وإنكم– أيها الناس– لن تغنوا عني من الله شيئا ، وإني حثيث على صلاحكم ، عزيز عليّ ما عنتم ، حريص عليّ معافاتكم وإقامة أموركم ، وإنكم إناء من حصل في سبيل الله ، عامتكم أهل بلد لا زرع فيها ولاضرع إلا ما جاء الله به إليه ، وإن الله قد وعدكم كرامة كبيرة ودنيا بسيطة لكم ، وإني مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه ، ولا أستطيع ما بعد منها إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للشاهد والغائب ، ولست أجعل أمانتي إلى أحد ليس لها بأهل ، ولن أوليه ذلك ولا أجعله إلا من تكون رغبته في أداء الأمانة والتوقير للمسلمين ، أولئك أحق بها ممن سواهم ؛ اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك– والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولما ورد كتاب أبي بكر الشام على أمراء الأجناد باستخلاف عمر بايعوه وأطاعوه ؛ ثم ساروا إلى فحل من أرض الأردن وقد اجتمع بها الروم والمسلمون عليهم الأمراء الأربعة وخالد بن الوليد على مقدمة الناس ، فلما نزلت الروم بيسان بثقوا أنهارها وهي أرض سبخة فكانت وحلة فغشيها المسلمون ولم يعلموا بما فعلت الروم ، فزلقت فيها خيولهم ، ثم سلمهم الله ، والتقوا هم والروم بفحل فاقتتلوا فهربت الروم ودخل المسلمون فحلا ، وانكشفت الروم إلى دمشق ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة .

وكتب خالد بن الوليد إلى عمر أن الناس قد اجترأوا على الشراب ، فاستشار عمر أصحابه عليا وعثمان والزبير وسعدا فقال علي : إذا شرب سكر ، وإذا سكر افترى ، وإذا افترى فعليه ثمانون ، فأثبت عمر الحد ثمانين .

الفاروق والصديق

دخل عمر بن الخطاب على أبي بكرٍ الصديق
رضي الله عنهما في مرض موته ،
فقال : يا خليفة رسول الله ﷺ ،
لقد كلفت القوم بعدك تعباً ، ووليتهم نصباً ،
فهيهات من شق غبارك! وكيف باللحاق بك! .
وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأبوها يغمض :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل
فنظر إليها وقال : ذاك رسول الله ﷺ .
ثم أغمي عليه ، فقالت :
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فنظر إليها كالغضبان وقال : قولي :
«وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد» .
ثم قال : انظروا ملاءتيّ فاغسلوهما وكفنوني فيهما ،
فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت .
ووقفت رضي الله عنها على قبره رضي الله عنه
فقالت : نضّر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ،
فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها ،
وكنت للآخرة معزّاً بإقبالك عليها ،
ولئن كان أجلَّ الحوادث بعد رسول الله
ﷺ رُزْءُك ،
وأعظم المصائبِ بعده فقْدُك ،
إن كتاب الله لَيَعِدُ بحسن الصبر فيك
وحسن العوض منك ،
فإنا لَنَنْتَجِزُ موعود الله بحسن العزاء عليك ،
ونسْتَعيضه منك بالاستغفار لك .
أما لئن كانوا أقاموا بأمور الدنيا
لقد قمت بأمر الدين حين وهي شعبه ، وتفاقم صدعه ، ورجفت جوانبه .

فعليك السلام ورحمة الله توديع غير قاليةٍ لك ، ولا زاريةٍ على القضاء فيك . ثم انصرفت .

عن الخطاب

ذكر المغيرة بن شعبة[١] عمر بن الخطاب رحمه الله فقال : «كان والله أفضل من أن يَخدع ، وأعقل من أن يُخدع» .

فراسة عمر

وعن ابن عمر قال :

بينما عمر رضي الله عنه جالس إذ رأى رجلا ، فقال : قد كنت مرّة ذا فراسة ، وليس لي رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة شيئا . ادعوه لي .

فدعوه فقال : هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئا؟

قال : نعم .

موعظة عمرية

قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :

كان الرجل يظلم في الجاهلية فيدعو على من ظلمه

فيجاب عاجلاً ولا يرى ذلك في الإسلام ؛

فقال : هذا حاجز بينهم وبين الظلم ، وإن موعدكم الآن الساعة ، والساعة أدهى وأمر .

عمر والعجوز المدينية

قيل : لما رجع عمر ، رضي الله عنه ، من الشام إلى المدينة ، انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته ، فمر بعجوز في خباء لها فقصدها .

فقالت : ما فعل عمر رضي الله عنه ؟ قال : قد أقبل من الشام سالماً .

(١) أبو عبد الله هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ولد في ثقيف بالطائف ، وبها نشأ ، وكان كثير الأسفار ، أسلم عام الخندق بعدما قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك وفدوا معه على المقوقس في مصر ، وأخذ أموالهم ، فغرم دياتهم عمه عروة بن مسعود .

فقالت : يا هذا! لا جزاه الله خيراً عني! وقال : ولمَ؟ قالت : لأنه ما أنالني من عطائه منذ ولي أمر المسلمين ديناراً ولا درهماً .

فقال : وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع؟ فقالت : سبحان الله! والله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس ، ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها .

فبكى عمر رضي الله عنه ، وقال : وا عمراه ، كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر .

ثم قال لها : يا أمة الله! بكم تبيعيني ظلامتك من عمر ، فإني أرحمه من النار؟ فقالت : لا تهزأ بنا ، يرحمك الله .

فقال عمر : لست أهزأ بك .

ولم يزل حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً .

فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وعبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين! فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت : وا سوأتاه! شتمت أمير المؤمنين في وجهه؟ فقال لها عمر رضي الله عنه : لا بأس عليك ، يرحمك الله ، ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة إلى يوم كذا ، بخمسة وعشرين ديناراً . فما تدعي عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر بريء منه ، شهد على ذلك علي وابن مسعود .

ثم دفعها إلى ولده وقال له : إذا أنا مت فاجعلها في كفني ألقى بها ربي .

عمر والشاب القاتل وأبو ذرّ[١]

قال شرف الدين حسين بن ريان : أغرب ما سمعته من الأخبار ، وأعجب ما نقلته عن الأخيار ، ممن كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين ، ويسمع كلامه قال : بينما الإمام جالس في بعض الأيام ، وعنده أكابر الصحابة ، وأهل الرأي والإصابة ، وهو يقول في القضايا ، ويحكم بين الرعايا ، إذ أقبل شاب نظيف

(١) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري الكناني ، أحد أكابر أصحاب رسول الله ، وهو رابع من دخل في الإسلام وقيل الخامس ، وأول من حيا رسول الله بتحية الإسلام ، وأحد الذين جهروا بالإسلام في مكة قبل الهجرة .

الأثواب ، يكتنفه شابان من أحسن الشبان ، نظيفا الثياب ، قد جذباه وسحباه وأوقفاه بين يدي أمير المؤمنين ، ولبباه . فلما وقفوا بين يديه ، نظر إليهما وإليه ، فأمرهما بالكف عنه . فأدنياه منه وقالا : يا أمير المؤمنين ، نحن أخوان شقيقان ، جديران باتباع الحق حقيقان . كان لنا أب شيخ كبير ، حسن التدبير ، معظم في قبائله ، منزه عن الرذائل ، معروف بفضائله ، ربانا صغاراً ، وأعزنا كباراً ، وأولانا نعماً غزاراً ، كما قيل :

لنا والدٌ لو كان للناس مثله أبٌ آخرٌ أغناهم بالمناقب

خرج اليوم إلى حديقة له يتنزه في أشجارها ، ويقطف يانع ثمارها ، فقتله هذا الشاب ، وعدل عن طريق الصواب . ونسألك القصاص بما جناه ، والحكم فيه بما أراك الله .

قال الراوي : فنظر عمر إلى الشاب وقال له : قد سمعت ، فما الجواب؟

والغلام مع ذلك ثابت الجأش ، خال من الاستيحاش ، قد خلع ثياب الهلع ، ونزع جلباب الجزع ، فتبسم عن مثل الجمان ، وتكلم بأفصح لسان ، وحياه بكلمات حسان ثم قال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد وعيا ما ادعيا ، وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى ، وعبرا بما ترى ، وسأنهي قصتي بين يديك والأمر فيها إليك : اعلم ، يا أمير المؤمنين ، أني من العرب العرباء ، أبيت في منزل البادية ، وأصيح على أسود السنين العادية ، فأقبلت إلى ظاهر هذا البلد بالأهل والمال والولد ، فأفضت بي بعض طرائقها ، إلى المسير بين حدائقها ، بنياق حبيبات إلي ، عزيزات علي ، بينهن فحل كريم الأصل ، كثير النسل ، مليح الشكل ، حسن النتاج ، يمشي بينهن كأنه ملك عليه تاج . فدنت بعض النوق إلى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها ، فتناولته بمشفرها ، فطردتها من تلك الحديقة . فإذا شيخ قد زمجر ، وزفر ، وتسور الحائط ، وظهر وفي يده اليمنى حجر ، يتهادى كالليث إذا خطر ، فضرب الفحل بذلك الحجر ، فقتله وأصاب مقتله . فلما رأيت الفحل قد سقط لجنبه وانقلب ، توقدت في جمرات الغضب ، فتناولت ذلك الحجر بعينه ، فضربته به ، فكان سبب حينه ، ولقي سوء منقلبه ، والمرء مقتول بما قتل به بعد أن صاح صيحة عظيمة ، وصرخ صرخة أليمة فأسرعت من مكاني فلم يكن بأسرع من هذين الشابين ، فأمسكاني وأحضراني كما تراني .

فقال عمر : قد اعترفت بما اقترفت ، وتعذر الخلاص ، ووجب القصاص ، ولات حين مناص .

فقال الشاب : سمعاً لما حكم به الإمام ، ورضيت بما اقتضته شريعة الإسلام ،

لكن لي أخ صغير ، كان له أب كبير ، خصه قبل وفاته بمالٍ جزيل ، وذهب جليل ، وأحضره بين يدي ، وأسلم أمره إلي ، وأشهد الله علي ، وقال : هذا لأخيك عندك ، فاحفظه جهدك ، فاتخذت لذلك مدفناً ، ووضعته فيه ، ولا يعلم به إلا أنا ، فإن حكمت الآن بقتلي ، ذهب الذهب ، وكنت أنت السبب ، وطالبك الصغير بحقه ، يوم يقضي الله بين خلقه ، وإن أنظرتني ثلاثة أيام ، أقمت من يتولى أمر الغلام ، وعدت وافياً بالذمام ، ولي من يضمنني على هذا الكلام .

فأطرق عمر ، ثم نظر إلى من حضر ، وقال : من يقوم على ضمانه والعود إلى مكانه؟ قال : فنظر الغلام إلى وجوه أهل المجلس الناظرين ، وأشار إلى أبي ذَرّ دون الحاضرين ، وقال : هذا يكفلني ويضمنني .

قال عمر : يا أبا ذر ، تضمنه على هذا الكلام؟ قال : نعم ، أضمنه إلى ثلاثة أيام .

فرضي الشابان بضمانة أبي ذرّ وأنظراه ذلك القدر . فلما انقضت مدة الإمهال وكاد وقتها يزول أو قد زال ، حضر الشابان إلى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر ، وأبو ذرّ قد حضر والخصم ينتظر . فقالا : أين الغريم يا أبا ذرّ؟ كيف يرجع من فر ، لا تبرح من مكاننا حتى تفي بضماننا .

فقال أبو ذَرّ : وحق الملك العلام ، إن انقضى تمام الأيام ، ولم يحضر الغلام ، وفيت بالضمان وأسلمت نفسي ، وبالله المستعان .

فقال عمر : والله ، إن تأخر الغلام ، لأمضين في أبي ذرّ ، ما اقتضته شريعة الإسلام .

فهمت عبرات الناظرين إليه ، وعلت زفرات الحاضرين عليه ، وعظم الضجيج وتزايد النشيج ، فعرض كبار الصحابة على الشابين أخذ الدية واغتنام الأثنية ، فأصرا على عدم القبول ، وأبيا إلا الأخذ بثأر المقتول .

فبينما الناس يموجون تلهفاً لما مر ، ويضجون تأسفاً على أبي ذرّ إذ أقبل الغلام ووقف بين يدي الإمام وسلم عليه أتم السلام ووجهه يتهلل مشرقاً ويتكلل عرقاً وقال : قد أسلمت الصبي إلى أخواله ، وعرفتهم بخفي أمواله وأطلعتهم على مكان ماله . ثم اقتحمت هاجرات الحر ، ووفيت وفاء الحر .

فعجب الناس من صدقه ووفائه ، وإقدامه على الموت واجترائه .

فقال : من غدر لم يعف عنه من قدر ، ومن وفى ، رحمه الطالب وعفا ، وتحققت

أن الموت إذا حضر ، لم ينج منه احتراس ، كيلا يقال : ذهب الوفاء من الناس .

فقال أبو ذَرّ : والله ، يا أمير المؤمنين ، لقد ضمنت هذا الغلام ، ولم أعرفه من أي قوم ، ولا رأيته قبل ذلك اليوم . ولكن نظر إلي دون من حضر فقصدني وقال : هذا يضمنني ، فلم أستحسن رده ، وأبت المروءة أن تخيب قصده ، إذ ليس في إجابة القاصد من بأس ، كيلا يقال : ذهب الفضل من الناس .

فقال الشابان عند ذلك : يا أمير المؤمنين ، قد وهبنا هذا الغلام دم أبينا ، فبدل وحشته بإيناس ، كيلا يقال : ذهب المعروف من الناس .

فاستبشر الإمام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه ، واستغزر مروءة أبي ذرّ دون جلسائه ، واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف ، وأثنى عليهما أحسن ثنائه . وتمثل بهذا البيت :

من يصنع الخير لم يعدم جوائزه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

ثم عرض عليهما أن يصرف من بيت المال دية أبيهما . فقالا : إنما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ، ومن نيته هكذا لا يتبع إحسانه مناً ولا أذى .

عمر والهرمزان(١)

وأحضر الهرمزان بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه مأسوراً فدعاه إلى الإسلام ، فأبى ، فأمر بضرب عنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قبل أن تقتلني اسقني شربة من الماء ، ولا تقتلني ظمآن .

فأمر له عمر بقدح مملوء ماء ، فلما صار القدح في يد الهرمزان ، قال : أنا آمن حتى أشربه؟ قال : نعم لك الأمان .

فألقى الهرمزان الإناء من يده فأراقه ، ثم قال : الوفاء يا أمير المؤمنين .

فقال عمر رضي الله عنه : دعوه حتى أنظر في أمره .

فلما رفع السيف عنه ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

قال عمر ، رضي الله عنه : لقد أسلمت خير الإسلام فما أخرك؟ قال : خشيت أن يقال إني أسلمت خوفاً من السيف .

---

(١) الهُرمُزان أحد قادة الفرس إبان الفتح الإسلامي ، وكان قائد الجيش الفارسي في الأحواز . الهرمزان حا م الأهواز . أثناء فتح فارس في عهد يزدجرد الثالث .

فقال عمر : إنك لفارس حكيم ، استحققت ما كنت فيه من الملك .

ثم إن عمر رضي الله عنه ، بعد ذلك كان يشاوره في إخراج الجيوش إلى أرض فارس ويعمل برأيه .

صفة عمر رضي الله عنه

قال الأصمعي[١] : قال العمري : كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى . ثم يجمع جراميزه ويثب ، فكأنما خلق على ظهر فرسه . وفعل مثل ذلك الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو يومئذ وليّ عهد هشام ، ثم أقبل على مسلمة بن هشام فقال له : أبوك يحسن مثل هذا؟ فقال مسلمة : لأبي مائة عبد يحسنون مثل هذا . فقال الناس : لم ينصفه في الجواب .

زهد عمر

ودخل عمير بن سعد[٢] على عمر بن الخطاب ، حين رجع إليه من عمل حمص ، وليس معه إلا جراب وإداوة وقصعة وعصا ، فقال له عمر : ما الذي أرى بك ، من سوء الحال أو تصنع؟ قال : وما الذي ترى بي ، ألست صحيح البدن ، معي الدنيا بحذافيرها؟ قال : وما معك من الدنيا؟ قال : معي جرابي أحمل فيه زادي ، ومعي قصعتي أغسل فيها ثوبي ، ومعي إداوتي أحمل فيها مائي لشرابي ، ومعي عصاي إن لقيت عدوا قاتلته ، وإن لقيت حية قتلتها ، وما بقي من الدنيا فهو تبع لما معي .

(١) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان .

(٢) عمير بن سعد بن عبيد الأنصاري -- ، الذي بايع الرسول وهو ما زال غلامًا ، وأبوه هو الصحابي الجليل سعد القارئ_الذي شهد بدرا مع رسول الله والمشاهد بعدها و ظلّ أمينا على العهد حتى لقي الله شهيدا في موقعة القادسية .

جبلة بن الأيهم[(١)] وتنصره

ومما ذكره عبد الملك بن بدرون ، شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون ، عما وقع لجبلة بن الأيهم حين لطم الفزاري على وجهه لما داس على ردائه ، وقال له عمر رضي الله عنه : دعه يقتص منك ، أو ما هذا معناه ، فقال لعمر : وهل استوي أنا وهو في ذلك؟ فقال له : نعم ، الإسلام ساوى بينكما . فقال : أجلني إلى غد . فلما أصبح مضى إلى قيصر ملك الروم ، وارتد ثم ندم وقال أبياتاً ، وهي هذه :

تنصرت الأشراف من أجل لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعت إلى الأمر الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الأيهم ولحق بهرقل ، صاحب القسطنطينية ، أقطعه هرقل الأموال والضياع ، وبقي ما شاء الله .

ثم أن عمر رضي الله عنه بعث إلى قيصر رسولاً يدعوه إلى الإسلام أو إلى الجزية . فلما أراد الانصراف قال هرقل للرسول : ألقيت ابن عمك هذا الذي عندنا؟ يعني جبلة الذي أتانا راغباً في ديننا .

قال : لا! قال : فالقه ثم ائتني أعطك جواب كتابك .

قال الرسول : فذهبت إلى دار جبلة فإذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثلٌ ما على باب هرقل فلم أزل أتلطف بالإذن حتى أذن لي فدخلت عليه ، فرأيته أصهب اللحية ذا سبال ، وكان عهدي به أسود اللحية والرأس ، فأنكرته ، فإذا هو قد دعا بسحالة الذهب ، فذرها على لحيته حتى أصهبت ، وهو قاعد على سرير من قوارير على قوائمه أربعة أسود من ذهب . فلما عرفني رفعني معه على السرير ، فجعل يسألني عن المسلمين ، فذكرت له خيراً وقلت له : قد أضعفوا أضعافاً

---

(١) جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر ، واسمه المنذر بن الحارث ، وهو آخر ملوك الغساسنة في الشام . حكم ما بين عامي ٦٣٢ و ٦٣٨ ميلادية . وكان بذلك الملك السادس والثلاثين في سلالة الغساسنة الذين كانوا متحالفين مع الروم قبل الإسلام ، وهم من النصارى العرب .

على ما تعرف . فقال : وكيف عمر بن الخطاب؟ قلت : بخير . قال : فرأيت الغم في وجهه لما ذكرت له منه سلامة عمر .

ثم انحدرت عن السرير فقال : لم تأبى الكرامة التي أكرمناك بها؟ فقلت : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا . فقال : نعم! نهى ﷺ ولكن نقّ قلبك ولا تبال على ما قعدت .

فلما سمعته يقول ما قاله ﷺ ، طمعت فيه فقلت له : ويحك يا جبلة ، ألا تسلم ، وقد عرفت الإسلام وفضله؟ فقال : أبعد ما كان مني؟ قلت : نعم ، قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت ، ارتد عن الإسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع إلى الإسلام وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلماً .

وإنما ذكرت له أن الذي فعل هذه الفعلة من فزارة ، وأنه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع إلى الإسلام لأن الرجل الذي كان تنصر جبلة من أجله لما لطمه وأراد عمر أن يقتص منه كان فزارياً أيضاً . فقلت له : أمرك أخف من أمره إن رجعت إلى الإسلام ، فإنك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل . فقال : ذرني من هذا إن كنت تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته ويوليني الأمر من بعده رجعت إلى الإسلام .

فضمنت له التزويج ولم أضمن له تولية الأمر .

قال : ثم أومأ إلى خادم كان على رأسه واقفاً فذهب مسرعاً ، فإذا خدم قد جاؤوا يحملون الصناديق فيها طعام . فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحائف الفضة ، وقال لي : كل ؛ فقبضت يدي ، وقلت : رسول الله ﷺ نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة .

قال : نعم! نهى ﷺ ولكن نقِّ قلبك وكل فيما أحببت .

قال : فأكل في الذهب ، وأكلت أنا في الخلنج ، ثم دعا بطسوت الذهب وأباريق الفضة ، فغسل يديه في الذهب ، وغسلت في الصفر . ثم أومأ إلى خادم بين يديه فمر مسرعاً . فسمعت حساً ، فإذا خدم معهم كراسي مرصعة بالجواهر ، فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ، ثم جاءت الجواري وعليهم تيجان الذهب ، فقعدن عن يمنيه وعن يساره على تلك الكراسي ، ثم جاءت جارية أيضاً كأنها الشمس حسناً على رأسها تاج ، وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه ، وفي يدها جامة فيها مسك فتيت ، وفي يدها الأخرى جامة فيها ماء ورد ، فأومأت تلك الجارية وصفرت بالطائر الذي على

تاجها فوقع في جامة المسك ، فاضطرب فيها ، ثم صفرت به ثانياً فوقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيها ، ثم أومأت إليه فطار ، ثم نزل على صليب في تاج على جبلة ، فلم يزل يرفرف حتى نفض ما في ريشه عليه . فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ، ثم التفت إلى الجواري اللواتي عن يمينه . فقال لهن : أضحكننا ، فاندفعن يغنين فجعلن يخفقن عيدانهن ويقلن :

لله در عصابة نادمتهم   يوماً بجلق في الزمان الأول

إلى قوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم   قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم   بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال : فضحك جبلة حتى بدت أنيابه ، ثم قال : أتدري من يقول هذا؟ قلت : لا ، قال : حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ ، ثم أشار إلى الجواري اللواتي عن يساره ، وقال : أبكيننا ، فاندفعنا يغنين وتخفق عيدانهن ويقلن :

لمن الدار أوحِت بمعان   بين أعلى اليرموك فالجمان

إلى قوله :

ذاك مغنىً من آل جفنة في الده؟ . . . رِ وحق تعاقب الأزمان

قال : فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ، ثم قال : أتدري من يقول هذا؟ قلت : لا ، قال : حسان . ثم أنشد الأبيات التي أولها : تنصرت الأشراف إلى آخرها . ثم سألني عن حسان : أحي هو؟ قلت : نعم فأمر له بكسوة ولي أيضاً كذلك . ثم أمر لحسان بمال ونوق موقرة براً ، ثم قال لي : إن وجدته حياً فادفع إليه الهدية واقرئه مني السلام ؛ وإن وجدته ميتاً فادفعها إلى أهله وانحر النوق على قبره .

قال : فلما أخبرت عمر ، رضي الله عنه ، بخبره وما اشترطه علي وما ضمنت له . قال : فهلا ضمنت له الأمر؟ فإذا أفاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ما كان إلا ما أراد .

ثم جهزني عمر ثانياً إلى هرقل وأمرني أن أضمن له ، أي لجبلة ، ما اشترط . فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أم الكتاب .

القوي الفاجر

وقيل : إنه قدم أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعد بن أبي وقاص ، فقال : من يعذرني من أهل الكوفة؟ إن وليتهم التقي ضعفوه ، وإن وليتهم القوي فجروه . فقال له المغيرة بن شعبة : يا أمير المؤمنين ، إن التقي الضعيف له تقاه ولك ضعفه ، وإن القوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره . قال : صدقت أنت القوي الفاجر فاخرج إليهم .

فلم يزل عليهم أيام عمر وعثمان رضي الله عنهما وأيام معاوية حتى مات المغيرة .

يقتلع ذنب البعير

قيل : أتى رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يستحمله فقال له : خذ لك بعيراً من إبل الصدقة فتناول ذنب بعير فجذبه فاقتلعه . فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته ، فقال له : هل رأيت أقوى منك من أحد؟ قال : نعم . خرجت بامرأة من أهلي أريد بها زوجها فنزلت على حوض ، فأقبل رجل معه ذود ، فضرب ذوده إلى الحوض فساورها . يعني المرأة ، فنادتني فما انتهيت إليها حتى خالطها . فجئت لأدفعه عنها فأخذ رأسي بين عضديه وجنبه . فما استطعت التحرك حتى قضى وطره منها . فقلت : أي فحل هذا لو كنت منيحة فأمهلته حتى امتلأ نوماً . فقمت له بالسيف فضربت ساقه ، فانتبه ، فتناول رجله فرماني بها فأخطأني ، أي فاتني ، وأصاب رأس بعير فقتله .

فقال عمر رضي الله عنه : ما فعلت بالمرأة؟ فقلت : هذا حديث الرجل .

فكرر عليه السؤال فلم يزده على هذا ففطن أنه قتلها .

ذكاء عمر

وقد روّينا عن عمر رضي الله عنه أنه خرج يعسّ المدينة بالليل ، فرأى نارا موقدة في خباء .

فوقف وقال : يا أهل الضوء .

وكره أن يقول : «يا أهل النار» . وهذا من غاية الذكاء .

قسمة عادلة

عن أسلم عن أبيه قال : (قَدِمَت على عمر بن الخطّاب حُلَلٌ من اليمن ،

فقسَّمها بين النَّاس ، فرأى فيها حُلَّة رديئة ، فقال كيف أصنع بهذه ، إذا أعطيتها أحدًا ، لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها ، قال : فأخذها فطواها ، فجعلها تحت مجلسه ، وأخرج طرفها ، ووضع الحُلَل بين يديه ، فجعل يقسم بين النَّاس ، قال فدخل الزُّبير بن العوَّام ، وهو على تلك الحال ، قال : فجعل ينظر إلى تلك الحلَّة ، فقال له : ما هذه الحلَّة؟ قال عمر : دع هذه عنك . قال : ما هيه؟ ما هيه؟ ما شأنها؟ قال : دعها عنك . قال : فأعطنيها . قال : إنَّك لا ترضاها . قال : بلى ، قد رضيتها . فلمَّا توثَّق منه ، واشترط عليه أن يقبلها ولا يردَّها ، رمى بها إليه ، فلمَّا أخذها الزُّبير ونظر إليها ، إذا هي رديئة ، فقال : لا أريدها . فقال عمر : هيهات ، قد فرغت منها ، فأجازها عليه ، وأبى أن يقبلها منه) .

وعن جرير (عن عمر قال له -قال لجرير - والنَّاس يتحامون العراق وقتال الأعاجم- : سِر بقومك ، فما قد غلبت عليه فلك ربعه ، فلمَّا جُمعت الغنائم -غنائم جلولا- ادعى جرير أنَّ له ربع ذلك كلِّه ، فكتب سعد إلى عمر بذَلك ، فكتب عمر : صدق جرير قد قلت ذلك له ، فإن شاء أن يكون قَاتَل هو وقومه على جُعْلٍ فأَعْطُوه جُعْلَه ، وإن يكن إنَّما قاتل لله ولدينه ولحبيبه ، فهو رجل من المسلمين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم . فلمَّا قَدِم الكتاب على سعد ، أخبر جرير بذلك ، فقال جرير : صدق أمير المؤمنين ، لا حاجة لي به ، بل أنا رجل من المسلمين) .

وعن مجاهد قال : بينما رسول الله ﷺ في أصحابه أذ وجد ريحا ، فقال : ليقم صاحب هذا الريح فليتوضأ ، فاستحيا الرجل .

ثم قال : ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ، فان الله لا يستحي من الحق .

فقال العباس : ألا نقوم جميعا؟

جرير وعمر

عن الشعبي(١) : أن عمر كان في بيت ومعه جرير بن عبد الله(٢) ، فوجد عمر

(١) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، والمشهور بـ الإمام الشعبي ٢١ هـ/١٠٠ هـ ، تابعي وفقيه ومحدث من السلف ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) جرير بن عبد الله البجلي صحابي جليل أسلم وقومه في رمضان من السنة العاشرة للهجرة ، فبعثه الرسول ﷺ على رأس فرسان من بني أحمس من بجيلة لهدم ذي الخلصة (صنم بالسراة =

ريحا فقال : عزمت على صاحب هذه الريح أن قام فتوضأ .

فقال جرير : يا أمير المؤمنين : أو يتوضأ القوم جميعا .

فقال عمر : رحمك الله ، نعم السيّد كنت في الجاهلية ، ونعم السيّد أنت في الاسلام .

سؤال وجواب

وقال عمر بن الخطاب ﵁ لابنة هرم بن سنان المري(٣) :

ما وهب أبوك لزهير ؟

فقالت : أعطاه مالاً وأثاثاً أفناه الدَّهر .

فقال عمر : لكن ما أعطاكُمُوهُ لا يُفْنِيه الدَّهر .

ظلم وسرقه في اسم واحد

سأَل عُمر بن الخطاب ﵁ رجلاً أراد أن يَسْتعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه .

فقال : ظالم بن سُراقة ،

فقال : تَظْلم أنت ويَسْرِق أبوك؟

ولم يَسْتَعِن به في شيء .

= كانت قبائل بجيلة وخثعم وباهلة ودوس والأزد يعبدونه) ، وروي عنه مايزيد عن ٣٠٠ حديث ورد ذكرهم بكتب الصحاح التسعة .

(١) هَرِم بنُ سِنَان بنِ أبي حارثة المرِّي ، من مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، فهو مُرّي ذبياني غطفاني قيسي . كان رئيس قومه في الجاهلية ، وعُدَّ واحداً من أجواد العرب ؛ علماً أن قصته مع الشاعر المشهور زهير بن أبي سُلْمى مشهورة بين الناس في عصره وإلى يوم الناس هذا . فقد آلى على نفسه أنه لا يُسَلِّم عليه زهير إلا أعطاه : عبداً أو أمة أو فرساً أو بعيراً ؛ فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فجعل يمرُّ بالجماعة فيهم هَرِم فيقول : عِمُوا صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وقوفه عن كتاب الله

لّما قَـــدم عُيَيْنـــةُ بـــن حصـــن[١] على ابن أخيــه الحُرِّ بن قيس[٢] وكان من النَّفر الذين يُدْنيهم عمر ﷺ وكان القُرَّاء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ، لك وجهٌ عند هذا الأمير

فاستأذِنْ لي عليه ، فاسْتَأذَنَ ، فأَذِنَ له عمر

فلما دخل قال : هيه يا ابن الخطاب ،

فوالله ما تُعطينا الجَزْل ولا تحكم فينا بالعدل

فغضب عمر حتى همَّ أن يوقعَ به

فقال له الحُرُّ : يا أمير المؤمنين إنَّ الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة السلام : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإنَّ هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر ﷺ حين تلاها عليه ، وكان وَقَّافاً عند كتاب الله تعالى

عمر والحكيم

نظر عمر بن الخطاب ﷺ إلى هرم بن قطبة ، ملتفا في بتّ في ناحية المسجد ، ورأى دمامته وقلته ، وعرف تقديم العرب له في الحكم والعلم ، فأحب أن يكشفه ويسبر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا إليك اليوم أيهما كنت تنفر؟ يعني علقمة بن علاثة[٣] ،

(١) عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيْفَة الفَزَاري : والفزاري هو فزارة ، واسمه عمرو ، وكان ضربه أخ له فَفَزَرَه فسُمي فَزَارة ، وكان اسم عُيَيْنة حُذَيفة ؛ فأصابته لَقْوَة فَجَحَظَت عيناه فَسُمِّيَ عُيَيْنَة ، ويُكْنَى أبا مالك ، وكان جَده حُذيفة بن بدر يقال له : رَبّ معدّ ، وَجَدُّ جَدّه زيد بن عمرو ، وهو ابن اللقيطة ؛ وذاك أن بني فَزَارَة انتجعوا مرة ـ يعني : طلبوا الكلأ والخير في موضع آخر ـ وأمه صبية فسقطت ، فالتقطها قوم فردوها عليهم فسُميت اللقِيطة ، ونسب ولدها إليها بهذا ، فقيل : بنو اللقيطة .

(٢) الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان الفزاري . وهو ابن أخي عيينة بن حصن . وهو أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله مرجعه من تبوك .

(٣) علقمة بن علاثة : بن عَوَف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري . ثبت ذكْرُه في الصحيح في حديث أبي سعيد ، مِنْ رواية عبد الرحمن بن أبي نعيم عنه ، قال : بعث عليٌّ بن أبي طالب إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلم بذُهَيْبَة في تُرْبتها فقسمها بين أربعة نفَر : عيينة بن حِصْن والأقرع بن حابس ، وعلقمة بن عُلاثة ، وزيد الخيل . . . الحديث .

وعامر بن الطفيل[١] . فقال : يا أمير المؤمنين : لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جذعة . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لهذا العقل تحاكمت العرب إليك .

أجبن وأحيل وأشجع الناس

دخل عمر بن معد يكرب الزبيدي[٢] على عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه فقال عمر : أخبرني عن أجبن من لقيت وأحيل من لقيت وأشجع من لقيت . قال : نعم يا أمير المؤمنين .

خرجت مرة أريد الغارة ، فبينما أنا سائر إذا بفرس مشدود ورمح مركوز ، وإذا رجل جالس كأعظم ما يكون من الرجال خلقاً ، وهو محتب بحمائل سيفه ، فقلت له : خذ حذرك فإني قاتلك . فقال : ومن أنت؟ قلت : أنا عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فشهق شهقة فمات . فهذا يا أمير المؤمنين أجبن من رأيت .

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى حي فإذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز ، وإذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته ، فقلت : خذ حذرك فإني قاتلك . فقال : ومن أنت؟ فأعلمته بي ، فقال : يا أبا ثور ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا على الأرض ، فأعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي . فأعطيته عهداً فخرج من الموضع الذي كان فيه واحتبى بحمائل سيفه ، وجلس .

فقلت : ما هذا؟

فقال : ما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك فإن نكثت عهدك فأنت أعلم بناكث العهد . فتركته ومضيت .

---

(١) عامر بن الطفيل الكلابي العامري الهوازني شاعر جاهلي وفارس فتاك وسيد من سادات بني جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن . قيل إنه أدرك الإسلام وناوء النبي محمد ولم يسلم .

(٢) أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدي المذحجي وأحد صحابة محمد . بعد وفاة النبي محمد ارتد عمرو بن معد يكرب ثم رجع إلى الإسلام وحسن إسلامه ، وهو شاعر وفارس اشتهر بالشجاعة والفروسية حتى لُقِبَّ بفارس العرب ، وكان له سيف اسمه الصمصامة ,وقد شارك في معارك الفتح الإسلامي في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب في الشام والعراق وشهد معركة اليرموك والقادسية وكان عمرو بن معد الزبيدي طويل القامة وقوي البنية وحتى إن عمر بن الخطاب قال فيه : الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمرواً تعجبا من عظم خلقه .

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت .

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه الطريق فلم أر أحداً ، فأجريت فرسي يميناً وشمالاً وإذا أنا بفارس ، فلما دنا مني ، فإذا هو غلام حسن نبت عذاره من أجمل من رأيت من الفتيان ، وأحسنهم . وإذا هو قد أقبل من نحو اليمامة ، فلما قرب مني سلم علي ورددت عليه السلام وقلت : من الفتى؟ قال : الحرث بن سعد فارس الشهباء .

فقلت له : خذ حذرك فإني قاتلك! فقال : الويل لك ، فمن أنت؟ قلت : عمرو بن معد يكرب الزبيدي .

قال : الذليل الحقير ، والله ما يمنعني من قاتلك إلا استصغارك .

فتصاغرت نفسي ، يا أمير المؤمنين ، وعظم عندي ما استقبلني به .

فقلت له : دع هذا وخذ حذرك فإني قتلك ، والله لا ينصرف إلا أحدنا .

فقال : اذهب ، ثكلتك أمك ، فأنا من أهل بيت ما أثكلنا فارس قط .

قلت : هو الذي تسمعه .

قال : اختر لنفسك فإما أن تطرد لي ، وإما أن أطرد لك .

فاغتنمتها منه فقلت له : أطرد لي .

فأطرد وحملت عليه فظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه فإذا هو صار حزاماً لفرسه ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسي وقال : يا عمرو خذها إليك واحدةً ، ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك .

قال : فتصاغرت نفسي عندي ، وكان الموت ، يا أمير المؤمنين أحب إلي مما رأيت ، فقلت له : والله لا ينصرف إلا أحدنا . فعرض علي مقالته الأولى فقلت له : أطرد لي ، فأطرد فظننت أني تمكنت منه فاتبعته حتى ظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه . فإذا هو صار لبباً لفرسه ، ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسي وقال : خذها إليك يا عمرو ثانية .

فتصاغرت علي نفسي جداً ، وقلت : والله لا ينصرف إلا أحدنا فاطرد لي ، فاطرد حتى ظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه ، فإذا هو على الأرض فأخطأته فاستوى على فرسه واتبعني حتى قنع بالقناة رأسي! وقال : خذها إليك يا عمرو ثالثة ، ولولا كراهتي لقتل مثلك لقتلتك .

فقلت : اقتلني أحب إلي ولا تسمع فرسان العرب بهذا .

فقال : يا عمرو ، إنما العفو عن ثلاث ، وإذا استمكنت منك في الرابعة قتلتك وأنشد يقول :

وكِدت إغلاظاً من الإيمان

إنْ عدت يا عمرو الى الطعان

لتجدن لهب السنان

أولاً فلست من بني شيبان

فهبته هيبة شديدة ، وقلت له : إن لي إليك حاجة .

قال : وما هي؟ قلت : أكون صاحباً لك .

قال : لست من أصحابي .

فكان ذلك أشد علي وأعظم مما صنع ، فلم أزل أطلب صحبته حتى قال : ويحك أتدري أين أريد؟

قلت : لا والله .

قال : أريد الموت الأحمر عياناً .

قلت : أريد الموت معك .

قال : امض بنا .

فسرنا يومنا أجمع حتى أتانا الليل ومضى شطره . فوردنا على حي من أحياء العرب ، فقال لي : يا عمرو في هذا الحي الموت الأحمر فإما أن تمسك علي فرسي فأنزل وآتي بحاجتي ، وإما أن تنزل وأمسك فرسك فتأتيني بحاجتي .

فقلت : بل أنزلت أنت . فأنت أخبر بحاجتك مني .

فرمى إلي بعنان فرسه ورضيت والله يا أمير المؤمنين بأن أكون له سائساً ، ثم مضى إلى قبة فأخرج منها جارية لم تر عيناي أحسن منها حسناً وجمالاً ، فحملها على ناقة ثم قال : يا عمرو ، فقلت : لبيك! قال : إما أن تحميني وأقود الناقة أو أحميك وتقودها أنت ?قلت : لا بل أقودها وتحميني أنت .

فرمى إلي بزمام الناقة ثم سرنا حتى أصبحنا . قال : يا عمرو

قلت : ما تشاء؟

قال : التفت فانظر هل ترى أحداً؟

فالتفت فرأيت رجالاً فقلت : اغذو في السير[١] .

(١) أسرع فيه .

ثم قال : يا عمرو انظر إن كانوا قليلاً فالجلد والقوة وهو الموت الأحمر . وإن كانوا كثيراً فليسوا بشيء .

فالتفت وقلت : وهم أربعة أو خمسة .

قال : اغذو في السير .

ففعلت . ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال : يا عمرو . كن عن يمين الطريق وقف وحول وجه دوابنا إلى الطريق .

ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا وإذا هم ثلاثة أنفار : شابان وشيخ كبير ، وهو أبو الجارية والشابان أخواها . فسلموا فرددنا السلام .

فقال الشيخ : خل عن الجارية يا ابن أخي .

فقال : ما كنت لأخليها ولا لهذا أخذتها .

فقال لأحد ابنيه : اخرج إليه ، فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحرث وهو يقول :

من دون ما ترجوه خضب الذابل
من فارس ملثم مقاتل
ينمي الى شيبأن خير وائلٍ
ما كان يسري نحوها بباطلٍ

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه ، فسقط ميتاً ، فقال الشيخ لابنه الآخر : اخرج إليه فلا خير في الحياة على الذل ، فأقبل الحرث وهو يقول :

لقد رأيت كيف كانت طعنتي
والطعن للقرم الشديد الهمةِ
والموت خيرٌ من فراق خلتي
فقتلتي اليوم ولا مذلتي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتاً ، فقال له الشيخ : خل عن الظعينة يا ابن أخي ، فإني لست كمن رأيت ،

فقال : ما كنت لأخليها ، ولا لهذا قصدت .

فقال الشيخ : يا ابن أخي اختر لنفسك فإن شئت نازلتك وإن شئت طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول :

ما أرتجي عند فناء عمري

سأجعل التسعين مثل شهر
تخافني الشجعان طول دهري
إن استباح البيض قصم ظهري
فأقبل الحرث وهو ينشد ويقول :
بعد ارتحالي ومطال سفري
وقد ظفرت وشفيت صدري
فالموت خير من لباس الغدر
والعار أهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ : يا ابن أخي إن شئت ضربتك ، فإن أبقيت فيك بقية فيَّ فاضربني ، وإن شئت فاضربني .

فإن أبقيت بقية ضربتك .

فاغتنمها الفتى وقال : أنا أبدأ .

فقال الشيخ : هات .

فرفع الحرث يده بالسيف فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه ضرب بطنه بطعنة قد منها أمعاءه ووقعت ضربة الفتى على رأس الشيخ فسقطا ميتين .

فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف ثم أقبلت إلى الناقة فقالت الجارية : يا عمرو : إلى أين ولست بصاحبتك ولست لي بصاحب ولست كمن رأيت؟

فقلت : اسكتي .

قالت : إن كنت لي صاحباً فأعطني سيفاً أو رمحاً فإن غلبتني فأنا لك وإن غلبتك قتلتك .

فقلت : ما أنا بمعط ذلك . وقد عرفت أهلك وجراءة قومك وشجاعتهم .

فرمت نفسها عن البعير ثم أقبلت تقول :

أَبَعْد شيخي ثم بعد أخوتي ... يطيب عيشي بعدهم ولذتي
وأصحبن من لم يكن ذا همة ... هلا تكون قبل ذا منيتي

ثم أهوت إلى الرمح وكادت تنزعه منٍ يدي . فلما رأيت ذلك منها خفت إن ظفرت بي قتلتني . فقتلتها .

فهذا يا أمير المؤمنين أشجع من رأيت .

عمر وكاهن تائب

وفد سواد بن قارب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فسلم عليه فرد السلام ، فقال عمر : يا سواد! قال : لبيك يا أمير المؤمنين! قال : ما بقي من كهانتك؟ فغضب ثم قال : يا أمير المؤمنين ما أظنك استقبلت بهذا الكلام غيري فلما رأى عمر الكراهية في وجهه قال : يا سواد ، إن الذي كنّا عليه من عبادة الأوثان أعظم من الكهانة ، فحدثني بحديث كنت أشتهي ان أسمعه منك .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينما أنا في إبلي بالسراة ، وكان لي نجي من الجن ، إذ أتاني في ليلة وأنا كالنائم ، فركضني برجله ، ثم قال : قم يا سواد ، فقد ظهر بتهامة نبي يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، قلت : تنح عني فإني ناعس ، فولّى عني وهو يقول :

عجبت للجن وتطلابها   وشدها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى   ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم   بين روابيها وأحجارها

ثم لما كان في الليلة الثانية أتاني ، فقال مثل ذلك القول : فقلت : تنح عني فإني ناعس ، فولى عني وهو يقول :

عجبت للجن وتخبارها   وشدها العيس بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى   ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم   ليس قداماها كأذنابها

ثم أتاني في الليلة الثالثة ، فقال مثل ذلك ، فقلت : إني ناعس ، فولى عني وهو يقول :

عجبت للجن وإيجاسها   وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى   ما مؤمنو الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم   واسم بعينيك إلى رأسها

قال سواد : فلما أصبحت يا أمير المؤمنين أرسلت لناقة من إبلي ، فشددت عليه ، وأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وبايعت ، وأنشأت أقول :

أتاني نجي بعد هدء ورقدة   ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة   أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيلي الإزار وأرقلت   بي الذعلب الوجناء بين السباسب

فأشهـــد ان اللـــه لا رب غيـــره وأنـــك مأمـــون علـى كل غائب
وأنـــك أنـــدى المرسلـــين وسيلـــة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايـب
فمرنـــي بمـــا أحببت يا خير مرســل وإن كان فيما قلت شيب الذوائب
وكـــن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعـــة بمغـــن فتيـــلاً عن سواد بن قارب

ففرح رسول الله وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً حتى رأي الفرح في وجوههم ، فوثب إليه عمر فالتزمه ، وقال : قد كنت أحب أن أسمع هذا الحديث منك ، فهل يأتيك رأيك اليوم؟ فقال : منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن!

التخلص من المغيرة

وعن زيد بن أسلم ، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين فكرهوه وأبغضوه ، فعزل عنهم ، فقال دهقانهم : إن فعلتم ما آمركم به لم يردّ علينا .

قالوا : أمرنا بأمرك .

قال : تجمعون مئة ألف درهم حتى أذهب بها الى عمر ، وأقول : ان المغيرة اختار هذا فدفعه اليّ .

فدعا عمر المغيرة فقال : ما يقول هذا؟

قال : كذب أصلحك الله ، إنما كانت مئتي ألف .

قال : فما حملك على ذلك؟

قال : العيال والحاجة .

فقال عمر للعلج : ما تقول؟

قال : لا والله ، لأصدّقنّك أصلحك الله ، والله ما دفع اليّ قليلا ولا كثيرا .

فقال عمر للمغيرة : ما أردت الى هذا العلج؟

قال : الخبيث كذب عليّ فأحببت أن أخزيه .

وفاة عمر رضي الله عنه

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف يومًا في السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال : يا أمير المؤمنين أعدني على المغيرة بن شعبة فإن علي خراجًا كثيرًا .

قال : وكم خراجك قال : درهمان كل يوم .

قال : وأيش صناعتك قال : نجار نقاش حداد .

قال : فما أرى خراجك كثيرًا على ما تصنع من الأعمال وقد بلغني أنك تقول : لو أردت أن أصنع رحى تطحن بالريح لفعلت! قال : نعم .

قال : فاعمل لي رحى .

قال : لئن سلمت لأعملن لك رحىً يتحدث بها من بالمشرق والمغرب! ثم انصرف عنه .

فقال عمر : لقد أوعدني العبد الآن .

ثم انصرف عمر إلى منزله فلما كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال له : يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاث ليال .

قال : وما يدريك قال : أجده في كتاب التوراة .

قال عمر : الله! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة قال : اللهم لا ولكني أجد حليتك وصفتك وأنك قد فني أجلك .

قال : وعمر لا يحس وجعًا! فلما كان الغد جاءه كعب فقال : بقي يومان .

فلما كان الغد جاءه كعبٌ فقال : مضى يومان وبقي يوم .

فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالاً فإذا استوت كبر ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي وكان خلفه وقتل جماعة غيره .

فلما وجد عمر حر السلاح سقط وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس وعمر طريح فاحتمل فأدخل بيته ودعا عبد الرحمن فقال له : إني أريد أن أعهد إليك .

قال : أتشير علي بذلك قال : لا . قال : والله لا أدخل فيه أبدًا .

قال : فهبني صمتًا حتى أعهد إلى النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

ثم دعا عليًا وعثمان والزبير وسعدًا فقال : انتظروا أخاكم طلحة ثلاثًا فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم أنشدك الله يا علي إن وليت من أمور الناس شيئًا ألا تحمل بني هاشم على رقاب الناس أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئًا ألا تحمل

بني أبي معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئًا ألا تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم وليصل ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فقال : قم على بابهم فلا تدع أحدًا يدخل إليهم .

وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذي تبوأوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم ويعفو عن مسيئهم وأوصي الخليفة بالعرب فإنهم مادة الإسلام أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم وأوصي الخليفة بذمة رسول الله - ﷺ - أن يوفي لهم بعهدهم اللهم هل بلغت لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر اخرج فانظر من قتلني .

قال : يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة .

قال : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدةً واحدةً! يا عبد الله بن عمر اذهب إلى عائشة فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي - ﷺ - وأبي بكر .

يا عبد الله إن اختلف القوم فكن مع الأكثر فإن تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف يا عبد الله ائذن للناس . فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم : أهذا عن ملإٍ منكم فيقولون : معاذ الله! قال : ودخل كعب الأحبار مع الناس فلما رآه عمر قال : توعدني كعبٌ ثلاثًا أعدها ولا شك أن القول ما قال لي كعب وما بي حذار الموت إني لميتٌ ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب ودخل عليه علي يعوده فقعد عند رأسه وجاء ابن عباس فأثنى عليه فقال له عمر : أنت لي بهذا يا ابن عباس فأومأ إليه علي أن قل نعم .

فقال ابن عباس : نعم .

فقال عمر : لا تغرني أنت وأصحابك .

ثم قال : يا عبد الله خذ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب لعل الله جل ذكره ينظر إلي فيرحمني والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع .

ودعي له طبيب من بني الحرث بن كعب فسقاه نبيذًا فخرج غير متغير فسقاه لبنًا فخرج كذلك أيضًا فقال له : اعهد يا أمير المؤمنين .

قال : قد فرغت .

ولما احتضر ورأسه في حجر ولده عبد الله قال : ظلومٌ لنفسي غير أني مسلمٌ أصلي

الصلاة كلها وأصوم ولم يذكر الله تعالى ويديم الشهادة إلى ان توفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين .

استخلاف عثمان بن عفان رضي الله عنه

وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وكنيته أبو عمرو ، وقد قيل : أبو عبد الله ، ويقال : أبو ليلى ، وأم عثمان أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي بالبصرة ثنا علي بن هاشم عن جعفر بن نجيح المديني ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن أحدا ارتج وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان ، فقال النبي ﷺ : «اثبت أحد! فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان» .

قال أبو حاتم : لما دفن عمر رضي الله عنه تعمد عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن وسعد يتشاورون ، فأشار عثمان على عبد الرحمن بالدخول في الأمر ، فأبى عبد الرحمن وقال : لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر ، وإن شئتم اخترت لكم منكم واحدا ، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، فلما ولي ذلك مال الناس كلهم إليه وتركوا أولئك الآخرين ، فأخذ عبد الرحمن يتشاور في تلك الليالي الثلاث حتى إذا كان من الليلة التي بايع عثمان بن عفان من غدها جاء إلى باب المسور بن مخرمة بعد هويّ من الليل فضرب الباب وقال : ألا أراك نائما؟ والله ما كحلت منذ الليلة بكثير نوم ، ادع لي الزبير وسعدا» ، فدعاهما فشاورهما ، ثم أرسله إلى عثمان بن عفان فدعاه فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن ، فلما صلوا الصبح اجتمعوا ، وأرسل عبد الرحمن إلى من حضر من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد ، ثم خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإني نظرت في أحوال الناس وشاورتهم فلم أجدهم يعدلون بعثمان ، ثم قال : يا عثمان! نبايعك على سنة رسول الله ﷺ والخليفتين من بعده! قال : نعم ، فبايعه عبد الرحمن وبايعه المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون ، وذلك لغرة المحرم .

وبعد دفن عمر بثلاثة أيام في هذه السنة كان فتح همذان ثانيا . وكانت قد انتقضت على أميرها المغيرة بن شعبة على رأس ستة أشهر من مقتل عمر ، وفي هذه السنة سار إليها أبو موسى الأشعري[١] بأهل البصرة حتى فتحها صلحا ، معه البراء ابن عازب[٢] وقرظة بن كعب[٣] ، وكان عمر بن الخطاب قد قتل وحذيفة قد افتتحها وجيشه كان عليها ، ثم انتقضوا حتى غزاهم أبو موسى ، وخرج عثمان بن عفان يوم الفطر إلى المصلى يكبر ويجهر بالتكبير حتى صلى العيد وانصرف ، وبعث على الحج عبد الرحمن بن عوف فخطبهم عبد الرحمن قبل التروية بيوم بمكة بعد الظهر ، فلما زاغت الشمس خرج إلى منى وحج ونفر النفر الأول ، وكان قد ساق معه بدنات فنحرها في منحر رسول الله ﷺ .

فلما دخلت السنة الخامسة والعشرون غزا معاوية أرض الروم وفتح الحصون ، وولد له ابن يزيد بن معاوية ؛ ثم نقضت الإسكندرية الصلح الذي صالحهم عمرو بن العاص عليه فغزاهم عمرو ، وظفر بهم وسباهم وبعث السبي إلى المدينة ، فردهم عثمان إلى ذمتهم وقال : إنهم كانوا صلحا ، والذرية لا تنقض الصلح ، وإنما تنقض الصلح المقاتلة ، ونقض المقاتلة الصلح ليس يوقع السبي على ذراريهم .

ثم عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن الإسكندرية ومصر ، وولاهما عبد

---

(١) أبو موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري خرج وخمسون نفرا من قومه من اليمن أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله محمد بن عبد الله بخيبر .

(٢) البراء بن عازب هو ابن الحارث ، الفقيه الكبير أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني ، نزيل الكوفة ، من أعيان الصحابة . روى أحاديث كثيرة ، وشهد معارك كثيرة مع النبي – واستصغر يوم بدر ، قال : كنت أنا وابن عمر لدة .

(٣) قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو بن كعب بن الإطنابة الأنصاري الخزرجي من بني الحارث بن الخزرج حليف بني عبد الأشهل يكنى أبا عمرو شهد أحداً وما بعدها من المشاهد ثم فتح الله على يديه الري في زمن عمر سنة ثلاث وعشرين ، وهو أحد العشرة الذين وجهم عمر إلى الكوفة من الأنصار وكان فاضلاً ولاه علي بن أبي طالب على الكوفة .

الله بن سعد بن أبي سرح[١] ، فوجد عمرو من ذلك ، وكان بدء الشر بينه وبين عثمان عزله عن مصر والإسكندرية ، وكان عمرو قد بعث جيشه إلى المغرب فأصابوا غنائم كثيرة ، فلما دخل عبد الله بن سعد مصر واليا بعث جرائد الخيل إلى المغرب واستشار عثمان في إفريقية ، وعزل عثمان سعدا عن الكوفة وولى عليها الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٢] ، فبعث الوليد سلمان بن ربيعة الباهلي في اثني عشر ألفا إلى برذعة فافتتحها عنوة وقتل وسبى ، وغزا البلقان فصالحوه قبل أن يجيء إلى برذعة ، وبعث خيله إلى جرزان فصالحوه ، وفي هذه السنة كانت غزوة سابور الأولى ؛ ثم حج عثمان بالناس .

أمنية عثمان

نظر عثمان بن عفان رحمه الله إلى عير مقبلة ، فقال لأبي ذرّ : ما كنت تحب أن تحمل هذه؟ قال أبو ذر : رجالا مثل عمر .

مقتل عثمان

قال أبو الحسن : خاض جلساء عبد الملك يوما في قتل عثمان ، فقال رجل منهم : يا أمير المؤمنين ، في أي سنيك كنت يومئذ؟ قال : كنت دون المحتلم ، قال : فما بلغ من حزنك عليه؟ قال : شغلني الغضب له عن الحزن عليه

استخلاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن الهاشمي ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام

(١) أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي السرح العامري القرشي ,صحابي وقائد عسكري وهو أخ عثمان بن عفان من الرضاعة ووالي مصر في عهد خلافته وهو فاتح إفريقيا وهزم الروم في معركة ذات الصواري وشارك في فتح مصر حيث كان صاحب الميمنة في جيش عمرو بن العاص .

(٢) عقبة بن أبي معيط من كبار مشركي قريش كان يضع الجزور بطريق الرسول محمد بن عبد الله ، وحاول مرة خنقه بيده .

بن عبد مناف ، وهاشم أخو هشام ، ومن زعم أنه أسد بن هاشم بن عبد مناف فقد وهم .

أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : كان علي قد تخلف عن رسول الله ﷺ في خيبر وكان به رمد فقال : أنا أتخلف»

عن رسول الله ﷺ! فخرج فلحق بالنبي ﷺ ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ : «لأعطين الراية- أو ليأخذن الراية- غدا رجل يحبه الله ورسوله ، يفتح الله عليه» ، فإذا نحن بعليّ وما نرجوه ، فقالوا : هذا عليّ ، فأعطاه رسول الله ﷺ ، ففتح الله عليه .

قال أبو حاتم : لما كان من أمر عثمان ما كان قعد علي في بيته وأتاه الناس يهرعون إليه . كلهم يقولون : أمير المؤمنين عليّ ، حتى دخلوا عليه داره وقالوا :

نبايعك ، فإنه لا بد من أمير وأنت أحق ، فقال عليّ : ليس ذلك إليكم ، إنما ذلك لأهل بدر ، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا يطلبون البيعة وهو يأبى عليهم ، فجاء الأشتر مالك بن الحارث النخعي إلى عليّ فقال له : ما يمنعك أن تجيب هؤلاء إلى البيعة؟ فقال : لا أفعل إلا عن ملأ وشورى ، وجاء أهل مصر فقالوا : ابسط يدك نبايعك ، فو الله! لقد قتل عثمان ، وكان قتله لله رضى ، فقال عليّ : كذبتم ، والله ما كان قتله لله رضى! لقد قتلتموه بلا قود ولا حد ولا غيره ؛ وهرب مروان فطلب فلم يقدر عليه ، فلما رأى ذلك علي منهم خرج إلى المسجد وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : يا أيها الناس! رضيتم مني أن أكون عليكم أميرا؟ فكان أول من صعد إليه المنبر طلحة فبايعه بيده ، وكان إصبع طلحة شلاء فرآه أعرابي يبايع فقال : يد شلاء وأمر لا يتم ، فتطير علي منها وقال : ما أخلقه أن يكون كذلك ، ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب رسول الله ﷺ ؛ ثم بلغ عليا أن سعدا وابن عمر ومحمد بن مسلمة يذكرون هنات ، فقام علي خطيبا فحمد الله وأثنى عليه فقال : أيها الناس! إنكم بايعتموني على ما بايعتم عليه أصحابي ، فإذا بايعتموني فلا خيار لكم عليّ ، وعلى الإمام الاستقامة ، وعلى الرعية التسليم ، وهذه بيعة عامة ، فمن ردها رغب عن دين المسلمين واتبع غير سبيلهم ، ولم تكن بيعته إياي فلتة ، وليس أمري وأمركم واحدا ، أريد الله وتريدونني لأنفسكم ، وأيم الله! لأنصحن الخصم ولأنصفن المظلوم .

وقد أكثر الناس في قتل عثمان ، فمنهم من قد زعم أنه قتل ظالما ، ومنهم من قد زعم أنه قتل مظلوما ، وكان الإكثار في ذلك على طلحة والزبير ، قالت قريش : أيها الرجلان! إنكما قد وقعتما في ألسن الناس في أمر عثمان فيما وقعتما فيه ، فقام طلحة في الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال : أيها الناس! ما قلنا في عثمان أمس إلا نقول لكم فيه اليوم مثله أنه خلف الدنيا بالتوبة ، ومال عليه قوم فقتلوه ، وأمره إلى الله ؛ ثم قام الزبير فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي ﷺ ثم قال : يا أيها الناس! إن الله اختار من كل شيء شيئا ، واختار من الناس محمدا ﷺ ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، واختار من الشهور رمضان وأنزل فيه القرآن وفرض فيه الصيام ، واختار من الأيام يوم الجمعة فجعله عيدا لأهل الإسلام ، واختار من البلدان هذين الحرمين : مكة والمدينة ، فجعل بمكة البيت الحرام ، وجعل بالمدينة حرم رسول الله ﷺ ، وجعل ما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة ، واختار من الشورى التسليم كما اختار هذه الأشياء ، فأذهبت الشورى بالهوى والتسليم بالشك ، وقد تشاورنا فرضينا عليا ، وأما إن قتل عثمان فأمره إلى الله .

فلما رأى علي اختلاف الناس في قتل عثمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس! أقبلوا عليّ بأسماعكم وأبصاركم ، إن الناس بين حق وباطل ، فلئن علا أمر الباطل لقديما ما فعل ، وإن يكن الحق قد غاب فلعل ، وإني أخاف أن أكون أنا وأنتم قد أصبحنا في فتنة ، وما علينا فيها إلا الاجتهاد ، الناس اثنان وثلاثة لا سادس لهم : ملك طار بجناحيه ، أو نبي أخذ الله بيده ، أو عامل مجتهد ، أو مؤمل يرجو ، أو مقصر في النار ؛ وإن الله أدب هذه الأمة بأدبين : بالسيف والسوط ، لا هوادة عند السلطان فيهما ، فاستتروا واستغفروا الله فأصلحوا ذات بينكم .

ثم نزل وعمد إلى بيت المال وأخرج ما فيه وفرقه على المسلمين ، ثم بعث إلى سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة فقال : لقد بلغني عنكم هنات ، فقال سعد : صدقوا! لا أبايعك ، ولا أخرج معك حيث تخرج حتى تعطيني سيفا يعرف المؤمن من الكافر ، وقال له ابن عمر : أنشدك الله والرحم أن تحملني على ما لا أعرف ، والله! لا أبايع حتى يجتمع المسلمون على من جمعهم الله عليه ، وقال محمد بن مسلمة : إن رسول الله ﷺ أمرني إذا اختلف أصحابه ألا أدخل فيما بينهم ، وأن أضرب بسيفي صخر أحد ، فإذا انقطع أقعد في بيتي حتى تأتيني يد خاطئة أو منية قاضية ، وقد

فعلت ذلك ؛ ثم دعا عليّ أسامة بن زيد وأراده على البيعة فقال أسامة : أما البيعة فإنني أبايعك ، أنت أحب إليّ وآثرهم عندي ، وأما القتال فإني عاهدت رسول الله ﷺ ألا أقاتل رجلا يشهد أن لا إله إلا الله ، فلما رآهم علي مختلفين قال : أخرجوني من هذه البيعة واختاروا لأنفسكم من أحببتم ، فسكتوا وقاموا وخرجوا ، فدخل عليه المغيرة بن شعبة فقال : يا أمير المؤمنين! إني مشير عليك بخلال ثلاث فافعل أيها شئت ، فقال : ما هي يا أعور؟

فقال : إني أرى من الناس بعض التثاقل فيك ؛ فأرى أن تأتي بحمل ظهر فتركبه وتركض في الأرض هاربا من الناس ، فإنهم إذا رأوا ذلك منك ابتاعوا جمالا أظهر من جمالك وخيولا ، ثم ركضوا في أثرك حتى يدركوك حيث ما كنت ويقلدوك هذا الأمر على اجتماع منهم شئت أو أبيت ، فإن لم تفعل هذا فأقرّ معاوية على الشام كله واكتب إليه كتابا بذلك تذكر فيه من شرفه وشرف آبائه وأعلمه أنك ستكون له خيرا من عمر وعثمان ، واردد عمرو بن العاص على مصر ، واذكر في كتابك شرفه وقدمه ، فإنه رجل يقع الذكر منه موقعا ، فإذا ثبت الأمر أذنت لهما حينئذ في القدوم عليك تستخبر هما عن البلاد والناس ، ثم تبعث بعاملين وتقرهما عندك ؛ فإن أبيت فاخرج من هذه البلاد فإنها ليست ببلاد كراع وسلاح .

فقال علي : أما ما ذكرت من فراري من الناس فكيف أفر منهم وقد بايعوني ، وأما أمر معاوية وعمرو بن العاص فلا يسألني الله عن إقرارهما ساعة واحدة في سلطاني وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ، وأما خروجي من هذه البلاد إلى غيرها فإني ناظر في ذلك . فخرج من عنده المغيرة ثم عاد وهو عازم على الخروج إلى الشام واللحاق بمعاوية ، فقال له : يا أمير المؤمنين! أشرت عليك بالأمس في رأيي بمعاوية وعمرو ، إن الرأي أن تعاجلهم بالنزع ، فقد عرف السامع من غيره ، وتستقبل أمرك ، ثم خرج من عنده فلقيه ابن عباس خارجا وهو داخل ، فلما انتهى إليه قال : رأيت المغيرة خارجا من عندك ، فيم جاءك؟ قال : جاءني أمس برأي واليوم برأي ، وأخبره بالرأيين ، فقال ابن عباس : أما أمس فقد نصحك ، وأما اليوم فقد غشك ، قال : فما الرأي؟ قال ابن عباس : كان الرأي قبل اليوم ، قال علي :

عليّ ذلك! قال : كان الرأي أن تخرج إلى مكة حتى تدخلها وتدخل دارا من دورها وتغلق عليك بابك ، فإن الناس لم يكونوا ليدعوك ، وإن قريشا كانت تضرب الصعب والذلول في طلبك ، لأنها لا تجد غيرك ، فأما اليوم فإن بني أمية يستحسنون

الطلب بدم صاحبهم ، ويشبهون على الناس أن يلزموك شعبة من أمره ويلطخونك من ذلك ببعض اللطخ . فهمّ علي بالنهوض إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما رأى معاوية وما هو صانع ، فجاءه أبو أيوب الأنصاري[١] فقال له : يا أمير المؤمنين! لو أقمت بهذه البلاد! لأنها الدرع الحصينة ومهاجرة للنبي ﷺ ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام ، فإن استقامت لك العرب كنت فيها كمن كان ، وأن تشعب»

عليك قوم رميتهم بأعدائهم ، وإن ألجئت حينئذ إلى المسير سرت وقد أعذرت ، فقال علي : إن الرجال والأموال بالعراق ، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، ثم أخذ بما أشار عليه أبو أيوب الأنصاري وعزم على المقام بالمدينة ؛ وبعث العمال على الأمصار ، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة أميرا ، وعمارة بن حسان ابن شهاب على الكوفة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد[٢] على مصر ، وسهل بن حنيف[٣] على الشام ؛ فأما سهل بن حنيف فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيه خيل من أهل الشام فقالوا له : من أنت؟ قال : أمير ، قالوا : على أي شيء؟ قال : على الشام ، قالوا : إن كان عثمان بعثك فحي هلا بك ، وإن كان بعثك غيره فارجع ، قال : ما سمعتم بالذي كان؟ قالوا : بلى ، ولكن ارجع إلى بلدك ، فرجع إلى علي وإذا القوم أصحاب .

وأما قيس بن سعد فإنه انتهى إلى إيلة فلقيه طلائع فقالوا له : من أنت؟ فقال :

أنا من الأصحاب الذين قتلوا وشردوا من البلاد ، فأنا أطلب مدينة آوي إليها ، فقالوا : ومن أنت؟ قال : أنا قيس بن سعد بن عبادة ، فقالوا : امض بنا ، فمضى

---

(١) أبو أيوب الأنصاري ، خالد بن زيد بن كليب الخزرجي النجاري ، صحابي من الأنصار ، شهد بيعة العقبة وغزوة بدر وغزوة أحد وسائرَ المشاهد مع رسول الإسلام محمد ، وهو الذي خصَّه الرسولُ محمدٌ بالنزول في بيته عندما قدم المدينة المنورة مهاجراً ، وأقام عنده حتى بنى حجره ومسجده وانتقل إليها .

(٢) قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الخزرجي صحابي جليل من أكرم بيوت العرب وأعرقها نسبًا ، فأبوه هو الصحابي الجليل سعد بن عبادة سيد الخزرج .

(٣) أبو أمامة سهل بن حنيف ، الأنصاري الأوسي المدني ، ولد في حياة محمد بن عبد الله–صلى الله عليه واله وسلم – ، ورآه وحدث عن أبيه وعمر وعثمان وزيد بن ثابت ومعاوية وابن عباس . وعنه الزهري وأبو حازم وجماعة .

قيس حتى دخل مصر وأظهر لهم حاله . وأخبرهم أنه ولي على مصر ، فافترق عليه أهل مصر فرقا : فرقة دخلت في الجماعة وبايعت ، وفرقة أمسكت واعتزلت ، وفرقة قالت : إن قيد من قتلة عثمان فنحن معه وإلا فلا ، فكتب قيس بن سعد بجميع ما رأى من أهل مصر إلى علي .

وأما عبيد الله بن عباس[(١)] فإنه خرج منطلقا إلى اليمن ، لم يعانده أحد ولم يصدّه عنها صاد حتى دخلها فضبطها لعلي ، وأما عمارة بن حسان بن شهاب فإنه أقبل عامدا إلى الكوفة حتى إذا كان بزبالة لقيه طليحة بن خويلد الأسدي وهو خارج إلى المدينة يطلب دم عثمان ، فقال طليحة : من أنت؟ قال : أنا عمارة بن حسان بن شهاب ، قال : ما جاء بك؟ قال : بعثت إلى الكوفة أميرا ، قال : ومن بعثك؟ قال : أمير المؤمنين علي ، قال : الحق بطيّتك ، فإن القوم لا يريدون بأميرهم أبي موسى الأشعري بدلا ، فرجع عمارة إلى علي وأخبره الخبر ، وأقام طليحة بزبالة .

وأما عثمان بن حنيف فإنه مضى يريد البصرة وعليها عبد الله بن عامر بن كريز ، وبلغ أهل البصرة قتل عثمان ، فقام ابن عامر فصعد المنبر وخطب وقال : إن خليفتكم قتل مظلوما ، وبيعته في أعناقكم ، ونصرته ميتا كنصرته حيا ، واليوم ما كان أمس ، وقد بايع الناس عليا ونحن طالبون بدم عثمان ، فأعدوا للحرب عدتها ، فقال له حارثة بن قدامة : يا ابن عامر! إنك لم تملكنا عنوة وقد قتل عثمان بحضرة المهاجرين والأنصار وبايع الناس عليا ، فإن أقرك أطعناك ، وإن عزلك عصيناك ، فقال ابن عامر : موعدك الصبح ، فلما أمسى تهيأ للخروج وهيأ مراكبه وما يحتاج إليه ، واتخذ الليل جملا يريد المدينة ، واستخلف عبد الله بن عامر الحضرمي على البصرة ، فأصبح الناس يتشاورون في ابن عامر وأخبروا بخروجه ، فلما قدم ابن عامر المدينة أتى طلحة والزبير فقالا له : لا مرحبا بك ولا أهلا! تركت العراق والأموال ، وأتيت المدينة خوفا من علي ، ووليتها غيرك ، واتخذت الليل جملا ، فهلا أقمت حتى يكون

(١) عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، ابن عم النبي ﷺ ، وكان أصغر من أخيه عبد الله بسنة ، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية . وكان عبيد الله كريما جميلا وسيما يشبه أباه في الجمال ، وروي أن رسول الله ﷺ كان يصف عبد الله وعبيد الله وكثيرا صفا ويقول : «من سبق إليّ فله كذا» فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم .

لك بالعراق فئة ، قال ابن عامر : فأما إذا قلتما هذا فلكما عليّ مائة ألف سيف وما أردتما من المال .

ثم أتت أم كلثوم بنت علي[1] أباها وكانت تحت عمر بن الخطاب ، فقالت له :

إن عبد الله بن عمر رجل صالح ، وأنا أتكفل ما يجيء منه لك ، فلما كان من قدوم ابن عامر المدينة جاء ابن عمر إليها فقال : يا أماه! إنك قد كفّلت فيّ وأنا أريد الخروج إلى العمرة الساعة ، ولست بداخل في شيء يكرهه أبوك غير أني ممسك حتى يجتمع الناس ، فإن شئت فأذني ، وإن شئت فابعثيني إلى أبيك ، قالت : لا ، بل اذهب في حفظ الله وتحت كنفه ، فانطلق ابن عمر معتمرا .

فلما أصبح الناس أتوا عليّا فقالوا : قد حدث البارحة حدث هو أشد من طلحة والزبير ومعاوية ، قال علي : وما ذاك؟ قالوا : خرج ابن عمر إلى الشام ، فأتى علي السوق وجعل يعد طلابا ليرد ابن عمر ، فسمعت أم كلثوم بذلك فركبت بغلتها حتى أتت أباها فقالت : إن الأمر على غير ما بلغك ، وحدثته بما ذكر لها ابن عمر ، فطابت نفس علي بذلك ، فما انصرفوا من السوق حتى جاءهم بعض القدام من العمرة وأخبروه أنهم رأوا ابن عمر وآخر معه على حمارين محرمين بكساءين .

ثم كتب علي إلى معاوية : «بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد! فإنه قد بلغك ما كان من مصاب عثمان وما اجتمع الناس عليه من بيعتي فادخل في السلام كما دخل الناس وإلا فأذن بحرب كما يؤذن أهل الفرقة- والسلام . وبعث كتابه مع سبرة الجهني والربيع بن سبرة ، فلما قدم سبرة بكتاب علي ودفعه إلى معاوية جعل يتردد في الجواب مدة ، فلما طال ذلك عليه دعا معاوية رجلا من عبس يدعى قبيصة فدفع إليه طومارا مختوما عنوانه «من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب» وقال له : إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار وأبرزه- وأوصاه بما يقول ، وبعثه مع سبرة رسول علي فقدما المدينة ، فرفع العبسي الطومار كما أمر معاوية ، فخرج الناس ينظرون إليه وعلموا حينئذ أن معاوية معترض

(١) هي أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة الزهراء وتسمى أيضاً زينب الصغرى تمييزا لها عن أختها زينب الكبرى إذ تشتركان بالاسم واللقب ، فهي بذلك حفيدة رسول الله محمد بن عبد الله . تزوجت من عمر بن الخطاب ثم ابن عمها محمد بن جعفر بن أبي طالب .

معاند ؛ فلما دخلا على علي دفع إليه العبسي الطومار ففض عن خاتمه فلم يجد في جوفه شيئا ، فقال لسبرة : ما وراءك؟ قال : تركت قوما لا يرضون إلا بالقود ، وقد تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان ، فقال علي : أمني يطلبون دم عثمان .

ثم كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على الكوفة «بسم الله الرحمن الرحيم- من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعري ، سلام عليك! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد! فإنه قد بلغك ما كان من مصاب عثمان وما اجتمع الناس عليه من بيعتي ، فادخل فيما دخل فيه الناس ورغب أهل ملكك في السمع والطاعة ، واكتب إلي بما كان منك ومنهم إن شاء الله- والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» . وبعث الكتاب مع عبد الأسلمي ، فلما قدم معبد الكوفة دعا أبو موسى الأشعري الناس إلى طاعة علي فأجابوه طائعين ، وكتب إلى علي بن أبي طالب «بسم الله الرحمن الرحيم- لعبد الله علي أمير المؤمنين من عبد الله بن قيس ، سلام عليك! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد! فقد قرأت كتابك ودعوت من قبلي المسلمين فسمعوا وأطاعوا- والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» ودفع كتابه إلى معبد .

وكانت عائشة خرجت معتمرة ، فلما قضت عمرتها نزلت على باب المسجد واجتمع إليها الناس فقالت : أيها الناس! إن الغوغاء من أهل الأمصار وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول بالأمس ظلما ، واستحلوا البلد الحرام وسفكوا الدم الحرام . فقال عبد الله ابن عامر : ها أنا ذا أول طالب بدمه ، فكان أول من انتدب لذلك .

ولما كثر الاختلاف بالمدينة استأذن طلحة(١) والزبير عليا في العمرة ، فقال لهما : ما العمرة تريدان ، وقد قلت لكما قبل بيعتكما لي : أيكما شاء بايعته ، فأبيتما إلا بيعتي ، وقد أذنت لكما ، فاذهبا راشدين ، فخرجا إلى مكة وتبعهما عبد الله بن عامر بن كريز(٢) فلما لحقهما قال لهما : ارتحلا فقد بلغتكما حاجتكما ، فاجتمعوا مع

(١) الصحابي طلحة بن عبيد الله التَّيمي القُرشي الكناني .

(٢) عبد الله بن كريز العبشمي القرشي صحابي جليل فتح جميع إقليم خراسان وكان واليا في عهد عثمان حتى عزله معاوية وهو شريفا في قومه بارا بهم جوادا كريما من أجود رجال قريش والعرب .

عائشة بمكة وبها جماعة من بني أمية .

ثم جمع معاوية أهل الشام على محاربة علي والطلب بالقود من دم عثمان ، واحتال في قيس بن سعد بن عبادة وكان واليا على مصر ، وكتب إلى علي كتابا يمرغ فيه معاوية ، فلما قرأ علي الكتاب عزل قيسا وولى عليها محمد بن أبي بكر .

وخرج قسطنطين بن هرقل[1] بالمراكب يريد المسلمين ، فسلط الله عليهم ريحا قاصفا فغرقهم ، ونجا قسطنطين بن هرقل حتى انتهى إلى صقلية ، فصنعت الروم حماما ، فلما دخله قتلوه فيه وقالوا له : قتلت رجالنا .

ثم حج بالناس عبد الله بن عباس ، أمره علي على الحج ، فلما انصرف أجمع طلحة والزبير على المسير بعائشة ، فقال طلحة : ما لنا أمر أبلغ في استمالة الناس إلينا من شخوص ابن عمر معنا ، وكان من أمره في عثمان وخلافه له على ما يعلمه من يعلمه ، فأتاه طلحة فقال : يا أبا عبد الرحمن! إن عائشة قصدت الإصلاح بين الناس فاشخص معنا فإن لك بنا أسوة ، فقال ابن عمر : أتخدعونني لتخرجوني كما تخرج الأرنب من جحرها! إن الناس إنما يخدعون بالوصيف والوصيفة والدنانير والدراهم ، ولست من أولئك ، قد تركت هذا الأمر عيانا وأنا أدعى إليه في عافية ، فاطلبوا لأمركم غيري ، فقال طلحة : يغني الله عنك .

وقدم يعلى بن أمية من اليمن وقد كان عاملا عليها بأربعمائة من الإبل ، فدعاهم إلى الحملان ، فقال له الزبير : دعنا من إبلك هذه ، ولكن أقرضنا من هذا المال ، فأعطاه ستين ألف دينار ، وأعطى طلحة أربعين ألف دينار ، فتجهزوا وأعطوا من خف معهم .

---

(١) قسطنطين أو كونستانتينوس الثالث (٦١٢ - ٦٤١) هو الابن الأكبر للإمبراطور البيزنطي هرقل (هيراكليوس) وزوجته الأولى يودوكيا . حكم قسطنطين لمدة أربعة أشهر عام ,٦٤١ بعدما توفي والده هرقل عام ٦٤١ ، عين قسطنطين كإمبراطور أول للبيزنطيين ، وقد كان أخوه هرقلوناس ، ابن مارتينا (زوجة هرقل الأخرى) ، إمبراطوراً أيضاً . بعد أربعة أشهر من اعتلائه العرش الإمبراطوري توفي بسبب مرض السل ، الأمر الذي أدى بأن يحكم هيراكلوناس لوحده الإمبراطورية البيزنطية . يقال بأن قسطنطين توفي جراء سم وضعته زوجة أبيه ووالدة أخيه هيراكلوناس مارتينا .

حسن جواب علي

قال رجل من اليهود لعلي بن أبي طالب : ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير .

فقال له عليّ رضي الله عنه : أنتم ما جفّت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم : ﴿اجعل لنا الها كما لهم آلهة﴾ .

ومن المنقول عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، عن البحتري قال :

جاء رجل الى عليّ ابن أبي طالب ، فأطراه وكان يبغضه ، فقال له :

إني ليس كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك .

فراسة علي رضي الله عنه

أخبر سمّاك بن حرب(١) ، عن خبش بن المعتمر أن رجلين أتيا امرأة من قريش ، فاستودعاها مئة دينار وقالا : لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع .

فلبثا حولا ، فجاء أحدهما إليها ، فقال : ان صاحبي قد مات ، فادفعي إليّ الدنانير ، فأبت وقالت : انكما قلتما لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه ، فلست بدافعتها اليك .

فتثقل عليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها اليه .

ثم لبثت حولا فجاء الآخر ، فقال : ادفعي اليّ الدنانير .

فقالت : إن صاحبك جاءني ، فزعم أنك مت فدفعتها اليه .

فاختصما الى عمر بن الخطاب ، فأراد أن يقضي عليها ، فقالت : أنشدك الله ألا تقضي بيننا ، ارفعنا الى عليّ .

فرفعهما الى علي ، فعرف أنهما قد مكرا بها ، فقال للرجل : أليس قد قلتما : لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه؟

قال : بلى .

قال : فان مالك عندها ، فاذهب فجئ بصاحبك حتى ندفعها اليهما .

---

(١) ابن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة . الحافظ الإمام الكبير أبو المغيرة الذهلي البكري الكوفي أخو محمد وإبراهيم .

تزويج الحسن بن علي

خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب عَلَيْه السَّلامُ عَلَى الْحَسَنِ ابْنه ، أُمَّ عِمْرَانَ بِنْتَ سَعِيد بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ ، فَقَالَ : فَوْقِي أَمِيرٌ أُوَامِرُهُ ، يَعْنِي أُمَّهَا ، فَقَالَ : قُمْ فَوَامِرْهَا ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْده فَلَقِيَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ بِالْبَابِ ، فَأَخْبَرَهُ الخبر ، فَقَالَ : مَا تُرِيدُ إِلَى الْحَسَنِ يَفْخَرُ عَلَيْهَا وَلا يَنْصِفُهَا ، وَيُسِيءُ إِلَيْهَا ، فَيَقُولُ : ابْنُ رَسُولِ اللَّه ﷺ وَابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ هَلْ لَكَ فِي ابْنِ عَمِّهَا فَهِيَ لَهُ وَهُوَ لَهَا ؟ قَالَ : وَمَنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدُ بْنُ الأَشْعَث ، قَالَ : قَدْ زَوَّجْتُهُ ، وَدَخَلَ الأَشْعَثُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْه السَّلامُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَطَبَ الْحَسَنُ ابْنَةَ سَعِيد ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ لَكَ فِي أَشْرَفَ مِنْهَا بَيْتًا ، وَأَكْرَمَ مِنْهَا حَسَبًا ، وَأَتَمَّ جَمَالاً ، وَأَكْثَرَ مَالا ؟ قَالَ : وَمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : جَعْدَةُ بِنْتُ الأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : قَدْ قَاوَلْنَا رَجُلا لَيْسَ إِلَى ذَلِكَ الَّذِي قَاوَلْتُهُ سَبِيلٌ ، قَالَ : إِنَّهُ فَارَقَهُ لِيُؤَامِرَ أُمَّهَا ، قَالَ : فَزَوَّجَهَا مِنْ مُحَمَّد بْنِ الأَشْعَث ، قَالَ : مَتَى ؟ قَالَ : السَّاعَةَ بِالْبَابِ ، قَالَ : فَزَوَّجَ الْحَسَنُ جَعْدَةَ ، فَلَمَّا لَقِيَ سَعِيدٌ الأَشْعَثَ ، قَالَ : يَا أَعْوَرُ خَدَعْتَنِي ؟ قَالَ : أَنْتَ يا أَعْوَرُ حَيْثُ تَسْتَشِيرُنِي فِي ابْنِ رَسُولِ اللَّه ﷺ ، أَلَسْتَ أَحْمَقُ ، ثُمَّ جَاءَ الأَشْعَثُ إِلَى الْحَسَنِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّد أَلا تَزُورُ أَهْلَكَ ، فَلَمَّا أَرَادَ ذَلِكَ ، قَالَ : لا تَمْشِي وَاللَّه إِلا عَلَى أَرْدِيَة قَوْمِي ، فَقَامَتْ لَهُ كِنْدَةُ سِمَاطَيْنِ ، وَجَعَلَتْ لَهُ أَرْدِيَتَهَا بُسُطًا مِنْ بَابِهِ إِلَى بَابِ الأَشْعَثِ .

فطنة الحسن

ومن المنقول عن الحسن بن علي رضي الله عنهما :

لمل جيء بابن ملجم الى الحسن قال له : أريد أن أسارّك بكلمة .

فأبى الحسن وقال : إنه يريد أن يعض أذني .

فقال ابن ملجم : والله لو مكّنني منها لأخذتها من صماخه .

الحسين والحالف كذباً

ومن المنقول عن الحسين رضي الله عنه أن رجلا ادّعى عليه مالا وقدّمه الى القاضي ، فقال الحسين :

ليحلف على ما ادّعى ويأخذه .

فقال الرجل : والله الذي لا إله إلا هو .

فقال : قل والله والله والله ان هذا الذي تدّعيه لك قبلي .
ففعل الرجل وقام ، فاختلفت رجلاه وسقط ميّتا .
فقيل للحسين في ذلك فقال :
كرهت أن يمجّد الله فيحلم عنه!

منازل الخلفاء

قال أحد الرواة :

كان في زمن المهدي رجل صوفي ، وكان عاقلا عاملا ورعا ، فتحمّق ليجد السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وكان يركب قصبة في كل جمعة يومين : الأثنين والخميس ، فإذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة ، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان ، فيصعد تلّا وينادي بأعلى صوته : ما فعل النبيون والمرسلون ، أليسوا في أعلى عليين؟ فيقولون : نعم .

قال : هاتوا أبا بكر الصديق . فأخذ غلام فأجلس بين يديه ؛ فيقول : جزاك الله خيرا أبا بكر عن الرعية ، فقد عدلت وقمت بالقسط ، وخلفت محمدا عليه الصلاة والسلام فأحسنت الخلافة ، ووصلت حبل الدين بعد حلّ وتنازع ، وفرغت منه إلى أوثق عروة وأحسن الخلافة ، ووصلت حبل الدين بعد حلّ وتنازع ، وفرغت منه إلى أوثق عروة وأحسن ثقة ؛ اذهبوا به إلى أعلى عليين .

ثم ينادي : هاتوا عمر . فأجلس بين يديه غلام ، فقال : جزاك الله خيرا أبا حفص عن الإسلام ، قد فتحت الفتوح ، ووسعت الفيء ، وسلكت سبيل الصالحين ، وعدلت في الرعية ؛ اذهبوا به إلى أعلى عليين بحذاء أبي بكر .

ثم يقول : هاتوا عثمان . فأتي بغلام فأجلس بين يديه ، فيقول له : خلطت في تلك السنين ، ولكن الله تعالى يقول : خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

ثم يقول : اذهبوا به إلى صاحبيه في أعلى عليين! ثم يقول : هاتوا عليّ بن أبي طالب . فأجلس غلام بين يديه ، فيقول : جزاك الله عن الأمة خيرا أبا الحسن ، فأنت الوصي ووليّ النبي ، بسطت العدل وزهدت في الدنيا ، واعتزلت الفيء فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر ، وأنت أبو الذرية المباركة ، وزوج الزكية الطاهرة ؛ اذهبوا به إلى أعلى عليين الفردوس .

ثم يقول : هاتوا معاوية . فأجلس بين يديه صبيّ ، فقال له : أنت القاتل عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، وحجر بن الأدبر الكندي الذي أخلقت وجهه العبادة ؛ وأنت الذي جعل الخلافة ملكا ، واستأثر بالفيء ، وحكم بالهوى ، واستنصر بالظلمة ؛ وأنت أول من غيّر سنة رسول الله ﷺ ، ونقض أحكامه ، وقام بالبغي ، اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة! ثم قال : هاتوا يزيد . فأجلس بين يديه غلام ، فقال له : يا قوّاد! أنت الذي قتلت أهل الحرّة ، وأبحت المدينة ثلاثة أيام ، وانتهكت حرم رسول الله ﷺ ، وآويت الملحدين ، وبؤت باللعنة على لسان رسول الله ﷺ ، وتمثلت بشعر الجاهلية .

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وقتلت حسينا ، وحملت بنات رسول الله ﷺ سبايا على حقائب الإبل ؛ اذهبوا به إلى الدرك الأسفل من النار .

ولا يزال يذكر واليا بعد وال ، حتى بلغ إلى عمر بن عبد العزيز ، فقال : هاتوا عمر . فأتى بغلام فأجلس بين يديه ، فقال : جزاك الله خيرا عن الإسلام ، فقد أحييت العدل بعد موته ، وألفت القلوب القاسية ، وقام بك عمود الدين على ساق ، بعد شقاق ونفاق ؛ اذهبوا به فألحقوه بالصديقين .

ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء إلى أن بلغ دولة بني العباس ، فسكت فقيل له :

هذا أبو العباس أمير المؤمنين . قال : فبلغ أمرنا إلى بني العباس؟ ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعا .

أدب العباس

ومن المنقول عن العباس(١) رضي الله عنه أنه سئل : أنت أكبر أم النبي ﷺ ؟ فقال : هو أكبر مني ، وأنا ولدت قبله .

---

(١) العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي صحابي من صحابة رسول الإسلام محمد ، وعمُه ، وكنيته أبو الفضل ، وقد وُلد قبل عام الفيل بثلاث سنين (٥٦٧م) ، وضاع وهو صغير ، فنذرت أمه نتيلة بنت جناب بن كليب النمرية إن وجدته أن تكسو البيت الحرير ، فوجدته فكست البيت الحرام حريرا ، فهي أوّل من كساه كذلك . وذريته هم من أسس الدولة العباسية ، وقد حدث عن النبي بأحاديث ، وروى عنه أولاده ، وعامر بن سعد ، والأحنف بن قيس ، وعبد اللّه بن الحارث ، وغيرهم .

من أخبار الصحابة

عن خبيب بن عبد الرحمن[1] ، عن أبيه ، عن جده ، قال : شهدت مع رسول الله ﷺ ، فقتلت رجلاً ، وضربني ضربةً ، فتزوّجت بابنته بعد ، فكانت تقول : لا عدمتُ رجلاً وشحك هذا الوشاح ؛ فأقول : لا عدمت رجلاً عجّل أباك إلى النار .

روى سعيدُ المقبري ، عن أبي هريرة ، أنّه قال : «لا يزالُ العبدُ في صلاة ما لم يحدث» فقال رجلٌ من القوم أعجمي : ما الحدثُ يا أبا هريرة؟ قال : الصوت ، قال : وما الصوت؟ فجعل أبو هريرة يضرط بفيه حتى أفهمه .

عن أبي مليكة ، قال : قال ابن الزبير لابن جعفر : أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ ، أنا وأنت وابن عباس ، قال : نعم ، فحملنا وتركك .

مناظرة لابن القيم[٢]

قول ابن القيم رحمه الله

جرت لي «مناظرة» بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة ، فقلت له في أثناء الكلام : أنتم بتكذيبكم محمدا ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة .

فعجب من ذلك ، وقال : مثلك يقول هذا الكلام! فقلت له : اسمع الآن تقريره ، إذا قلتم : إن محمدا ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس برسول من عند الله ، وقد أقام ثلاثا وعشرين سنة يدعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة ، ويقول : أمرني الله بكذا ، ونهاني عن كذا ، وأوحى إلى كذا ؛ ولم يكن من ذلك شيء ، ويقول : أنه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم ، وغنيمة أموالهم ، وقتل رجالهم ؛ ولم يكن من ذلك شيء ، وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء ، ومعاداة أممهم ، ونسخ

---

(١) خبيب بن عبد الرحمن رجل من الأنصار مدني ثقة وهو خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشام بن الحارث الأنصاري .

(٢) ابن قيّم الجوزية من علماء المسلمين في القرن الثامن الهجري وصاحب المؤلفات العديدة ، عاش في دمشق ودرس على يد ابن تيمية الدمشقي ولازمه قرابة ١٦ عاما وتأثر به . وسجن في قلعة دمشق في أيام سجن ابن تيمية وخرج بعد أن توفى شيخه عام ٧٢٨ هـ .

شرائعهم ، فلا يخلو إما أن تقولوا أن الله سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه ، أو تقولوا أنه خفي عنه ولم يعلم به ، فإن قلتم لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل ، وكان من علم ذلك أعلم منه .

وإن قلتم بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه ، فلا يخلو إما أن يكون قادرا على تغييره ، والأخذ على يديه ومنعه من ذلك ، أولا ، فإن لم يكن قادرا فقد نسبتموه إلى .

أقبح العجز المنافي للربوبية ، وإن كان قادرا ، وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعليه ويعلى كلمته ، ويجيب دعاءه ، ويمكنه من أعدائه ، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف ، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به ، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له .

فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء فضلا عن رب الأرض والسماء ؛ فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه ، وهذه عندكم شهادة زور وكذب ، فلما سمع ذلك . قال :

معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد ، قلت : فما لك لا تدخل في دينه؟ قال : إنما بعث إلى الأميين الذي لا كتاب لهم ، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه .

قلت له : غلبت كل الغلب ، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق ، وأن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم ، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب ، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به ؛ فأمسك ولم يحر جوابا .

وقريب من هذه المناظرة ما جرى لبعض علماء المسلمين مع بعض اليهود ببلاد المغرب قال له المسلم : في التوراة التي بأيديكم إلى اليوم أن الله قال لموسى : «إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبيا مثلك ، أجعل كلامي على فِيه ، فمن عصاه انتقمت منه» قال له اليهودي : ذلك يوشع بن نون ، فقال المسلم :

هذا محال من وجوه :

(أحدها) : أنه قال عندك في آخر التوراة (أنه لا يقوم في بني إسرائيل نبي مثل موسى) .

(الثاني) : أنه قال (من إخوتهم) وأخوة بني إسرائيل ، إما العرب و إما الروم ،

فإن العرب بنو إسماعيل والروم بنو العيص وهؤلاء أخوة بني إسرائيل ، فأما الروم فلم يقم منهم نبي سوى أيوب ، وكان قبل موسى فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة ، فلم يبق إلا العرب وهم بنو إسماعيل وهم أخوة بني إسرائيل .

وقد قال الله في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب «أنه يضع فسطاطه في وسط بلاد أخوته» وهم بنو إسرائيل ، وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد الذي نصب فسطاطه وملك أمته في وسط بلاد بني إسرائيل ، وهي الشام التي هي مظهر ملكه كما تقدم من قوله : «وملكه بالشام» فقال له اليهودي : فعندكم في القرآن (وإلى مدين أخاهم شعيبا) (وإلى عاد أخاهم هودا) (وإلى ثمود أخاهم صالحا) والعرب تقول : يا أخا بني تميم للواحد منهم ، فهكذا قوله : «أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم» .

قال المسلم : الفرق بين الموضعين ظاهر ؛ فإنه من المحال أن يقال : إن بني إسرائيل إخوة بني إسرائيل ، وبني تميم إخوة بني تميم ، وبني هاشم إخوة بني هاشم ، هذا ما لا يعقل في لغة أمة من الأمم ، بخلاف قولك : زيد أخو بني تميم ، وهو عاد ، وصالح أخو ثمود ، أي واحد منهم ، فهو أخوهم في النسب .

ولو قيل عاد أخو عاد وثمود أخو ثمود ، ومدين أخو مدين لكان نقصا ، وكان نظير قولك : بنو إسرائيل إخوة بني إسرائيل ، فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ صريح ، قال اليهودي : فقد أخبر أنه سيقيم هذا النبي لبني إسرائيل ، ومحمد إنما أقيم للعرب ، ولم يقم لبني إسرائيل فهذا الاختصاص يشعر بأنه مبعوث إليهم لا إلى غيرهم .

قال المسلم : هذا من دلائل صدقه ، فإنه ادعى أنه رسول الله إلى أهل الأرض كتابيهم وأميهم ، ونص الله في التوراة على أنه يقيمه لهم ، لئلا يظنوا أنه مرسل إلى العرب والأميين خاصة ، والشيء يخص بالذكر لحاجة المخاطب إلى ذكره ، لئلا يتوهم السامع أنه غير مراد باللفظ العام ، ولا داخل فيه ، وللتنبيه على أن ما عداه أولى بحكمه ولغير ذلك من المقاصد ، فكان في تعيين بني إسرائيل بالذكر إزالة لوهم من توهم أنه مبعوث إلى العرب خاصة ، وقد قال تعالى :

﴿لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ وهؤلاء قومه ولم ينف ذلك أن يكون نذيرا لغيرهم ، فلو أمكنك أن تذكر عنه أنه ادعى أنه رسول إلى العرب خاصة ، لكان ذلك حجة ، فأما وقد نطق كتابه وعرف الخاص والعام بأنه ادعى أنه مرسل إلى بني إسرائيل وغيرهم فلا حجة لك .

قال اليهودي : إن أسلافنا من اليهود كلهم على أنه ادعى ذلك ، ولكن العيسوية منا تزعم أنه نبي العرب خاصة ، ولسنا نقول بقولهم ، ثم التفت إلى يهودي معه ، فقال : نحن قد جرى شأننا على اليهودية ، وتالله ما أدري كيف التخلص من هذا العربي ؛ إلا أنه أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهي عن ذكره بسوء .

رؤيا صحابي

قدم أبو عمرو النخعي(١) على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني رأيت في طريقي هذه رؤيا رأيت أتاناً تركتها في الحي ولدت جدياً أسفع أحوى فقال رسول الله ﷺ : هل لك من أمة تركتها مصرة حملاً قال : نعم تركت أمة لي أظنها قد حملت قال : فقد ولدت غلاماً وهو ابنك قال : فما له أسفع أحوى قال : ادن مني فدنا منه .

فقال : هل بك برص تكتمه قال : نعم والذي بعثك بالحق نبياً ما رآه مخلوق ولا علم به قال : فهو ذلك .

قال : ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان قال : ذلك ملك العرب عاد إلى أفضل زيه وبهجته .

قال : ورأيت عجوزاً شمطاء تخرج من الأرض قال : تلك بقية الدنيا .

قال : ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورأيتها تقول : لظى لظى بصير وأعمى أطعموني آكلكم آكلكم أهلككم وما لكم .

فقال النبي ﷺ : تلك فتنة في آخر الزمان : قال : وما الفتنة يا رسول الله قال : يقتل الناس إمامهم ثم يشتجرون اشتجار أطباق الرأس - وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه - يحسب المسيء أنه محسن ودم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء .

---

(١) الأسود بن يزيد ابن قيس الإمام القدوة أبو عمرو النخعي الكوفي وقيل يكنى أبا عبد الرحمن وهو أخو عبد الرحمن بن يزيد ووالد عبد الرحمن بن الأسود وابن أخي علقمة بن قيس وخال إبراهيم النخعي فهؤلاء أهل بيت من رؤوس العلم والعمل ، كان الأسود مخضرما أدرك الجاهلية والإسلام وحدث عن معاذ بن جبل وبلال وابن مسعود وعائشة وحذيفة بن اليمان وطائفة سواهم حدث عنه ابنه عبد الرحمن وأخوه وإبراهيم النخعي وعمارة بن عمير وأبو إسحق السبيعي والشعبي وآخرون وهو نظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسن ويضرب بعبادتهما المثل

اليرموك

شهد اليرموك ألف من أصحاب رسول الله فيهم نحو من مائة من أهل بدر وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك اللهم إن هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك

وقال رجل لخالد ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال خالد ما أقل الروم وأكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه وأنهم أضعفوا في العدد وكان فرسه قد حفي في مسيره قالا فأمر خالد عكرمة والقعقاع وكانا على مجنبتي القلب فأنشبا التقال وارتجز القعقاع وقال . . . يا ليتني ألقاك في الطراد . . . قبل اعترام الجحفل الوراد . . . وأنت في حلبتك الوراد . . .

وقال عكرمة . . . قد علمت بهكنة الجواري . . . أني على مكرمة أحامي . . .

فنشب القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان فإنهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة فأخذته الخيول وسألوه الخبر فلم يخبرهم إلا بسلامة وأخبرهم عن أمداد وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله وتأمير أبي عبيدة فأبلغوه خالدا فأخبره خبر أبي بكر أسره إليه وأخبره بالذي أخبر به الجند قال أحسنت فقف وأخذ الكتاب وجعله في كنانته وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند فوقف محمية بن زنيم مع خالد وهو الرسول وخرج جرجة حتى كان بين الصفين ونادى ليخرج إلي خالد فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما وقد أمن أحدهما صاحبه فقال جرجة يا خالد أصدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم قال لا قال فبم سميت سيف الله قال إن الله عز و جل بعث فينا نبيه صلى الله عليه و سلم فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا ثم إن بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا باعده وكذبه فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه فقال أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين قال صدقتني ثم أعاد عليه جرجة يا خالد أخبرني إلام تدعوني قال إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله قال فمن لم يجبكم قال فالجزية ونمنعهم قال فإن لم يعطها قال نؤذنه

بحرب ثم نقاتله قال فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا ثم أعاد عليه جرجة هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر والذخر قال نعم وأفضل قال وكيف يساويكم وقد سبقتموه قال إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه و سلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا قال جرجة بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني قال بالله لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة وإن الله لولي ما سألت عنه فقال صدقتني وقلب الترس ومال مع خالد وقال علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى ركعتين وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة والحارث بن هشام

وركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى الناس فثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما . .

عمرو بن العاص

ولما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل على غزة ، فبعث اليه علجها[١] أن أرسل اليّ رجلا من أصحابك أكلّمه ، ففكر عمرو وقال : ما لهذا العلج أحد غيري .

فقام حتى دخل على العلج فكلّمه ، فسمع كلاما لم يسمع مثله قط .

فقال له العلج : حدّثني ، هل من أصحابك من أحد مثلك؟

قال لا تسأل عن هواني عندهم اذ بعثوني اليك وعرّضوني لما عرّضوني ، فلا يدرون ما تصنع بي .

(١) أَيْ مِنَ الرِّجَالِ الضِّخَامِ الأَقْوِيَاءِ الْمُنْحَدِرِ مِنَ الْكُفَّارِ الْعَجَمِ ، كَمَا كَانَ يُطْلَقُ الْعِلْجُ عَلَى الْكَافِرِ مُطْلَقاً .

فأمر له بجائزة وكسوة ، وبعث الى البوّاب : إذا مرّ بك فاضرب عنقه وخذ ما معه .

فمرّ برجل من النصارى من غسان فعرفه ، فقال : يا عمرو ، قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج .

فرجع ، فقال له الملك : ما ردّك الينا؟

قال : نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك ليسع بني عمّي ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطيّة ، فيكون معروفك عند عشرة خيرا من أن يكون عند واحد .

قال صدقت ، أعجل بهم . . وبعث الى البوّاب أن خل سبيله . فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا أمن قال : لا عدت لمثلها أبدا .

فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج فقال له : أنت هو؟ قال : على ما كان من غدرك .

سويبط[١] والنعيمان

وقالت أم سلمة[٢] رضي الله عنها : خرج أبو بكر رضي الله عنه في تجارة إلى البصرة قبل وفاة النبي ﷺ ومعه سويبط بن حرملة والنعيمان ، وكان سويبط قد شهد بدرا والنعيمان رضي الله عنه مزّاحا ، وكان سويبط على الزاد فقال له نعيمان أطعمني فقال حتى يجيء أبو بكر . فقال له النعيمان أما لأغيظنك ، فمروا بقوم فقصدهم النعيمان فقال أتشترون مني عبدا . فقالوا نعم . . فقال لهم إن له كلام وإنه قائل لكم إنه حر ، فإذا قال هذه المقالة كنتم تاركيه فلا تفسدوا علي عبدي ، قالوا بل نشتريه فدفعوا له عشر قلائص ، ثم اخذوه فوضعوا في عنقه حبلا وهموا بأخذه فقال لهم إني حر ولست بعبد إنما استهزأ هذا بكم ، فأخذوه وقالوا لقد خبرنا خبرك . . وانطلقوا به . . فلما جاء

(١) سُوَيْبِط بن حَرْمَلَة ، وقيل : سويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عُمَيلة بن السبَّاق بن عبد الدار بن قُصَي بن كلاب القرشي العَبْدَرِيّ ، كان سُويبط من مهاجرة الحبشة ، وكان مَّزاحًا يُفْرِط في الدّعابة .

(٢) أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية إحدى زوجات النبي محمد . تزوجت أم سلمة من أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وأسلما مبكرًا وهاجرت معه إلى الحبشة ، ثم إلى يثرب وظلت معه إلى أن توفي سنة ٤ هـ إثر جرح لم يندمل منذ غزوة أحد ، فتزوجها النبي محمد .

ابو بكر رضي الله عنه فأخبروه الخبر ، تبع القوم فرد عليهم القلائص وردوا عليه سويبطا ، . . فلما أتوا النبي ﷺ أخبروه بما كان ، فضحك رسول الله ومعه أصحابه من حوله .

قتل حمزة

عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري[١] قال : «خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار[٢] فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله بن عدي : هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت : نعم ، وكان وحشي[٣] يسكن حمص فسألنا عنه فقيل لنا : هو ذاك في ظل قصره كأنه حميت قال : فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير فسلمنا فرد السلام قال : وعبيد الله معتجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه فقال عبيد الله : يا وحشي أتعرفني؟ قال : فنظر إليه ثم قال : لا والله ، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص ، فولدت له غلاما بمكة فكنت أسترضع له ، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه ، فلكأني نظرت إلى قدميك . قال : فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال : ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال : جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر قال : فلما أن خرج الناس عام عينين – وعينين جبل بحيال أحد بينه وبينه واد – خرجت مع الناس إلى القتال فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز؟ قال فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب

---

(١) عمرو بن أمية الضمري الكناني ، صحابي جليل وأحد أَنجاد العرب ورجالها نجدةً وجراءَةً وشجاعة وإقداما وفاتكا من فتاكهم في الجاهلية بعثه الرسول محمد في سرية لوحده إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة كما بعثه في سرية لقريش وكان الناجي الوحيد من الصحابة الذين خرجوا في سرية بئر معونة .

(٢) ابن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي النوفلي . ولد في حياة النبي – ﷺ – وكان أبوه من الطلقاء . ما ذكره في الصحابة أحد سوى ابن سعد ، حدث عبيد الله عن : عمر ، وعثمان ، وعلي ، وكعب ، وطائفة .

(٣) الصحابي وحشي بن حرب ، وحشي بن حرب الحبشي ، أبو دسمة مولى طعيمة بن عدي ، وقيل مولى جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي ، قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد ، وشارك في قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة ، وكان يقول : قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام .

فقال : يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله ﷺ ؟ قال : ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب . قال : وكمنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا منى رميته بحربتي فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه قال : فكان ذاك العهد به فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ، ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلاً فقيل لي : إنه لا يهيج الرسل ، قال : فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال : أنت وحشي قلت : نعم . قال : أنت قتلت حمزة؟ قلت : قد كان من الأمر ما بلغك . قال : فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ قال : فخرجت فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت : لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة قال : فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان ، قال : فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس ، قال : فرميته حربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ، قال : ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته» .

أبو عبيدة

لـما تكامل للمسلمين فتوح الشام أقاموا على دمشق شهراً ، فجمع أبو عبيدة رضي الله عنه أمراءهم واستشارهم في المسير إلى «قيسارية» أو إلى «بيت المقدس»؟ فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه : «أيها الأمير اكتب لأمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله» فرد أبو عبيدة : «أصبت الرأي يا معاذ» . ثم كتب إلى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك ، عند وصول الكتاب إلى عمر رضي الله عنه قرأه على المسلمين واستشارهم فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «يا أمير المؤمنين مُرْ صاحبك ينـزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس ، فإذا فتح الله بيتَ المقدس صرف وجهه إلى قيسارية فإنها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى ، كذا أخبرنا رسول الله ﷺ » . فقال عمر رضي الله عنه : «صدق رسول الله ﷺ وصدقت يا أبا الحسن» . ثم دعا بدواة وبياض وكتب :

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى عامله بالشام أبي عبيدة أما بعد ، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه ، وقد وصلني كتابك إلى أي ناحية تتوجه ، وقد أشار أبن عم رسول الله ﷺ بالمسير إلى بيت المقدس فإن الله يفتحها على يديك . . . . والسلام» .

معاشر المؤمنين : لما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا

بالمسير إلى بيت المقدس ، وتقدم الجيش ، وأقام المسلمون في القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح بعدم الخوف ، فلما كان يوم الحادي عشر أشرفت عليهم راية أبي عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن يساره ، وضج الناس بالتهليل والتكبير ، فوقع الرعب في أهل بيت المقدس ، فاجتمعوا بين يدي «البطرك» الذي قال لهم : «ما هذه الضجة التي أسمع» قالوا : «يا أبانا قد قدم أمير المؤمنين ببقية المسلمين»؟ فلما سمع البطرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال : «إنا وجدنا في علمنا الذي ورثناه أن الذي يفتح الأرض هو الرجل الأحمر صاحب نبيهم محمد ، فإن كان قدم عليكم فلا سبيل إلى قتاله ولا بد أن أُشرف عليه وأنظر إلى صفته فإن كان هو أجبته إلى ما يريد وإن كان غيره فلا بأس عليكم» . ثم صعدوا السور إلى أن ورد أبو عبيدة فناداهم رجل من الروم بإذن البطرك : «يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسألكم» فأمسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربي : «إن الرجل الذي يفتح بلدتنا هذه وجميع الأرض صفته عندنا فإن كانت في أميركم لم نقاتلكم بل نسلم إليكم ، وإن لم تكن هذه صفته فلا نسلم إليكم أبداً» .

فأعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك فخرج إليهم إلى أن حاذاهم ، فنظر البطرك وحقق في صورته ثم قال لأصحابه : «ليس هو الرجل ، فأبشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم» .

كان نزول المؤمنين على بيت المقدس في فصل الشتاء والبرد ، فأقاموا عليها أربعة أشهر في أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج . فلما نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار في ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من المسلمين ، وقفوا بين يدي البطرك وقالوا له : «قد عظم الأمر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسأل ما الذي يريدون ، فإن كان أمراً صعباً فتحنا الأبواب وخرجنا إليهم فإما أن نقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا» . فأجابهم البطرك إلى ذلك ، وصعد السور وقال رجل من الروم بلسان عربي : «يا معشر الفرسان فليدن منا أميركم»؟ فقام أبو عبيدة يمشي ومعه جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وترجمان فلما وقف بإزائهم قال : «ما الذي تريدون؟ هذا أمير العرب»؟ فقال البطرك : «إنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا إلى فتح بلدتنا أبداً ، وإنما يفتحها رجل موصوف وليست الصفة معكم»؟ قال أبو عبيدة : «وما صفة من يفتح بلدكم»؟ قال البطرك : «لا نخبركم بصفته ولكن قرأنا أن هذا البلد يفتحه

صاحب لمحمد يعرف بالفاروق وهو رجل شديد ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولسنا نرى صفته فيكم»؟ فلما سمع أبو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال : «فتحنا البلد ورب الكعبة» .

وكتب أبو عبيدة إلى الخليفة عمر رضي الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق ، فلما وصل الكتاب إلى عمر فرح وقرأه على المسلمين وقال : «ما ترون ، رحمكم الله ، فيما كُتب إلينا ، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «إن القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذل ، وهو على المسلمين فتح ، وقد أصابهم جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام ، وإن سرت إليهم فتح الله على يديك هذه المدينة ، وكان لك في مسيرك الأجر العظيم ، ولست ءامن منهم أنهم إذا أيسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل بذلك ضرر للمسلمين ، والصواب أن تسير إليهم«؟ ففرح عمر بمشورة علي وقال : «ولست ءاخذ إلا بمشورة علي فما عرفناه إلا محمود المشورة ميمون الطلعة» . ثم أمر سيدنا عمر رضي الله عنه الناس أن يأخذوا الأهبة للمسير معه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب ، وخرج منها وهو على بعير أحمر عليه غرارتان في إحداهما سويق والأخرى تمر ، وبين يديه قربة ، وخلفه حفنة للزاد ، وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس .

وصل الفاروق عمر إلى بيت المقدس واستقبله أبو عبيدة وسلم عليه المسلمون ، ثم نزل وصلى بهم صلاة الفجر ، ثم خطب فيهم ، فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم إلى أن حضرت صلاة الظهر ، فلما فرغوا من الصلاة أمرهم الفاروق عمر بالركوب ، ولـمّا هَمّ ركوب بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها أربع عشرة رقعة ، قال المسلمون : «يا أمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جواداً ، ولبست ثياباً لكان ذلك أعظم لهيبتك في قلوب أعدائك»؟ وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به إلى أن أجابهم إلى ذلك ، ونزع مرقعته ولبس ثياباً بيضاً وطرح على كتفيه منديلاً من الكتان دفعه إليه أبو عبيدة ، وقدم له جواداً أشهب ، فلما صار عمر فوقه جعل الجواد يهملج أي يحسن السير في سرعة وبخترة ، فلما نظر عمر إلى ذلك نزل مسرعاً وقال : «أقيلوني عثرتي أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة ، لقد كاد أميركم يهلك مما داخَلَه من الكبر» ثم نزع البياض وعاد إلى لبس مرقعته وركوب بعيره ، وعندها علت ضجة المسلمين بالتكبير والتهليل ، فقال البطرك : «انظروا ما شأن العرب» فقال رجل من على السور : «يا معشر العرب ما قضيتكم؟» فقالوا : «إن عمر بن الخطاب قد قدم

علينا من مدينة نبينا ﷺ » فرجع الرجل وأعلم البطرك بذلك ، فأطرق البطرك ولم يتكلم .

فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين ثم قال لأبي عبيدة : «تقدم إلى القوم وأعلمهم أني قد أتيت» فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال : «إن أمير المؤمنين عمر قد أتى فما تصنعون فيما قلتم»؟ فأُعلم البطرك بذلك فخرج ومن حوله الرهبان والقساوسة ثم علا السور وأشرف على أبي عبيدة وقال : «من هذا أيها الشيخ؟» قال أبو عبيدة : «هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» فقال البطرك : «قل له يدنو مني فإني أعرفه بصفاته ونعوته وأفردوه من بينكم حتى نراه»؟ فرجع أبو عبيدة إلى عمر فأخبره بما قال البطرك ، فهمّ عمر بالقيام فقال له أصحاب رسول الله ﷺ : «يُخشى عليك من الانفراد بلا عدة» فقال الفاروق عمر : «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون» ثم ركب بعيره وأبو عبيدة سائر بين يديه إلى أن أتى بإزاء البطرك قريباً من الحصن فقال أبو عبيدة : «هذا أمير المؤمنين» فمدّ البطرك(١) عنقه ونظر إليه فزعق زعقة وقال : «هذا والله هذا والله الذي صفته ونعته في كتبنا» ثم قال : «يا أهل بيت المقدس انزلوا وخذوا منه الأمان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله»؟ فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار ، وفتحوا الباب وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضي الله عنه في تلك الحالة أقبل عليهم وقال : «ارجعوا ولكم العهد»؟ فرجع القوم إلى البلد ولم يغلقوا الباب ، ورجع عمر .

فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل إليها وأقام بها إلى يوم الجمعة ، وخطَّ بها محراباً وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام في بيت المقدس عشرة أيام ، وأسلم كعب الأحبار على يديه وارتحل معه إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ .

---

(١) بَطْريك ، بطْرَيْك ، لقب يُطلق في المسيحيّة على رئيس رؤساء الأساقِفة على أقطار معيّنة أو في طائفة من الطوائف ، ودونه المطران ، البطريرك (ج بطاركة أو بطارقة) كلمة يونانية مكونة من شطرين ، ترجمتها الحرفية «الأب الرئيس» ؛ ومن حيث المعنى فهي تشير إلى من يمارس السلطة بوصفه الأب ، على امتداد الأسرة ، ولذلك فإن النظام المعتمد على سلطة الأب ، يدعى «النظام البطريركي» . أما في المسيحية ، فتتخذ الكلمة معنى رئيس الأساقفة في الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية ؛ ويدعى مكتب البطريرك البطريركية . أما المؤرخون العرب فقد اصطلحوا على الكلمة لفظ «بطريق» .

الخوارج

لما قتل علي رضي الله عنه أهل النهروان[(١)] وكان بالكوفة زهاء الفين ممن لم يخرجوا معه . فقام عبد الرحمن بن ملجم المرادي[(٢)] والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي وقيل اسم البرك الحجاج وعمرو بن بكر التميمي السعدي وهم من الخوارج فاجتمعوا وتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد! فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم عليًا وكان من أهل مصر .

وقال البرك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاوية .

وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص .

فتعاهدوا ألا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان وقصد كل رجل منهم الجهة التي يريد فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بالكوفة وكتمهم أمره ورأى يومًا أصحابًا له من تيم الرباب وكان علي قد قتل منهم يوم النهر عدة فتذاكروا قتلى النهر ولقي معهم امرأة من تيم الرباب اسمها قطام .

وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر وكانت فائقة الجمال .

فلما رآها أخذت قلبه فخطبها .

فقالت : لا أتزوجك حتى تشتفي لي .

فقال : وما تريدين قالت : ثلاثة آلاف وعبدًا وقينةً وقتل علي .

فقال : أما قتل علي فما أراك ذكرته وأنت تريدينني .

قالت : بلى التمس غرته فإن أصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها .

قال : والله ما جاء بي إلا قتل علي فلك ما سالت .

---

(١) النهروان هو المكان الذي حصل به معركة النهروان بين علي رضي الله عنه والخوارج . وتلت هذه المعركة معركة صفين . وتقع النهروان على بعد ما يقارب ٣٥ كم من بغداد عاصمة العراق وتسمى اليوم أيضاً مدينة أمير المؤمنين .

(٢) عبد الرحمن بن ملجم المرادي هو الخارجي الذي اغتال علي بن أبي طالب في ١٨ من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ .

قالت : : سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك .

وبعثت إلى رجل من قومها اسمه وردان وكلمته فأجابها وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال له : هل لك في شرف الدنيا والآخرة قال : وماذا قال : قتل علي .

قال شبيب : ثكلتك أمك! لقد جئت شيئًا إدًا! كيف تقدر على قتله قال : أكمن له في المسجد فإذا خرج إلى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فإن نجونا فقد شفينا أنفسنا وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها .

قال : ويحك! لو كان غير علي كان أهون قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الإسلام وما أجدني أنشرح لقتله .

قال : أما تعلمه قتل أهل النهر العباد الصالحين قال : بلى .

قال : فنقتله بمن قتل من أصحابنا .

فأجابه .

فلما كان ليلة الجمعة وهي الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل علي ومعاوية وعمرو أخذ سيفه ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي للصلاة فلما خرج علي نادى : أيها الناس الصلاة الصلاة . فضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف وقال : الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك! وهرب وردان فدخل منزله فأتاه رجل من أهله فأخبره وردان بما كان فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان حتى قتله وهرب شبيب في الغلس وصاح الناس فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر وفي يد شبيب السيف فأخذه وجلس عليه فلما رأى الحضرمي الناس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي على نفسه فتركه ونجا وهرب شبيب في غمار الناس .

ولما ضرب ابن ملجم عليًا قال : لا يفوتنكم الرجل .

فشد الناس عليه فأخذوه وتأخر علي وقدم جعدة بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانىء يصلي بالناس الغداة وقال علي : أحضروا الرجل عندي .

فأدخل عليه .

فقال : أي عدو الله! ألم أحسن إليك قال : بلى .

قال : فما حملك على هذا قال : شحذته أربعين صباحًا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه .

فقال علي : لا أراك مقتولاً به ولا أراك إلا من شر خلق الله .

ثم قال : النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلني وإن بقيت رأيت فيه رأيي يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلا قاتلي انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربةً بضربة ولا تمثلن بالرجل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) .

هذا كله وابن ملجم مكتوف .

فقالت له أم كلثوم ابنة علي : أي عدو الله! لابأس على أبي والله مخزيك! قال : فعلى من تبكين والله إن سيفي اشتريته بألف وسممته بألف ولو كانت ودخل جندب بن عبد الله على علي فقال : إن فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن قال : ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شيء زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصيمًا وللمظلوم ناصرًا واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم .

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية فقال : هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال : نعم . قال : فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك فاتبع أمرهما ولا تقطع أمرًا دونهما .

ثم قال : أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه .

وقال للحسن : أوصيك أي بني بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش .

ثم كتب وصيته ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى مات رضي الله عنه وأرضاه .

وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات .

فلما قبض بعث الحسن إلى ابن ملجم فأحضره فقال للحسن : هل لك في خصلة إني والله قد أعطيت الله عهدًا ألا أعاهد عهدًا إلا وفيت به وإني عاهدت الله عند الحطيم أن اقتل عليًا ومعاوية أو أموت دونهما فإن شئت خليت بيني وبينه فلك

الله علي إن لم أقتله أو قتلته ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك .

فقال له الحسن : لا والله حتى تعاين النار .

ثم قدمه فقتله وأخذه الناس فأدرجوه في بواري وأحرقوه بالنار .

قال عمرو بن الأصم : قلت للحسن بن علي : إن هذه الشيعة تزعم أن عليًا مبعوث قبل القيامة! فقال : كذب والله هؤلاء الشيعة لو علمنا أنه مبعوث قبل القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله أما قوله : هذه الشيعة فلا شك أنه يعني طائفة منها فإن كل شيعة لا تقول هذا إنما تقوله طائفة يسيرة منهم ومن مشهوري هذه الطائفة : جابر بن يزيد الجعفي الكوفي وقد انقرض القائلون بهذه المقاتلة فيما نعلمه

ثعلبة بن حاطب الانصاري(١)

كان ثعلبة بن حاطب الانصاري من أنصار النبي فجاءه يوما وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله يا ثعلبة أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق نبيا لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله اللهم ارزق ثعلبة ما قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلي مع رسول الله والعصر ويصلي بقية الصلوات في غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس ويسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله ذات يوم فقال مافعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله رجلين

(١) ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف بن مالك الأنصاري الأوسي هو صحابي جليل ، آخى الرسول ﷺ بينه وبين معقب بن الحمراء . شهد غزوة بدر .

رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله فقال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا قال خذاه فإن نفسي به طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا أخت الجزية إذهبا حتى أرى رأيا قال فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله فلما رآهما قال قبل أن يتكلما يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى : ﴿ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾ ﴿فلما أتاهم من فضله بخلوا وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾ وكان عند رسول الله رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد نزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي فسأله أن يقبل صدقته فقال إن الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله أن يقبل صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله ولم يقبل منه شيئا ثم أتى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله وموضعي من الانصار فأقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله تعالى عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين أقبل صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله ولا أبو بكر رضي الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان ابن عفان رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله ولا ابو بكر ولاعمر رضي الله عنهما فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه .

رفيع النسب والخلق

قال شبيب بن شيبة[١] :

حججت عام هلك هشام بن عبد الملك[٢] فبينما أنا مريح ناحية المسجد إذا طلع علي من بعض أبوابه فتى أسمر رقيق السمرة موفر اللمة خفيف اللحية رحب الجبهة كأن عينيه لسانان ناطقان عليه أبهة الأملاك في زي النساك تقبله القلوب وتتبعه العيون يعرف الشرف في تواضعه والعفو في صورته واللب في مشيته فما ملكت نفسي أن نهضت في أثره سائلا عن خبره فتحرم بالطواف فلما قضى طوافه قصد المقام ليركع وأنا أرعاه ببصري ثم نهض منصرفا فكأن عينا أصابته فكبا كبوة دميت منها أصبعه فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به أمسح عن رجله عفر التراب لا يمتنع علي ثم شققت حاشية ثوبي فعصبت على رجله فلم ينكر ذلك ثم نهض متوكئا علي وانقدت له حتى أتى بناء بأعلى مكة فابتدره غلامان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته ففتحا له الباب فدخل واجتذبني فدخلت بدخوله فخلي يدي وأقبل على القبلة فصلى ركعتين ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال : لم يخف علي مكانك منذ اليوم فمن تكون ، فقلت : شبيب بن شيبة التميمي .

فقال : الأهتمي ، فقلت : نعم .

فرحب وقرب ووصف قومي بأبين وصف وأفصح لسان فقلت أصلحك الله أحب المعرفة وأجل عن المسألة فتبسم وقال بلطف أهل العراق : أنا عبد الله بن محمد بن علي بن عباس .

فقلت : بأبي أنت وأمي ما أشبهك بنسبك وأدلك على سفلك وقد سبق إلى قلبي من محبتك ما لا أبلغه بوصفي لك .

قال : فاحمد الله يا أخا تميم فإنا قوم يسعد بحبنا من يحبنا ويشقي ببغضنا من

---

(١) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي خطيب البصرة في زمن العباسيين . امتاز بخطبه البليغة والقصيرة والتي وصفها أحمد الهاشمي في كتاب جواهر الأدب بالقريبة من حد الإعجاز .

(٢) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء . ولد في دمشق .

يبغضنا ولن يصل الإيمان إلى قلب أحدكم حتى يحب الله ورسوله ومهما ضعفنا عن جزائه الله على أدائه .

فقلت له : أنت توصف بالعلم وأنا من حملته وأيام الموسم ضيقة وشغل أهله كثير وفي نفسي أشياء أحب أن أسأل عنها أفتأذن فيها جعلت فداك .

قال : نحن من أكثر الناس مستوحشون وأرجو أن تكون للسر موضعا وللأمانة .

واعيا فإن كنت على ما رجوت فهات على بركة الله .

فقدمت إليه من وثقائق الأيمان ما سكن إليه فتلا قول الله (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم) .

ثم قال : سل .

فقلت : ما ترى فيمن على الموسم وكان عليه يوسف بن محمد الثقفي(١) خال الوليد بن زيد فتنفس الصعداء ثم قال :

عن الصلاة خلفه تسأل أم استنكرت أن يتأمر على آل الرسول من ليس منهم .

قلت : عن كلا الأمرين أسأل .

قال : إن هذا عند الله عظيم أما الصلاة ففرض الله على عباده فأد عليك في كل وقت فإن الذي ندبك لحج بيته ومجاهدة عدوه وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك في كتابه أنه لا يقبل منك نسكا إلا مع أكمل المؤمنين إيمانا رحمة لك ولو فعل ذلك بك ضاق الأمر عليك فأسمح يسمح لك .

ثم كررت عليه السؤال فما احتجت إلى أن أسأل عن أمر ديني أحدا بعده .

ثم قلت له : يزعم أهل العلم بالكتاب أنها ستكون لكم دولة لا شك فيها تطلع مطلع الشمس وتظهر بظهورها فاسأل الله خيرها ونعوذ به من شرها .

قال : فخذ بحظ لسانك ويدك منها إن أدركتها .

قلت : أو يتخلف عنها أحد من العرب وأنتم سادتها قال نعم قوم يأبون إلا الوفاء لمن اصطنعهم ونأبى إلا طلبا لحقنا فننصر ويخذلون كما نصر أولنا بأولهم وخذل لمخالفتنا من خذل منهم فاسترجعت .

---

(١) يوسف بن محمد الثقفي أمير المدينة المنورة من (عام ١٢٥هـ إلى ١٢٦هـ) . هو يوسف بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي . وهو ابن أخي الحجاج بن يوسف وخال الخليفة الوليد بن يزيد .

قال : هون عليك الأمر سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا وليس ما يكون منهم بحاجز لنا عن صلة أرحامهم وحفظ أعقابهم فقلت كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم فقال نحن قوم حبب إلينا الوفاء وإن كان علينا وبغض إلينا الغدر وإن كان لنا وإنما يشذ عنا منهم الأقل فأما أنصار دولتنا ونقباء شيعتنا وأمراء جيوشنا فهم ومواليهم معنا فإذا وضعت الحرب أوزارها صفحنا للمحسن عن المسيء ووهب للرجل قومه ومن اتصل بأسبابه فتذهب المثابرة وتخمد الفتنة وتطمئن القلوب .

فقلت : ويقال إنه يبتلي بكم من أخلص لكم المحبة .

فقال : قد روي أن البلاء أسرع إلى محبينا من الماء إلى قراره .

قلت : لم أرد هذا .

قال : فما الذي تريد قلت توقعون بالولي وتحظون العدو .

فقال : من يسعد بنا من الأولياء أكثر ومن يسلم معنا من الأعداء أقل إنما نحن بشر ولا يعلم الغيب إلا الله وربما استترت عنا الأمور فنوقع بمن لا نريد وإن لنا لإحسانا يجازي الله به مداواة ما تكلم ورتق ما تثلم فنستغفر الله بما يعلم وما أنكر من ألا يكون الأمر على ما بلغك ومع الولي التعزز والإدلال والثقة والاسترسال ومع العدو التحرز والتذلل والاحتيال وإنك مسؤول يا أخا بني تميم .

قلت : إني أخاف ألا أراك بعد اليوم .

قال : لكن أرجو أن أراك وتراني قريبا إن شاء الله .

قلت : عجل الله ذلك ووهب لي السلامة منكم فإني محبكم .

فتبسم وقال : لا بأس عليك ما أعاذك الله من ثلاثة .

قلت : وما هي قال قدح في الدين وهتك للملوك وتهمة في حرمة واحفظ عني ما أقول لك اصدق وإن ضرك الصدق وانصح وإن باعدك النصح ولا تخالطن لنا عدوا • وإن أحظيناه فإنه محذول ولا تخذلن وليا وإن أقصيناه وأصبحنا بترك المماكرة وتواضع إذا رفعوك وصل إذا قطعوك ولا تستخف فيمقتوك ولا تنقبض فيحتشموك ولا تخطب الأعمال ولا تتعرض للأموال وأنا رائح من عشيتي هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته ثم قلت أوقت لظهور الأمر ومتى قال الله الموقت والمنذر فخرجت من عنده فإذا مولى له يتبعني فأتاني بكسوة من كسوته .

وقال لي : يأمرك أبو جعفر أن تصلي في هذه .

ثم افترقنا فوالله ما رأيته إلا وحرسيان قابضان علي يدفعانني إلى بيعتي في جماعة من قومي لنبايعه فلما نظر إلي أثبتني وقال للحرسيين : خليا عمن صحت مودته وتقدمت قبل اليوم حرمته وأخذت بيعته فأكبر الناس ذلك من قوله .

ثم قال لي : أين كنت أيام أبي العباس أخي فذهبت أعتذر .

فقال : أمسك فإن لكل شيء وقتا لا يعدوه ولن يفوتك إن شاء الله حظ مودتك وحق مشايعتك واختر مني رزقا يسعك أو خطة ترفعك أو عملا ينهضك .

فقلت : أنا لوصيتك حافظ .

فقال : وأنا لها أحفظك إني نهيتك أن تخطب الأعمال ولم أنهك عن قبولها إن عرضت عليك .

فقلت : الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب إلي .

فقال : وذلك أحب إلي لك وهو أجم لقلبك وأودع لك وأعفى إن شاء الله فهل زدت أحدا في عيالك بعد .

وقد كان سألني عنهم فعجبت من حفظه .

فقلت : زدت الفرس والخادم فقال قد ألحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخادمنا ولو لم يسعني حملت لك على بيت المال فهل تحملك مئتا دينار لك غرة أو نزيدك فقلت يا أمير المؤمنين إن شطرها ليحملني العاملين .

قال : فإنها لك في كل غرة فاقبضها من عاملي في أي بلد أحببت وإن شئت فقد ضممتك إلى المهدي فإنه أفرغ لك مني وأرضاه لك إن شاء الله .

مفتاح الكعبة

عندما تولى قصى بن كلاب(١) ، و هو الجد الخامس للرسول عليه الصلاة والسلام أمر مكة ، كان ابنه الاكبر عبد الدار فقيرا ، و كان والده يعطف عليه كثيرا ، فاختصه بأمور شرف كثيرة كالسدانة و غيرها و بعد وفاة عبد الدار آلت السدانة إلى ابنه عثمان الى عبد العزى بن عثمان ثم إلى أبو طلحة عبد الله بن عبد العزى ، و عندما تم فتح مكة ، فتح الرسول ﷺ الكعبة و دخلها و أخذ مفتاح الكعبة من

(١) قصي بن كلاب بن مرة هو الجد الثاني لشيبة بن هاشم المشهور باسم عبد المطلب ، وهو الجد الرابع للنبي محمد . حصل على نفوذ واسع في مكة .

عثمان بن طلحة ، لكن الله عز وجل انزل الآية الكريمة : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها﴾ ، فدعا النبي ﷺ عثمان بن طلحة فدفع اليه المفتاح ، هو و ابن عمه شيبة بن عثمان بن ابى طلحة و قال لهم : خذوها يا بنى طلحة بأمانة الله سبحانه و اعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم .

وهكذا أصبحت السدانة لبنى طلحة وشيبة حتى قيام الساعة .

اللعنة على المستحق

عن عبد الرزّاق ، عن أبيه ، أن حجراً المدري أمره محمد بن يوسف أن يلعن علياً ، فقال : إنّ الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن علياً ، فالعنوه ؛ لعنه الله . قال : فعمّاها على أهل المسجد ، فما فطن لها إلا رجلٌ واحدٌ .

وقال القرشي : وامتحنت الخوارج شيعيّاً ، فقال : أنا من عليّ ومن عثمان برئ .

ابن عون

قال مثنى : كان ابن عونٍ في جيش ، فخرج رجل من المشركين ، فدعا إلى البراز ، فخرج إليه ابن عون وهو ملثم ، فقتله ، ثم اندسّ في الناس ، فجهد الوالي أن يعرفه ، فلم يقدر ، فنادى مناديه : أعزم على من قتل هذا إلا جاءني ، فجاءه ابن عونٍ ، فقال : وما على رجلٍ أن يقول : أنا قتلته؟ .

حكيم الحيرة

لّما حاصر خالد بن الوليد أهل الحيرة ، قال : ابعثوا لي رجلاً من عقلائكم ؛ فبعثوا عبد المسيح بن عمرو[1] ، وكان نصرانياً ، فجاء ، فقال لخالد : أنعم صباحاً أيها الملك }فقال : قد أغنانا الله عن تحيّتك هذه ، فمن أين أقصى أثرك أيها الشيخ؟ قال : من ظهر أبي ؛ قال : فمن أين خرجت؟ قال : من بطن أمي ؛ قال : فعلام أنت؟ قال : على الأرض ؛ قال : ففيم أنت؟ قال : في ثيابي ؛ قال : أتعقل؟ قال : أي والله ، وأقيّد ؛ قال : ابن كم أنت؟ قال : أبن رجلٍ واحد ؛ قال خالدٌ : ما رأيت كاليوم ، أسألك الشيء وتنحو في غيره . فقال : ما أنبأتك إلاّ عما سألتني .

(١) عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة ، واسمه الحارث ، بن سبين بن زيد بن سعد بن عدي بن نمر بن صوفة بن العاصي بن عمرو بن مازن .

جواب عقيل بن أبي طالب[1] لمعاوية وأصحابه

لما قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية ، أكرمه وقرّبه وقضى حوائجه وقضى عنه دينه ، ثم قال له في بعض الأيام ، والله إن عليا غير حافظ لك ، قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك ، قال له عقيل : والله لقد أجزل العطية وأعظمها ، ووصل القرابة وحفظها ، وحسن ظنّه بالله ، إذ ساء به ظنّك ، وحفظ أمانته ، وأصلح رعيته ، إذ خنتم وأفسدتم وجرتم ، فاكفف لا أبالك ، فإنه عما تقول بمعزل .

وقال له معاوية يوما : أبا يزيد ، أنا لك خير من أخيك علي . قال : صدقت ، إن أخي آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ؛ فأنت خير لي من أخي ، وأخي خير لنفسه منك .

وقال له ليلة الهدير : أبا يزيد ، أنت الليلة معنا ، قال : نعم ؛ ويوم بدر كنت معكم .

وقال رجل لعقيل : إنك لخائن حيث تركت أخاك وترغب إلى معاوية ، قال :

أخون مني والله من سفك دمه بين أخي وابن عمي ، أن يكون أحدهما أميرا!

ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره ، فأجلسه معاوية على سريره ثم قال له :

أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم! قال : وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم! ودخل عتبة بن أبي سفيان ، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما ، فقال عقيل : من هذا الذي أجلس أمير المؤمنين بيني وبينه؟ قال : أخوك وابن عمك عتبة .

قال : أما إنه إن كان أقرب إليك مني ، إني لأقرب لرسول الله صلّى الله عليه وسلم منك ومنه ، وأنتما مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم أرض ونحن سماء . قال عتبة : أبا يزيد ، أنت كما وصفت ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلم فوق ما ذكرت ، وأمير المؤمنين عالم بحقك ، ولك عندنا مما تحب أكثر مما لنا عندك مما تكره .

ودخل عقيل على معاوية ، فقال لأصحابه : هذا عقيل عمه أبو لهب! قال له عقيل ، وهذا معاوية عمته حمّالة الحطب! ثم قال : يا معاوية ، إذا دخلت النار فاعدل

---

(١) عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القُرشي ، صحابي من صحابة محمد بن عبد الله نبي الإسلام وابن عمه الذي قال له : «يَا أَبَا يَزِيدَ ،إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبًّا لِقَرَابَتِكَ ، وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ» .

ذات اليسار ، فإنك ستجد عمي أبا لهب مفترشا عمتك حمالة الحطب ؛ فانظر أيهما خير ، الفاعل أو المفعول به .

وقال له يوما : ما أبين الشّبق في رجالكم يا بني هاشم! قال : لكنه في نسائكم أبين يا بني أمية! وقال له معاوية يوما : والله إنّ فيكم لخصلة ما تعجبني يا بني هاشم . قال : وما هي؟ قال : لين فيكم . قال : لين ماذا؟ قال : هو ذاك . قال : إيانا تعيّر يا معاوية؟

جل ، والله إن فينا للينا من غير ضعف ، وعزا من غير جبروت ؛ وأما أنتم يا بني أمية فإن لينكم غدر ، وعزكم كفر ، قال معاوية : ما كلّ هذا أردنا يا أبا يزيد . قال عقيل :

لذي اللّبّ قبل اليوم ما تقرع العصا   وما علّم الإنسان إلا ليعلما

بين عقيل وامرأة

ويقال إن امرأة عقيل وهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية قالت لعقيل : يا بني هاشم ، لا يحبكم قلبي أبدا ؛ أين أبي؟ أين أخي؟ أين عمي؟ كأن أعناقهم أباريق فضة . قال عقيل : إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك

معاوية وابن عباس

قال معاوية يوما وعنده ابن عباس : إذا جاءت بنو هاشم بقديمها وحديثها ، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها ، وبنو عبد الدار بحجابتها ولوائها ، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها ، وبنو تيم بصدّيقها وجوادها ، وبنو عدي بفاروقها ومتفكّرها ، وبنو سهم بآرائها ودهائها ، وبنو جمح بشرفها وأنوفها ، وبنو عامر بن لؤي بفارسها وقريعها ، فمن ذا يجلى في مضمارها ويجري إلى غايتها؟ ما تقول يابن عباس؟

قال : أقول : ليس حي يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشركهم ، إلا قريشا فإنهم يفخرون بالنبوّة التي لا يشاركون فيها ولا يساوون بها ولا يدفعون عنها ، وأشهد أن الله لم يجعل محمدا من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم ، يريد أن يفخر عليكم إلاّ بما تفخرون به ؛ إن بنا فتح الأمر وبنا يختم ، ولك ملك معجّل ولنا ملك مؤجل ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد ملكنا ملك ، لأنا أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين .

عثمان وعلي

لقي عثمان بن عفان عليّ بن أبي طالب، فعاتبه في شيء بلغه عنه، فسكت عنه علي؛ فقال له عثمان: مالك لا تقول؟ قال: له علي: ليس لك عندي إلا ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره.

عثمان وعامر بن قيس[1]

خرج عثمان بن عفان- رحمه الله- من داره يوما، وقد جاء عامر ابن عبد قيس. فقعد في دهليزه، فلما خرج رأى شيخا دميما أشغى[2] ثطّا[3]، في عباءة، فأنكره وأنكر مكانه، فقال: يا أعرابي، أين ربك؟ فقال: بالمرصاد!.

ويقال إن عثمان بن عفان لم يفحمه أحد قط غير عامر بن عبد قيس

عثمان وابن الزبير

لما جلس عثمان بن عفان على المنبر قال: «يأيها الناس، إن الله قد فتح عليكم افريقية، وقد بعث إليكم ابن أبي سرح، عبد الله الزبير بالفتح، قم يا ابن الزبير». قال: فقمت فخطبت، فلما نزلت قام فقال: «يأيها الناس، انكحوا النساء على آبائهن وإخوتهن، فإني لم أر لأبي بكر الصديق ولدا أشبه به من هذا».

حديث عثمان الثقفي

عيسى بن يزيد بن دأب، عمّن حدثه عن رجل كان يجالس ابن عباس قال: قال عثمان بن أبي العاصي الثقفي[4] لبنيه: «يا بني، إني قد أمجدتكم في أمهاتكم، وأحسنت في مهنة أموالكم، وإني ما جلست في ظل رجل من ثقيف

---

(١) عامر بن عبد قيس أبو عبد الله ويقال أبو عمرو التميمي العنبري البصري وصفه الذهبي بالقدوة الولي الزاهد.

(٢) الشغى: تراكب الأسنان واختلافها.

(٣) ثط: صغير اللحية.

(٤) أبو عبد الله عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن سيار بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف الثقفي. صحابي من أهل الطائف.

أشتم عرضه . والناكح مغترس ، فلينظر امرؤ منكم حيث يضع غرسه . والعرق السوء قلما ينجب ولو بعد حين» . قال : فقال ابن عباس : «يا غلام ، أكتب لنا هذا الحديث» .

عزاء جميل

دخل عيسى بن طلحة بن عبيد الله[١] ، على عروة بن الزبير[٢] وقد قطعت رجله ، فقال له عيسى : والله ما كنا نعدّك للصراع ، ولقد أبقى الله لنا أكثرك : أبقى لنا سمعك وبصرك ، ولسانك وعقلك ، ويديك وإحدى رجليك .

فقال له عروة : والله يا عيسى ما عزّاني أحد بمثل ما عزّيتني به .

هدية حسنة

قال رجل لأبي الدرداء[٣] : فلان يقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ، ومحمل خفيف

(١) عيسى بن طلحة بن عبيد الله تابعي وأحد رواة الحديث الشريف ، أبوه هو أحد العشرة المبشرين بالجنة طلحة بن عبيد الله والذي استشهد في معركة الجمل . روى الحديث النبوي عن أبيه طلحة بن عبيد الله ومعاوية بن أبي سفيان وأبو هريرة وعبد الله بن عمرو وطائفة ، وحدث عنه محمد بن إبراهيم وطلحة بن يحيى بن طلحة والزهري وآخرون ، وكان من الحلماء الأشراف والعلماء الثقات وفد على معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى حدود سنة مئة .

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، تابعي جليل ، يُكنى بأبي عبد الله ، عالم أهل المدينة وأحد فقهائها السبعة ، كان ثقة فقيهاً علماً ثبتاً حجة كثير الحديث عالماً بالسير .

(٣) أبو الدرداء الانصاري هو عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي ، صحابي من الأنصار يلقب بحكيم الأمة ، أسلم يوم بدر ، كان تاجرا في المدينة المنورة وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي . ولاه معاوية بن أبي سفيان قضاء دمشق بأمر من عمر بن الخطاب .

في المروءة

قيل لمحمد بن عمران(١) : ما المروءة؟ قال : ألا تعمل في السر شيئا تستحي منه في العلانية .

وقيل للأحنف(٢) : ما المروءة؟ قال : العفة والحرفة .

وقال طلحة بن عبيد الله المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة .

وقيل لأبي هريرة : ما المروءة؟ قال : تقوى الله ، واصلاح الصنيعة ، والغداء والعشاء بالأفنية

من جميل القول

مر المسيح عليه السلام بحلق بني اسرائيل ، فشتموه ، فكلما قالوا شرا قال لهم خيرا خيرا ، فقال له شمعون الصفي : أكلما قالوا شرا قلت لهم خيرا؟ قال المسيح : «كل امرىء يعطي مما عنده» .

وقال أبو عقيل بن درست : رأيت أبا هاشم الصوفي مقبلا من جهة النهر ، فقلت : في أي شيء كنت اليوم؟ قال : في تعلم ما ليس ينسى ، وليس الشيء من الحيوان عنه غنى . قال : قلت وما ذاك؟ قال : السباحة .

وكتب عمر بن الخطاب إلى ساكني الأمصار : «أما بعد فعلموا أولادكم العوم والفروسة ، وروّوهم ما سار من المثل ، وحسن من الشعر» .

وأنشد رجل عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، قول طرفة :

فلولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى　　وجدّك لم أحفل متى قام عوّدي

فقال عمر : «لولا أن أسير في سبيل الله ، واضع جبهتي لله ، وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر ، لم أبال أن أكون قد متّ» .

---

(١) محمد بن عمران بن موسى ، أبو عبيد الله المرزباني : إخباري مؤرخ أديب . أصله من خراسان ، ومولده ووفاته ببغداد . كان مذهبه الاعتزال . له كتب عجيبة ، أتى على وصفها ابن النديم ، منها (المفيد) في الشعر والشعراء ومذاهبهم ، نحو خمسة آلاف ورقة .

(٢) هو التابعي الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي اسمه ضحاك وقيل صخر وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل ، قال سليمان بن أبي شيخ كان أحنف الرجلين جميعا .

طرائف البخلاء

البخيل وأخوه

قال ابن حسّان : كان عندنا رجل مقلّ ، وكان له أخ مكثر ، وكان مفرط البخل ، شديد النفج[(١)] . فقال له يوما أخوه : «ويحك ، أنا فقير معيل ، وأنت غنّي خفيف الظهر ، لا تعينني على الزمان ، ولا تواسيني ببعض مالك ، ولا تتفرّج لي عن شيء؟ والله ما رأيت قط ، ولا سمعت ، بأبخل منك» . قال : «ويحك! ليس الأمر كما تظن ، ولا المال كما تحسب ، ولا أنا كما تقول في البخل ولا في اليسر . والله لو ملكت ألف ألف درهم لوهبت لك منها خمس مائة ألف درهم . يا هؤلاء فرجل يهب ضربة واحدة خمس مائة ألف يقال له بخيل»؟

غداء راشد الأعور

وحدثني إبراهيم بن عبد العزيز ، قال : تغدّيت مع راشد الأعور ، فأتونا بجام فيه بيّاح سبخيّ ، الذي يقال له الدرّاج . فجعلت آخذ الواحدة فأقطع رأسها ، ثم أعزله . ثم أشقّها باثنين من قبل بطنها ، فآخذ شوكة الصّلب والأضلاع ، فأعزلها ، وأرمي بما في بطنها ، وبطرف الذنب والجناح ثم اجمعها في لقمة واحدة وآكلها . وكان راشد يأخذ البيّاحة فيقطعها قطعتين ، فيجعل كلّ قطعة في لقمة ، لا يلقي رأسا ولا ذنبا .

فصبر لي على لقم عدة . فلما بلغت المجهود منه قال : «أي بنيّ إذا أكلت لطعام فكل خيره بشرّه» .

مائدة البرمكي

قال الرشيد[(٢)] للجمّاز : كيف مائدة محمد بن يحيى ، يعني البرمكيّ . قال : شبر في شبر ، وصحفته من قشر الخشخاش ، وبين الرّغيف والرغيف مضرب كرة ، وبين اللّون واللّون فترة نبيّ . قال : فمن يحضرها؟ قال : الكرام الكاتبون ، فضحك وقال :

لحاك الله من رجل .

---

(١) النُّفُجُ : الثُّقَلاء من النَّاس .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين . حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م . ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

عيش ابن الخطاب

أقبل الأصمعي[1] على جلسائه يسألهم عن عيشهم ، وعمّا يأكلون ويشربون . فأقبل على الذي عن يمينه ، فقال : «أبا فلان ما إدامك»؟ قال : «اللحم» ، قال : «أكل يوم لحم»؟ قال : «نعم» ، قال : «وفيه الصفراء البيضاء والحمراء والكدراء والحامضة والحلوة والمرّة»؟ قال : «نعم» . قال : «بئس العيش! هذا ليس عيش آل الخطاب . كان عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه يضرب على هذا ، وكان يقول : مدمن اللحم كمدمن الخمر» .

ثم سأل الذي يليه ، قال : «أبا فلان ما إدامك»؟ قال : «الآدام الكثيرة والألوان الطيّبة» ، قال : «أفي إدامك سمن»؟ قال : «نعم» ، قال : «فتجمع السمن والسمين على مائدة»؟ قال : «نعم» . قال :

«ليس هذا عيش آل الخطاب . كان ابن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه يضرب على هذا . وكان إذا وجد القدور المختلفة الطعوم كدّرها في قدر واحدة ، وقال إن العرب لو أكلت هذا لقتل بعضها بعضا» .

ثم يقبل على الآخر ، فيقول : «أبا فلان ما إدامك»؟ قال : «اللحم لسمين ، والجداء الرضع» . قال : «فتأكله بالحوّاري»؟ قال : «نعم» قال : «ليس هذا عيش آل الخطاب . كان بن الخطاب يضرب على هذا .

أو ما سمعته يقول : أتروني لا أعرف الطعام الطّيب؟ لباب . البرّ بصغار المعزى . ألا تراه كيف ينتفي من أكله ، وتنتحل معرفته»؟

ثم يقبل على الذي يليه ، فيقول : «أبا فلان ما أدمك»؟ فيقول :

«أكثر ما نأكل لحوم الجزور ، ونتخذ منها هذه القلايا ، ونجعل بعضها شواء» ، قال : «أفتأكل من أكبادها واسنمتها ، وتتخذ لك الصباغ»؟

قال : «نعم» . قال : «ليس هذا عيش آل الخطاب . كان ابن الخطاب يضرب على هذا ، أو ما سمعته يقول : «أتروني لا أقدر أن اتخذ أكبادا وأفلاذا وصلائق وصنابا »؟ ألا تراه كيف ينكر أكله ، ويستحسن معرفته»؟

---

(١) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان .

ثم يقول للذي يليه : «أبا فلان ما أدمك»؟ فيقول : «الشبارقات[١] والأخبصة[٢] والفالوذجات[٣]» . قال : «طعام العجم ، وعيش كسرى ، ولباب البرّ ، بلعاب النحل ، بخالص السمن» ، حتى أتى على آخرهم ؛ كل ذلك يقول : «بئس العيش هذا . ليس هذا عيش آل الخطاب . كان ابن الخطاب . يضرب على هذا» .

فلما انقضى كلامه أقبل عليه بعضهم ، فقال : «يا أبا سعيد ما أدمك»؟ قال : «يوما لبن ، ويوما زيت ، ويوما سمن ، ويوما تمر ، ويوما جبن ويوما قفار ، ويوما لحم . عيش آل خطاب» .

أهل الجزيرة

قال أصحابنا : نزلنا بناس من أهل الجزيرة ، وإذا هم في بلاد باردة ، وإذا حطبهم شرّ حطب ، وإذا الأرض كلّها غابة واحدة طرفاء . فقلنا :

«ما في الأرض أكرم من الطرفاء» . قالوا : «هو كريم ، ومن كرمه نفّر» . قالوا : فقلنا : «وما الذي تفرّون منه»؟ قالوا : «دخان الطرفاء يهضم الطعام ، وعيالنا كثير» .

سليمان الكثريّ

قال المكي : كان لأبي عم يقال له سليمان الكثري سمّي بذلك لكثرة ماله . وكان يقرّبني وأنا صبي إلى أن بلغت . ولم يهب لي مع ذلك التقريب شيئا قط . وكان قد جاوز في ذلك حد البخلاء . فدخلت عليه يوما ، وإذا قدّامه قطع دار صيني لا تسوى قيراطا ؛ فلما نال حاجته منها ، مددت يدي لآخذ قطعة ، فلما نظر إليّ قبضت يدي ، فقال : «لا تنقبض وانبسط واسترسل وليحسن ظنك ، فإن حالك عندي على ما تحب ، فخذه كله ، فهو لك بزوبره ، وبحذافيره ، وهو لك جميعا ؛ نفسي بذلك سخيّة . والله يعلم أني مسرور بما وصل إليك من الخير» . فتركته بين يده ، وقمت من عنده وجعلته وجهي ، كما أنا ، إلى العراق . فما رأيته وما رآني حتى مات .

---

(١) لحمٌ شُبارق : مطبوخٌ أَلواناً .

(٢) الخبِيصُ : الحلْوى المخْبُوصة من التمر والسَّمن والجمع : أخبصة .

(٣) حَلْوَى تُهَيَّأُ مِنَ الدَّقِيقِ وَالْمَاءِ وَالعَسَلِ ، وَتُحَضَّرُ الآنَ مِنَ النَّشَا وَالْمَاءِ وَالسُّكَّرِ .

وقال المكيّ : سمعني سليمان ، وأنا أنشد شعر أمرئ القيس[١] :

لنـــا غنـــم نسوقهـــا غـــزار كـأنّ قـرون جلّتهـا العصـيّ
فتمـلأ بيتنـا أقطـا وسمنـا وحسبـك مـن غنـى شبع وريّ

قال : لو كان ذكر مع هذا شيئا من . الكسوة لكان جيدا .

وهو الذي قال ليحيى بن خالد ، حين نقب في أبي قبيس ، وزاد في داره :

عمدت الى شيخ الجبال فزعزعته وثلمت فيه .

وقال : حين عوتب في قلة الضحك وشدة القطوب : إن الذي يمنعني من الضحك أن الإنسان أقرب ما يكون من البذل إذا ضحك وطابت نفسه .

محفوظ النقّاش

قال الجاحظ[٢] : صحبني محفوظ النقّاش من مسجد الجامع ليلا . فلما صرت قرب منزله ، وكان منزله أقرب إلى مسجد الجامع من منزلي ، سألني أن أبيت عنده ، وقال : «أين تذهب في هذا المطر والبرد ، ومنزلي منزلك ، وأنت في ظلمة وليس معك نار ، وعندي لبأ ، لم ير الناس مثله ، وتمر ناهيك به جودة ، لا تصلح إلا له» . فملت معه . فأبطأ ساعة ثم جاءني بجأم لبأ[٣] وطبق تمر ، فلما مددت قال : «يا أبا عثمان إنه لبأ وغلظه ، وهو الليل وركوده ، ثم ليلة مطر ورطوبة وأنت رجل قد طعنت في السن ، ولم تزل تشكو من الفالج طرفا ، وما زال الغليل يسرع إليك ، وأنت في الأصل لست بصاحب عشاء . فإن أكلت اللبأ ولم تبالغ ، كنت لا آكلا ولا تاركا ، وحرشت طباعك ، ثمن قطعت الأكل أشهى ما كان إليك .

وإن بالغت بتنا في ليلة سوء ، من الاهتمام بأمرك . ولم نعدّ لك نبيذا ولا عسلا . وإنما قلت هذا الكلام ، لئلا تقول غدا : كان وكان . والله قد وقعت بين نابي

(١) امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث ال ندي كان شاعرا عربيا جاهليا عالي الطبقة من قبيلة كندة ، يُعد رأس شعراء العرب وأعظم شعراء العصر الجاهلي يُعرف في كتب التراث العربية باسم «الملك الضليل» و«ذي القروح» .

(٢) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها .

(٣) لبأ الشاة أو البقرة : حلب «لبأها» ، وهو أول اللبن عند الولادة .

أسد . لأني لو لم أجئك به ، وقد ذكرته لك ، قلت :

«بخل به وبدا له فيه» ؛ وإن جئت به ، ولم أحذرك منه ، ولم أذكرك كل ما عليك فيه ، قلت : «لم يشفق عليّ ولم ينصح» . فقد برئت إليك من الأمرين جميعا فإن شئت فأكلة وموتة ، وإن شئت فبعض الاحتمال ، ونوم على سلامة» .

فما ضحكت قط كضحكي تلك الليلة . ولقد أكلته جميعا فما هضمه الا الضحك والنشاط والسرور ، فيما أظن . ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم لأتى عليّ الضحك ، أو لقضي عليّ ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب .

العراقي ورجل من أهل مرو

إن رجلا من أهل مرو[1] كان ولا يزال يحجّ ويتّجر ، وينزل على رجل من أهل العراق ، فيكرمه ويكفيه مؤونته . ثم كان كثيرا ما يقول لذلك العراقي : «ليت إني قد رأيتك بمرو ، حتى أكافئك ، لقديم إحسانك ، وما تجدّد لي من البرّ في كل مرّة . فأما ههنا فقد أغناك الله عني» .

قال : فعرضت لذلك العراقي ، بعد دهر طويل ، حاجة في تلك الناحية ؛ فكان مما هوّن عليه مكابدة السفر ، ووحشة الاغتراب ، مكان المروزيّ هناك . فلما قدم مضى نحوه في ثياب سفره ، وفي عمامته وقلنسوته وكسائه ، ليحطّ رحله عنده ، كما يصنع الرجل بثقته ، وموضع أنسه . فلما وجده قاعدا في أصحابه ، أكبّ عليه وعانقه ، فلم يره أثبته ، ولا سأل عنه سؤال من رآه قط . قال العراقي في نفسه : «لعل إنكاره إيّاي لمكان القناع» ؛ فرمى بقناعه ، وابتدأ مساءلته ، فكان له أنكر .

فقال : «لعله أن يكون إنما أتي من قبل العمامة» ؛ فنزعها ثم انتسب ، وجدد مساءلته ، فوجده أشدّ ما كان له إنكارا . قال «فلعله إنما أتي من قبل القلنسوة» ؛ وعلم المروزي أنه لم يبق شيء يتعلق به المتغافل والمتجاهل ، فقال : «لو خرجت من جلدك لم أعرفك» .

(١) تقع مدينة مرو على ضفاف نهر المرغاب ، ذاع صيت المدينة في التاريخ الإسلامي كأحد مراكز الجهاد في بلاد ما وراء النهر ، كما تكتسب أهمية أخرى كذلك في الأدب العربي حيث يضرب العرب بأهلها الأمثال في البخل فحين يقول العربي أنك من اهل مرو فهو يرمي إلى انك بخيل ، دخل الإسلام بعدما فتحت على يد الأحنف بن قيس .

استعارة المقلى

أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظّام[1] قال : قلت مرة لجار كان لي ، من أهل خراسان : «أعرني مقلاكم ، فإني أحتاج إليه»

قال :«قد كان لنا مقلى ، ولكنه سرق» . فاستعرت من جار لي آخر . فلم يلبث الخراساني أن سمع نشيش اللحم في المقلى ، وشمّ الطباهج

فقال لي : كالمغضب : «ما في الأرض أعجب منك ، لو كنت أخبرتني أنك تريده للحم أو لشحم لوجدتني أسرع إليك به ، إنما خشيتك تريده للباقلّي ، وحديد المقلى يحترق إذا كان الذي يقلى فيه ليس بدسم .

وكيف لا أعيرك إذا أردت الطّباهج ، والمقلى ، بعد الرّد من الطباهج ، أحسن حالا منه ، وهو في البيت؟! .

محب السمن

قال أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام : دعانا جار لنا ، فأطعمنا تمرا وسمن سلاء[2] ، ونحن على خوان ليس عليه إلا ما ذكرت ، والخراساني معنا يأكل ، فرأيته يقطر السمن على الخوان حتى أكثر من ذلك ؛ فقلت لرجل إلى جنبي : ما لأبي فلان يضيع سمن القوم ، ويسيء المؤاكلة ، ويغرف فوق الحق؟ قال : وما عرفت علّته؟ قلت : لا والله . قال : الخوان خوانه ، فهو يريد أن يدسمه ، ليكون كالدّبغ له .

ولقد طلّق امرأته ، وهي أمّ أولاده ، لأنه رآها غسلت له خوانا له بماء حارّ ، فقال لها : هلّا مسحته .

---

(١) هو إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظّام البصري ، وُلد سنة ١٨٥ هـ/٧٧٧م في البصرة ، تتلمذ على يد أبي هذيل العلاف في الاعتزال ، ثم انفرد عنه وكوّن له مذهباً خاصاً (النظامية) ، وكان أستاذ الجاحظ ، توفي وهو شاب في نحو السادسة والثلاثين من عمره سنة ٢٢١ هـ/٨٣٦م في بغداد .كان من الكبار الفقهاء ، المثقفين ، المفكرين الإسلامي وهو من اكابر المعتزلة .

(٢) ما طُبخ وعُولج من السّمن .

فقه الأكل

قال أبو نوّاس[1] : كان معنا في السفينة ونحن نريد بغداد ، رجل من أهل خراسان ، وكان من عقلائهم وفقهائهم . فكان يأكل وحده . فقلت له : «لم تأكل وحدك»؟ قال : ليس «عليّ» في هذا الوضع مسألة ؛ إنما المسألة على من أكل مع الجماعة ، لأن ذلك هو التكلّف . وأكلي وحدي هو الأصل ، وأكلي مع غيري زيادة في الأصل» .

السلام والطعام

إبراهيم بن السندي قال : كان على ربض الشاذروان[2] شيخ لنا ، من أهل خراسان . وكان مصححا بعيدا من الفساد ، ومن الرشا ، ومن الحكم بالهوى ، وكان حفيا جدا ، وكذلك كان في إمساكه ، وفي بخله ، وتدنيقه في نفقاته ؛ وكان لا يأكل إلا ما لا بد منه ، ولا يشرب إلا ما بدا منه . غير أنه إذا كان في غداة كل جمعة حمل معه منديلا فيه جردقتان ، وقطع لحم سكباج مبرّد ، وقطع جبن ، وزيتونات ، وصرة فيها ملح ، وأخرى فيها أشنان وأربع بيضات ليس منها بدّ ، ومعه خلال . ومضى وحده ، حتى يدخل بعض بساتين الكرخ ، وينظر موضعا تحت شجرة ، وسط خضرة ، وعلى ماء جار . فاذا وجد ذلك جلس ، وبسط بين يديه المنديل ، وأكل من هذا مرة ، ومن هذا مرّة . فإن وجد قيّم ذلك البستان رمى إليه بدرهم ، ثم قال :

اشتر لي بهذا ، أو أعطني بهذا ، رطبا ، (إن كان في زمان الرطب) ، أو عنبا (إن كان في زمان العنب) ويقول له : إياك إياك أن تحابيني ، ولكن تجوّد لي ، فإنّك إن فعلت لم آكله ، ولم أعد إليك . واحذر الغبن فان المغبون لا محمود ولا مأجور» فإن أتاه به أكل كل شيء معه ، وكل شيء أتي به ، ثم تخلّل ، وغسل يديه ، ثم تمشّى مقدار مائة خطوة . ثم يضع جنبه ، فينام الى وقت الجمعة . ثم ينتبه فيغتسل ، ويمضي الى المسجد .

---

(١) أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي . يكنى بأبي علي وأبي نؤاس والنؤاسي . وعرف أبو نواس بشاعر الخمر . قال البعض انه تاب عما كان فيه وأتجه إلى الزهد وقد انشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك .

(٢) الشاذروان بفتح الذال وتسكين الراء ، وهو ما ترك من عرض أساس البيت الحرام خارجا ويسمى تأزيرا لأنه كالإزار ، وهو مأخوذ من كلمة شوذر الفارسية ومعناها الإزار .

هذا كان دأبه كل جمعة!! قال إبراهيم : فبينا هو يوما من أيامه يأكل في بعض المواضع ، إذ مر به رجل فسلّم عليه ، فردّ السلام ؛ ثم قال : «هلّم عافاك الله» . فلما نظر الى الرجل وقد انثنى راجعا ، يريد أن يطفر الجدول أو يعبر النهر ، قال له : «مكانك ، فإنّ العجلة من عمل الشيطان» . فوقف الرجل ، فأقبل عليه الخراساني وقال : «تريد ماذا»؟ قال : «أريد أن أتغدّى» .

قال : «ولم ذاك؟ وكيف طمعت في هذا؟ ومن أباح لك مالي»؟ قال الرجل : «أوليس قد دعوتني»؟ قال : «ويلك ، لو ظننت أنك هكذا أحمق ، ما رددت عليك السلام . أيحسن فيما نحن فيه أن تكون ، إذا كنت أنا الجالس وأنت المار ، أن تبدأ أنت فتسلم ، فأقول أنا حينئذ ، مجيبا لك : «وعليكم السلام» . فإن كنت لا آكلا شيئا ، سكتّ أنا ، وسكتّ أنت ، ومضيت أنت ، وقعدت أنا على حالي . وإن كنت آكل فههنا وجه آخر ، وهو إن أبدأ أنا ، فأقول : «هلّم» ، وتجيب أنت فتقول :

«هنيئا» . فيكون كلام بكلام ، فأما كلام بفعال ، وقول بأكل ، فهذا ليس من الإنصاف ، وهذا يخرج علينا فضلا كبيرا . قال : فورد على الرجل شيء لم يكن في حسابه . فشهر بذلك في تلك الناحية ، وقيل له : «قد أعفينا من السلام ، ومن تكلف الرد» . قال : «ما بي الى ذلك حاجة ، إنما هو أن أعفي أنا نفسي من «هلّم» وقد استقام الأمر» .

الاقتصاد في لبس الاخفاف

قال سجّادة ، وهو أبو سعيد سجّادة : ناس من المراوزة إذا لبسوا الخفاف في الستة الأشهر التي لا ينزعون فيها خفافهم ، يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر ، وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر حتى يكون كأنهم لم يلبسوا خفافهم إلا ثلاثة أشهر ، مخافة أن تنجرد نعال خفافهم أو تنقب .

الصيرفي والبقال

زبيدة بن حميد الصيرفيّ استسلف من بقال ، كان على باب داره ، درهمين وقيراطا ، فلما قضاه بعد ستة أشهر ، قضاه درهمين وثلاث حبات شعير . فاغتاظ البقّال ، وقال : «سبحان الله! أنت رب مائة ألف دينار ؛ وأنا بقال لا أملك مائة فلس ، وإنما أعيش بكدّي وباستفضال الحبة والحبتين . صاح على بابك جمّال ، وحمال ،

ولم يحضرك ، وغاب وكيلك ، فنقدت عنك درهمين ، وأربع شعيرات ، فقضيتني بعد سنة أشهر درهمين ، وثلاث شعيرات» ! فقال زبيدة : «يا مجنون أسلفتني في الصيف فقضيتك في الشتاء ، وثلاث شعيرات شتوية ندية ، أرزن من أربع شعيرات يابسة صيفية ، وما أشك أن معك فضلا»

الفرج بعد الشدة

قيل لأحد البخلاء :
ما الفرج بعد الشدّة؟
فقال :
أن يعتذر الضيف بالصيام !!

في فلس

قال جهم بن خلف[1] : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة فأطعمنا تمراً . ثم قال لغلامه : خذ هذا الفلس فاشتر به زيتاً ، فأتى الغلام به . فقال له : خنتني . فقال : وكيف أخونك في فلس؟ قال : أخذته لنفسك واستوهبت الزيت .

تقويم الرأي

وقال الأحنف بن قيس[2] : يا بني تميم ، أتبخلونني وربما أشرت عليكم برأي خير من مائة ألف درهم؟ فقال بعض من سمعه : تقويمك الرأي عليه غاية البخل .

من أظرف ما قيل في بخيل

ومن أظرف ما قيل في بخيل :
وأخٍ مسّـــــه نزولــــي بقـــــــرحٍ   مثلمـــا مسّنـــي مـــن الجـوع قرح

(١) جهم بن خلف : جهم بن خلف المازني : سكن البصرة ، وكان معاصرا للأصمعي ، وراوية علامة بالشعر والعروض والغريب ، واشتهر شعره في الحشرات والطير .
(٢) هو التابعي الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي اسمه ضحاك وقيل صخر وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل ، قال سليمان بن أبي شيخ كان أحنف الرجلين جميعا .

قال إذ زرت وهو فــي شـــدة الســـك رة بالهـــمّ طافـــح ليـــس يصحـو
لم تغرّبت قلــت قـــال رســـول اللــ ـه والقـــول منـــه نصـــحٌ ونجـــح
سافـــروا تغنموا فـــقال وقـــد قـــا ل تمـــام الحديـــث جوعوا تصحّوا

الزحام على الطعام

طبخ بعض البخلاء قدراً فقعد هو وامرأته يأكلان . فقال : ما أطيب هذا القدر لولا الزحام! قالت : أي زحام ها هنا إنما أنا وأنت! قال : كنت أحب أن أكون أنا والقدر .

علم الاقتصاد

مر بخيل بأحد العلماء فنزع حذاءه وحمله تحت إبطه فسأله العالم هل هذا الذي تحت إبطك كتاب؟

البخيل : أجل

العالم : وفي أي علم؟

البخيل : علم الاقتصاد

صفة البخل

قال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك[1] : كان عندنا رجلٌ يكنى أبا نصر ، من جهينة ، ذاهب العقل في غير ما النّاس فيه ، يجلس مع أهل الصّفّة في آخر مسجد رسول الله ﷺ ، فأتيته يوماً ، فقلت : ما الشرف؟ قال : حمل ما ناب العشيرة ، والقبول من محسنها ، والتّجاوز عن مسيئها ؛ قلت : ما المروءة؟ قال : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وتوقّي الأدناس ؛ قلت : ما السخاء؟ قال : جهد مقل ؛ قلت : فما البخل؟ قال : أف ؛ وحول وجهه عني ؛ قلت : أجبني ، قال : قد أجبتك .

أبو القماقم

قال أبو القماقم : أول الإصلاح ألا يردّ ما صار في يدي لك ، فإن كان ما صار

(١) ابن أبي فديك الإمام الثقة المحدث ، أبو إسماعيل ، محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك ، واسمه دينار الديلي ، مولاهم المدني .

في يدي لي فهو لي ، وإن لم يكن لي فأنا أحقّ به مّمن صيّره في يدي . ومن أخرج من يده شيئا إلى غيره ، من غير ضرورة ، فقد أباحه لمن صيّره إليه . وتفريقك إياه مثل إباحته .

وقالت له امرأة : ويحك يا أبا القماقم إني تزوجت زوجا نهاريّا ، والساعة وقته ، وليست عليّ هيئة فاشتر لي بهذا الرغيف آسا ، وبهذا الفلس دهنا ، فإنك تؤجر . فعسى الله أن يلقي محبتي في قلبه . فيرزقني على يدك شيئا أعيش به ، فقد والله ساءت حالي ، وبلغ المجهود مني ؛ فأخذهما وجعلها وجهه ؛ فرأته بعد أيام ، فقالت : سبحان الله أما رحمتني مما صنعت بي؟ قال : ويحك سقط والله مني الفلس ، فمن الغمّ أكلت الرغيف .

وتعشق واحدة ، فلم يزل يتبعها ، ويبكي بين يديها ، حتى رحمته .

وكانت مكثرة وكان مقلا فاستهداها هريسة[١] ، وقال : أنتم أحذق بها .

فلما كان بعد أيام تشهى عليها رؤوسا ، فلما كان بعد قليل طلب منها حيسة[٢] فلما كان بعد ذلك تشهى عليها طفيشيلة[٣] . قالت المرأة : رأيت عشق الناس يكون في القلب وفي الكبد وفي الأحشاء ، وعشقك أنت ليس يجاوز معدتك .

وقال أبو الأصبغ : ألحّ أبو القماقم على قوم عند الخطبة إليهم ، يسأل عن مال المرأة ويحصيه . ويسأل عنه . فقالوا : قد أخبرناك بمالها ، فأنت أيّ شيء مالك؟ قال : وما سؤالكم عن مالي؟ الذي لها يكفيني ويكفيها .

أحمد بن الخاركي

كان أحمد بن الخاركي بخيلا ، وكان نفّاجا . وهذا أغيظ ما يكون . وكان يتخذّ لكل جبّة أربعة أزرار ، ليرى الناس أن عليه جبّتين .

ويشتري الأعذاق والعراجين والسعف من الكلّاء ، فإذا جاء به الحمّال إلى بابه تركه ساعة يوهم الناس أنّ له من الأرضين ما يحتمل أن يكون ذلك كله منها . وكان

(١) طَعَامٌ يُطْبَخُ مِنَ الْقَمْحِ الْمَدْقُوقِ وَاللَّحْمِ .

(٢) تمرٌ وأَقِطٌ وسمنٌ تُخلَطَ وتُعجَن وتُسوَّى كالثَّريد .

(٣) نوع من المرق .

يكتري قدور الخمّارين التي تكون للنبيذ ، ثم يتحرّى أعظمها ، ويهرب من الحمالين بالكراء»؟ كي يصيحوا بالباب :

«ويشربون الداذيّ والسّكر ، ويحبسون الحمّالين بالكراء» وليس له في منزله رطل دبس . وسمع قول الشاعر :

رأيت الخبز عزّ لديك حتى حسبت الخبز في جوّ السحاب
وما روّحتنا لتذب عنا ولكن خفت مرزئة الذباب

فقال : ولم ذبّ عنهم لعنه الله؟ والله ما أعلم إلا أنه شهيّ إليهم الطعام ، ونظف لهم القصاع ، وفرّغهم له ، وسحرّهم عليه . ثم ألا تركهم تقع في قصاعهم وتسقط على انافهم وعيونهم؟ هو والله أهل لما هو أعظم من هذا . كم ترون من مرّة قد أمرت الجارية أن تلقي في القصعة الذبابة والذبابتين والثلاثة ، حتى يتقزّز بعضهم ، أو يكفي الله شرّه .

قال : وأما قوله :

«رأيت الخبز عزّ لديك حتى»

قال : فإذا لم أعزّ هذا الشيء الذي هو قوام أهل الأرض ، وأصل الأقوات ، وأمير الأغذية ، فأيّ شيء أعزّ . أي والله ، إنّي أعزّه ، وأعزّه ، وأعزّه ، وأعزّه ، مدى النفس ، ما حملت عيني الماء .

وبلغ من نفجه مع ذلك ما أخبر به إبراهيم بن هانيء قال : كنت عنده يوما ، إذ مرّ به بعض الباعة ، فصاح : «الخوخ الخوخ» . فقلت : «وقد جاء الخوخ بعد»؟ قال : «نعم قد جاء ، وقد أكثرنا منه» ، فدعاني الغيظ عليه الى أن دعوت البيّاع ، وأقبلت على ابن الخاركي ، فقلت : «ويحك نحن لم نسمع به بعد ، وأنت قد اكثرت منه؟ وقد تعلم أن أصحابنا أترف منك» ، ثم أقبلت على البياع فقلت : «كيف تبيع الخوخ؟» ، فقال : «ستة بدرهم» . قلت : «أنت ممن يشتري ستّ خوخات بدرهم ، وأنت تعلم أنه يباع بعد أيام مائتين بدرهم»؟

ثم تقول : «وقد أكثرنا منه ، وهذا يقول : ستة بدرهم» . قال : «وأي شيء أرخص من ستة أشياء بشيء» .

غلام صالح بن عفان

كان غلام صالح بن عفّان يطلب منه نفطا لبيت الحمار بالليل ، فكان يعطيه كل

ليلة ثلاثة أفلس ، والطسّوج أربعة فلوس . ويقول :

طسّوج يفضل وحبة تنقص وبينهما يرمي الرامي .

وكان يقول لابنه : تعطي صاحب الحمّام وصاحب المعبر لكل واحد منهما طسّوجا ، وهو إذا لم ير معك إلا ثلاثة أفلس لم يردّك؟

على مائدة الإفطار

قال أبو كعب : دعا موسى بن جناح جماعة من جيرانه ، ليفطروا عنده في شهر رمضان ، وكنت فيهم . فلما صلّينا المغرب ، ونجز ابن جناح ، أقبل علينا ثم قال : لا تعجلوا فإن العجلة من الشيطان . وكيف لا تعجلون وقد قال الله جلّ ذكره : وَكانَ الإِنْسانُ عَجُولًا

وقال :

خُلِقَ الإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ . اسمعوا ما أقول ، فإن فيما أقول حسن المؤاكلة ، والبعد من الأثرة ، والعاقبة الرشيدة ، والسيرة المحمودة ؛ إذا مدّ أحدكم يده إلى الماء فاستسقى ، وقد أتيتم ببهطّة أو بجوذابة[(١)] أوبعصيدة[(٢)] ، أو ببعض ما يجري في الحلق ولا يساغ بالماء ، ولا يحتاج فيه إلى مضغ ، وهو طعام يد لا طعام يدين ، وليست على أهل اليد منه مؤونة ، وهو ممّا يذهب سريعا ، فأمسكوا حتى يفرغ صاحبكم . فإنكم تجمعون عليه خصالا ، منها : إنكم تنغصّون عليه تلك الشّربة ، إذا علم أنه لا يفرغ إلا مع فراغكم . ومنها أنكم تحنقونه ، ولا يجد بدّا من مكافأتكم ، فلعلّه أن يتسرّع الى لقمة حارّة ، فيموت ، وأنتم ترونه ، وأدنى ذلك أن تبعثوه على الحرص وعلى عظم اللقم . ولهذا ما قال الأعرابي حين قيل له : «لم تبدأ بأكل اللحم الذي فوق الثريد؟ قال : «لأن اللحم ظاعن والثريد مقيم» . وأنا وإن كان الطعام طعامي ، فإني كذلك أفعل ، فإذا رأيتم فعلي يخالف قولي فلا طاعة لي عليكم» .

قال أبو كعب : فربما نسي بعضنا فمدّ يده إلى القصعة ، وقد مد يده صاحبه الى الماء . فيقول له موسى : يدك يا ناسي . ولولا شيء لقلت لك : يا متغافل .

---

(١) طعام يتَّخذ من اللحم والرزّ والسُّكَّر والبُنْدُق .

(٢) دقيقٌ يُضافُ إليه ثلاثةُ أَمثاله من الماءِ كَيْلاً ، ولا يزال يُحَرَّكُ على نار هادئة حتى يَغْلُظَ قَوَامُه فيُصَبَّ عليه السَّمْنُ واللَّبَنُ المُحَلَّى بالعَسَلِ أَو السُّكَّر .

قال : وأتانا بأرزة ولو شاء إنسان أن يعدّ حبّها لعدّه ، لتفرّقه ولقلته .

قال : فنثروا عليها لبكة من دبس مقدار نصف أسيكرة ، فوقعت ليلتئذ في فمي قطعة ، وكنت إلى جنبه ، فسمع صوتها حين مضغتها ، فضرب يده على جنبي ثم قال : «أجرش يا أبا كعب أجرش» . قلت :

«ويلك أما تتقي الله! كيف أجرش جزأ لا يتجزّأ»؟

قصة ابن العقدي

قال الجاحظ : كان ابن العقدي ربما استزار أصحابه الى البستان ، وكنت لا أظنه ممّن يحتمل قلبه ذلك على حال . فسألت ذات يوم بعض زوّاره فقلت :

«إحك لي أمركم» . قال : «وتستر عليّ»؟ قلت : «نعم ما دمت بالبصرة» . قال : «يشتري لنا أرزًا بقشره ويحمله معه ، ليس معه شيء ممّا خلق الله إلا ذلك الأرز . فإذا صرنا إلى أرضه ، كلّف أكاره أن يجشّه في مجشّة له ، ثم ذرّاه ، ثم غربله . ثم جشّ الواش منه . فإذا فرغ من الشراء والحمل ، ثم من الجشّ ، ثم من التذرية ، ثم من الإدارة والغربلة ، ثم من جشّ الواش ، ثم من تذريته ، ثم إدارته وغربلته ، كلّف الأكّار أن يطحنه على ثوره وفي رحاه . فإذا طحنه كلّفه أن يغلي له الماء ، وأن يحتطب له ، ثم يكلّفه العجن ، لأنه بالماء الحارّ أكثر نزلا .

ثم كلّف الأكّار أن يخبزه . وقبل ذلك ما قد كلّفهم أن ينصبوا له الشصوص للسمك ، ويسكروا الدرياجة على صغار السمك لا دخلوا في السواقي ، فيدخلوا أيديهم في جحرة الشلابي والرمان . فإن أصبنا من السمك شيئا ، جعله كبابا على نار الخبز تحت الطابق ، حتى لا يحتاج من الحطب إلى كثير . فلا نزال منذ غدوة إلى الليل في كدّ وجوع انتظار . ثم لا يكون عشاؤنا إلا خبز أرزّ أسود غير منخول بالشلابي .

ولو قدر على غير ذلك فعل» .

قلت له : «فلم لا يتخذ موضع مرازّ من بعض رقاق أرضه ، فيبذر لكم الأرز ثم يكون الخيار في يده ، إن أراد أن يعجّل عليكم الطعام أطعمكم الفرد ، أو إن أحبّ أن يتأنّى ليطعمكم الجوهريّ» .

قال : والله لئن سمع هذا وسرفه ليتكلّفنّه . الله الله فينا ، فإنا قوم مساكين ، ولو قدرنا على شيء لم نحتمل هذا البلاء .

اسماعيل بن غزوان

عن المكّي قال : بتّ عند إسماعيل بن غزوان ، وإنما بيّتني عنده حين علم أني تعشّيت عند مويس ، وحملت معي قربة نبيذ ، فلمّا مضى من الليل أكثره ، وركبني النوم ، جعلت فراشي البساط ومرفقتي يدي .

وليس في البيت إلا مصلّى له ، ومرفقة ومخدّة . فأخذ المخدّة فرمى بها إليّ ، فأبيتها ورددتها عليه ، وأبي وأبيت . فقال : «سبحان الله! يكون أن تتوسّد مرفقك ، وعندي فضل مخدّة»؟ فأخذتها فوضعتها تحت خدّي .

فمنعني من النوم إنكاري للموضع ، ويبس فراشي . وظنّ أني قد نمت ، فجاء قليلا قليلا ، حتى سلّ المخدّة من تحت رأسي . فلما رأيته قد مضى بها ، ضحكت وقلت : «قد كنت عن هذا غنيا» ! قال : «إنّما جئت لأسوّي رأسك» .

قلت : «إني لم أكن أكلّمك حتى ولّيت بها» قال : «كنت لهذا جئت ، فلما صارت المخدّة في يدي نسيت ما جئت به . والنبيذ ، ما علمت ، والله يذهب بالحفظ أجمع» .

حديث المصري

عن المصري وكان جار الدار دريشي ، وماله لا يحصى ، قال :

فانتهر سائلا ذات يوم وأنا عنده ، ثم وقف آخر فانتهره ، إلا أن ذلك بغيظ وحنق . قال : فأقبلت عليه فقلت له : «ما أبغض إليك السؤال» قال : «أجل عامة من ترى منهم أيسر مني» . قال : فقلت :

«ما أظنك أبغضتهم إلا لهذا» . قال : «كل هؤلاء لو قدروا على داري هدموها ، وعلى حياتي لنزعوها . أنا لو طاوعتهم فأعطيتهم كلما سألوني ، كنت قد صرت مثلهم منذ زمان . فكيف تظن بغضي يكون لمن أرادني على هذا» .

وكان أخوه شريكه في كل شيء ، وكان في البخل مثله ، فوضع أخوه في يوم جمعة بين أيدينا ، ونحن على بابه ، طبق رطب يساوي بالبصرة دانقين ، فبينما نحن نأكل إذ جاء أخوه ، فلم يسلم ولم يتكلم حتى دخل الدار . فأنكرنا ذلك ، وكان يفرط في إظهار البشر ، ويجعل البشر وقاية دون ماله . وكان يعلم أنه إن جمع بين المنع والكبر قتل . قال : ولم نعرف علته ، ولم يعرفها أخوه .

فلّما كان الجمعة الأخرى ، دعا أيضا أخوه بطبق رطب ، فبينا نحن نأكل ، إذ خرج من الدار ولم يسلم ولم يقف ، فأنكرنا ذلك ، ولم ندر أيضا ما قصته . فلما أن

كان في الجمعة ، ورأى مثل ذلك ، كتب إلى أخيه : «يا أخي كانت الشركة بيني وبينك حين لم يكثر الولد ، ومع الكثرة يقع الاختلاف . ولست آمن أن يخرج ولدي وولدك إلى مكروه .

وها هنا أموال باسمي ولك شطرها وأموال باسمك ولي شطرها ، وصامت في منزلي وصامت في منزلك ، لا نعرف فضل بعض ذلك على بعض . وإن طرقنا أمر الله ، ركدت الحرب بين هؤلاء الفتية ، وطال الصخب بين هؤلاء النسوة . فالرأي أن نتقدّم اليوم فيما يحسم عنهم هذا السبب» .

فلما قرأ أخوه كتابه ، تعاظمه ذلك وهاله . وقلب الرأي ظهرا لبطن ، فلم يزده التقليب إلا جهلا . فجمع ولده وغلّظ عليهم ، وقال : «عسى أن يكون أحد منكم قد أخطأ بكلمة واحدة ، أو يكون هذا البلاء من جرائر النساء» . فلما عرف براءة ساحة القوم ، تمشى اليه حافيا راجلا ، فقال : «ما يدعوك إلى القسمة والتمييز؟ ادع صلحاء أهل المسجد الساعة ، حتى أشهدهم بأني وكيل لك في هذه الضياع . وحوّل كلّ شيء في منزلي الى منزلك . وجرّب ذلك مني الساعة ، فإن وجدتني أروغ وأعتّل ، فدونك . فحاجتي الآن أن تخبرني بذنبي» . قال : «مالك من ذنب ، وما من القسمة من بد» . فأقام عنده يناشده الى نصف النهار ، ثم أقام يومه ذلك الى نصف الليل ، يناشده ويطلب إليه .

فلما طال عليه الأمر ، وبلغ منه الجهد ، قال له : «حدّثني عن وضعك أطباق الرطب وبسطك الحصر في السكك ، وإحضارك الماء البارد ، وجمعك الناس على بابي في كل جمعة ، كأنك ظننت أنا كنا عن هذه المكرمة عميا . إنك إذا أطعمتهم اليوم البرنيّ(١) أطعمتهم غدا السكر ، وبعد غد الهلباثا . ثم يصير ذلك بعد أيام الجمع في سائر أيام الأسبوع ، ثم يتحوّل الرّطب إلى الغداء ثم يؤدي الغداء إلى العشاء . ثم تصير الى الكساء ثم الأجداء ثم الحملان ثم اصطناع الصنائع . والله إني لأرثي لبيوت الأموال ولخراج المملكة من هذا ، فكيف بمال تاجر جمعه من الحبّات والقراريط والدوانيق والأرباع والأنصاف؟» ؛ قال : «جعلت فداك تريد أن لا آكل رطبة أبدا فضلا على غير ذلك؟ وأخرى فلا والله لا كلّمتهم أبدا» . قال : إياك أن تخطئ مرّتين : مرّة في إطماعهم فيك ، ومرّة في اكتساب عدواتهم . أخرج من هذا الأمر على حساب ما دخلت فيه . وتسلّم تسلم .

(١) نوع جيد من التمر مدوَّر أحمر مُشْرَبٌ بصفرة ، نَخْل بَرْنِيٌّ ، ونخلة بَرْنِيَّةٌ .

أبو الهذيل

كان أبو الهذيل أهدى إلى مويس دجاجة . وكانت دجاجته التي أهداها دون ما كان يتخذّ لمويس ، ولكنه بكرمه وبحسن خلقه أظهر التعجّب من سمنها وطيب لحمها ، وكان يعرفه بالإمساك الشديد . فقال :

«وكيف رأيت يا أبا عمران تلك الدجاجة»؟ قال : «كانت عجبا من العجب» ، فيقول : «وتدري ما جنسها؟ وتدري ما سنّها؟ فإن الدجاجة إنما تطيب بالجنس والسنّ . وتدري بأيّ شيء كنّا نسمنها وفي أي مكان كنا نعلفها؟» . فلا يزال في هذا ، والآخر يضحك ضحكا نعرفه نحن ، ولا يعرفه أبو الهذيل .

وكان أبو الهذيل أسلم الناس صدرا ، وأوسعهم خلقا ، وأسهلهم سهولة . فإن ذكروا دجاجة قال : «أين كانت يا أبا عمران من تلك الدجاجة؟» ، فإن ذكروا بطة أو عناقا أو جزروا أو بقرة قال :

«فأين كانت هذه الجزور في الجزر ، من تلك الدجاجة في الدجاج؟» ، وان استسمن أبو الهذيل شيئا من الطير والبهائم قال : «لا والله ولا تلك الدجاجة» ، وإن ذكروا عذوبة الشحم قال : عذوبة الشحم في البقر والبط وبطون السمك والدجاج ، ولا سيما ذلك الجنس من الدجاج» وإن ذكروا ميلاد شيء ، أو قدوم إنسان قال : «كان ذلك بعد أن أهديتها لك بسنة ، وما كان بين قدوم فلان وبين البعثة بتلك الدجاجة ، إلا يوم» . وكانت مثلا في كل شيء ، وتاريخا في كل شيء .

الزيت والسمن

تغدّى محمد بن الأشعث[1] عند يحيى بن خالد[2] ، فتذاكروا الزيت وفضل ما بينه وبين السمن ، وفضل ما بين الانفاق وزيت الماء . فقال محمد : «عندي زيت لم ير الناس مثله» . قال يحيى : «لا يؤتى منه بشيء»؟ فدعا محمد غلامه فقال :

(١) محمد بن الأشعث بن قيس الكندي . ولاّه زياد بن أبيه والي العراق على طبرستان . وعندما تولّى عبد الله بن الزبير الخلافة في الحجاز ، ولاّ أخاه مصعباً العراق ، فانضم إليه ابن الأشعث في الحرب ضد المختار الثقفي ، وقُتل في وقعة المذار التي قُتل فيها المختار .

(٢) يحيى بن خالد البرمكي كان كاتب هارون الرشيد قبل أن يلي الخلافة ، ثم أصبح وزيره بعد أن تولاها ، وأصبح هو وأولاده الفضل وجعفر من علية القوم في الخلافة الرشيدية .

«إذا دخلت الخزانة ، فانظر الجرّة الرابعة عن يمينك إذا دخلت ، فجئنا منه بشيء» . قال يحيى : «ما يعجبني السيد يعرف موضع زيته وزيتونه» .

نضج الطعام

وقرّب خبّاز أسد بن عبد الله[1] إليه ، وهو على خراسان ، شواء قد أنضجه نضجا . وكان يعجبه ما رطب من الشواء ؛ فقال لخبّازه :

«أتظنّ أن صنيعك يخفى عليّ؟ إنك لست تبالغ في إنضاجه لتطييبه ، ولكن تستحلب جميع دسمه ، فتنتفع بذلك منه» . فبلغت أخاه فقال : «ربّ جهل خير من علم» .

دقة التوقيت

وكان رجل يغشى طعام الجوهريّ ، وكان يتحرّى وقته ولا يخطئ .

فإذا دخل ، والقوم يأكلون وحين وضع الخوان ، قال : «لعن الله القدرية ، من كان يستطيع أن يصرفني عن أكل هذا الطعام ، وقد كان في اللوح المحفوظ إني سآكله»؟ فلما أكثر من ذلك ، قال له رياح :

«تعال بالعشيّ أو بالغداة فإن وجدت شيئا فالعن القدريّة والعن آباءهم وأمهاتهم» .

حبة خوخ

وجاء غلام إلى خالد بن صفوان[2] بطبق خوخ ؛ إمّا أن يكون هدية ، وإما أن غلامه جاء به من البستان ؛ فلما وضعه بين يديه قال : «لولا أني أعلم أنك أكلت منه لأطعمتك واحدة» .

---

(١) هو الأمير الفاتح ووالي خراسان أبو المنذر اسد بن عبد الله بن يزيد بن اسد القسري البجلي كان اسد بن عبد الله من عظماء الأمراء الفاتحين في خراسان والعصر الأموي ويعتبر آخر القادة الفاتحين في العصر الأموي وكان جوادا ممدحا ، وشجاعا مقداماً .

(٢) خالد بن صفوان القناص : شاعر وبليغ ونحوي عباسي . من شعراء العصر العباسي الأول . مجهول المولد والوفاة . كان من رواد المربد . اشتهرت قصيدته النونية البليغة باللغة والتي هي السبب في شهرته . والمسمى بالعروس . والتي تحتوي على ٧٨ بيتا .

عُوجا عَلى طلل بِالقُفص خُلّاني أَقوى فقطّانه أرآلُ هِيقانِ
كَالدَيبُليّات أَو إِجل قَراهبة من بَين أَحمر يَرعاها وَثِيرانِ

الشيخ الأهوازي

وقال رمضان : كنت مع شيخ أهوازي في جعفرية ، وكنت في الذّنب وكان في الصدر . فلما جاء وقت الغداء ، أخرج من سلة له دجاجة وفرخا واحدا مبرّدا ، وأقبل بأكل ويتحدث ولا يعرّض عليّ .

وليس في السفينة غيري وغيره . فرآني أنظر اليه مرة ، وإلى ما بين يديه مرة .

فتوهم أني أشتهيه واستبطئه ، فقال لي : «لم تحدّق النظر؟ من كان عنده أكل مثلي ، ومن لم يكن عنده نظر مثلك» . قال : ثم نظر إليّ وأنا أنظر إليه ، فقال : «يا هناه أنا رجل حسن الأكل ، لا آكل إلا طيّب الطعام وأنا أخاف أن تكون عينك مالحة . وعين مثلك سريعة ، فاصرف عني وجهك» قال : فوثبت عليه ، فقبضت على لحيته اليسرى ، ثوم تناولت الدجاجة بيدي اليمنى ، فما زلت أضرب بها رأسه حتى تقطعت في يدي .

ثم تحوّل إلى مكاني ، فمسح وجهه ولحيته ، ثم أقبل عليّ فقال : «قد أخبرتك أن عينك مالحة ، وأنك ستصيبني بعين» . قلت : «وما شبه هذا من العين»؟ قال : «إنما العين مكروه يحدث . فقد أنزلت بنا عينك أعظم المكروه» . فضحكت ضحكا ما ضحكت مثله ، وتكالمنا حتى كأنه لم يقل قبيحا ، وحتى كأني لم أفرط عليه .

العسل يحرق القلب

حكي عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيفٌ ، وبين يديه خبز ووعاء فيه عسل ، فرفع الخبز ، وأراد أن يرفع العسل ، فدخل الضيف من قبل أن يرفعه ، فظنَّ البخيل أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز ، فقال له : ترى أن تأكل عسلاً بلا خبز؟ قال : نعم ، وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة .

فقال له البخيل : مهلاً يا أخي ، واللهِ إنه يحرق القلب

فقال الضيف : نعم ، صدقتَ ، ولكنَّه يحرق قلبك

هذا الشبل من ذاك الأسد

يحكى أن أحدهم نزل ضيفاً على صديق له من البخلاء وما أن وصل الضيف . . . حتى نادى البخيل ابنه وقال له : يا ولد عندنا ضيف عزيز على قلبي فاذهب واشترى لنا نصف كيلو لحم من أحسن لحم

ذهب الولد وبعد مدة عاد ولم يشترى شيئاً
فسأله أبوه : أين اللحم؟ !!
فقال الولد : ذهبت إلى الجزار وقلت له : أعطنا أحسن ما عندك من لحم
فقال الجزار : سأعطيك لحماً كأنه الزبد
قلت لنفسي إذا كان كذلك فلماذا لا أشتري الزبد بدل اللحم . . فذهبت إلى البقال
وقلت له : أعطنا أحسن ما عندك من الزبد
فقال : أعطيك زبداً كأنه الدبس
فقلت : إذا كان الأمر كذلك فالأفضل أن أشتري الدبس . . فذهبت إلى بائع الدبس
وقلت : أعطنا أحسن ما عندك من الدبس
فقال الرجل : أعطيك دبساً كأنه الماء الصافي
فقلت لنفسي : إذا كان الأمر كذلك . . فعندنا ماء صافٍ في البيت
وهكذا عدت دون أن أشتري شيئاً
قال الأب : يالك من صبي شاطر . . ولكن فاتك شيء
لقد استهلكت حذاءك بالجري من دكان إلى دكان
فأجاب الابن لا يا أبي . . أنا لبست حذاء الضيف

الشجاعة بمقياس البخيل

سئل بخيل : من أشجع الناس؟!
قال : من يسمع وقع أضراس الناس على طعامه ولا تنشق مرارته من الحسرة أو يصاب بالفالج .

الأسودان

ضاف رجل على رجل فسمعه يقول : أهلاً بك على الأسودين
فرد : أنعم بهما التمر والماء
فقال صاحب الخيمة ، لا والله بل الليل والصحراء

عدو الخبز

بشَّرت امرأة زوجها البخيل أنّ ابنه قد اتَّغز (اخرج اسنانه) ، فقال لها : أتبشريني بعدو الخز ، ويحكِ الحقي بأهلك فإنك طالق!

ركعتين بين كل لقمتين:

قال رجلٌ لبعض البخلاء : لِمَ لا تدعوني إلى طعامك؟
فقال البخيل : لأَنك جيد المَضغ ، سريع البلع ، إذا أكلتَ لقمةً هيَّأتَ أخرى!
فقال الرجل : وهل تريدني أن أَصلي ركعتين بين كل لقمتين؟

أجهز على الجرحى

عن الجاحظ قال : حدثني صاحب لي قال : دخلت على فلان بن فلان ، وإذا المائدة موضوعة بعد ، وإذا القوم قد أكلوا ، ورفعوا أيديهم ، فمددت يدي لآكل فقال : أجهز على الجرحى ، ولا تعرض للأصحّاء . (يقول : أعرض للدجاجة التي قد نيل منها ، وللفرخ المنزوع الفخذ ، فأما الصحيح فلا تعرض له . وكذلك الرغيف الذي قد نيل منه ، وأصابه بعض المرق) وقال لي هذا الرجل : أكلنا عنده يوما ، وأبوه حاضر ، وبنيّ له يجيء ويذهب . فاختلف مرارا ، كلّ ذلك ، يرانا نأكل . فقال الصبيّ : كم تأكلون ، لا أطعم الله بطونكم! فقال أبوه ، وهو جدّ الصبي : ابني ، ورب الكعبة .

حديث خالد عبد الله القسري

قال أبو عبيدة : بلغ خالد بن عبد الله القسري أن الناس يرمونه بالبخل على الطعام . فتكلم يوما ، فما زال يدخل كلاما في كلام ، حتى أدخل الاعتذار من ذلك في عرض كلامه . فكان مما احتجّ به ، في شدة رؤية الأكيل عليه ، وفي نفوره منه ، أن قال : نظر خالد المهزول في الجاهلية ، يوما ، إلى ناس يأكلون ، وإلى إبل تجترّ ، فقال لأصحابه :

أتروني إذا أكلت بمثل هذه العين التي أرى بها الناس والإبل؟ قالوا :

نعم . فحلف بإلهه ألاّ يأكل بقلا ، وأن مات هزلا . فكان يغتذي اللبن ، ويصيب من الشراب . فأضمره ذلك وأيبسه . فلما دق جسمه ، واشتد هزاله ، سمّي : المهزول .

ثم قال خالد : ها أنذا مبتلى بالمضغ ، ومحمول على تحريك اللحيين ، ومضطر الى مناسبة البهائم ، ومحتمل ما في ذلك من السخف والعجز . ما بالي احتملته فيمن لي منه بدّ ، ولي عنده مذهب . ليأكل كل امرئ في منزله ، وفي موضع أمنه وأنسه ، ودون ستره وبابه .

قصة الحارثي

وقيل للحارثي : والله إنك لتصنع الطعام فتجيده ، وتعظم عليك النفقة ، وتكر منه ؛ وإنك لتغالي بالخبّاز والطبّاخ والشواء والخباص ، ثم أنت مع هذا كله لا تشهده عدوّا لتغمّه ، ولا وليّا فتسرّه ، ولا جاهلا لتعرّفه ، ولا زائرا لتعظّمه ، ولا شاكرا لتثبّته . وأنت تعلم حين يتنحّى من بين يديك ، ويغيب عن عينيك . فقد صار نهبا مقسما ، ومتوزعا مستهلكا . فلو أحضرته من ينفع شكره ، ويبقى شكره ، ويبقى على الأيام ذكره ، ومن يمتعك بالحديث والاستماع ، ومن يمتدّ به الأكل ، ويقصر به الدهر ، لكان ذلك أولى بك ، وأشبه بالذي قدّمته يدك .

وبعد ، فلم تبيح مصون الطعام لمن لا يحمدك ، ومن ان حمدك لم يحسن أن يحمدك ، ومن لا يفصل بن الشهيّ القديّ ، وبين الغليظ الزهم؟ قال : يمنعني من ذلك ما قال أبو الفاتك . قالوا : ومن أبو الفاتك؟ قال : قاضي الفتيان . وإني لم آكل مع أحد ، قطّ ألا رأيت منه بعض ما ذمّه ، وبعض ما شنّعه وقبّحه . فشيء يقبح بالشطّار ، فما ظنك به إذا كان في أصحاب المروءات ، وأهل البيوتات؟ قالوا : فما قال أبو الفاتك .

قال : قال أبو الفاتك : الفتى لا يكون نشّالا ، ولا نشّافا ، ولا مرسالا ، ولا لكّاما ، ولا مصّاصا ، ولا نقّاضا ، ولا دلاّكا ، ولا مقوّرا ، ولا مغربلا ، ولا محلقما ، ولا مسوّغا ولا ملغّما ، ولا مخضّرا . فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطّاع ، والقطّاع ، والنهّاش ، والمدّاد ، والدفّاع ، والمحوّل؟

والله إني لأفضّل الدهاقين ، حين عابوا الحسو ، وتقززوا من التعرّق» ، وبهرجوا صاحب التمشيش ، وحين أكلوا بالبارجين ، وقطعوا بالسكين ، ولزموا عند الطعام السكتة ، وتركوا الخوض ، واختاروا الزمزمة . أنا والله أحتمل الضيق والضيّفن ، ولا أحتمل اللعّموظ[1] ولا الجردبيل . والواغل أهون عليّ من الراشن .

(١) الذي يخدُم بطعام بطنه . والجمع : لَعاميظُ .

ومن يشكّ أن الوحدة خير من جليس السوء ، وأن جليس السوء خير من أكيل السوء؟ لأن كل أكيل جليس ، وليس كل جليس أكيلا .

فإن كان لا بد من المؤاكلة ، ولا بد من المشاركة ، فمع من لا يستأثر عليّ بالمخّ ، ولا ينتهز بيضة البقيلة ، ولا يلتهم كبد الدجاجة ، ولا يبادر إلى دماغ رأس السلّاءة ولا يختطف كلية الجدي ، ولا يزدرد قانصة الكركّي ، ولا ينتزع شاكلة الحمل ولا يقتطع سرّة الشّيصان ، ولا يعرض لعيون الرؤوس ، ولا يستولي على صدور الدجاج ، ولا يسابق إلى أسقاط الفراخ ، ولا يتناول إلا ما بين يديه ، ولا يلاحظ ما بين يدي غيره ولا يتناول إلا ما بين يديه ، ولا يتشهّى الغرائب ، ولا يمتحن الإخوان بالأمور الثمينة ، ولا يهتك أستار الناس بأن يتشهّى ما عسى ألا يكون موجودا .

وكيف تصلح الدنيا ، وكيف يطيب العيش ، مع من إذا رأى جزوريّة ، التقط الأكباد والأسنمة ، وإذا عاين بقريّة ، استولى على العراق والقطنة ، وإن أتوا بجنب شواء ، اكتسح كل شيء عليه . لا يرحم ذا سن لضعفه ، ولا يرقّ على حدث لحدّة شهوته ، ولا ينظر للعيال ، ولا يبالي كيف دارت بهم الحال ؛ وإن كان لا بد من ذلك ، فمع من لا يجعل نصيبه في مالي أكثر من نصيبي .

وأشد من كل ما وصفنا ، وأخبث من كل ما عددنا ، أن الطبّاخ ، ربما أتى باللون الطريف ، وربما قدّم الشيء الغريب ، والعادة في مثل ذلك اللون أن يكون لطيف الشخص ، صغير الحجم ، وليس كالطفشيلية ، ولا كالهريسة ، ولا كالفجلية ، ولا كالكرنبية ، وربما عجّل عليه ، قدّمه حارا ممتنعا ، وربما كان من جوهر بطيء الفتور . وأصحابي في سهولة ازدراد الحار عليهم ، في طباع النعام ، وأنا في شدّة الحار عليّ ، في طباع السباع . فإن انتظرت إلى أن يمكن أتوا على آخره ، وإن بدرت مخافة الفوت ، وأردت أن أشاركهم في بعضه ، لم آمن ضرره . والحار ربما قتل ، وربما أعقم ، وربما أبال الدم .

ثم قال : هذا عليّ الأسواري ، أكل مع عيسى بن سليمان بن علي ، فوضعت قدّامهم سمكة عجيبة ، فائقة السمن ، فجلط بطنها جلطة ، فإذا هو يكتنز شحما . وقد كان غص بلقمة ، وهو المستسقي ففرغ من الشراب ، وقد غرف من بطنها كل إنسان منهم بلقمته غرفة .

وكان عيسى ينتخب الأكلة ، ويختار منهم كل منهوم فيه ، ومفتون به . فلما خاف عليّ الأسواري الإخفاق ، وأشفق من الفوت ، وكان أقربهم إليه عيسى ،

استلب من يده اللقمة بأسرع من خطفة البازي ، وانكدار العقاب ، من غير أن يكون أكل عنده ، قبل مرّته . فقيل له : ويحك! استلبت لقمة الأمير من يده ، وقد رفعها اليه وشحا لها فاه ، من غير مؤانسة ولا ممازحة سالفة . قال : لم يكن الأمر كذلك ، وكذب من قال ذلك . ولكنا أهوينا أيدينا معا ، فوقعت يدي في مقدّم الشحمة ، ووقعت يده في مؤخر الشحمة ، معا . والشحم ملتبس بالأمعاء . فلما رفعنا أيدينا معا ، كنت أنا أسرع حركة ، وكانت الأمعاء متصلة غير متباينة ، فتحوّل كل شيء كان في لقمته بتلك الجذبة الى لقمتي ، لاتصال الجنس بالجنس ، والجوهر بالجوهر .

وأنا كيف أؤاكل أقواما يصنعون هذا الصنيع ، ثم يحتجون له بمثل هذه الحجج؟

ثم قال : إنكم تشيرون عليّ ، بملابسة شرار الخلق ، وأنذال الناس ، وبكل عياب متعتّب ، ووثاب على أعراض الناس متسرع . وهؤلاء لم يرضوا أن يدعوهم الناس ، ولا يدعوا الناس ، وأن يأكلوا ولا يطعموا ، وأن يتحدثوا عن غيرهم ، ولا يبالون أن يتحدث عنهم ، وهم شرار الناس .

ثم قال : اجلس معاوية (وهو في مرتبة الخلافة ، وفي السطح من قريش ، وفي نبل الهمة ، وأصالة الرأي ، وجودة البيان ، وكمال الجسم ، وفي تمام النفس عند الجولة ، وعند تقصّف الرماح ، وتقطع السيوف) رجلا على مائدته ، مجهول الدار ، غير معروف النسب ، ولا مذكور بيوم صالح . فأبصر في لقمته شعرة ، فقال : خذ الشعرة من لقمتك . ولا وجه لهذا القول منه إلا محض النصيحة ، والا الشفقة . فقال الرجل : وإنك لتراعيني مراعاة من يبصر معها الشعرة؟ لا جلست لك على مائدة ما حييت ، ولأحكينها عنك ما بقيت . فلم يدر الناس أي أمري معاوية كان أحسن وأجمل : تغافله عنه أم شفقته عليه . فكان هذا جزاؤه منه ، وشكره له .

ثم قال : وكيف أطعم من إن رأيته يقصّر في الأكل فقلت له كل ، ولا تقصّر في الأكل . قال : ولم فطن لفضل ما بين التقصير وغيره؟ وإن قصّر فلم أنشّطه ، ولم أحثّه . قال لولا أنه وافق هواه .

ثم قال : ومد رجل من بني تميم يده إلى صاحب الشراب يستسقيه ، وهو على خوان المهلّب ، فلم يره الساقي ، ولم يفطن له . ففعل ذلك مرارا والمهلّب يراه ، وقد أمسك عن الأكل الى أن يسيغ لقمته بالشراب .

فلما طال ذلك على المهلّب ، قال : اسقه يا غلام ما أحبّ من الشراب .

فلما سقاه استقله ، وطلب الزيادة منه . وكان المهلب أوصاهم بالإقلال من الماء

والإكثار من الخبز . قال التميمي : إنك لسريع الى السقي ، سريع الى الزيادة . وحبس يده عن الطعام . فقال المهلب : إله عن هذا أيها الرجل ، فإن هذا لا ينفعك ولا يضرّنا . أردنا أمرا وأردت خلافه .

وقد علمت أني دون معاوية[(١)] ، ودون المهلّب بن أبي صفرة[(٢)] ، وأنهم إليّ أسرع ، وفي لحمي أرتع .

ثم قال : وفي الجارود بن أبي سبرة[(٣)] لكم واعظ ، وفي أبي الحارث جميّن زاجر . فقد كانا يدعيان الى الطعام ، وإلى الإكرام ، لظرفهما ، وحلاوتهما ، وحسن حديثهما ، وقصر يومهما . وكانا يتشهيان الغرائب ، ويقترحان الطرائف ، ويكلفان الناس المؤن الثقال ويمتحنان ما عندهم بالكلف الشداد . فكان جزاؤهم من إحسانهم ما قد علمتم .

السباق إلى الرغيف

ضاف هارون الرشيد أبا الحارث جمين وعيسى بن جعفر . طرح أمامهما خوانا عليه ثلاثة أرغفة ، فأسرع أبو الحارث وأكل رغيفه قبلهما ثم نادى على غلامه أن يأتيه بحصانه . فدهش الخليفة وسأله عن ذلك فقال : أريد أن أركبه إلى ذلك الرغيف الذي بين يديك . فضحك الرشيد وأمر له بصلة .

بلال بن أبي بردة

قال : من ذلك أن بلال بن أبي بردة كان رجلا عيّابا ، وكان إلى أعراض الأشراف متسرعا ، فقال للجارود : كيف طعام عبد الله بن أبي عثمان؟ قال : يعرف

(١) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، من أصحاب الرسول محمد وأحد كتّاب الوحي . سادس الخلفاء في الإسلام ومؤسس الدولة الأموية في الشام وأوّل خلفائها .

(٢) المهلّب بن أبي صفرة الأزدي وكنيته أبو سعيد ، هو من ولاة الأمويين على خراسان .

(٣) الجارود بن أبي سبرة الهذلي إسمه الجارود بن أبي سبرة : سالم بن سلمة الهذلى ، أبو نوفل البصري ، ويقال الجارود بن سبرة كنيته أبو نوفل وقيل : الهذلي البصري يعتبر الجارود بن أبي سبرة الهذلي من الطبقة الثالثة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم الوسطى التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر صدوق ,وعند الإمام شمس الدين الذهبي صدوق .

وينكر . قال : فكيف هو عليه؟ قال : يلاحظ اللقم ، وينتهر السائل . قال : فكيف طعام سلم بن قتيبة؟ قال : طعام ثلاثة ، فإن كانوا أربعة جاعوا . قال : فكيف طعام تسنيم ابن الحواري؟ قال : نقط العروس . قال : فكيف طعام المنجاب بن أبي عيينة؟ قال : يقول : لا خير في ثلاث أصابع في صحفة . حتى أتى على عامة أهل البصرة ، وعلى كل ، من كان يؤثره بالدعوة ، وبالآنسة ، والخاصة ، ويحكمه في ماله . فلم ينج منه إلا من كان يبعده ، كما لم يبتل به إلا من كان يقرّبه .

أبو شعيب القلّال ومويس

وهذا أبو شعيب القلّال ، في تقريب مويس له وأنسه به ، وفي إحسانه إليه ، مع سخائه على المأكول ، وغضّ طرفه عن الأكيل ، وقلة مبالاته بالحفظ ، وقلة احتفاله بجمع الكثير ، سئل عنه أبو شعيب ، فزعم أنه لم ير قطّ أشحّ منه على الطعام . قيل : وكيف؟ قال : يدلّك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من لا يريد أن يمس ، فضلا على غير ذلك . وكيف يجترئ الضرس على إفساد ذلك الحسن ، ونقض ذلك النظم ، وعلى تفريق ذلك ، وقد علم أن حسنه يحشم ، وأن جماله يهيّب منه . فلو كان سخيا لم يمنع منه بهذا السلاح ، ولم يجعل دونه الجنن . فحوّل إحسانه إساءة ، وبذله منعا واستدعاءه إليه نهيا .

أمنية أبي شعيب القلال

وقال رمضان لأبي شعيب القلّال-وأبو الهذيل حاضر- : أيّ شيء تشتهي؟

وذلك نصف النهار ، وفي يوم من صيف البصرة . قال أبو شعيب : أشتهي أن أجيء إلى باب صاحب سقط[(١)] ، وله على باب حانوته ألية معلقة ، من تلك المبزَّرة المشرّجة[(٢)] ، وقد اصفرّت ، وودكها يقطر من حاقّ السّمن[(٣)] ، فآخذ بحضنها ثم أفتح لها فمي ، فلا أزال كدما كدما ، ونهشا نهشا ، وودكها يسيل على شدقي ، حتى أبلغ عجب الذّنب[(٤)]! قال أبو الهذيل : ويلك قتلتني قتلتني!! يعني من الشهوة .

(١) السقط : ما لا خير فيه ، وربما أراد به أحشاء الذبيحة .

(٢) المبزرة : التي وضع فيها البزر . المشرجة : المشققة .

(٣) حاق السمن : تمامه .

(٤) عجب الذنب : أصله .

أبو الشمقمق[1]

وكان أبو الشمقمق يعيب في طعام جعفر بن أبي زهير ، وكان له ضيفان في ضيافة جعفر . وهو مع ذلك يقول :

رأيت الخبز عزّ لديك حتّى ... حسبت الخبز في جو السحاب
وما روّحتنا لتذبّ عنا ... ولكن خفت مرزئة الذباب

خزاعة

قيل لرجل من العرب : قد نزلت بجميع القبائل ، فكيف رأيت خزاعة؟ قال : جوع وأحاديث .

بين الكرم والبذخ

ونزل عمرو بن معدي كرب برجل من بني المغيرة ، وهم أكثر قريش طعاما ، فأتاه بما حضر ، وقد كان فيما أتاه به فضل ، فقال لعمر بن الخطاب ، وهم أخواله : لئام بني المغيرة يا أمير المؤمنين . قال : وكيف؟

قال : نزلت بهم فما قروني غير قوس وكعب وثور . قال عمر : إن ذلك لشبعة .

وكم قد رأينا من الأعراب من نزل بربّ صرمة ، فأتاه بلبن ، وتمر ، وحيس ، وخبز ، وسمن سلاء ، فبات ليلته ثم أصبح يهجوه : كيف لم ينحر له (وهو لا يعرفه) بعيرا من ذوده ، أو من صرمته .

ولو نحر هذا البائس لكلّ كلب مرّ به ، بعيرا من مخافة لسانه ، لما دار الأسبوع إلا وهو يتعرّض للسابلة ، يتكفّف الناس ، ويسألهم العلق .

قصة الكنديّ

كان الكندي لا يزال يقول للساكن ، وربما قال للجار : إن في الدار امرأة بها حمل ، والوحمى ربما أسقطت من ريح الطيّبة . فإذا طبختم ، فردّوا شهوتها ، ولو بغرفة

---

(١) مروان بن محمد أبو الشمقمق شاعر هجاء بخاري الأصل من موالي بني أمية . عاصر شعراء عدة وهجاهم كبشار بن برد وأبي العتاهية ، وأبي نواس ، وابن أبي حفصة وله هجاء في يحيى البرمكي وغيره . لقب أبو الشمقمق لطوله . كان عظيم الأنف قبيح المنظر .

أو لعقة ، فان النفس يردّها اليسير . فإن لم تفعل ذلك ، بعد إعلامي إياك ، فكفارتك أن أسقطت غرّة : عبد أو أمة ، ألزمت ذلك نفسك أم أبيت» . قال : فكان ربما يوافي الى منزله من قصاع السكان والجيران ما يكفيه الأيام ، وكان أكثرهم يفطن ويتغافل .

وكان الكندي يقول لعياله : أنتم أحسن حالا من أرباب هذه الضياع .

إنما لكل بيت منهم لون واحد ، وعندكم ألوان .

وقال بعضهم : كنت أتغدى عند الكندي يوما ، إذ دخل عليه جار له . وكان الجار لي صديقا . فلم يعرض عليه الغداء . فاستحييت أنا منه فقلت : لو أصبت معنا مما نأكل . قال : قد ، والله ، فعلت . قال الكندي : ما بعد الله شيء . قال : فكتفه والله ، يا أبا عثمان ، كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا ، وتركه ولو أكل لشهد عليه بالكفر ، ولكان عنده قد جعل مع الله شيئا .

قصة محمد بن أبي المؤمل

عن الجاحظ قال : قلت لمحمد بن أبي المؤمل :

أراك تطعم الطعام وتتخذه ، وتنفق المال وتجود به . وليس بين قلة الخبز وكثرته كثير ربح . والناس يبخلون من قلّ عدد خبزه ، ورأوا أرض خوانة . وعلى أني أرى جماجم من يأكل معك أكثر من عدد خبزك . وأنت لو لم تتكلّف ، ولم تحمل على مالك بإجادته والتكثير منه ، ثم أكلت وحدك ، لم يلمك الناس ، ولم يكترثوا لذلك منك ، ولم يقضوا عليك بالبخل ولا بالسخاء ، وعشت سليما موفورا ، وكنت كواحد من عرض الناس . وأنت لو لم تنفق الحرائب وتبذل المصون ، إلا وأنت راغب في الذكر والشكر ، وإلا لتحرز الأجر ، فقد صرنا لقلة عدد خبزك من بين الأشياء ، نرضى لك الغنيمة بالإياب ، ومن غنم الحمد والشكر ، بالسلامة من الذم واللوم . فزد في عدد خبزك شيئا ، فإنّ بتلك الزيادة القليلة ينقلب ذلك اللوم شكرا وذلك الذم حمدا . أعلمت أنك لست تخرج من هذا الأمر بعد الكلفة العظيمة سالما ، لا لك ولا عليك؟ فانظر في الأمر رحمك الله! قال : يا أبا عثمان ، أنت تخطيء ، وخطأ العاقل أبدا يكون عظيما ، وإن كان في العذر قليلا . لأنه إذا أخطأ أخطأ بنيقة وإحكام . فعلى قدر التفكّر والتكلّف يبعد من الرشاد ويذهب عن سبيل الصواب .

وما أشك أنك قد نصحت بمبلغ الرأي منك . ولكن خف ما خوّفتك ، فإنه مخوف . بل الذي أصنع أدلّ على سخاء النفس بالمأكول ، وأدل على الاحتيال

ليبالغوا ؛ لأن الخبز إذا كثر على الموائد ، ورّث ذلك النفس صدودا ، وكل شيء من المأكول وغير المأكول ، إذا ملأ العين ، ملأ الصدر ، وفي ذلك موت الشهوة وتسكين الحركة . ولو أن رجلا جلس على بيدر تمر فائق ، وعلى كدس كمثّري منعوت ، وعلى مائة قنو موز موصوف ، لم يكن أكله إلا على قدر استطرافه ، ولم يكن أكله على قدر أكله إذا أتي بذلك في طبق نظيف ، مع خادم نظيف ، عليه منديل نظيف .

وبعد ، فأصحابنا آنسون واثقون مسترسلون ، يعلمون أن الطعام لهم اتّخذ ، وأن أكلهم له أوفق من تمزيق الخدم والأتباع له . ولو احتاجوا لدعوا به ، ولم يحتشموا منه ، ولكان لا أقلّ من أن يجرّبوا ذلك المرة والمرتين ، وأن لا يقضوا علينا بالبخل دون أن يروناه . فإن كانوا محتشمين وقد بسطناهم ، وشاء ظنّهم بنا مع ما يرون من الكلفة لهم ، فهؤلاء أصحاب تجنّ وتترّع . وليس في طاقتي إعتاب المتجنّي ولا رد المتترّع .

قلت له : إني قد رأيت أكلهم في منازلهم وعند إخوانهم ، وفي حالات كثيرة ومواضع مختلفة ، ورأيت أكلهم عندك ، فرأيت شيئا متفاوتا وأمرا متفاقما . فاحسب أن التجنّي عليهم غالب ، وأن الضعف لهم شامل ، وأن سوء الظن يسرع إليهم خاصة ، لم لا تداوي هذا الأمر بما لا مؤونة فيه بالشيء الذي لا قدر له ، أو تدع دعاءهم والإرسال إليهم والحرص على إجابتهم؟ والقوم ليس يلقون أنفسهم عليك ، وإنما يجيئونك بالاستحباب منك . فإن أحببت أن تمتحن ما أقول ، فدع مواترة الرسل والكتب ، والتغضّب عليهم إذا أبطأوا ، ثم انظر .

قال : فان الخبز إذا كثر على الخوان فالفاضل مما يأكلون لا يسلم من التلطيخ والتغمير . والجردقة الغمرة والرقاقة المتلطخة ، لا أقدر أن أنظر إليها ، وأستحيي أيضا من إعادتها . فيذهب ذلك الفضل باطلا ، والله لا يحب الباطل .

قلت : فإن ناسا يأمرون بمسحه ، ويجعلون الثريدة منه . فلو أخذت بزيّهم وسلكت سبيلهم ، أتى ذلك على ما تريد ونريد .

قال : أفلست أعلم كيف الثريدة ، ومن أي شيء هي؟ وكيف أمنع نفسي التوهّم وأحول بينها وبين التذكّر؟ ولعل القوم أن يعرفوا ذلك على طول الأيام ، فيكون هذا قبيحا .

قلت : فتأمر به للعيال ؛ فيقوم الحواري المتلطخ مقام الخشكار النظيف . وعلى أن المسح والدلك يأتي على ما تعلق به من الدسم .

قال : عيالي يرحمك الله عيالان : واحد أعظمه عن هذا وأرفعه عنه ، وآخر لم

يبلغ عندي أن يترف بالحواريّ .

قلت : فاجعل إذا جميع خبزك الخشكار ؛ فإن فضل ما بينه وبين الحواريّ في الحسن والطيب ، لا يقوم بفضل ما بين الحمد والذم .

قال : فههنا رأي هو أعدل الأمور وأقصدها ، وهو أنا نحضر هذه الزيادة من الخبز على طبق ، ويكون قريبا حيث تناله اليد ، فلا يحتاج أحد مع قربه منه إلى أن يدعو به ، ويكون قربه من يده كثرة على مائدته .

قلت : فالمانع من طلبه هو المانع من تحويله . فأطعني واخرج هذه الزيادة من مالك كيف شئت . واعلم أن هذه المقايسة وطول هذه المذاكرة ، أضر علينا مما نهيتك عنه وأردتك على خلافه .

فلما حضر وقت الغداء صوّت بغلامه وكان ضخما جهير الصوت ، صاحب تقعير وتفخيم وتشديق وهمز وجزم : يا مبشّر هات من الخبز تمام عدد الرؤوس .

قلت : ومن فرض لهم هذه الفريضة؟ ومن جزم عليهم هذا الجزم؟

أرأيت أن لم يشبع أحدهم رغيفه أليس لا بد له من أن يعوّل على رغيف صاحبه ، أو يتنحّى وعليه بقيّة ، ويعلّق يده منتظرا للعادة فقد عاد الأمر وبطل ما تناظرنا فيه .

قال : لا أعلم إلا ترك الطعام البتّة ؛ أهون علينا من هذه الخصومة .

قلت : هذا ما لا شك فيه ، وقد عملت عندي بالصواب ، وأخذت لنفسك بالثقة ، إن وفيت بهذا القول .

وكان كثيرا ما يقول : يا غلام هات شيئا من قليّه وأقلّ منها وأعد لنا ماء باردا وأكثر منه . وكان يقول : قد تغير كل شيء من أمر الدنيا ، وحال عن أمره وتبدل ، حتى المؤاكلة . قاتل الله رجالا كنا نؤاكلهم ، ما رأيت قصعة قط رفعت من بين أيديهم إلا وفيها فضل . وكانوا يعلمون أن إحضار الجدي إنما هو شيء من آيين الموائد الرفيعة ، وإنما جعل كالعاقبة والخاتمة ، وكالعلامة لليسر وللفراغ ، وأنه لم يحضر للتمزيق والتخريب ، وأن أهله لو أرادوا به السوء لقدّموه قبل كل شيء لتقع الحدّة به . بل ما يأكل منه إذا جيء به إلا العابث ، وإلا الذي لو لم يره لقد كان رفع يده ولم ينتظر غيره . ولذلك قال أبو الحارث جمّين ، حين رآه لا يمس : «هذا المدفوع عنه» . ولولا أنه على ذلك شاهد الناس ، لما قال ما قال . ولقد كانوا يتحامون بيضة البقيلة ، ويدعها كل واحد منهم لصاحبه حتى أن القصعة لقد كانت ترفع البيض خاصة

لعلى حاله وأنت اليوم إذا أردت أن تمتع عينك بنظرة واحدة منها ، ومن بيض السّلاءة لم تقدر على ذلك . لا جرم لقد كان تركه ناس كثير ، ما بهم إلا أن يكونوا شركاء من ساءت رعته .

وكان يقول : الآدام أعداء للخبز . وأعداها له المالح . فلولا أن الله انتقم منه وأعان عليه بطلب صاحبه الماء وإكثاره منه ، لظننت أنه سيأتي على الحرث والنسل . وكان مع هذا يقول : لو شرب الناس الماء على الطعام ما اتخموا ، وأقلهم عليه شربا أكثرهم تخما . وذلك أن الرجل لا يعرف مقدار ما أكل حتى ينال من الماء . وربما كان شبعان وهو لا يدري . فإذا ازداد على مقدار الحاجة بشم . وإذا نال من الماء شيئا بعد شيء ، عرّفه ذلك مقدار الحاجات ، فلم يزد إلا بقدر المصلحة .

والأطباء يعلمون أن ما أقول حق ، ولكنهم يعلمون أنهم لو أخذوا بهذا الرأي لتعطّلوا ، ولذهب المكسب . وما حاجة الناس الى المعالجين إذا صحّت أبدانهم؟ وفي قول جميع الناس أن ماء دجلة أمرأ من الفرات وأن ماء مهران أمرأ من ماء نهر بلخ ، وفي قول العرب : «هذا ماء نمير يصلح عليه المال» دليل على أن الماء يمرئ ، حتى قالوا : «إن الماء الذي يكون عليه النفّاطات أمرأ من الماء الذي يكون سليه القيّارات فعليكم بشرب الماء على الغداء ، فإن ذلك أمرأ» .

وكان يقول : ما بال الرجل إذا قال : «يا غلام اسقني ماء أو اسق فلانا ماء» ، أتاه بقلة على قدر الريّ ، فإذا قال : «أطعمني شيئا» ، أو قال : «هات لفلان طعاما» ، أتاه من الخبز بما يفضل عن الجماعة ، والطعام والشراب أخوان متحالفان ومتوازران؟ وكان يقول : لولا رخص الماء وغلاء الخبز ، لما كلبوا على الخبز وزهدوا في الماء . والناس أشدّ تعظيما للمأكول إذا كثر ثمنه ، أو كان قليلا في أصل منبته وموضع عنصره . هذا الجزر الصافي ، وهذا الباقلي الأخضر العباسي ، أطيب من كمثري خراسان ، ومن المؤز البستاني . ولكنهم لقصر همّتهم لا يتشهّون إلا على قدر الثمن ، ولا يحنون الى إلا على قدر القلة وهذه العوام في شهوات الأطعمة إنما تذهب مع التقليد ، أو مع العادة ، أو على قدر ما يعظم عندها من شأن الطعام . وأنا لست أطعم الجزر المسلوق بالخل والزيت والمرّيّ ، دون الكمأة بالزّبد والفلفل ، لمكان الرّخص ، أو لموضع الإستفيضال ، ولكن لمكان طيبه في الحقيقة ، ولأنه صالح للطبيعة .

علم ذلك من علم ، وجهل ذلك من جهل .

وكان إذا كان في منزله ، فربما دخل عليه الصديق له ، وقد كان تقدّمه الزائر أو

الزائران ؛ وكان يستعمل على خوانه من الخدع والمكايد والتدبير ما لم يبلغ بعضه قيس بن زهير ، والمهلب بن أبي صفرة ، حازم بن خزيمة ، وهرثمة بن أعين وكان عنده فيه من الاحتيال ما لا يعرفه عمرو بن العاص ، ولا المغيرة بن شعبة ؛ وكان كثيرا ما يمسك الخلال بيده ، ليؤنس الداخل عليه من غدائه ؛ فاذا دخل عليه الصديق له ، وقد عزم على إطعام الزائر الزائرين قبله ، وضاق صدره بالثالث ، وإن كان قد دعاه وطلب إليه ، أراد أن يحتال له ، أو الرابع إن ابتلي كلّ واحد منهما بصاحبه ، فيقول عند أول دخوله وخلع نعله وهو رافع صوته بالتنويه وبالتشنيع : «هات يا مبشّر لفلان شيئا يطعم منه ، هات له شيئا ينال منه ، هات له شيئا» ، اتّكالا على خجله أو غضبه أو أنفته ، وطمعا في أن يقول : «قد فعلت» .

فان أخطأ ذلك الشقيّ وضعف قلبه وحصر ، وقال : «قد فعلت» ، وعلم أنه قد أحرز وحصّله وألقاه وراء ظهره ، لم يرض أيضا بذلك حتى يقول : «بأي شيء تغدّيت»؟ فلا بد له من أن يكذب ، أو ينتحل المعاريض فإذا استوثق منه رباطا ، وتركه لا يستطيع أن يترمرم ، لم يرض بذلك حتى يقول في حديث له : «كنا عند فلان ، فدخل عليه فلان فدعاه الى غدائه ، فامتنع . ثم بدا له ، فقال : في طعامكم بقيلة أنتم تجيدونها ، ثم تناوله» : فلا يزال يزيد في وثاقه ، وفي سد الأبواب عليه ، وفي منعة البدوات حتى إذا بلغ الغاية قال : «يا مبشر أما إذ تغدّى فلان واكتفى ، فهات لنا شيئا نعبث به» .

فإذا وضعوا الطعام ، أقبل على أشدّهم حياء ، أو على أشدّهم أكلا ، فسأله عن حديث حسن ، أو عن خبر طويل . ولا يسأله إلا عن حديث يحتاج فيه الى الإشارة باليد أو الرأس كلّ ذلك ليشغله . فإذا هم أكلوا صدرا ، أطهر الفتور والتشاغل والتنقّر كالشبعان الممتلىء . وهو في ذلك غير رافع يده ولا قاطع أكله . إنما هو النّتف بعد النّتف ، وتعليق اليد في خلل ذلك . فلا بدّ من أن ينقبض بعضهم ويرفع يده ، ربما شمل ذلك جماعتهم . فإذا علم أنه قد أحرزهم واحتال لهم ، حتى يقلعهم من مواضعهم من حول الخوان ، ويعيدهم الى مواضعهم من مجالسهم ، ابتدأ الأكل ، فأكل أكل الجائع المقرور وقال : «إنما الأكل تارات والشرب تارات» .

وكان كثيرا ما يقول لأصحابه إذا بكروا عليه : لم لا نشرب أقداحا على الريق؟ فإنها تقتل الديدان ، وتخفش لأنفسنا قليلا ، فإنها تأتي على جميع الفضول ، وتشهّي الطعام بعد ساعة . وسكّره أطيب من سكر الكظّة . والشارب على الملأة بلاء ، وهو

بعد ذلك دليل على أنك نبيذي خالص . ومن لم يشرب على الريق فهو نكس في الفتوة ودعي في أصحاب النبيذ . وإنما يخاف على كبده من سورة الشراب على الريق ، من بعد عهده باللحم . وهذه الصبحة تغسل عنكم الأوضار ، وتنفي التّخم ، وليس دواء الخمار إلا الشرب بالكبار .

والأعشى كان أعلم به حيث يقول :

وكأس شربت على لذّة   وأخرى تداويت منها بها

وهذا ، حفظك الله ، هو اليوم الذي كانوا لا يعاينون فيه لقمة واحدة ، ولا يدخل أجوافهم من النقل ما يزن خردلة . وهو يوم سروره التامّ ، لأنه قد ربح المرزئة وتمتع بالمنادمة .

واشترى مرة شبّوطة[1] وهو ببغداد وأخذها فائقة عظيمة ، وغالى بها وارتفع في ثمنها ، وكان قد بعد عهده بأكل السمك . وهو بصري لا يصبر عنه . فكان قد أكبر أمر هذه السمكة ، لكثرة ثمنها ولسمنها وعظمها ولشدّة شهوته لها . فحين ظنّ عند نفسه أنه قد خلا بها ، وتفرّد بأطايبها ، وحسر عن ذراعيه وصمد صمدها ، هجمت عليه ومعي السدريّ فلما رآه رأى الموت الأحمر والطاعون الجارف ، ورأى الحتم المقضيّ ، ورأى قاصمة الظهر ، وأيقن بالشرّ ، وعلم أنه قد ابتلي بالتنين .

فلم يلبثه السّدري حتى قوّر السرّة بالمبال فأقبل عليّ فقال لي :

يا أبا عثمان ، السدري يعجبه السّرر» ، فما فصلت الكلمة من فيه ، حتى قبض على القفا فانتزع الجانبين جميعا . فأقبل عليّ فقال : «والسدري يعجبه الإقفاء» ، فما فرغ من كلامه إلا والسدريّ قد اجترف المتن كله ، فقال : «يا أبا عثمان والسدري يعجبه المتون» ، ولم يظن أن السدري يعرف فضيلة ذنب الشّبوط وعذوبة لحمه ، وظنّ أنه سيسلم له ، وظن معرفة ذلك من الغامض ، فلم يدر إلا والسدري قد اكتسح ما على الوجهين جميعا . ولولا أن السدري أبطره وأثقله وأكمده وملأ صدره وملأه غيظا لقد كان أدرك معه طرفا ، لأنه كان من الأكلة . ولكن الغيظ كان من أعوان السدري عليه .

فلما أكل السدري جميع أطايبها . وبقي هو في النظارة ، ولم يبق في يده ما كان يأمله في تلك السمكة إلا الغيظ الشديد والغرم الثقيل ، ظنّ أن في سائر السمكة ما

---

(١) الشَّبُّوطُ : نوعٌ من السمك ، يكثر في نهر دِجلة ، عريضُ الوسط ، دقيقُ الذنب ؛ ناعم المَلْمَس .

يشبعه ويشفي من قرمه . فبذلك كان عزاؤه ، وذلك هو الذي كان يمسك بأرماقه وحشاشات نفسه . فلما رأى السدري يفري الفريّ ويلتهم التهاما قال : «يا أبا عثمان ، السدري يعجبه كل شيء» . فتولّد الغيظ في جوفه ، وأقلقته الرّعدة . فخبثت نفسه ، فما زال يقيء ويسلح . ثم ركبته الحمّى .

وصحت توبته وتمّ عزمه ، في أن لا يؤاكل رغيبا أبدا ولا زهيدا ، ولا يشتري سمكة أبدا رخيصة ولا غالية ، وإن أهدوها إليه ألا يقبلها ، وإن وجدها مطروحة لا يمسّها .

قصة أسد بن جاني

فأما أسد بن جاني ، فكان يجعل سريره في الشتاء من قصب مقشّر ، لأن البراغيث تنزلق عن ليط القصب ، لفرط لينه وملاسته .

وكان إذا دخل الصيف ، وحرّ عليه بيته ، أثاره حتى يغرق المسحاة ، ثم عليه جرارا كثيرة من ماء البئر ويتوطؤه حتى يستوي . فلا يزال ذلك البيت باردا ما دام نديّا . فإذا امتدّ به الندى ودام برده بدوامه ، اكتفى بذلك التبريد صيفته . وإن جف قبل انقضاء الصيف وعاد عليه الحر ، عاد عليه بالإثارة والصب . وكان يقول : خيشتي أرض ، وما خيشتي من بئري . وبيتي أبرد ، ومؤونتي أخف . وأنا أفضلهم أيضا بفضل الحكمة وجودة الآلة .

وكان طبيبا فأكسد مرة ؛ فقال له قائل : «السنة وبئة والأمراض فاشية ، وأنت عالم ولك صبر وخدمة ، ولك بيان ومعرفة ، فمن أين تؤتى في هذا الكساد»؟ قال : «أما واحدة فإني عندهم مسلم ؛ وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبّب ، لا بل قبل أن أخلق ، إن المسلمين لا يفلحون في الطب . واسمي أسد ، وكان ينبغي أن يكون اسمي صليبا وجبرائيل ويوحنّا وبيرا ؛ وكنيتي أبو الحارث ، وكان ينبغي أن تكون أبو عيسى ، وأبو زكريا ، وأبو إبراهيم ؛ وعليّ رداء قطن أبيض ، وكان ينبغي أن يكون ردائي حريرا أسود ؛ ولفظي لفظ عربيّ وكان ينبغي أن تكون لغة أهل جندي سابور .

قصة الثوري

قال الخليل السلوليّ : أقبل عليّ يوما الثوريّ وكان يملك خمسمائة جريب ، ما بين كرسي الصدقة إلى نهر مرة ، ولا يشتري إلا كل غرّة ، ول أرض مشهورة بكريم

التربة ، وشرف الموضع ، والغلة الكثيرة .

قال :

فأقبل عليّ يوما ، فقال لي : «هل اصطبغت بماء الزيتون قط»؟

قال : قلت : «لا والله» . قال : «أما والله لو فعلته ما نسيته» . قال :

قلت : «أجل إني والله لو فعلته لما نسيته» .

وكان يقول لعياله : لا تلقوا نوى التمر والرطب ، وتعوّدوا ابتلاعه ، وخذوا حلوقكم بتسويغه . فإن النوى يعقد الشحم في البطن ، ويدفئ الكليتين بذلك الشحم . واعتبروا ذلك ببطون الصفايا وجميع ما يعتلف النوى . والله لو حملتم أنفسكم على البزر والنوى ، وعلى قضم الشعير واعتلاف القت لوجدتموها سريعة القبول . وقد يأكل الناس القتّ قدّاحا ، والشعير فريكا ، ونوى البسر الأخضر ، ونوى العجوة . فإنما بقيت الآن عليكم عقبة واحدة ؛ لو رغبتم في الدفء لالتمستم الشحم ؛ وكيف لا تطلبون شيئا يغنيكم عن دخان الوقود ، وعن شناعة السكر ، وعن ثقل الغرم . والشحم يفرّج القلب . ويبيّض الوجه . والنار تسوّد الوجه ؛ أنا أقدر أن أبتلع النوى وأعلفه الشاء . ولكني أقول ذلك بالنظر مني لكم .

وكان يقول : كلوا الباقلّي بقشوره . فإن الباقلي يقول : من أكلني بقشوري فقد أكلني ، ومن أكلني بغير قشوري فأنا الذي آكله . فما حاجتكم إلى أن تصيروا طعاما لطعامكم ، وأكلا لما جعل أكلا لكم؟

وكان يعيّن مالا عظيما ، ولم يكن له وارث . فكان يسخر ببعضهم ، فيقول عند الإشهاد : «قد علمتم أنه لا وارث لي ، فإذا متّ فهذا المال لفلان» . فكان قوم كثير يحرصون على مبايعته لهذا . وقد رأيته أنا زمانا من الدهر ، ما رأيته قط إلا ونعله في يده أو يمشي طول نهاره في نعل مقطوعة العقب ، شديدة على صاحبها . قال : فهؤلاء المجوس يرتعون البصرة وبغداد وفارس والأهواز والدنيا كلها بنعال سندية ، فقيل له :

إن المجوسيّ لا يستحل في دينه المشرّكة ، فأنت لا تجده أبدا إلا حافيا أو لا بسا نعلا سندية . وأنت مسلم ومالك كثير . قال : فمن كان ماله كثيرا فلا بد له من أن يفتح كيسه للنفقات وللسرّاق؟ قالوا : فليس بين هاتين منزلة؟

وصية بخيل

قال بخيل لابنه :

أي بنيّ! إنّ إنفاق القراريط يفتح عليك أبواب الدوانيق[1] ، وإنفاق الدوانيق يفتح عليك أبواب الدراهم ، وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير . والعشرات تفتح عليك أبواب المئين ، والمئون تفتح عليك أبواب الألوف ، حتى يأتي ذلك على الفرع والأصل ويطمس على العين والأثر ، ويحتمل القليل والكثير . أي بنيّ! إنما صار تأويل الدرهم «دار الهم» ، وتأويل الدينار «يدني إلى النار» . إن الدرهم إذا خرج الى غير خلف ، وإلى غير بدل ، دار الهم على دانق مخرجه . وقيل : إن الدينار يدني إلى النار لأنه إذا أنفقه في غير خلف ، وأخرج الى غير بدل ، بقي مخفقا معدما ، وفقيرا مبلطا متحرّج المخارج . وتدعوه الضرورة الى المكاسب الرديئة والطعم الخبيثة . والخبيث من الكسب يسقط العدالة ، ويذهب بالمروءة ، ويوجب الحدّ ، ويدخل النار» .

طرائف العنبري

قال الجاحظ : حدثني المكّي قال : كنت يوما عند العنبريّ ، إذا جاءت جارية أمّه ، ومعها كوز فارغ ، فقالت : «قالت أمك : بلغني أنّ عندك مزمّلة ، ويومنا يوم حارّ ، فابعث إليّ بشربة منها في هذا الكوز» قال :

«كذبت! أمي أعقل من أن تبعث بكوز فارغ ونردّه ملآن . اذهبي فاملئيه من ماء حبّكم ، وفرّغيه في حبنا ، ثم املئيه من ماء مزمّلتنا ، حتى يكون شيء بشيء» .

وقال المكّي : فإذا هو يريد أن تدفع جوهرا بجوهر ، وعرضا بعرض ، حتى لا تربح أمه إلا صرف ما بين العرضين الذي هو البرد والحرّ ، فأما عدد الجواهر والأعراض ، فمثلا بمثل .

وقال المكّيّ : دخلت عليه يوما ، وإذا عنده جلّة تمر ، وإذا ظئره جالسة قبالته فكلما أكل تمرة رمى بنواتها إليها ، فأخذتها فمصّتها ساعة ثم عزلتها . فقلت للمكي : أكان يدع على النواة من جسم التمر شيئا؟

قال : والله لقد رأيتها لاكت نواة مرة بعد أن مصتّها ، فصاح بها صيحة ، لو

---

(١) دانق : والجمع دوانق ودوانيق ، وهو مقدار لما يعادل وزن ثمان حبات من أوسط حب الشعير ، وهو يساوي ربح درهم طبري ، وسدس درهم شرعي .

كانت قتلت قتيلا ما كان عنده أكثر من ذلك . وما كانت إلا في أن تبادله الإعراض وتسلّم إليه الجوهر . وكانت تأخذ حلاوة النواة ، وتودعها ندوة الريق .

طرائف أبي قطبة

قال الخليل[1] : كان أبو قطبة يستغلّ ثلاثة آلاف دينار . وكان من البخل يؤخرّ تنقية بالوعته إلى يوم المطر الشديد ، وسيل المتاعب ، ليكتري رجلا واحدا فقط ، يخرج ما فيها ، ويصبّه في الطريق ، فيجرفه السيل ، ويؤديه إلى القناة . وكان بين موضع بئره والصبّ قدر مائتي ذراع ، فكان لمكان زيادة درهمين يحتمل الانتظار شهرا أو شهرين .

وإن هو جرى في الطريق ، وأذي به الناس .

وقال : ونظر يوما إلى الكسّاحين ، وهو معنا جالس في رجال من قريش ، وهم يخرجون ما في بالوعته ، ويرمون به في الطريق ، وسيل المثاعب يحتمله ، فقال : أليس البطّ والجداء والدجاج والفراخ والدرّاج وخبز الشعير والصحناء والكرّاث والجواف جميعا تصير إلى ما ترون؟ فلم يغالي بشيء يصير هو والرخيص في معنى واحد؟

طرائف فيلويه

قال الجاحظ : حدّثتني امرأة تعرف الأمور ، قالت :

كان في الحيّ مأتم اجتمع فيه عجائز من عجائز الحي ، فلما رأين أن أهل المأتم قد أقمن المناحة ، اعتزلن وتحدّثن . فبينا هنّ في حديثهنّ ، إذ ذكرن برّ الأبناء بالأمهات ، وإنفاقهم عليهنّ . وذكرت كلّ واحدة منهنّ ما يوليها ابنها . فقالت واحدة منهنّ ، وأم فيلويه ساكتة ، وكانت امرأة صالحة ، وابنها يظهر النسك يدين بالبخل ، وله حانوت في مقبرة بني حصن يبيع فيها الأسقاط . قالت : فأقبلت على أم فيلويه ، قالت لها :

---

(١) الخَليل بن أحمد ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي ، أبو عبد الرحمن : من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها .ودرس لدى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو أيضا أستاذ سيبويه النحويّ .

ما لك لا تحدّثين معنا عن ابنك كما يتحدّثن؟ وكيف صنع فيلويه فيما بينك وبينه؟ قالت : كان يجري عليّ في كل أضحى درهما . ثم قالت :

وقد قطعه أيضا . فقالت لها المرأة : وما كان يجري عليك إلا درهما؟

قالت : ما كان يجري عليّ إلا ذاك ، ولقد ربما أدخل أضحى في أضحى .

فقالت : فقلت : يا أم فيلويه وكيف يدخل أضحى في أضحى؟ قد يقول الناس : إن فلانا أدخل شهرا في شهر ، ويوما في يوم ، وأمّا أضحى في أضحى ، فهذا شيء لابنك لا يشركه فيه أحد .

عليّ الأعمى

دخل عليّ الأعمى على يوسف بن كل خير ، وقد تغدّى ، فقال : «يا جارية هاتي لأبي الحسن غداء» . قال : «لم يبق عندنا شيء» . قال :

«هاتي ، ويلك ، ما كان ، فليس من أبي الحسن حشمة» . ولم يشك عليّ أنّه سيؤتى برغيف ملطخ ، وبرقاقة ملطخة ، وبسكر وبقية مرق ، وبعرق وبفضلة شواء ، وببقايا ما يفضل في الجامات والسكرجات . فجاءت بطبق ليس عليه إلا رغيف أرز قاحل ، لا شيء معه غيره . فلما وضعوا الخوان بين يديه ، فأجال يده فيه ، وهو أعمى ، فلم يقع إلا على ذلك الرغيف . وقد علم أن قوله : «ليس منه حشمة» لا يكون إلا مع القليل . فلم يظن أن الأمر بلغ ذلك ، فلمّا لم يجد غيره ، قال : «ويلكم ولا كل هذا بمرّة . رفعتم الحشمة كلّها . والكلام لم يقع إلا على هذا»؟

الغزّال

محمد بن حسان الأسود ، قال : أخبرني زكريّا القطان قال :

كان للغزّال قطعة أرض قدّام حانوتي . فأكرى نصفها من سمّاك ، يسقط عنه ما استطاع من مؤونة الكراء .

قال : وكان الغزال أعجوبة في البخل ، وكان يجيء من منزله ومعه رغيف في كمه ، فكان أكثر دهره يأكله بلا أدم ، فإذا أعيا عليه الأمر أخذ من ساكنه جوّافة بحبّة وأثبت عليها فلسا في حسابه . فإذا أراد أن يتغدّى أخذ الجوافة ، فمسحها على وجه الرغيف ، ثم عضّ عليه . وربما فتح بطن الجوافة فبّطن جنبيها وبطنها باللقمة بعد اللقمة . فإذا خاف أن ينهكها ذلك وينضم بطنها ، طلب من ذلك السمّاك شيئا

من ملح السمك . فحشا جوفها لينفخها ، وليوهم أن هذا هو ملحها الذي ملّحت به . ولربما غلبت شهوته ، فكدم طرف أنفها ، وأخذ من طرف الأرنبة ما يسيغ به لقمته . وكان ذلك منه لا يكون إلا في آخرها لقمة ، ليطيب فمه بها ، ثم يضعها في ناحية ، فإذا اشترى من امرأة غزلا أدخل تلك الجوافة في ثمن الغزل ، من طريق إدخال العروض ، وحسبها عليها بفلس . فيسترجع رأس المال ، ويفضل الأدم .

ابن المقفع[1] وابن جذام

عن عبد الله بن المقفع ، قال :

كان ابن جذام الشبي يجلس إليّ ، وكان ربما انصرف معي إلى المنزل ، فيتغدى معنا ويقيم إلى أن يبرد . وكنت أعرفه بشدة البخل وكثرة المال . فألحّ علي في الاستزادة ، وصمّمت عليه في الامتناع . فقال :

جعلت فداك أنت تظن أنّي ممن يتكلّف وأنت تشفق عليّ؟ لا والله إن هي إلا كسيرات يابسة ، وملح ، وماء الحب . فظننت أنه يريد اختلابي بتهوين الأمر عليه . وقلت : إن هذا كقول الرجل : يا غلام أطعمنا كسرة ، وأطعم السائل خمسة تمرات . ومعناه أضعاف ما وقع اللفظ عليه . وما أظن أن أحدا يدعو مثلي إلى الخريبة من الباطنة ، ثم يأتيه بكسرات وملح .

فلما صرت عنده ، وقرّبه إليّ ، إذ وقف سائل بالباب فقال : أطعمونا مما تأكلون ، أطعمكم الله من طعام الجنّة . قال : بورك فيك . فأعاد الكلام ، فأعاد عليه مثل ذلك القول . فأعاد عليه السائل ، فقال :

اذهب ، ويلك فقد ردوا عليك . فقال السائل : سبحان الله ما رأيت كاليوم أحدا يرد من لقمة ، والطعام بين يديه . قال اذهب ويلك ، وإلا خرجت إليك ، والله ، فدققت ساقيك . قال السائل : سبحان الله ، ينهي الله أن ينهر السائل ، وأنت تدق ساقيه؟ فقلت للسائل : اذهب وأرح نفسك ، فإنك لو تعرف من صدق وعيده مثل الذي أعرف ، لما وقفت طرفة عين ، بعد ردّه إيّاك .

---

(١) أبو مُحمّد عبد الله بن المقفع وهو مفكّر فارسي وُلِد مجوسياً لكنه اعتنق الإسلام ، وعاصر كُلاً من الخلافة الأموية والعباسية . درس الفارسية وتعلّم العربية في كتب الأدباء واشترك في سوق المربد . نقل من البهلوية إلى العربية كليلة ودمنة .

أبو يعقوب الدقنان

وكان أبو يعقوب الدقنان يقول : ما فاتني اللحم منذ ملكت المال .

وكان إذا كان يوم الجمعة اشترى لحم بقر بدرهم ، واشترى بصلا بدانق ، وباذنجانا بدانق ، وقرعة بدانق ، فإذا كان أيام الجزر فجزرا بدانق ، وطبخه كله سكباجا . فأكل وعياله ، يومئذ خبزهم بشيء من رأس القدر ، وما ينقطع في القدر من البصل والباذنجان والجزر والقرع والشحم واللحم . فإذا كان يوم السبت ثرّدوا خبزهم في المرق . فإذا كان يوم الأحد أكلوا البصل ؛ فإذا كان يوم الاثنين أكلوا الجزر ، فإذا كان يوم الثلاثاء أكلوا القرع ، فإذا كان يوم الأربعاء أكلوا الباذنجان ، فإذا كان يوم الخميس أكلوا اللحم . فلهذا كان يقول : ما فاتني اللحم منذ ملكت المال .

حب البخيل للشتاء

قال بخيل : حبذا الشتاء فإنه يحفظ رائحة البخور ، ولا يحمض فيه النبيذ إذا ترك مفتوحاً ، ولا يفسد فيه مرق إذا بقي أياماً ، وكان لا يتبخر إلا في منازل أصحابه ، فإذا كان في الصيف دعا بثيابه فلبسها على قميصه لكيلا يضيع من البخور شيء .

الدجاج على النار

جلس أشعب عند رجل ليتناول الطعام معه ، ولكن الرجل لم يكن يريد ذلك . . فقال إن الدجاج المعدّ للطعام بارد ويجب أن يسخن ؛ فقام وسخنه . . وتركه فترة فقام وسخنه . . وتركه فترة فبرد فقام مرة أخرى وسخّنه . . . وكرر هذا العمل عدة مرات لعل أشعب يملّ ويترك البيت !!

فقال له أشعب : أرى دجاجك وكأنه آل فرعون ؛ يعرضون على النار غدوا وعشيا!

التين والزيتون

أقبل أعرابي يريد رجلاً وبين يدي الرجل طبق تين ، فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكسائه والأعرابي يلاحظه ، فجلس بين يديه فقال له الرجل : هل تحسن من القرآن شيئاً ، قال : نعم ، قال اقرأ ، فقرأ : والزيتون وطور سينين ، فقال الرجل فأين التين؟ فقال الأعرابي : التين تحت كسائك!

على مائدة الدؤلي

وقف أعرابي على أبي الأسود الدؤلي(١) وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الأكل ، ولم يعزم عليه . فقال له الأعرابي : أما إني قد مررت بأهلك . قال كذلك كان طريقك . قال وامرأتك حبلى . قال كذلك كان عهدي بها . قال قد ولدت . قال كان لا بد لها أن تلد . قال ولدت غلامين . قال كذلك كانت أمها . قال مات أحدهما . قال ما كانت تقوى على إرضاع أثنين . قال ثم مات الآخر . قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه . قال وماتت الأُم : قال حزناً على ولديها . قال ما أطيب طعامك . قال لأجل ذلك أكلته وحدي والله لا ذقته يا أعرابي .

بخيل يناجي الدراهم

زعموا أن رجل قد بلغ في البخل غايته وصار إمامه وأنه إذا صار في يده الدرهم خاطبه وناجاه وفداه واستبطأه وكان مما يقول له . كم من أرض قطعت وكم من كيس قد فارقت وكم من خامل قد رفعت وكم من رفيع قد أخملت لك عندي ان لا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه في كيسه ويقول له : اسكن على اسم الله في مكان لا تهان ولا تذل ولا تزعج منه . وانه لم يدخل فيه درهما قط فأخرجه .

فكان أهله منه في بلاء وكانوا يتمنون موته فلما مات وظنوا انهم قد استراحوا منه قدم ابنه واستولى على ماله وداره ثم قال : ما كان آدام .

أبي فان أكثر الفساد انما يكون في الإدام . قالوا : كان يتأدم بجبنة عنده .

قال : أرونيها فاذا فيها حز كالجدول من أثر مسح اللقمة .

قال : ما هذه الحفرة؟ قالوا : كان لا يقطع الجبنة وانما كان يمسح على ظهره فيحفر كما ترى قال : بهذا أهلكني وبهذا أقعدني هذا المقعد . لو علمت ذلك ما صليت عليه . قالوا : فأنت كيف تريد أن تصنع؟ قال : أضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة .

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني ، (١٦ ق .هـ . -٦٩ هـ) ، من سادات التابعين وأعيانهُم وفقهائهُم وشعرائهُم ومحدثيهُم ومن الدهاة حاضرِي الجواب وهو كذلك نحوي عالِم وضع علم النحو في اللغة العربية وشكّل أحرف المصحف ، وضع النقاط على الأحرف العربية ، ولِد قبل بعثة النبي محمد ﷺ وآمن به لكنه لم يره فهو معدود في طبقات التابعين وصَحِب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي ولاه إمارة البصرة في خلافته ، وشهد معه وقعة صفين والجمل ومحاربة الخوارج . ويُلقب بِلقب ملك النحو لوضعه علم النحو .

تمام بن جعفر

قالوا كان تمام بن جعفر بخيلا على الطعام مفرط البخل وكان يقبل على كل من أكل خبزه بكل علة ويطالبه بكل طائلة .

وكان إن قال له نديم له : ما في الأرض أحد أمشى مني ولا على ظهرها أحد أقوى على الحضر مني . قال : وما يمنعك من ذلك وأنت تأكل أكل عشرة؟ وهل يحمل الرجل إلا البطن ولا حمد الله من يحمدك . فإن قال : لا والله ان أقدر ان أمشي لأني أضعف الخلق عنه وإني لأنبهر من مشي ثلاثين خطوة . قال وكيف تمشي وقد جعلت في بطنك ما يحمله عشرون حمالا! وهل ينطلق الناس إلا مع خفة الأكل؟ وأي بطين يقدر على الحركة؟ وأن الكظيظ ليعجز عن الركوع والسجود ، فكيف بالمشي الكثير فإن شكا ضرسه ، وقال ما نمت البارحة مع وجعه وضرباته قال : عجبت كيف اشتكيت واحدا وكيف لم تشتك الجميع؟ وكيف بقيت الى اليوم في فيك حاكه وأي ضرس يقوى على الضرس والطحن وأن المنحاز الغليظ ليتعبه الدق أرفق فإن الرفق يمن ولا تخرق بنفسك فان الخرق شؤم .

وإن قال : ما أنام الليل كله وقد أهلكني الأرق قال : وتدعك الكظة والنفخة والقرقرة . أن تنام وإن قال فإنما أنا حجر ملقى إلى الصبح قال : ذلك لأن الطعام يسكر ويخدر ويختر ويبل الدماغ ويبل العروق ويسترخي عليه جميع البدن .

فإن قال : أصبحت وأنا لا أشتهي شيئا قال إياك أن تأكل قليلا ولا كثيرا فإن أكل القليل على غير شهوة أضر من الكثير مع الشهوة . قال الخوان : ويل لي ممن قال لا أريد وبعد فكيف تشتهي الطعام اليوم وأنت قد أكلت بالأمس طعام عشرة!

والد جرير(١)

قال رجل لجرير : من أشعر الناس؟ قال له : قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به : اخرج يا أبتِ فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته ، فقال : ألا ترى هذا؟ قال نعم . قال : أو تعرفه؟ قال : لا . قال : هذا أبي ، أفتدري لم كان يشرب من ضرع

(١) جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي شاعر من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد ، ولد في بادية نجد من أشهر شعراء العرب في فن الهجاء وكان بارعًا في المدح أيضًا .

العنز؟ قال : لا . قال جرير : مخافة أن يُسمع صوتُ الحلب فيُطلب منه لبن . ثم قال : أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعرا وقارعهم به فغلبهم جميعا!

بخل أهل مرو

ومن البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ في كتابه البخلاء أهل (مرو) في الجزيرة العربية ووصف بخلهم فقال : رأيت الديك في كل بلد يلتقط الحب ويلقيه في فم الدجاجة الا ديك مرو فانه يلتقط الحب من فم الدجاجة .

رأس الديك

قال دعبل الشاعر(١) : كنا يوما عند سهل بن هارون(٢) فأطلنا الحديث حتى أضر به الجوع فدعا بغذائه فإذا بصحفة قديمة فيها مرق لحم ديك قد هرم لا تحز فيه السكين ولا تؤثر فيه الضرس فأخذ قطعة خبز فقلب بها جميع ما في الصحفة ففقد الرأس فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الغلام وقال : أين الرأس؟

قال : رميت به .

قال : لم؟

قال : لم أظنك تأكله ولا تسأل عنه .

قال : ولأي شيء ظننت ذلك؟ فو الله إني لأبغض من يرمي برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس الأعضاء وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه العين التي يضرب بها المثل في الصفاء فيقال : شراب مثل عين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم ير قط عظم أهش من عظم رأسه فإن كان بلغ من جهلك ألا تأكله فعندنا من يأكله ، انظر أين هو؟

قال : والله ما أدري أين رميته

قال : ولكني والله أدري ، رميت به في بطنك .

---

(١) دعبل الخزاعي اسمه محمد بن علي بن رزين ، من مشاهير شعراء العصر العباسي . اشتهر بتشيعه لآل علي بن أبي طالب وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين .

(٢) مترجم وفيلسوف وأديب . توفي ٨٣٠م . ولد قرب البصرة في أسرة فارسية الأصل ونشأ فيها وفي بغداد ، ثم خدم يحيى البرمكي ، وخلفه على ديوان بغداد بعد قتله . ولي مكتبة المأمون ، ثم بيت الحكمة البغدادية

فخذ الدجاجة

شوي لأبي جعفر الهاشمي[١] دجاج ففقد فخذا من دجاجة فأمر فنودي في منزله : من هذا الذي تعاطي فعقرا! والله لا أخبز في التنور شهرا أو تُردا! فقال ابنه الأكبر : يا أبت لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منــا!

رئيس البخلاء

من رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم وهو الذي قال : وددت أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الأدباء تواطئوا على ذمي واستهلوا بشتمي حتى ينشر ذلك عنهم في الآفاق حتى لا يمتد إلي أمل آمل ولا ينبسط نحوي رجاءُ راج .

درس في البخل

قال رجل من البخلاء لولده : اشتروا لي لحما . فاشتروا له ، وأمر بطبخه حتى تهرأ فأكل منه حتى انتهت نفسه ولم يبق إلا العظم وشرعت إليه عيون ولده ، فقال : ما أنا مطعمه أحدا منكم إلا من أحسن صفة أكله! فقال الأكبر : أتعرقه يا أبتِ حتى لا أدع للذرة فيه مقيلا! قال : لست بصاحبه . فقال الأوسط : أتعرقه يا أبتِ حتى لا يُدرى ألعام هو أم لعام أول! قال : لست بصاحبه! فقال الأصغر : أتعرقه يا أبتِ ثم أدقه دقا وأسفه سفا؟ قال : أنت صاحبه وهو لك دونهم .

جميز يصف مائدة بخيل

سأل يحي بن خالد أبا الحارث جُميزا عن طعام رجل . فقال : أما مائدته فمغيبة وأما صحافه فمنقورة من حب الخشخاش قال : ومن يحضرها؟ قال : الكرام الكاتبون . قال : فيأكل معه أحد؟ قال : نعم الذباب . قال فلهذا ثوبك مخرق ولا يكسوك وأنت معه وبفنائه! قال أبو الحارث : جُعلت فداءك والله لو ملك بيتا من بغداد إلى الكوفة

(١) الإمام ، شيخ الحنبلية أبو جعفر ، عبد الخالق بن أبي موسى عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد ابن عم النبي - ﷺ - العباس بن عبد المطلب ، الهاشمي ، العباسي ، الحنبلي ، البغدادي .

مملوءً إبرا في كل إبرة خيط ، ثم جاءه جبريل وميكائيل معهما يعقوب يضمنان عنه إبرة يخيط بها قميص يوسف ما أعطاهم .

الأعرابي والدؤلي

وقف أعرابي على أبو الأسود الدؤلي وهو يأكل فقال الاعرابي : أدخل؟ قال : وراءك أوسع لك! قال : الرمضاء احرقت رجلي! قال : بُل عليهما تبردان! قال : أتأذن لي ان آكل معك؟ قال : سيأتيك ما قدر لك! قال : تالله ما رأيت رجل ألأم منك . قال : بلى قد رأيت إلا أنك نسيت! ثم اقبل ابو الاسود يأكل حتى لم يبق في الطبق إلا تميرات يسيرة نبذها له فوقعت تمرة منها فأخذها الاعرابي ومسحها بكسائه . فقال ابو الاسود : يا هذا إن الذي تمسحها به أقذر من الذي تمسحها له .

حجة البخيل

قال أبو الأسود الدؤلي : لو أطعمنا المساكين أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم

وقال لبنيه : لا تجاودوا الله فإنه لو شاء أن يغني الناس كلهم لفعل ولكنه علم أن قوما لا يصلحهم الغنى ولا يصلح لهم إلا الفقر وقوما لا يصلحهم الفقر ولا يصلح لهم إلا الغنى!

لقمان

أكل أبو الأسود الدؤلى وأقعد معه أعرابيا فرأى له لقما منكرا فقال له : ما أسمك قال : لُقمانُ : قال : صدق أهلك إنك لُقمانُ .

التمار البخيل

قال أبو الحسن المدائني(١) : كان بالمدائن تمار وكان بخيلا وكان غلامه(عامله) إذا

(١) علي بْن مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن أَبِي سيف أَبُو الحسن المعروف بالمدائني مولى عَبْد الرَّحْمَن بْن سمرة القرشي وهو بصري سكن المدائن ، ثم انتقل عنها إِلَى بَغْدَاد ، فلم يزل بها إِلَى حين وفاته . وهو صاحب الكتب المصنفة . روى عنه الزبير بْن بكار ، وأحمد بْن أَبِي خيثمة ، وأَحْمَد بْن الحارث الخزاز ، والحارث بْن أَبِي أسامة ، والحسن بْن علي بْن المتوكل ، وغيرهم .

دخل الحانوت يختان[١] فربما غاب فاتهمه بأكل التمر فسأله يوما فأنكر . فدعا بقطنة بيضاء . ثم قال : امضغها فمضغها . فلما أخرجها وجد فيها حلاوة وصفرة قال : هذا دأبك كل يوم . وأنا لا أعلم؟ اخرج من داري .

حسنات الجبن وعيوبه

قال خالد بن صفوان لجاريته : يا جارية أطعمينا جبنا فإنه يُشهى الطعام ويهيج المعدة وهو يعد من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأُعلمك إنه والله ، ما علمتُ ، ليقدح في الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمة!

يتبخر بالفراريج

دخل أحدهم على رجل بخيل وبين يديه فراريج فغطى الطبق بمنديله . وقال للرجل : كن في الحجرة الأخرى حتى أفرغ من بخوري!

الشاعر والبخيل

دخل شاعر على رجل بخيل فامتقع وجه البخيل وظهر عليه القلق والاضطراب وظن أن الشاعر سيأكل من طعامه في ذلك اليوم وإلا فإنه سيهجوه . غير أن الشاعر انتبه إلى ما أصاب الرجل فترفق بحاله ولم يطعم من طعامه . . ومضى عنه وهو يقول :

تغيـــر إذ دخلـــت عليه حتـــى فطنــت . . فقلت في عرض المقال
علــدي الــيوم نــذر مــن صيــام فأشــرق وجهــه مثــل الهــلال

رسالة محمد بن راهبون في البخل

كتب محمد بن راهبون ، إلى عمه من آل راهبون ، حين ذموا مذهبه في البخل ، وتتبعوا كلامه في الكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله! قال الأحنف بن قيس : يا معشر بني تميم ، لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال ، أقلهم حياء من الفرار . وقد

---

(١) يخون .

كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عياباً ، فإنه يعيب بفضل ما فيه من العيب . وأول العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وقبيح أن تنهى عن مرشد ، أو تغري بمشفق .

وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإلا إصلاح فسادكم ، وإبقاء النعمة عليكم ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم ، فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم .

ثم قد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم ، وشهرنا به في الآفاق دونكم . فما أحقكم في تقديم حرمتنا بكم ، أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم ، وتنبيهنا على ذكر العيوب براً وفضلاً ، لرأينا أن في أنفسنا عن ذلك شغلاً . وإن من أعظم الشقوة ، وأبعد من السعادة ، ألا يزال يتذكر زلل المعلمين ، ويتناسى سوء استماع المتعلمين ، ويستعظم غلط العاذلين ، ولا يحفل بتعمد المعذولين .

عبتموني بقولي لخادمي : أجيدي عجنه خميراً ، كما أجدته فطيراً ، ليكون أطيب لطعمه ، وأزيد في ريعه . وقد قال عمر بن الخطاب – رضي اللّه عنه ورحمه – لأهله : أملكوا العجين ، فإنه أريع الطحنتين .

وعبتم على قولي : من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص ، لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي : فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة يدل حجمها على مبلغ الكفاية ، وأشف من الكفاية . فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء ، وجدت في الأعضاء فضلاً على الماء ، فعلمت أن لو كنت مكنت الاقتصاد في أوائله ، ورغبت عن التهاون به في ابتدائه ، لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكان نصيب العضو الأول كنصيب الآخر . فعبتموني بذلك ، وشنعتموه بجهدكم ، وقبحتموه . وقد قال الحسن عند ذكر السرف : إنه ليكون في الماعونين الماء والكلاء . فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه بالكلاء .

وعبتموني حين ختمت على سد عظيم ، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ، ومن رطبة غريبة ، على عبد نهم ، وصبي جشع ، وأمة لكعاء ، وزوجة خرقاء . وليس من أصل الأدب ، ولا في ترتيب الحكم ، ولا في عادات القادة ، ولا في تدبير السادة ، أن يستوي في نفيس المأكول ، وغريب المشروب ، وثمين الملبوس ، وخطير المركوب ، والناعم من كل فن ، واللباب من كل شكل ، التابع والمتبوع ، والسيد والمسود . كما لا تستوي مواضعهم في المجلس ، ومواقع أسمائهم في العنوانات ، وما

يستقبلون به من التحيات . وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ، ولا يكترثون له اكتراث العارف؟ من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمن ، وأعلف حماره السمسم المقشر! فعبتموني بالختم ، وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق . وختم على كيس فارغ ، وقال : طينة خير من ظنة . فأمسكتم عمن ختم على لا شيء ، وعبتم من ختم على شيء .

وعبتموني حين قلت للغلام : إذا زدت في الرق فزد في الإنضاج ، لتجمع بين التأدم باللحم والمرق ، ولتجمع مع الإرتفاق بالمرق الطيب . وقد قال النبي ﷺ : «إذا طبختم لحماً فزيدوا في الماء فإن لم يصب أحدكم لحماً أصاب مرقاً» .

وعبتموني بخصف النعال ، وبتصدير القميص ، وحين زعمت أن المخصوفة أبقى وأوطأ وأوقى ، وأنفى للكبر ، وأشبه بالنسك ، وأن الترقيع من الحزم ، وأن الاجتماع مع الحفظ ، وأن التفرق مع التصنيع . وقد كان النبي ﷺ يخصف نعله ، ويرقع ثوبه . ولقد لفقت سعدى بنت عواف إزار طلحة ، وهو جواد قريش ، وهو طلحة الفياض . وكان في ثوب عمر رقاع أدم . وقال : من لم يستحى من الخلال خفت مؤنته ، وقل كبره . وقالوا : لا جديد لمن لا يلبس الخلق .

حذاء أبي القاسم

كان لأبي القاسم الطُّنْبوري(١) حذاء لبسه سبع سنين ، كلما تَقَطَّع منه موضع جعل مكانه رقعةً إلى أن صار في غاية الثِّقل ، وصار الناسُ يضربون به المثل . واتفق أنه دخل يوما سوق الزُّجاج ، فقال له سمسار : يا أبا القاسم ، قد قدم إلى بغداد اليوم تاجرٌ من حَلَب ، ومعه حِمْلُ زجاج مُذَهّب قد كَسَدَ . فاشتَرِه منه وأنا أبيعه لك بعد مدة فتكسبُ به المثل مِثلَين . فمضى أبو القاسم واشتراه بستين دينارا . ثم إنه دخل إلى سوق العطارين ، فصادفه سمسار آخر وقال له : يا أبا القاسم ، قد قَدِم إلينا اليوم من نَصيبين تاجر يبيع ماء ورد . ولِعَجَلَةِ سفره يمكن أن تشتريه منه رخيصًا ، وأنا أبيعه لك فيما بعد فتكسبُ به المثل مِثلين . فاشتراه أبو القاسم بستين دينارا أخرى ، وملأ به الأواني الزجاجية المذهبة ، ووضعها على رف من رفوف بيته . ثم إنه دخل الحمام

(١) أبو القاسم الطنبوري تاجر عاش في بغداد يتسم بالبخل رغم غناه ، ابتدع حوله القصاصون حكايات وطرائف عديدة ، أشهرها هي تلك المتعلقة بحذائه .

يغتسل ، فقال له بعض أصدقائه : يا أبا القاسم ، غَيِّر حذاءك هذا فإنه في غاية الشناعة . وأنت ذو مال بحمد الله . فقال له أبو القاسم : الحق معك . ثم إنه خرج من الحمام ولبس ثيابه ، فرأى بجانب حذائه حذاء آخر جديدا . فظن أن صديقه من كرمه قد اشتراه هدية له ، فلبسه ومضى إلى بيته . وكان ذلك الحذاء الجديد للقاضي ، وقد جاء في ذلك اليوم إلى الحمام . فلما خرج فتّش عن حذائه فلم يجده . فسأل الناس : ألم يترك من لبس حذائي عوضه شيئا؟ ففتشوا فلم يجدوا سوى حذاء أبي القاسم ، فعرفوه إذ كان يُضرب به المثل . فأرسل القاضي خدمه فكبسوا بيت أبي القاسم ، فوجدوا حذاء القاضي عنده . فأخذوه فضربه القاضي تأديبا له ، وحبسه مدة ، وغرّمه بعض المال ، ثم أطلقه . وخرج أبو القاسم من الحبس وأخذ حذاءه وهو غضبان عليه ، ومضى إلى نهر دجلة فألقاه فيه ، فغاص في الماء . وأتى بعض الصيادين ورمى شبكته ، فطلع الحذاء فيها! فلما رآه الصياد عرفه ، وظن أنه وقع من أبي القاسم في دجلة . فحمله وأتى به بيته فلم يجده . ونظر فرأى نافذة في البيت مفتوحة فرمى الحذاء منها ، فسقط على الرف الذي عليه الأواني الزجاجية فوقع ، وتكسّرت الأواني وتبدّد ماء الورد! وجاء أبو القاسم ونظر إلى ما حدث ، فلطم وجهه وجعل يبكي ويلعن الحذاء . ثم إنه قام في الليل ليحفر له حفرة يدفنه فيها ويرتاح منه ، فسمع الجيران حسّ الحفر فظنوا أن لصا ينقب عليهم ، فقبضوا عليه وأحضروه إلى الحاكم فحبسه ، ولم يُطلقه حتى غَرِم بعض المال . ثم خرج من السجن فحمل حذاءه إلى الخان فرماه في الكنيف ، فَسَدَّ قصبتَه ففاض! وضجر الناس من الرائحة الكريهة وبحثوا عن السبب فوجدوا حذاء فتأمّلوه ، فإذا هو حذاء أبي القاسم! فحملوه إلى الوالي وأخبروه بما وقع ، فوبّخ الوالي أبا القاسم وغرّمه مالا لتصليح الكنيف ، ثم أُطلق . وخرج أبو القاسم والحذاء معه . وقال في نفسه : والله ما عدتُ أفارق هذا الحذاء! ثم إنه غسله وجعله على سطح بيته حتى يجفّ . فرآه كلب فظنّه رِمَّةً فحمله وعبر به إلى سطح آخر ، فسقط الحذاء على رأس رجل في الطريق فآلمه وجرحه جرحا بليغا . وفتشوا لمن الحذاء فعرفوا أنه لأبي القاسم! ورفعوا الأمر إلى الحاكم فألزمه بالعِوَض والقيام بلوازم المجروح مُدَّةَ مرضه . ثم إن أبا القاسم أخذ الحذاء ، ومضى به إلى القاضي وقال له : أريد من مولانا القاضي أن يكتب بيني وبين هذا الحذاء مبارأة شرعية على أنه ليس مني ولستُ منه ، وأن كلا منا بريء من صاحبه ، وأنه مهما يفعله هذا الحذاء لا أؤاخذ أنا به!

طرائف الحمقى والمغفلين

طرائف جحا[١]

شيء من القطران

أصيبت ناقة أحد الفلاحين بالجرب ، فأخذها الى جحا وقال له : اقرأ لي على هذه الناقة لتشفى فقال له جحا : إذا أردت أن تبرأ ناقتك من الجرب فأضف الى قراءاتي شيئاً من القطران .

جحا والزوجة الحولاء

تزوج جحا امرأة حولاء ترى الشيء شيئين فلما أراد الغداء أتى برغيفين فرأتهما أربعة ثم أتى بالإناء فوضعه أمامها فقالت له : ما تصنع بإناءين وأربعة أرغفة؟ يكفي إناء واحد ورغيفان .

ففرح جحا وقال يا لها من نعمة وجلس يأكل معها ، فرمته بالإناء بما فيه من الطعام وقالت له : هل أنا فاجرة حتى تأتي برجل آخر معك لينظر إلي؟

فقال جحا : يا حبيبتي أبصري كل شيء اثنين إلا زوجك

نذر جحا

وقال جحا لأبي مسلم صاحب الدعوة : إني نذرت إن رأيتك آن آخذ منك ألف درهم . فقال : رأيت أصحاب النذور يعطون لا يأخذون ، وأمر له بها .

بانتظار الفطام

نزل جحا ضيفاً على رجل صديق فقدم له في اليوم الأول حليباً ، وفي اليوم الثاني حليباً وفي اليوم الثالث حليباً ، وفي اليوم الرابع جلس جحا حزيناً ، فسأله صديقه : ما بك يا جحا ؟

أجاب جحا : أنتظر حتى تفطمني

(١) نصر الدين جحا هي شخصية فكاهية أنتشرت في كثير من الثقافات القديمة ونسبت إلى شخصيات عديدة عاشت في عصور ومجتمعات مختلفة . وجحا إسم لا ينصرف لأنه معدول من جاح ، مثل عمرو من عامر ويقال : جحا يجحو جحواً إذا رمى . ويقال : حيا الله جحوتك . أي وجهك .

إلى الوراء دون أن ترجع

عن عباد بن صهيب[1] قال : قدمت الكوفة لأسمع من إسماعيل بن خالد فمررت بشيخ جالس فقلت : يا شيخ كيف أمر إلى منزل إسماعيل بن خالد فقال : إلى ورائك فقلت : أرجع فقال : أقول لك وراءك وترجع ! فقلت : أليس ورائي خلفي قال : لا . قلت : بالله من أنت يا شيخ قال : أنا جحا

موت جحا

سأل جحا يوماً زوجته كيف تعرفين الحي من الميت؟ قالت : إن الرجل إذا مات بردت أطرافه الأربعة فإذا رأيت إنسانا قد برد على هذا الشكل فسارع إلى دفنه . فحفظ ذلك جحا في مخيلته . وقال إن الموت أقرب للإنسان من شراك نعله . حتى كان يوم بارد تجمد الصقيع فيه على النوافذ فاحتاج أن يجمع فيه الحطب للتدفئة فخرج يحتطب في غابة قريبة ، فأطال البحث حتى ملأ وعاءه من بقايا الأخشاب وأفنان الشجر .

وإذ استغرق مكثه في البرية في ذلك اليوم البارد فقد لا حظ جحا على نفسه أن أطرافه الأربعة بردت . فقال في نفسه يا جحا لقد مت ولا شك حسبما قالت لك زوجتك! فاستلقى على ظهره وهو يتأمل نفسه الميت وترك حماره يسرح أمام عينه .

وبينما هو على هذه الحالة إذ جاء قطيع من الذئاب فهجم على الحمار فافترسه في ساعة من نهار في ذلك اليوم البارد وجحا يتأمل المنظر ولا يفعل شيئا لحماره لأنه ميت! والميت لا يملك نفعا ولا ضرا! وأخيرا رفع جحا رأسه قليلاً ثم تمتم قائلاً : أيها الجبناء تعرفون أن صاحبه ميت فأكلتموه وأيم الله لو كنت حياً لعرفت كيف أؤدبكم على فعلتكم هذه .

أخذ بثأره

كان جحا في الطابق العلوي من منزله ، فطرق بابه أحد الأشخاص ، فأطل من الشباك فرأى رجلا ، فقال : ماذا تريد؟ قال : انزل الى تحت لأكلمك ، فنزل جحا فقال الرجل : أنا فقير الحال أريد حسنة يا سيدي . فاغتاظ جحا منه ولكنه كتم غيظه وقال

(١) يكنّى أبا بكر التميمي الكلبي اليربوعي ، بصري ، من رواة الحديث .

له : اتبعني ـ وصعد جحا الى أعلى البيت والرجل يتبعه ، فلما وصلا إلى الطابق العلوي التفت الى السائل وقال له : الله يعطيك فأجابه الفقير : ولماذا لم تقل لي ذلك ونحن تحت ؟ فقال جحا : وأنت لماذا أنزلتني ولم تقل لي وأنا فوق؟

جحا والقميص

عن أبي الحسن قال رجل لجحا : سمعت من داركم صراخاً قال : سقط قميصي من فوق ، قال : وإذا سقط من فوق؟ قال : يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه .

سؤال ذكي

أبو مسلم[(١)] صاحب الدولة لما ورد الكوفة قال لمن حوله : أيكم يعرف جحا فيدعوه إلي؟ فقال يقطين[(٢)] : أنا ودعاه . فلما دخل لم يكن في المجلس غير أبى مسلم ويقطين ، فقال : يا يقطين أيكما أبو مسلم؟

الصلب أرخص من الدفن

ومات جار له فأرسل إلى الحفار ليحفر له فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها فسئل عنها فقال : إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونربح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير .

بخور دون ثياب

وحكي : أن جحا تبخر يوماً فاحترقت ثيابه فغضب وقال : والله لا تبخرت إلا عرياناً .

---

(١) أبو مسلم الخراساني هو أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني ، صاحب الدعوة العباسية في خراسان ، ومن ثم واليها ، سياسي وقائد عسكري . قيل اسمه إبراهيم بن خكان ، وهو حسب الروايات واحد من أحفاد آخر الأكاسرة .

(٢) يقطين بن موسى هو من دعاة دولة بني العباس . قال ابن تغري بردي : «كان داهية عالما حازما شجاعاً ، عارفا بالحروب والوقائع» .

يطمئن القوم

وهبت يوماً ريحٌ شديدةٌ فأقبل الناس يدعون الله ويتوبون فصاح جحا : يا قوم لا تعجلوا بالتوبة وإنما هي زوبعة وتسكن .

يهرب ممن سرقه

واشترى يوماً دقيقاً وحمله على حمال فهرب بالدقيق فلما كان بعد أيام رآه جحا فاستتر منه فقيل له : ما لك فعلت كذا؟ فقال : أخاف أن يطلب مني كراه .

رأس فارغ

ووجهه أبوه ليشتري رأساً مشوياً فاشتراه وجلس في الطريق فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه وحمل باقيه إلى أبيه ، فقال : ويحك ما هذا؟ فقال : هو الرأس الذي طلبته .

قال : فأين عيناه قال : كان أعمى .

قال : فأين أذناه قال : كان أصم .

قال : فأين لسانه قال : كان أخرس .

قال : فأين دماغه قال : فكان أقرع قال : ويحك رده وخذ بدله .

قال : باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب .

ومات أبوه فقيل له : اذهب واشتر الكفن فقال : أخاف أن أشتري الكفن فتفوتني الصلاة عليه .

جحا والمهدي[1]

وحكي : أن المهدي أحضره ليمزح معه فدعا بالنطع والسيف فلما أقعد في النطع ، قال للسياف : أنظر لا تصب محاجمي فإني قد احتجمت .

وسمع قائلاً : يقول ما أحسن القمر فقال : أي والله خاصة في الليل .

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله . هو ثالث خلفاء الدولة العباسية بالعراق . ولد بإيذج من كور الأهواز عام ١٢٧ هـ/٧٤٥م وتوفي بماسبذان أمه هي أم موسى بنت منصور الحميرية .

يفصل بين الحنطة والشعير بإصبع

وقال له رجل : أتحسن الحساب بإصبعك قال : نعم قال : خذ جريبين حنطة فعقد الخنصر والبنصر ، فقال له : خذ جريبين شعيراً فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى فقال الرجل لم أقمت الوسطى ، قال : لئلا يختلط الحنطة بالشعير .

البازي الميت

ومر يوماً بصبيان يلعبون ببازي(١) ميت فاشتراه منهم بدرهم وحمله إلى البيت فقالت أمه : ويحك ما تصنع به وهو ميت ، فقال لها : أسكتي فلو كان حياً ما طمعت في شرائه بمائة درهم .

جحا وقصيدة الأمير

كان أمير البلد يزعم أنه يعرف نظم الشعر ، فأنشد يوما قصيدة أمام جحا وقال له : أليست بليغة؟ فقال جحا : ليست بها رائحة البلاغة . فغضب الأمير وأمر بحبسه في الإسطبل ، فقعد محبوسا مدة شهر ثم أخرجه . وفي يوم آخر نظم الأمير قصيدة وأنشدها لجحا ، فقام جحا مسرعا ، فسأله الأمير : إلى أين يا جحا؟ فقال : إلى الإسطبل يا سيدي

جحا والأرنب

حمل أحد الفلاحين أرنبا وذهب به إلى جحا !! وأخذ يطرق بابه . فتح جحا الباب وقال للرجل : من أنت؟ قال الرجل : أنا معجب جدا بذكائك وعلمك وأرجو أن تقبل هذا الأرنب هدية مني إليك! فرح جحا وتقبل الأرنب شاكرا بعد أن دعي الرجل إلى دخول المنزل للغداء معه . وبعد الغداء ودع جحا الرجل متمنيا أن تتكرر زيارته مرات ومرات . وبعد أسبوع مر الرجل على جحا وكان جحا قد نسيه ، فسأله : من أنت؟ قال : أنا صاحب الأرنب! فأكرمه جحا ودعاه إلى الغداء معه . ثم مضي أسبوعا آخر وإذا بأربعة من الفلاحين يدخلون على جحا الدار . وسألهم جحا عن

---

(١) جنسٌ من الصُّقور الصَّغيرة أو المتوسِّطة الحجم ، من فصيلة العُقاب النَّسْرية ، تميلُ أجنحتُها إلى القِصَر ، وتميل أَرجلُها وأُذنابها إِلى الطول ومن أنواعه : الباشق ، والبَيْدق .

شأنهم ، فقالوا : نحن جيران صاحب الأرنب . رحب بهم جحا وفي موعد الغداء قدم لهم الطعام . وودعهم جحا بعد أن أتوا على كل ما في الدار من مأكولات . ومضى أسبوع ثالث وإذا بثمانية أشخاص يقتحمون دار جحا ، فنهض من مكانه فزعا ، وقال في ذهول : من أنتم ؟! قالوا نحن جيران جيران صاحب الأرنب . قال جحا : لا بأس في داركم حللتم ، وعلى أهلكم نزلتم . وأجلسهم حتى يأتي لهم بالطعام . وغاب عنهم جحا حتى بدأ الناس يتململون ، وبعد فترة من موعد الغداء ، أحضر جحا ماعونا كبيرا به ماء ساخن ، فلما رأوه تذمروا ، وقالوا : ما هذا يا جحا ؟! فقال لهم جحا : هذ مرق مرق الأرنب يا جيران جيران صاحب الأرنب .

الحمق شر من الرعونة

قال المأمون(١) : تدرون ما جرى بيني وبين أمير المؤمنين هارون الرشيد(٢)؟ كان لي إليه ذنب فدخلت مسلماً عليه ، فقال : أغرب يا أحمق . فانصرفت مغضباً ولم أدخل إليه أياماً فكتب إلي رقعة يقول :

ليت شعري وقد تمادى بك الهجـ ـر أمنك التفريط أم كان مني
إن تكن خنتنا فعنك عفا اللـ ـه وإن كنت خنتكم فاعف عني

فسرت إليه ، فقال : إن كان الذنب لنا فقد استغفرناك ، وإن كان لك فقد غفرناه . فقلت له : يا أحمق ولو قلت لي يا أرعن كان أسهل علي . فقال : ما الفرق بينهما؟ قلت له : الرعونة تتولد عن النساء فتلحق الرجل من طول صحبتهن ، فإذا فارقهن ، وصاحب فحول الرجال زالت عنه ، وأما الحمق فإنه غريزة . وأنشد بعض الحكماء :

وعلاج الأبدان أيسر خطباً حين تعتل من علاج العقول

(١) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ، ولد عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ وتوفي غازيا في ١٩ رجب عام ٢١٨ هـ ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣ بطرسوس ، شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول وذلك لأنه شارك فيها بنفسه .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين .حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م .ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

الناس أربعة أصناف

قال الأحنف بن قيس[١] : قال الخليل بن أحمد : الناس أربعة ، رجل يدري ويدري أنه يدري ، فذاك عالم فخذوا عنه ، ورجل يدري وهو لا يدري أنه يدري ، فذاك ناس فذكروه ، ورجل لا يدري وهو يدري أنه لا يدري ، فذاك طالب فعلموه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك أحمق فارفضوه . وقال أيضاً : الناس أربعة ، فكلم ثلاثة ، ولا تكلم واحداً ، رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فكلمه ، ورجل يعلم ويرى أنه لا يعلم فكلمه ، ورجل لا يعلم ويرى أنه لا يعلم فكلمه ، ورجل لا يعلم ويرى أنه يعلم فلا تكلمه . قال جعفر بن محمد : الرجال أربعة : رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فذاك عالم فتعلموا منه ، ورجل يعلم ولا يعلم أنه يعلم فذاك نائم فأنبهوه ، ورجل لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم فذاك جاهل فعلموه ، ورجل لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم فذاك أحمق فاجتنبوه .

الناس ثلاثة أصناف

وقد روينا عن أبي يوسف القاضي[٢] أنه قال : الناس ثلاثة : مجنون ، ونصف مجنون ، وعاقل ، فأما المجنون ونصف فأنت معهما في راحة ، وأما العاقل فقد كفيت مؤنته . عن الأعمش أنه قال : معاتبة الأحمق نفخ في بليسة .

حمقى ضرب بهم المثل

فأما ضربهم المثل بمن قد عرف حمقه فقال أبو هلال العسكري[٣] : تقول

(١) هو التابعي الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي اسمه ضحاك وقيل صخر وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل .

(١) الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة ، أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي . وسعد بن بجير له صحبة ، وهو سعد بن حبتة ، وهي أمه ، وهو بجلي من حلفاء الأنصار ، شهد الخندق وغيرها . مولد أبي يوسف في سنة ثلاث عشرة ومائة .

(٣) الحَسَن بْن عَبْد الله بْن سهل بْن سَعِيد بْن يحيى بْن مِهْران العسكري اللُّغَوِيّ ، الأديب ، الشاعر .

العرب : أحمق من هبنقة[1] ، وأحمق من حذنة ، قيل هو رجل بعينه ، وقيل هو الصغير الأذن ، الخفيف الرأس ، القليل الدماغ ، وكذلك يكون الأحمق . وقيل : حذنة امرأة كانت تمتخط بكوعها . وتقول العرب : أحمق من أبي غبشان وأحمق من جحا وأحمق من عجل بن لجيم وأحمق من حجينة وهو رجل من بني الصداء وأحمق من بيهس ومن مالك بن زيد مناة ومن عدي بن حباب وأحمق من الممهورة إحدى خدمتيها .

حيوانات ضرب المثل بحمقها

وأما ذكرهم للبهائم فيقولون : أحمق من الضبع وأحمق من أم عامر ، وأحمق من نعجة على حوض لأنها إذا وردت الماء أكبت عليه ولا تنثني وأحمق من ذئبة لأنها تدع ولدها وترضع ولد الضبع .

طيور ضرب المثل بحمقها

وأما ذكرهم الطير ، فيقولون : أحمق من حمامة لأنها لا تصلح عشها وربما سقط بيضها فانكسر ، وربما باضت على الأوتاد فيقع البيض ، وأحمق من نعامة لأنها إذا مرت ببيض غيرها حضنته وتركت بيضها ، وأحمق من رخمة ، وأحمق من عقعق لأنه يضيع بيضه وفراخه ، وأحمق من كروان لأنه إذا رأى أناساً سقط على الطريق فيأخذونه .

ومن الموصوف بالحمق من الحيوان : الحبارى ، والنعجة ، والبعير ، والطاووس ، والزرافة .

نبتة ضرب المثل بحمقها

وأما ضربهم المثل بمن لا فعل له كقولهم : أحمق من رجلة وهي البقلة الحمقاء لأنها تنبت في مجاري السيل .

من أخبار هبنقة الأحمق

فمنهم هبنقة واسمه يزيد بن ثروان ويقال : ابن مروان أحد بني قيس بن ثعلبة ،

---

(١) هبنقة هو يزيد بن ثروان ويقال ابن مروان أحد بني قيس بن ثعلبة ، يقال عنه أنه من أعيا العرب ويضرب به المثل في الحمق .

ومن حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف وقال : أخشى أن أضل نفسي ففعلت ذلك لأعرفها به . فحولت القلادة ذات ليلة من عنقه لعنق أخيه فلما أصبح قال : يا أخي أنت أنا فمن أنا؟ وأضل بعيراً فجعل ينادي من وجده فهو له ، فقيل له : فلم تنشده؟ قال : فأين حلاوة الوجدان؟ وفي رواية : من وجده فله عشرة ، فقيل له : لم فعلت هذا؟ قال : للوجدان حلاوة في القلب .

واختصمت طفاوة وبنو راسب في رجل ادعى كل فريق أنه في عرافتهم ، فقال هبنقة : حكمه أن يلقى في الماء فإن طفا فهو من طفاوة وإن رسب فهو من راسب . فقال الرجل : إن كان الحكم هذا فقد زهدت في الديوان . وكان إذا رعى غنماً جعل يختار المراعي للسمان وينحي المهازيل ، ويقول : لا أصلح ما أفسده الله .

أبو غبشان الأحمق

ومنهم أبو غبشان وهو من خزاعة كان يلي الكعبة ، فاجتمع مع قصي بن كلاب بالطائف على الشرب ، فلما سكر اشترى منه قصي ولاية البيت بزق خمر ، وأخذ منه مفاتيحه وسار بها إلى مكة ، وقال : يا معشر قريش هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل ، ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم . وأفاق أبو غبشان فندم فقيل : أندم من أبي غبشان وأخسر من أبي غبشان ، وأحمق من أبي غبشان ، قال بعضهم : البسيط :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت ... بزق خمر فبئست صفقة البادي
باعت سدانتها بالخمر وانقرضت ... عن المقام وظل البيت والنادي

ثم جاءت خزاعة فغالبوا قصياً فغلبهم .

عبد الله بن بيدرة الأحمق

ومنهم شيخ مهو وهي قبيلة من عبد القيس واسمه عبد الله بن بيدرة وكانت إياد[1] تعير بالفسو ، فقام رجل منهم بعكاظ ومعه بردا حبرة فنادى : ألا إنني من إياد

(١) قبيلة إياد إحدى قبائل العرب كانت تسكن تهامة فحاربتهم قبائل مضر وربيعة فأجلتهم عن جزيرة العرب إلى العراق ، وتخلف منهم في الجزيرة العربية قبيلة النخع وقبيلة ثقيف على قول بعض النسابين .

فمن يشتري مني عار الفسو ببردي هذين . فقال عبد الله بن بيدرة فقال : أنا . واتزر بأحدهما وارتدى الآخر ، وأشهد الإيادي عليه أهل القبائل وانصرف عبد الله إلى قومه فقال : جئتكم بعار الأبد ، فلزم العار بذلك عبد القيس .

عجل بن لجيم الأحمق

ومنهم عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . من حمقه أنه قيل له : ما سميت فرسك؟ فقام إليه ففقأ إحدى عينيه وقال : سميته الأعور .

قال العنزي : الطويل :

رمتنـــي بنو عجـــلٍ بـــداء أبيهـــم وأي امرىءٍ في الناس أحمق من عجل
ألبس أبوهـــم عـــارً عـــين جـــواده فصارت به الأمثال تضرب بالجهـل

حمزة بن بيض الأحمق

ومنهم حمزة بن بيض . عن أبي طالب عمر بن إبراهيم أنه قال : دعا حمزة بن بيض حجاماً وكان الحجام ثقيلاً كثير الكلام ، فلما أرهف المشاريط قال له : الساعة توجعني . قال : لا . قال : فانصرف اليوم . قال : لا تفعل فإنك محتاج إلى إخراج الدم وذلك بين في وجهك وهي سنة نبوية ، قال : انصرف وعد إلي غداً ، قال : لست تدري ما يحدث إلى غد والمشاريط حادة وإنما هي لحظة . قال : إن كان كما تقول فاعطني فردة بيضة من خصيتك تكون في يدي رأينة إن أوجعتني أوجعتك . فقام الحجام وقال : أرى أن تدع الحجامة في هذا العام ، وانصرف .

عن محمد بن العلاء الكاتب أنه قال : قال حمزة بن بيض لغلام له : أي يوم صلينا الجمعة في الرصافة؟ ففكر الغلام ساعة ثم قال : يوم الثلاثاء . وقيل لحمزة بن بيض : كم تشرب من النبيذ؟ قال : أكثر من رطلين شيء .

أبو أسيد الأحمق

ومنهم أبو أسيد . عن محمد بن رجاء قال : قال أبو أسيد وحدث بحديث : كان ذلك في خلافة المهدي قبل موت المنصور . وقال : مر على أبي أسيد بعيران فقام قوم كانوا حوله : ما أفرههما؟ فقال أبو أسيد : أحدهما أفره من الآخر ، قالوا : أيهما أفره؟ قال : القدامي أفره من الأول . وعزى أبا أسيد رجل عن مصيبته فقال له : رزقنا الله

مكافأتك . وعن محمد بن عبد المطلب قال : قال أبو أسيد ونظر إلى رجل نائم : قم ، فكم تنام كأنك بعير ناد وقيل لأبي أسيد : حدثنا عن ابن عمر ، فقال : كان يحف شاربه حتى يبدو بياض إبطيه .

جحا الأحمق

ومنهم جحا ويكنى أبا الغصن ، وقد روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء ، إلا أن الغالب عليه التغفيل ، وقد قيل : إن بعض من كان يعاديه وضع له حكايات والله أعلم .

عن مكي بن إبراهيم أنه يقول : رأيت جحا رجلاً كيساً ظريفاً وهذا الذي يقال عنه مكذوب عليه ، وكان له جيران مخنثون يمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه .

من حماقات جحا

وعن أبي بكر الكلبي أنه قال : خرجت من البصرة فلما قدمت الكوفة ، إذا أنا بشيخ جالس في الشمس ، فقلت : يا شيخ أين منزل الحكم؟ فقال لي : وراءك ، فرجعت إلى خلفي ، فقال : يا سبحان الله! أقول لك وراءك وترجل إلى خلفك . أخبرني عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ قال : بين أيديهم ، فقلت : أبو من؟ قال : أبو الغصن ، فقلت : الإسم؟ قال : جحا . وقد رويت لنا هذه الحكاية على غير هذه الصفة . وعن عباد بن صهيب قال : قدمت الكوفة لأسمع من إسماعيل بن خالد ، فمررت بشيخ جالس فقلت : يا شيخ ، كيف أمر إلى منزل إسماعيل بن خالد؟ فقال : إلى ورائك ، فقلت : أرجع؟ فقال : أقول لك وراءك وترجع! فقلت : أليس ورائي خلفي؟ قال : لا . قلت : بالله من أنت يا شيخ؟ قال : أنا جحا ، قال المصنف : وجمهور ما يروى عن جحا ، تغفيل نذكره كما سمعناه .

عن أبي الحسن ، قال رجل لجحا : سمعت من داركم صراخاً ، قال : سقط قميصي من فوق ، قال : وإذا سقط من فوق ، قال : يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه؟ وحكى أبو منصور الثعالبي في كتاب غرر النوادر قال : تأذى أبو الغصن جحا بالريح مرة فقال يخاطبها : ليس يعرفك إلا سليمان بن داود الذي حبسك حتى أكلت خراك .

وخرج يوماً من الحمام في يوم بارد ، فضربته الريح فمس خصيتيه ، فإذا إحدى بيضتيه قد تقلصت ، فرجع إلى الحمام وجعل يفتش الناس ، فقالوا : ما لك؟ فقال : قد سرقت إحدى بيضتي ، ثم إنه دفىء وحمى ، فرجعت البيضة ، فلما وجدها سجد شكراً لله ، قال : كل شيء لا تأخذه اليد لا يفقد .

ومات جار له ، فأرسل إلى الحفار ليحفر له ، فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر ، فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها ، فسئل عنها فقال : إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم ، وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونربح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير .

وحكي : أن جحا تبخر يوماً فاحترقت ثيابه فغضب وقال : والله لا تبخرت إلا عرياناً .

وهبت يوماً ريحٌ شديدةٌ فأقبل الناس يدعون الله ويتوبون ، فصاح جحا : يا قوم ، لا تعجلوا بالتوبة وإنما هي زوبعة وتسكن .

وذكر أنه اجتمع على باب دار أبي جحا تراب كثير من هدم وغيره ، فقال أبوه : الآن يلزمني الجيران برمي هذا التراب وأحتاج إلى مؤنة وما هو بالذي يصلح لضرب اللبن فما أدري ما أعمل به ، فقال له جحا : إذا ذهب عنك هذا المقدار فليت شعري أي شيء تحسن؟ ، فقال أبوه : فعلمنا أنت ما تصنع به . فقال : يحفر له آبار ونكبسه فيها .

واشترى يوماً دقيقاً وحمله على حمال فهرب بالدقيق ، فلما كان بعد أيام رآه جحا فاستتر منه ، فقيل له : ما لك فعلت كذا؟ فقال : أخاف أن يطلب مني كراه .

ووجهه أبوه ليشتري رأساً مشوياً ، فاشتراه وجلس في الطريق ، فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه ، وحمل باقيه إلى أبيه ، فقال : ويحك ما هذا؟ فقال : هو الرأس الذي طلبته . قال : فأين عيناه؟ قال : كان أعمى . قال : فأين أذناه؟ قال : كان أصم . قال : فأين لسانه؟ قال : كان أخرس . قال : فأين دماغه؟ قال : فكان أقرع ، قال : ويحك ، رده وخذ بدله . قال : باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب .

وحكي : أن جحا دفن دراهم في صحراء وجعل علامتها سحابة تظلها .

ومات أبوه فقيل له : إذهب واشتر الكفن ، فقال : أخاف أن أشتري الكفن فتفوتني الصلاة عليه .

وحكي : أن المهدي أحضره ليمزح معه ، فدعا بالنطع والسيف ، فلما أقعد في

النطع ، قال للسياف : أنظر لا تصب محاجمي فإني قد احتجمت .

ورأوه يوماً في السوق يعدوا فقالوا : ما شأنك؟ قال : هلا مرت بكم جارية رجل مخضوب اللحية؟ واجتاز يوماً بباب الجامع فقال : ما هذا؟ فقيل مسجد الجامع ، فقال : رحم الله جامعاً ما أحسن ما بنى مسجده .

ومر بقوم وفي كمه خوخ ، فقال : من أخبرني بما ي كمي فله أكبر خوخةٍ ، فقالوا : خوخ ، فقال : ما قال لكم هذا إلا من أمه زانية .

وسمع قائلاً يقول ما أحسن القمر ، فقال : أي والله خاصة في الليل .

وقال له رجل : أتحسن الحساب بإصبعك؟ قال : نعم ، قال : خذ جريبين حنطة ، فعقد الخنصر والبنصر ، فقال له : خذ جريبين شعيراً فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى فقال الرجل لم أقمت الوسطى ، قال : لئلا يختلط الحنطة بالشعير .

ومر يوماً بصبيان يلعبون ببازي ميت ، فاشتراه منهم بدرهم وحمله إلى البيت ، فقالت أمه : ويحك ما تصنع به وهو ميت؟ فقال لها : أسكتي فلو كان حياً ما طمعت في شرائه بمائة درهم .

وخرج أبوخ مرة إلى مكة فقال له عند وداعه : بالله لا تطل غيبتك واجتهد أن تكون عندنا في العيد لأجل الأضحية .

مزبد الأحمق

ومنهم مزبد . قال أبو زيد : قيل لمزبد : إن فلاناً الحفار قد مات ، فقال : أبعده الله ، من حفر حفرة سوء وقع فيها .

وقال مزبد لرجل : أيسرك أن تعطى ألف درهم وتسقط من فوق البيت؟ قال : لا ، قال مزبد : وددت أنها لي وأسقط من فوق الثريا ، فقال له الرجل : ويلك فإذا سقطت مت ، قال : وما يدريك! لعلي سقطت في التبانين أو على فرش زبيدة . وقيل له : أيسرك أن تكون هذه الجبة لك؟ قال : نعم وأضرب عشرين سوطاً ، قالوا : ولم تقول هذا؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

قيل لمزبد : كيف هو حبك لأبي بكر وعمر بن الخطاب؟ فقال : ما ترك حب الطعام في قلبي حبا لأحد .

وقف قومٌ على مزبد ، وهو يطبخ قدراً ، فأخذ أحدهم قطعة لحم ، فأكلها ، وقال : تحتاج القدر إلى خلّ ؛ وأخذ آخر قطعة لحم ، فأكلها ، وقال : تحتاج القدر إلى أبزار ؛

وأخذ آخر قطعة لحم ، فأكلها ، وقال : تحتاج القدر إلى ملحٍ ؛ فأخذ مزبد قطعة لحمٍ ، فأكلها ، وقال : تحتاج القدر إلى لحم .

ومرّ رجلٌ بمزبدٍ وهو جالسٌ يتفكر ، فقال له : في أي شيءٍ تتفكر؟ قال : في الحج ، قد عزمت عليه السّنة ، قال : فما أعددت له؟ قال : التلبية ، فما أقدر على غيرها .

وزفّت إليه امرأة قبيحةٌ ، فقيل له : بم تصبحّها؟ قال : بالطلاق .

– ونظر إلى قوم مكتفين يحملون إلى السجن ، فقال : ما قصة هؤلاء؟ قال : خيرٌ ، قال : فإن كان خيراً فكتفوني معهم .

وغضب عليه بعض الولاة ، فأمر بحلق لحيته ، فقال له الحجّام : افتح فمك ، فقال : الأمير أمرك بحلق لحيتي أو تعلّمني الزمر؟

قال محمد بن حرب الهلالي[1] : أتيت بمزبد في تهمة ، فضربته سبعين درّةً ، ثمّ تبيّن لي أنّه كان مظلوماً ، فدعوته ، وقلت : أحلنّي منها ، فقال : لا تعجل ، ودعها لي عندك ، فإنّي أجيء إليك كثيراً ، فكلّما وجب عليّ شيءٌ قاصصتني عليها . فكنت أوتى به في الشيء الذي يجب عليه فيه التقويم ، فأحاسبه على العشرة منها وعلى الخمسة ، حتى استوفى .

ملس وقرنان

غضبت امرأة مزبد عليه ذات يوم فشتمته وقالت : يا مفلس يا قرنان «قواد» فقال لها : إن صدقت فالأولى من الله والثانية منك أنت .

نظر مزبد إلى وجهه في المرآة فرآه شديد القبح فقال : الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه .

---

(١) محمد بن حرب ع الإمام الحافظ الفقيه أبو عبد الله الخولاني الحمصي الأبرش كاتب الزبيدي حدث عن محمد بن زياد الألهاني وبحير بن سعد وعمر بن رؤبة ومحمد بن الوليد الزبيدي وصفوان بن عمرو والأوزاعي وعدة حدث عنه أبو مسهر ومحمد بن وهب بن عطية وإسحاق بن راهويه وكثير بن عبيد وأبو التقي اليزني ومحمد بن مصفى وأبو عتبة الحجازي وخلق كثير ذكر ابن سعد أنه ولي قضاء دمشق ووثقه يحيى بن معين وغيره .

أراد مزبد أن يضحي في العيد فاشترى ديكا لفقره فعلم جيرانه فأرسل له كل واحد منهم شاة حتى اجتمع لديه سبع شياه فقال : ديكي أفضل عند الله من إسحاق لأنه فُدِيٍّ بكبش واحد وديكي فدي بسبع شياه .

أزهر الحمار الأحمق

ومنهم أزهر الحمار ، كان جالساً بين يدي الأمير عمرو بن الليث يوماً يأكل بطيخاً فقال له عمرو : كيف طعمه يا أزهر أحلو هو؟ قال : ما أكلت الخرا قط؟ وقدم على الأمير عمرو رسول من عند السلطان ، فأحضر مائدته ، فقال لأزهر : جملنا بسكوتك اليوم ، فسكت طويلاً ثم لم يصبر فقال : بنيت في القرية برجاً ارتفاعه ألف خطوة ، فأومأ إليه حاجبه أن أسكت ، فقال له الرسول : في عرض كم؟ قال : في عرض خطوة ، فقال له الرسول : ما كان ارتفاعه ألف خطوة لا يكفي عرضه خطوة! قال : أردت أن أزيد فيه فمنعني هذا الواقف .

وقدم رسول آخر فقيل لأزهر : لا تتكلم اليوم وتجمل لهذا الرسول ، فسكت ساعة فعطس الرسول فأراد أزهر أن يشمته فيقول يرحمك الله فقال : صبحك الله ، فقال الأمير : أليس قد قدمت إليك أن لا تتكلم! فقال : أردت أن لا يرجع الرسول إلى بغداد فيقول : إن هؤلاء لا يعرفون العربية .

وقال له الطبيب : خذ رمانتين فاعصرهما بشحميهما واشرب ماءهما ، فعمد إلى رمانتين وقطعة شحم ودقهما في موضع واحد وعصرهما وأخذ ماءهما فشربه .

أبو قطبة الأحمق

قال الخليل[١] : سمعت أبو قطبة يقول : إياكم والفساء في ثيابكم التي تخرجون فيها ، وفي لحفكم التي تنامون فيها ، فإن الفساء يدرّ القمل . إني والله ما أقول إلا

---

(١) الخَلِيل بن أحمد ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي ، أبو عبد الرحمن : من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها .ودرس لدى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو أيضا أستاذ سيبويه النحويّ .

بعلم . ثم قال : علمتم إن الصوت يدبغ؟ قلنا : وكيف صار الصوت يدبغ؟ قال : الفسوة هي الضرطة بلا صوت ، وإنما تخرجان جميعا من قارورة واحدة ، فكيف تكون واحدة طيبة وأخرى منتنة؟ فهذا الذي يدلّكم أن الصوت هو الذي يدبغها .

أبو محمد الصيدلاني الأحمق

ومنهم أبو محمد جامع الصيدلاني . قال علي بن معاذ : كتبت إلى جامع الصيدلاني كتاباً فكتب جوابه وجعل عنوانه : إلى الذي كتب إلي .

وجاء إليه قوم في أمر حائط فقالوا : يا أبا محمد منذ كم تعرف هذا الحائط؟ فقال : أعرفه منذ كان وهو صغير لفلان .

وقيل له يوماً : كم سنة تعد؟ فقال : إحدى وسبعين سنة ، قيل له : فمن تذكر من ولد العباس؟ قال : ايتاخ .

وركب زورقاً فأعطى الملاح قطعة فاستزاده ، فقال : مسخني الله ذو أربع قوائم مثلك إن زدتك شيئاً .

ومضى إلى السوق ليشتري لابنه نعلاً ، فقيل له كم سنة؟ فقال : ما أدري ولكنه ولد أول ما جاء العنب الداراني ، ومحمد ابني ، استودعه الله ، أكبر منه بشهرين ونصف سنة .

وكانت له بنت فقيل له كم سنها؟ فقال : ما أدري إلا أنها ولدت أيام البراغيث .

وانبثق كنيف لجامع الصيدلاني ، فقال لغلامه : بادر وأحضر من يصلحه حتى نتغدى به قبل أن يتعشى بنا . وحج ابنه في بعض السنين فقال له : يا بني أنت تعلم أنني لا أصبر عنك ، فأجهد نفسك أن لا تضحي إلا عندنا ، فإنك تعلم أن أمك لا تأكل شيئاً في العيد حتى تجيء من الصلاة .

أبو عبد الله الجصاص الأحمق

ومنهم أبو عبد الله الجصاص . حكي عنه أنه كان يوماً يأكل مع الوزير ، فلما فرغ من الأكل قال : الحمد لله الذي لا يحلف بأعظم منه . ونظر يوماً في المصحف وجعل يقول : رخيص والله ، وهذا من فضل ربي ، آكل وأتمتع بدرهم ، وإذا في المصحف «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا» فصحف ذرهم فظن أنه درهم .

ودخل ابن الجصاص يوماً على ابن الفرات الوزير الخاقاني وفي يده بطيخة

كافور ، فأراد أن يعطيها الوزير ويبصق في دجلة ، فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في دجلة ، فارتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص وتحير وقال : والله العظيم لقد أخطأت وغلطت أردت أن أبصق في وجهك وأرمي البطيخة في دجلة . فقال له الوزير : كذلك فعلت يا جاهل . فغلط في الفعل وأخطأ في الاعتذار .

ونظر يوماً في المرآة فقال : اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وسودها يوم تسود وجوه .

وقال يوماً : أشتهي بغلة مثل بغلة النبي ﷺ حتى أسميها دلدل .

وقال يوماً : خريت على يدي ، فلو غسلتها ألف مرة لم تنظف حتى أغسلها مرتين .

ونظر يوماً في المرآة فقال لإنسان عنده : ترى لحيتي طالت؟ فقال له : المرآة في يدك . فقال : صدقت ، ولكن الشاهد لا يرى ما لا يراه الغائب .

وكسر يوماً لوزاً فطارت لوزة فقال : لا إله إلا الله ، كل شيء يهرب من الموت حتى البهائم .

وأهدى إلى العباس بن الأحنف[1] الوزير نبقاً[2] وكتب إليه : تفيلت أن تبقى فأهديتك النبقا فكتب في جوابه : ما تفيلت يا أبا عبد الله ولكن تبقرت . وكان ابن الجصاص يسبح كل يوم فيقول : نعوذ بالله من نعمه ، ونتوب إليه من إحسانه ، ونستقيله من عافيته ، ونسأله عوائق الأمور . حسبي الله وأنبياؤه والثغور الكنائس ، سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله .

وأتاه غلامه يوماً بفرخ فقال : أنظروا إلى هذا الفرخ ما أشبهه بأمه ، ثم قال : أمه ذكر أم أنثى؟ واعتل مرة فقيل له : كيف تجدك؟ فقال : الدنيا كلها محمومة .

وذكر محمد بن أحمد الترمذي قال : كنت عند الزجاج أعزيه بأمه وعنده الخلق من الرؤساء والكتاب ، إذ أقبل ابن الجصاص فدخل ضاحكاً وهو يقول : الحمد لله قد سرني والله يا أبا إسحاق ، فدهش الزجاج ومن حضر ، وقيل له : يا هذا ، كيف سرك ما غمه وغمنا؟ فقال : ويحك ، بلغني أنه هو الذي مات ، فلما صح عندي أنها

---

(١) أبو الفضل العباس بن الأحنف الحنفي اليمامي النجدي ، شاعر عربي عباسي وُلِد في اليمامة بِنجد وعِندما مات والده انتقل من نجد إلى بغداد ونشأ بِها وعاش مُتنقلاً ما بين بغداد وخراسان .

(٢) النبق أو العبري وهي ثمار شجرة السدر .

هي التي ماتت سرني ذلك . فضحك الناس جميعاً .

وكتب ابن الجصاص إلى وكيل له يحمل إليه مائة من قطناً فحملها ، فلما حلجها خرج منها ربع الوزن ، فكتب إلى الوكيل : لم يحصل من هذا القطن إلا خمسة وعشرون مناً فلا تزرع بعد هذا إلا قطناً محلوجاً وشيئاً من الصوف أيضاً .

ودخل يوماً بستاناً فثار به المرار ، فطلب بصلاً بخل ليطفىء المرار ، ولم يكن عند البستاني فقال له : لم لم تزرع لنا بصلاً بخل .

وكان يوماً خلف الإمام فقال الإمام : «ولا الضالين» ، فقال ابن الجصاص : أي لعمري .

وكان إذا سبح يقول : حسبي الله وحدي .

وقال يوماً : ينبغي للإنسان أن يصير إلى المقابر ليغتاظ ، أراد يسير ليتعظ .

وقال يوماً : كان الفأر يؤذينا في سقوفنا ، فوصف لي إنسان دواء فما سمعت لهم حسوه ، وأراد حساً .

وذكر يوماً ثلاثة أصناف من الثياب ثم قال : إذا لبست واحدة من هؤلاء فما أبالي بغيرها .

وقال يوماً : كان الهواء البارحة بارداً ، إلا إني لم أجده .

وقدمت له هريسة من نعامة فاستطابها فقال : كيف لو أكلتها بقرية؟ أراد سكباجاً . ومرض فقيل له : لعلك تناولت شيئاً ضاراً؟ فقال : لا والله ما أكلت إلا مزورة بفرخ فروج .

وذكر بين يديه رجل فقال : أخبرتني أمه أنه ولد أبوه وله ثمانون سنة .

وقدمت إليه اسفيداجة فقال لمن حوله : كلوا فهذه أم القرى .

وقال يوماً : قمت البارحة إلى المستراح وقد انطفأ القنديل ، فما زلت أتلمظ المقعدة حتى وجدتها .

ودخل يوماً على مريض فجلس عنده ، فشكا إليه الكتف فقال : والله ما أغفل من وجع كتفي هذين ، وضرب بيديه على ركبتيه .

وخرجت يده من الفراش في ليلة باردة ، فأعادها إلى جسده بثقل النوم فأيقظته ، فقبض عليها بيده الأخرى ، وصاح : اللصوص اللصوص ! هذا اللص جاء ينازعني وقد قبضت عليه ، أدركوني لئلا يكون في يده حديدة يضربني بها ، فجاءوا بالسراج فوجدوه قد قبض بيده على يده .

وغفل عنه أهله يوماً فسمعوا صياحه ؛ فأتوه فوجدوه في بيت كالميت . فقالوا : ما لك ؟ قال ؛ فكرت في كثرة مالي وشدة مصادرة السلطان للتجار في هذا الوقت وتعذيبه لهم بالتعليق ، فعلقت نفسي ونظرت كيف صبري ، فزحلت فلم أتخلص حتى كدت أموت .

وكان المعتضد(١) لما زفت إليه قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون(٢) بعث أبوها إلى ابن الجصاص مائتي ألف دينار ، وكتب إليه قد جهزناها بما قدرنا عليه ، وبالعراق طرائف لم تصل إلى أيدينا ، فاشتر ما تراه ؛ فاحتجز المال ولم يسأل عنه .

ودخل ابن الجصّاص على ابن له قد مات ولده ، فبكى!

وقال : كفالك الله يا بنيّ محنة هاروت وماروت .

فقيل له : وما هاروت وماروت؟

فقال : لعن الله النسيان ، إنما أردت يأجوج ومأجوج!

قيل : وما يأجوج ومأجوج؟

قال : فطالوت وجالوت!

قيل له : لعلك تريد منكراً ونكيرا؟

قال : والله ما أردت غيرهما

ابن الجصاص لم يكن أحمق

وقد نقل عن ابن الجصاص ما يدل على أنه كان يقصد التطابع لا أنه كان بهذه المثابة .

---

(١) أبو العباس عبد المجيد المعتضد بالله ، خليفة عباسي . بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله وكان ، شجاعا مهيبا ظاهر الجبروت ، شديدا الوطأة على المفسدين . هو أول خليفة عباسي لم يكن والده خليفة من قبله حيث لم يتول والده طلحة الموافق الخلافة مثل إخوانه الثلاثة .

(٢) أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون) (توفيت سنة ٢٨٧ هـ - ٩٠٠ م) ، هي من أشهر النساء اللاتي لقبن بقطر الندى في تاريخ مصر . ويرجع ذلك إلى ما أحاط حفل زفافها من مظاهر الأبهة والعظمة ، حين زوجها أبوها من الخليفة العباسي المعتضد بالله .

عن علي بن أبي علي التنوخي[١] عن أبيه قال : اجتمعت ببغداد سنة ست وخمسين وثلاثمائة مع أبي علي بن أبي عبد الله بن الجصاص فرأيته شيخاً حسناً طيب المحاضرة ، فسألته عن الحكايات التي تنسب إلى أبيه ، مثل قوله خلف الإمام حين قرأنا «ولا الضالين» فقال : أي لعمري بدلاً عن آمين ، ومثل قوله أراد أن يقبل رأس الوزير فقل له : أفيه ذهب؟ فقال : لو كان في رأس الوزير خرا لقبلته ، ومثل قوله وقد وصف مصحفاً بالعتق فقال : كسروي! فقال : أما أي لعمري ونحو هذا فكذب ، وما كان فيه علامة تخرجه إلى هذا ، وما كان إلا من أدهى الناس ، ولكنه يطلق بحضرة الوزراء قريباً مما يحكى عنه لسلامة طبع كان فيه ، ولأنه كان يحب أن يصور نفسه عندهم بصورة الأبله ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء فيسلم عليهم .

قصة الجصاص مع ابن الفرات[٢]

وأنا أحدثك عنه حديثاً حدثنا به ، تعلم معه أنه كان في غاية الحزم ، فإنه حدثني فقال : إن أبا الحسن بن الفرات لما ولي الوزارة قصدني قصداً قبيحاً ، فأنفذ العمال إلى ضياعي وأمر بقبض معاملاتي وبسط لسانه بثلبي وتنقصني في مجلسه ، فدخلت يوماً داره فسمعت حاجبه يقول وقد وليت : أي بيت مال يمشي على وجه الأرض ليس له من يأخذه؟ فقلت : إن هذا من كلام صاحبه وإني مسلوب ، وكان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف دينار عيناً وجواهر ، سوى ما يحتويه عليه ملكي . فهسرت ليلتي أفكر في أمري معه ، فوقع لي الرأي في الثلث الأخير ، فركبت إلى داره في الحال فوجدت الأبواب مغلقة فطرقتها ، فقال البوابون : من هذا؟ قلت : ابن الجصاص . فقالوا : ليسوا هذا وقت وصول ، والوزير نائم ، فقلت : عرفوا الحجاب إني حضرت في مهم ، فعرفوهم فخرج إلي أحدهم فقال : إنه إلى ساعة ينتبه فيجلس ،

---

(١) القاضي العالم المعمر أبو القاسم ;علي بن القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي البصري ثم البغدادي ، صاحب كتاب «الطوالات» ، وولد صاحب كتاب «الفرج بعد الشدة» ، وكتاب «النشوار» ، وغير ذلك .

(٢) أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان قاضي القيروان ، تلميذ مالك بن أنس . ولد سنة ١٤٢ هـ/٧٥٩ م بحرّان من أعمال ديار بكر بالشام . رحل أبوه من حرّان إلى القيروان في جيش محمد بن الأشعث عام ١٤٤هـ/٧٦١م وأخذه معه وهو طفل فنشأ بها وتفقه فيها .

فقلت : الأمر أهم من ذاك ، فنبهه وعرفه عني ، فدخل وأبطأ ساعة ثم خرج وأدخلني إلى دار حتى انتهيت إلى مرقده وهو جالس على سرير له وحواليه نحو خمسين فراشاً وغلمان كأنهم حفة وهو مرتاع قد ظن أن حادثة حدثت وأني جئته برسالة الخليفة وهو متوقع لما أورده ، فقام فرفعني وقال : ما الذي جاء بك في هذا الوقت؟ هل حدثت حادثة أو معك من الخليفة رسالة؟ قلت : خير ما حدثت حادثة ، ولا معي رسالة ، ولا جئت إلا في أمر يخصني ، ويخص الوزير ، ولم تصلح المفاوضة فيه إلا على خلوة . فسكن وقال لمن حوله : انصرفوا . فمضوا وقال : هات ، قلت : أيها الوزير إنك قد قصدتني أقبح قصد وشرعت في هلاكي وإزالة نعمتي ، وفي إزالتها خروج نفسي وليس عن النفس عوض ، ولعمري إني أسأت في خدمتك وقد كان في هذا التقويم بلاغ وجد عندي ، وقد اجتهدت في إصلاحك بكل ما قدرت عليه ، وأبيت إلا الإقامة على إيذائي ، وليس شيء أضعف في الدنيا من السنور ، وإذا عوينت في دكان البقال وظفر صاحبها بها ولزها إلى زاوية ليخنقها ، وثبت عليه فخدشت وجهه وبدنه ، ومزقت ثيابه ، وطلبت الحياة بكل ما يمكنها ، وقد وجدت نفسي معك في هذه الصورة ولست أضعف من السنور بطشاً ، وقد جعلت هذا الكلام عذراً بيناً فإن نزلت تحت حكمي في الصلح وإلا فعلي وعلي ، وحلفت أيماناً مغلظة لأقصدن الخليفة الساعة ولأحولن إليه من خزائني ألفي ألف دينار عيناً وورقاً ولا أصبح إلا وهي عنده ، وأنت تعلم قدرتي عليها ، وأقول خذ هذا المال وسلم ابن الفرات إلى فلان واستوزره ، وأذكر له أقرب من يقع في نفسي أنه يجيب إلى تقليده ممن له وجه مقبول ولسان عذب وخط حسن ، ولا أعتمد إلا على بعض كتابك فإنه لا يفرق بينك وبينهم إذا رأى المال حاضراً ، فيسلمك في الحال ويراني المتقلد بعين من أخذه وهو صغير فجعله وزيراً ، وغرم عليه هذا المال الكثير فيخدمني ويتدبر برأيي ، وأسلمك إليه فيفرغ عليك العذاب حتى يأخذ ألفي ألف الدينار منك بأسرها ، وانت تعلم أن حالك تفي بهذا ولكنك تفتقر بعدها ويرجع المال إلي ولا يذهب مني شيء ، وأكون قد أهلكت عدوي ، وشفيت غيظي ، واسترجعت مالي ، وصفت نعمتي ، وزاد محلي بصرفي وزيراً وتقليدي وزيراً . فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال : يا عدو الله أو تستحل هذا؟ قلت : لست عدواً لله ، بل عدو الله من استحل مني هذا الذي أخرجني إلى الفكر في مثل هذا ، ولم لا أستحل مكروه من أراد هلاكي وزوال نعمتي؟ فقال : أو إيش؟ فقلت : أن تحلف الساعة بما استحلفك به من الأيمان المغلظة

أنك تكون لي لا علي في صغير أمري وكبيره ، ولا تنقص لي رسماً ولا تغير لي معاملة ، ولا تدس علي المكاره ، ولا تشر لي في سوء أبداً ظاهراً ولا باطناً ، فقال : وتحلف أنت أيضاً لي بمثل هذا اليمين على جميل النية وحسن الطاعة والمؤازرة؟ فقلت : افعل ، فقال : لعنك الله فما أنت إلا إبليس والله لقد سحرتني . واستدعى دواة وعملنا نسخة يمين فأحلفته أولاً بها ثم حلفت له ، فلما أردت القيام قال : يا أبا عبد الله لقد عظمت في نفسي ، وخففت ثقلاً عني ، والله ما كان المقتدر يفرق بين كفاءتي وبين أخس كتابي مع المال الحاضر ، فليكن ما جرى مطوياً . فقلت : سبحان الله . فقال : إذا كان غداً فصر إلى المجلس لتر ما أعاملك به ، فنهضت ، فقال : يا غلمان بأسركم بين يدي أبي عبد الله ، فخرج بين يدي نحو مائتي غلام وعدت إلى داري ، ولما طلع الفجر واسترحت جئته في المجلس فعرفني الذين كانوا بحضرته ، وعرفهم ما جرى من التفريط التام

وعاملني بما شاهده الحاضرون ، وأمر بإنشاء الكتب إلى عمال النواحي بإعزازي وإعزاز وكلاتي وعمالي وصيانة أسبابي وضياعي . فشكرت الله وقمت ، فقال : يا غلمان بين يديه . فخرج الحجاب يجردون سيوفهم بين يدي والناس يعجبون ، ولم يعلم أحد سبب ذلك فما حدثت بذلك إلا بعد القبض عليه . قال لي أبو علي : هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات؟ قلت : لا . وقد حكى التنوخي إن ابن الجصاص صودر في أيام المقتدر فارتفعت مصادراته سوى ما بقي له من الظاهر وكانت ستة آلاف ألف دينار . بما شاهده الحاضرون ، وأمر بإنشاء الكتب إلى عمال النواحي بإعزازي وإعزاز وكلاتي وعمالي وصيانة أسبابي وضياعي . فشكرت الله وقمت ، فقال : يا غلمان بين يديه . فخرج الحجاب يجردون سيوفهم بين يدي والناس يعجبون ، ولم يعلم أحد سبب ذلك فما حدثت بذلك إلا بعد القبض عليه . قال لي أبو علي : هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات؟ قلت : لا . وقد حكى التنوخي إن ابن الجصاص صودر في أيام المقتدر فارتفعت مصادراته سوى ما بقي له من الظاهر وكانت ستة آلاف ألف دينار .

بعض تصرفات الجصاص تدل على ذكاء

قال التنوخي : وحدثني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن مكرم قال : حدثني بعض شيوخنا قال : كنا بحضرة أبي عمرو القاضي[1] فجرى ذكر ابن الجصاص وغفلته فقال أبو عمرو : معاذ الله ما هو كما يقال عنه ، ولقد كنت عنده منذ أيام وفي صحن داره سرادق مضروب ، فجلسنا بالقرب منه نتحدث ، فإذا بصرير نعل من خلف السرادق فقال : يا غلام جئني بصاحب هذا النعل ، فأخرجت إليه جارية سوداء فقال : ما كنت تصنعين ها هنا؟ قالت : جئت إلى الخادم أعرفه أني قد فرغت من الطبيخ وأستأذن في تقديمه ، فقال : انصرفي لشأنك ، فعلمت أنه أراد يعرفني بذلك الوطء إنه وطء جارية سوداء مبتذلة ، وأنها ليست من حرمه ، فهل يكون هذا من التغفيل .

الجصاص يدلي بنصيحة تدل على العقل البالغ

عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبيه ، قال : حدثني أبو القاسم الجهني ، قال : كنت بحضرة أبي الحسن بن الفرات وابن الجصاص حاضر ، فذكروا ما يعتقده الناس لأولادهم ، فقال ابن الفرات : ما أجل ما يعتقده الناس لأعقابهم فقال من حضر : الضياع ، وقال بعضهم : العقار ، وقال بعضهم : العقار الصامت ، وقال بعضهم : الجوهر الخفيف الثمين . فإن بني أمية سئلوا أي الأموال كانت أنفع لكم في نكبتكم؟ فقالوا : الجوهر الخفيف المثمن كنا نبيعه فلا نطالب بمعرفته ، والواحدة منه أخف من ثمنها ، وابن الجصاص ساكت ، فقال به ابن الفرات : ما تقول أنت يا عبد الله؟ فقال : أجل ما يعتقده الناس لأولادهم الضياع والإخوان ، فإنهم إن اعتقدوا لهم ضياعاً أو عقاراً أو صامتاً من غير إخوان ضاع ذلك وتمحقق ، وأحدث الوزير بحديث جرى منذ مديدة يعلم منه صدق قولي ، فقال له ابن الفرات ما هو؟ فقال : الناس يعرفون أن أبا الحسن كان رجلاً مشتهراً بالجوهر يعتقده لنفسه وأولاده وجواريه ، فكنت جالساً يوماً في داري فجاءني بوابي فقال : بالباب امرأة تستأذن ، فأذنت لها ، فدخلت ، فقالت لي : تخلي لي مجلسك ، فأخليته ، فقالت

(١) الإمام الكبير ، قاضي القضاة أبو عمر ، محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل ابن عالم البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي مولاهم البصري ، ثم البغدادي المالكي .

لي : أنا فلانة جارية أبي الحسن ، فعرفتها وبكيت لما شاهدتها عليه ودعوت غلماني ليحضروا لي شيئاً أغير به حالها ، فقالت : لا تدع أحداً فإني لم أضنك دعوتهم لتغير حالي وأنا في غنية وكفاية ، ولم أقصدك لذلك ولكن لحاجة هي أهم من هذا . فقلت : ما هي؟ فقالت : تعلم أن أبا الحسن لم يكن يعتقد لنا إلا الجوهر ، فلما جرى وتشتتنا وزال عنا ما كنا فيه ، كان عندي جوهر قد سلمه إلي ووهبه لي ولابنته مني فلانة ، وهي معي ها هنا فخشيت أن أظهره بمصر فيؤخذ مني ، فتجهزت للخروج وخرجت متخفية وابنتي معي ، فسلم الله تعالى ووصلنا هذا البلد ، وجميع مالنا سالم ، فأخرجت من الجوهر شيئاً قيمته خمسة آلاف دينار ، وسرت به إلى السوق فبلغ ألفي دينار ، فقلت : هاتوا . فلما أحضروا المال ، قالوا : أين صاحب المتاع؟ قلت : أنا هي ، قالوا : ليس محلك أن يكون هذا لك وأنت لصة ، فعلقوا بي ليحملوني إلى صاحب الشرطة فخشيت أن أقع فأعرف فيؤخذ الجوهر وأطالب أنا بمال ، فرشوت القوم دنانير كانت معي وتركت الجوهر عليهم وأقبلت ، فما نمت ليلتي غماً مما جرى علي من خشية الفقر ، لأن مالي هذا سبيله ، فأنا غنية فقيرة ، فلم أدر ما أفعل ، فذكرت ما بيننا وبينك فجئتك ، والذي أريد منك جاهك وبذله لي حتى تخلص لي حقي وما أخذ مني ، وتبيع الباقي وتخلص لي ثمنه ، وتشتري لي ولابنتي به عقاراً نقتات من غلته . قال : فقلت : من أخذ منك الجوهر؟ قالت : فلان ، فأنفذت إليه فاستخليت به ، وقلت : هذه امرأة من داري وإنما أنفذت المتاع لأعرف قيمته ولئلا يراني الناس أبيع شيئاً بدون قيمته فلم تعرضتم لها؟ فقالوا : ما علمنا ذلك ، ورسمنا كما تعلم لا نبيع شيئاً إلا بمعرفة ، ولما طالبناها بذلك اضطربت فخشينا أن تكون لصة ، فقلت له : أريد الجوهر الساعة ، فجاء به ، فلما رأيته عرفته ، وكنت أنا اشتريته لأبي الحسن بخمسة آلاف دينار ، فأخذته منه وصرفته ، وأقامت المرأة في داري وتلطفت لها في بيع الجوهر بأوفى ثمن ، فخصها منه أكثر من خمسة آلاف دينار فابتعت لها بذلك ضياعاً ومسكناً فهي تعيش في ذلك وولدها إلى الآن . فنظرت فإذا الجوهر لما كان معها بلا صديق حجر ، بل كان سبباً لمكروه ، ولما وجدت صديقاً يعينها حصل لها منه هذا المال الجليل ، فالصديق أفضل من العقد . فقال ابن الفرات : أجدت يا أبا عبد الله .

ينسبون هذا الرجل إلى التغفيل ، وقد سمعتم ما قال ، فكيف يكون هذا مغفلاً!؟

ريطة الحمقاء

فمنهن التي نقضت غزلها ، قال مقاتل بن سليمان[١] : هي امرأة من قريش تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب ، كانت إذا غزلت نقضته ، قال ابن السائب[٢] : اسمها رايطة ، وقال أبو بكر بن الأنباري[٣] : أسمها ريطة بنت عمرو المرية ، ولقبها الجعرا ، وهي من أهل مكة ، وكانت معروفة عند المخاطبين ، فعرفوها بصنعتها ، ولم يكن لها نظير في فعلها وكانت متناهية الحمق ، تغزل الغزل من القطن ، أو الصوف ، فتحكمه ، ثم تأمر خادمها بنقضه ، قال بعضهم : كانت تغزل هي وجواريها ، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن .

دغة الحمقاء

ومنهن دغة بنت مغنج ، ومغنج هو ربيعة بن عجل ، واسم دغة ماوية ، ودغة لقب ، وكانت قد تزوجت صغيرة في بني العنبر فحبلت ، فلما جاءها المخاض ظنت أنها أحدثت ، فقالت لضرتها : يا هنتاه هل يفتح الجعر فاه؟ قالت : نعم ويدعوا أباه ، فمضت ضرتها فأخذت الولد ، فبنو العنبر تنسب إليها فسموا بنو الجعر لذلك . ورأت يافوخ ولدها يضطرب فشقته بسكين وأخرجت دماغه ، وقالت : أخرجت هذه المادة من دماغه ليسكن وجعه . وذكر عنها أنها كانت حسنة الثغر فولدت غلاماً ، وكان أبوه يقبله ويقول : وا بأب دردرك . فظنت أن الدردر أعجب إليه ، فحطمت أسنانها ، فلما قال : وا بأبي دردرك ، قالت : يا شيخ كلنا ذو دردر ، فقال : أعييتني بأشر فكيف بدردر والأشر التحزيز في أطراف أسنان الأحداث والدردر مغارز الأسنان فضرب المثل بحمق دغة .

(١) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى من أعلام المفسرين صاحب التفسير المسمى «تفسير مقاتل» . أصله من بلخ انتقل إلى البصرة ، ودخل بغداد فحدث بها ، لكن كان متروكا أي كان متروك الحديث .

(٢) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي ، يكنى ابن الكلبي ، مؤرخ ، وعالم أنساب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها .

(٣) ابن الأنباري (أبو بكر الأنباري) الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطة بن دعامة أبو بكر الأنباري . (٢٧١ هـ - ٣٢٨هـ) المقرئ النحوي .

ريطة بنت عامر الحمقاء

ومنهن ريطة بنت عامر بن نمير كانت تعلم رأس أولادها بالقزع لتعرف أولادها من أولاد غيرها .

الفزارية الحمقاء

ومنهن الممهورة إحدى خدمتيها . أنبأنا محمد بن عبد الملك قال : حدثنا ابن خلف قال : يقال هو أحمق من الممهورة إحدى خدمتيها وهي امرأة من فزارة .

حذنة الحمقاء

ومنهن حذنة وقد مضى الخلاف في هذا الإسم وذكرنا في أحد الأقوال إنه اسم امرأة كانت تمتخط بكوعها .

ابن الراوندي الفيلسوف الأحمق

وما رأيت من غير إبليس وزاد عليه في الجنون والتغفيل مثل أبي الحسين ابن الراوندي فإن له كتباً يزري فيها على الأنبياء عليهم السلام ويشتمهم ، ثم عمل كتاباً يرد فيه على القرآن ويبين أن فيه لحناً ، وقد علم أن هذا الكتاب العزيز قد عاداه خلق كثير ما فيهم من تعرض لذلك منه ولا قدر .

زعم أنه استدرك على الفصحاء

فاستدرك هو بزعمه على الفصحاء كلهم . ثم عمل كتاب الدامغ فأنا أستعصم أن أذكر بعض ما ذكر فيه من التعريض للرد على الخالق سبحانه ، وذكر إياه بأقبح ما يذكر به آدمي مثل أن يقول : منه الظلم ومنه الشر ، في عبارات أقبح من هذه قد ذكرت بعضها في التاريخ ، فالعجب ممن يعترض على الخالق بعد إثباته . فأما الجاحد فقد استراح ، أتراه خلق لهؤلاء عقولاً كاملة وفي صفاته هو نقص ، تعالى الله عن تغفيل هؤلاء .

إبليس عند فرعون

قد ضرب الحكماء له مثلاً فقالوا : أدخل إبليس على فرعون فقال : من أنت؟

قال : إبليس ، قال : ما جاء بك؟ قال : جئت أنظر إليك فأعجب من جنونك ، قال : وكيف؟ قال : أنا عاديت مخلوقاً مثلي ، وامتنعت من السجود له ، فطردت ولعنت ، وأنت تدعي أنك أنت الإله! هذا والله الجنون البارد .

تصرف إخوة يوسف تغفيل

ومن أعظم التغفيل ما جرى لإخوة يوسف في قولهم «أكله الذئب» ولم يشقوا قميصه ، وقصتهم مع يوسف في قوله إن الصاع يخبرني بكذا وكذا . ومن التغفيل ادعاء هاروت وماروت[1] الإستعصام عن الوقوع في الذنب ومقاومة الأقدار فلما نزلا من السماء على تلك النية نزلا .

تغفيل بني إسرائيل

ومن عجيب التغفيل قول بني إسرائيل لموسى وقد جاوز بهم البحر : «اجعل لنا إلهاً» ، وقول النصارى إن عيسى إله أو ابن إله ، ثم يقرون أن اليهود صلبوه ، فادعاؤهم الإلهية في بشر لم يكن فكان ولا يبقى إلا بأكل الطعام! والآله من قامت به الأشياء لا من قام بها ، فظنهم أنه ابن الإله والبنوة تقتضي البعضية والمثلية وكلاهما مستحيل على الإله ، وقولهم إنه قتل وصلب فيقرون عليه بالعجز عن الدفع عن نفسه وكل هذه الأشياء تغفيل قبيح .

تخطئة أبي بكر وعمر تغفيل

ومن أعجب التغفيل : أن الرافضة يعلمون إقرار علي على بيعة أبي بكر وعمر ، واستيلاده الحنفية من سبي أبي بكر ، وتزويجه أم كلثوم ابنته من عمر ، وكل ذلك دليل على رضاه ببيعتهما ثم فيهم من يكفرهما وفيهم من يسبهما ، يطلبون بذلك

(١) يقول ابن كثير : وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء ، وكان من أمرهما ما كان ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه الإمام أحمد في مسنده . وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة أن هذين سبق في علم الله لهما هذا ، فيكون تخصيصاً لهما ، فلا تعارض حينئذ ، كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق . مع أن شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف مما وقع من إبليس .

على زعمهم حب علي وموافقته وقد تركوها وراء ظهورهم .

ومثل هذا الجنس كثير إذ تتبعته رأيته ، وإنما أشرنا بهذه النبذة إليه ليفكر في جنسه ولم نر بسط القصص فيه ، لأن المقصود الأكبر في هذا الكتاب غير ذلك .

عن أحمد بن حنبل أنه قال : لو جاءني رجلٍ فقال : إني قد حلفت بالطلاق أن لا أكلم يومي هذا أحمق فكلم رافضياً أو نصرانياً لقلت : ما حنث . قال : فقال له الدينوري : أعزك الله تعالى لم صارا أحمقين؟ قال : لأنهما خالفا الصادقين عندهما ، أما الصادق الأول فإنه المسيح عليه السلام قال للنصارى «اعبدوا الله» وقال : «إني عبد الله» فقالوا : لا ليس هو بعبد بل هو إله . وأما علي رضي الله عنه ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بكر وعمر : «هذان سيدا كهول أهل الجنة» ثم سبهما هذا وتبرأ منهما هذا .

تغفيل عابد قديم

هذا ومن أعجب تغفيل القدماء ما روي عن جابر بن عبد الله(١) أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «تعبد رجل في صومعة ، فأمطرت السماء فأعشبت الأرض ، فرأى حماراً يرعى ، فقال : يا رب ، لو كان لك حماراً رعيته مع حماري ، فبلغ ذلك نبياً من أنبياء بني إسرائيل فأراد أن يدعو عليه فأوحى الله تعالى إليه إنما أجزي العباد على قدر عقولهم» .

ثلاث غفلات لجارية الأمين(٢)

ولما حوصر الأمين قال لجاريته : غني ، فغنت الطويل :

---

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي من بني سلمة ، صحابي جليل من الأنصار ، يكنى أبا عبد اللَّه ، وقيل : أَبُو عبد الرحمن ، والأول أصح ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي ، وقد كان أصغر من شهد العقبة الثانية ، وقال بعضهم : شهد بدرًا ، وقيل : لم يشهدها ، وكذلك غزوة أحد . وكان من المكثرين في الحديث ، الحافظين للسنن .

(٢) الأمين محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس ، وهو سادس الخلفاء العباسيين ، تولى الخلافة بين عامي ١٩٣ إلى ١٩٨ للهجرة ٨٠٩ - ٨١٣ =

كليـــب لعمـــري كان أكثـر ناصـــراً وأيســـر جرماً منك ضرج بالـــدم

فاشتد ذلك عليه ثم قال غني غير هذا . فغنت : البسيط :

شكـــت فراقهـــم عينـــــي فأرقهـــا إن التفـــرق للأحبـــــاب بكـــاء

فقال : لعنك الله أما تعرفين غير هذا؟ فغنت : البسيط :

مـــا اختلـــف الليـــل والنهـــار ومـــا دارت نجـــوم السمـــاء فـــي الفلك

إلا لنـــقل السلطـــان مــــن ملـــك قـــد غاب تحت الثرى إلى ملـــك

فقال : قومي ، فقامت فعثرت بقدح بلّور فكسرته ، فإذا قائل يقول : «قضي الأمر الذي فيه تستفتيان» .

ولما دخل المأمون على زبيدة ليعزيها في الأمين قالت : أرأيت أن تسليني في غدائك اليوم عندي؟ فتغدى وأخرجت إليه من جواري الأمين من تغنيه فغنت : الطويل :

هـــم قتلـــوه كـــي يكونـــوا مكانـــه كما فعلـــت يوماً بكسرى مرازبـــه

فوثب مغضباً ، فقالت له : يا أمير المؤمنين حرمني الله أجره إن كنت علمت أو دسست إليها ، فصدقها .

المعتصم[(١)] يتطير من قول شاعر

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره دخل الناس عليه ، فاستأذنه إسحاق بن

= ميلادية ، ودامت فترة حكمه خمس سنوات تقريبا وأهم ما ميز عهده هو النزاع الذي قام بينه وبين أخيه المأمون ، كان هذا النزاع استمرارا للصراع القائم بين العرب والعجم داخل الدولة العباسية ، وكان يمثل الحزب العربي الأمين ووزيره الفضل بن الربيع ، أما الحزب الفارسي فكان يتمثل بالمأمون ووزيره الفضل بن سهل .

(١) أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ثامن الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٧٩ هجرية وتوفي بمدينة سامراء في ١٨ من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هجرية (٤ من فبراير سنة ٨٤٢ ميلادية) ، وكان في عهد أخيه المأمون واليا على الشام ومصر وكان المأمون يميل اليه لشجاعته فولاه عهده ، وفي اليوم الذي توفي فيه المأمون بطرسوس بويع أبو اسحاق محمد بالخلافة ولقب بالمعتصم بالله .

إبراهيم[٢] أن ينشده شعراً في صفته وصفة المجلس أوله : الكامل :

يا دار غيـــــرك البلـــــى ومحـــاك   يا ليـــت شعـــري ما الـذي أبلاك

فتطير المعتصم وعجب الناس من إسحاق كيف فعل هذا مع فهمه ، فقاموا وخرب القصر وما اجتمع فيه بعد ذلك اثنان .

وأنشد الصاحب بن عباد[١] عضد الدولة مديحاً له من قصيدة يقول فيها : الطويل :

ضممـــت على أبناء تغلـــب تاءهـــا   فتغلـــب مـــا كر الجديدان تغلـب

فتطير عضد الدولة من قول تغلب وقال : نعوذ بالله ، فتيقظ الصاحب لقوله وتغير لونه .

وقال إسحاق المهلبي : دخلت على الواثق فقال : غنني صوتاً عربياً ، فقلت : السريع :

يا دار إن كان البلى محاك   فإنـــــه يعجبنـــــي أراك

قال فتبينت الكراهية في وجهه وندمت .

الشاعر العجلي يوجأ في عنقه لغفلته

ودخـــل أبو النجـــم العجلـــي[٣] علـــى هشام بن عبد الملـــك[٤] فأنشده

(٢) إسحاق الموصلي هو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان (أو ميمون) بن بهمن الموصلي التّميمي بالولاء ، الأرجانيّ الأصل المعروف بابن النّديم الموصلي نادم الرّشيد والمأمون والمُعتصم والواثق ولد عام ٧٦٧ م في مدينة الري .

(١) أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني ، الطالقاني ، الاصفهاني ، المعروف بالصاحب بن عباد و«كافي الكفاة» ، كان من كبار علماء وأدباء الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، مشارك في مختلف العلوم كالحكمة والطب والمنطق ، وكان محدثاً ثقة ، شاعراً مبدعا ، وأحد أعيان العصر البويهي . كان وزيراً ، ومن نوادر الوزراء الذين غلب عليهم العلم والأدب .

(٣) الفضل بن قدامة العجلي ، أبو النجم ، من بني بكر بن وائل . من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر . نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام .

(٤) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء . ولد في دمشق .

أبياتاً حتى بلغ فيها ذكر الشمس فقال : «وهي على الأفق كعين الأحول» ، فأمر أن يوجأ في عنقه وأخرج .

أرطاة يخطئ خطأً غير مقصود

ودخل أرطأة[١] على عبد الملك بن مروان وكان شيخاً كبيراً فاستنشده ما قاله في طول عمره فأنشده : الوافر :

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغي المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
فاعلم أنها ستكر حتى توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن أنه عناه وعلم أرطأة أنه زل فقال : يا أمير المؤمنين إني أكنى بأبي الوليد ، وصدقه الحاضرون .

ذو الرمة عند عبد الملك

ودخل ذو الرمة[٢] على عبد الملك فأنشده :

ما بال عينيك منها الدمع ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

واتفق أن عيني عبد الملك كانت تسيلان ، فظن أنه عرض به فغضب ، وقطع إنشاده وأخرجه . ودخل شاعر على طاهر بن عبد الله فأنشده :

شب بالإبل من عزيزة نار أوقدتها وأين منك المزار

وكان اسم والدة طاهر عزيزة فتغامز الحاضرون وأعلموه بهفوته فأمسك .

غفلة شاعر في حضرة عقبة بن مسلم

ودخل رجل على عقبة بن مسلم الأزدي فأنشده :

يا ابنة الأزدي قلبي كئيبٌ مستهامٌ عندكم ما يؤوب

---

(١) شاعر من فرسان الجاهلية ، معمر عاش قريباً من نصف عمره في الإسلام وأدرك خلافة عبد الملك بن مروان ودخل عليه وعمره ١٣٠ سنة ، وأنشده من شعره ، وعمي قبل وفاته .

(٢) ذُو الرُمَّة هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي ، كنيته أبو الحارث وذو الرّمّة . شاعر عربي من الرباب من تميم ، من شعراء العصر الأموي .

ولقـد لامـوا فقلـت دعونـي   إنـي مـن تلحـون فيـه حبيب

فتغير وجه عقبة ، فنظر الشاعر فقطع .

أسرجوا العلوي

ودخل الرئيس أبو علي العلوي يوماً على بعض الرؤساء ، فتحادثا فجاء غلام لذلك الرجل فقال : يا سيدي أي الخيل نسرج اليوم؟ فقال : أسرجوا العلوي . فقال له أبو علي : أحسن اللفظ يا سيدي ، فاستحيا وقال : هفوة .

المشاكلة اللفظية تسبب الأزمات

واجتاز المرتضى أبو القاسم[1] نقيب العلويين ، يوم جمعة على باب جامع المنصور عند المكان الذي يباع فيه الغنم ، فسمع المنادي يقول : نبيع هذا التيس العلوي بدينار ، فظن أنه قصده بذلك فعاد متألماً من المنادي فكشف عن الحال ، فوجد أن التيس إن كان في رقبته حلمتان سمي علوياً نسبة لشعرتي العلوي المسبلتين على رقبته . ونحو هذا ما جرى لأبي الفرج العلوي ، فإنه كان أعرج أحول ، فسمع منادياً ينادي على تيس : كم عليكم في هذا العلوي الأعرج الأحول؟ فلم يشك أنه عناه ، فراغ عليه ضرباً إلى أن تبين أن التيس أحول أعرج فضحك الحاضرون مما اتفق .

أراد أن يمدحه فذمه

وقال أبو الحسن الصابي[2] : دخل بعض أصدقائنا إلى رجل قد ابتاع داراً في جواره ، فسلم عليه وأظهر الأنس بقربه وقال : هذه الدار كانت لصديقنا وأخينا ، إلا أنك بحمد الله أوفى منة وكرماً وأوسع نفساً وصدراً ، والحمد لله الذي بدلنا به من هو خيرٌ منه وأنشد : بدل بالبازي غرابٌ أبقع . فضحك منه الرجل حتى استلقى وخجل ، وصارت نادرة يولع الرجل بها .

(١) الشريف المرتضى (٣٥٥ هـ - ٤٣٦ هـ / ٩٦٦ - ١٠٤٤ م) الملقب ذي المجدين علم الهدي ، عالم إمامي من أهل القرن الرابع الهجري .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الحراني الصابي (٣١٣-٣٨٤هـ) . نشأ في بغداد على دين الصابئة الحرانيين ، يحفظ القرآن ويصرف آياته في رسائله وقد كانت بينه وبين الصاحب بن عباد والشريف الرضي مودة أكيدة ومراسلات كثيرة .

الإصرار على الغلط

عن عبد الله بن عمر بن أبان أن مشكدانة[1] قرأ عليه في التفسير «ويعوق وبشراً» فقيل له ونسراً ، فقال : هي منقوطة بثلاثة من فوق ، فقيل له النقط غلط ، قال : فارجع إلى الأصل . وعن محمد بن أبي الفضل قال : قرأ علينا عبد الله بن عمر بن أبان ويعوق وبشراً فقال له رجل إنما هو ونسراً ، فقال : هو ذا فوقها نقط مثل رأسك . وقال أبو العباس بن عمار الكاتب[2] : انصرفت من مجلس مشكدانة فمررت بمحمد بن عباد بن موسى فقال : من أين أقبلت؟ فقلت : من عند مشكدانة ، فقال : ذاك الذي يصحف على جبرائيل . يريد قراءته ويعوق وبشراً وكانت حكيت عنه . حدثنا إسماعيل بن محمد قال : سمعت عثمان بن أبي شيبة يقرأ «فإن لم يصبها وابل فظل» . قال : وقرأ «من الخوارج مكلبين» . وعن محمد بن جرير الطبري قال : قرأ علينا محمد بن جميل الرازي «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يجرحوك» . قال الدارقطني : وحدثني أنه سمع أبا بكر الباغندي أملى عليهم في حديث ذكره «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوياً» بضم الهاء وياء .

تشنيعات على ابن أبي شيبة

قال ابن كامل : وحدثنا أبو شيخ الأصبهاني محمد بن الحسين قال : قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير وإذا بطشتم بطشتم خبازين يريد قوله «جبارين»

---

(١) المحدث الإمام الثقة ، أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح بن عمير القرشي الأموي ، مولى عثمان رضي الله عنه .

(٢) أحمد بن عمار بن أبي العباس الإمام أبو العباس المهدوي نسبه إلى المهدية بالمغرب أستاذ مشهور ، رحل وقرأ على محمد بن سفيان وعلى جده لأمه مهدي بن إبراهيم وأبي الحسن أحمد بن محمد القنطري بمكة وذكر الحافظ أبو عبد الله الذهبي أنه قرأ على أبي بكر أحمد بن محمد البراثي ، وألف التواليف منها التفسير المشهور والهداية في القراءات السبع . ذكره الشاطبي في باب الاستعاذة ، وقرأ عليه غانم بن الوليد وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الطرفي وموسى بن سليمان اللخمي ويحيى بن إبراهيم البياز ومحمد بن إبراهيم بن إلياس ومحمد بن عيسى بن فرج المغامي . توفي في ٤٣٠ هـ .

وعن محمد بن عبد الله المنادي يقول : كنا في دهليز عثمان بن أبي شيبة[١] فخرج إلينا وقال ن والقلم في أي سورة هو؟ . وعن إبراهيم بن دومة الأصبهاني أنه يقول : أملى علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير قال : خذوا سورة المدبر قالها بالباء . قال الدارقطني : قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير «فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رجل أخيه» فقيل له : «السقاية في رحل أخيه» فقال : أنا وأخي أبو بكر لا نقرأ لعاصم . وقال القاضي المقدمي :

قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة جعل السقاية في رجل أخيه فقيل له «في رحل أخيه» فقال : تحت الجيم واحدة . وعن محمد بن عبد الله الحضرمي إنه قال : قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة فضرب بينهم سنور له ناب فقيل له إنما هو «بسور له باب» فقال : أنا لا أقرأ قراءة حمزة ، قراءة حمزة عندنا بدعة .

استمر على تصحيفه أربعين سنة

قال : حدثني أبو الحسين أحمد بن يحيى قال : مررت بشيخ في حجره مصحف وهو يقر : ولله ميزاب السموات والأرض فقلت : يا شيخ ما معنى ولله ميزاب السموات والأرض؟ قال : هذا المطر الذي نراه ، فقلت : ما يكون التصحيف إلا إذا كان بتفسير ، يا هذا إنما هو «ميراث السموات والأرض» فقال : اللهم اغفر لي ، أنا منذ أربعين سنة أقرؤها وهي في مصحفي هكذا .

ادعى الاشتغال بالقرآن وهو الجاهل به

قال : حدثني أبو فزارة الأسدي قال : قلت لسعيد بن هشيم : لو حفظت عن أبيك عشرة أحاديث سدت الناس ، وقيل هذا ابن هشيم فجاءوك فسمعوا منك ، قال : شغلني عن ذلك القرآن ، فلما كان يوم آخر قال لي : جبير كان نبياً أم صديقاً؟ قال : قلت : من جبير؟ قال : قوله عز وجل : واسأل به جبيراً . قال : قلت له : يا غافل ، زعمت أن القرآن أشغلك .

(١) هو الإمام الحافظ الكبير المفسر ، أبو الحسن ، عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُواستَى العبسي مولاهم الكوفي ، صاحب التصانيف ، وأخو الحافظ أبي بكر .

يخلط بين الشعر والقرآن الكريم

وعن أبي عبيدة قال : كنا نجلس إلى أبي عمرو بن العلاء(1) فنخوض في فنون من العلم ورجل يجلس إلينا لا يتكلم حتى نقوم ، فقلنا : إما أن يكون مجنوناً أو أعلم الناس! فقال يونس : أو خائف ، سأظهر لكم أمره . فقال له : كيف علمك بكتاب الله تعالى؟ قال : عالم به ، قال : ففي أي سورة هذه الآية :

الحمد الله لا شريك له   من لم يقلها فنفسه ظلما

فأطرق ساعة ثم قال : في حم الدخان .

وعن أبي عبد الله بن عرفة(2) ، أنه قال : اصطحب ناس فكانوا يتذاكرون الآداب والأخبار وسائر العلوم ، وكان معهم شاب لا يخوض فيما يخوضون فيه سوى أنه كان يقول : رحم الله أبي ماكان يعدل بالقرآن وعلمه شيئاً ، فكانوا يرون أنه أعلم الناس بالقرآن ، فسأله بعضهم في أي سورة : الطويل :

وفينا رسول الله يتلو كتابه   كما لاح مبيض من الصبح ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه   إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

فقال : سبحان الله من لم يعرف هذا؟ هذا في «حم عسق» ، فقالوا : ما قصر أبوك في أدبك ، فقال لهم : أفكان يتغافل عني كتغافل آبائكم عنكم؟ .

قاضٍ أغفل من الخصمين

ونبأنا في هذا المعنى أن رجلاً قدم ابناً له إلى القاضي فقال : أصلح الله القاضي ، إن هذا ابني يشرب الخمر ولا يصلي ، فقال له القاضي : ما تقول يا غلام فيما حكاه أبوك عنك؟ قال : يقول غير الصحيح إني أصلي ولا أشر الخمر ، فقال

---

(1) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين المازني التميمي البصري ، أحد القراء السبعة . قال ابن خلكان : «كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب .» سمع من أنس بن مالك وقرأ بمكة والمدينة بالكوفة بالبصرة . وأخذ اللغة والنحو من نصر بن عاصم الليثي كما سمع من يحيى بن يعمر ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وابن شهاب وغيرهم .

(2) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ، ولد سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م وتوفي سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م . فقيه مالكي وإمام جامع الزيتونة وخطيبه ، في العهد الحفصي .

أبوه : أصلح الله القاضي أتكون صلاة بلا قراءة؟ فقال القاضي : يا غلام تقرأ شيئاً من القرآن؟ قال : نعم وأجيد القراءة ، قال : اقرأ ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم :

علــق القالـــب ربابـــا بعدمـــا شابــت وشابـــا
إن ديـــن اللــــه حـــدق لا أرى فيـــــه ارتيابـــــا

فقال أبوه : والله أيها القاضي ما تعلم هاتين الآيتين إلا البارحة ، لأنه سرق مصحفاً من بعض جيراننا . فقال القاضي : قبحكم الله ، أحدكما يقرأ كتاب الله ولا يعمل به .

الشافعي(١) يتحدث عن غافل

وعن المزن(٢) أنه قال : سمعت الشافعي يقول : قرأ رجل فما لكم في المنافقين قيس قيل : فما قيس؟ قال : يقتاسون به .

ينسب إلى القرآن ما ليس منه

قال : حدثني أبو بكر محمد بن جعفر السواق قال : كان علي وعد أنفذه لابن عبدان الصيرفي ، فأخرته لضرورة ، فجاءني يقتضيني وقال لي ، في عرض الخطاب : أقول لك يا أبا بكر كما قال الله تعالى وشديد عادة منتزعة فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله ما قال من هذا شيئاً . فاستحيا وقام ، فما عاد لي أياماً ، فلما حضرت الدراهم أنفذتها إليه .

غفلة الابن والأب

وعن يحيى بن أكثم(٣) قال : قدم رجل ابنه إلى بعض القضاة ليحجر عليه فقال

(١) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلِبيّ القرشيّ هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي ، ومؤسس علم أصول الفقه ، وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث ، وقد عمل قاضياً فعُرف بالعدل والذكاء .

(٢) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق بن مسلم بن نهدلة بن عبد الله المصري . قال المصنف في الطبقات : كان المزني زاهدا عالما مجتهدا مناظرا محجاجا غواصا على المعاني الدقيقة .

(٣) يحيى بن أكثم بن مُحمّد التميمي ، عالِم وإمام وفقيه وراوٍ للحديث النبوي وقاضي قضاة أهل البصرة ويُعّد من تبع التابعين .

فيم؟ قال للقاضي : أصلحك الله ، إن كان يحسن آيتين من كتاب الله فلا تحجر عليه ، فقال له القاضي : اقرأ يا فتى ، فقال :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال أبوه : أصلحك الله إنه قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه . فحجر القاضي عليهما . وعن أبي عبد الله الشطيري قال : كان إبراهيم يقرأ على الأعمش[1] فقال : «قال لمن حوله ألا تستمعون» فقال الأعمش : لمن حوله . فقال : ألست أخبرتني إن من تجر ما بعدها؟ .

تصحيفات حماد

قال : حدثني الدراقطني[2] قال : ذكر أبو بكر عن حماد أن قرأ والغاديات صبحا بالغين المعجمة والصاد المهملة فأخبروا بذلك عقبة فامتحنه بالقراءة في المصحف فصحف في آيات عدة فقرأ ومما يغرسون وعدها أباه أصبت من أساء ، فبادوا ولات حين ، لا يسع الجاهلين ، فأنا أول العائدين . كل خباز .

قال : حدثني الدارقطني قال : حدثنا علي بن موسى[3] قال : قرأ أبو أحمد العراقي على عبد الله بن أحمد بن حنبل[4] «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل

---

(١) أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد ، المعروف بالأعمش من علماء الكوفة المشهورين . ولد الأعمش في الكوفة وأصله من بلاد الري ، لحق بأنس بن مالك وكلمه ، لكنه لم يرو عنه شيء . كان عالما بالقرآن ، والحديث ، والفرائض حيث روى نحو حديث .

(٢) هو الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي ويلقب بـ الدارقطني ولد بدار القطن ، بغداد المقرئ ، المحدث ، اللغوي ، الأديب صاحب المؤلفات المتقنة في علوم القرآن والحديث .

(٣) أبو الحسن علي بن موسى الرضا (وُلد في المدينة المنورة في ١١ ذي القعدة ١٤٨ هـ وتُوفِّي في طوس في صفر ٢٠٣ هـ) هو ثامن الأئمة الاثنا عشر . لقب بغريب الغرباء كونه دفن في بلاد فارس بعيدًا عن أرض أبائه العرب .

(٤) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي ، حافظ للحديث ، من أهل بغداد ، والده هو الإمام أحمد بن حنبل ، وأمه اسمها ريحانة ، تزوجها الإمام أحمد بعد وفاة زوجته الأولى عباسة أم ابنه صالح بن أحمد بن حنبل ، وأنجبت له ريحانة ابنه عبد الله هذا .

الصالح يرفعه» بكسر العين فقال له إنما هو «يرفعه» قال : هكذا الوقف عليه . قال الدارقطني : حدثنا النقاش قال : كنت بطبرية الشام أكتب على شيخ فيها عنده جزء فيه عن أبي عمرو الدوري وكان فيه أن يحيى بن معمر قرأ إن لك في النهار شيخاً طويلاً فقرأ على الشيخ وعلى من كان يسمع معه شيخاً بالشين المعجمة وبالخاء والياء .

نصيحة جار لجاره

كان رجل كثير المخاصمة لامرأته ، وله جار يعاتبه على ذلك ، فلما كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربها ، فاطلع عليه جاره ، فقال : يا هذا ، اعمل معها كما قال الله تعالى : إما إمساك إيش اسمه أو تسريح ما أدري إيش .

صاحب الظالم

وجه فزارة صاحب مظالم البصرة رجلاً يوماً في حاجة فقضاها ورجع إليه ، فقال فزارة أنت كما قال الله تعالى :

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيماً ولا توصه

يتبرأ من ابنه لجهله

قال رجل لابنه وهو في المكتب : في أي سورة أنت؟ قال : في أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد فقال أبوه : لعمري من كنت ابنه فهو بلا ولد .

وقال المأمون[1] لبعض كتابه : ويلك ما تحسن تقرأ؟ قال : بلى والله ، إني لأقرأ من سورة واحدة ألف آية

وقال ابن الرومي[2] : خرج رجل إلى قرية فأضافه خطيبها فأقام عنده أياماً ،

(١) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ، ولد عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ وتوفي غازيا في ١٩ رجب عام ٢١٨ هـ ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣ بطرسوس ، شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول وذلك لأنه شارك فيها بنفسه .

(٢) هو أبوالحسن علي بن العباس بن جريج ،وقيل جورجيس ، المعروف بابن الرومي شاعر من شعراء القرن الثالث الهجري في العصر العباسي .

فقال له الخطي : أنا منذ مدة أصلي بهؤلاء القوم وقد أشكل علي في القرآن بعض مواضع ، قال : سلني عنها ، قال : منها في «الحمد لله» ، «إياك نعبد وإياك» أي شيء تسعين أو سبعين؟ أشكلت علي هذه فأنا أقولها تسعين ، آخذ بالاحتياط .

تصحيف في أسماء الأعلام

قال أبو بكر بن أبي أويس : بينا عبيد الله بن زياد(٢) يحدث انتهى إلى حديث شهر بن حوشب(٢) فقال : حدثني شهر بن خوشب ، فقلت : من هذا؟ فقال : رجل من أهل خراسان ، اسمه من أسماء العجم ، فقلت : لعلك تريد شهر بن حوشب . فعلمنا أنه يأخذ من الكتب .

وعن عوام بن إسماعيل قال : جاء حبيب كاتب مالك يقرأ على سفيان بن عيينة(٣) ، فقال : حدثكم المسعودي عن جراب التيمي ، فقال سفيان : ليس هو جراب إنما هو خوات . وقرأ عليه : حدثكم أيوب عن ابن شيرين . فقال : ليس كذلك إنما هو سيرين . وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه يقول حكاية عن بعض شيوخه قال : قال رجل لهشيم : يا أبا معاوية أخبركم أبو حرة عن الحسن . فقال هشيم : أخبرنا أبو حرة عن الحسن ووصف شيخنا ضحك هشيم هه هه . وعن محمد بن يونس الكندي أنه قال : حضرت مجلس مؤمل بن إسماعيل فقرأ عليه رجل من أهل المجلس : حدثكم سبعة وسبعين ، فضحك المؤمل وقال للفتى : من أين؟ فقال : من مصر . حدثنا إسحاق قال : كنا عند جرير ، فأتاه رجل وقال : يا أبا عبد الله تقرأ علي هذا الحديث ، فقال : وما هو؟ قال : حدثنا خربز عن رقبة ، قال : ويحك أنا جرير .

---

(١) عبيد الله بن زياد بن أبيه ـ ويلقب بأبي حفص ـ هو والي العراق ليزيد بن معاوية . ولي البصرة سنة ٥٥ هـ ، كما ولي خراسان . هو الذي أمر بقتل الإمام الحسين بن علي . قتله إبراهيم بن الأشتر النخعي سنة ٦٧ هـ .

(٢) شهر بن حوشب أبو سعيد الأشعري الشامي مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية كان من كبار علماء التابعين حدث عن مولاته أسماء وعن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وغيرهم .

(٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي إمام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع . وقد ولد في الكوفة سنة ١٠٧ هـ وتوفي ١٩٨ هـ . أجمع الناس على صحة حديثه وروايته .

تصحيف أدى إلى جريمة

حدثنا محمد بن سعيد قال : سمعت الفضل بن يوسف الجعفي يقول : سمعت رجلاً يقول لأبي نعيم : حدثتك أمك ، يريد حدثك أمي الصيرفي . قال أبو نعيم : كتب عبد الملك إلى أبي بكر بن حزم أن احص من قبلك من المخنثين ، فصحف الكاتب فقرأ بالخاء فخصاهم . فقال بعض المخنثين : اليوم استحققنا هذا الاسم .

حدثنا يحيى بن بكير قال : جاء رجل إلى البشير بن سعد فقال : كيف حدثك نافع عن النبي ﷺ : في الذي نشرت في أبيه القصة فقال الليث : ويحك إنما هو في الذي يشرب في آنية الفضة .

تصحيف في السند

قال الدارقطني : وحدثني محمد بن يحيى الصولي[1] قال : حدثنا أبو العيناء[2] قال : حضرت مجلس بعض المحدثين المغفلين فأسند حديثاً عن النبي ﷺ عن جبرائيل عن الله عن رجل ، فقلت : من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله؟ فإذا هو قد صحفه ، وإذ هو عز وجل . وقد نبأنا بهذه الحكاية أبو عبد الله الحسين بن محمد البارع قال : سمعت القاضي أبا بكر بن أحمد بن كامل يقول : حضرت بعض المشايخ المغفلين فقال : عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عن وجل . فقلت : من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله ، فإذا هو عز وجل وقد صحفه .

ضحى بهرة

قال : حدثنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق الخلال قال : قال إبراهيم الحربي : قدم

(١) أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله ، نسبته إلى جده «صول تكين» ، الذي كان وأهله ملوكا بجرجان ، كان أحد العلماء بفنون الأدب ، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء . توفي في البصرة سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م .

(٢) العلامة ، الأخباري أبو العيناء ، محمد بن القاسم بن خلاد البصري ، الضرير النديم . ولد بالأهواز ، ونشأ بالبصرة .

علينا محمد بن عباد المهلبي[١] فذهبنا إليه فسمعنا منه ولم يكن بصيراً بالحديث ، حدثنا بحديث فقال : إن النبي ﷺ ضحى بهرة وغلط ، إنها التصقت الباب بالقاف .

لحق التصحيف باسمه

قال : سمعت محمد بن حمدان يقول : سمعت صالحاً يعني جزرة يقول : قدم علينا بعض الشيوخ من الشام وكان عنده كراس فيه عن جرير ، فقرأت عليه : حدثكم جرير عن ابن عثمان أنه كان لأبي أسامة خرزة يرقي بها المريض ، فصحفت أنا الخرزة ، فقلت : كان لأبي أسامة جزرة ، قال الخطيب : وبهذا سمي صالح جزرة .

شرف لا تستحقونه

قال : حدثنا أبو الحسن الدارقطني أن أبا موسى محمد بن المثنى قال لهم يوماً : نحن قوم لنا شرف ، نحن من عنزة ، وقد صلى النبي ﷺ إلينا ، لما روي أن رسول الله ﷺ صلى إلى عنزة ، توهم أنه صلى إليهم وإنما العنزة التي صلى إليها النبي ﷺ هي حربة كانت تحمل بين يديه فتنصب فيصلي إليها .

تعزية غير موفقة

وعن عبد الله بن أبي بكر السهمي قال : دخل أبي على عيسى بن جعفر بن المنصور وهو أمير البصرة ، فعزاه عن طفل مات له ، ودخل عليه شبيب بن شيبة فقال : أبشر أيها الأمير فإن الطفل لا يزال محبنظئاً على باب الجنة ويقول : لا أدخل حتى يدخل والدي ، فقال له : يا أبا معمر ، دع الظاء والزم الطاء ، فقال له : أنت تقول لي هذا وما بين لابتيها أفصح مني! فقال له أبي : فهذا خطأ ثان ، من أين للبصرة لابة!؟ واللابة الحجارة السود والبصرة حجارة بيض قال : فكان كلماً انتعش انتكس .

---

(١) المهلبي السيد الجواد حاتم زمانه أمير البصرة محمد ابن محدث البصرة عباد بن عباد بن حبيب ابن الأمير المهلب بن أبي صفرة الأزدي المهلبي روى عن أبيه وهشيم وعنه الكديمي وأبو العيناء وإبراهيم الحربي .

تصحيف في الأسماء

وعن أبي حاتم الرازي[1] أنه قال : كان عمر بن محمد بن الحسين يصحف فيقول : معاد بن حبل ، حجاج بن قراقصة ، وعلقمة بن مريد فقلت له : أبوك لم يسلمك إلى الكتاب؟ فقال : كانت لنا صبية شغلتنا عن الحديث .

المناظرة تكشف الجهال

قال الدارقطني : وأخبرني يعقوب بن موسى قال : قال أبو زرعة[٢] : كان بشر بن يحيى بن حسان من أصحاب الرازي وكان يناظر فاحتجوا عليه بطاووس فقال : يحتجون علينا بالطيور . قال أبو زرعة : وبلغني أنه ناظر إسحاق في القرعة فاحتج عليه إسحاق بالأحاديث الصحيحة فأفحمه ، فانصرف ، ففتش كتبه فوجد في حديث النبي ﷺ القزع فصحف بالراء فانصرف وقال لأصحابه : قد وجدت حديثاً أكسر به ظهره ، فأتى إسحاق فأخبره فقال : إنما هو القزع .

تصحيف يجعل الحلال حراماً

وسأل حماد بن يزيد غلامٌ فقال : يا أبا إسماعيل حدثك عمر أن النبي ﷺ نهى عن الخبز ، قال : فتبسم حماد وقال : يا بني إذا نهى عن الخبز فمن أي شيء يعيش الناس؟ وإنما هو نهى عن الخمر .

(١) هو أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورسامي أو أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورسامي الليثي فيلسوف و متكلم إسماعيلي ، توفي سنة ٣٢٢هـ وإليه يُنسب «كتاب الزينة» وكتاب آخر بعنوان «الجامع» فيه فقه وغير ذلك .

(٢) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ . كنيته أبو زرعة وقد اشتهر بهذه الكنية . يقال له الرازي نسبة إلى الري بزيادة زاي وهي بلده ويقال له القرشي المخزومي نسبة إلى قبيلة .

الضبي يكفيه كفن واحد

وعن يحيى بن معين[١] قال: قدم داود بن أبي هند[٢] عليهم الكوفة فقام مستملي أهل الكوفة فقال: كيف حديث سعيد يكفن الضبي في ثوب واحد؟ يريد يكفن الصبي في ثوب واحد.

اللحن خير من المسخ

وعن الحسن بن البراء قال: كان لعمر بن عون[٣] وراق يلحن فأخره وتقدم إلى وراق أديب أن يقرأ عليه، فقرأ: حدثكم هسيم، فقال: ردونا إلى الأول فإنه يلحن وهذا يمسخ.

وجاء رجل إلى الليث بن سعد[٤] فقال: كيف حدثك نافع عن النبي ﷺ في الذي نشرت في أبيه القصة؟ قال: حدث أبو حفص بن شاهين عن النبي ﷺ أنه قال: يوشك أن الضعينة بلا خفير فصحفت، فقال: بلا خفين.

الكتاب يصحح للقاضي

كان حيان بن بشر قد تولى قضاء بغداد وأصبهان وكان من جملة رواة الحديث فروى يوماً: أن عرفجة قطع أنفه يوم الكلام، وكان مستمليه رجلاً من أهل كجة فقال: أيها القاضي إنما هو الكلاب، فأمر بحبسه فدخل الناس إليه فقالوا: ما دهاك؟ فقال: قطع أنف عرفجة في الجاهلية وابتليت أنا به في الإسلام.

---

(١) يحيى بن معين هو الإمام الحافظ، إمام الجرح والتعديل، شيخ المحدثين أحد كبار علماء الحديث النبوي عند أهل السنة والجماعة.

(٢) دينار بن عذافر، الإمام الحافظ، الثقة أبو محمد الخراساني ثم البصري، من موالي بني قشير فيما قيل. ويقال: كنيته أبو بكر. حدث عن سعيد بن المسيب، وأبي عثمان النهدي، وعامر الشعبي.

(٣) عمرو بن عون ابن أوس بن الجعد، الحافظ المجود الإمام أبو عثمان السلمي الواسطي البزاز.

(٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن بن عقبة الفهمي أبو الحارث الإمام الفقيه الحافظ الحجة، شيخ الإسلام في مصر، ولد في قرية قلقشندة من أعمال محافظة القليوبية بدلتا مصر سنة ٩٤ هـ.

تصحيف منكر

وعن عبد الله بن ثعلبة[1] قال : كان رسول الله ﷺ يمسح وجهه من القيح . قال عبد الله : أخطأ فيه وصحف يعني المخزومي إنما هو الفيح .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : لعن رسول الله ﷺ الذي يشققون الخطب تشقيق الشعر ، قال أبو نعيم شهدت وكيعاً مرة يقول : يشققون الحطب ، فقلت : بالحاء؟ قال : نعم . عن عامر بن صعب قال : اعتكفت عائشة عن أختها بعدما ماتت ، كذا قال : وإنما هو اعتقت .

حديث معناه يدل على ضعفه

قال : حدثنا الشافعي قال : قيل لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ قال : إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً وصلت خلف المقام ركعتين؟ قال : نعم .

طالب ذو عفة

قال : حدثنا إسحاق بن وهب قال : كنا عند يزيد بن هارون[2] وكان له مستمل يقال له : بريح . فسأله رجل عن حديث ، فقال يزيد : حدثنا به عدة ، فصاح به المستملي : يا أبا خالد عدة ابن من؟ قال : عدة بن فقدتك .

عم الرجل صنو أبيه

قال : حدثني الفضل بن أبي طاهر قال : صحف رجل في قول النبي ﷺ عم الرجل صنو أبيه فقال : عم الرجل ضيق آنية .

---

(١) ابن صعير الشيخ أبو محمد العذري المدني ، حليف بني زهرة «حدث عن : أبيه ، وعمر بن الخطاب ، وجابر . وليس هو بالمكثر . وكان شاعرا ، فصيحا ، نسابة» .

(٢) يزيد بن هارون (١١٨ - ٢٠٦هـ = ٧٣٦- ٨٢١م) . هو يزيد بن هارون بن زاذان ، أبو خالد الواسطي . الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، الحافظ ، وهو من التابعين .

وارث بثينة

وعن زكريا بن مهران قال : صحف رجل لا يورث حميل إلا ببينة الحميل اللقيط فقال : بثينة .

قال : حضرت أحمد بن يحيى بن زهير ورجل من أصحاب الحديث يقول له : كيف الزبير بن خريت؟ فقال له ابن زهير : لا خريت ولا كنت ، إنما هو خربت ، والخربت الدليل الحاذق .

الأجرة صارت أجرة

قال العسكري[(١)] : روى شيخ مغفل أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجاج آجرة بضم الجيم وتشديد الراء .

تصحيف في شعر

قال العسكري : وأنبأ أبو بكر بن الأنباري قال : حدثنا أبي قال : قرأ القطربلي[(٢)] على ثعلب بيت الأعشى :

فلو كنت في حب ثمانين قامةً ورقيت أسباب السماء بسلم

قال له أبو العباس : خرب بيتك هل رأيت حباً ثمانين قامة قط؟ إنما هو جب .

صحف الحديث وفسر التصحيف

قال حجاج : جاء رجل إلى عبد القدوس بن حبيب[(٣)] فقال له : أعد علي

(١) أبو هلال العسكريّ . الحَسَن بْن عَبْد الله بْن سهل بْن سَعِيد بْن يحيى بْن مِهْران العسكري اللُّغَويّ ، الأديب ، والشاعر .

(٢) أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي القرطبلي عالم عربي مسلم يكنى باسم الخوارزمي وأبو جعفر .

(٣) هو عبد القدوس بن حبيب أبو سعيد الكلاعي الوحاظي الشامي ذكره البخاري في التاريخ الكبير فقال : ((عبد القدوس بن حبيب عن أبي عبد الله الشرعبي قاله بن وهب عن حيوة قال إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا عبد القدوس بن حبيب الكلاعي عن عكرمة عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ بحديث منكر وروى إبراهيم بن طهمان عن عبد القدوس بن حبيب =

الحديث الذي حدثت به ، فقال : لا تتخذوا شيئاً فيه الروح عرضاً بالعين المهملة والراء المفتوحة ، فقال له الرجل : ما معنى هذا؟ فقال : هو الرجل يخرج من داره القسطرون ، يعني الروشن والكنيف . قلت : وهذا صحف الحديث وفسره على التصحيف ، وإنما الحديث لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً بالغين المعجمة .

المرء حيث يهوى قلبه

حدثنا سعيد بن عمر قال : قال أبو زرعة : أظن القاسم بن أبي شيبة رأى في كتاب إنسان عن ابن فضيل عن أبيه عن المغير عن سعيد بن جبير المرجية يهود القبلة فعلقه ولم يضبطه ، فكان يحدث به عن ابن فضيل فيقول : المرء حيث يهوى قلبه .

يريد إخراج كتاب تفسير وهو جاهل

قال الدارقطني : وسمعت أبا العباس ابن أبي مهران[(١)] يقول : كان ابن جميل الرازي يريد أن يخرج التفسير فأخرجه في رقاع ، فأخرج ذات ليلة رقعة إلى الوراقين فقال : الأكثرون هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا في أي سورة هو؟ فقال له الوراق : ليس هذا من القرآن . فخجل ولم يخرج التفسير بعد .

= الشامي عن عاصم بن عبد الله البجلي مرسل ويروي عبد القدوس عن نافع عن مجاهد والشعبي ومكحول وعطاء أحاديث مقلوبة)) و قد ضعفه عدد من أئمة الجرح و التعديل : ((قال عبد الرزاق ما رأيت بن المبارك يفصح بقوله كذاب الا لعبد القدوس وقال الفلاس اجمعوا على ترك حديثه وقال النسائي ليس بثقة وقال بن عدي أحاديثه منكرة الإسناد والمتن . . .)) ـ كتاب : لسان الميزان من اسمه عبد القدوس ـ .

(١) أبو العباس السَّرَّاج محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران أبو العباس السراج السَّرَّاج محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران ، الإمام الحافظ الثقة .

استفتاء محير

قال سمعت البرقاني[١] يقول : قال لي الأهوازي الفقيه[٢] : كنت عند يحيى بن محمد بن صاعد[٣] فجاءته امرأة فقالت له : أيها الشيخ ما تقول في بئر سقطت فيها دجاجة فماتت ، هذا الماء طاهر أم نجس؟ فقال يحيى : ويحك كيف سقطت الدجاجة في البئر؟ قالت : لم تكن البئر مغطاة ، قال يحيى : ألا غطيتها حتى لا يقع فيه شيء ، قال الأهوازي فقلت : يا هذه إن كان الماء قد تغير وإلا فهو طاهر .

ما أفصح كلامه

قال : كنا عند بندار فقال في حديث عن عائشة قال : قالت رسول الله ﷺ ، فقال رجل يسخر به : أعيذك بالله ما أفصحك ، فقال : كنا إذا خرجنا من عند روح دخلنا إلى أبي عبيدة . فقال : قد بان ذلك عليك .

العلماء قد يقعون في التصحيف

قال : حدثنا عبد الله بن موسى ، والفريابي[٤] عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب قال : برز عيينة وشيبة والوليد فقالوا : من يبارز؟ فخرج من الأنصار ، قال عبد الله ، ستة ، والفريابي ، شيبة ، قال الدارقطني : قوله ستة تصحيف والأصح ما قاله الفريابي ، لأن الذين خرجوا من الأنصار ثلاثة .

---

(١) الإمام الحافظ شيخ الفقهاء والمحدثين أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي البرقاني الشافعي شيخ بغداد .

(٢) وهو الشيخ الإمام ، العلامة ، مقرئ الآفاق أبو علي ، الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأهوازي ، نزيل دمشق .

(٣) ابن صاعد هو أحد رواة الحديث ، اسمه أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب الهاشمي البغدادي ، ولد في عام ٢٢٨ هـ ، رحل ابن صاعد إلى الشام ومصر والحجاز ، توفي سنة ٣١٨ هـ ، صاحب كتاب مسند ابن أبي أوفى .

(٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي الفريابي ، أحد كبار رواة الحديث عند أهل السنة والجماعة . صحب سفيان الثوري مدة بالكوفة ، وكتب أحمد بن حنبل الحديث عنه بمكة ، وهو من أكبر شيوخ البخاري . سكن قيسارية من ساحل فلسطين وتوفي بها .

تصحيف في الأحاديث

قال الدارقطني : وقرأت في أصل أبي عبد الله بن مخلد[(١)] عن يحيى بن معين[(٢)] قال : قال الوراق في حديث عائشة : أن النبي ﷺ لما أتى البقيع حساً رأيته .

قال الدارقطني : حدثنا أبي قال : ورد يحيى بن آدم فقال : أخطأ في حديث كعب ، قال : قال الله أنا أشج وأداوي ، وأخطأ يحيى قبيحاً فقال : أسحر وأداوي .

قال أبو الهيثم القاضي : سمعت أحمد بن صالح يقول : قدمت أبلة فتلقيت سلامة بن روح فسمعته يحدث حديثاً لسقيفة فقال فيه : ولا بيعة للذي بايع بعرة أن يفتلا ، فقلت : إنما هو تغرة أن يقتلا فقال لي : لا ، هو كما قلت لك ، قلت : فما معناه؟ قال : البعرة تفتلها في يدك تفتيلاً فتنتشر .

قال الدارقطني : أملى علينا أبو بكر الصولي حديث أبي أيوب من صام رمضان واتبعه ستاً من شوال فقال : شيئاً من شوال .

وروى أحمد بن جعفر الحنبلي[(٣)] حديث أبي سعيد لا حليم إلا ذو عثرة فقال : غيرة بالغين المعجمة والياء . قال الدارقطني : وحدثنا محمد بن أحمد قال : أملى علينا أبو شاكر مولى المتوكل في حديث اكتحلوا وتراً واذهبوا عنا أراد وادهنوا غباً . قال وقد روى ابن لهيعة[(٤)] أن رسول الله ﷺ احتجم في المسجد ، وإنما هو احتجر .

خطأ الفقيه

قال الدارقطني : بلغني أن امرأة جاءت إلى علي بن داود وهو يحدث وبين يديه

---

(١) محمد بن مخلد ابن حفص ، الإمام الحافظ الثقة القدوة أبو عبد الله ، الدوري ثم البغدادي العطار الخضيب .

(٢) يحيى بن معين هو الإمام الحافظ ، إمام الجرح والتعديل ، شيخ المحدثين أحد كبار علماء الحديث النبوي عند أهل السنة والجماعة .

(٣) الشيخ العالم المحدث مسند الوقت أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادي القطيعي الحنبلي ، راوي «مسند الإمام» .

(٤) عبدالله بن لهيعة ، من أهل العلم من يرده ومنهم من يقبله ك/ أحمد شاكر ومنهم من يفصل- منهم من يرده مطلقاً ومنهم من يقبله- ومنهم من يفصل ويقول : إذا روى عنه العبادلة : عبد الله بن يزيد المقرىء وعبدالله بن وهب وعبدالله بن المبارك ، وأضاف بعضهم عبدالله بن مسلمة .

مقدار ألف نفس ، فقالت له : حلفت بصدقة إزاري ، قال : بكم اشتريته؟ قالت : باثنين وعشرين درهماً ، قال : فصومي اثنين وعشرين ، قال : فلما مرت أخذ يقول : آه آه ، غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار .

ينسب شعراً إلى النبي

حدثني محمد بن عدي البصري قال : رأيت رجلاً وهو يقول : قال النبي ﷺ : مجزوء الوافر :

مـــن بـــر يوماً بـــر بـــه   والدهـــــــر لا يغـــتر بـه

لا يجيب حتى يسأل أباه

قال : حدثنا محمد بن عيسى ، قال : حدثنا عباس قال : سمعت يحيى بن معين يقول عن سعيد بن مسلم : كان عنده كتاب عن منصور ، فقال له رجل : سمعت هذا الكتاب؟ فقال : حتى يجيء أبي وأسأله .

قال الدراقطني : سمعت حمزة السهمي يقول : سمعت على شيخ وأخذنا بكتابة السماع ، فقال : اكتبوا اسمي معكم . فقلت للإسماعيلي : من الغفلة ذلك؟ قال : نعم . .

لا يكتب اسمه لمن لا يعرفه

حدثني أبو الحسن بن خلف الفقيه قال : كتب لنا بعض المشايخ خطه في إجازة ولم يكتب اسمه فقلنا له : اكتب اسمك ، فقال : والله لا أفعل ولا أكتب اسمي لمن لا أعرفه .

جمع العلم وفاته حكم بسيط

وعن أحمد بن علي بن ثابت قال : قرأت في كتاب أبي الفتح عبد الله بن أحمد النحوي بخطه : سمعت القاضي أحمد بن كامل(١) يقول : ما جمع أحد من

(١) الشيخ الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ، البغدادي ، تلميذ محمد بن جرير الطبري .

العلم ما جمع محمد بن موسى البربري ، ودخلت عليه يوماً وهو مغموم فقلت له : ما بك؟ فقال : فلانة يعني امرأته حملتني على أن أعتقت هذه الجارية وقد بقيت لا أمة لي تخدمني ولا أحد يعينني ، قلت : وأي شيء مقدار ثمن الجارية؟ فقال : إن امرأتي دفعت إلي دنانير أشتري لها بها جارية فاشتريت هذه الجارية ، فقلت : تعتق ما لا تملك؟ قال : كأنه لا يجوز ، قلت : لا ، الجارية لها على ملكها . فجعل يدعو لي .

قال الجاحظ : أمليت مرة على إنسان عمراً فاستملى ستراً وكتب زيداً .

لا يفهم رغم التكرار

قال إسماعيل بن محمد الحافظ : كنا بمجلس نظام الملك فأملى مجزوء الكامل :

أفٍّ للدنيا الدنية ... دراهم وبلية

فقال المستملي : وتلية؟ فقيل له : وبلية . فقال : وملية ، فضحك الجماعة ، فقال النظام : اتركوه . ذكر محمد بن الحسن عن بعض المغفلين ، وقيل له : فلان مات في الري ، فقال : إلى الري رحلتان لا أدري في أيهما مات .

لم يوفقوا في العالم البديل

قال : سمعت أحمد بن محمد بن عيسى الوراق يقول : سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي يقول : سمعت أبي يقول : كتب إلي صالح بن محمد العبادي أن محمد بن يحيى لما مات أجلسوا مكانه محدثاً يعرف بحمد بن يزيد فأملى عليهم يا أبا عمير ما فعل البعير وأملى عليهم : لا تصحب الملائكة رفقة فيها حرس ؛ يعني الذئب .

صحفوا قول عمر

وذكر أبو سليمان الخطابي[1] : أن عبد الله بن عمار قال : سرقت مني عبية

(١) الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي (٣١٩ هـ - ٣٨٨ هـ / ٩٣١م - ٩٨٨م) ، ولد بمدينة بست سنة بضع عشرة وثلاث مئة كان فقيها محدثا أديبا تلقى الحديث في العراق على يد أبو علي الصفار وأبو جعفر الرزاز وغيرهما ، كما أنّه من نسل الصحابي زيد بن الخطاب .

ومعنا رجل متهم ، فجئت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقلت : قد هممت أن آتي به مصفوداً ، فقال : بغير بينة؟ قال الخليل : هذا مما صحف فيه الراوي ، إنما قال : عمر : تفترسه ، يعني تتقوى عليه لأنه لو أقام البينة لم يكن له في الحكم تكتيفه . ويحكى أن يحيى بن معين قال : صحف رجل في حديث أبي عبيدة أنه كان على الحسر ، فروى على الجسر ، والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه . قال الخطابي : وصحف بعضهم : لو صليتم حتى تكونوا كالحنائز . وصحف آخر في حديث يأجوج ومأجوج أنها إذا هلكت أكلت منها دواب الأرض فتشكر أي تسمن . فصحف فقال : تسكر ، من سكر الشراب .

تصحيف بالغ

وحكى لنا أبو بكر ابن عبد الباقي البزاز ، صحف رجل فقال : حدثنا سقنان البوري عن جلد المجدا عن اتش عن النبي ﷺ قال : اذهبوا عنا . أراد سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن أنس عن النبي ﷺ قال : ادهنوا غباً .

كره أن يغيظ السيدة عائشة

قال محمد بن زياد : كان عيسى بن صالح بن علي يحمق ، وكان له ابن يقال له : عبد الله ، من عقلاء الناس فتولى عيسى جند قنسرين فاستخلف ابنه على العمل ، قال ابنه : فأتاني رسوله في بعض الليل يأمرني بالحضور في وقت مبكر لا يحضر فيه إلا لأمر مهم ، فتوهمت أن كتاباً ورد من الخليفة في بعض الأشياء التي يحتاج فيها إلى حضوري وحضور الناس ، فلبست السواد وتقدمت بالبعثة ، إلى وجوه القواد ، وركبت إلى داره ، فلما دخلتها سألت الحجاب هل ورد كتاب من الخليفة أو حدث أمر؟ فقالوا لم يكن من هذا شيء ، فصرت من الدار إلى موضع تخلف الحجاب عنه ، فسألت الخدام أيضاً ، فقالوا مثل مقالة الحجاب ، فصرت إلى الموضع الذي هو فيه ، فقال لي : أدخل يا بني ، فدخلت فوجدته على فراشه ، فقال : علمت يا بني أني سهرت الليلة في أمر أنا مفكر فيه إلى الساعة ، قلت : أصلح الله الأمير ، ما هو؟ قال : اشتهيت أن يصيرني الله من الحور العين ويجعل في الجنة زوجي يوسف النبي فطال في ذلك فكري ، قلت : أصلح الله الأمير ، فالله عز وجل قد جعلك رجلاً فأرجو أن يدخلك الجنة ، ويزوجك من الحور العين ، فإذا وقع هذا في فكرك

فهلا اشتهيت محمداً ﷺ أن يكون زوجك فإنه أحق بالقرابة والنسب وهو سيد الأولين والآخرين في أعلى عليين؟ فقال : يا بني لا تظن أني لم أفكر في هذا فقد فكرت فيه ولكن كرهت أن أغيظ السيدة عائشة .

حمل كتابه بنفسه

حدثنا المدائني[(١)] قال : جاء رجل من أشراف الناس إلى بغداد ، فأراد أن يكتب إلى أبيه كتاباً يخبره ، فلم يجد أحداً يعرفه فانحدر بالكتاب إلى أبيه وقال : كرهت أن يبطىء عليك خبري ولم أجد أحداً يجيء بالكتاب فجئت أنا به ودفعه إليه .

ضرب الخصمين لأن بينهما الظالم

قال ابن خلف : واختصم رجلان إلى بعض الولاة فلم يحسن أن يقضي بينهما فضربهما وقال : الحمد لله الذي لم يفتني الظالم منهما .

أخبرني سعيد بن جعفر الأنباري قال : سمعت أبي يقول : غضب أبو الخيثم على عامل له فكلم في الرضاء عنه فقال : لا والله أو يبلغني عنه أنه قبل رجلي .

صاحب مظالم قليل العقل

قال أبو عثمان الجاحظ[(٢)] : كان فزارة صاحب مظالم البصرة وكان أطول خلق الله لحية وأقلهم عقلاً وهو الذي قال فيه الشاعر :

ومن المظالم أن تكون على المظالم يا فزاره

أخذ الحجام يوماً من شعره فما فرغ دعا بمرآة فنظر فيها فقال للحجام : أما شعر

---

(١) هو علي بن محمد المدائني ، مولى عبد الرحمن بن سُمرة القرشي ، أصله من البصرة ، سكن المدائن فنسب إليها ، وقد ولد في أوائل العصر العباسي سنة ١٣٥هـ ، وعاش نحو تسعين عاماً ، ومات سنة ٢٢٥هـ .

(٢) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري (١٥٩ هـ- ٢٥٥ هـ) أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها . مختلف في أصله فمنهم من قال بأنه عربي من قبيلة كنانة ومنهم من قال بأن أصله يعود للزنج وأن جده كان مولى لرجل من بني كنانة وكان ذلك بسبب بشرته السمراء .

رأسي فقد جودت أخذه ، ولكنك والله يا ابن الخبيثة سلحت على شاربي ووضع يديه عليه . وسمع فزارة يوماً صياحاً فقال : ما هذا الصياح؟ فقالوا : قوم يتكلمون في القرآن . فقال : اللهم أرحنا من القرآن .

واجتاز به صاحب دراج فقال : بكم تبيع هذا الدراج؟ فقال : واحد بدرهم . قال : لا ، قال : كذا بعت ، قال : نأخذ منك اثنين بثلاثة دراهم ، قال : خذ ، فقال : يا غلام أعطه ثمن اثنين ثلاثة دراهم فإنه أسهل للمبيع .

خطاب أعراب ولي على كورة

وبلغنا أن المهلب ولى بعض الأعراب كورة بخراسان وعزل واليها فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اقصدوا لما أمركم الله به ، فإنه رغبكم في الآخرة الباقية وزهدكم في الدنيا الفانية ، فرغبتم في هذه وزهدتم في تلك ، فيوشك أن تفوتكم الفانية ولا تحصل لكم الباقية فتكونوا كما قال الله تعالى لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت واعتبروا بالمغرور الذي عزل عنكم سعى وجمع فصار ذلك كله إلي على رغم أنفه وصار كما قال الله سبحانه وتعالى :

أبشري أم خالـــد   رب ساعٍ لقاعـــد

ثم نزل عن المنبر .

أعرابي يخطب الجمعة

وبلغنا أن يزيد بن المهلب(١) ولى أعرابياً على بعض كور خراسان فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر وقال : الحمد لله ، ثم ارتج عليه ، فقال : أيها الناس إياكم والدنيا فإنكم لم تجدوها إلا كما قال الله تعالى : الوافر :

وما الدنيا بباقية لحـــي   وما حي على الدنيا بباقي

فقال كاتبه : أصلح الله الأمير هذا شعر ، قال : فالدنيا باقية على أحد؟ قال : لا ، قال : فيبقى عليها أحد؟ قال : لا ، قال : فما كلفتك إذن؟

---

(١) يزيد بن المهلب بن سراق بن صحيح بن كندة بن عمرو بن وائل بن الحارب بن العتك بن الأسد بن عمران بن عمرو (مزبقياء) بن عأمر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوف بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدي القحطاني .

خلقت السموات والأرض في ستة أشهر

وبلغنا أن بعض العرب خطب في عمل وليه فقال في خطبته : إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر . فقيل له في ستة أيام ، فقال : والله أردت أن أقولها ولكن استقللتها .

قصص منصور بن النعمان

قال : حدثنا أبو بكر النقاش قال : كتب كاتب منصور بن النعمان إليه من البصرة أنه أصاب لصاً فكره الإقدام على قطعه دون الاستطلاع على أمره ، وأنه خياط ، فكتب إليه : إقطع رجله ودع يده ، فقال : إن الله أمر بغير ذلك ، فكتب إليه : نفذ ما أمرتك به ، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب .

وأتى منصوراً نخاس ببغل فقال : هذا شراؤه أربعون ديناراً ، فقال : لا تربح علي شيئاً هذه المرة ، يا غلام اعطه ألفاً وخمسمائة دينار . ودخل على المأمون فقال : يا أمير المؤمنين الموت فاش بالكوفة ولكنه سليم . ودخل على أحمد بن أبي حاتم وهو يتغدى برؤوس ، فقال له أحمد : هلم يا أبا سهل فإنها رؤوس الرضع ، فقال : هنيئاً أطعمنا الله وإياك من رؤوس أهل الجنة . وقال له المأمون : يا منصور قد مدت دجلة فأشر علينا . فقال : تكتري مئة سقاء يستقون ذا الماء يرشون الطريق ، فقال له المأمون : حرت فيك .

إلحس ما كتبت

قال : حدثنا محمد بن خلف قال : قال بعض الولاة لكاتبه : أكتب إلى فلان وعنفه وقل له : بئس ما صنعت يا خرا . فقال الكاتب : أعزك الله لا يحسن هذا في المكاتبة . قال : صدقت إلحس موضع الخرا بلسانك .

يصف نفسه وصفاً وضيعاً

أخبرني الأمير أبو بكر بن بدر قال : شغب رجال على الحسين بن مخلد يوماً وطالبوه بالمال فقال : أنا ما معي مال في بيتي أخرجه وإنما أنا للسلطان كالمرملة إن صب في أعلاي شيئاً أخذتموه من أسفلي ، فإن صبرتم إلى أن ترد الأموال فرقت عليكم وإلا فالأمر لكم .

يريد أن يحم اليوم ويشفى غداً

حدثنا أبو علي محمد بن الحسن الكاتب قال : كنت أكتب لأبي الفضل بن علان وهو بأرجان يتقلدها ، فقيل له : قدم أبو المنذر النعمان بن عبد الله يريد فارس ، والوجه أن تلقاه في غد ، وكان ابن الفضل يحم حمى الربع ، فقال : كيف أعمل وغداً يوم حماي ولا أتمكن من لقاء الرجل! ولكن الوجه أن أحم الساعة حتى أقدر عليه غداً ، يا غلام هات الدواج حتى أحم الساعة فإذا عنده أنه إذا أراد أن يقدم نوبة الحمى ويصح غداً تأخرت عنه الحمى .

مقوم ناقة صالح

حدثنا المدائني قال : كان عبد الله بن أبي ثور والي المدينة فخطبهم ، فقال : أيها الناس اتقوا الله وارجوا التوبة ، فإنه أهلك قوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم . فسموه مقوم الناقة وعزله الزبير .

بعث الله محمداً هادياً لا جابياً

قال : وكتب حيان عامل مصر إلى عمر بن عبد العزيز(١) : إن الناس قد أسلموا فليس جزية . فكتب إليه عمر : أبعد الله الجزية إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً للجزية .

الأمير يجلس للنظر أول من أمس

حدثنا سليمان بن حسن بن مخلد : قال : حدثني أبي قال : كنت عند شجاع بن القاسم وقد دخل قوم من المتظلمين خاطبهم في أمورهم فقال : ليس النظر في هذا الآن والأمير يجلس للنظر في هذا ومثله أول من أمس فتصيرون إليه .

القباء المخرق

دخل شجاع على المستعين مرة وطرف قبائه مخرق ، فسأله عن سبب ذلك

(١) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، هو ثامن الخلفاء الأمويين . ولد سنة ٦١هـ في المدينة المنورة ، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب ، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة ، وكان شديد الإقبال على طلب العلم .

فقال : اجتزت في الدرب وكان فيه كلب فوطأت قباءه فخرق ذنبي . . . فما تمالك المستعين أن ضحك .

الحكيم والوزير الركيك

حضر بعض حكماء الهند مع وزير ملكهم وكان الوزير ركيكاً فقال للحكيم : ما العلم الأكبر؟ قال : الطب ، قال : فإني أعرف من الطب أكثره ، قال : فما دواء المبرسم أيها الوزير؟ قال : دواؤه الموت حتى تقل حرارة صدره ، ثم يعالج بالأدوية الباردة ليعود حياً ، قال : ومن يحييه بعد الموت؟ قال : هذا علم آخر وجد في كتاب النجوم ولم أنظر في شيء منه إلا في باب الحياة فإني وجدت في كتاب النجوم أن الحياة للإنسان خير من الموت ، فقال الحكيم : أيها الوزير الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة .

عدل أبي خندف

عرض أبو خندف دوابه فأصاب فيها واحدة عجفاء مهزولة فقال : هاتوا الطباخ ، فبطحه وضربه خمسين مقرعة ، وقال له : ما لهذه الدابة على هذه الحال؟ قال : يا سيدي أنا طباخ ما علمي بأمر الدواب ، قال : بالله أنت طباخ! فلم لم تقل لي؟ اذهب الآن فإذا كان غداً أضرب السائس ستين مقرعة يفضل عشرون فطب نفساً .

تسلمت ثلاثة وهم واحد

وروى أبو الحسن محمد بن هلال الصابىء قال : خرج قوم من الديلم إلى أقطاعهم فظفروا باللص المعروف بالعراقي فحملوه إلى الوزير أبي عبد الله المهلبي[1] فتقدم

(١) المهلبي الوزير الكبير أبو محمد الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون الأزدي من ولد المهلب بن أبي صفرة وزير لمعز الدولة البويهي ، وكان سريا جوادا ممدحا كامل السؤدد مقربا للعلماء ، أصابته فاقة في شبيبته و تغرب و تنقلت به الأحوال حتى صار وزيرا وكان أديبا مترسلا بليغا شاعرا سائسا له أخبار في الكريم والمروءة . نال أولا في الوزارة عن ابي جعفر الصيمري ، فمات الصيمري ، فولاه مكانه معز الدولة سنة ٣٣٩ للهجرة ثم وزر للمطيع ولقبه ذا الوزارتين .

بإحضار أبي الحسين أحمد بن محمد القزويني[1] الكاتب وكان ينظر في شرطة بغداد ، فقال له المهلبي : هذا اللص العيار العراقي الذي عجزتم عن أخذه فخذوه واكتب خطك بتسليمه ، فقال : السمع والطاعة إلى ما يأمر به الوزير ، ولكنك تقول ثلاثة وهذا واحد فكيف اكتب خطي بتسليم ثلاثة؟ فقال يا هذا ، هذا العدد صفة لهذا الواحد فكتب يقول : أحمد بن محمد القزويني الكاتب تسلمت من حضرة الوزير اللص العيار العراقي ثلاثة وهم واحد رجل ، وكتب بخطه في التاريخ . فضحك الوزير ، وقال لنصراني هناك : قد صحح القزويني مذهبكم في تسليم هذا اللص .

كتابة اللحن

وقال بعض الكتاب لمغنية : أكتبي لي هذا الصوت ، فقالت : أنت الكاتب ، فقال : أنت تكتبيه بلحنه وأنا لا أحسن أكتبه بلحنه .

الوزير ذي السعادات

قال أبو الحسن بن هلال الصابيء : عرض على الوزير ذي السعادات أبي الفرج صاحبها وطلبها ، ففتح الوزير الدواة وكتب على هذه بخط غليظ ، هذه لا تصلح ، وكتب على أخرى وهذه غير مرضية ، وعلى أخرى هذه غالية ، وقال : ادفعوها إليه ، فأخذها الرجل وقد تلفت عليه . قال : وكان إذا أخطأ الفرس تحته يأمر بقطع علفه تأديباً له ، فإذا قيل له في ذلك ، قال : أطعموه ولا تعلموه أني علمت بذلك .

لماذا رفض الإسلام

جاء بعض النصارى إلى عبد الله بن بشار وكان عامل المدينة فقال : أريد أن أسلم على يدك ، فقال : يا ابن الفاعلة ما وجدت في عسكر أمير المؤمنين أهون مني جئت تريد أن تلقي بيني وبين عيسى ابن مريم كلاماً إلى يوم القيامة .

صعد بعض الولاة المنبر فخطب فقال : إن أكرمتموني أكرمتكم وإن أهنتموني ليكونن أهون علي من ضرطتي هذه ، وضرط ضرطة .

---

(١) ابن فارس وهو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ت٣٩٥ هـ/١٠٠٤ م) لُغَوِيّ أي إمام لغة وأدب .

هذا الثلج أبرد من ذاك

جاز بعض الأمراء المغفلين على بياع الثلج فقال : أرني ما عندك ، فكسر له قطعة وناوله ، فقال : أريد أبرد من هذا ، فكسر له من الجانب الآخر ، فقال : كيف سعر هذا؟ فقال : رطل بدرهم ، ومن الأول رطل ونصف بدرهم ، فقال : زن من الثاني . وجاز يوماً بطين في باب الشام فقال لأصحابه : السلطان يريد أن يركب فإن أنا رجعت ورأيت هذا الطين موضعه ضربته بالنار ولا ينفعكم شفاعة أحد .

خطب قبيصة وهو خليفة أبيه على خراسان فأتاه كتابه فقال : هذا كتاب الأمير وهو والله أهل أن يطاع وهو أبي وأكبر مني .

ما ورد كتاب من الميت

وحكى أبو إسحاق الصابي أن رجلاً من كبار كتاب العجم يعرف بأبي العباس بن درستويه حضر مجلس أبي الفرج محمد بن العباس وهو جالس للعزاء بأبيه أبي الفضل ، وقد ورد نعيه من الأهواز ، وعند أبي الفرج رؤساء الدولة ، قد ولي الديوان مكان أبيه ، فلما تمكن ابن درستويه في المجلس تباكى وقال : لعل هذا إرجاف ورد كتابه ، فقال له أبو الفرج : قد ورد عدة كتب ، فقال : دع هذا كله ، ورد كتابه بخطه؟ فقال : لو ورد كتابه بخطه ما جلسنا للعزاء . فضحك الناس .

لا يفرق بين يوم الحجاجة ويوم القيامة

وأنشد عبد الله بن فضلويه عامل قرميسين في مجلسه والمجلس غاص بأهله ، هذا البيت : البسيط :

يـــوم القيامـــة يـــــومٌ لا دواء لـــــه   إلا الطـــلاء وإلا اللهـــو والطـــرب

فقال بعض الحاضرين : إنما هو يوم الحجامة . فقال : اعذروني فإني لا أحسن النحو .

قاضٍ لا يميز بين المدح والهجاء

عن ابن الأعرابي قال : خاصم أبو دلامة[١] رجلاً إلى عافية[٢] ، فقال :

لقـد خاصمتنـي غـواة الرجـال　　وخاصمتهـم سنـةً وافيـه
فمـا أدحـض اللـه لـي حجـةً　　ومـا خيـب اللـه لـي قافيـه
فمـن كنـت مـن جـوره خائفـاً　　فلسـت أخافـك يـا عافيـه

فقال له عافية : لأشكونك لأمير المؤمنين ، قال : لم تشكوني؟ قال : لأنك هجوتني . قال : والله لئن شكوتني إليه ليعزلنك ، قال : لم؟ قال : لأنك لا تعرف الهجو من المدح . عافية هذا هو ابن زيد القاضي ولاه المهدي القضاء على بغداد .

قاضٍ عزل نفسه

قال : حدث عبد الرحمن بن مسهر قال : ولاني القاضي أبو يوسف القضاء بجبل . وبلغني أن الرشيد منحدر إلى البصرة فسألت أهل جبل أن يثنوا علي فوعدوني أن يفعلوا ذلك وتفرقوا ، فلما آيسوني من أنفسهم سرحت لحيتي وخرجت فوقفت له ، فوافى وأبو يوسف في الحراقة ، فقلت : يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبل ، قد عدل بينا وفعل وصنع ، وجعلت أثني على نفسي ، فرآني أبو يوسف فطأطأ رأسه وضحك ، فقال هرون : م تضحك؟ فقال : إن المثني على نفسه هو القاضي . فضحك هرون حتى فحص رجليه وقال : هذا شيخ سخيف سفلة فاعزله ، فعزلني .

الأمير أخر الجمعة

عن علي بن هشام أنه قال : كان للحجاج قاضٍ بالبصرة من أهل الشام يقال له أبو حمير ، فحضرت الجمعة فمضى يريدها ، فلقيه رجل من العراق فقال له : يا أبا

---

(١) أبو دُلامة شاعر ساخر عاش في العصر العباسي ، وكا ن عبدا لرجل من اهل الرقه من بني اسد واعتقه في ما بعد ، وهو أحد الشعراء المعاصرين لخلفاء بني العباس الثلاث الأوائل وهم السفاح والمنصور والمهدي ، بل يعتبر شاعرهم ونديمهم الخاص ،وكان أبو دلامه فكها مرحا فهو حسن الحديث ممتع الرواية . على انه كان متلافا مسرفا في شرب الخمر ، مستهترا في الخلاعه والمجون ، لايقيم الفروض ولا يقر الدين ، وهو ابعد ما يكون عنه .

(٢) عافيه بن يزيد بن قيس الاودي الكوفي القاضي .

حمير فأين تذهب؟ قال : إلى الجمعة ، فقال : ما بلغك أن الأمير قد أخر الجمعة اليوم؟ فانصرف راجعاً إلى بيته ، فلما كان من الغد قال له الحجاج : أين كنت يا أبا حمير لم تحضر معنا الجمعة؟ قال : لقيني بعض أهل العراق فأخبرني أن الأمير أخر الجمعة فانصرفت . فضحك الحجاج وقال : يا أبا حمير أما علمت أن الجمعة لا تؤخر .

لا يفرق بين العم والخال

قال المدائني : استعمل حيان بن حسان قاضي فارس على ناحية كرمان فخطبهم فقال : يا أهل كرمان تعرفون عثيمان بن زياد هو عمي أخو أمي . فقالوا : فهو خالك إذن .

قال ابن خلف : وسقط الذباب على وجه قاضي عبدان فقال : كثر الله بكم القبور .

قال ابن خلف : قال بعض الرواة : تقدم رجلان إلى أبي العطوف قاضي حران فقال أحدهما : أصلح الله القاضي ، هذا ذبح ديكاً لي فخذ لي بحقه ، فقال لهما القاضي : عليكما بصاحب الشرطة فإنه ينظر في الدماء .

قاضي مدينة حمص

قال أبو الفضل الربعي : حدثنا أبي قال : سأل المأمون رجلاً من أهل حمص عن قضاتهم ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن قاضينا لا يفهم وإذا فهم وهم ، قال : ويحك كيف هذا؟ قال : قدم عليه رجل رجلاً فادعى عليه أربعة وعشرين درهماً ، فأقر له الآخر ، فقال : أعطه ، قال : أصلح الله القاضي ، إن لي حماراً اكتسب عليه كل يوم أربعة دراهم ، أنفق على الحمار درهماً وعلي درهماً وأدفع له درهمين ، حتى إذا اجتمع ما له غاب عني فلم أره فأنفقتها ، وما أعرف وجهاً إلا أن يحبسه القاضي إثنا عشر يوماً حتى أجمع له إياها ، فحبس صاحب الحق حتى جمع ماله ، فضحك المأمون وعزله .

حلف الجار بدل المتهم

وعن أبي بكر الهذلي قال : كان ثمامة بن عبد الله بن أنس[1] على القضاء بالبصرة قبل بلال بن أبي بردة وكان مخلطاً ، فاستدعت امرأة إلى ثمامة على رجل أودعته شيئاً ولم يكن لها بينة ، فأراد استحلافه لها ، فقالت : إنه رجل سوء فيحلف ويذهب حقي ، ولكن استحلف إسحاق بن سويد فإنه جاره ، فأرسل إلى إسحاق واستحلفه .

قاضٍ يحكم بالقرعة

وحكى أبو الخير الخياط عن بعض أصحابه قال : دخلت تاهرت فإذا فيها قاضٍ من أهلها ، وقد أتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنة ، فأحضر الفقهاء فقال : إن هذا الرجل جنى جناية وليس لها في كتاب الله حكم معروف فما ترون؟ فقالوا بأجمعهم : الأمر لك ، قال : فإني رأيت أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات ، ثم أفتحه فما خرج من شيء عملت به ، قالوا له : وفقت . ففعل بالمصحف ما ذكره ، ثم فتح فخرج قوله تعالى : «سنسمه على الخرطوم» فقطع أنف الرجل وخلى سبيله .

شاهد واحد يثبت نصف الحق

وبلغنا أن رجلاً قدم رجلاً إلى بعض القضاة فادعى عليه بثلاثين ديناراً وأقام شاهداً واحداً ، فقال القاضي : إدفع له خمسة عشر ديناراً إلى أن يقيم الشاهد الآخر .

ما معنى السدس

وحكى فقيه قال : حضر عندي أمين من أمناء القاضي فسألني عن فريضة فيها

---

(١) ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك إسمه ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى البصري (قاضيها) كنيته وقيل :الأنصارى البصري يعتبر ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك من الطبقة الرابعة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم طبقة تلى الوسطى التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر صدوق ,وعند الإمام شمس الدين الذهبي ثقة .

سدس ، فقال : ما معنى السدس؟ قلت له : من الدينار ثلاثة قراريط وحبة وسهم من ستة أسهم ، هذا هو السدس ، فقال : أكتبه لي حتى أعرفه ، قلت : والله لا أكتبه لك .

أخطأ الكاتب فكانت جريمة

حدثني حماد بن إسحاق قال : كتب سليمان بن عبد الملك[١] إلى أبي بكر بن حزم[٢] أن أحص من قبلك من المخنثين ، فحصف كاتبه فقال أخص فدعا بهم فخصاهم . وقد رويت لنا هذه الحكاية على غير هذا الوجه ، وأنه خصاهم لأنه كان غيوراً ، فإذن لا يكون تصحيفاً .

الكاتب الأحمق

وعن الحسين بن السميدع الأنطاكي قال : كان عندنا بإنطاكية عامل من حلب وكان له كاتب أحمق ، فغرق في البحر شلنديتان من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدو ، فكتب ذلك الكاتب عن صاحبه إلى العامل بحلب بخبرهما : بسم الله الرحمن الرحيم ، إعلم أيها الأمير أعزه الله تعالى إن شلنديتين أعني مركبين قد صفقا من جانب البحر أي غرقا من شدة أمواجه فهلك من فيهما أي تلفوا ، قال : فكتب إليه أمير حلب : بسم الله الرحمن الرحيم ، ورد كتابك أي وصل وفهمناه أي قرأناه أدب كاتبك أي إصفعه واستبدل به أي اعزله فإنه مائق أي أحمق والسلام أي انقضى الكتاب .

---

(١) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، الخليفة الأموي السابع ، وهو يعد من خلفاء بني أمية الأقوياء ، ولد ب دمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٩٦هـ . ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور .

(٢) عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إسمه عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، أبو محمد ، و يقال أبو بكر ، المدني ، القاضي كنيته أبو محمد ، و يقال : أبو بكر وقيل : الأنصاري المدني يعتبر عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ثقة ،وعند الإمام شمس الدين الذهبي حجة .

عقاب البواب الذي ترك الغراب يصيح

وعن عبد الله بن محمد الصوري قال : رأيت سهل بن بشر[١] الكاتب يوماً وقد نعق غراب أبقع على حائط صحن الدار فضاق صدره ، وقال : هاتم البواب ، فجيء به ، فقال : لم تركت هذا الغراب يصيح ها هنا؟ فقال البواب : أيها الأستاذ وأي ذنب لي ، أنا أحفظ بابي ، وليس هذا ممن يدخل من الباب فيلزمني جنايته ، فكيف أستطيع منعه من الصياح؟ فقال : قفاه ، فما يصفع صفعاً عظيماً إلى أن شفعت فيه .

شهادتكم بيوم الفطر تؤدي إلى عقابكم

وعن أبي علي النميري قال : تراءينا هلال شوال ، فأتينا سوار بن عبد الله[٢] لنشهد عنده ، فقال حاجبه : أنتم مجانين ، الأمير لم يختضب بعد ولم يتهيأ ، ولئن وقعت عينه عليكم ليضربنكم مائتين ، انطلقوا ، فانصرفنا وصام الناس يوم الفطر .

لا تقبل شهادة الأحمق التقي

وعن أبي بكر النقاش[٣] قال : قيل لعبد الله بن مسعود القاضي : تجيز شهادة

---

(١) وهو أبو عثمان سهل بن بشر بن هاني ويقال هايا اليهودي وكان يخدم طاهر بن الحسين الأعور ثم الحسن بن سهل وكان عارفاً فاضلاً وله من الكتب كتاب مفاتيح القضاء وهو المسائل الصغير كتاب السهمين كتاب المواليد الكبير كتاب تحويل سني العالم كتاب المدخل الصغير كتاب المدخل الكبير كتاب الهيئة وعلم الحساب كتاب تحاويل سني المواليد كتاب المواليد الصغير كتاب المسائل الكبير كتاب الاختيارات كتاب الأوقات كتاب المفتاح كتاب الأمطار والرياح كتاب المعاني كتاب الهيلاج والكدخداه كتاب الاعتبارات كتاب الكسوفات كتاب التركيب كتاب له كبير ويحتوي على ثلاثة عشر كتاباً جمع فيه عيون كتبه وسماه كتاب العاشر صنفه بخراسان قيل لي أن الروم تعظم كتاب الجبر والمقابلة له وتصفه .

(٢) ابن عبد الله بن قدامة ، القاضي الإمام أبو السوار العنبري البصري ، كان هو وأبوه وجده قضاة البصرة .

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند (٢٦٦-٣٥١ هـ) المقرئ ، المعروف بالنقاش ، الموصلي الأصل البغدادي المولد والمنشأ ؛ كان عالما بالقرآن والتفسير . صنف في التفسير كتابا ، سماه شفاء الصدور وصنف كذلك كتاب الإشارة في غريب القرآن ، والموضح =

العفيف التقي الأحمق؟ قال : لا ، وسأريكم هذا ، ادع يا غلام أبا الورد حاجبي ، وكان أحمق فلما أتاه قال : اخرج فانظر ما الريح ، فخرج ثم رجع فقال : شمال يشوبها جنوب ، فقال : كيف ترون؟ أتروني أجيز شهادة مثل هذا؟ قال : وقد ذكر مثل هذه الحكاية ابن قتيبة .

وعن أبي أحمد الحارثي قال : كنت أعاشر بعض كتاب الديلم فسمعته مرة يحلف ويقلو : والله الذي لا إله إلا هو أعني به الطلاق والعتاق .

القائد ثور وامرأته بقرة

قال : وكتب مرة بحضرتي تذكرة بأضاحي يريد تفريقها في دار صاحبه وقد قرب عيد الأضحى ، فكتب : القائد ثور ، امرأته بقرة ، ابنه كبش ، ابنته نعجة ، الكاتب تيس ، فقلت : يا سيدي الروح الأمين ألقى إليك هذا ، فلم يدر ما خاطبته به وسلمت منه .

رسالة إلى صديق

وكتب إلى صديق له : كتبت إليك هذه الكلمات يا سيدي وربي أعني به قميصي من منزلك الذي أنا أسكنه ، وقد نفضت الدم من قفاك المرسوم بي ، وليس وحق رأسك الذي أحبه عبدي من نبيذك الذي تشربه شيء ، فوجه إلي على يدي هذا الرسول فإنه ثقة أوثق مني ومنك .

قال أبو أحمد : وبلغني عن بعض قواد الديلم أنه قال : كاتبي أحذق الناس بأمر الدواب والضياع وشري الأمتعة ، وما فيه عيب إلا أنه لا يقرأ ولا يكتب .

تعزية الحجاج في صديق

وعن عبد الله بن إبراهيم الموصلي قال : نابت الحجاج في صديق له مصيبة ورسول

= في القرآن ومعانيه وصد العقل ، والمناسك ، وفهم المناسك ، وأخبار القصاص ، وذم الحسد ، ودلائل النبوة ، والأبواب في القرآن ، وإرم ذات العماد ، والمعجم الأوسط ، والمعجم الأصغر ، والمعجم الكبير في أسماء القراء وقراءاتهم ، وكتاب السبعة بعللها الكبير ، وكتاب السبعة الأوسط ، وكتاب السبعة الأصغر .

لعبد الملك شامي عنده ، فقال الحجاج : ليت إنساناً يعزيني بأبيات ، فقال الشامي : أقول؟ قال : قل ، فقال : وكل خليل سوف يفارق خليله ، يموت أو يصاب أو يقع من فوق البيت أو يقع البيت عليه أو يقع في بئر أو يكون شيئاً لا نعرفه فقال الحجاج : قد سليتني عن مصيبتي بأعظم منها في أمير المؤمنين إذ وجه مثلك لي رسولاً .

أطلق الحمار أعزك الله

وجد في بعض الكتب أن قدامة بن زيد وجه غلاماً له إلى قطربل ليبتاع له شراباً وأركبه حماراً ، فمضى الغلام وابتاع له الشراب ، فلما صار إلى باب قطربل عارضه صاحب المصلحة ، فضربه ، وأراق ما معه ، وحبسه ، فاتصل الأمر بقدامة فكتب إلى صاحب الخبر : بسم الله الرحمن الرحيم ، جعلت فداك برحمته فإن صاحب مصلحتين قطربل قويا على غلامٍ لي فضرباه خمسين رطلاً من تقطيع الزكرة ، فرأيك أعزك الله في إطلاق الحمار مصاباً إن شاء الله عز وجل .

رسالة إلى طبيب

وكتب بعضهم إلى طبيب : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويلك يا يوحنا وامتع بك ، قد شربت الدواء خمسين مقعداً ، المغص والتقطيع يفتل بطني والعينين والرأس ، فلا تؤخر باحتباسك عني فسوف تعلم أني سأموت وتبقى بلا أنا ، فعلت موفقاً إن شاء الله .

عملت يا طبيب بوصفك فلم يفد

وصف حجاج بن هارون الكاتب لحنين النصراني علة به ، فأمره أن يؤخر غداءه ويأخذ في آخر الليل دواء وصفه له ، فكتب إليه حجاج من غد : بسم الله الرحمن الرحيم ، وأتم نعمته عليك ، شربت الدواء وأكلت قليل كسرة واختلف أحمر مثل السلق مغصاً ، فرأيك في إنكار ذلك على بطني ، فعلت إن شاء الله .

رسالة مختصرة إلى صديق

وكتب بعضهم إلى صديق له : بسم الله الرحمن الرحيم ، وجعلني الله فداءك ، لولا علة نسيتها لسرت إليك حتى أعرفك بنفسي والسلام .

رسالة اعتذار

وكتب المتوكل[1] إلى محمد بن عبد الله يطلب فهداً فكتب إليه : نجوت عند مقام لا إله إلا الله وصلى الله على سيدنا محمد ، فديته إن كان عندي مما طلبته وزن دانق ، لا فهد ولا نمر ، فلا تظن يا سيدي إني أبخل عليك بالقليل .

وكتب معاوية بن مروان إلى الوليد بن عبد الملك : قد بعثت إليك خزاً أحمر وأحمى .

نحن في خير ولكن قتل أكثر الأسرة

وكتب رجل من البصرة إلى أبيه : كتبت إليك يا أبت نحن كما يسرك الله عونه وقوته ، لم يحدث علينا بعدك إلا كل خير ، إلا أن حائطاً لنا وقع على أمي وأخي الصغير وأختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري .

وكتب أبو كعب إلى منزله كتاباً عنوانه : من أبي كعب يدفع عنوانه في عياله إن شاء الله .

رسالة من ولد ملك

وكتب بعض ولد الملوك إلى بعض : استوهب الله المكاره فيك برحمته ، أنا وحق جدي رسول الله الذي لا إله إلا هو ، أحبك أشد من جدي المتوكل ، فقد بلغني أنه قد جاءك من النبيذ شيء كثير كثير شطراً ، وأنا أحبه شديد شديد شطراً آخر ، وبحياتي عليك ألا بعثت إلي دستجة أو خمس دبات أو ستة أو سبعة أو أكثر جياد بالغة وإلا فثلاث خماسيات ولا تردني فأحرد موفقاً إن شاء الله .

مؤذن

عن أبي بكر النقاش قال : حدثنا أن أعرابياً سمع مؤذناً كان يقول : أشهد أن محمداً رسول الله بالنصب فقال : ويحك فعل ماذا؟ وعن محمد بن خلف قال : قيل لمؤذن ما يسمع أذانك فلو رفعت صوتك ، فقال : إني لأسمع صوتي من ميل . وقال

(١) أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور عاش وفترة الخلافة خلفاً لأخية الواثق بالله وخلفه إبنه المُنتصر بالله . أُمّه أم ولد تركية اسمها «شجاع» .

بعضهم : رأيت مؤذناً يؤذن ثم عدا ، فقلت : إلى أين؟ فقال : أن أحب أعرف إلى أين يبلغ صوتي .

وأذن مؤذن فقيل له : ما أحسن صوتك؟ فقال : إن أمي كانت تطعمني البلادة وأنا صغير . يريد البلادر . وعن شريح بن يزيد قال : كان سعيد بن سنان المهدي مؤذناً بجامع حمص ، وكان شيخاً صالحاً يسحر الناس في رمضان فيقول في تسحيره : استحثو قديراتكم ، عجلوا في أكلكم قبل أن أأذن فيسخم الله وجوهكم وتحردوا .

يحفظ مكان الإمام حتى يجيء

عن أبي العيناء قال : كان المدني في الصف من وراء الإمام ، فذكر الإمام شيئاً فقطع الصلاة وقدم المدني ليؤمهم ، فوقف طويلاً ، فلما أعيا الناس سبحوا له وهو لا يتحرك فنحوه وقدموا غيره ، فعاتبوه فقال : ظننته يقول لي : احفظ مكاني حتى أجيء .

تصحيح الخطأ بالرفس

وعن المدائني قال : قرأ إمام ولا الظالين بالظاء المعجمة ، فرفسه رجل من خلفه ، فقال الإمام : آه ضهري ، فقال له رجل : يا كذا وكذا خذ الضاد من ضهرك واجعلها في الظالين وأنت في عافية ، وكان الراد عليه طويل اللحية .

لا تطل في صلاتك أيها الإمام

قال الجاحظ : أخبرني أبو العنبس[1] قال : كان رجل طويل اللحية أحمق جارنا ، وكان أقام بمسجد المحلة يعمره ويؤذن فيه ويصلي ، وكان يعتمد السور الطوال ويصلي بها ، فصلى ليلة بهم العشاء فطول ، فضجوا منه ، وقالوا : اعتزل مسجدنا حتى نقيم غيرك فإنك تطول في صلاتك وخلفك الضعيف وذو الحاجة ، فقال : لا أطول بعد ذلك ، فتركوه ، فلما كان من الغد أقام وتقدم فكبر وقرأ الحمد ، ثم فكر طويلاً وصاح فيهم : إيش تقولون في عبس؟ فلم يكلمه أحد إلا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلاً ، فإنه قال : كيسة مر فيها .

---

(١) حجر بن العَنْبَس الكوفي ، ويقال له : ابن قَيْس .

إمام لا يحسب

وقرأ إمام في صلاته وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ، فتم ميقات ربه خمسين ليلة فجذبه رجل وقال : ما تحسن تقرأ ما تحسن تحسب .

أطال الإمام فهرب المصلون

وتقدم إمام فصلى فلما قرأ الحمد افتتح بسورة يوسف ، فانصرف القوم وتركوه ، فلما أحس بانصرافهم قال : سبحان الله! ﴿قل هو الله أحد﴾ . فرجعوا فصلوا معه .

ارتج على الإمام فظل يردد

وقرأ إمام في صلاته : «إذا الشمس كورت» فلما بلغ قوله : «فأين تذهبون» ، ارتج عيه وجعل يردد حتى كادت تطلع الشمس ، وكان خلفه رجل معه جراب فضرب به رأس الإمام وقال : أما أنا فأذهب ، وهؤلاء لا أدري إلى أين يذهبون .

الكريم لا يرجع في هبته

وعن الأصمعي أنه قال : مررت بأعرابي يصلي بالناس فصليت معه ، فقرأ والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها كلمة بلغت منتهاها لن يدخل النار ولن يراها رجل نهى النفس عن هواها ، فقلت له : ليس هذا من كتاب الله ، قال : فعلمني ، فعلمته الفاتحة والإخلاص ، ثم مررت بعد أيام ، فإذا هو يقرأ الفاتحة وحدها ، فقلت له : ما للسورة الأخرى؟ قال : وهبتها لابن عم لي ، والكريم لا يرجع في هبته .

أعرابي يؤم في البادية

وعنه أنه قال : كنت في البادية فإذا بأعرابي تقدم فقال : الله أكبر سبح اسم ربك الأعلى ، الذي أخرج المرعى ، أخرج منها تيساً أحوى ينزو على المعزى ثم قام في الثانية فقال : وثب الذئب على الشاة الوسطى وسوف يأخذها تارة أخرى . أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ألا بلى ألا بلى فلما فرغ قال : اللهم لك عفرت جبيني وإليك مددت يميني فانظر ماذا تعطيني .

أعرابي يؤدب أمه

وعنه قال : رأيت أعرابياً يضرب أمه فقلت : يا هذا أتضرب أمك؟ فقال : أسكت فإني أريد أن تنشأ على أدبي .

دعاء أعرابي حول الكعبة

وعنه أنه قال : حج أعرابي فدخل مكة قبل الناس وتعلق بأستار الكعبة وقال : اللهم اغفر لي قبل أن يدهمك الناس .

أصحاب النحو زنادقة

وعن أبي الزناد[1] قال : جاء أعرابي إلى المدينة فجالس أهل الفقه ثم تركهم ، ثم جالس أصحاب النحو فسمعهم يقولون نكرة ومعرفة ، فقال : يا أعداء الله يا زنادقة .

خصام الطائيين

وعن العلاء بن سعيد قال : قعد طائي وطائية في الشمس ، فقالت له امرأته : والله لئن ترحل الحي غداً لأتبعن قماشهم وأصوافهم ، ثم لأنفشنه ولأغسلنه ولأغزلنه ، ثم لأبعثنه إلى بعض الأمصار فيباع وأشتري بثمنه بكراً ، فأرتحل عليه مع الحي إذا ترحلوا ، قال الوج : أفتراك الآن تاركتني وابني بالعراء؟ قالت : أي والله ، قال : كلا والله ، وما زال الكلام بينهما حتى قام يضربها ، فأقبلت أمها فقالت : ما شأنكم ، وصرخت : يا آل فلانة أفتضرب ابنتي على كد يديها ورزق رزقها الله ، فاجتمع الحي فقالوا : ما شأنكم؟ فأخبروهم بالخبر!! فقالوا : ويلكم ، القوم لم يرحلوا وقد تعجلتم الخصومة .

أعرابي يعمل في معمل للذهب

وكان رجل من الأعراب يعمل في معمل للذهب فلم يصب شيئاً ، فأنشأ يقول :

يا رب قدر لي في حماسي   وفي طلاب الرزق بالتماس

---

(١) عبد الله بن ذكوان الإمام الفقيه الحافظ المفتي أبو عبد الرحمن القرشي المدني ، ويلقب بأبي الزناد ، وأبوه مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة زوجة الخليفة عثمان .

صفراء تجلو كسل النعاس

فضربته عقرب صفراء سهرته طول الليلة وجعل يقول : يا رب الذنب لي إذ لم أبين لك ما أريده ، اللهم لك الحمد والشكر ، فقيل له : ما تصنع أما سمعت قول الله تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ : فوثب جزعاً وقال : لا شكراً لا شكراً .

الأعرابي وقراءة القرآن

وسئل أعرابي هل تقرأ من القرآن شيئاً؟ فقرأ أم الكتاب والإخلاص فأجاد ، فسئل هل تقرأ شيئاً غيرهما؟ فقال : أما شيئاً أرضاه لك فلا .

يعتذر من صلاته قاعداً

قال الأصمعي[1] : ورأيت أعرابياً يصلي في الشتاء قاعداً ويقول :

إليك اعتذاري من صلاتي قاعداً　　على غير طهر مومياً نحو قبلتي
فما لي ببرد الماء يا رب طاقةٌ　　ورجلاي لا تقوىً على طي ركبتي
ولكنني أقضيه يا رب جاهداً　　وأقضيكه إن عشت في وجه صيفتي
وإن أنا لم أفعل فأنت محكم　　إلهي في صفعي وفي نتف لحيتي

يحتفظ بالحجر المعبود في الجاهلية

وقال إسحاق الموصلي : تذاكر قوم من نزار واليمن أصنام الجاهلية ، فقال رجل لهم من الأزد : عندي الحجر الذي كان قومنا يعبدونه ، قالوا : وما ترجو به؟ قال : لا أدري ما يكون .

أفضل الميتات

وروى أبو عمر الزاهد[2] أن بعض الأعراب قال : اللهم أمتني ميتة أبي! قالوا :

---

(١) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان .

(٢) أبو عمر الزاهد الإمام الأوحد العلامة اللغوي المحدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، البغدادي الزاهد ، المعروف بغلام ثعلب .

وكيف مات أبوك؟ قال : أكل بذجاً[(١)] وشرب مشعلاً[(٢)] ونام في الشمس فلقي الله وهو شبعان ريان دفئان .

لم يفهم الخليفة قصد الشيخ

وقد روينا عن الوليد أنه قال لرجل : ما شأنك؟ فقال الرجل : شيخ نايفي ، فقال عمر بن عبد العزيز : إن أمير المؤمنين يقول لك ما شأنك؟ فقال : ختني ظلمني ، فقال الوليد : ومن ختنك؟ فنكس الأعرابي رأسه وقال . ما سؤال أمير المؤمنين عن هذا؟ فقال عمر : إنما أراد أمير المؤمنين من ختنك؟ فقال : هذا ، وأشار إلى رجل معه .

أنشد بعض الحمقى

عن المبرد[(٣)] قال : قال الجاحظ : أنشدني بعض الحمقى :

إن داء الحب سقمٌ ليس يهنيه القرار
ونجا من كان لا يعـ ـشق من تلك المخازي

فقلت : إن القافية الأولى راء والثاني زاي؟ فقال : لا تنقط شيئاً ، فقلت : إن الأولى مرفوعة والثانية مكسورة ، فقال : أنا أقول تنقط وهو يشكل .

ألجأته ضرورة الشعر إلى الطلاق

وحكى بعضهم : قال : اجتمعنا ثلاثة نفر من الشعراء في قرية تسمى طيهاثا فشربنا يومنا ، ثم قلنا : ليقل كل واحد بيت شعر في وصف يومنا فقلت : نلنا لذيذ العيش في طيهاثا ، فقال الثاني : لما احتثثنا القدح احتثاثا فارتج على الثالث فقال : امرأته طالق ثلاثا ثم قعد يبكي على امرأته ونحن نضحك عليه .

---

(١) الحمل وقيل هو أضعف ما يكون من الحملان والجمع بذجان

(٢) الزق وهو وعاءٌ من جلدٍ يُجَزُّ شعرُهُ ولا يُنْتَف ، للشراب وغيره . والجمع : أَزقَاقٌ ، وزِقَاقٌ .

(٣) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد ينتهي نسبه بثمالة ، وهو عوف بن أسلم من الأزد . هو أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد ، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري .

الأمير كسنور وأعداؤه كالفئران

عن أبي الحسن علي بن منصور الحلبي[١] قال : كنت أحضر مجلس سيف الدولة[٢] فحضرته وقد انصرف من غزو عدو له ظفر به ، فدخل الشعراء ليهنئوه فدخل رجل وأنشد :

وكانــوا كفــأر وسوسوا خلف حائطٍ   وكنــت كسنــور عليهــم تسلقــا

فأمر سيف الدولة بإخراجه ، فقام على الباب يبكي ، فأخبر سيف الدولة ببكائه فأمر برده فقال : ما لك تبكي؟ فقال : قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه فلما خاب أملي وقابلني بالهوان ذلت نفسي فبكيت ، فقال له سيف الدولة : ويلك من يكون له مثل هذا النثر يكون له ذلك النظم! فكم أملت؟ قال : خمس مائة درهم فأمر له بألف درهم .

شعر تستحق أم قائله الطلاق

عن الصولي ، قال لمحمد بن الحسن ابن فقال له : إني قد قلت شعراً ، قال : انشدنيه ، قال : فإن أجدت تهب لي جاريةً أو غلاماً؟ قال : أجمعهما لك . فأنشده :

إن الديـــار طيفـــا   هيجـن حزنــاً قد عفــا

أبكيننـــدي لشقاوتـــي   وجعلــن رأسدي كالقفــا

فقال : يا بني ، والله ما تستاهل جاريةً ولا غلاماً ، ولكن أمك مني طالق ثلاثاً إذا ولدت مثلك .

منا الوزير ومنا الأمير ومنا أنا

قال أبو سجادة الفقيه في شعر له :

ومنــا الوزيــر ومنــا الأمير   ومنــا المشيــر ومنــا أنــا

(١) هو الشيخ علي بن منصور الأريب الحلبي ، الملقب بدوخلة (الدَّوخلة هي السلة التي يوضع فيها التمر) ، والمعروف بابن القارح ، ويكنى أبا الحسن . قال ابن عبد الرحيم هو شيخ من أهل الأدب شاهدناه ببغداد راوية للأخبار حافظا لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قؤوما بالنحو .

(٢) سيف الدولة الحمداني علي ابن أبو الهيجاء ابن حمدان ابن الحارث سيف الدولة التغلبي معروف باللقب الأكثر شيوعا سيف الدولة ، هو مؤسس إمارة حلب ، التي تضم معظم شمال سوريا وأجزاء من غرب الجزيرة ، و أخ لحسان ابن عبدالله .

يقع التغفيل من فطناء الشعراء

وقد وقع شيء يشبه التغفيل من فطناء الشعراء ، قال : فإن البحتري[١] دخل على بعض من يمدحه فأنشده : لك الويل من ليل تطاول آخره فقال الممدوح : لك الويل والحرب .

ومدح رجل معن بن زائدة[٢] فقال :

أتيتك إذا لم يبق غيرك جابر ولا واهب يعطي اللها والرغائبا

فقال معن : ليس هذا مدحاً ، وهلا قلت كما قال أخو بني تيم لمالك بن مسمع : الخفيف :

قلدته عرى الأمور نزار قبل أن تملك السراة النحورا

القصاص سيفويه

سيفويه القاص ، كان يضرب به المثل في التغفيل : عن محمد بن العباس بن حيويه قال : قيل لسيفويه قد أدركت الناس فلم لم تحدث؟ قال : اكتبوا ، حدثنا شريك عن مغيرة عن إبراهيم بن عبد الله مثله سواء ، قالوا له : مثل إيش؟ قال : كذا سمعنا وكذا نحدث .

عن ابن خلف قال : جاء يوماً رجل من عرس ، فسأله سيفويه : ما أكل؟ فأقبل يصف له ، فقال : ليت ما في بطنك في حلقي .

تمنيات قصاص

وقال ابن خلف : قال عبد العزيز القاص : ليت أن الله لم يكن خلقني وأني الساعة أعور ، فحكيت ذلك لابن غياث ، فقال : بئس ما قال ، ووددت والله الذي لا إله إلا هو ، أن الله لم يكن خلقني وإني الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين .

---

(١) البحتري : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي ، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي . يقال لشعره سلاسل الذهب ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم ، المتنبي وأبو تمام والبحتري .

(٢) معن بن زائدة معن بن زائدة أمير العرب أبو الوليد الشيباني ، من أكرم و أجود الناس . كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة .

من غفلات سيفويه

وروى أبو العباس بن مشروح قال : كان سيفويه اشترى لمنزله دقيقاً بالغداة وراح عشاء يطلب الطعام ، فقالوا : لم نخبز ، لم يكن عندنا حطباً ، قال : كنتم تخبزونه فطيراً .

وحكى أبو منصور الثعالبي : أن رجلاً سأل سيفويه عن الغسلين في كتاب الله تعالى فقال : على الخبير سقطت ، سألت عنه شيخاً فقيهاً من أهل الحجاز فما كان عنده قليل ولا كثير .

وقف سيفويه راكباً على حمار في المقابر ، فنفر حماره عند قبر منها ، فقال : ينبغي أن يكون صاحب هذا القبر بيطاراً .

وقرأ سيفويه ثم في سلسلة ذرعها تسعون ذراعاً ، فقيل له قد زدت عشرين ، فقال : هذه خلقت لبغاء ووصيف ، فأما أنتم فيكفيكم شريط بدانق ونصف . وقرأ قارىء بين يديه «كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً» فقال : ماذا لقي القوم والله من أجل صلاتهم بالليل .

وقرأ القارىء : «كأنهن الياقوت والمرجان» فقال : هؤلاء خلاف نسائكم الفجار .

قيل لسيفويه إن اشتهى أهل الجنة عصيدة كيف يعملون؟ قال : يبعث الله لهم أنها دبس ودقيق وأرز . ويقال : اعملوا وكلوا واعذرونا .

القصاص أبو أحمد التمار

وعن محمد بن خلف ، قال أبو أحمد التمار في قصصه : لقد عظم رسول الله ﷺ حق الجار حتى قال فيه قولاً أستحي والله أن أذكره .

يروي العلم ولا يعمل به

قال ابن خلف : قص قاص بالمدينة فقال : رأى أبو هريرة على ابنته خاتم ذهب ، فقال : يا بنية لا تتخمي بالذهب فإنه لهب ، فبينا هو يحدثهم إذ بدت كفه فإذا فيها خاتم ذهب ، فقالوا له : تنهانا عن لبس الذهب وتلبسه؟ فقال : لم أكن ابنة أبي هريرة .

يفسر القرآن برأيه

عن محمد بن الجهم أنه قال : سمعت الفراء يقول : كان عندنا رجل يفسر القرآن برأيه فقيل له : «أرأيت الذي يكذب بالدين» فقال : رجل سوء الله ، فقيل : «فذلك الذي يدع اليتيم» ، فسكت طويلاً ، ثم قال : من هذا عجبت .

سورة الإخلاص تحتاج إلى مجلسين

عن العلاء بن صالح قال : كان عبد الأعلى بن عمر قاصاً ، فقص يوماً ، فلما كاد مجلسه ينقضي قال : إن ناساً يزعمون أني لا أقرأ من القرآن شيئاً ، وأني لا أقرأ منه الكثير بحمد الله ، ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل هو الله أحد﴾ فارتج عليه فقال : من أحب أن يشهد خاتمة السورة فليحضرنا إلى مجلس فلان .

غفلة الواعظ

حكى أبو محمد التميمي أن أبا الحسن السماك الواعظ دخل عليهم يوماً وهم يتكلمون في أبابيل ، فقال : في أي شيء أنتم؟ فقالوا : نحن في ألف أبابيل هل هو ترون أنه بلبل عليهم عيشهم! فضحك القوم من ذلك .

دعاء غريب

جاء رجل إلى قاص وهو يقرأ : «يتجرعه ولا يكاد يسيغه» فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه .

القصاص الأحمق

قال الجاحظ : سمعت قاصاً أحمق وهو يقص حديث موسى وفرعون وهو يقول : لما صار فرعون في وسط البحر في الطريق اليابس ، فقال الله للبحر : انطبق ، فما زال حتى علاه الماء ، فجعل فرعون يضرط مثل الجاموس نعوذ بالله من ذلك الضراط . قال : وسمعت قاصاً بالكوفة يقول : والله لو أن يهودياً مات وهو يحب علياً ثم دخل النار ما ضره حرها .

كيف يقضي الأحمق على الشيطان

قال بعض القصاص : يا معشر الناس ، إن الشيطان إذا سمي على الطعام والشراب لم يقربه ، فكلوا خبز الأرز المالح ولا تسموا ، فيأكل معكم ثم اشربوا الماء وسموا حتى تقتلوه عطشاً .

القصاص أبو سالم

كان أبو سالم القاص يقص يوماً قال : يابن آدم يابن الزانية أما تستحي من الملك الجليل حتى تقدم على العمل القبيح؟ وسرق باب أبي سالم القاص جاء إلى باب المسجد وقلعه ، قالوا : ما تصنع؟ قال : اقلع هذا الباب فإن صاحبه يعلم من قلع بابي .

دعاؤه يشمل كل شيء

قال بعض الأشياخ : إنه كتب في رقعة إلى بعض القصاص يسأله الدعاء لامرأة حامل فقرأ الرقعة ثم قلبها وفي ظهرها صفة دواء قد كتبه طبيب وفيه قنبيل وخشيرك وافتيمون ونحو هذا ، فظنها كلمات يسأل بها ، فدعا وجعل يقول : يا رب قنبيل ، يا رب خشيرك ويا رب افتيمون إلى أن أنهى ما ذكر .

أبو عبد الله المزابلي

عن علي بن المحسن التنوخي قال : كان عندنا بجبل اللكام رجل يسمى أبو عبد الله المزابلي يدخل البلد بالليل فيتتبع المزابل فيأخذ ما يجده ويغسله ويقتاته ولا يعرف قوتاً غيره ، أو يتوغل في الجبل فيأكل من الثمرات المباحات ، وكان صالحاً مجتهداً إلا أنه كان قليل العقل ، وكان بأنطاكية موسى الزكوري صاحب المجون ، وكان له جار يغشى المزابل ، فجرى بين موسى الزكوري وجاره شر ، فشكاه إلى المزابلي فلعنه في دعائه فكان الناس يقصدونه في كل جمعة فيتكلم عليهم ويدعو ، فلما سمعوه يلعن ابن الزكوري جاء الناس إلى داره لقتله فهرب ونهبت داره ، فطلبه العامة فاستتر فلما طال استتاره قال : إني سأحتال على المزابلي بحيلة أتخلص بها فأعينوني ، فقالوا له : ما تريد؟ قال : أعطوني ثوباً جديداً وشيئاً من مسك وناراً وغلماناً يؤنسوني الليلة في هذا الجبل ، قال : فأعطيته ذلك ، فلما كان نصف الليل صعد فوق الكهف الذي يأوي فيه المزابلي فبخر بالند ونفخ المسك فدخلت الرائحة

إلى كهف أبي عبد الله المزابلي ، فلما اشتم المزابلي تلك الرائحة وسمع الصوت قال : ما لك عافاك الله ومن أنت؟ قال : أنا جبرائيل أرسلني ربي ، فلم يشك المزابلي في صدق القول وأجهش بالبكاء والدعاء ، فقال : يا جبرائيل ومن أنا حتى يرسلك الله إلي؟ فقال : الرحمن يقرئك السلام ويقول لك : موسى الزكوري غداً رفيقك في الجنة . فصعق أبو عبد الله فتركه موسى فرجع ، فلما كان من الغد كان يوم الجمعة أقبل المزابلي يخبر الناس برسالة جبرائيل ويقول : تمسوا بابن الزكوري واسألوه أن يجعلني في حل واطلبوه لي ، فأقبل العامة إلى دار ابن الوكوري يطلبونه ويستحلونه .

ضرس الكافر مثل أحد

عن أبي النقاش عن شيخ له قال : كنت في جامع واسط ورجلان يحدثان في حديث جهنم ، فقال أحدهما : بلغني أن الله عز وجل يعظم خلق الكافر حتى يكون ضرسه مثل أحد ، فقال له الآخر : ليس هذا أمره . وإلى جانبهما شيخ متأله كثير الصلاة فالتفت إليهما فقال : لا تنكروا هذا ، إن الله على كل شيء قدير ، وتصديق ما كنتما فيه كتاب الله ، قال : وما ذاك يا عم؟ قال : قوله تعالى : فأولئك يبدل الله سنانهم خشبات فهو ما يبدل السن خشبة إلا وهو قادر على أن يجعله مثل أحد .

كيف استراح من الشك

عن الزهري قال : بلغني عن حجاج الشاعر أنه مر يوماً في درب وفي آخره ميزاب ، قال : أصابني لم يصبني أصابني ، فلما طال عليه ذلك ، جاء وجلس تحته وقال : استرحت من الشك .

الزاهد المغفل

عن أبي علي الطائي قال : قرأ رجل عند بعض المتزهدين وكان مغفلاً : «وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه» فقال : دعنا من آيات الفجار .

تواضع عجيب غريب

عن محمد المخرمي قال : كنا في مجلس فشممت رائحة أنكرتها ، فنظرت فإذا رجل قد وضع في شاربه عذرة ، فقلت له : ما هذا؟ قال : تواضعاً لربي عز وجل .

التقي العاقل لا يتباهى بتقواه

قال طاهر بن الحسين[١] للمروزي[٢] : منذ كم دخلت العراق؟ قال : منذ عشرين سنة وإني أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة ، قال طاهر : سألتك عن مسألة فأجبتني عن مسألتين .

آية سببت له الخشوع والوجد

عن أبي عثمان الجاحظ قال : أخبرني يحيى بن جعفر قال : كان لي جار من أهل فارس وكان بلحية ما رأيت أطول منها قط ، وكان طول الليل يبكي ، فأنبهني ذات ليلة بكاؤه ونحيبه وهو يشهق ويضرب على رأسه وصدره ويردد آية من كتاب الله تعالى ، فلما رأيت ما نزل به قلت لأسمعن هذه الآية التي قتلت هذا وأذهب نومي ، فتسمعت عليه فإذا الآية «يسألونك عن المحيض قل هو أذى» فعلمت أن طول اللحية لا يخلف .

لا أترك تسبيحاً تعلمته

وعنه ، قال : أخبرني النظام قال : مررت بناحية باب الشام فرأيت شيخاً قاعداً على باب داره وبين يديه حصى ونوى ، وهو يسبح ويعد بهما ويقول : حسبي الله حسبي الله ، فقلت : يا عم ليس هذا هو التسبيح ، قال : كيف هو التسبيح عندك؟

---

(١) طاهر بن الحسين اسمه طاهر بن الحسين بن زريق ماهان الخزاعي ولد سنة ١٥٩هـ وهو أحد أشهر قواد الخليفة العباسي المأمون وكان يعرف بذى اليمينين وقال فيه الشاعر يا ذا اليمنين وعين واحده نقصان عين ويمين زائدة .

(٢) المروزي لقب يعطى لعدد من الأشخاص الذين يرجع أصلهم لمدينة مرو بخراسان . ومنهم :
- يشوعداد المروزي ، أسقف حديثة وأديب ولاهوتي سرياني ، عاش في القرن التاسع الميلادي .
- محمد بن نصر المروزي ، فقيه إسلامي عاش في القرن التاسع الميلادي .
- أبو إسحاق المروزي ، فقيه إسلامي عاش بالقرن العاشر الميلادي .
- أحمد بن عبد الله المروزي ، عالم رياضيات عاش في القرن العاشر الميلادي .
- شرف الزمان طاهر المروزي ، طبيب عاش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي .
- فتوحي المروزي ، من أدباء وشعراء إيران في القرن السادس الهجري .

قلت : سبحان الله ، قال : يا أحمق هذا تسبيح تعلمته بعبادان منذ ستين سنة أسبح به ، فاتركه لقولك يا جهل .

دعاء المغفل

وقال : رأيت أبا محمد السيرافي ، وكان طويل اللحية يدعو ربه وقد رفع يديه إلى السماء وهو يقول : يا منقذ الموتى ، ومنجي الغرقى ، وقابل التوبات ، وراحم العثرات ، أنت تجد من ترحمه غيري وأنا لا أجد من يعذبني سواك .

دعاء الله والملائكة والناس

قال : رأيت أبا سعيدي البصري يدعو ربه ، وكان طويل اللحية أحمق ، وهو يقول : يا رباه ، يا سيداه ، يا مولاه ، يا جبرائيل ، يا إسرافيل ، يا ميكائيل ، يا كعب الأحبار يا أويس القرني بحق محمد وجرجيس عليك ، أرخص أمتك على الدقيق .

خشوع الحمقى

عن بشر بن عبد الوهاب قال : كان يجلس إلى عمود في دمشق رجل جميل الهيئة ، فرأيته يوماً وقد سجد ويقول في سجوده : سجد لك خضرتي وحمرتي وصفرتي وبياضي وسوادي ، خاشعاً ضارعاً خاضعاً ماصاً لبظر أمه ، ومن أنا عندك؟! الزاني ابن الزانية حتى لا تغفر له؟

النظر إلى الدنيا بعينين، إسراف

كان لأبي العتاهية[1] تلميذ تصوف وتزهد وقير إحدى عينيه وقال : النظر إلى الدنيا بعينين إسراف .

(١) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ، أبو إسحاق ، ولد في عين التمر سنة ١٣٠ هـ/٧٤٧ م ، ثم أنتقل إلى الكوفة ، كان بائعا للجرار ، مال إلى العلم والأدب ونظم الشعر حتى نبغ فيه ، ثم انتقل إلى بغداد ، وأتصل بالخلفاء ، فمدح المهدي والهادي والرشيد .

من كان بين محمد وآله

قال بعضهم : كان لي عم له سبعو سنة ، فسمعته يقول في دعائه : بمن كان بين محمد وآله من النبيين والمرسلين ، فقلت له : يا عم ، اسمعك تدعو بهذا الدعاء فمن كان بين محمد وآله من النبيين والمرسلين؟ فقال : العشرة الذين بايعوه تحت الشجرة .

قصة متزهد لا يعرف من هم الأنبياء

قال بعض معارفنا : إنه حضر في بعض البلاد عند متزهد ، وحضر جماعة يتبركون به ، منهم قاضي البلاد ، فجرى ذكر لوط عليه السلام فقال المتزهد : عليه لعنة الله ، فقيل له : ويحك هذا نبي ، فقال : ما علمت ، ثم التفت إلى القاضي فقال : خذ علي التوبة مما قلت ، فتاب ، ثم أفاضوا في الحديث فجرى ذكر فرعون فقالوا له : ما تقول فيه؟ فقال : أنا الآن تبت فلا أدخل بين الأنبياء .

معاشرة الصبيان سبب للغفلة

وهذا شيء قل أن يخطىء ونراه مطرداً ، ولا نظن السبب في ذلك إلا معاشرة الصبيان ، وقد بلغني أن بعض المؤدبين للمأمون أساء أدبه على المأمون وكان صغيراً ، فقال المأمون : ما ظنك بمن يجلو عقولنا بأدبه ويصدأ عقله بجهلنا ، ويوقرنا بزكانته ونستخفه بطيشنا ، ويشحذ أذهاننا بفوائده ويكل ذهنه بغينا ، فلا يزال يعارض بعلمه جهلنا ، وبيقظته غفلتنا ، وبكماله نقصنا ، حتى نستغرق محمود خصاله ، ويستغرق مذموم خصالنا ، فإذا برعنا في الاستفادة برع هو في البلادة ، وإذا تحلينا بأوفر الآداب تعطل من جميع الأسباب ، فنحن الدهر ننزع منه آدابه المكتسبة فنستفيدها دونه ونثبت فيه أخلاقنا الغريزية فينفرد بها دوننا ، فهو طول عمره يكسبنا عقلاً ويكتسب منا جهلاً ، فهو كذبالة السراج ودودة القز .

قاضٍ لا يقبل شهادة المعلمين

قال الجاحظ : كان ابن شبرمة لا يقبل شهادة المعلمين . وكان بعض الفقهاء يقول : النساء أعدل شهادة من معلم .

سبب غفلة الحاكة

عن أبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل[1] رضي الله عنه قال : حدثنا سفيان عن أبي هارون يعني موسى بن أبي عيسى أن مريم ذهبت تطلبه يعني عيى فلقيت حائكاً فقال : ذهب هكذا ، قال سفيان : كذبها ، فقالت : اللهم توهه . فلا تجده إلا تائهاً . وسألت رجلاً خياطاً فأرشدها فدعت له فهو يجلس إليهم .

وعن موسى بن أبي عيسى أن مريم فقدت عيسى ، فدارت تطلبه ، فرأت حائكاً فلم يرشدها ، فدعت عليه فلا تزال تراه تائهاً ، ورأت خياطاً فأرشدها ، فدعت له فهو يأنس إليهم ويجلس معهم .

الرشيد والقلال

قالوا : أحب الرشيد أن ينظر إلى أبي شعيب القلّال وكان أحمقا كيف يعمل القلال ، فأدخلوه القصر وأتوه بكل ما يحتاج إليه من آلة العمل ، فبينا هو يعمل إذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه ، فلما رآه نهض قائما ، فقال له الرشيد : دونك ما دعيت له ، فإني لم آتك لتقوم إلي ، وإنما أتيتك لتعمل بين يدي . قال : وأنا لم آتك ليسوء أدبي ، وإنما أتيتك لأزداد بك في كثرة صوابي .

قال له الرشيد : إنما تعرضت لي حين كسدت صنعتك . فقال أبو شعيب : يا سيد الناس ، وما كساد عملي في جلال وجهك؟ فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ثم قال : والله ما رأيت أنطق منه أولا ، ولا أعيا منه آخرا ، ينبغي لهذا أن يكون أعقل الناس أو أجنّ الناس .

جار الجاحظ

عن أبي العيناء قال : قال لي الجاحظ : كان لنا جار مغفل جداً وكان طويل اللحية فقالت له امرأته : من حمقك طالت لحيتك ، فقال : من عير عير .

قال : وقد رأى على بابه قذراً ، فقال : هذا الذي قذر خلفنا إن كان صادقاً فليقذر في وجوهنا حتى نعلم . وولد له ولد فقيل له : ما تسميه؟ فقال : عمر بن عبد العزيز ، وهنؤوه به فقال : إنا هو من الله ومنكم .

---

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي فقيه ومحدِّث مسلم ، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي .

دعا الله أن لا يؤاخذ موسى

وعن أحمد بن عمر البرمكي قال : قال أبو المنذر : مرت بي آية وهي قوله تعالى : ﴿لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ ، فلم يرض موسى أن ادعى ملك نفسه حتى ادعى ملك أخيه ، رحم الله موسى ما إن كان إلا قدرياً صرفاً ، أسأل الله أن لا يؤاخذه .

أفسد بدل أن يصلح

عن إسماعيل بن زياد قال : نشزت على الأعمش امرأته ، وكان يأتيه رجل يقال له : أبو البلاد فصيح يتكلم بالعربية يطلب منه الحديث ، فقال له : يا أبا البلاد : إن امرأته قد نشزت علي وغمتني ، فادخل عليها وأخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم ، فدخل عليها فقال : إن الله قد أحسن قسمك ، هذا شيخنا وسيدنا ، وعنه نأخذ ديننا وحلالنا وحرامنا ، لا يغرك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه ، فغضب الأعمش عليه وقال : أعمى الله قلبك ، قد أخبرتها بعيوبي كلها ، أخرج من بيتي ، فأخرجه .

زيادة المرء أو نقصه في التكلم

عن محمد بن سلام(١) قال : قال الشعبي(٢) : كان شاب يجلس إلى الأحنف ، فأعجبه ما رأى من صمته إلى أن قال له ذات يوم : أود أن تكون على شرف هذا المسجد وإن لك مائة ألف درهم ، فقال له : يا ابن أخي ، والله إن مائة الألف لمحروص عليها ، ولكني قد كبرت وما أقدر على القيام على هذه الشرفة ، وقام الفتى ، فلما ولى قال الأحنف :

وكأين ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

(١) محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي أبو عبد الله البصري مولى قدامة بن مطعون ، صنف كتاب طبقات فحول الشعراء ، وكان من أهل الفضل والأدب .

(٢) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، والمشهور بـ الإمام الشعبي ٢١ هـ/١٠٠ هـ ، تابعي وفقيه ومحدث من السلف ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب .

من قصص ابن أبي الشوارب

عن محمد بن الحسن بن زياد(١) عن بعض ولد أبي الشوارب وكان أحمق أن أباه أمره بتقيير حب فقيره من خارج ، فقال له أبوه : ما هذا الفعل؟ قال : إذا شئت أن تقلبه فاقلبه . وحكي أن هذا المذكور قد احتلم ليلة في وقت بارد ، وكره أن ينغمس في الماء البارد وطلب شيئاً يسخن فيه الماء فلم يجد ، فنزع ثوبه وعبر النهر سباحة حتى استعار شيئاً يسخن فيه الماء ورجع سباحة ثم سخن فيه واغتسل .

أساء المناداة فأوقعوا به

عن أبي العيناء أنه قال : رأيت يوماً في الوراقين منادياً مغفلاً في يده مصحف مخلق الأداة ، فقلت له : ناد عليه بالبراءة من العيب ، وأنا أعني به الأداءة ، فأقبل ينادي بالبراءة مما فيه ، فأوقعوا به .

لا أبيت في هذه البلدة

عن معمر أنه قال : دخلت مسجد حمص فإذا أنا بقوم لهم رواد ، فظننت فيهم الخير فجلست إليهم ، فإذا هم ينتقصو علي بن أبي طالب ويقعون فيه ، فقمت من عندهم ، فإذا شيخ يصلي ظننت فيه الخير فجلست إليه ، فلما أحس بي وسلم قلت : يا عبد الله ما ترى هؤلاء القوم ينتقصون علياً ويشتمونه ، وجعلت أحدثه بمناقبه وأنه زوج بنت رسول الله ﷺ وأبو الحسنين وابن عم الرسول ، فقال : يا عبد الله ، ما لقي الناس من الناس ، ولو أن أحداً نجا من الناس ، لنجا منهم أبو محمد رحمه الله ، هو ذا يشتم وحده . قلت : ومن أبو محمد؟ قال : الحجاج بن يوسف . وجعل يبكي ، فقمت عنه وقلت : لا يحل لي أن أبيت في هذه البلدة ، فخرجت من يومي .

أعجب ما أرى في الكوفة

قال ابن الماجشون(٢) : كان لي صديق مدني فقدته مدة ثم رأيته ، فسألته عن

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند (٢٦٦-٣٥١ هـ) المقرئ ، المعروف بالنقاش ، الموصلي الأصل البغدادي المولد والمنشأ ؛ كان عالما بالقرآن والتفسير .

(٢) ابن الماجشون العلامة الفقيه مفتي المدينة أبو مروان ، عبد الملك بن الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون التيمي .

حاله فقال : كنت بالكوفة ، فقلت : كيف أقمت بها وهم يسبون أبا بكر وعمر؟ فقال : يا أخي قد رأيت منهم أعجب من ذا ، قلت : وما هو؟ قال : يفضلون الكباشي على معبد في الغناء ، فسمع المهدي بذلك فضحك حتى استلقى .

خبير بالبراذين

وعن ابن خلف قال : كان رجل يعرف بالمسكي يدعي البصر بالبراذين ، فنظر يوماً إلى برذون واقف ، قد بلع رأس اللجام ، فقال : العجب كيف لا يزرعه القيء ، أنا لو أدخلت أصبعي في حلقي لما بقي في جوفي شيء ، قال : قلت الآن علمت أنك بصير بالبراذين .

إذا جاء رمضان استويا في العمر

قال : وسأل أبو نواس[(١)] أحد الوراقين الذين كانوا يكتبون في حانوت أبي داود : أي أسن أنت أم أخوك؟ قال : إذا جاء رمضان استوينا .

قال : وسرقت منه دراهم ، فقيل له : نرجو أن نكون في ميزانك ، فقال : من الميزان سرقت .

لا أحتاج إلى أحد

وقيل لسورة الواسطي وأراد سفراً : أحسن الله صحابتك : قال : ما أحتاج ، الموضع أقرب من ذلك .

إذا طلع الفجر نصف الليل

وعن أبي عاصم[(٢)] قال : قال رجل لأبي حنيفة[(٣)] : متى يحرم الطعام على

---

(١) أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي . يكنى بأبي علي وأبي نؤاس والنؤاسي . وعرف أبو نواس بشاعر الخمر . قال البعض انه تاب عما كان فيه وأتجه إلى الزهد وقد انشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك .

(٢) الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن الضحاك ، الإمام الحافظ شيخ المحدثين الأثبات ، أبو عاصم الشيباني .

(٣) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ فقيه وعالم مسلم ، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي .

الصائم؟ قال : إذا طلع الفجر ، قال : وإذا طلع الفجر نصف الليل؟ قال : قم يا أعرج .

جليس أبي يوسف

وعن طاهر الزهري قال : كان رجل يجلس إلى أبي يوسف فيطيل الصمت ، فقال له أبو يوسف : ألا تتكلم؟ قال : بلى ، متى يفطر الصائم؟ قال : إذا غابت الشمس ، قال : فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فضحك أبو يوسف وقال : أصبت في صمتك وأخطأت في استدعائي لنطقك ، ثم قال :

عجبت لإزراء العيي بنفسه   وصمت الذي كان بالصمت أعلما
وفي الصمت ستر للعيي وإنما   صحيفة لب المرء أن يتكلما

اتهم المغفل ربه

عن أبي الحسن المدني قال : سرق لأبي الجهم بن عطية حمار ، فقال : لا والله يا رب ، ما أخذ حماري غيرك وأنت تعرف موضعه فاردده علي .

إنه يعرف لبس أمه

عن مسعود قال : وجه عمرو بن سلمة ابن قتيبة أخاه ليشتري لأمه كفناً ، فقال للبائع : لا تنتخبه فإنها ، رحمها الله ، كانت رديئة اللبس .

مسألة غامضة

قال الدارقطني : عن أبي الحسين بن عبد الرحيم الخياط قال : كنت جالساً عند أحمد بن الحسين فجاءته امرأة برقعة فيها مسألة ، فقال لي : اقرأها علي يا أبا الحسين ، فقرأتها فإذا فيها : رجل قال لامرأته أنت طالق إن ، ثم وقف عند إن ، فقال لها : فما حال إن؟ قالت : لسن أعرف عند إن . فقال لي : أعد القراءة ، فأعدت عليه كما قرأت أول مرة ، فقال لها : فثم وقف عند إن هذه ولم يتم ، قالت : لا والله ما أعرف وقف عند إن ، قال : وكان في المسجد جماعة فقال لهم : أنظروا ، فقرأوا كلهم كما قرأت ، ثم تنبه بعضهم لذلك فقال : إنما هو : رجل قال لامرأته أنت طالق إن ثم وقف عند إن .

الإخوة المغفلون

وعن المرزبان[1] قال : قال أبو عثمان البصري : كان أخوة ثلاثة ، أبو قطيفة والطبلي وأبو كلير ، وهم ولد غياث بن أسيد ، فأما أحدهم فكان يحج عن حمزة بن عبد المطلب ويقول : استشهد قبل أن يحج ، والآخر يضحي عن أبي بكر وعمر ويقول : غلطا في ترك الأضحية ، والآخر يفطر عن عائشة أيام التشريق ، ويقول : غلطت في صوم أيام العيد ، فمن صام عن أبيه فأنا أفطر عن أمي عائشة .

غافل أساء الأدب

قال أبو عثمان : وذكر لأبي شعيب البلال عبد الله بن حازم وحميد الطوسي ويحيى الحرمي وما كانوا فيه من كثرة القتل والضرب والعذاب ، فقال : ويحهم كيف يجسرون على ذاك الأسد! يعني الله ، تعالى عما قال .

شهادة الأحمق

قال أبو عثمان : وسمع بعض الحمقى مؤذناً يؤذن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال الأحمق : أشهدها مع كل شاهد وأجحدها مع كل جاحد .

لا يرى ضرورة للقسم

وعن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال : تقدم إلي في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وأنا أتقلد القضاء بالأهواز في مجلس حكم ، رجلان ، ادعى أحدهما على الآخر دعوى ، فسألته عنها فأنكرها ، فطالبت المدعي ببينة فعدمها ، وطلب استحلاف الخصم فقتل له : أتحلف؟ فقال : ليس له علي شيء كيف أحلف ، ولو كان له علي شيء لحلفت له وأكرمته .

---

(١) سعيد بن المرزبان البقال اسمه سعيد بن المرزبان العبسي ، أبو سعد ، البقال الكوفي الأعور ، مولى حذيفة بن اليمان كنيته أبو سعد وقيل : العبسي مولاهم البقال الكوفي الأعور يعتبر سعيد بن المرزبان البقال من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ضعيف مدلس ،وعند الإمام شمس الدين الذهبي قال أحمد : منكر الحديث .

ما خرج من الكتاب حتى تعلم كل شيء

وعن ثمامة بن أشرس(١) قال : شهدت رجلاً وقد قدم خصماً له إلى بعض الولاة فقال : أصلحك الله ، أنا رافضي ناصبي ، وخصمي جهمي مشبه مجسم قدري ، يشتم الحجاج بن الزبير الذي هدم الكعبة على علي بن أبي سفيان ويلعن معاوية بن أبي طالب ؛ فقال له الوالي : ما أدري مم أتعجب ، من علمك بالأنساب أم من معرفتك الألقاب ، قال : أصلحك الله ، ما خرجت من الكتاب حتى تعلمت هذا كله .

عاقل يجري عليه حكم جاهل

وعن محمد بن المبرد ، عن الحسن بن رجاء ، أن الرشيد لما غضب على ثمامة دفعه إلى سلام الأبرش ، وأمره أن يضيق عليه ، وأن يدخله بيتاً ويطين عليه ويترك فيه ثقباً ، ففعل دون ذلك ، وكان يدس إليه الطعام ، فجلس سلام عشية وهو يقرأ في المصحف ، فقرأ ويل يومئذ للمكذبون فقال ثمامة : إنما هو المكذبين ، وجعل يشرح ويقول : المكذبون هم الرسل ، والمكذبين هم الكفار ، فقال : قد قيل لي : إنك زنديق ولم أقبل ، ثم ضيق عليه أشد الضيق ، قال : ثم رضي الرشيد عن ثمامة فجالسه ، فقال : أخبروني عن أسوأ الناس حالاً ، فقال كل واحد شيئاً ، قال ثمامة : وبلغ القول إلي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، عاقل يجري على حكمٍ جاهل؟ فتبينت الغضب في وجهه فقلت : يا أمير المؤمنين ما أحسبني وقعت بحيث أردت ، قال : لا والله ، فانشرح ، فحدثته بحديث سلام ، فضحك حتى استلقى وقال : صدقت ، والله لقد كنت أسوأ الناس حالاً .

صب علي الماء البارد

عن المرزبان قال : أخبرني بعض أصحابنا قال : قال رجل لرجل في يوم بارد : أصبت عليك جرة ماء وأعطيك درهماً! فتلكأ ، فقال آخر : إفعل ذلك علي والدرهم بيني وبينه .

---

(١) ثمامة بن أشرس العلامة أبو معن النميري البصري المتكلم ، من رءوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن – جل منزله . وكان نديما ظريفا صاحب ملح .

حلق الله لحيتك

وعن ابن المرزبان ، قال : أخبرني بعض الأدباء قال : قال رجل من العراق لرجل من الشام في كلام جرى بينهما : حلق الله لحيتك ، قال : بمكة إن شاء الله .

أيهما أفضل

كذلك قال بعض الأدباء : قال : سئل خطيب أي أفضل معاوية أم عيسى بن مريم؟ فقال : لا إله إلا الله أتقيس كاتب الوحي بنبي النصارى . . .

خروج الريح في الصلاة

قال : تقدم رجل إلى بعض الفقهاء فقال له : الرجل إذا خرجت منه الريح تجوز صلاته ، قال : لا ، قال : قد فعلت أنا وجاز .

اعترفت بذنبي فاغفر لي

وعن ابن المرزبان ، قال : دعا رجل من الأشراف بمكة فقال : اللهم إن كنت ما تعرفني فأنا فلان بن فلان ، وأني مررت بعبدك فلان وهو يقول شيئاً فيه فحش ، فرفسته فانبطح يفحص برجليه ميتاً ، اللهم قد أقررت لك الآن فاغفر لي كما تريد .

موضع إن شاء الله

وخرج رجل إلى السوق يشتري حماراً ، فلقيه صديق له فسأله ، فقال : إلى السوق لأشتري حماراً ، فقال : قل إن شاء الله ، فقال : ليس ها هنا موضع إن شاء الله ، الدراهم في كمي ، والحمار في السوق ، فبينما هو يطلب الحمار سرقت منه الدراهم فرجع خائباً ، فلقيه صديقه ، فقال له : ما صنعت؟ فقال : سرقت الدراهم إن شاء الله ، فقال له صديقه : ليس ها هنا موضع إن شاء الله .

لا تستثن حتى تسلم

قال : وركب أحمقان في قارب فتحركت الريح ، فقال أحدهما : غرقنا والله ، وقال الآخر : لا إن شاء الله ، قال : لا تستثن حتى تسلم .

تزوج الصغيرة تقليلاً للشر

قال : وأخبرني بعض أصحابنا ، قال : تزوج رجل امرأة صغيرة ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنما المرأة شر ، وكلما أقللت من الشر كان خيراً .

عمل بالنصائح مجتمعة

عن أبي علي البصري : قال : أخبرت أن رجلاً ورث مالاً جزيلاً فعمل فيه ما اشتهى ، فقال : أريد أن تفتحوا علي صناعة لا يعود علي منها شيء فأتلف بها هذا المال ، فقال له أحد جلسائه : اشتر التمر من الموصل واحمله إلى البصرة ، وقال آخر له : اشتر من ابر الخياطة التي ثلاثة بدرهم فإذا جمعت عشرة أرطال أسبكها نقداً تبيعها بدرهمين ، وقال آخر : اشتر ما شئت واخرج إلى الأعراب فبعه منهم ، وخذ سفاتجهم إلى الأكراد ، وبع من الأكراد وخذ سفاتجهم إلى الأعراب ، فكان يفعل ذلك حتى فني ماله .

عن الحارث قال : قال رجل لامرأته وقد غضب عليها : يا هذه أنا الذي إذا رأيت المرأة تأتي بقبيح أهينها وأهين من يهينها .

عمر أبي فضالة

قال الحارثي : وكان يلزم القاضي أبا الحسن الهاشمي رجل بالبصرة من أهلها يقال له أبو فضالة ، وكان ربما سأل القاضي عن مولده فيقول : ولدت في سنة خمس وسبعين ومائتين ، فما أراه يكثر في طول هذه المدة ، فإذا الكبر يكون عنده بقدم المولد إلى فوق .

عجوز تلعن نفسها

عن الهذيل ، أنه قال : كان عندنا بالمدينة لحام ، فجاءته عجوز فقالت : أعطني بدرهم لحماً وطيبه لي وأخبرني باسمك حتى أدعو لك ، فأعطاها شر لحم وقال : اسم من تمد ، فلما أفطرت العجوز جعلت تمد اللحم فلا تقدر عليه ، فجعلت تقول : لعن الله من تمد فتلعن نفسها . وحكي أن قصاباً كان ينادي على اللحم ، سري تعالوا على أربعة .

أمشي وأربح حماراً

عن محمد الداري قال : كان عندنا رجل بدارا وكان فيه غفلة ، فخرج من دارا ومعه عشرة أحمر ، فركب واحداً وعدها ، فإذا هي تسعة ، فنزل وعدها فإذا هي عشرة ، فلا زال كذلك مراراً ، فقال : أنا أمشي وأربح حماراً خير من أن أركب ويذهب مني حمار ، فرأيته يمشي حتى كاد يتلف إلى أن بلغ قريته .

عادة أبي حفص

عن أبي العيناء قال : كان عندنا بالبصرة رجل يكنى أبا حفص ، ويلقب ببلاغة ، قال : كان يمر بالقوم فيقول : أنتم لا صبحكم الله إلا بالخير ، ويمر بآخرين ويقول : أنتم لا مساكم الله إلا بالكرامة ، وكان لا يمر آخر كلامه حتى يسبح .

لا يقع الطلاق حتى يرضى أبوك وأمك

عن أبي إسحاق الجوني قال : كان لنا جار نحاس يقال له : عباس ، قد أتى عليه خمس وثمانون سنة ؛ قال : فسألته إمرأة عن مسألة فقالت له : زوجي طلقني ثلاثاً ، فقال : أرضي أبوك وأمك؟ قالت : لا ، قال : فاذن يجوز العود حتى يرضى أبوك وأمك ، قالت : قد سألت أبا إسحاق فقال لي : قد طلقت ، فقال : وما يدري أبا إسحاق ، أنا أبصر منه وأعلم منه ، وأكبر منه . أنا ألقيت على أبا إسحاق مسألة فلم يخرج منها .

حيلة زوجة

عن المروزي قال : اشترى أبو عبد الحميد سمكة فنام إلى أن تستوي فجيء بالسمكة فأكلتها امرأته مع نساء ، ثم مسحت شفتيه وأطراف أصابعه منها ، فانتبه فدعا بالغداء وقال : هاتوا السمكة ، فقالت له امرأته : يا مخبل ألست قد أكلتها ونمت ولم تغسل يديك؟ فشم يده فوجد ريح السمك فغسل يده وقال : ما رأيت سمكة أمرأ من هذه ، قد جعت فهيئوا لي الغداء .

أكلت وما شبعت

عن يحيى بن معين قال : اشترى غندر سمكاً فقال لأهله : أصلحوه ، ونام ،

فأكل عياله السمك ولطخوا يده به ، فلما انتبه قال : قدموا السمك ، قالوا : قد أكلت ، قال : صدقتم ولكني ما شبعت .

غندر يتحدث عن سلامته

وقيل لغندر : إن الناس يعظمون أمر السلامة التي فيك ، فحدثنا منها بشيء صحيح قال : صمت يوماً فأكلت ثلاث مرات ناسياً ، أكلت ثم ذكرت أني صائم ، ثم نسيت ثم ثنيت ؛ ثم ثلثت فأتممت صومي . وقال : سمعت أبي يقول : قال المأمون : اختر لي إسماً أسمي به جاريتي هذه ، قال : سمها مسجد دمشق فإنه أحسن شيء .

لا أمشي في جنازة

عن أبي بكر بن زياد قال : مات جار لمكي فلم يتبع جنازته ، فقال له : ويحك لم لم تتبع جنازته؟ فقال : أنتم مجانين أذكر بنفسي .

عالم بالنجوم

عن سفيان قال : كان رجل يقول لعمرو بن دينار : أنا أبصر بالنجوم ، فقال له عمرو : أتعرف الهقعة والقنعة والوقعة؟ قال : نعم ، قال : الآن لا تعلم من النجوم شيئاً .

شيخ من الري يهذي

دخل على حاتم العقيلي شيخ من أهل الري ، فقال : أنت الذي تروي أن النبي ﷺ أمر بقراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام؟ قال : قد صح الحديث عن النبي ﷺ في ذلك ، فقال له : كذبت ، إن فاتحة الكتاب لم تكن في عهد رسول الله ﷺ ، إنما نزلت في عهد عمر بن الخطاب .

الجارية النادبة

قال المدائني : سمع أسماء بن خارجة[1] نادبة فقال :

(١) أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وكنيته أبو حسان الكوفي ، وكان من أشراف العرب وسادتهم ، عرف عنه الجود والسخاء وله قصص كثيرة بالكرم ، وكانت بنته هند زوجاً للحجاج بن يوسف ، وابنه مالك بن أسماء من ولاة الحجاج .

فمــــن للمنابــــر والخافقــات والجـرد بعـد إمــام العــرب
ومــــن للطعــان غـداة الهياجـــو مــن يمنـع البيــض عند الهـرب
ومــــن للعفــاة وفـك العــتاة و مــن يفرج الكرب عنــد الكـرب

فقال أسماء : إنها لتندب رجلاً شريفاً فمن هو؟ فقيل له : إنه فلان البقال ابن وردان الحائك ، فقال : هذه أعظم من المصيبتين .

الكلب المفضل

عن المدائني : لقي رجل رجلاً ومعه كلبان ، فقال : هب لي أحدهما ، فقال : أيهما تريد؟ فإن الأسود أحب إلي من الأبيض ، قال : فهب لي الأبيض ، قال : الأبيض أحب إلي من كليهما .

كساه الأمير ثوبين

قال طارق : ودخل رجل على بلال فكساه ثوبين ، فقال : كساني الأمير ثوبين ، فأتزرت بالآخر ، وارتديت بالآخر .

دعا على نفسه

قال طارق : ووقع بين جار لنا وجار له يكنى أبا عيسى كلام ، فقال : اللهم خذ مني لأبي عيسى ، فقالوا : تدعو على نفسك؟ قال : فخذ لأبي عيسى مني .

يدغدغ نفسه

قال ابن الفرج : حدثني أبي قال : رأيت إنساناً يدغدغ نفسه فقلت له : لم تفعل هذا؟ قال : اعتممت فأردت أن أضحك قليلاً .

ماتت امرأته فندبها بحمق

قال ابن خلف : وقيل لهبيرة لما ماتت امرأته : اندبها ، اذكرها بشيء ، قال : يا فلانة رحمك الله ، لقد كان بابك مفتوحاً ومتاعك مبذولاً .

اسم التاجر

عن عبد الرحمن بن داود قال : لقي تاجر تاجراً فقال له : ما اسمك ولا تطول ، فقال : أبو عبد منزل القطر عليكم من السماء تنزيلاً الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه فقال : مرحباً بك يا ثلث القرآن .

لا تخرج من البئر حتى أنقذك

وذكر ابن حبيب أن أخاً لعثمان بن سعيد سقط في البئر ، فقال أخوه : أنت في البئر؟ قال : أما تراني! قال : لا تذهب حتى أجيئك بمن يخرجك .

حلف ألا يبيت إلا عند أهله

قال ابن خلف : قال محمد ، أخذ شراعة العسس فأمر به إلى السجن ، فقال : أصلحك الله ، علي يمينٌ ألا أبيت عن أهلي .

ناجية المغفل

وقال : أخبرني بعض أصحابنا ، قال : أراد ناجية الخروج إلى بغداد ، فوضع سلماً وجعل يصعد وينزل ، فقيل له ، ما تصنع؟ قال : أتعلم السفر .

قال : ودخل الماء إلى كعبه فصاح الغرق ، فقيل له في ذلك ، فقال : أردت أن آخذ بالوثيقة . وعنه ، دخل على أبي يعقوب وهو يجود بنفسه ، فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال :

أمثلـــي يـــــروع بالنائبـــــا ت ويخشــى حوادث صرف الزمن
أذلنـــي اللــــه ذل الحمـــــ ـار وأدخلنــي حــر أمـــي إذن

لا يحب غيبة الجوز

وعنه : حدثني عبد الرحمن بن محمد ، قال : اشترى رجل جوزاً وجعل يقلبه ، فأخذ جوزه في يده فقال : ما أرى في جوفها شيئاً ، ثم قال : أستغفر الله لا أكون أغتبتها .

خسر المغفل الحمار

ذكر عن حباب بن العلاء قال : كنت بالمدينة فحضرت قاضياً بها ، فإذا رجل قد أقبل يقود حماراً ومعه رجل آخر ، فأخبر أن حماره سرق وأنه وجده مع هذا ، فسأله القاضي ، فقال : الحمار لي وهو في يدي ، فقال للمدعي : ألك بينة! قال : نعم ، فقال : أحضهم ، فقام وركب الحمار ومضى عليه ، فأقبلت على الذي كان الحمار في يده فقلت له : كيف أعطيته الحمار بعد ما رأيت من دعواه! فقال : استعاره مني .

رسالة إلى أم ولده

قال ابن خلف : وأخبرني أبو صالح البصري قال : ولد لرجل ابن في غيبته ، فكتبت إليه امرأته تبشره بالمولود ، فكتب إليها : بلغني أنك ولدت ابناً فأحسن الله جزاءك وأعان على مكافأتك وقد سميته محمد بن عبد الله ﷺ .

ابني لم يختتن من قبل

قال : وأخبرني بعض أهل الأدب قال : أراد رجل أن يختن ابنه فقال للحجام : ارفق به ، فإنها ما اختتن قط .

قدم الوكيل غداً

كان لإبراهيم وكيل يقال له : خليل ، فقدم من ضيعته ، فقال له : متى قدمت! قال : غداً يا سيدي ، قال : فأنت إذن في الطريق .

لماذا أسرع إليه الشيب

قال : سمعت أبا بكر بن محمد يقول : قلت لأبي العبر : لقد أسرع إليك الشيب ، قال : وكيف لا يسرع إلي الشيب وأنا أبكر كل يوم إلى من لو كان أمره إلي ، أن يسرح مع النعاج ويلقط مع الدجاج ، هذا ابن حمدان يملك ألف ألف درهم قصدته يوماً فبينا أنا عنده عطس ، فقلت له : يرحمك الله ، فقال لي : يعرفك الله .

يعود دوماً إلى دار باعها

قال الحاكم : سمعت أبا الحسن بن عمر يقول : بعت داراً لي ، فكنت كلما

أذنت بباب المسجد أنسى أنني بعتها فأصلي وأرجع إليها وأفتح الباب وأدخل . فيصحن بي النساء : يا رجل اتق الله فينا ، فأقول : اعذرنني ، فإنني ولدت في هذه الدار ، وأنسى كل يوم ، إلى أن أتى على ذلك مدة .

ألف في القابل خير من خمسمائة حاضراً

قال : كان عبدان الأسدي الشاعر أحمق : فيقال : إنه كان يأتي ابن بشر فيقول له : أخمسمائة اليوم أحب إليك أم ألف في القابل! فيقول : ألف في قابل ، فإذا أتاه قابلاً قال له : ألفٌ أحب إليك أم ألفان في القابل! فلم يزل كذلك حتى مات .

الصياد الأحمق

وعن أبي الحسن الدامغاني(١) حاجب معز الدولة(٢) قال : كنت في دهليز معز الدولة ، فصاح صائحك نصيحة . فاستدعيته وقلت : ما نصيحتك؟! قال : لا أذكرها إلا للأمير ، فدخلت فعرفته ، فقال : هاته ، فأحضرته بين يديه فقال : ما عندك؟! قال : أنا رجل صياد بناحية المدائن ، وكنت أصيد فعلقت شبكتي بأسفل جرف ، فاجتهدت في تخليصها فتعذر ذلك علي حتى نزلت وغصت في الماء ، فإذا هي معلقة بعروة حديد ، فحفرت فإذا قمقم مملوء مالاً فرددته مكانه وناديت لأعرف الأمير ، قال الدمغاني : فانحدرت معه في الوقت إلى المدائن العتيقة وقصدنا الجرف فوجدنا القمقم وقلعناه ، وسعيت بنفسي في تتبع الموضع فتقدمت إلى الصياد استقصاء الحفر ، فوجدنا سبعة قماقم أخر مملوءة مالاً ، فحملنا الجميع إلى معز الدولة

---

(١) وهو قاضي القضاة أبو الحسن علي ابن قاضي القضاة محمد بن علي الدامغاني الحنفي ، ولد في بغداد في شهر رجب من عام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م ، وتفقه على أبيه وعلماء عصره ، ثم ولي القضاء في باب الطاق وله عشرون عاماً ، ثم ولي قضاء القضاة في زمن أربعة من الخلفاء العباسيين : (المستظهر والمسترشد والراشد والمستنجد) . ودام في وظيفته قاضياً لمدة أربعة وعشرون عاماً ، وكان ذا رأي وحزم ، وكان سخياً وذو هيبة بين الناس ، ولقد روى الحديث عن أبيه وعن أبي محمد الصريفيتي ، وجماعة آخرون .

(٢) معز الدولة السلطان أبو الحسين أحمد بن بويه بن فنا خسرو بن تمام بن كوهي الديلمي الفارسي . قد ساق نسبه ابن خلكان إلى كسرى بهرام جور .

فسر به فأمر للصياد بعشرة آلاف درهم فامتنع من قبولها وقال : الذي أريده غيرها ، قال : ما هو؟! قال : تجعل لي صيد تلك الناحية وتمنع كل أحد غير من الصيد ، فضحك الأمير وعجب من جهله وحمقه : وأمر له بما سأل .

هربوا من رمضان

عن المدائني عن عمرو بن الحسن قال : خرج أهل بيت من اليمن من منازلهم حتى صاروا إلى شعب من الجبل ، فاختفوا فيه وقالوا : نهرب من شهر رمضان لا يدخل علينا .

الطالقاني فقيه مغفل

قال أبو علي الداراني : كان الطالقاني من أصحاب أبي حنيفة ، وكان شديد الغفلة ، فقال يوماً لابن عقيل : كيف مذهبكم في المرأة هل يجوز أن يزوجها ابنها؟! قال له ابن عقيل : في ذلك تفصيل ، إن كانت بكراً جاز ، وإن كانت ثيباً لا يجوز ، فقال : ما سمعت هذا التفصيل قط .

قال : وكان الطالقاني يسأل ، فيقال له : ما تقول في فأرة ميتة مشت على شيء هل ينجس؟! فيقول : لا .

إذا طار لجام فلا تردوه

حدثني بعض أصدقائنا قال : كان بواسط رجل من المعدلين ، إلى جانب داره اصطبل ، فقال له أهله : إنا نغسل الثياب في السطح فيطير بعضها إلى الإصطبل فلا يردونه علينا ، فقال : وأنتم إذا طار لهم شيء فلا تردوه ، قالوا : أي شيء يطير من أرض الإسطبل إلى سطحنا؟! قال : أي شيء طار مثل لجام ومقود وفرس وغيره .

لماذا لم ترجع الدجاجة من بغداد

قيل : إن رجلاً من السندية وهي على ستة فراسخ من بغداد ، جاز بدجاج ليبيعه قريباً من دجلة ، ببغداد ، فأفلتت دجاجة ، فطلبها فلم تقع بيده ، فقال لها : اذهبي إلى القرية حتى أبيع الباقي ، ثم جاء وباع البواقي ورجع إلى القرية وجعل يتفقد الدجاجة فلم يرها ، فقال لزوجته : أين الدجاجة الرقطاء! فقالت : لا أدري ، فقال : تركتها من بغداد لترجع إليكم فما جاءت؟

حمام النساء مؤنث

قال ابن ناصر : كتب بعض الأدباء الحمام التي فقيل له : إن الحمام مذكر ، قال : هو حمام النساء .

كيف دخلت الستور؟

قال : دعي بعض المغفلين إلى دعوة ، فاشتغل الناس بالأكل وجعل هو ينظر إلى الستور المغلقة ، وكانت الحيطان كلها قد سترت ، فقيل له : ما لك لا تأكل؟ فقال : والله لقد طال تعجبي من هذه الستور الطوال كيف دخلت من هذا الباب القصير!

إذا جاء عاشوراء في رمضان

عن إبراهيم بن دينار قال : كان رجل يقول إنه فقيه يكنى أبا الغوث وفيه تغفيل ، فقيل له : ما تقول فيمن نذر صور عاشوراء فاتفق عاشوراء في رمضان هل يجزئه عنها! قال الخرقي : فقد نص على أنه يجزئه .

وقف امرأته

فقلت : ما تقول فيمن طلق امرأته ، ثم وقفها ، هل يفتقر في هذا الوقف إلى حكم حاكم ، قال : أما مذهب أبي حنيفة فيفتقر إلى حكم حاكم ، وأما مذهبنا مذهب الشافعي فيصح الوقف .

إذا مات مريضكم أعلمونا

دخل بعض المغفلين ، على مريض يعوده ، فلما خرج التفت إلى أهله وقال : لا تفعلوا بنا كم فعلتم في فلان ، مات وما أعلمتمونا ، إذا مات هذا فأعلمونا حتى نصلي عليه .

الغلام الأحمق

عن الصقلاطي : أن رجلاً كان عندهم بالجانب الغربي له غلام ، فبعثه إلى قرية ليأتيه منها بغنم ، فبعثوا معه من الحملان عشرة ، وكتبوا معه بعددها رقعة ، فجاء الغلام بتسعة ، فقال له سيده : كم سلموا إليك؟ قال : عشرة ، قال : هذه تسعة .

قال : عدها ، فجعل يعدها ، يقول واحد ، اثنين ، ثلاثة إلى أن قال تسعة ، فقال الغلام : والله ما أدري ما تقول ، وما هي إلا عشرة ، فقال : ويحك إني أعدها ، قال : ما هي إلا عشرة وإلا فتدخل إلى عشرة من الرجال وتمسك كل واحد حملاً ، قال : افعل ؛ فأدخلوا عشرة ومسك كل رجل حملاً وبقي واحد ، فقال له السيد : هذا ما معه شيء ، فقال : هذا مدير ، كان يدخل ويأخذ في الأول .

المسافر إلى عكبرى

حكي أن رجلاً أراد السفر إلى عكبرى ، فصادف زورقاً مصعداً فاكترى فيه بدرهم ، فلما ساروا قليلاً قالوا : ليت لنا مداداً نكتريه ، فقال : أنا ، فأعطوه الدرهم وقام بمدهم .

مريض يشكو جاره

قال البزار : دخلنا إلى أبي حامد وهو عليل ، فقلنا : كيف تجدك؟ فقال : أنا بخير لولا هذا الجار ، دخل علي أمس وقد اشتدت بي العلة فقال : يا أبا حامد علمت أن ذنجويه مات! فقلت : رحمه الله .

قال : دخلت على المؤمل بن الحسن اليوم وهو في النزع ، فقال : يا أبا حامد ابن كم أنت؟! قلت : في السادسة والثمانين ، قال : أنت إذن أكبر من أبيك يوم مات .

لا يدري من طلق الرجل أم المرأة

عن أبي الفضل أحمد الهمذاني قال : جاءت امرأة إلى القاضي وذكرت أن زوجها طلقها ، فقال القاضي : لك بينة؟! فقال : نعم : جار لنا ، قال : فأحضرته ، فقال القاضي : أسمعت طلاق هذه المرأة! فقال : يا سيدي خرجت إلى السوق فاشتريت لحماً وخبزاً ودبساً زعفراناً ، فقال له القاضي : ما سألتك عن هذا ، هل سمعت طلاق هذه المرأة قال : ثم تركته في البيت وعدت فاشتريت حطباً وخلاً ، فقال : دع هذا عنك ، فقال : ما أحسن الحديث من أوله ، ثم قال : جلت في الدار جولة فسمعت زعقاتهم وسمعت الطلاق الثلاث ، فما أدري أهي طلقته أم هو طلقها .

جاهل قتل نفسه

قال : حدثني جماعة من أهل سابور فيهم كتاب وتجار وغير ذلك ، أنه كان عندهم في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ، شاب من كتاب البلد ، وهو ابن أبي الطيب القلانسي الكاتب ، فخرج إلى بعض شأنه من الرستاق ، فأخذه الأكراد وعذبوه ، فطلبوا منه أن يشتري نفسه منهم فلم يفعل ، فكتب إلى أهله : اهدوا لي أربعة دراهم أفيون واعلموا أنه هو دواء أشربه ، فيلحقني سكتة فلا يشك الأكراد أني ميت ، فيحملوني إليكم ، فإذا جعلت عندكم فأدخلوني الحمام واضربوني ليحمى بدني وشكوني بالإبار فإني أفيق ، وكان الفتى متخلفاً وقد سمع أنه من شرب الأفيون اسكت ، فإذا دخل الحمام وضرب كما ذكر برأ ، ولم يدر مقدار شربه من ذلك فشرب أربعة دراهم ، فلم يشك الأكراد في موته فلفوه وأنفذوه إلى أهله ، فلما حصل عندهم أدخلوه الحمام ضربوه وشكوه فما تحرك ، وأقام في الحمام أياماً فرآه الأطباء فقالوا : هذا قد تلف ، كم شرب من الأفيون! قالوا : أربعة دراهم ، فقالوا : هذا لو شوي في جهنم ما عاش ، إنما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب أربعة دوانيق أو وزن درهم ، فأما هذا فقد مات . فلم يقبل أهلوه وتركوه في الحمام حتى تغير فدفنوه ، وانعكست حيلته على نفسه .

وليس لداء الركبتين طبيب

ذكر أبو الحسين بن برهان : عاد رجلاً مريضاً ، فقال له : ما علتك؟! قال : وجع الركبتين ، فقال : والله لقد قال جرير بيتاً ذهب مني صدره وبقي عجزه وهو قوله : وليس لداء الركبتين طبيب فقال المريض : لا بشرك الله بالخير ، ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه .

العبد الصالح فرعون

خطب عدي بن وتّاد الأيادي وكان مشهوراً بحمقه فقال : أقول كما قال العبد الصالح :

(ما رأيكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) . قالوا له : ليس هذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فرعون . قال : ومن قاله فقد أحسن!

غفلة عائد مريض

دخلت مرة على بعض أصدقائي وفيهم مريض العين ومعي بعض المغفلين ، فقال له المغفل ، كيف عينك؟! قال : تؤلمني ، فقال : والله إن فلاناً آلمته عينه أياماً ثم ذهبت . فاستحييت واستعجلت الخروج .

توبة الجاهل

عن علي بن المحسن عن أبيه قال : بلغنا أن رجلاً أسرع في ماله فبقي منه خمسة آلاف دينار ، فقال : أشتهي أن يفنى بسرعة حتى أنظر إيش أعمل بعده ، فقال له بعض أصحابه : تبتاع زجاجاً بمائة دينار وتبقيه ، وتنفق خمسمائة دينار في أجور المغنيات في يوم واحد مع الفاكهة والطعام ، فإذا قارب الشراب أن يفنى أطلقت فأرتين بين الزجاج وأطلقت خلفهما سنوراً فيتعادون في الزجاج فيتكسر وننهب نحن الباقي ، فقال : هذا جيد فعمل ذلك وجعل يشرب فحين سكر أطلق الفأرتين والسنور وتكسر الزجاج وهو يضحك فقام الرفقاء وجمعوا الزجاج المكسر وباعوه ، قال الذي أشار عليه : فمضيت إليه بعد فإذا هو قد باع قماش بيته وأنفقه ، ونقض داره وباع سقوفها حتى لم يبق إلا الدهليز ، وهو نائم فيه على قطن متغظ بقطن ، فقلت : ما هذا! قال : ما تراه ، فقلت : بقيت في نفسك حسرة! قال : نعم ، أريد أرى المغنية ، فأعطيته ثياباً فلبسها ، فرحنا إليها فدخل عليها فأكرمته وسألته عن خبره فحدثها بالحال ، فقالت : قم لئلا تجيء ستي وليس معك شيء فتحرد علي لم أدخلتك ، فاخرج حتى أكلمك من فوق ، فخرج وجلس ينتظر أن تخاطبه من الطاقة ، فسكبت عليه مرقة سكباج فصيرته فضيحة ، فبكى وقال : يا فلان لا تبلغ من أمري هذا ، أشهد الله وأشهد أني تائب ، قلت : إيش تنفعك التوبة الآن ، ورددته وأخذت ثيابي ، وبقيت ثلاث سنين لا أعرف له خبراً ، فبينا أنا في باب الطاق يوماً إذ رأيت غلاماً خلف راكب ، فلما رآني قال : فلان . فعلمت أنه صاحبي وأن حاله قد صلحت ، فقبلت فخذه ، فقال : قد صنع الله وله الحمد البيت ، فتبعته فإذا بالدار الأولى قد رمها وجعل فيها أسباباً ، وأدخلني حجرة أعدها له وفيها فرش حسان وأربعة غلمان ، وجاء بفاكهة متوسطة وطعام نظيف إلا أنه قليل ، فأكلنا ومد ستارة فإذا بغناء طيب فلما طابت نفسه قال : يا فلان تذكر أيامنا الأولى! قلت : نعم ، قال : أنا الآن في نعمة متوسطة ، وما وهب لي من العقل والعلم بأبناء الزمان أحب إلي من

تلك النعمة ، تذكر يوم عاملتني المغنية بما عاملتني به؟ فقلت : من أين لك هذا المال؟! قال : مات خادم لأبي وابن عم لي بمصر في يوم واحد ، فخلفا لي ثلاثين ألف دينار فحملت ووصلت إلي وأنا بين القطن كما رأيت فعمرت الدار واشتريت ما فيها بخمسة آلاف دينار ، وجعلت خمسة آلاف تحت الأرض للحوادث ، واشتريت عقاراً بعشرة آلاف وأمري يمشي ، وأنا في طلبك منذ سنة لترى رجوع حالي ، ومن دوام صلاح حالي ألا أعاشرك ، أخرجوه يا غلمان ، قال : فجروا برجلي وأخرجوني ، وكنت ألقاه بعد في الطريق فإذا رآني ضحك .

من كل شيء يتحفظ الأحمق إلا من نفسه

قال ابن سلام : وهب المهدي لبعض ولد يعقوب بن داود وزيره جارية ، فلما كان بعد أيام سأله فقال : يا أمير المؤمنين ما وضعت بيني وبين الأرض مطية أوطأ منها حاشا السامع ؛ فالتفت المهدي إلى يعقوب فقال له : من ترى يعني أنا أو أنت! فقال يعقوب : من كل يتحفظ الأحمق إلا من نفسه .

لا يعرف ما يجهل الخليفة

دخل رجل على المهدي ، فأنشده شعراً فقال فيه : وجوار زفرات فقال المهدي : أي شيء زفرات؟ قال : وما تعرفها يا أمير المؤمنين؟ قال : لا والله ؛ قال : فأنت أمير المؤمنين وسيد المرسلين ما تعرفها أعرفها أنا؟ كلا والله .

الخطيب الأحمق

ذكر عن عبد الله بن ظبيان أنه خطب ، فقال الناس : أكثر الله فينا مثلك ، قال : لقد كلفتم ربكم شططا .

المتوفي والمتوفى

حكى إسحاق بن إبراهيم قال : حضرت جنازة لبعض القبط فقال رجل منهم : من المتوفي! فقلت : الله ، فضربت حتى كدت أموت .

إذا طوى اللحاف زاد وزنه

دخل أبو تمام[1] على أبي طالب في صبيحة ليلة باردة ، فقال له : البارحة نالني البرد ، وكان عندي لحاف فيه أربعة أمنان قطن ، فطويته طاقين فصار ثمانية أمنان قطن وتغطيت به .

البئر من جهتنا لم تنجس

قال أبو سيار : كان بيني وبين جار لي بئر ، فوقعت فيه فأرة فبقيت متحيراً لأجل الوضوء ، فقال لي جاري : لا تضيق صدرك تعال استق من عندنا وتوضأ .

ابن لم يمت ولكن يستحق النواح

ضاع لرجل ولد ، فجاؤوا بالنوائح ولطموا عليه ، وبقوا على ذلك أياماً ، فصعد أبوه يوماً الغرفة فرآه جالساً في زاوية من زواياها ، فقال : يا بني أنت بالحياة ، أما ترى ما نحن فيه! قال : قد علمت ، ولكن ها هنا بيض قد قعدت مثل القرقة عليه ، ما يمكنني أن أبرح ، أريد فريخات ، أنا أحبهم . فاطلع أبوه إلى أهله فقال : قد وجدت ابني حباً ولكن لا تقطعوا اللطم عليه ، ألطموا كما كنتم .

الأب والابن مغفلان

كان بعض المغفلين يأكل مع ابنه رأساً ، وكان أبوه أكثر تغفلاً منه ، فقال : يا أبت إن خرج عليك الكعب فأعطني إياه لألعب به ، فقال أبوه : سخنت عينك هو سمك مشوي حتى يكون فيه كعب!

أب يؤدب ابنه

قال بعضهم : دخلت الكوفة فرأيت صبياً قائماً عند شق حائط ومعه خبز وهو يكسر اللقمة ويتركها في شق الحائط ويأكلها ، فبينما أنا أنظر إليه إذ أقبل أبوه فرأى ما يفعل فقال : إيش تصنع! قال : يا أبت هؤلاء قد طبخوا سكباجة ويأتي النسيم

(١) أَبو تَمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أحد أمراء البيان ، ولد بجاسم ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها .

بريحها فآكل خبزي ، فلطمه أبوه وقال : تتعود من صغرك أن لا تأكل خبزاً إلا بأدام .

كيف يعبر الحمقى عن مرادهم

رأى بعض المغفلين صديقاً له فقال . طلبتك اليوم عشرين مرة وهذه الثالثة . ورأى صديقاً له فقال له : أطلبك فإذا وجدتك تنسل مني كأنك دبق .

أنا أمص الثلج وأرمي تفله

مرض بعض المغفلين فدخل عليه طبيب فسأله عن حاله ، فقال : قد اشتهيت الثج ، فقال : الثلج يزيد في رطوبتك فينقص من قوتك ، فقال : أنا أمصه وأرمي تفله .

لا يصلي إماماً إذا كان جنباً

وقف شيخ بباب مسجد والمؤذن يقيم الصلاة ، فدخل فرأى المؤذن هيبته وشيبته ، فسأله أن يصلي بهم ، فامتنع ، فتقدم المؤذن وصلى بهم ، فلما فرغ أقبل على الشيخ فقال له : ما منعك أن تصلي بنا فتكسب أجراً؟ فقال : أنا وحقك إذا كنت على غير طهارة لم أصل إماماً .

محبة غريبة

حكى عبد الله النوفلي قال : قال مدني : إني أحب رسول الله ﷺ حباً لم يحبه أحد قط ، قيل : وما بلغ من حبك له؟ قال : وددت أن عمه أبا طالب أسلم ويسر النبي بذلك وأموت كافراً بدله .

نيته حسنة ولفظه خطأ

قال : ذهب بصر عمرو بن هذاب فدخل عليه إبراهيم بن مجاشع فقام بين يديه فقال : يا أبا أسيد لا تجزعن من ذهاب عينيك وإن كانتا كريمتان عليك ، فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن يكون الله قد قطع يديك ورجليك ودق ظهرك وأدمى ظلفك ، قال : فصاح به القوم وضحك بعضهم ، فقال عمرو : معناه صحيح ونيته حسنة وإن كان قد أخطأ في اللفظ .

عائلة مغفلة

جاء بعض المغفلين إلى أمه فقال لها : معي قيراطان إلا حبة فاحفظيهما لي ، ثم عاد فأخذها فوزنها ، فقالوا له نصف دانق ، فجاء وخاصم أمه ، فدخل أبوه فقال : لم تخاصمها؟ فقال : أعطيتها قيراطين إلا حبة فردت علي نصف دانق ، فقال أبوه : ما تستحي من الله تخاصم أمك على نقصان حبتين .

ذكرني وجع ضرسي

قال أحمق لغلامه : إذا مررنا بالطبيب فذكرني وجع ضرسي حتى أسأله عن الدواء ، فقال : يا مولاي إن كان ضرسك يوجعك فسوف تذكره .

أحمق يزور مريضاً

كان بعض الحمقى إذا غضب يقول : الله المستعين .

دخل أحمق على مريض فقال : إذا رأيتم المريض على هذه الحال فاغسلوا أيديكم منه .

دعاء الأحمق

دعا بعض الحمقى لبعض الولاة فقال : كتب الله سعادتك وضاعف عليك العدو .

يتحدثون أنك الدجال

قيل لكثير : إن الناس محدثون إنك الدجال ، فقال : والله لئن قلتم هذا أني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام .

ما أحسن العلم

قال بعضهم : رأيت رجلاً محموماً مصدعاً يأكل التمر ويجمع النوى ، فقلت : ويحك ، أنت بهذه الحال وتأكل التمر؟ فقال : يا مولاي عندي شاة ترضع وما لها نوى فأنا آكل هذا التمر مع كراهيتي له لأطعمها النوى ، فقلت : أطعمها التمر والنوى ، قال : أو يجوز ذلك! قلت : نعم ، قال : والله لقد فرجت عني ، لا إله إلا الله ما أحسن العلم .

لجام الفرس السابق لي

أجريت خيل فطلع منها فرس سابق فجعل رجل يثب من الفرح ويكبر ، فقال له رجل إلى جانبه : أهذا الفرس لك؟ قال : لا ولكن اللجام لي .

الجراد علامة لي

رأى قبيصة بن المهلب جراداً يطير فقال لمن حوله : لا يهولنكم ما ترون فإن علامة ذلك موتي .

يأجوج ومأجوج يسألان في القبر

دخل بعض المغفلين على رجل يعزيه بأخ له فقال : أعظم الله أجرك ورحم أخاك وأعانه على ما يرد عليه من مسألة يأجوج ومأجوج ، فضحك من حضر وقالوا له : ويحك ويأجوج ومأجوج يسائلان الناس؟ فقال : لعن الله إبليس ، أردت أن أقول هاروت وماروت .

ألبسي المتوفاة خفها

ماتت إمرأة فاشترى لها زوجها كفناً قصيراً فقالت له الغاسلة : الكفن قصير ، فقال : ألبسيها خفها .

غفلة مزين

وعظ بعض القصاص فقال : إذا كان يوم القيامة خرج من النار رأس عظيم ، من صفته كذا وكذا . وفي المجلس رجل يميد من الخوف فقال له : ما الذي بك أتنكر قدرة الله؟ قال : لا بل إني رجل مزين فلو كلفت حلق هذه الرأس كيف كنت أعمل .

صام نصف يوم عاشوراء

سمع بعض المغفلين أن صوم يوم عاشوراء يعدل صوم سنة ، فصام إلى الظهر وأكل ، وقال : يكفيني ستة أشهر .

ركبه الأسد وأحدث في سرواله

اعترض الأسد قافلة فرآه رجل منهم فخر إلى الأرض ، فركبه الأسد ، فشد القوم بأجمعهم على الأسد واستنقذوه ، فقالوا له : ما حالك؟ قال : لا بأس علي ولكن خرى الأسد في سراويلي .

تغبير الحمام

دخل بعض المغفلين حماما وقد بخر ، فظن غباراً فقال للقيم : كم قلت لك لا تغبر يوم أدخل الحمام .

من هو الميت؟

مات لأبي العطوف ابن فقال للحفار : أضجعه على جنبه الأيسر فإنه أهضم للأكل . وحضر رجل مع قوم في جنازة رجل فنظر إلى أخ الميت فقال : هذا الميت أم أخوة؟

متاع أمير المؤمنين

قال المأمون لمحمد بن العباس[1] : ما حال غلتنا بالأهواز وسعرها؟ قال : أما متاع أمير المؤمنين فقائم على سوقه ، وأما متاع أم جعفر فمسترخ ، فقال : أغرب لعنك الله .

ينبت الفرو

اشترى لقمان بن محمد فرواً فقال : أرى شعره قصيراً ، أترى ينبت؟

عمر البنت

قال أبو العيناء : كنت بحمص فمات لجار لي بنت ، فقيل له : كم لها؟ قال : ما أدري ، ولكنها ولدت أيام البراغيث .

---

(١) محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر العباسي الهاشمي القرشي الكناني ولد ٥٥ هـ . صاحب الدعوة العباسية أيام الدولة الأموية .

كانوا اثنين فمات الأوسط

قال الأصمعي : قلت لرجل أين كنت؟ قال : ذهبت في جنازة ابن فلان ، قلت : فأي ولده كان؟ قال : كانوا اثنين فمات الأوسط .

ماذا قال لك في الحلم؟

قال ثمامة : جاءني رجل فقال : رأيت البارحة أمير المؤمنين يسارك وأنت تنظر إلي ، فبالله أي شيء قال لك في أمري؟

عض الكلب انتقاماً

حكي أن بعض المغفلين مسك كلباً وعضه فقال : هذا عضني منذ أيام وأنا أريد أن أخالف قول القائل :

شاتمني عبد بني مسمع ... فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقاري له ... ومن يعض الكلب إن عضا

حماقات متنوعة

قيل لمغفل : قد سرق حمارك فقال : الحمد الله الذي ما كنت عليه .

نظر رجل في الجب فرأى وجهه فعاد إلى أمه فقال : في الجب لص ، فجاءت الأم فاطلعت فقالت : أي والله ومعه فاجرة .

ذكر رجل بين يدي رجل فقال : إنه رجل سوء ، قيل له : من أين علمت؟ قال : أفسد بعض أهلي ، قيل : ومن أفسد؟ قال : أمي صانها الله .

سئل بعضهم عن مولده فقال : ولدت رأس الهلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام ، احسبوا الآن كيف شئتم .

كتاب مغفل إلى أبيه

كتب بعضهم إلى أبيه : كتابي إليك يوم الجمعة ، عشية الأربعاء لأربعين ليلة خلت من جمادى الأوسط ، وأعلمك أني مرضت مرضة لو كان غيري كان قد مات . فقال أبوه : أمك طالق ثلاثاً ، لو مت لما كلمتك أبداً .

أعطني يا رب واختبرني

دعا بعض المغفلين فقال : اللهم ارزقني خمسة آلاف درهم حتى أتصدق منها بألفي درهم وإن لم تصدقني فادفع إلي ثلاثة آلاف درهم واحبس الباقي ، فإن تصدقت وإلا فتصدق بها على من شئت .

يحمل الصبي ويسأل عنه

خرج بعض المغفلين من منزله ومعه صبي عليه قميص أحمر ، فحمله على عاتقه ثم نسيه ، فجعل يقول لكل من رآه : رأيت صبياً عليه قميص أحمر؟ فقال له إنسان : لعله الذي على عاتقك؟ فرفع رأسه ولطم الصبي وقال : يا خبيث ألم أقل لك إذا كنت معي لا تفارقني .

كيف بنيت مئذنة الجامع

نظر بعض المغفلين إلى منارة الجامع فقال : ما كان أطول هؤلاء الذين عمروا هذه! فقال آخر : اسكت ما أجهلك ، ترى أنه في الدنيا أحد طول هذه؟ وإنما بنوه على الأرض ثم رفعوها .

لم صار حماراً؟

قال : ورأيت رجلاً طويل اللحية على حمار يضربه ، فقلت : ارفق به ، فقال : إذا لم يقدر يمشي فلم صار حماراً؟!

مفاخرة مصري ويمني

تفاخر مصري ويمني ، فقال المصري : هلكت والله اليمن إذ لم يكن منها رسول الله ﷺ ولا يدخل الجنة أهلها ، فقال اليمني : فابن المهلب وأولاده يحاربون عليها حتى يدخلوها بالسيف .

دعاء مغفل

كان بعض المغفلين يقول : اللهم اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم .

قدوم الأحمق وسفره

قدم رجل من الحمقى فسأل رجل متى قدمت! قال : غداً ، قال : لو قدمت اليوم سألتك عن إنسان ، فمتى تخرج؟ قال : أمس ، قال : لو أدركتك كتبت معك كتاباً .

الاختصار خير من الإطالة

كان لبعض الأدباء ابن أحمق ، وكان مع ذلك كثير الكلام ، فقال له أبوه ذات يوم : يا بني لو اختصرت كلامك إذ كنت لست تأتي بالصواب! قال : نعم ، فأتاه يوماً فقال : من أين أقبلت يا بني؟ قال : من سوق . قال : لا تختصر ها هنا ، زد الألف واللام ، قال : من سوقال قال : قدم الألف واللام ، قال : من ألف لام سوق قال : وما عليك لو قلت : السوق فوالله ما أردت في اختصارك إلا تطويلاً . وقال هذا الولد يوماً لأبيه : يا أبت اقطع لي جباعة ، قال : وما جباعة في الثياب؟ قال : ألست قلت لي اختصر كلامك ، يعني جبة ودراعة .

عزم على بيع نصف داره ليشتري النصف الآخر

اشترى بعض المغفلين نصف دار فقال يوماً : قد عزمت على بيع نصف الدار الذي لي واشترى بثمنه النصف الآخر حتى تصير الدار كلها لي .

رسالة تعزية من مغفل

كتب بعض المغفلين إلى رجل يعزيه بابنته : بلغني مصيبتك وما هي بمصيبة ، وقد جاء بالخبر عن النبي ﷺ أنه قال : من توفيت له بنت كان له من الأجر ذهب والله عني ، ومن توفيت له اثنتان كان له من الأجر مثل الذي ذهب عني مرتين ، وبعد فقد ماتت عائشة بنت النبي ﷺ فمن ابنتك البظراء حتى لا تموت .

مغفل يعلم الأدب

كان محمد بن أبي سعيد سليم الجانب ، وقد سمع من أبي الحسين الطيوري يسأل بعض من يعرف الأدب أن يعلمه شيئاً من العربية ، فقال : إذا دخلت على أحد فقل أنعم الله صباحك ، فربما كان يدخل على أحد آخر النهار فيقول : أنعم الله صباحك فيضحك .

نجم آدم ونجم إدريس

حكى قاضي القضاة الماوردي(١) قال : كنت جالساً في مجلس مقبلاً على تدريس أصحابي ، فدخل علينا شيخ قد ناهز الثمانين أو جاوزها فقال لي : قد قصدتك في مسألة اخترتك لها ، فقلت : وما هي! وظننته يسأل عن حادثة حدثت له ، فقال : أيها الشيخ أخبرني عن نجم إبليس ونجم آدم ما هما ، فإن هذين لا يسأل عنهما لعظم شأنهما إلا علماء الدين ، قال : فعجبت منه وعجب من في المجلس من سؤاله ، وبدر جماعة بالإنكار عليه والإستخفاف به ، فكففتهم عنه وقلت : هذا لا يقنع مما ظهر من حاله إلا بجواب مثله ، فأقبلت عليه وقلت : يا هذا إن نجوم الناس لا تعرف إلا بمعرفة موالدهم ، فإن ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله ، فقال : جزاك الله خيراً . وانصرف مسروراًن فلما كان بعد أيام عاد وقال : ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولد هذين .

جارية واحدة للأخوين

قيل للفضل بن عبد الله : ما لك لا تتزوج؟ قال : إني دفع لي أبي جارية ولأخي ، فقيل : ويحك دفع إليك وإلى أخيك جارية واحدة؟ قال : وايش تتعجب من هذا ، هوذا جارنا فلان له جاريتان .

تلطم لموت طفل لم يولد

قال أبو العنبس : اجتزت في بعض الطريق لحاجة ، فإذا امرأة عرضت لي فقالت : هل لك أن أزوجك جارية فيجيئك منها ابن؟ قلت : نعم ، قالت : وتدخله الكتاب فينصرف ، فيلعب ، فيصعد إلى السطح فيقع فيموت ، وصرخت ويلاه ولطمت ، ففزعت وقلت : هذه مجنونة . وهربت من بين يديها ، فرأيت شيخاً على باب ، فقال : ما لك يا حبيبي؟ فقصصت عليه القصة ، فلما انتهيت إلى موضع لطمها استعظم ذلك وقال : لابد للنساء من البكاء إذا مات لهن ميت ، فإذا هو أحمق منها وأجهل .

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ / ٩٧٤ - ١٠٥٨ م) أكبر قضاة آخر الدولة العباسية ، صاحب التصانيف الكثيرة النافعة ، الفقيه الحافظ ، من أكبر فقهاء الشافعية والذي ألّف في فقه الشافعية موسوعته الضخمة في أكثر من عشرين جزءاً .

لم تتسخ ثيابه بعد

قال رجل آخر : رأيت البارحة أباك في المنام وثيابه وسخة ، فقال : قد كفنته أمس في أربعة أثواب جدد ، وما ينبغي أن تكون قد اتسخت ثيابه .

وقيل لبعض أهل الموصل : كم بينكم وبين موضع كذا؟ قال : ثلاثة أميال ذاهب وميلين جاي .

قصر الليل والنهار معاً

قال ثمامة لحاجبه : عجل الفراغ مما أمرتك به فقد قصر النهار . فقال : أي والله يا سيدي والليل أيضاً قد قصر .

لا أدعو لأبي

دعا بعض المغفلين فقال : اللهم اغفر لأمي وأختي وامرأتي ، فقيل له : لم تركت ذكر أبيك؟ قال : لأنه مات وأنا صبي لم أدركه .

لست من هذا البلد

قال عبد الله بن محمد : قلت لرجل مرة : كم في هذا الشهر من يوم؟ فنظر إلي وقال : لست أنا والله من هذا البلد .

قال أبو العباس : سألت رجلاً طويل اللحية فقلت : إيش اليوم؟ فقال : والله ما أدري فإني لست من هذا البلد ، أنا من دير العاقول .

طول خشبة

انكسرت خشبة في سقف بعضهم ، فمضى يشتري عوضها ، فقيل : كم تريد طولها؟ فقال : سبعة في ثمانية .

اسم غلام

قال بعضهم : ولد لي غلام الليلة فسميته باسم خالته .

تعزية في غلام

أصيب بعضهم بمصيبة فقيل له : عظم الله أجرك ، فقال : سمع الله لمن حمده .

لماذا يبكي الشيخ؟

قال الجاحظ : دخلت الكوفة ، فبينا أطوف أنا في طرقاتها رأيت شيخاً ذا هيبة جالساً على باب داره ومن جانب الدار صياح ، فقلت له : يا عم ، ما هذا الصياح؟ فقال : هذا رجل افتصد ، فبلغ موضع شاذروانه فمات ، يريد شريانه .

قال الحجاج بن هرون لصديق يحبه : أنا والله لك مائق ، يريد وامق .

شهادة المغفل

شهد رجل عند والٍ فقال : سمعت بأذني وأشار إلى عينه ورأيت بعيني وأشار إلى أذنيه بأنه جاء إلي رجلٍ فتلبب بعنقه وأشار إلى صدره وما زال يضرب خاصرته وأشار إلى فكه فقال له الوالي : أحسبك قد قرأت كتاب خلق الإنسان ، قال : نعم ، قرأته على الأصمعي .

القاضي الممتحن

دخل بعض المغفلين إلى بعض القضاة فجلس بين يديه فقال : أعدمني الله القاضي ، مات فلان والذي ما خلفوا بعدي سواهم وهوذا يظلموني إخوتي ، نسيباتي تسعة وهم واحد وكل يوم يجعلون عمامتي في عنق القاضي يجرونه إلي ، فقال القاضي : ليس الممتحن غيري .

رجل جدير بأن يحسد

وقال أبو العنبس : صحبني رجل في سفينة فقلت له : ممن الرجل؟ فقال : من أولاد الشام ، ممن كان جدي من أصدقاء المنصور علي بن أبي سالم شاعر الأنبار ، وكان من الذين بايعوا تحت الشجرة مع أبي سالم بن يسار في وقعة الفاروق ، أيام قتل الحجاج بن يونس بالنهروان على شاطىء الفرات مع أبي السرايا ، قال أبو العنبس : فلم أدر على أي شيء أحسده ، على معرفته بالأنساب ، أم على بصره بأيام الناس ، أم حفظه للسير .

عزى رجل رجلاً بابنه فقال له في الجواب : رزقنا الله مكافأتك .

لو كنت أنا أنا

قال الحسن بن يسار[1] : قلت لبعضهم : إن فلاناً ليس يعدك شيئاً ، فقال : والله لو كنت أنا أنا ، وأنا ابن من أنا منه ، لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه فكيف وأنا أنا وأنا ابن من أنا منه .

شدة الموت في نظر الأحمق

سمع بعض الحمقى قوماً يتذاكرون الموت وأهواله فقال : لو لم يكن في الموت إلا أنك لا تقدر أن تتنفس لكفى .

يا سيدي أنا ناقة

قال ثمامة لخادمه : اذهب إلى السوق واحمل كذا وكذا ، فقال : يا سيدي أنا ناقة ، وليس في ركبتي دماغ ، فقال ثمامة : ولا في رأسك .

ورئي أعمى يمشي في الطريق ويقول : يا منشىء السحاب بلا مثال .

العلامة الفارقة لخصمه

دخل رجل على المعتضد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن فلاناً العامل ظلمني ، قال : ومن فلان؟ قال : والله لا أدري اسمه ولكن في خده الأيمن خال أو ثؤلول أو أثر لطمة أو أثر حرق نار أو أثر مسمار أو في خده الأيسر . وكان له مرة غلام يقال له : جرير أو نجم إلا أن في اسمه طاء أو لام ، فضحك المعتضد ، وقال : كأنه موسوس؟ قال : سلني عما شئت حتى أجيبك ، قال : كم أصبع لك؟ قال : ثلاثة أرجل فأمر بإخراجه ، فقال : ما أقول لبنتي إذا دخلت وقد فتحت حجرها لأطرح فيه الجوز يوم

(١) الحسن بن يسار البصري (٢١هـ/٦٤٢م - ١١٠هـ/٧٢٨م) إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد وعشرين من الهجرة ، كانت أم الحسن تابعة لخدمة أم سلمة ، فترسلها في حاجاتها فيبكي الحسن وهو طفل فترضعه أم سلمة لتسكته وبذلك رضع من أم سلمة ، وتربى في بيت النبوة . كانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له ، ودعا له عمر بن الخطاب ، فقال «اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس» . حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره .

العيد؟ فأمر المعتضد أن يحمل معه إلى منزله طعام وجائزة .

دخل بعضهم إلى المستراح فأراد أن يحل لباسه فحل أزراره وخرى في لباسه .

فائدة الأذنين

حكي أن جماعة من أهل حمص تذاكروا في حديث الأعضاء ومنافعها فقالوا : الأذن للشم والفم للأكل واللسان للكلام فما فائدة الأذنين! فلم يتوجه لهم في ذلك شيء ، فأجمعوا على قصد بعض القضاة ليسألوه ، فمضوا فوجدوه في شغل ، فجلسوا على باب داره ، وإذا هناك خياط فتل خيوطاً ووضعها على أذنه ، فقالوا : قد أتانا الله بما جئنا نسأل القاضي عنه ، وإنما خلقت للخيوط . وانصرفوا مسرورين مما استفادوه .

العنز يتيم في حجرها

قال الجاحظ : مررت بحمص فمر عنز يتبعه جمل ، فقال رجل لرجل معه : هذا الجمل من هذا العنز؟ فقال له : لا ولكنه يتيم في حجرها .

لماذا نفر الفرس؟

عرض هشام بن عبد الملك[1] الجند فأتاه رجل حمصي بفرس ، كلما قدمه نفر ، فقال هشام : ما هذا؟ قال الحمصي : يا سيدي هو جيد ، لكنه شبهك ببيطار كان يعالجه فنفر .

وفد أهل حمص إلى الرشيد

اجتاز أهل حمص بشيخ لهم ، لم يكن فيهم أعقل منه ولا أكمل مع ابنين له معروفين عندهم بالعقل والكمال ، فأوفدهم إلى الرشيد لمظلمة كانت بهم ، فلما وردوا الباب وأذن لهم دخل الشيخ فقال : السلام عليك يا أبا موسى ، فعلم أنه أحمق وأمره بالجلوس ، ثم قال : أحسبك قد طلبت العلم وجالست العلماء؟ قال : نعم يا أبا

---

(١) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء . ولد في دمشق .

موسى ، قال : من جالست من العلماء؟ قال : أبي ، قال : وما كان يقول في عذاب القبر ، قال : كان يكرهه ، فضحك الرشيد ومن حضر ، ثم قال : يا شيخ من حفر البحار فيما سمعت؟ فسكت الشيخ ، فقال أحد ولديه : قد حفرها موسى حين طرق له ، قال : فأين طينها؟ فقال الولد الثاني : الجبال ، ففرح الشيخ بحسن جواب ولديه ، وقال : والله ما علمتهما ، ما هو إلا إلهام من الله تعالى وله الحمد .

وفد على الرشيد ثلاثة من حمص ، فدخل أحدهم فرأى غلاماً على رأسه فظنه جارية ، فقال : السلام عليك يا أبا الجارية ، فصفع وأخرج ، فدخل الثاني فقال : السلام عليك يا أبا الغلام ، فصفع وأخرج ، فدخل الثالث فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له : كيف صحبت هذين الأحمقين؟ قال : يا أمير المؤمنين لا تتعجب منهم فإنهم لما رأوك بهذا الزي ورأوا لحيتك طويلة قدروا أنك أبو فلان ، فقال الرشيد : أخرجوه ، قبح الله بلدة هؤلاء خيارهم .

ما أحسن ما تروي

قال بعضهم : رأيت رجلاً ألحى قائماً في حلقة قاص يقص مقتل عثمان بن عفان ، فلما فرغ قال الألحى : أعيذك بالله ما أحسن ما تروي كلام منصور بن عمار .

المنجد المغفل

قال الجاحظ : مررت بمنجد في قنطرة بردان طويل اللحية وامرأة تطالبه بشيء لها عنده وهو يقول : رحمك الله ، متاعك جاءني يحتاج إلى حشو كثير وأنت من العجلة تمشين على أربع .

أنا أعرف الناس به

قال أبو حاتم : سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل فقال : ما أعرف اسمه . فقال له بعض أصحابه : أنا أعرف الناس به ، اسمه خراش أو خداش أو رياش أو شيء آخر .

لحية الشيخ

خرج عبادة ذات يوم يريد السوق ، فنظر في بعض طرقه إلى شيخ طويل اللحية

كلما أراد أن يتكلم بادرته لحيته ، فمرة يدسها في جيبه ومرة يجعلها تحت ركبته فقال له عبادة : يا شيخ لم تترك لحيتك هكذا؟ قال : فتريد أن أنتفها حتى تكون مثل لحيتك! قال عبادة : فإن الله يقول : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» قال ﷺ : احفوا الشارب واعفوا اللحى ومعنى عفو اللحى أن يزال أثرها ، فقال الشيخ : صدق الله ورسوله ، سأجعلها كما أمر الله ورسوله ، فحلق لحيته وجلس في دكانه ، فكان كل من رآه وسأله عن خبره قرأ عليه الآية وروى له الحديث .

أنا علة

قيل لمريض : كيف نجدك! فقال : أنا علة ، قيل : وما معنى علة؟ قال : أليس يقال للصحيح ليس به علة؟ قالوا : نعم ، قال : أنا كما قال ، أنا علة .

أمي لا ترثني لأنها مطلقة

قيل لرجل : عندك مال وليس لك إلا والدة عجوز ، أن مت ورثت مالك وأفسدته ، فقال : إنها لا ترثني ، قيل : وكيف؟ قال : أبي طلقها قبل أن يموت .

خطبة الزواج

قال أبو الأسود لابنه : يا بني إن ابن عمك يريد أن يتزوج ويجب أن تكون أنت الخاطب فتحفظ خطبة ، فبقي الغلام يومين وليلتين يدرس خطبة ، فلما كان في اليوم الثالث قال أبوه : ما فعلت؟ قال : قد حفظتها . قال : وما هي؟ قال : اسمع ، الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونتوكل عليه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة حي على الفلاح ؛ فقال له أبوه : أمسك لا تقم الصلاة فإني على غير وضوء .

تعلم الولد الحساب

أسلم رجل ولده إلى الكتاب ، فلما كان بعد حين قال له والده : تعلمت شيئاً من الحساب؟ قال : نعم ، قال : فخذ خمسين وخمسين كم تعد؟ قال : أربعين ، قال : يا مشؤوم ، ثلاث خمسينات ما يحصل معك منها خمسين؟ ثم حبسه عن الكتاب وقال : لا أفلحت .

العائد المغفل

مرض صديق لحامد بن العباس فأراد أن ينفذ ابنه إليه ليعوده فأوصاه وقال : يا بني إذا دخلت فاجلس في أرفع المواضع ، وقل للمريض : ما تشكو؟ فإذا قال : كذا وكذا ، فقل له : سليم إن شاء الله ، وقل : من يجيئك من الأطباء ، فإذا قال : فلان فقل : ميمون ، وقل : ما غداؤك؟ فإذا قال : كذا وكذا فقل : طعام محمود . فذهب . فدخل على العليل وكان بين يده منارة ، فجلس عليها لارتفاعها فوقعت على صدر العليل فأوجعته ، ثم قال للمريض : ما تشكو؟ فقال : أشكو علة الموت ، فقال : سليم إن شاء الله ، فمن يجيئك من الأطباء؟ قال : ملك الموت ، قال : مبارك ميمون ، فما غداؤك؟ قال : سم الموت ، قال : طعام طيب محمود .

تقدم رجل إلى معلم ابنه فسأله أن لا يعلمه سوى النحو والفقه ، فعلمه مسألتين من النوعين : ضرب زيد عمراً ارتفع زيد بفعله وانتصب عمرو بوقوع الفعل عليه ، والأخرى من الفقه رجل مات وخلف أبويه فلأمه الثلث ولأبيه الباقي فقال له : أفهمت؟ قال : نعم ، فلما انصرف إلى البيت قال له أبوه : ما تقول في ضرب عبد الله زيداً؟ قال : أقول : ارتفع بفعله وما بقي للأب .

صندوق التاجر

كان لبعض التجار المياسير ابن أبله ، فقضي أن صار الأب إلى حانوته يوماً فوجد اللصوص قد أخذوا صندوقاً له كان فيه صامت كثير وأسباب جميلة ، فجلس الرجل والناس يعزونه ويدعون له بالخلف ، فبينما هم كذلك إذ أقبل ابنه ، فلما قرب من حانوت أبيه ورأى الناس سأل عن الخبر ، فقالوا : دخل اللصوص حانوت أبيك وأخذوا الصندوق الذي كان فيه ما كان ، فضحك وقهقه وقال : لابأس ما فاتنا شيء ، فظن الناس أنه خبأه أو يعرف خبره ، فأسرعوا إلى أبيه فبشروه بأن ابنه قال كذا ، فقال له أبوه : ما الخبر وأي شيء عندك في هذا الأمر؟ قال : مفتاح الصندوق عندي فلا يقدرون أن يفتحوه ، فقال أبوه : عجبت والله أن يكون عندك فرح .

هاشمي أم علوي

قال بعضهم : دخلت على نصر الرصيفي في منزله ، فإذا ابنه يصايحه في شيء وقد ارتفعت أصواتهما ، فقلت ما هذا؟ فقال : هذا يزعم أن علي بن أبي طالب

هاشـمي فـقلت أنا : بل علوي ، فـاحكم بيننا . فـقلت أنا : هو علوي ، ألا ترى إلى اسمه علي ، فقال لي : ابصق في وجهه؟ فقلت : كلاكما يستحق ذلك .

امرأة تريد استعارة إزار

جاءت امرأة إلى جارة لها تستعير منها إزاراً لتمضي في حاجة وترده من ساعتها فقالت : قد غزلت من إزاري عشرة أساتير ، فاصبري حتى أتم غزل وأسلمه إلى الحائك ويفرغ منه وأعطيك إياه ولا تمري بمسمار فإنه جديد .

الخف الجديد سالم

وقالت امرأة لأخرى : اليوم مشيت إلى قبر أحمد فدخل في رجلي مسمار ، فقالت لها : وكان الخف الجديد في رجلك؟ قالت : لا ، قالت لها : فاحمدي الله .

معاوية بن أبي سفيان

قال بعضهم : مررت بسوق وقد اجتمع فيه قوم على رجل يضربونه ، فقلت : ما ذنب هذا؟ قالوا : شتم معاوية بن أبي سفيان ، صديق النبي ﷺ ومن صلى معه أربعين سنة على طهر واحد ، وكان من المهاجرين والأنصار الذي اتبعوهم بإحسان ، وسمي خال المؤمنين لأنه كان أخا حواء من أمها وأبيها .

سبب ضرب الرجل

قال بعضهم : مررت على قوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه ، فتقدمت إلى شيخ كان يجيد قتله ، فقلت : يا شيخ ما قصة هذا؟ قال : لا تكونن منهم ، هذا رافضي يقول : نصف القرآن مخلوق ونصفه لا ، وليس في القوم خير من النبي وبعده الخضر ، فبادرني الضحك فرددته مخافة الضرب وقلت : يا شيخ زده فإنك مأجور .

اضرب الرجل طلباً للثواب

قال : ومررت بقوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه ، فقلت لرجل يجيد ضربه : ما حال هذا؟ قال : والله ما أدري ما حاله ، ولكنني رأيتهم يضربونه فضربته معهم لله عز وجل وطلباً للثواب .

بائع الرمان

قال بعضهم : رأيت رجلاً يبيع الرمان في الأسواق ويطعمه أهل سوقه ، ويسألونه عن مسائل تقع لهم في الفقه وهو يكنى أبا جعفر ، فجاءته امرأة فقالت : يا أبا جعفر ، مريم بنت عمران كانت نبية؟ قال : لا يا غافلة ، قالت : وإيش كانت؟ قال : من الملائكة .

مغفلاً واسط

قال الجاحظ : دخلت واسط فبكرت يوم الجمعة إلى الجامع ، فقعدت ، فرأيت على رجل لحية لم أر أكبر منها ، وإذا هو يقول لآخر : إلزم السنة حتى تدخل الجنة ، فقال له الآخر ، وما السنة؟ قال : حب أبو بكر بن عفان وعثمان الفاروق وعمر الصديق وعلي بن أبي سفيان ومعاوية بن أبي شيبان؟ قال : ومن معاوية بن أبي شيبان! قال : رجل صالح من حملة العرش وكاتب النبي ﷺ وختنه على ابنته عائشة .

من هم أهل الكهف؟

قال بعضهم : مررت على قوم اجتمعوا على رجل يضربونه ، فقلت لشيخ منهم : ما ذنب هذا؟ قال : يسب أصحاب الكهف ، قلت : ومن أصحاب الكهف؟ قال : لست مؤمناً ، قلت : بلى ولكني أحب الفائدة . قال : أبو بكر وعمر ومعاوية بن أبي سفيان ، ومعاوية هذا رجل من حملة سرادق العرش ، فقلت له : يعجبني معرفتك بالأنساب والمذاهب ، فقال : نعم خذ العلم عن أهله ، فقال واحد منهم لآخر : أبو بكر أفضل من عمر ، قال : لا بل عمر ، قال : وكيف علمت؟ قال : لأنه لما مات أبو بكر جاء عمر إلى جنازته ، ولما مات عمر لم يجيء أبو بكر إلى جنازته ،

المرض الحقيقي للمغفل

مرض بعض المغفلين فأتي بطبيب ، فقال الطبيب : إذا كان غداً فاحفظوا البول حتى أجيء وأنظره ، فلما خرج الطبيب من عنده بقي لا يبول إلى الغد ، فلما جاء الطبيب قال له المريض : يا عبد الله قد كادت مثانتي تنشق من إحباسي البول فلماذا تأخرت ، فقال : إنما أمرتك أن تحفظ البول في إناء ، فلما كان الغد جاء الطبيب فإذا

هو قد أخذ برنية خضراء ، فقال الطبيب : ما هذا ، أخطأت ألم يكن في الدنيا شيء من الزجاج كنت تأخذ في قارورة أو في قدح ، فلما كان من الغد ، أخذ البول في قدح من الخشب فعرضه عليه ، فقال له : أنت في حرج ، ألا نظرت إلى هذا الماء فاصدقني في أمري هل يخاف علي من هذه العلة؟ قال : أما إذا حلفتني فلا بد أن أقول : أنا خائف أن تموت من هذا العقل لا من هذه العلة .

سرقت ثيابك... إذن افتصد

سرقت ثياب رجل من الحمام فخرج عرياناً وعلى باب الحمام طبيب أحمق ، فقال له : ما قصتك؟ فقال : سرقت ثيابي . قال : بادر وافتصد تخف عنك حرارة الغم .

مغفل يعذب أمه

أصيب بعضهم بأمه فقعد يبكي ويقول : يا أمي أماتني الله قبلك ، أمي زانية إن لم تدخل الجنة ، لا دخلتها امرأة أبداً .

لا أرضى أن يغسل ابني عدو

مات ولد لرجل فقيل له : ادع فلاناً يغسله ، فقال : لا أريد ، لأن بيني وبينه عداوة فيعنف بابني في الغسل حتى يقتله .

إجتمع رجلان في طريق الحج ، فقال أحدهما للآخر : كم قد حججت؟ قال : مع هذه التي نحن فيها واحدة .

مكافأة جارية ميتة

ماتت جارية لرجل فلما دفنها قال : لقد كنت تقومين بحقوقي ، فلأكافئنك ، اشهدوا علي أنها حرة .

أراد الخير بالشتم

وقفت سائلة على باب قوم ، فقال لها رجل : اذهبي يا زانية ، فقالت : إذا لم تعطني فلم تسبني؟ قال : والله ما أردت بهذا إلا الخير ، أردت أن تؤجري وآثم .

غضارة الشيرج

حكي أن بعض المغفلين اشترى بقطعة شيرجاً في غضارة ، فامتلأت الغضارة ، فقال البقال : قد بقي لك من الشيرج في أي شيء تأخذه ، فقلب الغضارة وقال : في هذه وأشار إلى كعبها ، فطرح البقال الباقي في ذلك الكعب ، فأخذه الرجل ومضى ، فلقيه رجل فقال : بكم اشتريت هذا الشيرج؟ فقال : بقطعة ، فقال : هذا القدر فقط؟ فقلبها وقال : هذا أيضاً .

حلق لحيته ليأخذ دينه

كان لرجل على رجل أربعة دراهم ، فجاء يوماً يقتضيه فقال : غداً أعطيك ، فقال : لا أذهب حتى تحلف لي أنك تعطنيها غداً ، فحلف له : إنك إن جئت لا تذهب إلا وهي معك وأشهد عليه بذلك ومضى ، فجاء من الغد فقال له ما عندي شيء ، وإنما حلفت إنك لا ترجع إلا وهي معك أعني لحيتك . فأشهد عليه بهذا القول وذهب سريعاً إلى الحجام وحلق لحيته وجاء إليه ، وما برح حتى أخذ دراهمه .

بيت الماء لا يمتلىء

وقال قوم لغلام : املأ بيت الماء ، فنقل ماء كثيراً وأبطأ عليهم ، فقالوا : ما هذا الإبطاء ، فصعدوا إليه فإذا به يقلب الماء في بيت الماء ، فقال : كلفتموني أن أملأ هذا وما أظنه يمتلىء في شهر .

المنجم قال إنه بري

حكى لي بعض أصدقائنا قال : كان عندنا رجل اتهم بسرقة ، فأخذ وجرت له قصة ، فجاءني بعد أيام فقال : عندك الخبر ، مضيت إلى المنجم فأعطيته قطعة فحسب لي وقال : والله إنك بريء مما اتهمت به وإنك ما سرقت شيئاً .

اختلفوا فيما يقال عند رؤية الجنازة

رأى بعضهم جنازة قد أقبلت فقال : ربي وربك الله لا إله إلا الله ، فقال آخر : أخطأت ، إذا رأيت جنازة فقل : اللهم ألبسنا العافية ، فتشاجرا في ذلك فاحتكما إلى آخر فقال : إذا رأيتم جنازة فقولوا : سبحان الله من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

نجمة التيس

قال منجم لرجل من أهل طرسوس : ما نجمك؟ قال : التيس ، فضحك الحاضرون وقالوا : ليس في النجوم والكواكب تيس ، قال : بلى ، قد قيل لي وأنا صبي منذ عشرين سنة : نجمك الجدي فلا شك أنه قد صار تيساً منذ ذلك الوقت .

لا أذهب ليلاً وحدي

كان لبعض الكتاب غلام ، فأمسى السيد عند بعض أصدقائه ، فقال للغلام : اذهب إلى البيت هات شمعة ، فقال : يا سيدي أنا لا أجسر أذهب وحدي في هذا الوقت ، فأحب أن تقوم معي حتى تحمل الشمعة وأجيء معك .

الرجل وغلامه

وقال رجل لغلام : هات ناراً وأشعلها ، قال : يا مولاي لأي شيء تريد النار؟ قال : أريد أتخذ عصيدة ، فقال : يا مولاي لقمني حتى أجيء بالعجلة .

أرعف من الداخل

لكم رجل رجلاً فصاح : أدميتني ، فلم ير دماً فقال : أين الدم؟ فقال : أنا أرعف من داخل .

رجلان سلبا قافلة

وقع رجلان على قافلة فيها ستون رجلاً ، فأخذوا مالهم وثيابهم ، فقيل لبعضهم : كيف غلبكم رجلان وأنتم ستون؟ فقال : أحاط بنا واحد وسلبنا الآخر كيف نعمل؟

أنا رجل من الأنصار

كلم رجل رجلاً بشيء يغضبه فقال : أتقول لي هذا وأنا رجل من الأنصار؟ قال له : النصارى واليهود عندنا في الحق سواء .

كلوا فالأذان لم يصل

عن إبراهيم بن القعقاع : انتبه قوم ليلة في رمضان وقت السحور فقالوا لأحدهم :

أنظر هل تسمع أذاناً؟ فأبطأ عنهم ساعة ثم رجع فقال : اشربوا ، فإني لم أسمع أذاناً إلا من مكان بعيد .

كتابة الخاتم

كتب رجل من آل أبي رافع إلى خاتمه : أنا فلان ابن فلان رحم الله من قال آمين .

مغفل يدفع عن نفسه الموت

مرض رجل مرة ، فلما اشتد به المرض أمر بجمع العيدان والطنابير والمزامير إلى بيته ، فأنكروا عليه ذلك فقال : إنما فعلت ذلك لأني سمعت أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه شيء من آلات الملاهي والفجور ، فإن كان ملك الموت من الملائكة دفعته عني بهذه الأشياء .

غصب وتصدق

غصب رجل رجلاً وتصدق به ، فقيل له في ذلك : فقال : أخذي إياه سيئة ، وصدقتي به عشر حسنات ، فمضت واحدة وبقيت لي تسعة .

حماقات متعددة

سئلت امرأة عن حرفة زوجها فقالت : متولي إخراج المساكين من المسجد الجامع ، وقد أرجعت له المقصورة .

قيل لبعضهم : كل ، قال : ما بي أكل ، لأني أكلت قليل أرز فأكثرت منه .

جاء قوم إلى رجل من الوجوه يسألونه كفناً لجارية له ماتت فقال : ما عندي شيء فتعودون ، قالوا : فنملحها إلى أن يتيسر عندك شيء .

سئل بعض المشايخ المغفلين : أتذكر أن حج الناس في رمضان؟ ففكر ساعة ثم قال : بلى أظن مرتين أو ثلاثة .

قيل لمغفل : كيف دملك ، سكن وجعه؟ قال : والله ما أرى ، اسألوا أمي .

قال بعض الناس لمملوكه : أخرج وانظر هل السماء مصحية أو مغيمة ، فخرج ثم عاد فقال : والله ما تركني المطر أنظر هل هي مغيمة أم لا؟

حكم على نفسه بالموت

عن أبي محمد بن معروف[1] قال : كان يلزمني فتى نصراني حسن الخط مليح الشعر ، إلا أنه كان سوداوياً ، فحكم لنفسه أنه يموت في اليوم الفلاني ، فجاء ذلك اليوم وهو صحيح ، فخاصم امرأته وترقى الشر بينهما إلى أن أخذ عمود الهاون ودق به رأسها فماتت ، فجزع جزعاً شديداً فقال : قد علمت أنه يوم قطع علي ، ولابد أن أموت فيه ، والساعة يجيء أصحاب الشرطة فيأخذوني فيقتلوني ، فأنا أقتل نفسي عزيزاً أحب إلي ، فأخذ سكيناً فشق بها بطنه ، فأدركته حلاوة الحياة ، فلم يتمكن من تخريقها فسقطت السكين ، فقال : هذا ليس بشيء ، فصعد إلى السطح فرمى نفسه إلى الأرض فلم يمت واندقت عظامه ، فجاء صاحب الشرطة فأخذوه ، فلما كان آخر الليل مات .

هذه الهرة أمي

عن أبي الحسن علي بن نظيف المتكلم قال : كان يحضر معنا ببغداد شيخ ، فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع قال : فوجدته وبين يديه سنور وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأسها ، وعيناها تدمعان كما جرت عادة السنانير ، وهو يبكي بكاء شديداً ، فقلت له : لم تبكي؟ فقال : ويحك ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها ، هذه أمي لا شك ، وإنما تبكي حسرة من رؤيتها إلي ، قال : فأخذ يخاطبها بخطاب من عنده ظاناً أنها تفهم عنه ، وجعلت السنور تصيح قليلاً قليلاً ، فقلت له : فهي تفهم عنك ما تخاطبها به؟ قال : نعم ، فقلت له : أتفهم أنت عنها خطابها؟ قال : لا ، قلت : فأنت إذن الممسوخ وهي الإنسان .

لابس الثياب الغليظة صيفاً

قال الجاحظ : مررت يوماً بقطان في الكرخ في دكانه وعليه لحية طويلة وقميص جديد غليظ ، وكان يوماً صائفاً شديد الحر فتعجبت منه ، فقال لي : ما وقوفك أعزك الله؟ قلت : أتعجب من صبرك على هذا القميص الجديد في هذا الحر الشديد! قال : صدقت أعزك الله ، عندي غزل كثير ، وعزمي أن أسلم منه إلى الحائك قميصاً خلقاً أتخفف به طول هذه الصيفية ، فقلت : الصواب ما رأيت .

---

(١) ابن معروف قاضي القضاة ، شيخ المعتزلة أبو محمد ، عبيد الله بن أحمد بن معروف البغدادي .

شووا لي خاثرة

وقال : دخلت يوماً على بعض إخواني من التجار أعوده وكان طويل اللحية ، فقلت له : ما أكلت؟ فقال : شووا لي خاسرة وأكلت ، يعني خاثرة .

خيل مصر عند الرشيد

وقال : أخبرت عن الأصمعي قال : عرض الرشيد خيل مر فما مر به فرس إلا وعليه سمة نتاج الفخر الجنيدي ، فقال : ويلكم من هذا الجنيدي الذي له كل هذا النتاج؟ وأمر بإشخاصه ، فكتب إلى عامل مصر فأشخصه ، فلما دخل عليه نظر إليه من أول الدار ، فإذا عليه لحية قد أخذت لسرته طولاً ولآباطه عرضاً ، وإذا هو مستعجل في مشيه ينظر إلى أعطافه ، فلما رآه قال : أحمق ورب الكعبة ، فلما دنا منه قال : يا جنيدي من أين لك هذه الخيل؟ قال : من رزق الله وأفضاله ، فلما رآه هالكاً قال : ما أحسن لحيتك يا جنيدي ، قال : اقبلها يا أمير المؤمنين خلعة لك ، والخيل معك فبك فداهما الله ، فإن قدرك عندي أعظم القدور وكرامتك عندي عزيزة جداً ، فصاح به : اغرب عليك لعنة الله ، ثم قال : أخرجوه ، فقد أسمعني كل مكروه لعن الله هذا وخيله معه .

سيف أبي حية النميري

قال ابن قتيبة(١) : حدث جار لأبي حية النميري قال : كان لأبي حية سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان يسميه لعاب المنية قال : فأشرفت عليه ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيت في داره وقد سمع حساً وهو يقول : أيها المغتر بنا والمجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت به ، مشهورة ضربته لا تخاف نبوته ، أخرج بالعفو عنك لا أدخل بالعقوبة عليك ؛ إني والله إن أدع قيساً تملأ الفضاء خيلاً ورجلاً ، يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ، ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج ، فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً .

---

(١) أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري أديب فقيه محدث مؤرخ عربي . له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار ، وأدب الكاتب وغيرها .

سبب كثرة ماله

قال الفضل بن مرزوق : أتدرون لأي شيء كثر مالي؟ قالوا لا ، قال : لأني سميت نفسي بيني وبين الله محمد ، وإذا كان اسمي عند الله محمداً فما أبالي ما قال الناس .

ثوبه طبري ولو رآه الناس كلهم قوهياً

عن المزرودي قال : اشترى أحمد الجوهري كساء أبيض طبرياً بأربعمائة درهم ، وهو عند الناس فيما تراه عيونهم قوهي يساوي مائة درهم ، قال : إذا علم الله أنه طبري فما علي من الناس .

لا أبيع كنيتي بمال الدنيا

قال الجاحظ : كان أبو خزيمة يكنى أبا جاريتين فقلت له يوماً : كيف اكتنيت بهذه الكنية وأنت فقير لا تملك جاريتين : أفتبيعهما الساعة بدينار وتكنى أي كنية شئت؟ قال : لا والله ولا بالدنيا وما فيها .

كل يوم يقع مع رجال الدالية

وقال عن ثمامة بن أشرس قال : كان رجل يقوم كل يوم فيأتي دالية لقوم ، فلا يزال يمشي مع رجال الدالية على ذلك الجزع ذاهباً وجائياً في شدة البرد والحر حتى إذا أمسى نزل إلى النهر فتوضأ وصلى وقال : اللهم اجعل لي من هذا فرجاً ومخرجاً ثم انصرف إلى البيت ، فكان كذلك حتى مات .

لا تغمزها فتسلم من الألم

قال : وحدثني يزيد مولى إسحاق بن عيسى قال : كنا في منزل صاحب لنا إذ خرج واحد منا ليقيل في البيت الآخر ، فلم يلبث ساعة حتى سمعناه يصيح أواه ، فنزلنا بأجمعنا إليه فزعين وقلنا : ما لك مالك؟ وإذا هو على شقه الأيسر وهو قابض بيده على خصيته ، فقلنا له : لم صحت؟ قال : إذا غمزت خصيتي اشتكيتها وإذا اشتكيتها صحت ، فقلنا : لا تغمزها ، قال : نعم إن شاء الله ، جزاكم الله خيراً .

يحتجم لأنه أصفر اللون

قال : وحدثني ثمامة ، قال : مررت يوماً وإذا شيخ أصفر كأنه جرادة وزنجي يحجمه قد مص دمه حتى كاد يستفرغه ، فقلت : يا شيخ لم تحتجم؟ قال : لمكان هذا الصفار الذي بي .

كيف تخلص من القطعة الرديئة

كان لرجل من أصدقائنا غلام ، فأعطاه قطعاً ليشتري بها شيئاً ، وكان فيها قطعة رديئة ، فقال له : يا سيدي هذه ما يأخذها الرجل ، فقال : اجتهد أن تصرفها كيف اتفق ، فلما اشترى وجاء قال : وقد صرفتها ، قال : كيف فعلت؟ قال : تركته يزن الذهب وتغفلته فرميتها في ميزانه .

يريد أن يتعرف إلى أشخاص رآهم في الحلم

حكى لي بعض إخواننا أن رجلاً أتى مفسر المنامات فقال : رأيت كأن معي رجلين ونحن نمضي إلى فلان في حاجة ، فقال له : أتعرف الرجلين؟ قال : أعرف أحدهما ومنزله في باب البصرة ، فأريد أسأل صاحبي عن ذلك الرجل الآخر .

القرآن قديم

سمع رجل في زماننا قوماً يتكلمون في القرآن ، ويقول بعضهم : ليس بقديم ، فقال : ما أبله هؤلاء قد تكلم الله بالقرآن منذ خمسمائة سنة فكيف لا يكون قديماً .

شراء الدبس

اشترى رجل في زماننا من بقال رطلين دبساً ، فأعطاه طاساً ليجعله فيها ، فغرف بالطاسة من التغار وترك صنجة الرجلين ، فلما رآها ترجح صب من الدبس ثم أعادها إلى الميزان ، فرجحت فجعل يصب ثم يعيدها وهي ترجح ، فقال لصاحبها : ما أرى يبقى لك شيء فقال له صاحبها : هذه الطاسة فيها ثلاثة أرطال فإن أردت أن تستوي الميزان فاكسر من جانب الطاسة ، وإلا ما تستوي .

تاريخ القراءة

نظر بعض المغفلين في كتاب ثم كتب عليه : نظرت في هذا الكتاب والأقوات رخيصة ، والكارة السميد تساوي ديناراً ودانقاً ، والخشكار بثمانية عشر قيراطاً ، فالله تعالى يديم ذلك .

وكتب آخر على كتاب : نظر فيه فلان ابن فلان وأنا من ولد داود ابن عيسى بن موسى وموسى هو أخو السفاح .

الحساب الرديء

قال بعضهم أنه كان بتكريت وأن رجلاً اشترى من خباز مائتين وعشرين رطلاً من الخبز بدينار ، ثم كان يأخذ كل يوم شيئاً إلى أن تحاسبا يوماً ، فقال : قد أخذت مائة وعشرين رطلاً وبقي لك مائة وعشرين ، فقال له : انذر هذه بهذه وأعطني الدينار ، فجعل الرجل يستغيث ويقول كيف أفعل بهذا؟ فيقول : أليس لك عندي مائة وعشرين ولي عندك مائة وعشرين؟ فيقول : بلى ، فيقول : انذر هذه بهذه وأعطني الدينار ، فاجتمع الناس عليهم على ذلك إلى أن رفعت قصتهم إلى الأمير .

حلقت شعراً رآه غيره محرم

رجع بعض القرشيين إلى امرأته ، وكانت قرشية وقد حلقت شعرها ، وكانت أحسن النساء شعراً ، فقال : ما خطبك؟ فقالت : أردت أن أغلق الباب فلمحني رجل ورأسي مكشوف فحلتقه ، وما كنت لأدع شعراً رآه من ليس لي بمحرم . ومثل هذا بلغني عن بعض القصاص أنه قال لأصحابه : احلقوا اللحى التي تنبت في مواقف الشيطان .

مغفل يجد في القرآن غلطاً

قال بعض العلماء أن رجلاً مغفلاً نظر في المصحف فقال : قد وجدت فيه غلطتين فأصلحوهما ، قالوا : وما هي؟ قال : «كل بناءٍ وغواص» هذا غلط إنما يجب أن يكون كل بناءٍ وجصاص والأخرى «والتين والزيتون» إنما هي والجبن والزيتون .

أهذا الذي ينزل من السماء مطراً؟

قال بعضهم أن رجلاً وقف بباب داره يوم الجمعة والمطر يأتي سيلاً ، فقال لرجل من المارين : يا أخي هو ذا الذي يجيء مطر؟ فقال له : أما ترى؟ فقال : أردت أن أقلد غيري في انقطاعي عن الجمعة ولا أعمل بعلمي .

طرق الحمقى

وروى أبو بكر الصولي عن إسحاق قال : كنا عند المعتصم ، فعرضت عليه جارية ، فقال : كيف ترونها؟ فقال واحد من الحاضرين : امرأتي طالق إن كان الله عز وجل خلق مثلها ، وقال الآخر : امرأتي طالق إن كنت رأيت مثلها ، وقال الثالث : امرأتي طالق . وسكت ، فقال المعتصم : إن كان ماذا؟ فقال : إذا كان لا شيء ، فضحك المعتصم حتى استلقى وقال : ويحك ما حملك على هذا؟ قال : يا سيدي هذان الأحمقان طلقا لعلة ، وأنا طلقت بلا علة .

سريرة إبليس

قيل لبعض البله وكان يتحرى من الغيبة : ما تقول في إبليس؟ فقال : أسمع الكلام عليه كثيراً والله أعلم بسريرته .

كيف فقد المغفل حماره؟

كان بعض المغفلين يقود حماراً ، فقال بعض الأذكياء لرفيق له : يمكنني أن آخذ هذا الحمار ولا يعلم هذا المغفل ، قال : كيف تعمل ومقوده بيده؟ فتقدم فحل المقود وتركه في رأس نفسه وقال لرفيقه : خذ الحمار واذهب ، فأخذه ، ومشى ذلك الرجل خلف المغفل والمقود في رأسه ساعة ، ثم وقف فجذبه فما مشى ، فالتفت فرآه ، فقال : أين الحمار؟ فقال : أنا هو ، قال : وكيف هذا؟ قال : كنت عاقاً لوالدتي فمسخت حماراً ، ولي هذه المدة في خدمتك ، والآن قد رضيت عني أمي فعدت آدمياً ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وكيف كنت أستخدمك وأنت آدمي! قال : قد كان ذلك ، قال : فاذهب في دعة الله ، فذهب ومضى المغفل إلى بيته فقال لزوجته : أعندك الخبر؟ كان الأمر كذا وكذا ، وكنا نستخدم آدمياً ولا ندري فبماذا نكفر وبماذا نتوب؟ فقالت : تصدق بما يمكن ، قال : فبقي أياماً ، ثم قالت له : إنما شغلك المكاراة فاذهب

واشتر حماراً لتعمل عليه ، فخرج إلى السوق فوجد حماره ينادى عليه ، فتقدم وجعل فمه في أذنه وقال : يا مدبر عدت إلى عقوق أمك .

واستاه واستاه

ماتت قريبة لأبي منصور بن الفرج ، وكان رئيساً فاجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم لقضاء حقه ، وخرجت الجنازة وجعل النساء يلطمن ويقلن : واستاه واستاه . على ما جرت به العادة ، فأنكر زوج المرأة هذا وقال : لا ست إلا الله وصاح عليهن ، فضحك الناس وصار المقام هزلاً بعد الحزن .

طول الرمح أربعة عشر ذراعاً

دخل على موسى بن عبد الملك يوماً صاحب خزانة السلاح فقال له : قد تقدم أمير المؤمنين يعني المتوكل ليبتاع ألف رمح طول كل رمح أربعة عشر ذراعاً ، فقال : هذا الطول فكم يكون العرض؟ فضحك الناس ولم يفطن لما غلط فيه .

ما هو التبيع؟

قال المبرد : قرأ ابن رباح بحضرة المنتصر كتاب الصدقات فقال : في كل ثلاثين بقرة تبيع ، فقال المنتصر : ما التبيع؟ فقال أحمد بن الخصيب : البقرة وزوجها .

سمع أحمد بن الخصيب مغنية تغني :

إن العيـون التـي في طرفها مـرض　　قتلننـا ثـم لـم يحيين قتلانـا

فقال : هذا الشعر لأبي .

اشتفى من العمامة

كان سهل بن بشر ممن ارتفع في الدولة الديلمية وكان رقيعاً ، فشتم فراشاً فرد عليه ، فقالم يعدو خلفه فوقعت عمامته ، فأخذها سهل وما زال يعضها ويخرقها ويقول : اشتفيت والله . ثم عاد إلى مكانه .

حج قبل أن تحفر زمزم

شهد رجل عند بعض القضاة على رجل ، فقال المشهود عليه : أيها القاضي

تقبل شهادته ومعه عشرون ألف دينار ولم يحج إلى بيت الله الحرام؟ فقال : بلى حججت ، قال : فاسأله عن زمزم ، فقال : حججت قبل أن تحفر زمزم فلم أرها .

الحائط المتصدع

قال أبو الحسن بن هلال الصابىء : أحضر إنسان بناء لمشاهدة حائط في داره قد عاب ، فاتفق أن أمه تغسل الثياب فاخرج إلى البناء تراباً من تراب ذلك الحائط في طشت وقال : ما يمكن أنك اليوم تدخل فهذا من ترابه فانظر إليه واعرف ما يريد ، فقال : أنا أرجع إليك غداً ، فضحك منه وانصرف .

عمامة الفقيه

قال وكان في جوارنا فقيه يعرف بالكشفلي من الشافعيين ، تقدم في العلم حتى صار في رتبة أبي حامد الإسفراييني وقعد بعد موته مكانه ، قال : فأهديت إليه عمامة عريضة قصيرة من خراسان ، فقلت له : أيها الشيخ ، اقطعها وألفقها ليمكنك التعمم بها ، فلما كان من الغد رأيتها على رأسه أقبح منظر ، فتأملتها وإذا به قد قطعها عرضاً ولفقها ، فصار عرضها أربعة عشر وطولها نصف ما كان ، فتعجبت منه ولم أراجعه .

هذه ألية بقر

أخبرني أبو عيسى اللحام قال : جاءني رجل له منظر ليشتري مني ألية ، فأخرجت له ألية صغيرة ، فقال لي : أتهزأ بي؟ هذه ألية بقر وأنا أريد ألية الضأن ، فقلت له : ليس للبقر ألية ، فقال : حدث بهذا غيري ولا تستبلهني ، فطالعت له غيرها فأعجبته ورضي بها .

وقع جرف في بعض السنين فقال بعض المغفلين : مات في هذه السنة من لم يمت قط .

لماذا تجرها؟

قرأ بعض المغفلين الآية في بيوت (بالرفع) أذن الله أن ترفع . فقال له شخص : إنما هي بالجر . فقال له يا جاهل : إذا كان الله تعالى يقول : أذن الله أن ترفع ، فلماذا تجرها؟

علم المقالات والأنساب

رفع رجلٌ من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أنّه يتزندق ، فسأله الوالي عن قوله الذي نسبه به إلى الزندقة ، فقال : هو مرجى قدري ناصبيّ رافضي ، من الخوارج ، يبغض معاوية بن الخطّاب الذي قتل عليّ بن العاص ، فقال له ذلك الوالي : ما أدرى على أي شيء أحسدك ؟ أعلى علمك بالمقالات ، أم على بصرك بالأنساب .

الدبوس

رجل صوفي يقول والعلامة الألباني[1] رحمه الله موجود : أنتم تسبون الصوفية أنا من اهل الله واعطيكم البرهان وإذا كنتم من أهل الحق فافعلوا مثلي أنا سأدخل السكين من الجانب الأيمن وأخرجه من الجانب الأيسر ولا ينزل مني قطرة دم واحدة . فقال الشيخ : ما نريد سكين نريد دبوس وأنا سأدخله بيدي في وجنتك . فقال الصوفي : لا ، بل بيدي . فقال الشيخ : أنت من أهل الله فلا تفرق بيد من ؟؟ انت من أهل الله . فرفض الصوفي وانهزم

نديم سابور

كان لسابور[2] ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان .

فظهر له من الملك جفوة ، فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوي الذئاب ونهيق الحمير ، وصهيل الخيل ، وصوت البغال ، ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره ، فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب ، فلم يشك الملك في أنه كلب ، فقال : انظروا ما هذا ، فعوى عوى الذئاب ، فنزل الملك عن سريره ، فنهق نهيق الحمير ، فمضى الملك هاربا ، ومضت الغلمان يتبعون الصوت ، فلما دنوا

---

(١) الإمام والمحدث أبو عبد الرحمن محمد بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني الأرنؤوطي المعروف باسم محمد ناصر الدين الألباني باحث في شؤون الحديث ويعد من علماء الحديث ذوي الشهرة في العصر الحديث ، له الكثير من الكتب والمصنفات في علم الحديث وغيره .

(٢) يزدجرد بن سابور أو يزدجرد الأوّل الذي يلقب الأثيم والخشن ، كان ملكا ساسانياً في إيران وكان ملكاً مسالما يكره الحرب ، وضرب على سكّته اسمه «يزدجرد المسالم» .

منه صهل صهيل الخيل ، فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا ، فلما وصلوا به إلى الملك ، ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا ، وقال له : ما حملك على ما صنعت؟ قال : إن الله عز وجل مسخني كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب عليّ الملك .

قال : فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد إلى مرتبته الأولى .

عثمان بن دراج الطفيلي

قيل لعثمان بن دراج الطفيلي يوما : كيف تصنع بدار العرس إذا لم يدخلك أصحابها؟ قال : أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك ، فيدخلوني ، وقيل له : أتعرف بستان فلان؟ قال : إي والله إنه الجنة الحاضرة في الدنيا ، قيل :

لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل بأشجاره وتسبح في أنهاره؟ قال : لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال . وقيل له يوما : ما هذه الصفرة التي في لونك؟

قال : من الفترة بين المضيفين . وقال : مرت بنا جنازة يوما ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول : الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه ، ولا غطاء ، ولا وطاء ولا خبز ولا ماء ، فقال ابني : يا أبت إلى بيتنا والله يذهبون .

أنصاف المسلمين

سئل بعض القصاص عن نصراني قال : لا إله إلا الله ، لا غير إذا مات أين يدفن؟ قال : يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء

وأسلم مجوسي في شهر رمضان فثقل عليه الصيام ، فنزل إلى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال : من هذا؟ فقال : أبوك الشقي يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس .

الحسود والبخيل

وقف حسود وبخيل بين يدي أحد الملوك ، فقال لهما : تمنيا مني ما تريدان فإني سأعطي الثاني ضعف ما يطلبه الأول . فصار أحدهما يقول للآخر أنت أولا ، فتشاجرا طويلا ، وكان كل منهما يخشى أن يتمنى أولا ، لئلا يصيب الآخر

ضعف ما يصيبه . فقال الملك : إن لم تفعلا ما آمركما قطعت رأسيكما . فقال الحسود : يا مولاي اقلع إحدى عينيَ !!!

أبو عبد الله الجصاص الأحمق

حكي عنه أنه كان يوماً يأكل مع الوزير فلما فرغ من الأكل قال : الحمد لله الذي لا يحلف بأعظم منه .

ودخل ابن الجصاص يوماً على ابن الفرات الوزير الخاقاني وفي يده بطيخة كافور فأراد أن يعطيها الوزير ويبصق في دجلة

فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في دجلة فارتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص وتحير وقال : والله العظيم لقد أخطأت وغلطت

أردت أن أبصق في وجهك وأرمي البطيخة في دجلة . فقال له الوزير : كذلك فعلت يا جاهل .

وقال يوماً : أشتهي بغلة مثل بغلة النبي ﷺ حتى أسميها دلدل .

وأهدى إلى العباس بن الأحنف الوزير نبقاً وكتب إليه : تفيلت أن تبقى فأهديتك النبقا فكتب في جوابه : ما تفيلت يا أبا عبد الله ولكن تبقرت .

وقال يوماً : ينبغي للإنسان أن يصير إلى المقابر ليغتاظ أراد يسير ليتعظ .

كان المعتضد إذا رأى ابن الجصاص قال : هذا أحمق مرزوق وكان ابن الجصاص أوسع الناس دنيا وله من المال مالا ينتهي إلى عده ولا يوقف على حده وبلغ من جده انه قال تمنيت أن أخسر مرة فقيل لي اشتر التمر من الكوفة وبعه في البصرة وكانت بها نخيل كثيرة وتمرها متوفر بكثرة وكانت الكوفة قليلة التمر ففعلت ذلك فاتفق أن نخل البصرة لم يحمل في هذا العام فربحت ربحا واسعا

وقيل له : أيسرك أن تكون هذه الجبة لك قال : نعم وأضرب عشرين سوطاً قالوا : ولم تقول هذا قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

اصطحب أحمقان في طريق ، فقال أحدهما : تعال نتمنى فإن الطريق يقطع بالحديث .

فقال الأول : أنا أتمنى أن يكون عندي قطيع من الذئاب أرسلها على غنمك حتى تفترسها .

فقال الثاني : ويحك! أهذا حق الصحبة والعشرة ؟!

واشتبكا بالكلام ، ثم تعاركا بالأيدي . ومر بهما وهما على هذه الحال شيخ يركب حماراً . وقد تدلى من جانبي الحمار زِقّان فيهما العسل . فنزل الشيخ عن حماره ليفض الاشتباك . ثم فتح الزقين حتى سال منهما العسل كله على الأرض وقال : صبّ الله دمي مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين .

عنزة ولو طارت

خرج رجلان للصيد ، فشاهدا سواداً بعيداً

فقال الأول

إنه غراب!

وقال الثاني :

إنها عنزة .

وأصر كل منهما على رأيه . وعندما اقتربا من هذا الشيء الأسود ، تبين أنه غراب ، بعدما طار هرباً .

فقال الأول :

ألم أقل لك إنه غراب ؟!

فأصر الثاني على رأيه وقال :

عنزة ولو طارت!

وصار ما قاله مثلاً يضرب لمن يتمسك بغير الحق ، أو يرى صواب رأيه على الرغم من خطئه الواضح .

الطفيلي والشعراء

نظر طفيلي إلى قوم سائرين فظن أنهم ذاهبون إلى وليمة فتبعهم فإذا هم شعراء قصدوا الأمير بمدائح لهم فلما أنشد كل واحد قصيدته في حضرة الأمير لم يبقى إلا الطفيلي ، فقال له الأمير : انشد شعرك قال : لست بشاعر قال الأمير : فمن أنت؟ قال الطفيلي : من الغاوين الذين قال الله فيهم : ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ ، فضحك الأمير وأمر له بجائزة .

ضرة لعائشة رضي الله عنها:

قيل : إنَّ الحسن بن عبد الله الجصاص الجوهري كان رجلاً أحمقا أبلها ، وانه قال يوما : اللهم امسخني حورية وزوجني بعمر بن الخطاب!

فقالت له زوجته : سل الله أن يزوجك النبي ﷺ ان كان لا بد لك ان تبقى حورية !

فقال الجصاص : ما أحبّ أن اكون ضرة لعائشة رضي الله عنها !

فوائد الأذن

يحكى أن جماعة من أهل مدينة حمص تذاكروا في فوائد الأعضاء ومنافعها فقالوا : الأنف للشم والفم للأكل واللسان للكلام فما فائدة الأذنين؟ فلم يتوصلوا إلى جواب فأجمعوا على قصد القاضي ليسألوه عن ذلك فوجدوه في شغل فجلسوا على باب داره ينتظرون فراغه من شغله فنظروا إلى دكان خياط مقابلهم وإذا بالخياط قد فتل خيوطا ووضعها على أذنه فقالوا : لقد أتانا الله بما جئنا نسأل القاضي عنه ، إنما خلق الأذنان لوضع فتائل الخيوط عليها .

سكوتك خير من كلامك

من بين جلساء أبي حنيفة كان يجلس رجل يؤثر الصمت ولا يتكلم . فلما طال صمته قال له أبو حنيفة : ما بالك يا رجل لاتتكلم ، أليست لديك مسألة تريد أن تسألنا فيها ؟ فقال : بلى . . متى يفطر الصائم ؟ فقال له : إذا غابت الشمس . فقال : وإذا لم تغب إلى منتصف الليل ؟ فضحك أبو حنيفة وقال : أصبت في صمتك . . وأخطأت أنا في استدعائك للكلام .

الحمقى الثلاثة

كان أخوة ثلاثة ، أبو قطيفة والطبلي وأبو كلير ، وهم ولد غياث بن أسيد ، فأما أحدهم فكان يحج عن حمزة بن عبد المطلب ويقول : استشهد قبل أن يحج ، والآخر يضحي عن أبي بكر وعمر ويقول : غلطا في ترك الأضحية ، والآخر يفطر عن عائشة أيام التشريق ، ويقول : غلطت في صوم أيام العيد ، فمن صام عن أبيه فأنا أفطر عن أمي عائشة .

شهادة أحمق

سمع بعض الحمقى مؤذناً يؤذن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال الأحمق : أشهدها مع كل شاهد وأجحدها مع كل جاحد!

يطعم الحمار القرآن

كان إبراهيم بن الخصيب أحمق وكان له حمار ، وكان بالعشي إذا علق الناس المخالي أخذ مخلاة حماره فقرأ عليها ﴿قل هو الله أحد﴾ وعلقها عليه فارغة وقال : لعن الله من يرى أن مكوك شعير خير من ﴿قل هو الله أحد﴾ ، فما زال حتى نفق الحمار ، فقال : والله ما ظننت أن ﴿قل هو الله أحد﴾ تقتل الحمير ، هي والله للناس أقتل لا قرأتها ما عشت .

هم الحلاق

وعظ بعض القصاص فقال : إذا كان يوم القيامة خرج من النار رأس عظيم ، من صفته كذا وكذا . وفي المجلس رجل يميد من الخوف فقال له : ما الذي بك أتنكر قدرة الله؟ قال : لا بل إني رجل مزين فلو كلفت حلق هذه الرأس كيف كنت أعمل !

حديث الحمقى

قيل لأحمق : إن الناس يعظمون أمر السلامة التي فيك ، فحدثنا منها بشيء صحيح قال : صمت يوماً فأكلت ثلاث مرات ناسياً ، أكلت ثم ذكرت أني صائم ، ثم نسيت ثم ثنيت ؛ ثم ثلثت فأتممت صومي .

وقال : سمعت أبي يقول : قال المأمون : اختر لي اسماً أسمي به جاريتي هذه ، قال : سمها مسجد دمشق فإنه أحسن شيء .

طرائف أهل حمص

قال الجاحظ : مررت بحمص فمر عنز يتبعه جمل ، فقال رجل لرجل معه : هذا الجمل من هذا العنز؟ فقال له : لا ولكنه يتيم في حجرها .

اجتاز بعض أهل حمص بشيخ لهم ، لم يكن فيهم أعقل منه ولا أكمل مع ابنين له معروفين عندهم بالعقل والكمال ، فأوفدهم إلى الرشيد لمظلمة كانت بهم ،

فلما وردوا الباب وأذن لهم دخل الشيخ فقال : السلام عليك يا أبا موسى ، فعلم أنه أحمق وأمره بالجلوس ، ثم قال : أحسبك قد طلبت العلم وجالست العلماء؟ قال : نعم يا أبا موسى ، قال : من جالست من العلماء؟ قال : أبي ، قال : وما كان يقول في عذاب القبر ، قال : كان يكرهه ، فضحك الرشيد ومن حضر ، ثم قال : يا شيخ من حفر البحار فيما سمعت؟ فسكت الشيخ ، فقال أحد ولديه : قد حفرها موسى حين طرق له ، قال : فأين طينها؟ فقال الولد الثاني : الجبال ، ففرح الشيخ بحسن جواب ولديه ، وقال : والله ما علمتهما ، ما هو إلا إلهام من الله تعالى وله الحمد .

عقوبات طريفة

قال بعضهم : مررت بسوق وقد اجتمع فيه قوم على رجل يضربونه ، فقلت : ما ذنب هذا؟ قالوا : شتم معاوية بن أبي سفيان ، صديق النبي ﷺ ومن صلى معه أربعين سنة على طهر واحد ، وكان من المهاجرين والأنصار الذي اتبعوهم بإحسان ، وسمي خال المؤمنين لأنه كان أخا حواء من أمها وأبيها .

وقال بعضهم : مررت على قوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه ، فتقدمت إلى شيخ كان يجيد قتله ، فقلت : يا شيخ ما قصة هذا؟ قال : لا تكونن منهم ، هذا رافضي يقول : نصف القرآن مخلوق ونصفه لا ، وليس في القوم خير من النبي وبعده الخضر ، فبادرني الضحك فرددته مخافة الضرب وقلت : يا شيخ زده فإنك مأجور .

وقال بعضهم : مررت على قوم اجتمعوا على رجل يضربونه ، فقلت لشيخ منهم : ما ذنب هذا؟ قال : يسب أصحاب الكهف ، قلت : ومن أصحاب الكهف؟ قال : لست مؤمناً ، قلت : بلى ولكني أحب الفائدة . قال : أبو بكر وعمر ومعاوية بن أبي سفيان ، ومعاوية هذا رجل من حملة سرادق العرش ، فقلت له : يعجبني معرفتك بالأنساب والمذاهب ، فقال : نعم خذ العلم عن أهله ، فقال واحد منهم لآخر : أبو بكر أفضل من عمر ، قال : لا بل عمر ، قال : وكيف علمت؟ قال : لأنه لما مات أبو بكر جاء عمر إلى جنازته ، ولما مات عمر لم يجيء أبو بكر إلى جنازته .

أبو جعفر يفتي في السوق

قال بعضهم : رأيت رجلاً يبيع الرمان في الأسواق ويطعمه أهل سوقه ، ويسألونه عن مسائل تقع لهم في الفقه وهو يكنى أبا جعفر ، فجاءته امرأة فقالت : يا أبا

جعفر ، مريم بنت عمران كانت نبية؟ قال : لا يا غافلة ، قالت : وماذا كانت؟ قال : من الملائكة .

لحية طويلة وعقل قاصر

قال الجاحظ : دخلت واسط فبكرت يوم الجمعة إلى الجامع ، فقعدت ، فرأيت على رجل لحية لم أر أكبر منها ، وإذا هو يقول لآخر : الزم السنة حتى تدخل الجنة ، فقال له الآخر ، وما السنة؟ قال : حب أبو بكر بن عفان وعثمان الفاروق وعمر الصديق وعلي بن أبي سفيان ومعاوية بن أبي شيبان؟ قال : ومن معاوية بن أبي شيبان! قال : رجل صالح من حملة العرش وكاتب النبي ﷺ وختنه على ابنته عائشة .

حلق اللحية ليأخذ دينه

كان لرجل على رجل أربعة دراهم ، فجاء يوماً يقتضيه فقال : غداً أعطيك ، فقال : لا أذهب حتى تحلف لي أنك تعطنيها غداً ، فحلف له : إنك إن جئت لا تذهب إلا وهي معك وأشهد عليه بذلك ومضى ، فجاء من الغد فقال له ما عندي شيء ، وإنما حلفت إنك لا ترجع إلا وهي معك أعني لحيتك . فأشهد عليه بهذا القول وذهب سريعاً إلى الحجام وحلق لحيته وجاء إليه ، وما برح حتى أخذ دراهمه .

نجم التيس

قال منجم لرجل من أهل طرسوس : ما نجمك؟ قال : التيس ، فضحك الحاضرون وقالوا : ليس في النجوم والكواكب تيس ، قال : بلى ، قد قيل لي وأنا صبي منذ عشرين سنة : نجمك الجدي فلا شك أنه قد صار تيساً منذ ذلك الوقت .

غلام أحمق

كان لبعض الكتاب غلام ، فأمسى السيد عند بعض أصدقائه ، فقال للغلام : اذهب إلى البيت هات شمعة ، فقال : يا سيدي أنا لا أجسر أذهب وحدي في هذا الوقت ، فأحب أن تقوم معي حتى تحمل الشمعة وأجيء معك .

اثنان مقابل ستون

وقع رجلان على قافلة فيها ستون رجلاً ، فأخذوا مالهم وثيابهم ، فقيل لبعضهم : كيف غلبكم رجلان وأنتم ستون؟ فقال : أحاط بنا واحد وسلبنا الآخر كيف نعمل؟

كلم رجل رجلاً بشيء يغضبه فقال : أتقول لي هذا وأنا رجل من الأنصار؟ قال له : النصارى واليهود عندنا في الحق سواء .

ملحوا الجارية

جاء قوم إلى رجل من الوجوه يسألونه كفناً لجارية له ماتت فقال : ما عندي شيء فتعودون ، قالوا : فنملحها إلى أن يتيسر عندك شيء .

الأعور

أرسل ابن لعجل بن لجيم فرسا في حلبة فجاء سابقا فقال لأبيه : كيف ترى أن أسميه يا أبت؟ قال : أفقأ إحدى عينيه وسمه الأعور!

من الفقه إلى الحجامة

سأل رجل الشعبي فقال : ما تقول في رجل في الصلاة أدخل أصبعه .
في أنفه فخرج عليها دم ، أترى له أن يحتجم؟ فقال : الحمد لله
الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة .

القبلة في الدار الجديدة

دخل قوم دار كردم السدوسي فقالوا له : أين القبلة في دارك هذه؟ فقال : إنما سكناها منذ ستة أشهر!

تأويل الرؤيا

أقبل رجل على محمد بن سيرين فقال : ما تقول في رؤيا رأيتها!

قال : وما رأيت؟ قال كنت أرى أن لي غنما فكنت أُعطي بها ثمانية دراهم ، فأبيت من البيع ففتحت عيني فلم أر شيئا فأغلقتها ومددت يدي وقلت : هاتوا أربعة فلم أُعط شيئا

فقال له ابن سيرين[1] : لعل القوم اطلعوا على عيب في الغنم فكرهوها! قال : يمكن الذي ذكرت؟؟

الجاحظ والأحمق الأندلسي

قال سلام بن يزيد قصدت بغداد فسألت عن الجاحظ فقيل لي : هو بسر من رأى . فأصعدت إليها ، فقيل لي . قد انحدر الى البصرة فانحدرت إليها ، وسألت عن منزله فأرشدت ودخلت اليه فاذا هو جالس وحواليه عشرون صبيا ليس فيهم ذو لحية غيره فدهشت . فقلت أيكم ابو عثمان؟ فرفع يده وحركها في وجهي وقال : من أين؟

قلت : من الأندلس .

فقال : طينة حمقاء . فما الاسم؟

قلت : سلام

فقال : اسم كلب الفراد . ابن من؟

فقلت : ابن يزيد

فقال : بحق ما صرت! أبو من؟

فقلت : أبو خلف

فقال : كنية قرد زبيدة . ما جئت تطلب؟

فقلت : العلم .

فقال : ارجع فإنك لا تفلح

فقلت له : ما أنصفتني! فقد اشتملت على خصال أربع جفاء البلدة ، وبعد الشقة وغرة الحداثة ، ودهشة الداخل .

فقال : فترى حولي عشرين صبيا ليس فيهم ذو لحية غيري ، كان يجب ان تعرفني بها

(١) ابن سيرين هو أبوبكر محمد بن سيرين البصري . التابعي الكبير والإمام القدير في التفسير ، والحديث ، والفقه ، وتعبير الرؤيا ، والمقدم في الزهد والورع وبر الوالدين ، توفي ١١٠ هـ بعد الحسن البصري بمائة يوم ، وكان عمره نيفاً وثمانين سنة .

حصاة المسجد

سأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الإنسان في ثوبه أو خفه أو جبهته! فقال له : أرم بها . فقال الرجل : زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد . قال : دعها تصيح حتى ينشق حلقها! قال الرجل : أولها حلق؟ قال : فمن أين تصيح؟

الذئب رجحون

يروي الجاحظ أن رجلاً اسمه «ابو علقمة» قال إن الذئب الذي أكل يوسف عليه السلام اسمه «رجحون» . . فقيل ولكن الذئب لم يأكل يوسف . فقال إذاً هو اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .!!

ويقسم المال!

قال رجل لرجل في يوم بارد : أصب عليك جرة ماء وأعطيك درهماً! فتلكأ ، فقال آخر : أفعل ذلك علي والدرهم بيني وبينه .

رسالة من البصرة

كتب رجل من أهل البصرة إلى أبيه يقول : أكتب إليك يا أبت ، نحن كما يسرك الله عونه وقوته ، لم يحدث لنا بعدك إلا كل خير ، إلا أن حائطا لنا وقع على أمي وأخي الصغير وأختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت أحد حيا غيري!

عبقري من خرسان

عن أبي الفتح محمد بن أحمد الحريمي قال : كان عندنا بخراسان رجل قروي وكان له عجل ، فدخل العجل الدار وأدخل رأسه في حب لماء الشرب فانحشر رأس العجل في الحب وجعل يعالج رأسه ليخرجه فلم يقدر . واستدعى معلم القرية وأراه العجل فقال المعلم : أنا أخلص . اعطني سكينا ، فأعطاه فذبح العجل وظل رأسه في الحب فأخذ حجرا وكسر الحب وأخرج الرأس فقال له القروي : لا بارك الله فيك . . قتلت عجلي وكسرت حبي!

شيخ الله

قال القاضي أبو بكر بن أحمد بن كامل : حضرت مجلس أحد المشايخ المغفلين فقال : عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله عن رجل . فقلت له : ويحك من هذا الذي يصلح لأن يكون شيخ الله تعالى؟ فنظرنا في الكتاب الذي يروي عنه فإذا المكتوب عنده (عن الله عز وجل) وقد صحفها .

عرض الحبل

كان لأحد الحكماء ولد غبي فقال له ذات يوم : اذهب إلى السوق واشتري لنا حبلاً فيطول أربعون ذراعاً

فقال الولد لأبيه : حبل في طول اربعين ذراعا وفي عرض كم؟

قال له أبوه : في عرض خيبتي فيك

هكذا صيام الحمقى

قيل لبعض الحمقى كيف صمتم في رمضان؟

فأجابوا اجتمعنا ثلاثين رجلاً فصمناه يوماً واحد

استعادة النذر !

ضاع لأحدهم حمار فنذر أن يصوم ثلاثة أيام إن وجد الحمار وبعد فترة من الزمن وجد حماره فأوفى بنذره وصام الثلاثة الايام وما أن أكمل الصيام حتى مات الحمار فقال : لأخصمنها من شهر رمضان .

زواج وشتيمة

قال مولى لخالد بن صفوان وكان أحمقاً : زوجني أمتك فلانة . قال : قد زوجتكما ، قال : أفأدخل الحي حتى يحضروا الخطبة؟ قال : أدخلهم . فلما دخلوا ابتدأ خالد فقال : أما بعد فإن الله أجل وأعز من أن يذكر في نكاح هذين الكلبين ، وقد زوجت هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة .

كثير عزة

دخل كثير عزة(١) وكان محمّقا ، ويكنى أبا صخر على يزيد بن عبد الملك(٢) فقال : يا أمير المؤمنين ، ما يعني الشمّاخ بن ضرار بقوله :

إذا الأرطي توسّد أبرديه ... خدود جوازىء بالرمل عين

قال يزيد : وما يضر أمير المؤمنين ألا يعرف ما عنى هذا الأعرابي الجلف؟ فاستحمقه وأخرجه

آداب زيارة المريض

عاد رجل رقبة بن الحرّ ، فنعى رجالا اعتلوا من علته فنعى بذلك إليه نفسه ، فقال له رقبة ، إذا دخلت على المرضى فلا تنع إليهم الموتى ، وإذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا

اسقوا ابن عسل عسلا

قالوا : ومن الحمقى : ربيعة بن عسل ، أحد بني عمرو بن يربوع ، وأخوه صبيغ بن عسل . وفد ربيعة على معاوية فقال له معاوية : ما حاجتك؟ قال :

زوجني ابنتك . قال : اسقوا ابن عسل عسلا . فأعاد عليه فأعاد عليه العسل ثلاثا ، فتركه وقد كاد ينقد بطنه . قال : فاستعملني على خراسان . قال : زياد اعلم بثغوره . قال : فاستعملني على شرطة البصرة . قال : زياد اعلم بشرطته . قال : فاكسني قطيفة . أو قال : هب لي مائة ألف جذع لداري .

(قال : وأين دارك؟ قال : بالبصرة . قال : كم ذرعها؟ قال : فرسخان في فرسخين) . قال : فدارك في البصرة أو البصرة في دارك؟! .

---

(١) كثير عزة شاعر عربي متيم من أهل المدينة المنورة وشعراء الدولة الأموية واسمه كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي وعرف بعشقه عزة بنت جميل بن حفص بن إياس الغفارية الكنانية .

(٢) يزيد بن عبد الملك الأموي القرشي ويلقب يزيد الثاني ولد سنه ٧١ هـ . ولي الخلافة بدمشق بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك .

من حلوا ومن ربطوا

وقال المبرد : دخلتُ دار المجانين فوقفتُ تجاه مجنون وأخرجت لساني فحوّل وجهه عني
فجئْتُ إلى الناحية التي حوّل وجهه إليها وأخرجت لساني
فحول وجهه إلى ناحية أخرى
فجئت إليه وفعلت مثل ذلك
فلما أضْجرْتُه رفع رأسه إلى السماء وقال :
انظر يا رب من حلُّوا ومن ربطُوا

حجة مجنون

ووقف بعض المجانين على باب مسجد فبال فأرادت العامة ضربه
فقال لهم : أرأيتم لو بال ههنا حمار أكنتم ضاربيه؟
قالوا : لا
قال : فهبوني حماراً فإنه لا عقل لي فرَقُّوا له وأطلقوه .

الظن أكذب الحديث

قال : وقال مروان بن الحكم لرجل : إني أظنك أحمق .
فقال : ظنٌ أو يقينٌ؟
قال : بل ظنّ .
فقال : أحمق ما يكون الشيخ إذا استعمل ظنّه .

نصف الحمار

دخل إلى بعض العور رجل من جيرانه -ومعه حمار -
فقال : أيها الأستاذ اشتريت هذا الحمار
فأحببت أن أتبرك بنظرك إليه فكم يساوي عندك؟
فتأمَّلَهُ ، ثم قال : يساوي خمسين درهماً .
وكان الرجل قد اشتراه بمئة درهم ،
فقال : لا إله إلا الله ما أخطأت بفلس ، فإني اشتريته بمئة ،
وأنت رأيت نصفه .

نصف دعوة

صدم أعور في بعض الأسواق امرأة ، فالتفتت إليه
وقالت : أعمى الله بصرك ،
فقال : يا سيدتي ، قد استجاب الله نصف دعائك .

أخبار بهلول (١)

قال عليّ بن الحسين الرّازي : مرّ بهلول بقوم في أصل شجرة ، فقالوا : يا بهلول [تصعد هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم؟ فقال : نعم ؛ فأعطوه عشرة دراهم ، فجعلها في كمّه ، ثمّ التفت إليهم ، فقال : هاتوا سلّماً ؛ فقالوا : لم يكن هذا في شرطنا] قال : كان في شرطي .

ومرّ بهلول بسويق البزّازين ، فرأى قوماً مجتمعين على باب دكّان قد نقب ، فنظر فيه ، وقال : ما تعلمون من عمل هذا؟ قالوا : لا ، قال : فأنا أعلمُ . فقالوا : هذا مجنونٌ ، يراهم بالليل ولا يتحاشونه ، فالطفوا به لعلّه يخبركم ؛ فقالوا : خبرنا ؛ قال : أنا جائع ؛ فجاؤوه بطعام سني وحلواء ، فلمّا شبع ، قام ، فنظر في النّقب ، وقال : هذا عمل اللّصوص .

وسئل بهلول عن رجلٍ مات وخلّف ابناً وبنتاً وزوجةً ، ولم يترك شيئاً ؛ فقال : للابن اليتم ، وللبنت الثكل ، وللزوجة خراب البيت ، وما بقي للعصبة .

دخل بهلول وعليّان المجنون على موسى ابن المهديّ ، فقال لعليّان : إيش معنى عليّان؟ فقال عليّان : فإيش معنى موسى؟ فقال : خذوا برجل ابن الفاعلة ؛ فالتفت عليّان إلى بهلول ، فقال : خذ إليك ، كنّا اثنين صرنا ثلاثة .

---

(١) البهلول هو أبو وهيب بهلول بن عمرو الصيرفي الكوفي ، ولد بالكوفة في العراق في زمن هارون الرشيد وتوفي عام ١٩٧هـ ، الموافق ٨١٠م . وهو من مشاهير المجانين في بغداد وممن تميزوا بدرجة عالية من الطرافة والظرافة لدرجة ان البغداديين ما زالوا إلى يومنا هذا يرددون ويسندون الكثير من المزح والروايات والنوادر إليه وهو منها بــريء .

تعريض

بعث بلال بن أبي بردة إلى ابن أبي علقمة المجنون ، فلمّا جاء قال له : أحضرتك لأضحك منك فقال المجنون : لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه ؛ يعرض بأبي موسى .

انتظار غائب

قال الحسين بن فهم[1] : كان المرتمي - مضحك الرّشيد - يأكل قبل طلوع الشمس ، فقيل له : لو انتظرت حتى تطلع الشمس! فقال : لعنني الله إن انتظرت غائباً من وراء سمرقند ، لا أدري ما يحدث عليه في الطريق .

المجنون وقوم من بني تميم

دخل قومٌ من بني تميم الله على مجنون من بني أسد ، فأكثروا العبث به ، فقال لهم : يا بني تيم الله ما أعلم قوماً خيراً منكم . قالوا : كيفٍ؟ قال : بنو أسدٍ ليس فيهم مجنونٌ غيري ، قد قيّدوني ؛ وأنتم كلّكم مجانين ، وليس فيكم مقيّدٌ .

شيخ أحمق

قال أبو بكر بن شاذان : بكر إبراهيم بن محمدٍ بن عرفة نفطويه[2] يوماً إلى درب الرّآسين ، فلم يعرف الموضع ، فتقدم إلى رجلٍ يبيع البقل ، فقال له : أيّها الشيخ كيف الطريق إلى درب الرّآسين؟ فالتفت البقلي إلىً جار له ، وقال : يا فلان [ألا ترى إلى الغلام] فعل الله به وصنع ، قد احتبس عليّ! فقال : وما الذي تريد منه؟ قال : لم يبادر فيجبني بالسّلق ، بأيّ شيءٍ أصفع هذا الخبيث؟ لا يكنّي .

قال : فتركه ابن عرفة وانصرف من غير أن يجيبه بشيءٍ .

---

(١) هو : الحافظ ، العلامة ، النسابة ، الأخباري أبو علي ، الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز البغدادي .

(٢) هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة العَتَكيّ الأزديّ . إمام حافظ ، إمام من أئمة النحو ، فقيه ظاهري . ، لقب تشبيها له بالنفط ، لدمامته وأدمته ، وزيد مقطع ، لأنه كان يجري على طريقة سيبويه في النحو .

خذ الحكمة من أفواه المجانين

قال أبو القاسم الرازي : سمعت أخي أبا عبد الله يقول : قام بنان الحمال إلى مخنّث ، فأمره بالمعروف ، فقال له المخنث : ارجع كفاك ما بك ، فقال له بنان : وما بي؟ قال : خرجت من بيتك وفي نفسك أنك خير منِّي .

المخنث صاحب الخطمي

دخلٍ رجل الحمَّام ، فإذا مخنثٌ بين يديهِ خطميّ ، فقال الرّجل : أعطني من هذا قليلاً ؛ فأبى ، فقال الرَجل : كل قفيز بدرهم ، فقال المخنث : كل أربعة أقفزةٍ بدرهم ، احسب حسابك ، كم يصيبك بلا شيء؟

بين مخنثين

قال المبرّد : قدم بعض البصريين من أصحاب أبي الهذيل بغداد ، وقال : لقيت مخنثّين ، فقلت لهما : أريد منزلاً ؛ وكان هذا الرجل في نهاية القبح ، فقال أحدهما : بالله من أين أنت؟ قلت : من البصرة ؛ فأقبل على الآخر ، فقال : لا إله إلاَ الله ، تحول يا أختي كل شيء من الدنيا ، حتى هذا كانت القرود تجيء إلى بغداد من اليمن صارت تجيء من البصرة!

يمشي على استحياء

نظر جمّيز إلى برذونٍ تحت صديقٍ له يقطف ، فقال : برذونك هذا يمشي على استحياء .

إبليس والسامري

عن بعض الظراف المتماجنين : لمّا صنع السامريّ العجل ، قال إبليس : هذه فضيحةٌ [تعبد بقرةٌ] الآن يلعنني الناس ويقولون : هذا عمله ، انظروا ما يقول السّامريّ [قالوا : قد قال : [بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها] ، قال : ثم أيش؟ قالوا : قد قال : وكذلك سولت لي نفسي ، قال : استرحت أنا السّاعة من أن يقال عنّي .

شعر جرير

كان ابن الخصيب غبياً جاهلاً . قال إبراهيم بن المدبر : كنت يوماً عنده فقدم الطعام وفيه هليون فأكب عليه ، فقلت : أراك راغباً في الهليون ، فقال : بلغني أنه يزيد في السهاد ، ويؤيد في الباه ، ثم جلسنا للشرب فغنت بعض القيان :

إنّ العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللبّ حتّى لا حراك به وهنّ أضعف خلق اللّه أركانا

فقال : هذا الشعر لأبي . فقلت : قاتل الله جريراً ما كان أسرقه لشعر أبيك !

وماتت له بنية ، فخرج إلى جلسائه يعصر عينيه ، وقال : قد قلت في هذه الصبية :

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال له بعض جلسائه : أعز الله الوزير هذا مشهور في شعر جرير . فقال : لعله وافقه .

نوادر أبي الحارث

سقط أبو الحارث حمير من سطح ؛ فقيل له : أكان السطح مرتفعاً؟ قال : لا تسأل عن شيء؟ استطبت برد الهواء قبل الوصول إلى الأرض .

وقال رجل : أشتهي أن أرى خلفي . فجاءه أبو الحارث بمرآة فجعلها تلقاء وجهه .

وتشهى قوم ضروباً من الطعام . فقالوا : ما تشتهي يا أبا الحارث؟ فقال : الوفاء بهذا .

وأكل يوماً مع قوم رؤوساً ، فتبادروا إلى الأعين ليقتلعوها فتنحى ناحية . فقالوا : مالك؟ قال : ظننتكم ناساً فإذا أنتم نسور .

وجلس يتغدى مع الرشيد وعيسى بن جعفر فأتي بخوان عليه ثلاثة أرغفة ، فأكل أبو الحارث رغيفه قبلهما . وقال : يا غلام ، فرسي! ففزع الرشيد وقال : ويلك ! مالك ؟ قال : أريد أن أركب إلى ذلك الرغيف الذي بين يديك ، فضحك الرشيد وأمر له بجائزة .

ومال أبو الحارث على زفر بن الحارث وعنده جوار يغنين وأبو الحارث جائع . فقال : اسقوا أبا الحارث وغنينه ما يقترح . فقال : بحياتي غنين :

خليليّ داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي باطنا

فقال زفر : غنين :

من يسأل النـاس يحرمــوه وسائــل اللّــه لا يخيـب

ونظر أبو الحارث إلى برذون يستسقى عليه الماء فقال :

وما المــرء إلاّ حيــث يجعل نفســه فــفي صــالح الأخــلاق نفــسك فاجعل

لو أن هذا البرذون هملج لما فعل به هذا .

الشيخ الألكن[1]

كان بالرملة شيخ نظير لأبي بكر النابلسي في طريق الزهد ، وكان ألكن اللسان ؛ فنزل بعض الجند دار صديق له ، فخاف طول مكثه ، وأن تصير الدار نزلاً للجند ، وسار بذلك إلى الشيخ ، وسأله أن يبعث إليه من يعرفه بالرجل أنه من خاصته لينتقل عنها ؛ فأنفذ معه رسولاً ، ثم رأى الشيخ أن قيامه آكد فنهض فلحقه . فقام الجندي إليه ؛ فقال : أيها الشيخ الجليل سيدي ؛ أتاني رسولك ، ولا والله أقيم أكثر من يومين ألتمس منزلاً وأنتقل . فقال الشيخ : نعم! يا سيدي وشهرين إذا شئت ، وما هذا التضييق على نفسك؟ فقال صاحب الدار : والله أعزك الله لئن أقام بها عشرة أيام لتصيرن داري نزلاً . فقال : يا هذا ، إنك إن تقول ، إن هؤلاء ، إنما أحب إليك أن يأتوا إلى دارك ، لسبب ما ، فليس الأمر كما زعمت . فقال : فسر لي أكرمك الله هذا الكلام ، وأنا أهب له الدار

وكان بالرملة أيضاً كاتب جاهل ألكن ، فأرسل غلامه إلى الصوارف يبتاع له شراباً ، فاشترى له ركوة شراب ، وحملها على حمار وأتى الرملة . فقبض عليه أصحاب المصالح ، فقالوا : زن درهماً ، فامتنع ، فأرجلوه عن الحمار فضربوه خمسين مقرعة ، وأخذوا الشراب والحمار ؛ فأتى مولاه فأخبره . فكتب إلى متولي النظر في أمرهم : أما بعد ، فإن غلاماً ، وإن حماراً ، ألبس بله ، فضرباه خمسين رطلاً في ركوة ، فرأيك في إطلاق الحمار ، وأبقاك .

وقال بعض إخوانه : كنت عند فاحتجم ، فقال : ما عندي اليوم شراب نبيذ ،

---

(١) ثَقيلُ اللِّسَانِ ، يَلْفِظُ الكَلِمَاتِ بِصُعُوبَةٍ ، بِهِ عُجْمَةٌ .

فاجلس حتى أكتب إلى صديقي فلان يبعث لي بقنينة أشربها معك . فقلت له : أنت مطول في كتبك فاعمل على الاختصار . فكتب : أما بعد احتجمت قنينة والسلام ، فقلت له : ولا هذا كله! ومثل هذا في الاختصار ، قيل إن شاعراً مدح نصر بن سيار بقصيدة فيها مائة بيت كلها نسيب ، وإنما المدح منها في بيتين . فقال له نصر : ما تركت معنى ظريفاً ولا نسيباً مليحاً إلا أوردته في نسيبك دون مدحك . فقال : غداً أغدو عليك بغير هذا ؛ فغدا عليه بقصيدة أولها :

هــل تعــرف الــدار لأم الغمــــــر دع ذا وحبّـــر مدحــةً في نصـــــر

وكتب هذا الكاتب كتاباً إلى بعض إخوانه : اشتهيت وليس عندي إلا ، وليس يحلو إلا من عندك ، وهو الدمكسك أصلحك الله ، يطرح الحشمة ، فأرسل إلى ممسا منفصلاً والسلام .

أراد النمكسود وهو لحم يقطع طوابيق ويشد بالملح في ألواح وينشر حتى يذهب ماؤه وينشف ؛ فإذا احتيج إلى شيء منه بل بالماء وأصلح ؛ وإنما يستعمل كذا ليسافر به ولا يفسد . ولذا قال أبو العيناء : الزينبي نمكسود الخمر .

وكتب رجل إلى قاض في أمر قوم من جيرانه اختصموا : إن الذي لم يجر بينهما غير مفهوم ، وقد أردت الاستصلاح فعاد استفساداً ؛ فإن رأى القاضي أدام الله عزله أن يصفح عن كتابي فإن فيه نقصاً . فقال القاضي . لا ، بل فيه زيادة لام ، كفانا الله شرها .

قصص المخنثين

عث بعض ولد عيسى بن جعفر إلى جماعة من المخنثين فأتوه ، فجعلوا يلعبون ويرقصون وبقي مخنث منهم لا يتحرك . فقال : ما لك ؟ قال : لا أحسن شيئاً . قال : فلم دخلت يابن الفاعلة ؟ يا غلام ائتني بسكرجة مملوءة روثاً وأخرى مملوءة جمراً ، فأتاه بهما . فقال : والله لتأكلن من أحدهما أو لأضربنك حتى تموت . قال : يا مولاي ؛ دعني أصلي ركعتين . قال : قم فصل ؛ فقام يصلي فأطال . فقال له : يابن الفاعلة ، إلى كم تصلي؟ قد صليت أكثر من عشرين ركعة! فقال : يا سيدي ؛ أنا دائب أدعو الله أن يمسخني نعامةً فأقوى على أكل الجمر ، أو خنزيراً فأقوى على أكل الخرا ، فلم يستجب لي بعد ؛ فدعني أصلي وأدعو ، فلعله يستجاب لي ؛ فضحك منه ووصله .

هبت ريح شديدة ، فقال الناس : قامت القيامة . فقال ربدة المخنث : يا حمقاء ؛ القيامة هكذا على البارد بلا دابة ولا دجال ولا دخان ولا يأجوج ولا مأجوج .

ورأى مخنث شيخاً هرماً ، فقال : عدمته ، كأنه قصر ابن هبيرة ذهب رسمه وبقي اسمه .

أبو جعفر الشق

كان بمصر شريف من ولد أبي العباس يعرف بأبي جعفر الشق ، شبيه بابن الجصاص في الغفلة والجد والنعمة . قال أبو القاسم بن محمد التنوخي : بعثني أبي إليه من قرية تعرف بتلا يستقرضه عشرة أرداب قمحاً وثلاثين زوج بقر ، وكتب معي بذلك رقعة ؛ فأتيت إليه وسلمت عليه ودفعت إليه الرقعة . فقال : ذكرت أباك بخير وحرس وأسعده ، فهو صاحبي وصديقي وخليطي ، وأين هو الآن؟ قلت : بقرية تلا أعز الله سيدي الشريف . قال : نعم! حفظه الله بالفسطاط معنا ؛ وقد انقطع عنا كذا ، ما كنت أظنه إلا غائباً . قلت : لا يا سيدي هو بتلا . قال : فما لك ما قلت لي ؟ فما كان سبيله أن يؤنسني برقعة من قبله . قلت : يا سيدي ، قد دفعت إليك رقعته . قال : وأين هي ؟ قلت : تحت البساط ، فأخذها وقرأها وقال : قل لي الآن ؛ كان لك أخ أعرفه حار الرأس حاد الذهن ، يحسن النحو والعروض والشعر ، فما فعل الله به ؟ قلت : أنا هو أعزك الله . قال : كبرت كذا ، وعهدي بك تأتيني معه وأنت بزقة مخطة لعقة قردلاش . قلت : نعم! أيد الله الشريف . قال : وما الذي جئت به ؟ قلت له : والدي بعثني إليك برقعة يسألك فيها قرض عشرة أرادب قمحاً وثلاثين زوج بقر . قال : وهو الآن بالفسطاط ؟ قلت : لا يا سيدي هو بتلا . قال : نعم ! وإنما ذاك الفتى أخوك ؟ قلت : لا ، أنا هو ، فهو يراجعني الكلام ، وقد ضجرت من شدة غفلته وكثرة نسيانه لما أقول له ، حتى أقبل كاتبه أبو الحسين ، فقال : سل هذا الفت ما أراد . فسألني فعرفته فأخبره فقال له : نفذ له حاجته ، فوقع لي الكتاب بما أراد . وقال : تلقاني للقبض بالديوان ، فشكرت الشريف ونهضت .

فقال : اصبر يا بني فقد حضر طعامنا . وقدم الطعام وفيه حصرمية غير محكمة ، فرفع يده وقال : مثل مطبخي يكون فيه مثل هذه ! علي بالطباخ ، فأتى ، فقال له : ما هذا العمل ؟ فقال : يا سيدي ؛ إنما أنا صانعٌ وعلى قدر ما أعطى أعمل ، وقد سألت المنفق يشتري لي ما أحتاج إليه فتأخر عني فعملت على غير تمكن ؛ فجاء التقصير كما ترى .

فقال : علي بالمنفق فأحضر . فقال : مالي قليل ؟ قال : لا يا سيدي ، بل عندك نعم واسعة . قال : فما لك تضايقنا في النفقة ولا توسع كما وسع الله علينا ؟ قال : يا سيدي ، إنما أنفق ما أعطى ، وقد سألت الجهبذ أن يدفع لي فتأخر عني . فقال : علي بالجهبذ فأتي به . فقال : ما لك لم تدفع للمنفق شيئاً ؟ قال : لم يوقع لي الكاتب . فقال للكاتب : لم لم تدفع إليه شيئاً ؟ فتلعثم في الكلام ولم يكن عنده جواب . فقال للكاتب : قف ها هنا فوقف ، ووقف خلفه الجهبذ ، ووقف خلف الجهبذ المنفق ، وخلف المنفق الطباخ . وقال : نفيت من العباس إن لم يصفع كل واحد منكم من يليه بأكثر ما يقدر عليه ، فتصافعوا .

قال : فخرجت وأنا متعجب من غباوته ودقته في هذا الحكم .

إذا ذهب الحمار بأم عمرو

ودخل عليه كاتبه أبو الحسين فوجده يبكي بكاءً شديداً ، ويقول : واانقصام ظهراه ، واهلاكاه! فقلت : ما للشريف لا أبكى الله عينه؟ فقال : ماتت الكبيرة يريد أمه وكان باراً بها . فقلت : ماتت؟ قال : نعم! فشققت جيبي وأظهرت من الجزع ما يجب لمثلي . ثم إني أنكرت الحال إذ لم أجد لذلك دليلاً ، لا أحد يعزيه ، ولا في الدار حركة ؛ فبقيت حائراً حتى أتت الخادمة . فقالت : الكبيرة تقرئك السلام ، وتقول لك : إيش تأكل اليوم ؟ قال : قولي لها ، ومتى أكلت قط بغير شهوتك ؟ فقلت : يا سيدي ، والكبيرة في الحياة ؟ فقال : وإيش تظن أنها ماتت من حق ؟ إنما رأيت البارحة في المنام كأنها راكبة على حمار مصري تسقيه من النيل ، فذكرت قول الشاعر : إذا ذهب الحمار بأم عمرو . . . . . البيت المشهور .

لقد أنسيت أن أمك امرأة !

وقال أبو الحسين كاتبه : وأتيت إليه يوماً وقد مات والدتي فعرفته فبكى ، وقال : ماتت كبيرتي ومربيتي ، وهو كان أكبر منها بأربعين سنة . ثم قال لغلامه : يا بشرى ، قم فجئني بعشرين ديناراً فأتاه بها . فقال : خذها فاشتر بعشرة دنانير كفناً وتصدق بخمسة دنانير على القبر ، وأقبل يصرف الخمسة الباقية فيما يحتاج إليه من تجيزها . ثم قال لغلام آخر : امض أنت يا لؤلؤ إلى فلان صاحبنا لا يفوتك يغسلها ، فاستحييت منه . وقلت : يا سيدي ، ابعث خلفك فلانة جارة لنا تغسلها . قال : يا أبا

الحسين ، ما تدع عقلك في فرح ولا حزن ، كأن حرمك ما هي حرمي ! كيف يدخل عليها من لا نعرفه . قلت : نعم ! تأذن لي بذلك . قال : لا والله ما يغسلها إلا فلان ! فقلت : وكيف يغسل رجل امرأة ؟ قال : وإنما أمك امرأة ، والله لقد أنسيت !

خدعنا عابر الرؤيا !

وكان يوماً عند أبي بكر المادراني ثم خرج وهو طيب الخلق ، فاجتاز بابن زنبور فسمع خفق أوتار وغناء في داخل الدار ، فوقف يسمع ؛ فرآه غلام لابن زنبور فدخل فأعلم مولاه فخرج حافياً . وقال : يا مولاي الشريف ، تشرفني بالدخول ! قال : نعم ، فدخل فقدم له طعاماً فأكل وشرب ثلاثة أقداح وغنى ثلاثة أصوات وانصرف ، فنام ليلته فلما أصبح قال : يا بشرى ؛ جئني الساعة بأبي شامة العابر ، فأتاه به فقال : رأيت البارحة كأني خرجت من دار إخواني فاجتزت بدار حسنة ، فسمعت خفق العيدان ، وغناء القيان ، فخرج إلي صاحب الدار ، فأدخلني فأفضيت إلى بستان في الساحة ، أمامه نهر جليل ، في صدره شاذروان ، وقد فرش المجلس بأنواع الديباج المثقل ، وضربت ستارة فيها غرائب الصور وعجائب الصنائع ، وفيها قيان بأيديهن العيدان وهن يغنين أحسن الأغاني ؛ فقدم لي خوان عليه من كل الألوان فأكلت وشرب وغنيت وانصرفت .

ففسر له الرؤيا على ما يسره ؛ فأمر له بخمسة دنانير ، ثم مر بعد أيام بابن زنبور وهو جالس على باب داره . فقال له : يا سيدي الشريف ، ما تشرفني بعودة . قال : إذا ماذا ؟ قال : تثني إلى عادة حضورك . قال : ومتى تقدم إلى ذلك ؟ قال : ليلة كذا . قال : وإنما خدعنا العابر وأخذ متاعنا بالباطل ! امضوا إليه وردوا الخمسة دنانير منه ؛ ثم فكر ساعة ، وقال : دعوه لعله أنفقها وهو فقير!

تشتمني غائباً وحاضراً

وشرب مرةً أخرى عند ابن زنبور الكاتب ومعه ابن المادراني ، وحضر القيان فغنين أطيب غناء ؛ فقام الشريف إلى قضاء الحاجة ، فأتت دابة ابن المادراني فانصرف ، والشريف في الخلاء ، فقضى حاجته وعاد إلى موضعه ، وكان ابن زنبور لما انصرف أبو بكر رجع في دسته ، فالتفت إليه الشريف ، وقال : يا أبا بكر ؛ هذا الكلب ابن زنبور عنده مثل هذا السماع الطيب ، ولا يمتعنا به كل وقت إنما يدعونا من مدة

إلى مدة . فقال له ابن زنبور : هو على قدر ما يتفق له من الفراغ وهو مشتغل مع سلطانه في أكثر أيامه . قال : لا والله ! ما هو إلا كلب تجلب فاعل صانع . فقال له : أعز الله الشريف ؛ أبو بكر انصرف وأنا ابن زنبور ! فقال له : اعذرني والله ما ظننتك إلا ابن المادراني ؟ فقال : أراك تشتمني غائباً وحاضراً !

أنا أبكر إليك

وقال له بعض أصحاب الإخشيد[(١)] : أحب أن تبكر إلي بالغداة في حاجة للأمير ، أيده الله ، وذكر الحاجة . فقال : أنا آتيك أول الناس كلهم ، فمضى وأكل وشرب أقداحاً ، ونام القائلة فاستيقظ بالعشي ، فقام مذعوراً ؛ فلبس ثيابه ، وركب إلى الرئيس ؛ فاستأذن عليه فدخل ، وقال : اعذرني أعزك الله فقد ضربني النوم ، والله ما صليت الصبح من السرعة ، ولقد آثرت المجيء إليك عليها ، وأنا أستغفر الله عليها ؛ فضحك حتى استلقى . وقال له : قد احتجنا إلى تأخير الأمر إلى الغد إن شاء الله . قال : فأنا أبكر إليك على كل حال ، وانصرف .

من شدة الغفلة

مر رجل بإنسان وعلى عاتقه عصا في طرفيها زنبيلان قد كادا يحطمانه ، في أحدهما بر وفي الآخر تراب . فقال : لم فعلت هذا؟ قال : عدلت البر بالتراب ، لأنه كان قد أمالني إلى أحد جنبي ؛ فأخذ الرجل زنبيل التراب وقلبه وقسم البر نصفاً في الزنبيلين . وقال : الآن فاحمل ، فحمله فخف عليه ؛ فقال : ما أعقلك من شيخ!

ابن المعذل والمخنث

رأى عبد الصمد بن المعذل[(٢)] مخنثاً ليلة أربعة عشر من شهر رمضان ، وهو مضطجع على ظهره يخاطب القمر ويقول : لا أماتني الله منك بحسرة ، أو تقع في

(١) الإخشيديون ، بنو إخشيد ، هم سلالة تركية مستعربة حكمت في مصر الشام سنوات ٩٣٥-٩٦٩م ، ومقر حكمهم الفسطاط . تنحدر هذه الأسرة من أحد القادة العسكريين الصغد في فرغانة .

(٢) عبدالصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي القيسي أبو القاسم . من بني عبدالقيس ، من شعراء الدولة العباسية . ولد ونشأ في البصرة .

المحاق ، فما كانت ليلة سبعة وعشرين رأى عبد الصمد الهلال ، فقال :

يا قمراً قد صار مثل الهلال　　من بعد ما صيّرني كالخلال
الحمد للّه الذي لم أمـــت　　حتّى أرانيك بهذا السّـلال

من نوادر جامع بن وهب

كان جامع بن وهب الصيدلاني من أكبر الناس دنيا ، وأعظمهم غفلة ، اشترى مرة ثلجاً كثيراً ، فقيل له : إنه كثر . فقال : أريد أن أمصه وأرمي بثفله .

وأعطي ببغل له ثمناً خسيساً ، فقال : ما للعقار ببغداد قيمة ! ودخل بستاناً له ؛ فقال لوكيله : اغرس لي بصلاً بخل ؛ فإنه نافع للصفراء .

وكتب إليه بعض الكتاب كتاباً ، فأجابه عنه ، وعنوانه : من ذاك الذي كتب إلي .

وعثرت به البغلة ؛ فقال لغلامه : انظر هل سال من أصبعها دم ؟ وكتب إلى ابنه وقد خرج من مكة : يا ولدي ، إن قدرت أن تضحي عندنا فافعل ، لنفرح بك في العيد ! وسقطت ابنته في البئر ، فقال : يا بنية ، لا تبرحي من مكانك حتى أجيء بمن يخرجك منها !

حكمة مغفل

أتى مغفل ليكسر لوزة ؛ فزلقت عن الحجر . فقال : كل شيء يفر من الموت حتى البهائم أيضاً .

واعظ فيه غفلة

وكان بمصر واعظ يقال له أبو عبد الله الخواص ، من أشد الناس غفلةً ؛ وقف به رجل من العامة يقال له محمد القمقاني الخباز ، فقال له : أصلحك الله ، لي نفس معلولة لا تجيب إلى شيء من الخير ؛ فما يصلحها لي ؟ قال : اقرأ القرآن وأكثر منه . قال : ما أحفظ غير الحمد ، وقل هو الله أحد ، وقد قرأتهما مرات كثيرة ، ونفسي بحالها . قال : فاذكر الموت . قال : لك الله ! قد فعلت فما خشعت ، ولا جاء منها شيء . قال : فأكثر حضور مجالس الذكر . قال : من أين أجد ؟ وقد تركت شغلي ولزمت المجالس ، ونفسي كما هي . قال : لعن الله نفسك فإنها مشؤومة ملعونة كما

قلت ؛ والرأي أن تمضي بها إلى جرمان بن مطهر صاحب الشرطة يؤدبها لعله يجيء منها بشيء .

بيع قرد

وأتى رجل بقرد يبيعه ؛ فجاء عبادي فنظر إليه ، فقال صاحبه له وقد دنا من رجله : احذر لئلا يرمحك ، فدنا من يده ؛ فقال : احذر لئلا يخبطك ، فدنا من فمه ؛ فقال : احذر لئلا يعضك ؛ فتباعد العبدي ناحية فقيل له : لم تباعدت ؟ فقال : أحذر لئلا يرميني بحجر .

يبيع رمحاً برغيف

ومر عبادي برجل ومع الرجل رمح . فقال أتبيعه ؟ قال : نعم ! قال : فبكم تريده ؟ قال : برغيف . قال : سبحان الله تطلب هذا برغيف! قال : أخزى الله شرهما في الجوف .

عقلاء المجانين

المجنون والعصيدة

عن أبو محمد الحسن بن إسماعيل الضراب[1] ، عن محمد بن أحمد المديني ، عن الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان ، عن جعفر علي البغدادي ، عن أبو الفضائل محمد بن أحمد ، عن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال :

قال عطاء السليمي : قدمت الكوفة في بعض تجارةٍ لي ، فأزف بي العيد ، وصنعت شيئاً من عصيدة ، وجلست على باب الدار ألتمسً من يأكلها معي ، فإذا أبا بعُليّان المجنون ، فقلت : عُلّيان؟ فقال : عطاءٌ؟ فقلت : عطاءٌ؟ قال : السليمي؟ قلت : السليمي ؛ قال : ما أقدمك إلى بلدتنا يا غريب؟ قلت : التجارة ؛ وقد اصطنعت شيئاً من عصيدة ، فأنا قاعدٌ على باب الدار ، ألتمس من يدخل فيأكلها معي .

قال : فًدخل ، فوضعتها بين يديه ، فقال : شلها ، فإن أعضائي تتطرف أن تأكل من هذا شيئاً .

---

(١) الإمام المحدث أبو محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد المصري ، مصنف كتاب «المروءة» .

قال : ثم قال لي : أين أنت عن فالوذج العارفين؟ قلت : وما هو؟ قال : تأخذ قند الصفاء ، وزيت البهاء ، وزعفران الرضا ، ونشاء المعرفة ، فتذيبه بماء الحياة ، ثم تنصب ديكدان القلق ، وترقب طنجير الملق ، حتى يرغي رغاء الصبر ، ويزبد زبد التوكل ، ثم تضربه بإسطام الهيبة ، وتوقد تحته قصب الشوق ، حتى يشتعل بنار الهوى ، فإذا فرغت منه بسطته على صحائف قرب الأنس ، حتى يضربه نسيم الحياة ، فإذا أكلت منه أول لقمة ، هاج ألم الضمير إلى مهيجها ، وباحت الأنفس بما فيها ، وبكت بكاء من يبكيها ، شوقاً إلى من يؤنسها ويحييها ؛ وأنشأ يقول :

فهام بحب الله في القفر سائحاً . . . وحطت على روح القدوم رواحله
فعاد بشوقٍ قد نضا فقد حاله تذوب به أعضاؤه ومفاصله

حكمة معتوه

حدثنا أحمد بن مسعود بن عمرو بن إدريس الزنبري ،عن محمد بن أحمد الأنصاري ، قال : قرأت على محمد بن سعدان الجوزجاني : قال أبو عبد الرحمن الأنصاري : أخبرني خلف بن سالم ، قال :

قلت لأبي علي المعتوه : ألك دارٌ؟ قال : نعم . قلت : وأين؟ قال : في دارٍ يستوي فيها العزيز والذليل . قلت : وأين هذه الدار؟ قال : المقابر . قلت : أما تستوحش في ظلمة الليل؟ قال : إني أكثر ذكر وحشة البلى وظلمته ، فيهون علي ظلمه الليل ووحشته . قلت : فربما رأيت[في] المقابر ما تنكره؟ قال : ربما ، ولكن في هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر .

لا آخذ على الدعاء أجرا

قال ابن إدريس :[1]

قدم علينا هارون أمير المؤمنين يريد الحج ، فنزل الحيرة ، فاختلفت إلى الحيرة في حاجة أطلبها ، فكثر اختلافي ، فغدوت يوماً فرأيت بهلولاً في طريقي ، فقلت : يا

(١) أبو عبد الله محمّد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي الحلّي . (٥٤٣ هـ ـ ٥٩٨ هـ) هو فقيه ومحدث شيعي معروف باسم «ابن إدريس الحلي» . من ناحية الأم يكون جده بواسطة واحدة محمد بن الحسن الطوسي المعروف بـ«الشيخ الطوسي» .

بهلول ، إني طالبٌ حاجةً ، فادع الله لي ، فاستقبل القبلة ، ورفع يديه ، ثم قال : يا من لا تختزل الحوائج دونه ، اقض له حوائج الدنيا والآخرة .

قال : فوجدت لدعائه برداً على قلبي ، فحللت خرقةً كانت معي فيها درهمان ، فمددت يدي إليه ، فقلت : خذ هذا فأنفقه ، فقال لي : يا ابن إدريس ، أنت تعلم أني آخذ الرغيف وما أشبهه ، فكيف الدرهمين؟! والله إني لأستحيي من الله عز وجل أن آخذ على الدعاء أجراً .

قال : فما رجعت حتى قضيت حاجتي .

حكمة بهلول

الحسن بن الحسين ، قال : سمعت أبي يقول :

مر بهلول في السوق وهو يأكل ، فاستقبله بعض أصحابنا ، فقال له : يا بهلول ، تأكل في السوق؟! فقال : قال النبي ﷺ : «مطل الغني ظلمٌ» . وأنا لحقني الجوع في السوق ، وفي كفي رغيفٌ ، فكرهت أن أمطل نفسي .

المعتوة أكثر بصيرة

قال ابن إدريس : كان ابن أبي مالكٍ بالكوفة ، وكان معتوهاً ذاهباً ، لا يعرف ما الناس فيه ، فإذا تكلم تكلم بالصواب .

فبينا أنا يوماً في مسجد الكوفة أتنفل ، إذ مر بي ، فسبحت به ليعطف إلي ، فالتفت إلي فقال لي : أقبل على من أنت بين يديه ، فإنه مقبلٌ عليك ، ولا تقبل على غيره فتخطئ حظك منه .

قال ابن إدريس : فأفزعني والله ، فأقبلت على القبلة بعد هذه الكلمة سنةً ، فلم ألتفت يميناً ولا شمالاً .

سعدون المجنون

قال الفضيل بن عياض[1] : خرجت حاجاً ، فبينا أنا أسير ، إذا أنا بسعدون المجنون ماراً بالبادية وحده ، فقلت له : سعدون؟ إلى أين؟ فقال : إلى الله ، أطلب قربه ، وأشكو إليه بعده .

(١) الفضيل بن عياض ، أحد أعلام التصوف في القرن الثاني الهجري ، لقب بـ «عابد الحرمين» .

قال : فقلت له : سعدون ، ما أرى معك زاداً؟ فقال : قال لي : يا فضيل ، إذاً والله لو سكنت الأحزان قلبك ، وسكنت الهموم لبك ، وأنحل الشوق جسمك ، ما سألت عن زاد ، ولا ذكرت إلا المعاد .

وقال يحيى بن أيوب المقابري[1] : رأيت سعدون المجنون في المقابر يدور ، كلما مر بقبر قد تهدم منه سوَّاه ، ووضع فيه لبنةً ، فقلت : سعدون؟ قال : سعدون . قلت ما تعملً؟ قال : إنما يسأل عما أعمل من لا يدري ما أعمل ، فأما من يدري ما أعمل ، فما سؤاله عما أعمل؟

ثم قال : يا يحيى ، اقعد بنا نبك على هذه الأجساد البالية والعظام النخرة ، ثم قال : لا بل بكانا على أنفسنا أحق من بكائنا عليهم .

مجنون يرى الله

قال منصور بن أحمد الهروي[2] : سمعت أبا الحسين محمد بن علي الخوارزمي ، قال : سمعت ذا النون المصري يقول :

مررت بأرض مصر ، فرأيت الصبيان يرمون رجلاً بالحجارة ، فقلت لهم : ما تريدون منه؟ فقالوا : مجنونٌ ، يزعم أنه يرى الله عز وجل . فقلت : أفرجوا عنه ؛ فأفرجوا لي ، فدخلت ، فإذا أنا بشاب مسند ظهره إلى الحائط ، فقلت له : ما تقول – رحمك الله– فيما يقول هؤلاء؟ فقال : وما يقولون؟ قلت : يزعمون أنك ترى الله .

قال فسكت ساعةً ، ثم رفع رأسه ، ودموعه تجري على خديه ، فقال لي : والله ما فقدته منذ عرفته ، ولو فقدته ما أطعته ، ثم أنشأ وهو يقول :

همم المحب تجول في الملكوت بالقلب   ليسمو ، واللسان صموت

وزادني غيره : وهو يقول :

أيها الشامخ الذي لا يرام   نحن من طينةٍ عليك السلام
إنما هذه الحياة متاعٌ   ومع الموت تستوي الأقدام

(١) الإمام العالم القدوة الحافظ ، أبو زكريا البغدادي المقابري العابد .

(٢) أبو منصور محمد بن أحمد الهرويّ ، الملقب بالأزهري نسبة إلى جده الأزهر عالم من علماء اللغة العربية ، عاش في العصر العباسي في الفترة ما بين (٢٨٢–٣٧٠هـ/٨٩٥ـ٩٨٠م) . ولد في هراة في خراسان ، ثم انتقل إلى بغداد ، ألف العديد من الكتب والمصنفات في فقه اللغة أشهرها تهذيب اللغة .

أبو نصر المجنون

عن ابن أبي فديك[1] ، أنه قال : كان ها هنا بالمدينة سنة سبع وثمانين رجلا يكنى أبا نصر ، من جهينة ، ذاهب العقل ، في غير ما الناس فيه ، لا يتكلم في شيءٍ من أمر الدنيا ، وكان يجلس مع أهل الصفة في آخر مسجد رسول الله ﷺ ، وكان إذا سئل عن الشيء أجاب جواباً معجباً حسناً .

قال ابن أبي فديك : فأتيته يوماً وهو في مؤخر المسجد مع أهل الصفة ، منكسٌ رأسه ، واضعٌ وجهه بين ركبتيه ، فجلست إلى جنبه ، فحركته فانتبه ، فأعطيته شيئاً كان معي ، فأخذه وقال : قد صادف منا حاجةً ؛ فقلت له : يا أبا نصرٍ ، ما الشرف؟ قال : حمل ما ناب العشيرة أدناها وأقصاها ، والقبول من محسنها ، والتجاوز عن مسيئها .

قلت : فما المروءة؟ قال : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وتوقي الأدناس ، واجتناب المعاصي صغيرها وكبيرها .

قلت : فما السخاء؟ قال : جهد المقل .

قلت : فما البخل؟ فقال : أفٍ ؛ وحول وجهه عني ، فقلت له : لم تجبني بشيءٍ ، قال : بلى ، قد أجبتك .

قال ابن أبي فديك : وقدم هارون أمير المؤمنين ، فأحب أن ينظر إليه ، فأخلي له مسجد الرسول ﷺ ، فوقف على قبر النبي ﷺ وعلى منبره ، وفي موضع جبريل عليه السلام ، ثم قال : قفوا بي على أهل الصفة حتى أنظر إليه -يعني أبا نصر- ؛ فلما أتاهم ، حرك هارون الرشيد أبا نصرٍ بيده ، فرفع رأسه وهارون واقفٌ ، فقيل له : يا أبا نصرٍ ، هذا أمير المؤمنين واقفٌ عليكٍ ، فرفع رأسه إليه ، فقال له : أيها الرجل ، إنه ليس بينَ الله عز وجل وأمة نبيه ﷺ ورعيتك ، وبين الله عز وجل خلقٌ غيرك ، وإن الله عز وجل سائلك ، فأعد للمسألة جواباً ، فقد قال عمر بن الخطاب رحمه الله : لو ضاعت سخلةٌ على شاطئ الفرات ، لخاف عمر أن يسأله الله عز وجل عنها .

فبكى هارون وقال له : يا أبا نصرٍ ، إن رعيتي ودهري غير رعية عمر ودهره ؛ فقال له أبو نصر : هذا -والله- غير مغنٍ عنك ، فانظر لنفسك ، فإنك وعمر لتسألان عما خولكما اللهً .

(١) الإمام الثقة المحدث ، أبو إسماعيل ، محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك ، واسمه دينار الديلي .

ثم دعا هارون بصرةٍ فيها مئة دينار ، فقال : ادفعوها إلى أبي نصر . فقال : وهل أنا إلا رجلٌ من أهل الصفة؟ ادفعوها إلى فلانٍ يفرقها بينهم ، ويجعلني رجلاً منهم .

أبو الديك المعتوه

مر أبو الديك -وكان معتوهاً- على معلم كتابٍ في جبانة كندة ، وهو ينشد :

إن الصنيعة لا تكون صنيعةً . . . حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال أبو الديك : كذب ، لا يكون المعروف معروفاً حتى يصرف في أهله وفي غير أهله ؛ ولو كان لا يصرف إلا في أهله ، فكيف كان ينالني منه شيءٌ؟

أبو الخطاب المجنون الحكيم

قال الأصبغ(١) : قيل لي : إن ببادية بني سليم رجلاً مجنونا ينطق بالحكمة ويقول الشعر فسألتهم : بم يعرف؟ فقالوا : بأبي الخطاب .

قال : فأتيته ، فألفيته جالساً على تل رملٍ بين المنازل والمقابر ، وهو مفترشٌ خده ببطن كفيه كالمحزون ، وهو يقول : هذه قصورهم ، وهذه قبورهم .

قال : فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته أبا الخطاب . فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، من أنت رحمك الله؟ فقلت : من إخوانك المسلمين .

فقال : سلام إيمان ، وتلاوة للقرآن ، ومحبة للمسلمين في السر والإعلان؟ قلت : أجل . فقال : يا أخي ، فخالل أهل التقوى ، وجانب أهل الردى ، وارض عن الله عز وجل ، يرض عنك في الآخرة والأولى ، ثم قال : يا حبذا لو أذن له في قبول ما وعظ به ثم أنشأ يقول :

وما همي لهذا اليوم إني ... لهذا اليوم مضطلعٌ خبير
ولكن بعده يومٌ فظيعٌ ... يروع من مخافته الكبير
خروج النفس فيه عن محل ... به كانت تحل وتستجير
إلى يوم القيامة ليس نومٌ ... لخوف وروده شاب الصغير

---

(١) أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي المُجاشِعي كان من خاصَّة الإمام أمير المؤمنين علي ، ومن الوجوه البارزة بين أصحابه ، وأحد ثقاته ، وهو مشهور بثباته واستقامته على حبه . وصفته النصوص التاريخية القديمة بأنه شيعي ، وأنه مشهور بِحُبِّ علي .

قال : ثم اندفن في ذلك الرمل ، فلم أره بقية يومي ذلك .

المديني وصاحب الرطب

اشترى مدينيّ رطبا ، فأخرج صاحب الرّطب كليجة صغيرة ليكيل بها ، فقال المدينيّ : والله لو كلت بها حسنات ما قبلتها .

أثقل أبناء أبي عمارة

سئل أبو عمارة قاضي الكوفة : أيّ بنيك أثقل؟ قال : ما فيهم بعد الكبير أثقل من الصّغير إلاّ الأوسط .

والدة أبو كعب

قال الجمّاز : قال لي أبو كعب القاص : والدتي بالبصرة ، وأنا شديد الشّفقة عليها ، وأخاف إن حملتها إلى بغداد في الماء أن تغرق ، وإن حملتها على الظّهر أن تتعب ، فما تشير عليّ في أمرها؟ فقلت له : أشير عليك أن تأخذ بها سفتجةً .

طرائف الصبية

هشام والغلام الفصيح

مما يحكى أن هشام بن عبد الملك[1] كان ذات يوم في صيده وقنصه إذ نظر إلى ظبي تتبعه الكلاب فتبعته وأحالته إلى خباء أعرابي يرعى غنماً ، فقال هشام : يا صبي دونك هذا الظبي فأتني به .

فرفع الصبي رأسه إليه وقال له : يا جاهل بقدر الأخيار لقد نظرت إلي باستصغار وكلمتني باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار .

فقال هشام : يا صبي ، ونيلك ما تعرفني؟ فقال : قد عرفني بك سوء أدبك إذ بدأتني بكلامك قبل سلامك .

فقال : ويلك أنا هشام بن عبد الملك .

فقال له الأعرابي : لا قرب دارك ولا حيي مزارك ، ما أكثر كلامك وأقل إكرامك .

فما استتم حتى أحدقت به الجيوش من كل جانب ، كل منهم يقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال هشام : أقصروا الكلام واحفظوا الغلام .

فقبضوا عليه ورجع هشام إلى قصره وجلس في مجلسه وقال : علي بالغلام البدوي ، فأتي به .

فقال هشام : هت وأوجز ، فهذا أول أوقاتك من الآخرة وآخر أوقاتك من الدنيا .

فأنشد يقول :

نبئت أن الباز علق مرة ... عصفور بر ساقه المقدور
فتعلق العصفور في أظفاره ... والباز منهمك عليه يطير
فأتى لسان الحال يخبر قائلاً : ... ها قد ظفرت وإنني مأسور
مثلي فما يغني لمثلك جوعةً ... ولئن أكلت فإنني محقور
فتبسم الباز المدل بنفسه ... طرباً وأطلق ذلك العصفور

قال : فتبسم هشام وقال : وقرابتي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو تلفظ بهذا من أول وقت من أوقاته وطلب ، ما دون الخلافة ، لأعطيته ، يا خادم : احش فاهه دراً وجوهراً وأحسن جائزته ودعه يمضي إلى حال سبيله .

(١) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء . ولد في دمشق .

تأديب الصغير

قالت الحكماء : من أدّب ولده صغيرا سرّ به كبيرا .

وقالوا : أطبع الطين ما كان رطبا ، وأعمر العود ما كان لدنا .

وقالوا : من أدّب ولده غمّ حاسده .

وقال ابن عباس[1] : من لم يجلس في الصغر حيث يكره ، لم يجلس في الكبر حيث يحبّ .

قال الشاعر :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا   فمطلبها كهلا عليه شديد

وقالوا : ما أشدّ فطام الكبير ، وأعسر رياضة الهرم .

قال الشاعر :

وتروض عرسك بعد ما هرمت   ومن العناء رياضة الهرم

كتب شريح[2] إلى معلم ولده :

ترك الصّلاة لأكلب يسعى بها   يبغي الهراش مع الغواة الرّجّس
فليأتينّك غدوة بصحيفة   كتبت له كصحيفة المتلمّس
فإذا أتاك فعضّه بملامة   أوعظه موعظة الأديب الكيّس
فإذا هممت بضربه فبدرّة   وإذا بلغت ثلاثة لك فاحبس
واعلم بأنّك ما أتيت فنفسه   مع ما يجرّعني أعزّ الأنفس

لابن عبد القدوس :

وقال صالح بن عبد القدّوس[3] :

وإنّ من أدّبته في الصّبا   كالعود يسقى الماء في غرسه

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، صحابي جليل ، وابن عم النبي محمد ، حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير وترجمان القرآن ، ولد ببني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان النبي محمد دائم الدعاء لابن عباس فدعا أن يملأ الله جوفه عِلماً وأن يجعله صالحاً .

(٢) القاضي المسلم الفقيه المحدث الشاعر شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي ، كان قاضي الكوفة لستين سنة ، قال فيه علي بن أبي طالب «هو أقضى العرب» . عاش مائة وثمان سنين وتوفي سنة ٧٨ هجرية – وقيل ثمانين – وترك القضاء قبل موته بسنة واحدة أو شهر .

حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذي أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد له جهله كذي الضّنى عاد إلى نكسه
ما تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال عمرو بن عتبة[1] لمعلّم ولده : ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك نفسك ، فإنّ عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ؛ علّمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملّوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه . روّهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفّه ، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإنّ ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم . وعلّمهم سنن الحكماء ، وجنّبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عذر مني لك ، فقد اتكلت على كفاية منك .

صبي يتعلم الهجاء

أسلم رجل ابنه إلى المعلم وقال له : علمه الهجاء ، ولا تشغله بغيره ، فطال تردداه إلى المكتب ؛ فقال أبوه : تعلمت الهجاء؟ قال : نعم! قال : ما هجاء طير؟ قال : ط أ س ر أ أ ح ألا ي أ ، قال : ما هجاء سمكة؟ فقال : س م ك أ ه أ خ ح د د ، فأرسل إلى المعلم فحضر . فقال له : ويحك! تقدمت إليك أن تعلم هذا الصبي الهجاء ، وقد سألته عن هجاء طير ، فقال كذا وكذا ، وسألته عن هجاء سمكة ، فقال : كذا وكذا . فقال المعلم : تجيء إلى صبي صغير تهجيه شيئاً يطير في الهواء وشيئاً يغوص في قعر البحر كيف يتهجاه ! فقال : هجه أنت . فقال المعلم : أهجي لك حماد؟ قال : هج . فقال : ح م د ك س ، فانتهره أبو الولد وانصرف .

حب الولد

وكان يحيى بن اليمان[2] يذهب بولده داود كل مذهب ؛ حتى قال يوما : أئمة

(٢) يحيى بن يمان العجلي هو يحيى بن يمان العجلي الكوفي ، أبو زكرياء . روى عن : أبيه ، هشام بن عروة ، الأعمش ، إسماعيل بن أبي خالد ، معمر ، المنهال بن خليفة ، الثوري ، حمزة الزيات وغيرهم . روى عنه : ابنه داود ، أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة ، يحيى بن معين ، عمرو الناقد ، محمد بن عبد الله بن نمير ، أبو هشام الرفاعي ، أبو كريب ، أبو بكر بن خلاد الباهلي ، أبو سعيد الأشج ، محمد بن عمر ، السواق ، علي بن حرب الطائي وآخرون .

الحديث أربعة : كان عبد الله ، ثم كان علقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم أنت يا داود .
وقال : تزوّجت أم داود ، فما كان عندنا شيء ألفّه فيه ، حتى اشتريت له كسوة بدانق .
وقال زيد بن علي[١] لابنه : يا بنيّ ، إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي ، ورضيني لك فحذّرنيك . واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم يدعه الحبّ إلى التفريط ، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق .
وفي الحديث المرفوع : ريح الولد من ريح الجنة .
وفي أيضا : الأولاد من ريحان الله .
وقال النبي ﷺ لما بشّر بفاطمة : ريحانة أشمّها ورزقها على الله .
ودخل عمرو بن العاص على معاوية وبين يديه بنته عائشة ، فقال : من هذه؟
فقال : هذه تفاحة القلب! فقال له : انبذها عنك ، فو الله إنهن ليلدن الأعداء ، ويقرّبن البعداء ، ويورثن الضغائن . قال : لا تقل ذاك يا عمرو ، فو الله ما مرض المرضى ، ولا ندب الموتى ، ولا أعان على الأحزان مثلهن . وربّ ابن أخت قد نفع خاله .
وقال حطّان بن المعلي الطائي[٢] :

(١) زيد بن علي هو الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن الإمام علي بن أبي طالب . نشأ زيد بن علي في أحضان والده الإمام زين العابدين وأخيه الأكبر محمد الباقر ودرس على يديهما العقيدة المحمدية ، فكانَ زيد مضرب المثل في العلم بشهادة أخيه الأكبر محمد الباقر ، فقد ذكر الرواة أنه طلب من أخيه محمد الباقر كتاباً كان لجده علي ، فنسي محمد الباقر مدة من الزمن ، ثم تذكر فأخرجه إليه ، فقال له زيد : قد وجدت ما أردت منه في القرآن !! فأراد محمد الباقر أن يختبره وقال له : فأسألك؟ قال زيد : نعم ، سلني عما أحببت . ففتح محمد الباقر الكتاب وجعل يسأل ، وزيد يجيب كما في الكتاب ، فقال الباقر : «بأبي أنت وأمي يا أخي أنت والله نَسِيْج وحدك ، بركةُ اللّه على أم ولدتك ، لقد أنجبت حين أتت بك شبيه آبائك» .

(٢) هو شاعر إسلامي ، عاش في صدر الإسلام ، ولا يعرف تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته ، لأنّ مؤرخي الأدب أغفلوا ذلك ، ولكننا يعرف عنه أنه افتقر بعد غنى ، وذلّ بعد عزّ ، وقد وصف حالته =

لولا بنيّات كزغب القطا حططن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطّول والعرض
وإنّما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

وقال عبيد الله بن أبي بكرة[١] : موت الولد صدع في الكبد ، لا ينجبر آخر الأبد .

ونظر عمر بن الخطاب[٢] إلى رجل يحمل طفلا على عنقه ، فقال : ما هذا منك؟

قال : ابني يا أمير المؤمنين! قال أما إنه إن عاش فتنك ، وإن مات حزنك .

وكانت فاطمة[٣] بنت رسول الله ﷺ ترقّص الحسين بن علي[٤] رضي الله عنهما وتقول :

= هذه بقصيدة رائعة كانت سبب شهرته . قال فيها واصفاً ما آل إليه حاله :

أنزلني الدهرُ على حُكْمِه من شامخٍ عالٍ إلى خَفْضِ
وغالني الدهرُ بوَفْرِ الغِنى فليس لي مالٌ سوى عِرْضي
أبكانيَ الدهرُ ، ويا رُبَّما أضحكني الدهرُ بما يُرْضي

(١) عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي الأمير من أبناء الصحابة ولي سجستان مولده في سنة أربع عشرة وكان جوادا ممدحا شجاعا كبير القدر

(٢) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، المُلقب بالفاروق ، هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول محمد ، وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذًا . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومن علماء الصحابة وزهّادهم .

(٣) فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله رسول الإسلام . أمها خديجة بنت خويلد ولدت يوم الجمعة ٢٠ جمادى الآخرة في السنة الخامسة بعد البعثة النبوية بعد حادثة الإسراء والمعراج بثلاث سنوات (حسب الروايات الشيعية) ، أو في السنة الخامسة قبل البعثة النبوية في مكة المكرمة ، والنبي له من العمر خمسة وثلاثين عاماً (حسب روايات أهل السنة والجماعة) . زوجها هو علي بن أبي طالب .

(٤) الحُسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي سبط النبي محمد رسول الإسلام وحفيده ويلقب بسيد شباب أهل الجنة ، خامس أصحاب الكساء ، كنيته أبو عبد الله ، والإمام الثالث لدى المسلمين الشيعة . ولد في المدينة ، ونشأ في بيت النبوة ، وإليه نسبة كثير من الحسينيين .

وا بأبـــي شبـــه النّبـــــي ليـــس شبيهـــا بعلـــــي

وكان الزبير[١] يرقص عروة[٢] ويقول :

أبيض من آل أبي عتيـــق مبارك من ولـــد الصّدّيـــق
ألذّه كما ألذّ ريقي

وقال أعرابيّ وهو يرقّص ولده :

أحبّـــه حـبّ الشّحيح ماله قد كان ذاق الفقر ثم نالـــه
إذا يريد بذله بدا له

وقال آخر وهو يرقّص ولده :

أعـــرف مـــنه قلّة النّعـاس وخفّــة من رأسه في راسي

وكان رجل من طيء يقطع الطريق ، فمات وترك بنيّا رضيعا ، فجعلت أمّه ترقّصه وتقول :

يا ليتـــه قد قطع الطريقـــا ولـــم يـــرد في أمره رفيقـــا
وقد أخاف الفـجّ والمضيقـــا فقـــلّ أن كـــان بـه شفيقا

وقال عبد الملك[٣] : أضرّ بنا في الوليد حبّنا له فلم نؤدّبه ، وكأن الوليد أدّبنا .

وقال هارون الرشيـد[٤] لابنه المعتصم[٥] : ما فعل وصيفك فلان؟ قال : مات

(١) الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، ابن عمة النبي محمد ، وأبو عبد الله بن الزبير . ولد سنة ٢٨ قبل الهجرة ، وأسلم وعمره اثنتين عشرة سنة ، كان ممن هاجر إلى الحبشة ، وهاجر إلى المدينة ، تزوج أسماء بنت أبي بكر وعمته هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد .

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، تابعي جليل ، يُكنى بأبي عبد الله ، عالم أهل المدينة وأحد فقهائها السبعة ، كان ثقة فقيهاً علماً ثبتاً حجة كثير الحديث عالماً بالسير .

(٣) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

(٤) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين . حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م . ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

(٥) أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ثامن الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٧٩ هجـرية وتوفي بمدينة سـامـراء في ١٨ من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هجـرية (٤ من =

فاستراح من الكتّاب . قال : وبلغ منك الكتّاب هذا المبلغ . والله لا حضرته أبدا . ووجهه إلى البادية فتعلم الفصاحة ، وكان أمّيا ، وهو المعروف بابن ماردة .

شدة الذكاء

قال رجل لامرأته : الحمد لله الذي رزقنا ولداً طيباً . قالت : ما رزق أحد مثلما رزقنا ، فدعياه فجاء ، فقال له الأب يا بني ، من حفر البحر؟ قال : موسى بن عمران(١) . قال : من بلطه؟ قال : محمد بن الحجاج . فشقت المرأة جيبها ونشرت شعرها وأقبلت تبكي . فقال أبوه : ما لك؟ فقالت : ما يعيش ابني مع هذا الذكاء .

حسن الرد

قال الصاحب بن عباد(٢) : ما أخجلني قط غير ثلاثة منهم أبو الحسن

= فبراير سنة ٨٤٢ ميلادية) ، وكان في عهد أخيه المأمون واليا على الشام ومصر وكان المأمون يميل اليه لشجاعته فولاه عهده ، وفي اليوم الذي توفي فيه المأمون بطرسوس بويع أبو اسحاق محمد بالخلافة ولقب بالمعتصم بالله في ١٩ من رجب سنة ٢١٨ هجرية (١٠ من أغسطس سنة ٨٣٣ ميلادية) ، وبحسب المؤرخين فقد كان يملك قوة بدنية وشجاعة مميزة ، غير أنه كان محدود الثقافة وضعيف في الكتابة ,وما ميز عهد المعتصم هو استعانته بالجنود الأتراك وذلك للحد من المنافسة الشديدة بين العرب والفرس في الجيش والحكومة .

(١) موسى (بالعبرية : نقحرة : موشيه) ، حسب التوراة وهي أقدم مرجع معروف عن موسى ، هو نبي وقائد خروج بني إسرائيل من مصر «أرض العبودية» ، ومشترع هام . تأتي الوصايا العشر التي تلقفها منقوشة على لوحين في جبل حوريب في قمة الآثار المرتبطة به ، والتي تشكل الأساس التشريعي الأبرز في التراث اليهودي المسيحي .

(٢) أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني ، الطالقاني ، الاصفهاني ، المعروف بالصاحب بن عباد و«كافي الكفاة» ، كان من كبار علماء وأدباء الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، مشارك في مختلف العلوم كالحكمة والطب والمنطق ، وكان محدثاً ثقة ، شاعراً مبدعا ، وأحد أعيان العصر البويهي . كان وزيراً ، ومن نوادر الوزراء الذين غلب عليهم العلم والأدب .

البديهي[1] ، فإنه كان في نفرٍ من جلسائي فقلت له وفد أكثر من أكل المشمش : لا تأكله فإنه يلطخ المعدة ، فقال : ما يعجبني من يطب على مائدته ؛ وآخر قال لي وقد خرجت من دار السلطان وأنا ضجر من أمرٍ عرض لي : من أين أقبلت يا مولانا فقلت : من لعنة الله ، فقال : رد الله غربتك وأحسن على إساءته الأدب ؛ وصبي مستحسن داعبته فقلت : ليتك تحتي ، فقال : مع ثلاثة آخرين ، يعني في الجنازة ، فأخجلني .

ابن كلب

قال الهيثم بن عدي[2] : قيل لصبي : من أبوك؟ فقال : وو وو ، لأن أباه كان يسمى كلبا .

من شابه أباه فما ظلم

قال بعضهم : دخلت الكوفة فرأيت صبياً قائماً عند شق حائط ومعه خبز وهو يكسر اللقمة ويتركها في شق الحائط ويأكلها ، فبينما أنا أنظر إليه إذ أقبل أبوه فرأى ما يفعل فقال : ماذا تصنع! قال : يا أبت هؤلاء قد طبخوا سكباجة ويأتي النسيم بريحها فآكل خبزي ، فلطمه أبوه وقال : أتتعود من صغرك أن لا تأكل خبزاً إلا بأدام ؟

فوائد البكاء

قدموا رجلا من الخوارج إلى عبد الملك بن مروان لتضرب عنقه ، ودخل على

(١) البديهي : أبو الحسن علي بن محمد البديهي . من شهرزور . مات سنة ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م . من شعراء الصاحب بن عباد . له قوله :

يا شهرزور سقيت الغيث من بلد ... نـودّ وجداً به أنا نقابله
طال الفراق فلا وافٍ يراسلنا ... على العباد ولا آتٍ نسائله

(٢) ابن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر الأخباري العلامة أبو عبد الرحمن الطائي الكوفي المؤرخ . حدث عن : هشام بن عروة ، ومجالد ، وابن أبي ليلى ، وسعيد بن أبي عروبة وجماعة . روى عنه : محمد بن سعد ، وأبو الجهم الباهلي ، وعلي بن عمرو الأنصاري ، وأحمد بن عبيد أبو عصيدة ، وآخرون . وهو من بابة الواقدي . وقل ما روى من المسند .

عبد الملك ابن له صغير قد ضربه المعلم ، وهو يبكي ، فهمّ عبد الملك بالمعلم ، فقال له الخارجي : دعوه يبكي فإنه أفتح لجرمه ، وأصح لبصره ، وأذهب لصوته . قال له عبد الملك : أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا؟

قال الخارجي : ما ينبغي لمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء! فأمر بتخلية سبيله .

الشاعر الصغير

يروى أن عبد الرحمن بن حسان[1] لسعه زنبور فجاء أباه يبكي .

فقال له : ما لك؟

فقال : لسعني طائر كأنه مُلْتَفٌ في بُرْدَي حِبَرَة .

قال : قلْتَ والله الشعر .

ويُروى أن معلمه عاقب صبياناً على ذنب وأراده بالعقوبة ، فقال :

اللـــه يعلـــم أنـــي كنـــت منتبـــذاً ... فـــي دار حسان أصطاد اليعاسيبا

ابنة الشاعر

ويُروى أن ابنة لابن الرقاع[2] وقف بباب أبيها قوم يسألون عنه ، فقالت : ما تريدون؟

(١) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت هو تابعي وشاعر ، أبوه الصحابي الجليل شاعر رسول الله حسان بن ثابت ، وأمه سيرين بنت شمعون ، وكان المقوقس ملك الإسكندرية والنائب العام الدولة البيزنطية في مصر ، قد أرسل إلى رسول الله جاريتين هما مارية القبطية وأختها سيرين بنت شمعون ، فتزوج النبي مارية وأهدى حسان بن ثابت سيرين بنت شمعون ، فأسلمت وأنجب منها عبد الرحمن . وكان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي ، شاعرا ، كان مقيما في المدينة المنورة ، وتوفى فيها ، اشتهر بالشعر في زمن أبيه . قال حسان : فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت .

(٢) عدي بن الرقاع العاملي ، توفي في العام ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، شاعر كبير من بني عاملة سكن دمشق ، يكنى أبا داود . كان معاصراً لجرير ، مهاجياً له ، مقدماً عند بني أمية ، مدّاحاً لهم ، خاصة بالوليد بن عبد الملك . لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام .

فقالوا : جئنا لنهاجِيَه
فقالت وهي صبية :
تجمعتــم مــن كــل أوب ووجـــهة   علــى واحــد لا زلتــم قرن واحد
فهذه بلغت بطبعها على صغرها مبلغ الأعشى[1] في قلب هذا المعنى ،
حيث يقول لهوذة بن علي[2] :
يــرى جمــع ما دون الثلاثين قُصرة   ويعــدو على جمع الثلاثين واحدا

في العقوق

قيل : الولد العاق إن مات نغصك وإن عاش نقصك .

وقال بعضهم لابن له عاق : أنت كالإصبع الزائدة إن تركت شانت ، وإن قطعت آذت!

وقيل : أعظم الأسف سوء الخلف . العقوق ثكل من لا يثكل .

ابن أعرابي

قيل لأعرابي : كيف ابنك؟
قال : هو عذاب رعف به الدهر ، وبلاء لا يقاومه البر ،
وفائدة لا يجب بها الشكر .

موت الولد

تُوفي ابنٌ لأعرابيّ فَبكى عليه حيناً ،
فلما هَمّ أن يَسْلُو عنه تُوفيٍّ له ابن آخر ، فقال في ذلك :

---

(١) أعشى قيس (٧ هـ/٦٢٩ -٥٧٠ م) . لقب بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر ، والأعشى في اللغة هو الذي لا يرى ليلا ويقال له : أعشى قيس والأعشى الأكبر . ويكنى الأعشى : أبا بصير ، تفاؤلاً . عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم ، ولقب بالأعشى لضعف بصره ، وعمي في أواخر عمره . مولده ووفاته في قرية منفوحة باليمامة ، وفيها داره وبها قبره .

(٢) هود بن علي الحنفي : ملك نصراني حكم اليمامة (الخرج الآن) وسيد من أسياد العرب ، وزعيم بني حنيفة في الجاهلية ، وشاعر ذا قدر عالٍ في قومه ، له شرف وذكر ، وصاحب تاج ورأي وحيلة .

إنْ أُفِـقْ مِـن حَـزَنٍ هـاجَ حَـزَنْ ... فَفُـؤادي مـا لـه اليـومَ سَكَنْ
وكمـا تَبْلَـى وُجـوهٌ فـي الثَّرى ... فَكـذا يَبْلَـى عليهـنّ الحَـزَن

وقال في ذلك:

عُيـون قد بَكَيْنَـك مُوجَعـات ... أضـرَّ بهـا البُكـاء ومـا يَنِينَا
إذا أنْفَـذْن دَمْعـاً بعـد دمْـعٍ ... يُرَاجِعْـن الشُـؤونَ فيستقيـنا

أعرابي يصف أبناءه

أَبُو بَكْر، رحمه الله، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ عمه، قَالَ: قلت لأعرابي بحمى الربذة: ألك بنون؟ قَالَ: نعم، وخالقهم لم تقم عَنْ مثلهم منجبة، فقلت: صفهم لى، فقَالَ: جهم وما جهم! ينضى الوهم، ويصد الدهم، ويفرى الصفوف، ويعل السيوف، قلت: ثم من؟ قَالَ: غشمشم وما غشمشم! ماله مقسم، وقرنه مجرجم، جذل حكاك، ومدره لكاك، قلت: ثم من؟ قَالَ: عشرب وما عشرب! ليث محرب، وسمام مقشب، ذكره باهر، وخصمه عاثر، وفناؤه رحاب، وداعيه مجاب، قلت: فصف لي نفسك، فقَالَ: ليث أَبُو ريابل، ركاب معاضل، عساف مجاهل، حمال أعباء نهاض ببزلاء

بيت الأب

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْر، رحمه الله، قَالَ: أَخْبَرَنِي عمى، عَنْ أَبِيه، عَنِ ابن الكلبى[1]، قَالَ: خرج رَجُل من العرب فِي الشهر الحرام طالبا حاجة، فدخل فِي الحل فطلب رجلا يستجير بِه، فدفع إِلَى أغيلمه يلعبون، فقَالَ لهم: من سيد هذا الحواء؟ فقَالَ غلام منهم: أَبِي قَالَ: ومن أبوك؟ قَالَ: باعث بْن عويص العاملي، قَالَ: صف لي بيت أبيك من الحواء، قَالَ: بيت كأنه حرة سوداء، أو غمامة حماء، بفنائه ثلاثة أفراس، أما أحدها: فمفرع الأكتاف، متماحل الأكناف، مائل كالطراف.

وأما الآخر: فذيال جوال صهال، أمين الأوصال، أشم القذال.

---

(١) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي، يكنى ابن الكلبي، مؤرخ، وعالم أنساب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها.

وأما الثالث : فمغار مدمج ، محبوك محملج ، كالقهقر الأدعج .

فمضى الرجل حتى انتهى إِلَى الخباء ففقد زمام ناقته ببعض أطنابه وقَالَ : يا باعث ، جار علقت علائقه ، واستحكمت وثائقه ، فخرج إِلَيْهِ باعث فأجاره .

حريقيص

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بن دريد[1] ، رحمه الله ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّحْمَن ، عَنْ عمه ، قَالَ : بينا أَنَا بحمى ضرية ، إذ وقف عَلَى غلام من بنى أسد فِي أطمار ما ظننته يجمع بين كلمتين ، فقلت : ما اسمك؟ فقَالَ : حريقيص ، فقلت : أما كفى أهلك أن يسموك حرقوصاً[2] حتى حقروا اسمك! فقَالَ : إن السقط ليحرق الحرجة ، فعجبت من جوابه فقلت : أتنشد شيئاً من أشعار قومك؟ قَالَ : نعم أنشدك لمرارنا ، قلت : افعل ، فقَالَ :

سكنوا شبيثا والأحص وأصبحوا نزلت منازلهم بنو ذبيان
وإذا يُقَال أتيتم لم يبرحوا حتى تقيم الخيل سوق طعان
وإذا فلان مات عَنْ أكرومةٍ رقعوا معاوز فقره بفلان

قَالَ : فكادت الأرض تسوخ بى لحسن إنشاده وجودة الشعر ، فأنشدت الرشيد هذه الأبيات ، فقَالَ : وددت يا أصمعىّ أن لو رَأَيْت هذا الغلام فكنت أبلغه أعلى المراتب

الأبناء السبعة

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْر ، رحمه الله ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّحْمَن ، عَنْ عمه ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يونس ، قَالَ : كَانَ لرجل من بنى ضبة فِي الجاهلية بنون سبعة ، فخرجوا بأكلب لهم يقتنصون ، فأووا إِلَى غار فهوت عليهم صخرة فأتت عليهم جميعهم ، فلما استراث أبوهم أخبارهم ، اقتفر آثارهم حتى انتهى إِلَى الغار فانقطع عَنْهُ الأثر ، فأيقن بالشر ، فرجع وأنشأ يَقُولُ :

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري الدوسي (٢٢٣هـ/٨٣٧م - ٣٢١هـ/٩٣٣م) من نسل ملك العرب مالك بن فهم الدوسي الأزدي . هو عالِم وشاعر وأديب عربي ومن أعظم شعراء العرب . كان يقال عنه : ابن دريد ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء .

(٢) دُوَيْبَّة نحو البرغوث .

أسبعــــة أطـــواد أسبعـــة أبحـــــــر ... أسبعـــة آســـاد أسبعـــة أنجـــم
رزئتهـــم فِـــي ساعـــــة جرعتهـــم ... كئـــوس المنايـــا تحت صخرٍ مرضم
فمـــن تـــك أيـــام الزمـان حميـــدةً ... لديـــه فإنـــي قد تعرفن أعظمـــى
بلغـــن نسيســـي وارتشفـــن بلالتي ... وصليننـــــي جمـــر الأسى المتضرم
أحـــين رمانـــي بالثمانـــين منكـــب ... مـــن الدهر منح فِي فؤادي بأسهم
رزئـــت بأعضـــادي الذيـــن بأيدهـم ... أنـــوء واحمـــيً حوزتـي وأحتمى
فإن لـــم تـــذب نفسي عليهم صبابةً ... فسوف أشوب دمعها بعد الدم . . .

ثم لم يلبث بعدهم إلا يسيرا حتى مات كمدا .

في البر

قيل لعمر بن ذر[١] : كيف برّ ابنك بك؟ قال : ما مشيت نهارا قطّ إلا مشى خلفي ، ولا ليلا إلا مشى أمامي ولا رقي عليّة وأنا تحته .

يزيد بن معاوية[٢]

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس ، فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد؟ قال : ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن له أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودّهم ، ويحبوك جهدهم ؛ ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ، ويحبّوا وفاتك . فقال : لله أنت يا أحنف . لقد دخلت عليّ وإني لمملوء غضبا على يزيد ، فسللته من قلبي . فلما خرج الأحنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ، شاطره إياها .

من يكون معي؟

قال عبد الملك بن مروان لابن رأس جالوت ما عندكم من الفراسة في الصبيان؟

---

(١) ابن عبد الله بن زرارة ، الإمام الزاهد العابد أبو ذر الهمداني ، ثم المرهبي الكوفي .

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي ، ولد في خلافة الصحابي عثمان بن عفان في عام ٢٦ للهجرة . في قرية الماطرون وأمه هي ميسون بنت بحدل الكلبية ، طلقها معاوية فيما بعد . عاش فترة من حياته في البادية بين أخواله .

قال : نراقبهم ، فإن سمعنا منهم من يقول أثناء لعبهم : من يكون معي؟ رأيناه ذا همّة ، وإن سمعناه يقول : مع من أكون؟ عرفناه مفتقرا إلى الهمة .

حماميز الله!

كان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة ، فبينما هو يمشي مع أبيه إذ برجل يصيح بشاب : يا عبد الله ، فلم يجبه ذلك الشاب ، فقال : ألا تسمع فقال : يا عم كلنا عبيد الله فأي عبد الله تعني ، فالتفت أبو حمزة إلى ابنه وقال : يا حمزة ألا ترى بلاغة هذا الشاب ، فلما كان من الغد إذا برجل ينادي شاباً حمزة ، فقال حمزة ابن الأعرابي كلنا حماميز الله فأي حمزة تعني ، فقال له أبوه : ليس يعنيك يا من أخمد اللهُ به ذِكْرَ أبيه .

حكمة غلام

قال عمر بن شبة(١) : أتي معن بن زائدة(٢) بثلاث مئة أسير ، فأمر بضرب أعناقهم ، فقدّم غلامٌ منهم ليقتل ، فقال : يا معن [لا يقتل أسراك وهم عطاشٌ] فقال : اسقوهم ماءٌ ؛ فلمّا شربوا ، قام الغلام ، فقال : أيها الأمير [لا تقتل أضيافك] فأطلقهم كلّهم .

(١) هو المحدث الثقة المؤرخ أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري المولود سنة ١٧٣هـ والمتوفى سنة ٢٦٢هـ . وقد أجمع كل من ترجم له على أنه صادق اللهجة ، غير مدخول الرواية ، عالم بالآثار ، راوية للأخبار ، أديب فقيه ، صاحب نوادر واطلاع ، عالم بالقراءات ، صاحب تصانيف ، بصير بالسير والمغازي وأيام الناس .

(٢) معن بن زائدة معن بن زائدة أمير العرب أبو الوليد الشيباني ، من أكرم وأجود الناس . كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة ، فلما تملك آل العباس جَدَّ المنصورُ في طلبه ، وجعل لمن يحمله إليه مالاً . فاضطرر لشدّة الطلب إلى أن تعرّض للشمس حتى لوحت وجهه ، وخَفَّفت عارضه ، ولبس جبّة صوف ، وركب جملاً ، وخرج متوجهًا إلى البادية ليقيم بها ، فاختفى معن مدة ، والطلب عليه حثيث ، فلما كان يوم خروج الريوندية والخراسانية على المنصور ، وحمي القتال ، وحار المنصور في أمره ، ظهر معن ، وقاتل الريوندية فكان النصر على يده ، وهو مقنع في الحديد ، فقال المنصور : ويحك ، من تكون؟ فكشف لثامه ، وقال : أنا طلبتك معن . فسر به ، وقدمه وعظمه ، ثم ولاه اليمن وغيرها . ولمعن أخبار في السخاء ، وفي البأس والشجاعة ، وله نظم جيد .

صفعة اليهودي

قال صبي ليهودي : يا عمّ [قف حتى أصفعك] قال : أنا مستعجلٌ ، اصفع أخي عنّي .

الزبير بن العوام

قال الزبير بن بكار : كان ابن الزبير يلعب مع الصبيان وهو صبي ، فمر رجلٌ فصاح عليهم ، ففروّا ، ومشى ابن الزبير القهقري ، وقال : يا صبيان [اجعلوني أميركم ؛ وشدوا عليه] .

ومرّ به عمر بن الخطّاب وهو يلعب مع الصبيان ، ففرّوا ووقف ، فقال له : مالك لم تفرّ مع أصحابك؟ قال : يا أمير المؤمنين [لم أجرم فأخاف ، ولم يكن الطريق ضيّقة فأوسع عليك] .

يحي بن أكثم[١]

قال علي ابن المديني[٢] : خرج سفيان بن عيينة[٣] إلى أصحاب الحديث وهو ضجرٌ ، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيدٍ[٤] ، وجالس

---

(١) يحيى بن أكثم بن مُحمّد التميمي ، عالِم وإمام وفقيه وراوٍ للحديث النبوي وقاضي قضاة أهل البصرة ويُعّد من تبع التابعين .

(٢) أبو الحسن علي بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفر بنِ نجيح بنِ بكر بن سعد ، وهو من أكابر شيوخ البخاري ومن المتخصصين في علم الحديث النبوي .

(٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي إمام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع . وقد ولد في الكوفة سنة ١٠٧ هـ وتوفي ١٩٨ هـ . أجمع الناس على صحة حديثه وروايته

(٤) ضمرة بن سعيد المازني اسمه ضمرة بن سعيد بن أبي حنة وقيل : أبو حبة : عمرو بن غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول الأنصارى المازنى المدني كنيته وقيل : الأنصارى المازنى المدني يعتبر ضمرة بن سعيد المازني من الطبقة الرابعة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم طبقة تلى الوسطى التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ثقة ,وعند الإمام شمس الدين الذهبي وثقوه

ضمرة أبا سعيد الخدريّ(١) ؛ وجالست عمرو بن دينار(٢) ، وجالس جابر بن عبد الله(٣) ؛ وجالست عبد الله بن دينار ، وجالس ابن عمر ؛ وجالست الزهري ، وجالس أنس بن مالك(٤) ؛ حتى عدّ جماعةً ، ثم أنا أجالسكم [فقال له حدثٌ في المجلس : انتصف يا أبا محمد] قال : إن شاء الله ؛ قال : والله لشقاء من جالس أصحاب رسول الله ﷺ بك أشدّ من شقائك بنا ؛ فأطرق وتمثّل بشعر أبي نواس :

خــل جنبيــك لــرام وامــض عنــه بســلام

مــت بداء الصمــت خيرٌ لــك مــن داء الكــلام

فسأل : من الحدث؟ قالوا : يحيى بن أكثم ؛ فقال سفيان : هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء . يعني : السلاطين .

---

(١) أبو سعيد الخدري الصحابي الجليل . اسمه : سعد بن مالك بن سنان أسلم وهو صغير ، واستشهد والده في غزوة «أحد» ، شهد أبو سعيد غزوة «الخندق» ، وكان من كبار علماء الصحابة ، والمكثرين في رواية الحديث .

(٢) عمرو بن دينار الإمام الكبير الحافظ أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الأثرم ، أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه . ولد في إمرة معاوية سنة خمس أو ست وأربعين .

(٣) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي من بني سلمة ، صحابي جليل من الأنصار ، يكنى أبا عبد الله ، وقيل : أَبُو عبد الرحمن ، والأول أصح ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي ، وقد كان أصغر من شهد العقبة

(٤) أنس بن مالك النجاري الخزرجي خادم رسول الله محمد وصاحبه ، كان يتسمى بخادم رسول الله ويفتخر بذلك .

صبي يحتال على فقيه

قال أبو عاصم النبيل(١) : رأيت أبا حنيفة(٢) في المسجد الحرام يفتي وقد اجتمع النّاس عليه ، وآذوه ، فقال : ما ههنا أحدٌ يأتينا بشرطيّ؟ فقلت : يا أبا حنيفة [تريد شرطياً؟ قال : نعم فقلت : اقرأ عليّ هذه الأحاديث التي معي ؛ فقرأها ، فقمت عنه ، ووقفت بحذائه ، فقال لي : أين الشرطيّ؟ فقلت له : إنّما قلت : تريد ، لم أقل لك : أجيء به ؛ فقال : انظروا أنا أحتال للنّاس منذ كذا وكذا ، وقد احتال عليّ هذا الصبّي .

جواب الصبي

لقي صبي رجلاً غافلاً ، فقال له الصبي : إلى أين تمضي؟ فقال : إلى المطبق ، فقال : أوسع خطواتك .

(١) أبو عاصم الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن رافع بن رفيع ابن الأسود بن عمرو بن رالان بن هلال بن ثعلبة بن شيبان ، الشيباني البصري ، الشهير بأبي عاصم النبيل . (١٢٢ هـ - ٢١٢ هـ) أحد العلماء ومن رواة الحديث عند أهل السنة والجماعة . كان شيخ حفاظ الحديث في عصره . ولد بمكة وتحول الى البصرة ، فسكنها وتوفي بها . كان أبو عاصم من تابعي التابعين وكان حافظا ثبتا اتفقوا على توثيقه ، وجلالته ، وحفظه . لم ير في يده كتاب قط . وكان فيه مزاح . وذُكرت عدّة روايات في سبب اشتهاره بلقب النبيل ، فقيل : إن فيلا قدم البصرة فخرج الناس يتفرجون ، فقال ابن جريج لأبي عاصم : «ما لك لا تخرج؟» قال : «لم أجد منك عوضاً» فقال ابن جريج : «أنت نبيل .» وقيل : لقب به لأنه كان فاخر البزة . وقال يزيد بن سنان القزاز : «سمعت أبا عاصم يقول : كنت اختلف إلى زفر بن الهذيل ، وثم آخر يكنى أبا عاصم رث الهيئة يختلف إلى زفر . قال : فجاء أبو عاصم يستأذن ، فخرجت جارية فقالت : من ذا؟ قال : أنا أبو عاصم ، فدخلت وقالت لزفر : أبو عاصم بالباب ، قال : أيهما هو؟ فقالت : النبيل منهما ، فأذنت لي فدخلت ، فقال لي زفر : قد لقبتك الجارية بلقب لا أراه أبدا يفارقك . لقبتك بالنبيل ، فلزمني هذا اللقب .»

(٢) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ فقيه وعالم مسلم ، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي .

الصبي والحمار

قال الجاحظ[١] : قال ثمامة[٢] : دخلت الى صديق لي أعوده وتركت حماري على الباب ، ولم يكن معي غلام ، ثم خرجت ، وإذا فوقه صبي ، فقلت :

أتركب حماري بغير اذني؟

قال : خفت أن يذهب فحفظته لك .

قلت : لو ذهب كان أحب الي من بقائه .

قال : فإن كان هذا رأيك في الحمار ، فاعمل على أنه قد ذهب وهبه لي ، واربح شكري . فلم أدر ما أقول .

الصبية والأضياف

قال رجل من أهل الشام :

قدمت المدينة ، فقصدت منزل ابراهيم بن هرمة[١] ، فاذا بنيّة له صغيرة تلعب بالطين ، فقلت لها :

ما فعل أبوك؟

قالت : وفد الى بعض الأجواد ، فما لنا به علم منذ مدة .

فقلت : انحري لنا ناقة ، فإنا أضيافك .

قالت : والله ما عندنا .

قلت : فشاة .

قالت : والله ما عندنا .

قلت : فدجاجة .

قالت : والله ما عندنا .

---

(١) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها .

(٢) ثمامة بن أشرس العلامة أبو معن النميري البصري المتكلم ، من رءوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن -جل منزله . وكان نديما ظريفا صاحب ملح .

(٣) إبراهيم بن هرمة : هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي ، أبو اسحاق . شاعر غزل من سكان المدينة . من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية .

قلت : فبيضة .

قالت : والله ما عندنا .

قلت : فباطل ما قال أبوك :

كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشؤبوب أو جمل

قالت : فذاك الفعل من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء .

الحافي

قال بشر بن الحارث[١] :

أتيت باب المعافى بن عمران ، فدققت الباب فقيل لي : من؟

فقلت : بشر الحافي .

قالت لي بنيّة من داخل الدار : لو اشتريت نعلا بدانقين ذهب عنك اسم الحافي .

جواب حسن

وبلغنا أن المعتصم ركب الى خاقان يعوده ، والفتح[٢] صبي يومئذ ، فقال له المعتصم :

أيما أحسن : دار أمير المؤمنين أو دار أبيك؟

قال : إذا كان أمير المؤمنين في دار أبي فهي أحسن .

فأراه فصّا في يده ، فقال : هل رأيت يا فتح أحسن من هذا الفص؟

فقال : نعم ، اليد التي هو فيها .

---

(١) بشر الحافي هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر ، المعروف بالحافي ، أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري

(٢) أبو محمد الفتح بن أحمد بن غرطوج ، هو وزير وأديب وشاعر ترعر في أحضان الدولة العباسية ، من أصول فارسية ، عينه المتوكل أميراً ونائباً لشؤون مصر وإفريقية . اتخذه المتوكل أخاً ، وكان يقدمه على سائر ولده وأهله ، قتل مع المتوكل .

ابناك كعينيك

وحكى أبو الحسن محمد بن جعفر بن لنكك البصري[١] عن أبيه أنه جاور ببغداد في أيام المقتدر[٢] رجلاً من جلة الكتاب، ونشأ له ولدان فتنا بغداد بحسنهما، فبلغ الأكبر منهما، فنقله من المكتب إلى الديوان، وأراد أن يحصنه بجارية فابتاعها له بألف دينار، وقال: لا تعلم أخاك فإنه يصغر عن ذلك، فنمت داية الأصغر الأمر إليه، وقالت: إن أباك خص أخاك بشيء دونك. فقال لها: بم خصه؟ قالت: بجارية. قال: هو إليها أحوج وأنا عنها أغنى، غير أني أشفق أن يتسع الخرق، وما علمت أنه فضل مذ نشأ علي بشيء، وأنا أجله عن المشافهة، ولكن هاتي دواة، فكتب إليه:

ليس لي بعد إلهي ... مشتكى إلاّ إليكا
وأخي في الفضل مثلي ... وكلانا في يديكا
لا تفضّله عليّ ... بالحبا من ناظريكا
إنما ابناك كعينيـ ... ـك فداوي مقلتيكا
إن أذقت العين كحلاً ... هاجت الأخرى عليكا

فابتاع له جارية بثمن جارية أخيه وأنفذها إليه.

إياس بن معاوية[١]

بلغنا أن إياس بن معاوية تقدم وهو صبي إلى قاضي دمشق ومعه شيخ فقال: أصلح الله القاضي، هذا الشيخ ظلمني واعتدى عليّ وأخذ مالي.

---

(١) ابن لنكك البصري محمد بن محمد بن جعفر البصري، أبو الحسن، الصاحب ابن لنكك. شاعر، وصفه الثعالبي بفرد البصرة وصدر أدبائها، وقال: أكثر شعره ملح وطرف، جلها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره. وهو صاحب البيت المعروف: نعيب زماننا والعيب فينا ولو نطق الزمان إذاً هجانا.

(٢) أبو الفضل جعفر بن المعتضد المقتدر بالله من خلفاء الدولة العباسية .... ويذكر كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي ان أحد جنود مؤنس الخادم قتل المقتدر بالله سنة ٣٢٠ هجرية.

(٣) إياس بن معاوية المزني أحدِ أذكياءِ الدنيا، وأعجوبةٍ من أعاجيب الدهر، وعَلَمٍ من أعلامِ أمَّة محمد ﷺ، ضربَ المثل بذكائه وفراسته، وحسنِ قضائه.

فقال القاضي : ارفق به ولا تستقبل الشيخ بمثل هذا الكلام .
فقال إياس : أصلح الله القاضي ، إن الحق أكبر مني ومنه ومنك .
قال : اسكت .
قال : إن سكت فمن يقوم بحجتي؟
قال : تكلّم بخير .
فقال : لا إله الا الله وحده لا شريك له .
فرفع صاحب الخبر هذا الخبر ، فعزل القاضي وتولى اياس مكانه .

جواب ناضج

قال الأصمعي :
قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب :
أيسرّك أن يكون لك مئة ألف درهم وأنك أحمق؟
فقال : لا والله .
قلت : ولم؟
قال : أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تذهب مالي ويبقى عليّ حمقي .

صبي في حضرة الرشيد

أدخل على الرشيد صبي له أربع سنين ، فقال له :
ما تحب أن أهب لك؟
قال : حسن رأيك .

بهلول(١) والصبيان

فر يوما بهلول من الصبيان فالتجأ إلى دار فوجد بابها مفتوحا فدخلها وصاحب

(١) البهلول هو أبو وهيب بهلول بن عمرو الصيرفي الكوفي ، ولد بالكوفة في العراق في زمن هارون الرشيد وتوفي عام ١٩٧هـ ، الموافق ٨١٠م . وهو من مشاهير المجانين في بغداد وممن تميزوا بدرجة عالية من الطرافة والظرافة لدرجة ان البغداديين ما زالوا إلى يومنا هذا يرددون ويسندون الكثير من المزح والروايات والنوادر إليه وهو منها بريء .

الدار قائم له ضفيرتان فصاح ما أدخلك داري فقال [يا ذا القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض] .

أشعب[1] الصغير

عندما كان أشعب صبياً . . حدث مرة أن كان والي الحجاز سائراً في الطريق فسأله : – هل تعرف القراءة يا غلام فقال : نعم فسأله أن يقول شيئاً ، فقال : انا فتحنا لك فتحاً مبيناً فسر الأمير من هذا الجواب وأعطاه ديناراً . . فرفض الصبي أشعب أن يقبل الدينار ، فسأله الأمير عن سبب رفضه ، فقال أشعب : أخاف أن يضربني أبي فقال الأمير : قل له أن الأمير هو الذي أعطاك الدينار فقال أشعب : انه لن يصدقني . ولماذا فسكت الغلام لحظة ، ثم قال : لأن هذه ليست عطية الملوك .

الغلام والمعربّ[2]

ويروى أنه التقى المعربّ بغلام صغير فقال له الغلام أأنت المعربّ القائل :

أنا ان كنت الاخير زمانه لأتى بما لم تستطعه الاوائل

قال البحتري نعم أنا القائل :

قال له الغلام كيف وان طلبت منك تفسير ما قلت قال اطلب :

قال الأوائل احضروا ٢٨ حرفا للغة العربية فهل تستطيع احضار الحرف التاسع والعشرون .

قال له المعربّ غلبتني يا غلام .

أشعر من البحتري

يقال أن البحتري كان جالسا بين عدة شعراء وبينهم صبى صغير .

(١) أشعب هو أحد ظرفاء أهل المدينة ، عرف بالطمع وكان له طرائف كثيرة ما زالت تروى في القصص الشعبية .

(٢) البحتري : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي ، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي . يقال لشعره سلاسل الذهب ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم ، المتنبي وأبو تمام والبحتري .

فقال له البحتري : أشاعر أنت؟
قال الصبي : نعم واشعر منك .
قال البحتري : مرحى أتستطيع أن تجيز لي؟
(ليت بين من أحب وبيني) .
قال الصبي : أتريد أن أبعد أم أقرب؟ قال قرب .
قال الصبي :

ليت بين من أحب وبينى   مثل مابين حاجبي وعيني

قال البحتري : وإن قلت لك باعد بيني وبين من أحب؟
قال الصبي :

ليت بين من أحب وبيني   مثل ما بين ملتقى الخافقين

علموا أولادكم الأدب

حكي أن الحجاج[1] أمر صاحب حراسته أن يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه ، فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم أثر شراب الخمر ، فأحاط بهم وقال لهم : من أنتم حتى خالفتم الأمير؟

فقال الأول :

أنا ابن من دانت الرقاب له   ما بين مخزومها وهاشمه
تأتي إليه الرقاب صاغرة   يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عن قتله ، وقال : لعله من أقارب أمير المؤمنين

وقال الثاني :

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره   وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره   فمنهم قيامٌ حولها وقعود

فأمسك عن قتله ، وقال : لعله من أشراف العرب

وقال الثالث :

(١) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، قائد أموي ، داهية ، سفاك ، خطيب . ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته ، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره .

أنا ابـــن الذي خاض الصفوف بعزمه   وقومها بالسيف حتى استقامت
ركابـــاه لا تنفــك رجلاه منهمــا   إذا الخيل في يوم الكريهة ولــت

فأمسك عن قتله ، وقال : لعله من شجعان العرب

فلما أصبح رفع أمرهم إلى الحجاج ، فأحضرهم وكشف عن حالهم

فإذا الأول ابن حجام ، والثاني ابن فوال ، والثالث ابن حائك .

فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه : علموا أولادكم الأدب ، فوالله لولا الفصاحة لضربت أعناقهم

ثم أطلقهم الحجاج وأنشد يقول :

كن ابن من شئت واكتســب أدبــاً   يغنيــك محمـــوده عن النســب
إن الفتـــى مـــن يقول : هــا أنـــا ذا   ليس الفتى من يقول : كـان أبـــي

فطنة أشعب

جلس أشعب وهو صبي مع قوم يأكلون فبكى ، فسألوه : لماذا تبكي؟

فقال : الطعام ساخن . فقالوا : دعه حتى يبرد . فقال : لكنكم لن تدعوه .

صغير نبيه

قال بعضهم لولد صغير نبيه : وددتُ أن لي ابنًا مثلك . فقال الولد : هذا بيدك ، قال الرجل : كيف ذلكً؟ قال : احمل أبي على امرأتك تلِدُ لك ابنًا مثلي!! .

كيف صرف القطعة الرديئة؟

كان لرجل غلام ، فأعطاه قطعاً ليشتري بها شيئاً ، وكان فيها قطعة رديئة ، فقال له : يا سيدي هذه ما يأخذها الرجل ، فقال : اجتهد أن تصرفها كيف اتفق ، فلما اشترى وجاء قال : وقد صرفتها ، قال : كيف فعلت؟ قال : تركته يزن الذهب وتغفلته فرميتها في ميزانه .

ابكوه حياً وميتاً

ضاع لأعرابي ولد ، فجاؤوا بالنوائح ولطموا عليه ، وبقوا على ذلك أياماً ، فصعد أبوه يوماً الغرفة فرآه جالساً في زاوية من زواياها ، فقال : يا بني أنت بالحياة ، أما ترى

ما نحن فيه! قال : قد علمت ، ولكن ها هنا بيض قد قعدت مثل القرقة عليه ، ما يمكنني أن أبرح ، أريد فريخات ، أنا أحبهم . فاطلع أبوه إلى أهله فقال : قد وجدت ابني حياً ولكن لا تقطعوا اللطم عليه ، ألطموا كما كنتم .

مغفل وابنه

كان أعرابي يأكل مع ابنه رأساً ، فقال الابن : يا أبت إن خرج عليك الكعب فأعطني إياه لألعب به ، فقال أبوه : سخنت عينك هو سمك مشوي حتى يكون فيه كعب!

أجابه بما يستحق

قال أعرابي لابنه : اسكت يا ابن الأمه!

فقال : والله إنها لأعذر منك ، لأنها لم ترض إلا حرًا .

عيادة المريض

مرض صديق لأعرابي فأراد أن ينفذ ابنه إليه ليعوده فأوصاه وقال : يا بني إذا دخلت فاجلس في أرفع المواضع ، وقل للمريض : ما تشكو؟ فإذا قال : كذا وكذا ، فقل له : سليم إن شاء الله ، وقل : من يجيئك من الأطباء ، فإذا قال : فلان فقل : ميمون ، وقل : ما غداؤك؟ فإذا قال : كذا وكذا فقل : طعام محمود . فذهب . فدخل على العليل وكان بين يده منارة ، فجلس عليها لارتفاعها فوقعت على صدر العليل فأوجعته ، ثم قال للمريض : ما تشكو؟ فقال : أشكو علة الموت ، فقال : سليم إن شاء الله ، فمن يجيئك من الأطباء؟ قال : ملك الموت ، قال : مبارك ميمون ، فما غداؤك؟ قال : سم الموت ، قال : طعام طيب محمود .

يتعلم الحساب

أسلم أعرابي ولده إلى الكتاب ، فلما كان بعد حين قال له والده : تعلمت شيئاً من الحساب؟ قال : نعم ، قال : فخذ خمسين وخمسين كم تعد؟ قال : أربعين ، قال : يا مشؤوم ، ثلاث خمسينات ما يحصل معك منها خمسين؟ ثم حبسه عن الكتاب وقال : لا أفلحت .

بلاهة صبي

كان لبعض التجار المياسير ابن أبله ، فقضي أن صار الأب إلى حانوته يوماً فوجد اللصوص قد أخذوا صندوقاً له كان فيه صامت كثير وأسباب جميلة ، فجلس الرجل والناس يعزونه ويدعون له بالخلف ، فبينما هم كذلك إذ أقبل ابنه ، فلما قرب من حانوت أبيه ورأى الناس سأل عن الخبر ، فقالوا : دخل اللصوص حانوت أبيك وأخذوا الصندوق الذي كان فيه ما كان ، فضحك وقهقه وقال : لابأس ما فاتنا شيء ، فظن الناس أنه خبأه أو يعرف خبره ، فأسرعوا إلى أبيه فبشروه بأن ابنه قال كذا ، فقال له أبوه : ما الخبر وأي شيء عندك في هذا الأمر؟ قال : مفتاح الصندوق عندي فلا يقدرون أن يفتحوه ، فقال أبوه : عجبت والله أن يكون عندك فرح .

أحمق من ابنه

قال بعضهم : دخلت على أعرابي في منزله ، فإذا ابنه يصايحه في شيء وقد ارتفعت أصواتهما ، فقلت ما هذا؟ فقال : هذا يزعم أن علي بن أبي طالب هاشمي فقلت أنا : بل علوي ، فاحكم بيننا . فقلت أنا : هو علوي ، ألا ترى إلى اسمه علي ، فقال لي : ابصق في وجهه؟ فقلت : كلاكما يستحق ذلك .

خشية قتل ابنه الميت

مات ولد لأعرابي فقيل له : ادع فلاناً يغسله ، فقال : لا أريد ، لأن بيني وبينه عداوة فيعنف بابني في الغسل حتى يقتله .

كلاهما في العلم سواء

جاء رجل إلى أحد القضاة يشكو ابنه الذي يعاقر الخمر ولا يصلي ، فأنكر الابن ذلك!

فقال الرجل : أصلح الله القاضي ، أتكون صلاة بلا قراءة؟

قال القاضي : يا غلام ، تقرأ شيئاً من القرءان؟

قال : نعم وأجيد القراءة . . قال : فاقرأ .

قال : بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب ربابا بعد ما شابت وشابا إن دين الله حق لا أرى فيه ارتيابا

فصاح أبوه : والله أيها القاضي ما تعلم هاتين الآيتين إلا البارحة ، لأنه سرق مصحفاً من بعض جيراننا!

أيهم لا يرث؟

رجل صالح من الأعراب كان عنده ثلاثة من الأبناء
وكان اسمهم جميعا عبد الله
وهو على فراش الموت يقول لأولاده الثلاثة :
عبد الله يرث
وعبد الله لا يرث
وعبد الله يرث
ثم يلفظ أنفاسه الأخيرة
فاحتار الأبناء الثلاثة . . . . كيف يصنعون؟ . . . . ومن منهم الذي لا يرث ؟!
فقالوا نذهب إلى قاضى المدينة
فذهبوا إلى القاضي . . . وفى طريقهم قابلهم أعرابي . . . كان قد فقد بعيره . . .
فسألهم إن كانوا قد رأوا البعير
فقالوا : لم نر بعيرك
فانصرف عنهم . . .
ثم سأله أحدهم : هل كان جملك أعور؟
قال الأعرابي : نعم
أعور؟
قال الأعرابي : نعم
فانفرجت أسارير الأعرابي واستبشر وظن أنهم قد رأوا جمله
فقال الآخر : هل كان جملك أبتر؟ أي مقطوع الذيل
فقال الأعرابي : نعم
وازداد فرحه وسروره وتأكد أنهم قد رأوه
فقال الثالث : هل كان جملك أزور[١]؟ أو فيه عرج

(١) أي أن لحمه في ناحية أكثر من الأخرى .

فقال الأعرابي : نعم
فقالوا جميعا . . . . . لم نر جملك
فظن الرجل أنهم رأوه ويخدعونه فقال لهم والله لن أترككم إلا عند القاضي
فقالوا له على رسلك . . . . . إنا ذاهبون إليه
فانطلقوا جميعا إلى القاضي
وعندما أتوه . . . . قصوا عليه الخبر
فسألهم هل رأيتم بعير الأعرابي؟
فقالوا لا
فسألهم عن المواصفات التي أدلو بها لصاحب البعير
فسأل من قال أن البعير أعور :
فقال : إني رأيت العشب مأكول من ناحية واحدة فعلمت أن الجمل أعور
فلو رأى العشب من الناحية الأخرى لأكله
فسأل من قال انه أبتر :
فقال : البعير ينثر البعر في العادة لوجود الذيل أما هذا فرأيته جعلها أكواما أكواما
فسأل من قال بأنه أزور :
فقال : أيها القاضي رأيت خطواته أحدها يغوص فى الأرض ويترك أثرا عميقا
والأخرى لا تترك أثرا خفيفا فعلمت أنه أزور (به عرج)
فقال القاضي للأعرابي : اذهب يا رجل جملك ليس عندهم
أما أنتم فما خبركم؟
فقصوا عليه خبرهم وما قاله أبوهم في ميراثهم
أبوهم في ميراثهم
فقال القاضي : تبيتون عندي الليلة وفى الصباح أحكم بينكم
فأدخلهم غرفة الأضياف وأمر لهم بطعام
فما أن دخلوا حتى قال أحدهم :
احذروا إن هذا القاضي قد وضع لكم عينا تراقبكم
وعندما قدم لهم الطعام
قال أحدهم : لا تأكلوا . . . (والله إن هذا اللحم لحم كلاب)
وقال الثاني : إن التي خبزت هذا الخبز . . . (حامل في شهرها التاسع)

والثالث قال : فقال والله إن هذا القاضي (ابن حرام)

فنقل من بالباب حديثهم إلى القاضي

فلما جاء الصباح وجلس القاضي في مجلس القضاء

سألهم عما قالوه

فسأل من قال أن اللحم لحم كلاب

فقال : أيها القاضي إن هذا اللحم وجدنا فيه العظم ثم الشحم ثم اللحم . . . . وهذا يكون في الفصيلة الكلبية . . . . . أما لحوم الإبل والغنم وما نأكل من النعم يكون فيها العظم ثم اللحم ثم الشحم . . . .

فسأل القاضي من قام بالطبخ . . . .

فقال : سيدى لقد تأخر الراعي وقد أمرت بتقديم الطعام للأضياف فماو جدت غير كلب فذبحته لهم وقلت إنهم أعراب لا يعلمون شيئا .

فقال هذه واحدة

فسأل من قال أن التي خبزت الخبز حامل في الشهر التاسع

فقال له أيها القاضي : إني رأيت الرغيف منتفخ من ناحية . . . . ومصفد من ناحية أخرى

فعلمت أن من خبزته حامل في الشهر التاسع . . . فلم تستطع أن تمد يدها لتقلب الرغيف من كبر بطنها

فسأل القاضي عمن خبزت . . . . . فقالوا له إنها فلانة . . . وهي حامل في الشهر التاسع

فسأل الثالث . . . من قال بأن القاضي ابن حرام

فقال أيها القاضي : قلت إن رجل يضع على أضيافه عين تراقبهم . . . . ويقدم لهم لحم كلاب . . . . . والله إنه لابن حرام

فأراد القاضي ان يتأكد من هذه هي الأخرى . . . . فسأل أمه عن نسبه وعن أبوه . . . . فقالت إنه ليس أبوك . . . . وقد صدق

وعندها نطق القاضي بالحكم

فقال أما من قال أنه لحم كلاب . . . . . فإنه يرث

ومن قال بأن التي خبزت الخبز حامل . . . فإنه يرث

أما أنت يا من قلت أنى ابن حرام . . . . . . فإنك لا ترث . . . .

لأنه لا يعرف ابن الحرام . . . . إلا ابن حرام مثله .
فأراد الأخوة الثلاثة أن يتأكدوا من صدق كلام القاضي
فرجعوا إلى أمهم فسألوها عن أخيهم ، فقالت صدق والله ، فإن أباكم قد وجده على باب مسجد فأتى به ورباه معكم .

لقمان والدؤلي

قال المدائني : كان لأبي الأسود الدؤلي[١] دكان إلى صدر الرجل يجلس فيه وحده ، ويضع بين يديه مائدة ويدعو إليها كل من يمر به ، وليس لأحد أن يجلس ؛ فينصرفون عنه .

وكان أبخل الناس ، فمر به صبي من الأنصار ؛ فقال له أبو الأسود : هلم إلى الغداء يا فتى ؛ فأتى إليه ، فلم ير موضعاً يجلس فيه ، فتناول المائدة فوضعها في الأرض ثم قال : يا أبا الأسود ، إن كان لك في الغداء حاجة فانزل ؛ وأقبل الفتى يأكل حتى أتى على جميع ما في المائدة ، وسقطت آخر الطعام من يده لقمة على الأرض فأخذها وقال : لا أدعها للشيطان .

فقال أبو الأسود : والله ما تدعها للملائكة المقربين ، فكيف تدعها للشياطين! ثم قال له : ما اسمك؟ قال : لقمان . فقال أبو الأسود : أهلك كانوا أعلم زمانهم إذ سموك بهذا الاسم ، ولم يعد بعد إلى ما كان يصنع .

الصبي والحجاج

خرج الحجاج بن يوسف ذات يوم للصيّد فرأى تسعة كلاب إلى جانب صبي صغير السن عمره نحو عشر سنوات وله ذوائب .

فقال له الحجاج : ماذا تفعل هنا أيها الغلام؟

فرفع الصبي طرفه إليه وقال له : يا حامل الأخبار لقد نظرت إليّ بعين الاحتقار وكلمتني بالافتخار وكلامك كلام جبار وعقلك عقل حمار!

---

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني ، من سادات التابعين وأعيانهُم وفقهائهُم وشعرائهُم ومحدثيهُم ومن الدهاة حاضرِي الجواب وهو كذلك نحوي عالِم وضع علم النحو في اللغة العربية وشكّل أحرف المصحف ، وضع النقاط على الأحرف العربية .

فقال الحجاج له : أما عرفتني؟

فقال الغلام : عرفتك بسواد وجهك لأنك أتيت بالكلام قبل السلام .

فقال الحجاج ويلك أنا الحجاج بن يوسف .

فقال الغلام : لا قرب الله دارك ولا مزارك فما أكثر كلامك وأقل إكرامك .

فما أتم كلامه إلا والجيوش حلّقت عليه من كل جانب وكل واحد يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين

فقال الحجاج : احفظوا هذا الغلام فقد أوجعني بالكلام فأخذوا الغلام فرجع الحجاج إلى قصره فجلس في مجلسه والناس حوله جالسون ومن هيبته مطرقون وهو بينهم كالأسد ثم طلب إحضار الغلام فلما مثل بين يديه ، ورأى الوزراء وأهل الدولة لم يخشى منهم . . . .

بل قال : السلام عليكم فلم يرد الحجاج السلام فرفع الغلام رأسه وأدار نظره فرأى بناء القصر عالياً ومزين بالنقوش وهو في غاية الإبداع والإتقان .

فقال الغلام : أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين . .

فاستوى الحجاج جالساً وكان متكئاً

فقالوا للغلام : يا قليل الأدب لماذا لم تسلم على أمير المؤمنين السلام اللائق ولماذا لم تتأدب في حضرته؟

فقال الغلام : يا براغيث الحمير منعني عن ذلك التعب في الطريق وطلوع الدرج .

أما السلام فعلى أمير المؤمنين وأصحابه ، يعني السلام على عليّ بن أبى طالب وأصحابه .

فقال الحجاج : يا غلام لقد حضرت في يوم تم فيه أجلك وخاب فيه أملك .

فقال الغلام : والله يا حجاج أن كان في أجلي تأخير لم يضرني من كلامك لا قليل ولا كثير .

فقال بعض الغلمان : لقد بلغت من جهلك يا خبيث أن تخاطب أمير المؤمنين كما تخاطب غلاماً مثلك .

يا قليل الآداب انظر من تخاطب وأجبه بأدب واحترام فهو أمير العراق والشام .

فقال الغلام : أما سمعتم قوله تعالى ﴿كل نفس تجادل عن نفسها﴾ .

فقال الحجاج : فمن عنيت بكلامك أيها الغلام؟

قال : عنيت به على بن أبى طالب وأصحابه وأنت يا حجاج على من تسلم؟

فقال الحجاج : على عبد الملك بن مروان .

فقال الغلام : عبد الملك الفاجر عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال الحجاج : ولم ذلك يا غلام؟

فقال : لأنه أخطأ خطيئةً عظيمة مات بسببها خلق كثير . .

فقال بعض الجلساء اقتله يا أمير المؤمنين فقد خالف الطاعة وفارق الجماعة وشتم عبد الملك بن مروان .

فقال الغلام : يا حجاج أصلح جلسائك فإنهم جاهلون فأشار الحجاج لجلسائه بالصمت .

ثم سأله الحجاج : هل تعرف أخي؟

فقال الغلام : أخوك فرعون حين جاءه موسى وهارون ليخلعوه عن عرشه فاستشار جلسائه .

فقال الحجاج : اضربوا عنقه .

فقال له الرقاشي(١) : هبني إياه يا أمير المؤمنين أصلح الله شأنك .

فقال الحجاج : هو لك لا بارك الله فيه .

فقال الغلام : لا شكر للواهب ولا للمستوهب .

فقال الرقاشي : أنا أريد خلاصك من الموت فتخاطبني بهذا الكلام .

ثم التفت الرقاشي إلى الحجاج وقال له : افعل ما تريد يا أمير المؤمنين .

فقال الحجاج للغلام : من أي بلد أنت؟

فقال للغلام : من مصر .

فقال له الحجاج : من مدينة الفاسقين .

---

(١) يزيد بن أبان الرقاشي اسمه يزيد بن أبان الرقاشى ، أبو عمرو البصري ، القاص (من زهاد أهل البصرة ، وهو عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى) كنيته أبو عمرو وقيل : الرقاشى البصري يعتبر يزيد بن أبان الرقاشي من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ضعيف زاهد ،وعند الإمام شمس الدين الذهبي ضعيف .

فقال الغلام : ولماذا أسميتها مدينة الفاسقين؟

قال الحجاج : لأن شرابها من ذهب ونسائها لعب ونيلها عجب وأهلها لا عجم ولا عرب .

فقال الغلام : لستُ منهم .

فقال الحجاج : من أي بلد إذن؟

قال الغلام : أنا من أهل خرسان .

فقال الحجاج : من شر مكان وأقل الأديان .

فقال الغلام : ولم ذلك يا حجاج؟

فقال : لأنهم عجم أعجام مثل البهائم والأغنام كلامهم ثقيل وغنيهم بخيل .

فقال الغلام : لستُ منهم .

فقال الحجاج : من أين أنت؟

قال : أنا من مدينة الشام .

قال الحجاج : أنت من أحسن البلدان وأغضب مكان وأغلظ أبدان .

قال الغلام : لستُ منهم .

قال الحجاج : فمن أين إذن؟

قال الغلام : من اليمن .

فقال الحجاج : أنت من بلد غير مشكور .

قال الغلام : ولم ذلك؟

قال الحجاج : لأن صوتهم مليح وعاقلهم يستعمل الزمر وجاهلهم يشرب الخمر .

قال الغلام : أنا لستُ منهم .

قال الحجاج : فمن أين إذن؟

قال الغلام : أنا من أهل مكة .

فقال الحجاج : أنت إذن من أهل اللؤم والجهل وقلة العقل .

فقال الغلام : ولم ذلك؟

قال : لأنهم قوم بعث فيهم نبي كريم فكذبوه وطردوه وخرج من بينهم إلى قوم أحبوه وأكرموه .

فقال الغلام : أنا لستُ منهم .

فقال الحجاج : لقد كثرت جواباتك علي وقلبي يحدثني بقتلك .

فقال الغلام : لو كان أجلي بيدك لما عبدت سواك ولكن اعلم يا حجاج أني أنا من أهل طيبة مدينة رسول الله ﷺ .

فقال الحجاج : نعمت المدينة أهلها أهل الإيمان والإحسان فمن أي قبيلة أنت؟

فقال الغلام : من ثلى بنى غالب من سلالة علي بن أبى طالب عليه السلام وكل نسب وحسب ينقطع إلا حسبنا ونسبنا فإنه لا ينقطع إلى يوم القيامة . .

فاغتاظ الحجاج غيظاً شديداً وأمر بقتله .

فقال له كل من حضر من الوزراء : ولكنه لا يستحق القتل وهو دون سن البلوغ أيها الأمير .

فقال الحجاج : لا بد من قتله ولو يناد منادى من السماء .

فقال الغلام : ما أنت بنبي حتى يناديك مُنادٍ من السماء .

فقال الحجاج : ومن يحول بيني وبين قتلك .

فقال الغلام : يحول بينك وبين قتلي ما يحول بين المرء وقلبه .

فقال الحجاج : وهو الذي يعينني على قتلك .

فقال الغلام : كلا إنما يعينك على قتلي شيطانك وأعوذ بالله منك ومنه .

فقال الحجاج : أراك تجاوبني على كل سؤال فأخبرني ما يقرب العبد من ربه؟

فقال الغلام : الصوم والصلاة والزكاة والحج .

فقال الحجاج : أنا أتقرب إلى الله بدمك لأنك قلت أنك من أولاد الحسن والحسين .

فقال الغلام : من غير خوف ولا جزع أنا من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآلهِ وسلم إن كان أجلي بيدك! فقد حضر شيطانك يعينك على فساد آخرتك .

فأجابه الحجاج : أتقول أنك من أولاد الرسول وتكره الموت؟

قال الغلام : قال الله تعالى ﴿ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة ﴾

قال الحجاج : ابن من أنت؟

قال الغلام : أنا ابن أبي وأمي .

فسأله الحجاج : من أين جئت؟

قال الغلام : على رحب الأرض .

فقال الحجاج : أخبرني من أكرم العرب؟

فأجاب الغلام : بنو طي .

فسأله الحجاج : ولم ذلك؟

فقال الغلام : لأن حاتم الأصم[١] منهم .

فقال الحجاج : فمن أشرف العرب؟

قال الغلام : بنو مضر .

فقال الحجاج : ولم ذلك؟

فقال الغلام : لأن محمد ﷺ منهم .

فقال الحجاج : فمن أشجع العرب؟

فقال الغلام : بنو هاشم لأن علي بن أبي طالب[٢] منهم .

فقال الحجاج : فمن أنجس العرب وأبخلهم وأقلها خيراً؟

فقال الغلام : بنو ثقيف لأنك أنت منهم وفي الحديث الشريف يظهر من بنو ثقيف نمرود وكذاب

فالكذاب مسيلمة والنمرود أنت فأغتاظ الحجاج غيظاً شديداً وأمر بقتله فشفع به الحاضرون فشفعهم فيه وسكن غضبه قليلاً .

وقال الحجاج : أين تركت الإبل ذات القرون؟

فقال الغلام : تركتها ترعى أوراق الصوّان .

فصاح الحجاج به قائلاً : يا قليل العقل ويا بعيد الذهن هل للصوان ورق؟

فقال الغلام : وهل للإبل قرون؟

فقال الحجاج : هل حفظت القرآن؟

فقال الغلام : هل القرآن هارب منى حتى أحفظه .

فسأله الحجاج : هل جمعت القرآن؟

فقال الغلام : وهل هو متفرق حتى أجمعه؟

---

(١) أبو عبد الرحمن حاتِم بن عنوان الأَصَمْ ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام أهل السنة والجماعة في القرن الثالث الهجري ، وهو من قدماء مشايخ خراسان من أهل بلخ ، صحب شقيق البلخي وكان أستاذ أحمد بن خضرويه . كما زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل .

(٢) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القُرشي ابن عم محمد بن عبد الله نبي الإسلام وصهره ، من آل بيته ، وكافله حين توفي والديه وجده ، وأحد أصحابه ، هو رابع الخلفاء الراشدين عند السنة وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأوّل الأئمّة عند الشيعة .

فقال له الحجاج : أما فهمت سؤالي .

فأجابه الغلام : ينبغي لك أن تقول هل قرأت القرآن وفهمت ما فيه .

فقال الحجاج : فأخبرني عن آية في القرآن أعظم؟ وآية أحكم؟

وآية أعدل؟ وآية أخوف؟ وآية أرجى؟ وآية فيها عشر آيات بينات؟ وآية كذب فيها أولاد الأنبياء؟

وآية صدق فيها اليهود والنصارى؟ وآية قالها الله تعالى لنفسه؟ وآية فيها قول الملائكة؟

وآية فيها قول أهل الجنة؟ وآية فيها قول أهل النار؟ وآية فيها قول إبليس ؟؟؟

فقال الغلام : أما أعظم آية فهي آية الكرسي .

وأحكم آية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾

وأعدل آية ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ .

وأخوف آية ﴿أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ .

وأرجى آية ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعها﴾ .

وآية فيها عشر آيات بينات هي ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ .

وأما الآية التي كذب فيها أولاد الأنبياء فهي ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ وهم إخوة يوسف كذبوا ودخلوا الجنة .

وأما الآية التي صدق فيها اليهود والنصارى فهي ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ فصدقوا ودخلوا النار .

والآية التي قالها الله تعالى لنفسه هي ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ .

وآية فيها قول الأنبياء ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فل يتوكل المؤمنون﴾ .

وآية فيها قول الملائكة ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ .

وآية فيها قول أهل الجنة ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ .

وآية فيها قول أهل النار ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ .

وآية فيها قول إبليس ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ .

فقال الحجاج : أخبرني عمّن خُلِقَ من الهواء؟ ومن حُفِظَ بالهواء؟ ومن هَلِكَ بالهواء؟

فقال الغلام : الذي خُلِقَ من الهواء سيدنا عيسى عليه السلام ؛ والذي حُفِظَ بالهواء سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام ؛ وأما الذي هَلَكَ بالهواء فهم قوم هود .

فقال الحجاج : فأخبرني عمن خُلِقَ من الخشب؟ والذي حُفظ بالخشب؟ والذي هلك بالخشب؟

فقال الغلام : الذي خُلِقَ من الخشب هي الحية خُلِقت من عصا موسى عليه السلام ؛ والذي حفظ بالخشب نوح عليه السلام ؛ والذي هلك بالخشب زكريا عليه السلام .

فقال الحجاج : فأخبرني عمن خُلق من الماء؟ ومن نجا من الماء؟ ومن هلك بالماء؟

فقال الغلام : الذي خُلق من الماء فهو أبونا آدم عليه السلام ؛ والذي نجا من الماء موسى عليه السلام ؛ والذي هلك بالماء فرعون .

فقال الحجاج : فأخبرني عمن خُلق من النار؟ ومن حُفظ من النار؟

فقال الغلام : الذي خُلق من النار إبليس ؛ والذي نجا من النار إبراهيم عليه السلام .

فقال الحجاج : فأخبرني عن أنهار الجنة وعددها؟

فقال الغلام : أنهار الجنة كثيرة لا يعلم عددها إلا الله تعالى كما قال في كتابه العزيز ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾ .

وكلها تجري في محل واحد لا يختلط بعضها ببعض ويوجد نظيره في الدنيا وهو في رأس بنى آدم طعم عينه مالح وطعم أذنه مر وطعم فمه عذب .

فقال الحجاج : إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون فهل يوجد مثلهم في الدنيا؟

فقال الغلام : الجنين في بطن أمه يأكل ويشرب ولا يتغوط .

فقال الحجاج : فما أول قطرة من دم؟

فقال الغلام : هي حيض حواء .

فقال الحجاج : فأخبرني عن العقل؟ والإيمان؟ والحياء؟ والسخاء؟ والشجاعة؟ والكرم؟ والشهوة؟

فقال الغلام : إن الله قسم العقل عشرة أقسام جعل تسعة في الرجال وواحداً في النساء ، والإيمان عشرة تسعة في اليمن وواحداً في بقية الدنيا ؛ والحياء عشرة تسعة في النساء وواحداً في الرجال ؛ والسخاء عشرة تسعة في الرجال وواحداً في النساء ؛ والشجاعة والكرم عشرة تسعة في العرب وواحداً في بقية العالم ، والشهوة عشرة أقسام تسعة في النساء وواحداً في الرجال .

فقال الحجاج : فأخبرني ما يجب على المسلم في السنة مرة؟

فقال الغلام : صيام رمضان .

فقال الحجاج : وما يجب في العمر مرة؟

فقال الغلام : الحج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا .

فقال الحجاج : فأخبرني عن أقرب شيء إليك؟

فقال الغلام : الآخرة .

ثم قال الحجاج : سبحان الله يأتي الحكمة من يشاء من عباده ما رأيت صبياً أتاه الله العلم والعقل والذكاء مثل هذا الغلام .

فقال الغلام : أنا أهل لذلك .

فقال الحجاج : فمن أحق الناس بالخلافة؟

فقال الغلام : الذي يعفو ويصفح ويعدل بين الناس .

فقال الحجاج : فأخبرني عن النساء؟

فقال الغلام : أتسألني عن النساء وأنا صغير لم أطّلع بعد على أحوالهن ورغائبهن ومعاشرتهن ، ولكني سأذكر لك المشهور من أمورهن ؛ فبنت العشر سنين من الحور العين ؛ وبنت العشرين نزهة للناظرين ؛ وبنت الثلاثين جنة نعيم ؛ وبنت الأربعين شحم ولين ؛ وبنت الخمسين بنات وبنين ؛ وبنت الستين ما بها فائدة للسائلين ؛ وبنت السبعين عجوز في الغابرين ؛ ؛ وبنت التسعين شيطان رجيم ؛ وبنت المائة من أصحاب الجحيم .

فضحك الحجاج وقال : أي النساء أحسن؟

فقال الغلام : ذات الدلال الكامل والجمال الوافر والنطق الفصيح التي يهتز نهدها ويرتاح ردفها .

فقال له الحجاج : أخبرني عن أول من نطق في الشعر؟
فقال الغلام : سيّدنا آدم عليه السلام وذلك لما قتل قابيل أخاه هابيل .

أنشد آدم يقول :

بكــت عينـــي وحــق لـــها بكاها   ودمــع العـــين منهمـــل يسيـــح
فمـــا لي لا أجــود بسكــب دمــع   وهابيـــــل تضمّنـــــه الضريـــح
رمـــى قابيــــل هابيــــلاً أخـــاه   والحـــد في الثرى الوجه الصبيـــح
تغيـــرت البـــلاد ومـــــن عليهـــا   فوجـــه الأرض مغبــــر كشيـــح
تبـــدل كـــل ذي طعــــم ولــــون   لفقـــدك يا صبيـــح يـــا مليـــح
أيـــا هابيـــل إن تقتـــــل فإنـــــي   عليـــك الـــدهر مكتئـــب قريـــح
فأنت حياة من فـــي الأرض جميعـــاً   وقـــد فقـــدوك يـــا روح وريـــح
وأنـــت رجيـــح قـــدر يـــا فصيـــح   سليـــم بـــل سميـــح بل صبيح
ولســـت ميـــت بـــل أنـــت حـــي   وقابيـــل الشقـــي هـــو الطريـــح
عليـــه السخط مـــــن رب البرايـــا   وأنـــت عليـــك تسليـــم صريـــح

فأجابه إبليس يقول :

تنـوح علـــى الـــبلاد ومـــن عليهـــا   وفـــي الفـــردوس قـــد ضـــاق بك الفسيح
وكنـــت بهـــا وزوجـــك فـــي نعيم   مـــن المولـــى وقلبـــك مستريـــح
خدعتـــك فـــي دهائي ثم مكـــري   إلـــى أن فاتـــك العيـــش الرشيح

فقال الحجاج : أخبرني يا غلام عن أجود بيت قالته العرب في الكرم؟
فقال الغلام : هو بيت حاتم طي .
حيث يقول :

وأكـــرم الضيـــف حتما حـــين يطرقني   قبـــل العيـــال على عسرٍ وإيســـارِ

فقال الحجاج : أحسنت يا غلام وأجملت وقد غمرتنا ببحر علمك فوجب علينا إكرامك ثم أمر له بألف دينار وكسوة حسنة وجارية وسيف وفرس .
وقال الحجاج في نفسه : إن أخذ الفرس نجا . . وإن أخذ غيرها قتلته . .
فلما قدمها له قال الحجاج : خذ ما تريد يا غلام . .
فغمزته الجارية . وقالت : خذني أنا خير من الجميع فضحك الغلام وقال ليس

لي بك حاجة وأنشد يقول :

وقــرقعـــــت اللجان بـــرأس حــمــراً　　أحـــــب إلىّ مــمـــا تــغــمـزيني
أخـاف إذا وقعــتِ عـــلى فراشـــي　　وطالـــت علتـــي لا تصحبينـــي
أخـــاف إذا وقــعــنا فــي مضــيــق　　وجـــار الدهر بـــي لا تنصرينـــي
أخـــاف إذا فـقــدتِ المـال عـندي　　تــمـيلـــي للخصـام وتهجرينـــي

فأجابته الجارية تقول :

معـــاذ الله أفـــعـــل مـــا تـــقــول　　ولـــو قُطِعت شمالـي مع يمينـي
وأكتـــم سر زوجـي فـــي ضميـري　　وأقـــنـــع باليســـير وما يـجينـي
إذا عاشـــرتني وعرفت طـــبعـــي　　ستـعـلم أنـــنـــي خـير القريـن

فقال الحجاج : ويلك ألا تستحين تغمزينه وتجاوبينه بالشعر .

فقال الغلام : إن كنت تخيرني فإنني أختار الفرس أما إن كنت ابن حلال فتعطيني الجميع .

فقال الحجاج : خذهم لا بارك الله لك فيهم .

فقال الغلام : قبلتهم لا أخلف الله عليك غيرهم ولا جمعني بك مرة أخرى .

ثم قال الغلام : من أين أخرج يا حجاج؟

فأجابه الحجاج : أخرج من ذاك الباب فهو باب السلام .

فقال الجلساء للحجاج : هذا جلف من أجلاف العرب أتى إليك وسبَّكَ وأخذ مالك فتدله على باب السلام! ولم تدله على بابِ النقمة والعذاب؟

فقال الحجاج : إنه استشارني والمستشار مؤتَمن . . .

وخرج الغلام من بين يدي الحجاج سالماً غانماً بفضل ذكائه وفهمه ومعرفته وحسن اطلاعه .

ابن أمير المؤمنين

دخل المسلمون في يوم العيد ليهنئوا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . . فلما انصرف الرجال ودخل الغلمان ، كان من بينهم ابن عمر بن عبد العزيز وهو يلبس ثيابا رثه (قديمة) وأبناء الرعية يلبسون الثياب الجديدة الجميلة ،

فبكى أمير المؤمنين . فتقدم إليه ابنه ، فقال له : يا أبتاه ما الذي طأطأ برأسك وأبكاك ؟؟

قال : لا شيء يا بني سوى أني خشيت أن ينكسر قلبك وأنت بين أبناء الرعية بتلك الثياب البالية القديمة وهم يلبسون الثياب الجديدة .

قال الغلام لأبيه : يا أبتاه . إنما ينكسر قلب من عرف الله فعصاه ، وعق أمه وأباه ، أما أنا فلا والله

عرار وزوجة أبيه

كانت لعمرو بن شأس(١) امرأة من رهطه ، يُقَال لها أم حسان بنت الحارث ، وكان له ابن يُقَال له عرار من أمة له سوداء ، فكانت تعيره به وتؤذي عراراً ويؤذيها وتشتمه ويشتمها ، فلما أعيت عمراً بالأذى والمكروه فِي ابنه قَالَ الكلمة التي فيها هذه الأبيات قَالَ : وقَالَ ابن الأعرابي : قالها فِي الإسلام وهو شيخ كبير .

ألم يأتها أني صحوت وأنّني ... تحلّمت حتى ما أعارم من عرم
وأطرقت إطراق الشجاع ولو رأى ... مساغاً لنابيه الشجاع لقد أزم
فإن عراراً إن يكن غير واضح ... فإني أحب الجون ذا المنكب العمم
وإن عرار إن يكن ذا شكيمة ... تقاسينها منه فما أملك الشيم
أردت عرارا بالهوان ومن يرد ... عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم
فإن كنت مني أو تريدين صحبتي ... فكوني له كالسمن ربّ له الأدم
وإلا فسيري مثل ما سار راكبٌ ... تيممّ خمساً ليس فِي سيره يتم

غلام جسور

عن سنان بن سلمة -وكان أميرا على البحرين- قال :

كنا أغيلمة بالمدينة في أصول النخل نلتقط البلح الذي يسمونه الخلال ، فخرج إلينا عمر بن الخطاب ، فتفرّق الغلمان وثبت مكاني ، فلما غشيني قلت :

يا أمير المؤمنين ، إنما هذا ما ألقت الريح .

قال : أرني أنظر ، فإنه لا يخفى عليّ .

فنظر في حجري ، فقال : صدقت .

---

(١) عمرو بن شأس الأسدي عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي ، أبو عِرار . شاعر جاهلي مخضرم ، أدرك الإسلام وأسلم ، عدّه الجمحي في الطبقة العاشرة من فحول الجاهلية .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ترى هؤلاء الغلمان ، والله لئن انطلقت لأغاروا عليّ ، فانتزعوا ما في يدي .

قال : فمشى معي حتى بلّغني مأمني .

الاعتضاد بالولد

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن عبده زكريا(١) ودعائه إليه في الولد : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ﴾ .

وقال : ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ(٢) مِنْ وَرائِي وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ .

وقال الشاعر :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته   إنّ الذليل الذي ليست له عضد
تنبو يداه إذا ما قلّ ناصره   ويأنف الضّيم إن أثرى له عدد

العتبي قال : لما أسنّ أبو براء عامر بن مالك(٣) وضعّفه بنو أخيه وخرّفوه ولم يكن له ولد يحميه ، أنشأ يقول :

دفعتكم عنّي وما دفع راحة   بشيء إذا لم تستعن بالأنامل
يضعّفني حلمي وكثرة جهلكم   عليّ وأنّي لا أصول بجاهل

(١) زكريا : هو نبي في الإسلام واليهودية والمسيحية ، وهو أبو النبي يحيى . زكريا أو زكرياء اسم علم أعجمي عبري يعني «ذكره الله» أو «مذكور الله» .

(٢) بنو العم .

(٣) أبو براء العامري ويلقب بملاعب الأسنة سيد بني عامر بن صعصعة وأحد فرسانهم عند ظهور الإسلام . هو عم عامر بن الطفيل والشاعر لبيد بن ربيعة العامريان . يُضرب به المثل في الشجاعة ، وكان إذا ركب فرسه وصل إبهاما قدميه إلى الأرض لطوله .

خطبة النكاح

خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان[١] إلى عتبة بن أبي سفيان[٢] ابنته ، فأقعده على فخذه ، وكان حدثا ، فقال :

أقرب قريب ، خطب أحبّ حبيب ، لا أستطيع له ردّا ، ولا أجد من إسعافه بدّا ؛ وقد زوّجتكها وأنت أعز عليّ منها ، وهي ألصق بقلبي منك ؛ فأكرمها يعذب على لساني ذكرك ، ولا تهنها فيصغر عندي قدرك ؛ وقد قرّبتك مع قربك . فلا تبعد قلبي من قلبك .

(١) اسمه عثمان وأبوه عيينة (عنبسة) ، وهو من ولد أبي سفيان .

(٢) هو عتبة بن أبى سفيان ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب تولى إمارة مصر من قبل أخيه معاوية . فقدمها في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين هجرية . وجعل على شرطته زكريا بن جهم . وأقام أشهراً ثم وفد على أخيه بوفد من أشراف أهل مصر .

طرائف الشعراء

عمر والأعرابي

رُوِيَ أن أعرابياً أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال :

يا عمرُ الخيرَ جُزيتَ الجنة .
اكسُ بُنيّاتي وأُمَّهُـــــنَّ .
وكن لنا من الزمان جُنَّـه .
أقسم بالله لتفعـــــلنَّ .

فقال عمر : إن لم أفعل يكون ماذا؟

قال : إذًا أبا حفص لأذهبنَّ .

قال : وإذا ذهبت يكون ماذا؟

قال :

يكون عن حالي لتُسـألَنَّ .
يوم تكون الأعطيــات هِنّ .
وموقف المسؤول بينهنّ .
إما إلى نار وإما جـــنّه .

فبكى عمر حتى خُضِبَت لحيته وقال : يا غلام ، أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره ، انا والله لا أملكُ غيره

في أنف صديقه

قال أعرابي واصفا أنف صديق له :

ان كان في آيـــــة للــه معتبـــر　　فأنــت معتـــبر فـــي كل انسان
جسم نحيف وأنف قد جفـا عظمــا　　كأنـــه جبل فـــي رأس ثعبــــان
لو كان فرعون اذ رام السمــــاء سمـــا　　فيـــه لأغنـــاه عن تشييد هامـان
اذا انبـــرى لعيون النـــاس لاح لهـم　　رأس بمصـــر وأنـــف في خراسان

قس بن ساعدة الإيادي

قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله ﷺ ، فقال لهم : فيكم أحد من إياد؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فهل لكم علم بقس بن ساعدة الإيادي[1]؟ قالوا : هلك

(١) قُسُّ بن ساعدة الإيادي . من حكماء العرب قبل الإسلام . توفي حوالي عام ٦٠٠م .

يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : كأني أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس على جمل أحمر ، يقول : أيها الناس! اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، أما بعد : فإن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، نجوم تغور وتمور ، ونجوم تغور ولا تمور ، وسقف ومرفوع ، ومهاد موضوع ، أقسم قس قسما ، ما كذب ولا أثم ، لئن كان في الأمر رضا ، ليكونن بعده سخط ، وما هذا بلعب ، وإن من وراء هذا لعجبا ، أقسم قس قسما ، فما كذب ولا أثم ، إن لله دينا هو أرضى من دين نحن عليه ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا . قال النبي عليه السلام : وسمعته ينشد شعرا فأيكم يحفظه؟ فقال بعضهم : أنا . فأنشده يا رسول الله؟ قال : نعم . فقال :

فـــي الذاهبـــين الأوليــ ـن مــــن القرون لنا بصائر
لمـــا رأيـــت مــــواردا للمـــوت ليس لها مصادر
ورأيـــت قومـــي نحوهـــا يمضـــي الأكابر والأصاغـر
لا يرجـــع الماضـــي إلـى ولا مــــن الباقـــين غابـــر
أيقنــــت أنـــي لامحـــا له حيث صار القـــوم صائر

الحطيئة يهجو نفسه

ذات يوم خرج الحطيئة[١] إلى قارعة الطريق يبحث هنا وهناك بحثا عمن يهجوه فلم يجد ولما ضاق عليه ذلك كتم غيظه في صدره وأنشأ يقول :

أبـــت شفتـــاي اليوم ألا تكلمـــا بشـــر فمـــا أدري ما أنا قائلـــه
أرى لـــي وجهـــاً شوه الله خلقـــه فَقُبِّـــحَ مـــن وجه وقُبّح حاملـه

الحطيئة يهجو أمه

ذات يوم وجدته أمه جالساً شارد الذهن فأرادت أن تخفف عنه فجلست إلى جواره تسأله عن سبب شروده فانطلق كالثور الهائج بعيداً عنها وهو يصرخ فيها :

تنحـــي واجلـــس عنـــي بعيـــداً أراح اللـــه منـــك العالمـــين

---

(١) بو مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك العبسي المشهور بـ الحطيئة . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر .

ألـــم أظـــهر لـــك البغضـاء مني   وإنـــي لا أخالـــــك تعقلـــين
أغـــر بــــالاً إذا استودعـــت ســـراً   وكانونــــاً علــــــى المتحدثـــين
حياتـــك مـــا علمـــت حياة سوءٍ   وموتـــك قـــد يسر الصالحـــين

هجاؤه لزوج أمه

فلما رآه زوج أمه يهجوها بهذا الهجاء المقذع خرج إليه يسأله عن سبب نهره وسبه لها ويعنفه على ذلك فصرخ في وجهه هو الآخر :

لحـــاك اللـــه ثـــم لحـــاك حقـــاً   أبـــا ولحـــاك مـــن عـــم وخال
فنعـــم الشيـــخ أنـــت لدى المخازي   وبئـــس الشيخ أنت لدى المعالـي
جمعـــت اللـــؤم لا حـــياك ربـــي   وأبـــواب السفاهـــة والضـــلال

هجاؤه لضيفه

وسلـــم مرتين فقلت مهلاً   كفتـــك المرّة الأولى السلام
ونقنق بطنه ودعـا رؤوســـاً   لما قد نال مـــن شبـــعٍ ونا

آخر شعره

كان آخر ما قال الحطيئة من شعر قبل وفاته في هجاء نفسه :

لا أحدَ ألأمَ . . . هجا بنيه وهجـا
مِـنْ . . . المرية حطيئة
من لؤمه مات على فُرَيَّـه

الحطيئة وأعرابي

وقال أعرابيٌّ للحُطيئة : ما عندكَ يا راعي الغنم؟
قال : عجراء[(١)] من سَلم
قال : إني ضَيفٌ
قال : للضِّيفان أعددتُها

(١) أي عصاة غليظة .

عمر بن الخطاب والحطيئة

ذكرت الرواة : أن الزبرقان بن بدر[١] استعدى على الحطيئة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : هجاني بقوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر : ما أرى هذا هجاءً ؛ وكان أعلم بذلك من كل أحد ، ولكنه أراد درء الحدود بالشبهات . فقال الزبرقان : هذا حسان بن ثابت . فقال : علي بحسان ، فأنشده الشعر . فقال : ما هجاه يا أمير المؤمنين ولكن سلح عليه ! فأحضر الحطيئة ، وقال : هات الشفرة أقطع لسانه؟ فاستشفع فيه فحبسه ، فكتب إليه من الحبس :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ   زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجر
غادرت كاسبهم في قعًر مظلمة   فاغفر هداك مليك الناس يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه   ألقت إليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها   لكن لأنفسهم كانت لها الأُثر

فبكى عمر وأحضره . فقال : قد والله يا أمير المؤمنين هجوت أبي وامرأتي وأمي . قال : وكيف ذلك؟ قال قلت لأبي :

ولقد رأيتك في المنام فسؤتني   وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت لأمي :

تنحّي فاجلسي مني بعيداً   أراح اللّه منك العالمين
أغربالاً إذا استودعت سرّاً   وكانوناً على المتحدّثين

وقلت لامرأتي :

أطوّف ما أُطوّف ثم آوي   إلى بيت قعيدته لكاع

واطلعت في بئر فرأيت وجهي قبيحاً فقلت :

أبت شفتاي اليوم إلاّ تكلّما   بسوءٍ فلا أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجهاً قبّح اللّه خلقه   فقبّحٍ من وجه وقبّح حامله

فتبسم عمر ، وقال : فإن عفونا عنك ، أتهجو بعدها أحداً؟ قال : لا يا أمير

(١) هو : الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي . يكنى أبا عياش ، وقيل : أبو شذرة ، واسمه الحصين . أحد رجال وفد بني تميم الذين وفدوا على الرسول في عام الوفود .

المؤمنين ، وعلي بذلك عهد الله ! فقال : لكأني بفتىً من قريش قد نصب لك نمرقة ، فاتكأت عليها ، وأقبلت تنشده في أعراض المسلمين . قال : أعوذ بالله يا أمير المؤمنين .

قال بعض الرواة : فو الله لقد رأيته عند عبيد الله بن زياد على الحال التي ذكر عمر ، فقلت له : لكأن أمير المؤمنين عمر كان حاضراً لك اليوم ، فتأوه . وقال : رحم الله ذلك المرء ، فما أصدق فراسته !

ربيعة بن عامر «المسكين»[(١)]

قال أبو عمر الشيباني : وإنما لقب مسكيناً لقوله :

أنا مسكين لمن أنكرني ... ولمن يعرفني جد نطق
لا أبيع الناس عرضي إنني ... لو أبيع الناس عرضي لنفق

وقال بعد أن مضت عليه الكلمة . .

وسميت مسكيناً وكانت لجاجةً ... وإني لمسكدين إلى الله راغب

الفرزدق والمسكين

كان مسكين شاعراً مجيداً سيداً شريفاً ، وكان بينه وبين الفرزدق[(٢)] مهاجاةٌ ، وذلك أنه لما هلك زياد رثاه مسكين فقال :

رأيت زيادة الإسلام ولّت ... جهاراً حين فارقها زياد

فبلغ ذلك الفرزدق ، فقال :

أمسكين أبكى الله عينيك إنما ... جرى في ضلال دمعها فتحدرا
أتبكي أمراً من آل ميسان كافراً ... ككسرى على عداته أو كقيصرا
أقول له لما أتاني نعيه ... به لا بظبي بالصريمة أعفرا

(١) هو ربيعة بن عامر ابن أنيف بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، الملقب بمسكينٍ ، وهو شاعر عربي من العصر الأموي .

(٢) الفرزدق شاعر من شعراء العصر الأموي واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكنيته ابو فراس وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه ومعناها الرغيف ، ولد الفرزدق في كاظمة لبني تميم ، اشتهر بشعر المدح والفخر وشعر الهجاء .

فقال مسكين :

ألا أيها المرء الـذي لسـت قائمـاً ولا قاعـداً في القوم إلا انبرى ليا
فجئنـي بعـم مثـل عمي أو أب كمثـل أبي أو خال صدق كخاليا
بعمرو بن عمرو أو زرارة ذي النـدى سمـوت به حتى فرعت الروابيا

فدخل بينهما شيوخ بني عبد الله وبني مجاشع فتكافا . وقال الفرزدق : نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً : نجوت من زيادٍ حين طلبني ، ونجوت من ابني رميلة وقد نذرا دمي ، وما فاتهما أحد طلباه ، ونجوتُ من مهاجاة مسكينٍ الدارمي ، لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدم شطر حسبي ، لأنه من بحبوحة نسبيً وأشراف عشيرتي ، فكان جرير حينئذٍ ينتصف مني بيدي ولساني .

معاوية والمسكين

كان يزيد بن معاوية[(١)] يؤثر مسكيناً الدارمي ، ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه ، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك وخاف ألا يوافقه عليه الناس ، لحسن البقية فيهم ، وكثرة من يرشح للخلافة ، وبلغه في ذلك ذرء وكلام كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر ، فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أمية ، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه ، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس في مجلسه ، فمثل بين يديه وأنشأ يقول :

إن أدع مسكينـاً فإنـي ابن معشـر مـن النـاس أحمي عنهم وأذود
إليـك أمـير المؤمنـين رحلتـهـا تثيـر القطـا ليلاً وهن هجـود
وهاجـرة ظلـت كـأن ظباءهـا إذا مـا اتقتهـا بالقرون سجـود
ألا ليـت شعـري ما يقول ابن عامر ومـروان أم ماذا يقول سعـيـد؟
بنـي خلفـاء اللـه مهلاً فإنـما يبوئهـا الـرحـمـن حيث يريد
إذا المنبـر الغربـي خـلاه ربـه فـإن أميـر الـمؤمنـين يزيـد

---

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي ، . ولد في خلافة الصحابي عثمان بن عفان في عام ٢٦ للهجرة . في قرية الماطرون وأمه هي ميسون بنت بحدل الكلبية ، طلقها معاوية فيما بعد . عاش فترة من حياته في البادية بين أخواله .

فقال له معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين ، ونستخير الله . قال : ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة ، وذلك الذي أراده يزيد ليعلم ما عندهم ، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته .

ربيعة بن عامر يروج لـ«الخُمُر السوداء»!

إن أول إعلان في التاريخ كان في شكل بيت من الشعر نظمه الشاعر ربيعة بن عامر الملقب بالدرامي . . فقد حضر إليه أحد التجار يشكو نفاذ كل الخُمُر التي يبيعها عدا السوداء فلم يشترها أحد منه . . فنظم الشاعر قصيدة وأرسلها لأحد الشعراء ليتغنى بها . . جاء فيها :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد
ردي عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق دين محمد

ولما انتشرت هذه القصيدة لم تبق واحدة لم تشتر خماراً أسود فنفذت كل الخمارات لدى التاجر بل يقال إنه باعها بسعر مرتفع !!

جرير

عندما ولد جرير وضعته أمه لسبعة أشهر من حملها ، ورأت رؤيا مفزعة فذهبت إلى العراف حتى يفسر الرؤيا فعادت تقول :

قصصتُ رؤياي على ذاك الرّجل فقال لي قولاً ، وليت لم يقل
لتَلِدنّ عضلة من العضل ذا منطق جزلٍ إذا قال فصل

الفرزدق

سمي بالفرزدق لضخامة وتجهم وجهه . ومعنى الفرزدق ، هو الرغيف وواحدته فَرَزْدَقَة ، وأصل الكلمة بالفارسية «بَرأَزَدْه» . ويعد الفرزدق من شعراء الطبقة الأولى ، وهو وأبوه قثراء ومن نبلاء قومه وسادتهم بنو تميم ومن أكثر الشعراء ، يقال أنه لم يكن يجلس لوجبة وحده أبدا ، وكان يجير من استجار بقبر أبيه ، وجده صعصعة كان محيي الموؤودات وهن البنات التي كانت تدفن قبل الإسلام في الجاهلية . كان الفرزدق كثير الهجاء ، إذ أنَّه اشتهر بالنقائض التي بينه وبين جرير الشاعر حيث

تبادل الهجاء هو وجرير طيلة نصف قرن حتى توفي ورثاه جرير . تنقل بين الأمراء والولاة يمدحهم ثم يهجوهم ثم يمدحهم .

كان جرير[١] والفرزدق أصدقاء قريبين من بعضهم البعض إلا في الشعر . فكان الناس يرونهم يمشون في الأسواق مع بعضهم البعض ولكن عندما يأتي الشعر فكل منهم له طريقته وعداوته للآخر ، انتهى تبادل الهجاء بينه وبين جرير عند وفاة الفرزدق وعند وفاته رثاه في قصيدته المشهورة .

الأعرابي وجرير

عن ابن الكلبي قال : دخل رجل من بني عذرة على عبد الملك بن مروان[٢] يمتدحه بقصيدة وعنده الشعراء الثلاثة ، جرير والفرزدق والأخطل ، فلم يعرفهم الأعرابي . فقال عبد الملك للأعرابي : هل تعرف أهجى بيت قالته العرب في الإسلام؟ قال : نعم ! قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف أمدح بيت قيل في الاسلام؟

قال نعم ! قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

فقال : أحسنت ، فهل تعرف أرق بيت قيل في الإسلام؟

قال : نعم ! قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به   وهن أضعف خلق الله إنسانا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف جريرا؟

قال : لا والله ، وإني إلى رؤيته لمشتاق .

---

(١) جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي شاعر من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد ، ولد في بادية نجد من أشهر شعراء العرب في فن الهجاء وكان بارعًا في المدح أيضًا .

(٢) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

قال : فهذا جرير وهذا الفرزدق وهذا الأخطل !!

فأنشأ الأعرابي يقول :

فحيـا الإلـه أبا حـزرة وأرغـم أنفـك يا أخطـل
وجـد الفرزدق أتعـس به ورق خياشيمـه الجنـدل

فأنشأ الفرزدق يقول :

يا أرغـم الله أنفـا أنـت حاملـه يـا ذا الخنـا ومقال الزور والخطل
ما أنت بالحكم التي ترضى حكومتـه ولا الأصيـل ولا ذي الرأي والجدل

ثم أنشأ الأخطل يقول :

يا شـر من حملت ساق على قـدم ما مثـل قولك في الأقوام يحتمل
إن الحكومة ليست فـي أبيـك ولا في معشر أنـت منهم إنهم سفـل

فقام جرير مغضبا وقال :

أتشتمـان سفاهـا خيركـم حسبا ففيكمـا - وإلهي - الزور والخطل
أ شتمتـاه علـى رفعي ووضعكمـا لا زلتمـا في سفال أيهـا السـفل

ثم وثب جرير فقبل رأس الأعرابي وقال : يا أمير المؤمنين جائزتي له ، وكانت خمسة آلاف ، فقال عبد الملك : وله مثلها من مالي ، فقبض الأعرابي ذلك كله وخرج .

محاورة الفرزدق مع بعض الأعراب

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حاتم ، عَنِ الأصمعي ، عَنْ أبي عمرو بن العلاء(١) ، قَالَ : قيل للفرزدق ، إن هاهنا أعرابياً قريبًا منك ينشد شعراً ، فقَالَ : إن هذا لقائفُ أو لخائن ، فأتاه فقَالَ : مّمن الرجل؟ فقَالَ : رجل من فقعس ، قَالَ : كيف تركت القنان؟ قَالَ : تركته يساير لصاف ، فقلت : ما أراد الفقعسيّ ، والفرزدق؟ قَالَ : أراد الفرزدق قول الشاعر :

ضمـن القنان لفقعـسٍ سوآتهـا إن القنـان بفقعـسٍ لمعـمّر

---

(١) بو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين المازني التميمي البصري أحد القراء السبعة . قال ابن خلكان : كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب .

قلت : فما أراد الفقعسيّ بقوله يساير لصاف ، قَالَ : أراد قول الشاعر :

وإذا يسـرّك مـن تميـم خصلـةُ فلمـا يسـوءك مـن تميـم أكثر
قـد كنـت أحسبهـم أسـود خفيّة فـإذا لصـاف تبيـض فيه الحمّر
أكلـت أسيـدُ والهجيـم ودارمٌ أيـر الحمـار وخصيتيـه العنبـر
ذهبـت فشيشـة بالأبـاعر حولنـا سرقـاً فصـبّ عَلَى فشيشة أبجر

قَالَ : ويروى هرباً

قَالَ : وأملى علينا أَبُو بَكْرِ محمد بن السّريّ السّرّاج :

إذا شئـت آدانـي صـرومٌ مشيـعٌ معـي وعقـامٌ تتّقى الفحل مقلت
يطوف بهـا مـن جانبيهـا ويتّقـى بها الشمس حيٌّ فِي الأكارع ميت

رسالة مع الفرزدق

مرّ الفرزدق بقوم يجلسون ويتسامرون فأنضم إليهم وبعد قليل قال له عنبسة مولى عثمان ابن عفان :

يا أبا فراس متى تذهب إلى الآخرة؟

فقال له : وما شأنك أنت؟

قال : لأني أريد أن أكتب رسالة إلى أبي وتوصلها له .

فقال له : لستُ ذاهباً إلى النار !

هشام والفرزدق:

قال هشام بن القاسم : جمعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : من الكهل؟

قـال : ومـا تعـرفني؟ قلت : لا! قـال : أبو فـراس . قلت : ومن أبو فـراس قـال : الفرزدق .

قلت : ومن الفرزدق؟ قال : وما تعرف الفرزدق؟ قلت : لا أعرف الفرزدق إلا شيئا يفعله النساء عندنا يتشهّون به كهيئة السويق . قال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم يتشهون بي!

الرد اللاذع

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة يضحكون ، فقال : يا أبا فراس ، أتدري مِمّ يضحكون؟ قال : لا أدري . قال : من جفائك . قال : أصلح الله الأمير . حججت فإذا رجل على عاتقه الأيمن صبي ، وامرأة اخذة بمئزره وهو يقول :

أنــت وهبـــت زائــدا ومزيــــدا وكهلــة أولــج فيهــا الأجــردا!

وهي تقول : إذا شئت . فسألت : ممن الرجل؟ قال : من الأشعريين . فأنا أجفي من ذلك الرجل؟ قال : لا حياك الله! فقد علمت أنا لا نفلت منك .

أشعر العرب

أخبر أبو عبيدة قال : قدم الفرزدق المدينة في إمارة «أبان بن عثمان»[1] قال : فإني والفرزدق وكثير عزة لجلوس في المسجد نتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلام ، فقصد نحونا فلم يسلم وقال : أيكم الفرزدق؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له . فقال له : من أنت؟ قال : رجل من الأنصار ثم من بني النجار ، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم ، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وقد قال شاعرنا «حسان بن ثابت»[2] شعرًا فأردت أن أعرضه عليك ، وأؤجلك سنة ، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب كما قيل ، وإلا فأنت منتحل كذاب ، ثم أنشده :

ألم تسال الربع الجديد التكلما

حتى بلغ إلى قوله :

وأبقــى لنــا مــر الحــروب ورزؤهـا سيوفًــا وأدراعــا وجمعــا عرمرما

حتى آخر القصيدة ، حيث قال :

لَنــا الجَفَنــاتُ الغُرُّ يلمعنَ بالضّحى وأسيافنــا يقطــرنَ مــن نجدة دما

(١) أبان بن عثمان بن عفان الأموي القرشي أبوعبد الله أو أبو سعيد كان من فقهاء التابعين وعلمائهم ، أمير المدينة . أول من كتب في السيرة النبوية . وهو ابن الخليفة عثمان .

(٢) حسان بن ثابت الأنصاري شاعر عربي وصحابي من الأنصار ، ينتمي إلى قبيلة الخزرج من أهل المدينة ، كما كان شاعرًا معتبرًا يفد على ملوك آل غسان في الشام قبل إسلامه ، ثم أسلم وصار شاعر الرسول بعد الهجرة . توفي أثناء خلافة علي بن أبي طالب بين عامي ٣٥ و٤٠ هـ .

مَتــى ما تَزِنّـا مــن معَــدٍّ بعُصْبَـة ... وغســانَ ، نمنــعْ حوضنا أن يهدما
بكــلّ فتى عاري الأشاجع ، لاحــهُ ... قِرَاعُ الكماة ، يرْشحُ المِسكَ والدمـا
إذا استدبرتنـا الشمـسُ دَرتْ متوننا ... كأنّ عرُوقَ الجوْفِ ينضَحن عَندمـا
نســودُ ذا المــالِ القليلِ ، إذا بــدتْ ... مروءتهُ فينـا ، وإنْ كـانَ معدمــا
ألسنـا نردُّ الكبشَ عن طية الهــوى ... ونقلــبُ مــرانَ الوشيــج محطما
أبَــى فعلُــنا المعرُوف أن ننطِقَ الخنا ... وقائلنــا بالعــرف إلا تكَلمـا
وَلدْنا بَنِي العنْقـاءِ وابنــيْ مُحــرِّقٍ ... فأكــرمْ بنـا خلالاً وأكرمْ بنا ابنما

إلى آخر القصيدة

وقال له : قد أجلتك في جوابها حولا ، ثم انصرف وانصرف الفرزدق مغضبًا يسحب رداءه ، وما يدري أي طريق يسلك ، حتى خرج من المسجد ، فأقبل على «كثير» فقال : قاتل الله الأنصاري ما أفصح لهجته وأوضح حجته وأجود شعره ، قال : فلم نزل في حديث الأنصاري بقية يومنا ، ثم توجهت إلى منزلي ، فأخذت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر ، فأرتج علي ، فكأني لم اقل شعرًا قط!؟ حتى إذا نادى المنادي بالفجر وامتطيت ناقتي أقصد جبل المدينة وبغتة صحت صيحة مدوية ، فجاش صدري كما يجيش المرجل ، فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتًا من الشعر . فبينما هو ينشد إذ طلع الأنصاري وسلم علينا وقال له الفرزدق :

عزفــت بأعشــاش وما كنت تعزف ... وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف
ولــج بــك الهجران حتــى كأنمــا ... ترى الموت في البيت الذي كنت تألف

حتى بلغ إلى القول :

ترى النــاس ما سرنـا يسيرون خلفنا ... وإن نحــن أومأنا إلى الناس وقفوا

وانشدها الفرزدق حتى بلغ آخرها .

فقام الأنصاري كئيبًا . . . قال محمد بن إبراهيم : فأقبلت عليه أكلمه أنا وكثير ، فلما أكثرنا عليه . قال : اذهبوا! فقد وهبتكم لهذا القرشي .

دهقان يتحدى الفرزدق

روى الأصمعي أن الفرزدق قال : ما أعياني جواب أحد كما أعياني جواب دهقان ذات مرة فقد سألني : أنت الفرزدق الشاعر؟ قلت : نعم . قال : فهل أموت أن أنت هجوتني . قلت : لا قال : وهل تموت عيشونة ابنتي؟ قلت : لا . قال فرجلي إلى

عنقي في حر أمك إذن . فقلت له : ولماذا تركت رأسك خارجا؟ قال : حتى أنظر أي شيء تصنع بعد ذلك؟

بين جرير والفرزدق

كان مالك بن الأخطل[1] قد بعثه أبوه ليسمع شعر جرير والفرزدق ، فسأله أبوه عنهما فقال : جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر . فقال :

الذي يغرف من بحر أشعرهما .

لما قدم الفرزدق الشام قال له جرير- وكان هنالك- ما ظننت إنك تقدم بلدا أنا فيه! فقال الفرزدق : إني طالما خالفت رأي العجزة .

قيل لعقيل بن علّفة : لم لا تطيل الهجاء؟ قال : «يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق» هذا الفرزدق وكان مستهترا بالنساء ، وكان زير غوان ، وهو في ذلك ليس له بيت واحد في النسيب مذكور ، مع حسده لجرير . وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط ، وهو مع ذلك أغزل الناس شعرا .

لم يفسد حجه

بصر الفرزدق بجرير محرما فقال : والله لأفسدن على ابن المراغة حجّه .

ثم جاءه مستقبلا له ، وقال :

إنك لاق بالمشاعر من منىّ . . . فخارا فخبرني بمن أنت فاخر

فقال جرير : لبيك اللهم لبيك . ولم يجب

عجوز سبأ وعجوز مضر

نظر الفرزدق إلى شيخ من اليمن فقال : كأنه عجوز سبأ! فقال له الشيخ : عجوز سبأ خير من عجوز مضر ، تلك (وهي بلقيس عجوز سبأ) ﴿قَالَتْ رَبِّ أني ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سليمان لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وهذه (وهي امرأة أبي لهب عجوز مضر) حمَّالة الحطب ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ .

---

(١) مالك ابن الشاعر الأموي الأخطل التغلبي .

تخاطر الفرزدق وجرير

من طرائف التخاطر وإصابة المعاني بين جرير والفرزدق ، أن الفرزدق كان يجوز البادية ، فاحتال على امرأة فواثبها يريد اغتصابها وكان فاسقاً ، فضربته المرأة وفرت إلى قومها .

فقال الفرزدق لراويته : أسرع قبل أن يأتينا قومها ، فو الله كأني بجرير قد بلغه الخبر فقال :

وكنت إذا نزلت بدار قوم رحلت بخزيةٍ وتركت عارا

فلما جاء قوم المرأة سألوا عنه فقيل لهم أنه الفرزدق

فلما وصل الفرزدق البصرة وجد جريراً قد بلغه الخبر ، فكتب قصيدة قال فيها هذا البيت .

وهكذا أدرك الفرزدق ما كان جرير سيقول فيه قبل وصوله .

الغالب في مدح نفسه

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل في مجلس عبدالملك فأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار ، وقال لهم : ليقل كلٌّ منكم بيتاً في مدح نفسه ، فأيكم غلب فله الكيس .

فبدأ الفرزدق وقال :

أنا القطرانُ والشعراءُ جربى وفي القطرانِ للجربى شفاءُ

فقال الأخطل :

فإن تكُ زِقّ زاملةٍ فإني أنا الطاعونُ ليس له دواءُ

فقال جرير :

أنا الموت الذي آتي عليكمُ فليس لهاربٍ منّي نجاء

فقال عبد الملك : خذ الكيس ، فلعمري إن الموت أتى على كل شيء .

جرير والراعي النميري

تبادل جرير والفرزدق الهجاء أكثر من أربعين سنة ، وكان كثير من الشعراء ينزلق في هذه المناظرة مؤيدا شاعرا على الآخر ، وهذا ما حدث للراعي النميري حيث انحاز إلى الفرزدق على حساب جرير حيث قال :

يا صاحبـــي دنـــا الرواح فسيـــــرا غلـــب الفرزدق في الهجاء جريـرا

فلم يمهله جرير كثيرا بل أعد له في اليوم التالي قصيدة تتكون من ٩٧ بيت من الشعر ، فأتي سوق المربد بعد أن احتل الناس مراكزهم واسرج ناقته عند مجلس الفرزدق والراعي النميري وألقي قصيدته ، ويطلق عليها الدامغة منها :

أعـــد اللــه للشعـــــراء منـــــــي صواعـــق يخضعـــون لهـــا الرقابا
أنـــــا البـــازي المـــدل علـــى نميـر اتحـــت مـــن السماء لها انصبابـا
إذا علقـــــت مخالـــبه بقـــــــرن أصـــاب القلـــب أوهتـك الحجابا
تــــري الطيـــــر العتاق تظل منــه جوانـــح للكلاكـــل ان تصابـــا
فـــلا صلـــي الإلـــه علـــي نميـــــر ولا سقيـــت قبورهـــــم السحابا
ولـــو وزنـــت حلـــوم بنـــي نميـــــر علـــي الميـــزان مـــا بلغـــت ذبابا
ستهـــدم حائطـــي قرمـــاء منـــــي قـــواف لا اريـــــد بـــها عتابـــا
أعـــد لهـــم مواســــــم حاميـــــات فيشفـــي حـــر شعلتهـــا الجرابـا
فغـــض الطـــرف انـــك مـــن نميـــر فـــلا كعـــب بلغـــت ولا كلابـا
أتعـــدل دمنـــة قلـــت وخبثـــــــت إلـــي فرعـــين قـــد كثـــرا وطابا
اذا غضبـــت عليـــك بـــنـــو تميـــم حسبـــت النـــاس كلهم غضابـــا
لنـــا البطحـــاء تفعمـــها السواقـــي ولـــم يك سيل أوديتـــي شعابـــا
ستعلـم مـــن أعـــز حمـــي بنجـــد وأعظمنـــا بغائرهـــــا هضابـــــا
شياطـــين البـــــلاد يخفـــــن زأري وحيـــة أريحـــاء لـــي استجابـــا
إليـــك إليـــك عبـــد بنـــي نميـــر ولمـــا تقتـــدح منـــــي شهابـــا

جرير وسراقة وبشر بن مروان

كـان بشـر بن مـروان واليـاً على العـراق وقـد كـان يشـعل ويضـرم نيـران المعـركـة الكلامية الدائرة بين الشعراء يقرب أحجهم حينا ويبعده حينا آخر حسب ما تقتضيه السياسة . . . وهنا أراد أن يقلل من شأن جرير فطرح جائزة كبيرة لدى الشعراء لمن يهجو جرير ويعجزه عن الرد فتقدم سراقة البارقي وقدم هذه القصيدة . . .

أبلـــغ تميمـــا غثهـــــا وسمينهـــــا والحكـــم يقصـــد مـــرة ويجـــور
ذهـــب الفـــرزدق بالفضائـــل كلهـــا وابـــن المراغـــة مقعـــد محســـور
إن الفـــرزدق عرقـــــت أعراقـــــه عفـــوا وغـــودر فـــي الغبار جريـر

ما كنت أول محمر قعدت به — مسعاته إن اللئيم عثور
هذا قضاء البارقي وإنه — بالميل في ميزانكم لبصير

فرد عليه جرير

يا بشر حق لوجهك التبشر — هلا غضبت لنا وأنت أمير
بشر أبو المروان إن عاسرته عسر — وعند يساره ميسور
إن الكريمة ينصر الكرم ابنها — وابن اللئيمة للئام عثور
قد كان حقك أن تقول لبارق — يا آل بارق في سب جرير
يعطي النساء مهورهن كرامة — ونساء بارق ما لهن مهور
وكسحت يأمتك للفجار وبارق — شيخان أعمى مقعد وكبير

فصمت سراقة وبشر ولم يقدرا على الرد على جرير .

الأخطل

رُويَ أن سليمان بن عبد الملك(١) سأل عمر بن عبد العزيز(٢) : أجرير أشعر أم الأخطل؟ فقال له اعفني . قال : والله لا أعفيك . قال : إن الأخطل ضيّق عليه كفرُهً ، وإن جريراً وسّع عليه إسلامه قوله ، وقد بلغ الأخطل منه حيث رأيت فقال له سليمان : فضَّلتُ والله الأخطل .

وسأل هارون الرشَيد(٣) جماعة من جلسائه وأهله : أيُّ بيت مُدِحَ به الخلفاء منّا ومن بني أميّة أفخر؟ فقالوا وأكثروا . فقال الرشيد أمدح بيت وأفخره قول ابن

(١) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، الخليفة الأموي السابع ، وهو يعد من خلفاء بني أمية الأقوياء ، ولد ب دمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٩٦هـ . ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور .

(٢) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، هو ثامن الخلفاء الأمويين . ولد سنة ٦١هـ في المدينة المنورة ، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب ، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة ، وكان شديد الإقبال على طلب العلم .

(٣) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين .حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م .ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

النصرانية في عبد الملك (يعني الأخطل) :

شمس العداوةِ حتى يُسْتَقادُ لهم ... وأعظم الناسِ أحلاماً ، إذا قدروا

وقال عنه جرير : ابن النصرانية أرمانا للفرائص وأمدحنا للملوك وأوصفنا للخمر والحمر . ثم قال ما هُجينا بقول أشدّ علينا من قول الأخطل :

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كَلْبَهُمُ ... قالوا لأمّهم بولي على النارِ

وقال الفرزدق فيه يوم سأله ضوء بن اللجلاج في الكوفة : مَنْ أمدحُ أهل الإسلام؟ قال : الأخطل أمدح العرب . وجوابه لعبد الملك بن مروان حين سأله : مَنْ أشعر الناس في الإسلام؟ قال الفرزدق : كفاكَ بابن النصرانية إذا مَدَحْ .

من ألقاب الأخطل

حسب ما وردَ فقد سُمّيَ بالأخطل لأن اثنان تحاكما إليه وهما ابنيّ جُعَيل ليحكم بينهما أيّهما أشعر فأجابهما شِعراً :

لعمرك إنّني وابني جُعيل ... وأمّهما لأستارٌ لئيم

أستار : كلمة فارسية معناها أربعة

فقيل له أن هذا الخَطَل من قولك (وفي اللغة أخطل في كلامه : أتى بكلام فاسد) والأخطل جمع خُطْل : طويل الأذنين مُستَرْخيهما . فسُمّيَ بالأخطل فمن الثابت أن الرعونة والبذاءة وسلاطة اللسان كانت الدافع لتلقيبه بالأخطل .

ويلقب أيضا بدوبل : ذكر المؤرخون أن أمّه لقّبته في طفولته (بدوبل) والدوبل هو ذكر الخنزير أو الحمار القصير الذَنَب ، لكنه لم يتقبّل هذا اللقب فهجاه قائلاً :

بكى دوبلٌ ، لا يَرقى الله دمعه ... ألا إنما يبكي منَ الذُلِّ دوبَلُ

لقّبه جرير بذي العباية في قصيدة يهجوه فيها حين أُسِرَ في يوم البشر وكانت عليه عباءة قذرة وفي ذلك يقول جرير :

يا ذا العباية ، إنّ بشراً قد قضى ... ألاّ تجوزَ حكومة النسوانِ

ذو الصليب : لُقِّبَ أيضاً بذي الصليب ، فقد وردَ في قاموس المحيط للفيروزآبادي أن (ذو الصليب لقب الأخطل التغلبي) وقال الأب لويس شيخو في كتابه شعراء النصرانية بعد الإسلام ، أنّ أمّ الأخطل علّقَت على صدره صليباً ، لم ينزعه حتى كهولته وحتى عند دخوله على الخلفاء فعُرِفَ لذلك (بذي الصّليب) .

الأخطل في بلاط بني أمية

عندما طلب يزيد بن معاوية من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار رفض وقال له سأدلك على غلام منَّا نصراني ، لا يُبالي أن يهجوهم ، كأن لسانه لسان ثور قال : مَنْ؟ قال (الأخطل) . عندها أخذ لنفسه ضمانة من يزيد بن معاوية تجعله في مأمن إذا ما تعرّض للأخطار ، فقال يزيد : لا تخف شيئاً ، لك ذمة أمير المؤمنين وذمّتي ، فأنشد الأخطل قصيدته التي مطلعها :

ذهبتْ قريشٌ بالسّماحة والنَّدى واللؤم تحتَ عمائم الأنصارِ
فدعوا المكارمَ لستم من أهلها وخذوا مساحِيَكُم بني النجَّارِ
إن الفوارسَ يعرفون ظُهورَكم أولادَ كُلِّ مُسَقَّح أكَّارِ
وإذا نسَبْتَ ابنَ الفريعة خلتهُ كالجحشِ بينَ حمارةٍ وحمارِ

وعندما وصل الأمر إلى النعمان بن بشير الأنصاري ، جاء إلى معاوية بن أبي سفيان يُبلغه بالقصيدة التي قالها الأخطل ، فطلب من معاوية قطع لسان الأخطل فقال له : لك ذلك وطلب أن يؤتى به ، فأسرع الأخطل إلى يزيد وقال له : هذا الذي كنت أخافه . فطمأنه يزيد فدخل إلى معاوية وطلب العفو له ، وطلب من النعمان البيّنة على ما يقول ، فلما عجز عن الإتيان بها ، خلّى معاوية سبيله .

الأخطل والخليفة

دخل الأخطل يوماً على الخليفة عبد الملك ابن مروان فاستنشده ، فقال الأخطل : قد يبس حلقي فمر من يسقيني .

فقال عبد الملك : اسقوه ماء . فقال الاخطل : إنه شراب الحمار .

فقال عبد الملك : فاسقوه لبناً ، فقال : عن اللبن فطمت ،

فقال : فاسقوه عسلاً . فقال الاخطل : شرابِ المريض .

فقال عبد الملك : إذن تريد ماذا؟ قال : خمراً يا أمير المؤمنين .

قال : أو عهدتني أسقي الخمر ، لا أم لك . لولا حرمتك بنا لفعلت بك ما فعلت .

فخرج الأخطل فلقي فراشاً لعبد الملك فقال : ويلك إن أمير المؤمنين استنشدني فبح صوتي فاسقني شربة خمر فسقاه .

فقال : اعدله بآخر فسقاه آخر .

فقال :تركتهما يعتركان في بطني . اسقني ثالثاً . فسقاه ثالثاً
فقال : تركتني أمشي على واحد . اعدل ميلي برابع . فسقاه رابعاً
فدخل على عبد الملك وانشده قصيدته التي مطلعها :
خــفّ القطــين فراحوا منك وابتكروا فأزعجتهـــم نـــوىً في صرفها غيرُ
فقال عبد الملك : خذ بيده يا غُلام فأخرجه ، ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره ، وأحسن جائزته وقال : إن لكل قومٍ شاعراً ، أن شاعر بني أمَيَّة الأخطل .

دعوة للدخول في الإسلام

رويَ أن عبـد الملك قـال له يومـاً : لِمَ لا تُسْلِمْ يا أخطل؟ قـال : إن أحللتَ لي الخمر ، ووضعتَ عني صوم رمضان أسلمت ، فقال له عبد الملك : إن أسلمتَ ثم قصّرتَ في شيء من الإسلام ضربتُ عنقك . فقال الأخطل :

ولســـتً بصائـــم رمضـــانَ ، يومـــاً ولســـتُ بآكـــل لحـمَ الأضـــاحي
ولســـتُ بقائــــمٍ كالعيــرِ يدعـــو قُبَيْـــلَ الصّبـــح حيٍّ على الفلاحِ
ولكنّـــي سأشربُهـَــا شمـــــولاً واسجـــدُ عنـــدَ منبلـج الصّبـــاحِ

وقيل أنه كان يدخل على عبد الملك ويقول :

إذا مـــا نديمـــي علنـــي ثـم علنـــي ثـــلاث زجاجـــات لهـــن هديـــر
خرجـــت أجـــر الذيل تيهاً كأننـــي عليـــك أمـــير المؤمنـــين أميـــــر

رأي صريح

دعا الأعور بن بنان التغلبي الشاعر الأخطل إلى منزله ، وكان منزلا منجدا بالفرش الجميلة والأثاث الزاهية ، وكانت له زوجة في غاية الحسن والجمال ، فقال يسأل الأخطل :
يا أبا مالك إنّك تدخل على كبار القوم في مجالسهم
فهل ترى في بيتي عيباً؟
فأجابه الأخطل :
ما أرى في بيتك عيباً غيرك .

عمر بن أبي ربيعة

يُعتَبَر عمر[1] رائد القصّة الغزلية الإباحية التي يروي فيها مغامراته مع عدد من النساء ، وعُرِفَ بتنقّله من امرأة إلى أخرى ، ويمتاز شعره بالعذوبة والرّقة والسّلاسة ، حتى قيل فيه : شعره الفُستق المُقشّر .

أشهر قصائده الغزلية ، رائيتُه التي مطلعها :

أَمِن آل نعم أنتَ غادٍ فمُكبِرُ ... غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ

وعندما سمعها جرير ، أُعجِبَ بها ، وقال : ظلّ هذا المخزومي يهذي حتى قال الشعر .

كان يعتمر ويلبس الحلل والوشي ويركب النجائب المخضوبة بالحناء ، عليها القطوع والدّيباج . ويلقى الحاجّات من الشام والمدينة والعراق فيتعرّف بهنّ ، ويرافقهن ، ويتشبّب بهن ويروي طرفًا من مواقفه معهن . وشاقته هذه المجالس والمعارض فتمنّى لو أن الحجّ كان مستمرًا طوال أيام السنة :

ليت ذا الدّهر كان حتمًا علينا ... كلّ يومين حجة واعتمارا

مجونه وتشبيبه بالنساء

لم يكن في قريش أشعر منه ، وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة ، وله في ذلك حكايات مشهورة . وكان يتغزل في شعره بالثريا ابنة علي بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية ، وقال السهيلي في الروض الأنف : هي الثريا ابنة عبد الله ، ولم يذكر علياً ، ثم قال : وقتيلة ابنة النضر جدتها ، لأنها كانت تحت الحارث بن أمية ، وعبد الله ولدها وهو والد الثريا ، وهذه قتيلة هي التي أنشدت رسول الله ، ﷺ ، عقيب وقعة بدر الأبيات القافية ، وكان قد قتل أباها النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري ، وقيل كان أخاها ، ومن جملة الأبيات :

أمحمد ولأنت ضنء نجيبةٍ ... من قومها والفحل فحلٌ معرق

---

(١) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم شاعر مخزومي قرشي ، شاعر مشهور لم يكن في قريش أشعر منه وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة ، ولقب بالعاشق ونسب هذا الاسم لمن بعده من نسله .

ما كـــان ضــرك لـــو مننـــت وربمــا   مـــن الفـــتى وهو المغيـــظ المحنـق
فالنضـــر أقـــرب من تركت وسيلـــةً   وأحقهـــم إن كـــان عتق يعتـــق

فقال عليه السلام : لو سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلته ؛ وكان شديد العداوة لرسول الله ، ﷺ ، فأسره في يوم بدر ، فلما رجع إلى المدينة أمر علي بن أبي طالب ، وقيل المقداد بن أسود بقتله ، فقتله صبراً بين يديه بالصفراء ، وهي مكان بين المدينة وبدر ؛ وهذه الأبيات من جملة أبيات مذكورة في كتاب «الحماسة» في باب المراثي .

وكانت الثريا موصوفة بالجمال ، فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، رضي الله عنه ، ونقلها إلى مصر ، فقال عمر المذكور في زواجها يضرب المثل في الثريا وسهيل النجمين المعروفين :

أيهـــا المنكـــح الثريـــــا سهيـــــلاً   عمـــرك اللـــه كيـــف يلتقيـــان
هـــي شاميـــة إذا مـــــا استقلـــت   وسهيـــلٌ إذا استقـــــل يمانـــــي

وهذه الثريا وأختها عائشة أعتقتا الغريض المغني المشهور صاحب معبد ، واسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد ، وسمي الغريض باسم الطلع ، ويقال فيه الغريض والاغريض ، وإنما سميلنقاء لونه ، وقيل إنما سمي به لطراوته .

يروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة اعترض الناس ، فمر به رجل من أهل الشام بترس قبيح ، فقال له : يا أخا الشام ، مجن ابن أبي ربيعة أحسن من مجنك ، يريد قول ابن أبي ربيعة :

وكـــان مجنـــي دون من كنت أتقـي   ثـــلاث شخوص : كاعبان ومعصر

وهذا البيت من جملة قصيدة ، وهي من ظريف شعره ، فمن جملتها :

فحييـــت إذ فاجأتهـــا فتـلـهـفــت   وكـــادت بمكتـــوم التحية تـجـهـر
وقالت وعضت بالبنان : فضحتنـــــي   وأنـــت امـــرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتك إن هنـــا عليـــك ولـم تـخــف   رقيبـــاً وحولـــي من عدوك حضـر
فواللـــه ما أدري أتعجيـــل حاجـــة   سرت بك أم قد نام من كنت تحذر
فقلت لها : بل قادني الشوق والهـوى   إليك وما عين من الناس تنظـــر
فلمـــا تقضـــى الليل إلا قـليلـــه   وكـــادت توالـــي نجمـــه تـتـغـور
أشـــارت بأن الحـــي قد حان منهـم   هبـــوب ولكـــن موعد لـك عـزور
فمـــا راعنـــي إلا منـــاد بـرحلـــة   وقـــد لاح مفتـر من الصبح أشقر
فلمـــا رأت مـــن قـــد تنور منـهـــم   وأيقاظهـــم قالـت : أشر كيف تأمر

فقلـــت : أباديهـم فإمـــا أفـوتـهـــم وإمـــا أســـل السيـــف ثأراً فـيثـأر
فقالـــت : أتحقيقاً لما قـــال كـاشـــح علينـــا وتصديقـــاً لمـــا كـان يؤثـر
وإن كـــان مـــا لا بـــد منه فـغـيـــره مـــن الأمـــر أدنى للخفاء وأستـــر
أقـــص على أختـــي بـــدء حـديثـنـا ومـــا لـــي مـــن أن يعلما متـأخـر
لعلهمـــا أن يبغيـــا لك مـخـرجـــاً وأن يرحبـــا سربـــاً بما كنت أحصر
فقالـــت لأختيهـــا : أعينا على فتـى أتـــى زائـــراً والأمـــر للأمر يقـدر
فأقبلتـــا فارتاعتـــا ثـــم قـالـتـــا : أقلـــي عليـــك اللوم فالخطب أيسر
يقـــوم فيمشـــي بيننـــا مـتـنـكـــراً فـــلا سرنـــا يفشـــو ولا هو يظهـر
وكـــان مجني دون من كنت أتقـــي ثـــلاث شخوص كاعبان ومعصـــر

ومن شعر عمر المذكور أيضاً :

حـــي طيفـــاً مـــن الأحـبـــة زارا بعدمـــا صـــرع الكـــرى السمـارا
طارقـــا فـــي المنـــام تحت دجى الليل ضنينـــاً بـــأن يـــزور نـهـــارا
قلـــت مـــا بالـــنا جـفـينـــا وكـنـــا قبـــل ذاك الأسمـــاع والأبصـــارا
قـــال إنـــا كمـــا عـهـدت ولـكـــن شغـــل الحلـــي أهلـــه أن يعـــارا

أعجزتك القافية !

وذكـر أن هاشـمياً قـال لعمر بن أبي ربيعـة : لولا بغضكم لنا يا بني مخزوم ما قلت :

بعيـــدة مهـــوى القـــرط إمّـــا لنوفلٍ أبوهـــا وإمّـــا عبد شمـسٍ وهاشم

فقدمت علينا بني نوفل وبني أمية ؛ فتوهمه ابن أبي ربيعة عاقلاً ، فقال : لا بأس بتقديم المفضول على الفاضل في اللفظ ، قال حسان بن ثابت :

ومـــا زال فـــي السادات من آل هاشم مكـــارم صـــدق لا تعـــدّ ومفخر
بهاليـــل منـــهم جعفـــر وابـــن أمّه علـــيٌّ ومنهـــم أحمـــد المتخيّـــر

وأيضـاً فـالشـعـر على الميم ، فلم يمكن في القـافـيـة ، إلا مـا قلت لك . قـال : فأعجزتك الحيلة؟ قال : وكيف أحتال؟ قال تقول :

بعيـــدة مهـــوى القـــرط إمّـــا لهاشم أبوهـــا وإمّا عبد شمس ونوفل ميم

فضحك وقال : وهنا لقد عجزت عن هذا .

النحافة

قال عمر بن أبي ربيعة يصف رجلاً نحيفا :

رأت رجــلاً أما إذا الشمس عارضتْ فيضْحــى وأمــا بالعشِّي فَيَخْصَرُ
أخا سفــر جــوَّاب أرض تقاذفـــت به فلــواتٌ فهــو أشعـــثٌ أغبــر
قليـــلاً علـــى ظهــر المَطِيِّــة ظِلُّــه ســوى ما نفــى عنه الرِّداء المُحَبَّر

عمر بن أبي ربيعة والغزل

عَنْ عثمان بن إبراهيم الخاطبي ، قَالَ : أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنتين ، فانتظرته فإذا هو فِي مجلس قومه بني مخزوم حتى إذا تفرق الناس عنه دنوت منه ومعي صاحب لي ، فقَالَ لي : هل لك أن تنظر هل بقي من الغزل شيء فِي نفسه؟ فقلت : دونك ، فقَالَ : يا أبا الخطاب ، أحسن والله رسيان العذري ، فقَالَ : وفيما ذا؟ قَالَ حين يقول :

لو جـــذ بالسيـــف رأسـي فِي مودتها لمـــال لا شـك يهوى نحوها راسي

فقَالَ عمر : أحسن والله! فقَالَ : يا أبا الخطاب ، وأحس والله بجبة بن جنادة العذري ، قَالَ : فيما ذا؟ قَالَ حين يقول :

سـرت لعينـك سلمـى عنـد مغناهـــا فبـــت مستهليـــا من بعد مسراها
فقلـــت أهـــلاً وسهـــلاً من هداك لنا إن كنـــت تمثالهـــا أو كنـــت إياها
تأتي الرياح التي من نحـــو بلدتكـــم حتـــى أقـــول دنـــت منـــا برياها
وقـــد تراخـــت بنا عنها نوىً قــذفٌ هيهـــات مصبحهـا من بعد ممساها
مـــن حبهـــا أتمنـــــى أن يلاقينـــي مـــن نحـــو بلدتهـــا نـــاع فينعاها
كيمـــا أقـــول فـــراقٌ لا لقـــاء لـــه وتضمـــر النفـس يأسا ثمَّ تسلاها
ولـــو تمـــوت لراعتنـــي وقلـــت لهـــا يا بـــؤس للموت ليت الدهر أبقاها

فضحك عمر ، وقَالَ : أحسن ويحه والله! للقد هيجتم عَلَى ما كان مني ساكنا ، لأحدثنكم حديثا حلوًا : أنا منذ أعوام جالسٌ إذ أتاني خالدُ الخريت ، فقَالَ : يا أبا الخطاب ، مرَّ قبيلاً أربع يردن كذا وكذًا من مكة ولم أر مثلهن قط ، فهل لك تأتي متنكراً فتسمع من حديثهن ولا يعلمن؟ قلت : ويحك! وكيف لي بأن يخفى ذلك؟ قَالَ : تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس عَلَى قعود حتى تهجم عليهن .

قَالَ : فجلست عَلَى قعود ثم أتيتهن وسلمت عليهن ، فسألنني أن أحدثهن

وأنشدهن ، فأنشدتهن لكثير وجميل وغيرهما ، فقلن : يا أعرابي ، ما أملحك! لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا! فإذا أمسيت انصرفت .

قَالَ : فأنخت قعودي فجلست معهن فتحدثت وأنشدتهن ، فدنت هند وهي التي كنت أشبب بها ، فمددت يدها فألقت عمامتي عَنْ رأسي ثم قَالَت : بالله أتراك خدعتنا منذ اليوم ، نحن والله خدعناك ، ثم أرسلنا إليك خالداً ليأتينا بك عَلَى أقبح هيئاتك ، ونحن عَلَى ما ترى .

ثم أخذنا فِي الحديث فقَالَت : يا سيدي لو رأيتني منذ أيام وأصبحت عند أهلي ، فأدخلت رأسي فِي جيبي فلما نظرت إِلَى كعثبي فرأيته ملء العين وأمنية المتمني ناديت : يا عمراه يا عمراه! فصاح عمر : يا لبيكاه يا لبيكاه! ثم أنشأ يقول : قصيدة عمر بن أبي ربيعة التي أولها ألم تسأل الأطلال والمتربعا

ألم تسأل الأطلال والمتربعا ببطن حليات دوارس بلقعا

المرأة المحرمة

عن صالح ابن أسلم قال : نظرت إلى امرأة مستترة بثوب ، وهي تطوف بالبيت ، فنظر إليها عمر بن أبي ربيعة من وراء الثوب ثم قالب :

ألما بذات الخال واستطلعا لنا على العهد باق ودها أم تصرما

قال : فقلت له : امرأةٌ مسلمةٌ غافلةٌ محرمة قد سيرت فيها شًعراً وهي لا تعلم . قال : إني قد أنشدت من الشعر ما بلغك ، ورب هذه البنية ما حللت إزاري على فرجٍ حرام قط .

أرق بيت

اجتمع كثير عزة وجميل بثينة(١) وعمر بن أبي ربيعة عند عبد الملك فقال أنشدوني أرق بيت قلتم فأنشد جميل .

حلفت يميناً يا بثينة صادقاً فإن كنت فيه كاذباً فعميت

---

(١) محمد بركات بن معمر العذري القضاعي ويُكنّى أبا عمرو شاعر ومن عشاق العرب المشهورين . كان فصيحًا مقدمًا جامعًا للشعر والرواية . وكان في أول أمره راوية لشعر هدبة بن خشرم ، كما كان كثير عزة راوية جميل فيما بعد . لقب بجميل بثينة لحبه الشديد لها

فلــو أن جلــداً غير جلدك مسنـــي   وباشرنـــي دون الشعــار شريــت
ولو أن راقي المــوت يرقــي جنازتـــي   بمنطقهــا فــي الناطقــين حييت

وأنشد كثير :

بأبــي وأمــي أنــت من مظلومـــة   طــبن العــدوّ لهــا فغير حالهــا
لــو أن عزة خاصمت شمس الضحى   فــي الحسن عند موفق لقضى لها
وسعــى إلــى بصـرم عــزة نســوة   جعــل المليــك خدودهن نعالهــا

وأنشد ابن أبي ربيعة

ألا ليــت قبري يــوم تقضي منيتــي   بتلك التي من بين عينيك والفــم
وليــت طــهوري كــان ريقــك كله   وليــت حنوطي من مشائك والدم
ألا ليــت أم الفضل كانت قرينتـــي   هنــا أو هنــا فــي جنة أو جهنم

فقال : أعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم .

كثير عزة(١)

دخل كثير عَلَى عبد الملك بْن مروان ، رحمه الله ، فقَالَ عَبْد الملك بن مروان : أأنت كثير عزة؟ قَالَ : نعم ، قَالَ : أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، فقَالَ : يا أمير المؤمنين ، كل عند محله رحب الفناء ، شامخ البناء ، عالي السناء ، ثم أنشأ يَقُولُ :

تري الرجل النحيف فتزدريه . . . وفى أثوابه أسد هصور

ويعجبـــك الطريـــر إذا تـــراه   فيخلــف ظنــك الرجــل الطرير
بغــاث الطيــر أطولهـــا رقابـــا   ولــم تطــل البــزاة ولا الصقــور
خشــاش الطيــر أكثرهــا فراخـــا   وأم الصقـــر مقـــلات نــزور
ضعــاف الأســد أكثرهــا زئيـــرا   وأصرمهـــا اللواتــى لا تزيـــر
وقــد عظــم البعيــر بغـــير لـــب   فلــم يستــغن بالعظــم البعــير
ينــوخ ثــم يضـــرب بالهـــواري   فـــلا عــرف لديــه ولا نكيـــر
يقـــوده الصبـــي بـــكل أرض   وينحــره عَلَــى التــرب الصغيـر

---

(١) كثير عزة شاعر عربي متيم من أهل المدينة المنورة وشعراء الدولة الأموية واسمه كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي وعرف بعشقه عزة بنت جميل بن حفص بن إياس الغفارية الكنانية .

فمــا عظــم الرجــال لهــم بزيــن ولكــن زينهــم كــرم وخــير

فقَالَ عَبْد الملك : لله دره ، ما أفصح لسانه ، وأضبط جنانه ، وأطول عنانه! والله إني لأظنه كما وصف نفسه .

ذو الرمة وعبد الملك بن مروان

دخل الفرزدق على عبد الملك بن مروان فقال له : من أشعر أهل زماننا؟

قال : أنا يا أمير المؤمنين .

قال : ثم من؟

قال : غلام منا بالبادية يقال له ذو الرمة(١) .

قال : ثم دخل جرير بعد ذلك ، فقال له : من أشعر الناس؟

قال : أنا يا أمير المؤمنين .

قال : ثم من؟

قال : غلام منا بالبادية يقال له ذو الرمة .

فأحب عبد الملك أن يراه لقولهما ، فوجه إليه فجيء به ، فقال :

أنشدني أجود شعرك . فأنشده :

ما بــال عينــك منها المــاء ينسكب كأنــه مــن كلــى مفرية سرب

قال : وكانت عين عبد الملك تسيلان ماء – قال : فغضب عليه ، ونحّاه .

فقيل له : ويحك! إنما دهاك عنده قولُك :

ما بال عينك منها الماء ينسكب

فاقلب كلامك . قال : فصبر حتى دخل الثانية ، فقال له : أنشد ، فأنشده :

ما بال عيني منها الماء ينسكب

حتى أتى على آخرها ، فأجازه وأكرمه .

---

(١) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي ، كنيته أبو الحارث وذو الرّمّة . شاعر عربي من الرباب من تميم ، من شعراء العصر الأموي ، من فحول الطبقة الثانية في عصره . ولد سنة ٧٧ هـ / ٦٩٦م ، وتوفي بأصفهان (وقيل بالبادية) سنة ١١٧ هـ /٧٣٥م وهو في سن الأربعين .

أبو الشمقمق

لم يكن تكوين أبي الشمقمق[١] الجسدي مستحباً ، فقد كان قبيح المنظر ، عظيم الأنف ، واسع الشدقين . أما أخلاقه فقد كان فيها غلظة ، مع خبث في لسانه ، على أنه كثير الهزل والفكاهة ؛ قليل الجِد ، إذا هَزل كثُر خطأه ، وإذا جَدَّ كثُر صوابه . قال ابن المعتز : «وشعر أبي الشمقمق نوادر كله» . وقال ابن عبد ربه : «وكان أديباً ظريفاً مُحارَفاً ، وكان صعلوكاً متبرّماً بالناس ، وقد لزم بيته في أطمار مسحوقة» .

وكان فقيراً معوزاً ، ليس له منزلة رفيعة أو نسب عظيم يتقرّب بهما إلى أولي الأمر ، فاستغلّ سلاطة لسانه لابتزاز بعض الناس ، كما كان يفعل مع بشار بن برد ، وسلم الخاسر ، وغيرهما . وفي شعره ما يدل على فقره وحرمانه فقد وصف حياته في بيته المتواضع بالبصرة بقوله :

في مبيت من الغَضارة قفر ليس فيه إلا النوى والنخالة
عطّلته الجرذان من قلة الخير وطار الذباب نحو زبالة

وكان أبو الشمقمق متبرماً بالناس وقد لزم بيته في أطمار مسحوقة ، وكان إذا استفتح عليه أحد بابه خرج فينظر من فروج الباب فإن أعجبه الواقف فتح وإلا سكت عنه فأقبل إليه يوماً بعض إخوانه الملاطفين له فدخل عليه فلما رأى سوء حاله ، قال له : أبشر أبا الشمقمق فإنا روينا في بعض الحديث : إن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة . فقال : إن صح والله هذا الحديث كنت أنا في ذلك اليوم بزازاً -أي تاجر ثياب- ، ثم أنشأ يقول مقطوعة منها :

أنا في حال تعالى الله ربي أي حال
ليس لي شيء إذا قيل لمن ذا قلت ذا لي
ولقد أفلست حتى حل أكلي بعيالي

يشتري الهجاء لنفسه

مر أعرابي بأبي الشمقمق فقال له : يا أعرابي .

(١) مروان بن محمد أبو الشمقمق شاعر هجاء بخاري الأصل من موالي بني أمية . عاصر شعراء عدة وهجاهم كبشار بن برد وأبي العتاهية ، وأبي نواس ، وابن أبي حفصة وله هجاء في يحيى البرمكي وغيره . لقب أبو الشمقمق لطوله . كان عظيم الأنف قبيح المنظر .

قال : ما تشاء؟

قال : أتقول الشعر؟

قال : بعضه .

قال : خذ هذا الدرهم واهجني .

قال : فأطرق الأعرابي هنيه ثم قال : ما رأيت أحداً يشتري الهجو بالثمن غيرك .

قال : فاك وما أخذ .

فأنشأ الأعرابي يقول شعراً موجهاً إلى أبي الشمقمق وفيه من البذاءة الشيء الكثير

فقال أبو الشمقمق : أعوذ بالله من الشقاء ما أغناني عن هذه التجارة .

فقر أبي الشمقمق

قال أبو الشمقمق في وصف حاله :

برزت من المنازل والقباب ... فلم يعسر علي أحد حجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي ... سماء الله أو قطع السحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي ... علي مسلماً من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب ... يكون من السحاب إلي التراب

أبو الشمقمق وبشار بن برد

قيل : جاء أبو الشمقمق إلى بشار[1] يشكو إليه الضيقة ، ويحلف له أنه ما عنده شيء ، فقال له بشار : والله ما عندي شيء يغنيك ولكن قم معي إلى عقبة بن مسلم ، فقام معه ، فذكر له أبا الشمقمق وقال :

هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم . فقال له بشار :

يا واحد العرب الذي ... أمسى وليس له نظير
لو كان مثلك آخر ... ما كان في الدنيا فقير

(١) بشار بن برد بن يرجوخ العُقيلي ، أبو معاذ ، شاعر مطبوع . إمام الشعراء المولدين . ومن المخضرمين حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية . ولد أعمى ، وكان من فحولة الشعراء وسابقيهم المجودين .

فأمر لبشار بألفي درهم ، فقال له الشمقمق : نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ : فجعل بشار يضحك من جوابه .

أبو العتاهية

استدعى المهدي[1] الشعراء إلى مجلسه فاجتمعوا ، وكان فيهم أبو العتاهية[2] وبشار بن برد الأعمى ، فاستنشد المهدي أبا العتاهية . فانطلق ينشده قصيدته التي أولها :

ألا ما لسيدتـي مـا لهـا   أدلـت فأحمـل إدلالا هـا

فقال بشار لجليسه : ما رأيت أجسر من هذا !!

وأكمل أبو العتاهية :

أتته الخلافـة منقـادة   إليـه تجـرر أذيالهـا
فلـم تـك تصلـح إلا له   ولـم يـك يصلـح إلا لها
ولـو رامهـا أحـد غيـره   لزلزلـت الأرض زلزالهـا
ولـو لم تطعه بنات القلوب   لمـا قبـل اللـه أعمالهـا

فقال بشار لجليسه : انظر ويحك ، أطار الخليفة عن فراشه أم لا؟

قال : فوالله ما خرج أحد من الشعراء يومئذ بجائزة غيره

الملك أبو العتاهية

تكلم بعض القصاص ، فقال : في السماء ملكٌ يقول كل يومٍ :

(لدوا للموت وابنوا للخراب . . .)

فقال بعض الفطناء : اسم ذلك الملك أبو العتاهية .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله . هو ثالث خلفاء الدولة العباسية بالعراق .

(٢) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ، أبو إسحاق' ، ولد في عين التمر سنة ١٣٠ هـ/٧٤٧ م ، ثم أنتقل إلى الكوفة ، كان بائعا للجرار ، مال إلى العلم والأدب ونظم الشعر حتى نبغ فيه ، ثم انتقل إلى بغداد ، وأتصل بالخلفاء ، فمدح المهدي والهادي والرشيد .

أبو العتاهية في سجن الرشيد

قال أبو العتاهية حبسني الرشيد لما تركت قول الشعر فأدخلت السجن وأغلق الباب علي فدهشت كما يدهش مثلي لتلك الحال وإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مقيد فجعلت أنظر إليه ساعة ثم تمثل

(تعـودت مـر الصبر حتـى ألفتـه   وأسلمنـي حسن العزاء إلى الصبر)
(وصيرنـي يأسى من الناس راجيـا   لحسن صنيع الله من حيث لا أدري)

فقلت له أعد يرحمك الله هذين البيتين

فقال لي : ويلك يا أبا العتاهية ما أسوأ أدبك وأقل عقلك دخلت علي الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ولا سألت مسألة الحر للحر ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذي لا فضل فيك غيره لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسألتك عنهما عذرا لنفسك في طلبهما فقلت يا أخي إني دهشت لهذه الحال فلا تعذلني واعذرني متفضلا بذلك

فقال أنا والله أولى بالدهش والحيرة منك لأنك حبست في أن تقول شعرا به ارتفعت وبلغت فإذا قلت أمنت وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله ليقتل أو أقتل دونه ووالله لا أدل عليه أبدا والساعة يدعى بي فأقتل فأينا أحق بالدهش

فقلت له أنا والله أولى سلمك الله وكفاك ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك

قال فلا نبخل عليك إذا ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما

قال فسألته من هو فقال أنا خاص داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد

ولم نلبث أن سمعنا صوت الأقفال فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جرة ولبس ثوبا نظيفا كان عنده ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعا وقدم قبلي إلى الرشيد

فسأله عن أحمد بن عيسى فقال لا تسألني عنه واصنع ما أنت صانع فلو أنه تحت ثوبي هذا ما كشفته عنه

وأمر بضرب عنقه فضرب

ثم قال لي أظنك قد ارتعت يا إسماعيل فقلت دون ما رأيته تسيل منه النفوس

فقال ردوه إلى محبسه فرددت وانتحلت هذين البيتين وزدت فيهما

(إذا أنا لم أقبل من الدهر كـل مـا   تكرهت منه طال عتبي على الدهـر)

من شعر أبي العتاهية

حضر يعقوب بن إسحاق الكندي مجلساً فيه قينة(١) ، فقالت له : اقترح . فقال لها غني :

لو تجسّين يا عتيبة عرقـي لوجـدت الفـؤاد قرحاً تفقّا

فقالت : إن أردت جسّ العروق والنظر إلى الأبوال فعليك بالبيمارستان .

أبو نواس وأبو العتاهية ودعبل الخزاعي

كان كل من أبو نواس وأبو العتاهية ودعبل الخزاعي(٢) ، وهم من أعلام الشعر العباسي ، في نزهة ، وفجأة مرت من أمامهم فتاة حسناء تلبس ثلاثة أثواب ، كل ثوب يبدي ما تحته ، فأرادوا التندر بألوانها الثلاثة الأبيض والأسود والأحمر ، فجادت قريحة كل منهم باللون الذي اختاره ، فقال أبو العتاهية في الثوب الأبيض :

تَبَـدَّى فـي ثيـاب مـن بيـاض بأجفـان وألحـاظ مـراض
فقلـت لـه عبـرتَ ولـم تسلـم وإنـي منـك بالتَّسلِيـم راض
تبـارك مـن كسـا خديـك وردا وقـدك مثـل أغصـان الريـاض
فقـال نعـم كسانـي الله حسنـاً ويخلـق ما يشاء بـلا اعتـراض
فثوبـي مثـل ثغـري مثـل نحري بيـاض في بياض في بيـاض

فقال دعبل الخزاعي في الثوب الأسود :

تبـدى فـي السـواد فقلـت بـدرٌ تجلـى فـي الظـلام على العباد
فقلـت لـه عبـرت ولـم تسلـم وأشمـتَ الحسـود مـع الأعادي
تبـارك مـن كسـا خديـك وردا مـدى الأيـام دام بـلا نفـاد
فقـال نعـم كسانـي الله حسنـا ويخلـق مـا يشـاء بـلا عناد
فثوبـك مثـل شعـرك مثل حظـي سـواد فـي سـواد في سـواد

---

(١) غناء ومعازف .

(٢) دعبل الخزاعي اسمه محمد بن علي بن رزين ، من مشاهير شعراء العصر العباسي . اشتهر بتشيعه لآل علي بن أبي طالب وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين .

وقال أبو نواس في الثوب الأحمر

تبـــدى في قميــص اللاز[1] يسعـى عذولـــي لا يُلقـــبُ بالحبيـــــب
فقلـــت مـــن التعجـــب كيف هــذا لقـــد أقبلـــتَ فـــي زي عجيـــب
أَحُمــــرة وجنتيـــكَ كَسَتْـــكَ هـــذا أم انــــتَ صبَغتَـــه بـــدمِ القلوب
فقال الشمسُ أهــدَتْ لـــي قميصـــاً قريـــبَ اللـــون من شفقِ الغـروب
فثوبـــي والمُـــدامُ ولـــــونُ خــــدي قريـــب مـــن قريـــب من قريـــبِ

بشار بن برد

قال بشار الشعر في سن مبكرة . فما كاد يبلغ السنوات العشر حتى تفجرت موهبة الشعر عنده . ونزعت نفسه إلى الهجاء .ولم يتوان عن التعرض لكبار الشعراء كجرير بن عطية الخطفي أحد أقطاب المثلث الأموي . فاستصغره جرير ولم يجاره في هجائه .

وكان القوم يخافون لسانه فيشكونه إلى برد أبيه فيضربه ضرباً شديداً فكانت أمه تقول : كم تضرب هذا الصبيّ الضرير ، أما ترحمه؟ ،فيقول : ويلي والله إني لأرحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونهُ إليّ ، فسمعه بشّار فطمع فيه فقال له : يا أبتِ إن هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر ، وإني إن ألمت عليه ،أغنيتك وسائر أهلي ، فإن شكوني إليك ، فقل لهم : أليس الله يقول (ليس على الأعمى حرج) فلما عاودوا شكواه ، قال لهم برد ما قاله بشار فانصرفوا وهم يقولون : فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار .

ولعل سخط بشار على الناس كان مردّه إلى عماه فهو لم يُبصر الدنيا قط . وعلى الرغم من ذلك فقد كان ضخماً . مفرط الطول ، عظيم الوجه . أعمى . أكمه . جاحظ العينين يغشاهما لحم أحمر فكان قبيح العمى مجدور الوجه وقد ضُرب المثلُ بقباحة عينه فقالوا : «كعين بشار بن برد» وفي ذلك قال مخلد بن علي السلامي يهجو رجلاً :

رأيتـــــك لا تحـــــبُّ الـــــود إلا إذا مـــا كـــان مـــن عصب وجلد
أرانـــــي اللـــه وجهـــك جاحظيـــاً وعينـــك عـــين بشـــار بـــن برد

(١) اللاز : هو اللون اللازوردي .

وُلد بشار بن بُرد أعمى . وكان ضخماً طويلاً عظيم الوجه فظيع المنظر . وكان إذا أراد أن يُنْشد شعراً صفق بيديه وتنحنح ، وبَصَقَ عن يمينه وشماله ثم ينشد ، فيأتي بالعجب وكان يُشَبِّه الأشياء بعضَها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدِرُ البُصَرَاءُ أن يأتوا بمثله . فقيل له يوما وقد أنشد قوله :

كأن مُثارَ النَّقيع فوق رءوسنا   وأسيافَنا ، ليلٌ تَهَاوَى كواكبُه

«ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئاً فيها؟» فقال : إن عدم النظر يُقَوِّي ذكاءَ القلب ، ويقطع عنه الشغلَ بما يُنْظَرُ إليه من الأشياء ، فيتوفّر حِسُّه ، وتذكو قريحتُه .

مجون بشار بن برد

كان رجل يقال له سعد بن القعقاع يتندم بشاراً في المجانة ، فقال لبشار وهو ينادمه :

ويحك يا أبا معاذ قد نسبنا الناس إلى الزندقة ، فهل لك أن تحج بنا حجة تنفي ذلك عنا؟

قال : نعم مارأيت فاشتريا بعيرا ومحملا وركبا ، فلما مرا بزرارة قال له : ويحك يا أبا معاذ ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها مل بنا إلى زرارة نتنعم فيه ، فإذا قفل الحجاج عارضناهم بالقادسية وجززنا رؤوسنا فلم يشك الناس أنّا جئنا من الحج .

فقال له بشار : نعمَ ما رأيت لولا خبث لسانك ، وإني أخاف أن تفضحنا . قال : لاتخف . فمالا إلى زرارة فما زالا يشربان الخمر ويفسقان ، فلما نزل الحجاج بالقادسية راجعين ، أخذا بعيرا ومحملا وجزا رؤوسهما وأقبلا وتلقاهما الناس يهنئونهما ؛ فقال سعد بن القعقاع :

ألم ترني وبشاراً حججنا   وكان الحج من خير التجارة
خرجنا طالبي سفر بعيد   فمال بنا الطريق إلى زرارة
فآب الناس قد حجوا وبرّوا   وأُبنا مُوقرين من الخسارة

كل يغني على ليلاه

قال أحمد بن خلاد قال : حدثني أبي قال :

قلت لبشار إنك لَتجيءُ بالشيء الهجين المتفاوت

قال : وما ذاك؟

قال قلت : بينما تقول شعراً تُثِيرُ به النَّقْعَ وتخْلَعُ به القلوب

مثل قولك :

إذا مــا غَضِبنــا عَضْبَــةً مُضَرِيَّـــةً هَتكنا حِـجـابَ الشـمس أو تُمْطِرَ الدمَا

إذا مــا أعَرْنــا سَيِّــداً مــن قبيلــةٍ ذُرَى مِنْبــرٍ صلَّــى علينــا وسَلّمَا

تقول :

رَبَابَــةُ رَبَّــةُ البيــــــتِ تَصُــبُّ الخَــلَّ في الزَّيـتِ

لهـــا عَشْــرُ دَجَاجَـــاتٍ ودِيــكٌ حَسَــنُ الصّــوتِ

فقال : لِكُلٍّ وجهٌ وموضعٌ

فالقول الأول جِدٌّ ، وهذا قُلْتُه في ربابة جاريتي

وأنا لا آكلُ البيضَ من السوق ، وربابة هذه لها عشر دجاجات

وديك فهي تجمع ليَ البيض وتحفظه عندها

فهذا عندها من قولي أحسنُ من

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومَنزِلِ . . .

عندك

حاضر الجواب

سأل ثقيل بشار بن برد قائلا : ما أعمى الله رجلا إلا عوضه فبماذا عوضك؟

فقال بشار : بأن لا أرى امثالك . . .!!

فراسة بشار

وكان بشار جالساً على باب داره ، فمر به ابن أخيه مع أصحاب له . فقال : أصحاب ابن أخي هؤلاء أتراك . قيل : من أين علمت؟ قال : لأني لا أسمع لهم حس نعال .

لاذع اللسان

وقيل لبشار : إن فلاناً يزعم أنه لا يبالي بلقاء واحد أو ألف .

فقال : صدق ؛ لأنه يفر من الواحد كما يفر من الألف .

بشار وجواري المهدي

وقالت جواري المهدي له : إن بشاراً لأطيب الناس مفاكهةً ، وهو ضرير البصر ، ولا غيرة بك علينا معه إذ لا يرانا ، فلو أدخلته إلينا؟ ففعل . فبادرنه وطايبنه وقلن : إنك أبونا . فقال : ونحن على دين كسرى ؛ فبلغ ذلك المهدي فمنعه فيما بعد من الدخول عليهن .

أخذه المتنبي فقال :

يا أُخت معتنق الفوارس في الوغى ... لأخوك ثم أرقّ منك وأرحم
يرنو إليك مع العفاف وعنده ... إنّ المجوس تصيب فيما تحكم

من جميل شعر بشار

ومن جيد شعره قوله :

أمن تجنّي حبيب بات غضبان ... أصبحت من سكرات الموت نشوانا
يا قوم أُذني لبعضٍ الحيّ عاشقةٌ ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم ... الأذن كالعين توفي القلب ما كانا
يا ليتني كنت تفّاحاً براحتها ... أو كنت من قضب الريحان ريحانا
حتى إذا استنشقت ريحي وأعجبها ... ونحن في خلوة حوّلت إنسانا
لا تعذلوني فإنّي من تذكّرها ... نشوان هل يعذل الصاحون سكرانا
لم أدر ما وصفها يقظان قد علمت ... وقد لهوت بها في النّوم أزمانا
باتت تناولني فاها فألثمه ... جنّيّة زوّجت في النّوم إنسانا

وقال :

يا قرّة العين إني لا أُسمّيك ... أكني بأُخرى أُسمّيها وأعنيك
أخشى عليك من الجيران واحدةً ... أو سهم غيران يرميني ويرميك
يا أطيب النّاس ريقاً غير مختبر ... إلاّ شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرّةً في الدهر واحدةً ... عودي ولا تجعليها بيضة الديك
يا رحمة اللّه حلّي في منازلنا ... حسبي برائحة الفردوس من فيك
إنّ الذي بات مغبوطاً بنعمته ... كفّ تمسّك أو كفّ تعاطيك
يسرني وجهك المعشوق مقبلةً ... وإن توليت راعتني تواليك
كأنّ مسكاً وريحاناً وغاليةً ... ما بين حجلك أو أعلى ذفاريك

وقال :

لـــم يطـــل ليلـــي ولكـــن لـــم أنم ونفـــى عنـــي الكـــرى طيفٌ ألم
رفّهـــي يـــا عبـــد عنـــي واعلمـــي أنّنـــي يا عبـــد مـــن لحـــم ودم
إنّ لـــي جســـماً ضعيفـــاً ناحـــلاً لـــو تـــوكّـأت عليـــه لانهـــدم
ختـــم الحـــبّ لهـــا فـــي عنقـــي موضـــع الخاتـــم مـــن أهـل الذمم
وإذا قلـــت لهـــــا جـــــودي لـــنا خرجـــت بالصّمـــت من لا ونعم

قال مروان بن أبي حفصة : أنشدني بشار هذه القصيدة فلما بلغ هذا البيت قلت له : جعلني الله فداك أبا معاذ ! هلا قلت : خرست ، قال لي : فض الله فاك ؛ إني إذاً لفي عقلك ! أتطنز علي من أن أجيب بالخرس !

وكان بشار سجاعاً خطيباً صاحب منثور ومزدوج ورجز ورسائل مختارة على كثير من الكلام .

أراجيز بشار

ودخل على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة بن العجاج فأنشده أرجوزة ، ثم أقبل على بشار ، فقال : هذا طراز لا تحسنه يا أبا معاذ . فقال : والله لأنا أرجز منك ومن أبيك ومن جدك . ثم غدا على عقبة من الغد فأنشده أرجوزة أولها :

يا طلـــل الحـــيّ بـــذات الصّمـــد باللّـــه خبّـــر كيـــف كنت بعدي
بـــدت بخـــدٍّ وجلـــت عـــن خـــدّ ثـــم انثنـــت كالنّفـــس المرتـــدّ
وصاحـــــب كالدمّـــــل المـــــدّ حملتـــه فـــي رقعـــةٍ من جلدي
حتـــى اغتـــدى غيـــر فقيـــد الفقد ومـــا درى مـــا رغبتـــي وزهـــدي
الحـــرّ يلحـــى والعصـــا للعبـــــد وليـــس للملحـــف مثـــل الـــردّ

يقول فيها :

اسلـــم وحيّيـــت أبـــا الملدّ والبـــس طـــرازاً غير مستردّ
للّه أيامك في معدّ

وهي طويلة . فأجزل صلته ؛ فلما سمع ابن رؤبة ما فيها من الغريب قال : أنا وأبي وجدي فتحنا الغريب ، وإني لخليق أن أسده عليهم ! فقال بشار : ارحمهم رحمك الله ! قال : أتستخف بي وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر؟ قال : فإذاً أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

في رجل ثقيل

قال في رجل استثقله :

ربما يثقل الجليس وإن كان خفيفاً في كفة الميزان
كيف لا تحمل الأمانة أرض حملت فوقها أبا سفيان

وقال فيه أيضاً :

هل لك في مالي وعرضي معاً وكل ما يملك جيرانيه
واذهب إلى أبعد ماينتوي لاردك الله لا ماليه

بشار والعشق

كان لبشار مجلس يجلس فيه يقال له البردان . فبينا هو في مجلسه ذات يوم وكان النساء يحضرنه ، إذ سمع كلام امرأة يقال لها عبدة في المجلس ، فدعا غلامه فقال : إني قد علقت امرأة ، فإذا تكلمت فانظر من هي وأعرفها ، فإذا انقضى المجلس وانصرف أهله فاتبعها وكلمها وأعلمها أنني لها محب وأنشدها هذه الأبيات وعرفها أني قلتها فيها :

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم
الأذن كالعين توفي القلب ما كان
ما كنت أول مشغوف بجارية
يلقى بلقيانها روحا وريحانا

ويروى : هل من دواء لمشغوف بجارية؟

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وقال فيها :

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي فأضحى به من حبها أثر
أنى ولم ترها تهذي! فقلت لهم إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر
أصبحت كالحائم الحران مجتنباً لم يقض ورداً ولا يرجى له صدر

وقال فيها أيضاً- وهو من جيد ما قال فيها- :

يزهدني في حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتض فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

بشار والنساء

جاءت بنسوة خمس يطلبن شعرا منه ، ينحن فيه على ميت لهن ، فقال : ما أنا بقائل إلا ان تأكلن من طعامي وتشربن من شرابي ، وكانت لديه قناني نبيذ مصفى ، وبعد ممانعة أكلن وشربن ، فبلغ ذلك الحسن البصري[1] ، الذي كان يلقب بالقس ، فعاب عليه فعله ، وذمه ، فقال فيه بشار :

لما طلعن من الرقيق
عليّ بالبردان خمسا
وكأنهن أهلـــة
تحت الثياب زففن شمسا
فسألنني من في البيوت
فقلت ما يحوين أنسا
ليت العيون الناظرات
طمسن عنا اليوم طمسا
فأصبن من طرف الحديث
لذاذة وخرجن مُلسا
لولا تعرضهن لي
يا قسّ كنتُ كأنت قسا

الحب أعمى !

كانت النساء يأتين فيدخلن إلى بشار في مجلسه ليسمعن شعره . فعشِق امرأةً منهن ، وقال لغلامه : عَرِّفها محبتي لها ، واتبعها إذا انصرفتْ إلى منزلها . ففعل الغلام ، وأخبرها بما أمره فلم تُجِبْه إلى ما أحبّ . فتبعها إلى منزلها وظل يتردّد إليه حتى شكته إلى زوجها ، فقال لها زوجها : أجيبيه وعِديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا . ففعلتْ . وجاء بشار فدخل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلَم . فجعل يحدّثها ساعة ، وقال لها : ما اسمُك بأبي أنتِ؟ قالت : أُمامة .

فقال :

أُمامـــةُ قـــد وُصِفْـــتِ لنـــا بِحُسْـــنٍ   وإنّـــــا لا نــــراكِ فَأَلْمِسينـــا .

فأخذت يده فوضَعتها على لحِية زوجِها . ففزع بشار ووثب قائماً فقَبض زوجها

عليه وقال : والله لأفضحنّك!

فقال بشار : كفاني ما فعلتَ بي ، ولستُ والله عائدا إليها أبدا!

مولى المهدي وبشار

كان بشار جالساً في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن للدخول عليه ، فقال أحد موالي المهدي لمن حضر : ما تفسيركم لقول الله عزَّ وجلَّ ﴿وأوحى ربُّك إلى النحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر﴾؟ قال بشار : النحل التي يعرفها الناس . قال : هيهات! النحل بنو هاشم . وقوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانُه فيه شفاء للناس﴾ يعني العِلْم . فقال له بشار : جعل الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم!

سؤال غبي

دخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وبشار بن برد بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ من شعره أقبل عليه يزيد وكأنت فيه غفلة فقال : يا شيخ ما صناعتك؟

فقال بشار : أثقب اللؤلؤ .فضحك المهدي ثم قال لبشار : أغرب ويلك أتتنادر على خالي؟

فقال بشار : ما أصنع به؟يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعرا ويسأله عن صناعته

أعمى يقود بصيراً

ومن طرائف الشاعر بشار ابن برد كان يسير في أحد شوارع بغداد فطلب منه شخص أن يصف له مكان معين فأمسك بشار يده وقال : أنا أدلك به وعندما توسط من السوق انشد هذا البيت .

أعمى يقودُ بصيراً لا أبا لكمُ ... قد ضلَّ من كانت العميان تهديه

حمار بشار

قال بشّار بن برد :

رأيت حماري البارحة في النوم ، فقلت له : ويلك لِمَ متَّ؟

قال الحمار :

أنسيت أنَّكَ ركبتني يوم كذا وكذا وأنَّك مررتَ بي على باب (الأصبهاني) فرأيت أتاناً – حمارة – عند بابه فعشقتها ، حتى متُّ بها كمداً؟

ثم أَنشدني الحمار :

سيِّدي مَل بعَناني نحوَ بابِ الأصْبَهاني
إنَّ بالبابِ أَتاناً فضلت كلَّ أتانِ
تيَّمتني يومَ رِحنْا بثناياهَا الحِسانِ
وبغنجٍ ودلال سلَّ جسمي وبرانِي
ولَهَا خدٌّ أَسيلٌ مثل خدِّ الشيفرانِ
فبها متَ وَلَو عشتُ إذاً طال هوانِي!

فقال له رجل من القوم : وما الشيفران يا أبا معاذ؟

قال بشار : هذا من غريب الحمار ، فإذا لقيته لكم مرَّةً ثانية . سألتهُ .

اختراعات بشار

كان الشاعر بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية ويدخل فيه ما لا حقيقة له وكان يخترع بعض الأسماء اختراعا

فمن ذلك قالوا أنه أنشد يوما شعرا فقال فيه :

غنني للغريض يابن قنان

فقيل له من ابن قنان هذا لسنا نعرفه من مغني البصرة؟

قال : وما عليكم منه! ألكم قبله دين فتطالبوه به أو ثأر تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره؟

قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا وإنما أردنا أن نعرفه

قال : هو رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي

فقالوا : منذ متى؟

قال : مُذ ولد وإلى يوم يموت .

طيّبة عليه حراماً

وكان بشّار الأعمى يرتع ، فبلغ امرأته ذلك ، فعاتبته مراراً فحلف لها . وإنّها سألت عن المكان الذي يمضي إليه فدلّت على امرأة تجمع بين النّساء وبين الرّجال ، فبذلت لها شيئاً وسألتها إذا جاءها بشّار أن تبعث إليها . ففعلت ، وقالت : أبشّار قد وقعت اليوم امرأة من أجمل النّساء ووصفتها له فطرب إليها ، فلمّا خلا بها وخالطها ضربت بيديها في لحيته وشتمته ، وقالت : أين أيمانك الفاجرة؟ فقال لها : لعنك الله ألا تركتني حتّى أقضي حاجتي ، فوالله ما رأيت أبرد منك حلالاً ، ولا أطيب منك حراماً! !

وفاة بشار بن برد

أجمع الرواة أنه مات مقتولاً بأمر من الخليفة المهدي حيث رماه بالزندقة وجملة الخبر أن المهدي حنق على بشار لهجائه له . وأخفى له في صدره كرها عظيماً . وحين زار المهدي البصرة متفقداً أحوالها وصل إلى البطائح ومرّ بدار بشار وكان أبو معاذ على سطح بيته سكراناً . فعلم بحضور المهدي ، وخاف أن يراه على حاله من السكر . فراح بشار يؤذن فقال المهدي : من هذا الذي يؤذن في غير الوقت؟ قالوا : بشار . قال : عليّ به . وحين مثل بين يديه قال : يا زنديق هذا من بذائك . تؤذن في غير الوقت . ثكلتك أمك .ثم أمر بصاحب الزنادقة وهو ابن نهيك وقيل محمد بن عيسى بن حمدويه .فأخرجه معه في زورق . وأمر الجلادين أن يضربوه ضرباً متلفاً . وجعل بشار يقول كلما وقع عليه السوط حَسْ وهي كلمة تقولها العرب عند الألم . فقال بعض الراكبين : انظروا إلى زندقته ما تراه يحمد الله . فقال بشار : أثريدٌ أحمد الله عليه . وضرب سبعين سوطاً حتى مات وألقي من على السفينة . فحمله الموج إلى شاطئ البصرة . فحمله أهله ودفنوه .وما تبع جنازته سوى أمَة سوداء من السند كانت تصرخ وتقول واسيداه . واسيداه . قيل إن أهل البصرة سرّوا لموته . ونجاتهم من لسانه .وهنّأ بعضهم بعضاً وتصدّقوا وأغلب المؤرخين يقولون إن وفاته كانت في السنة الثامنة والستين بعد المائة للهجرة .

ابن الرومي

قال ابن الرومي(١) يصف طعاماً أكله عند أبي بكر الباقطاني :

(١) هو أبوالحسن علي بن العباس بن جريج ، وقيل جورجيس ، المعروف بابن الرومي شاعر من شعراء القرن الثالث الهجري في العصر العباسي

وسميطـــــة صفـــــــراء ديناريّـــة ... ثمنـــاً ولونـــاً زفّهـــا لـــك حـزور
عظمـــت فكـــادت أن تكـــون أوزّة ... وهـــوت فكـــاد إهابهـــا يتفـــطّر
ظلـنـــا نقشّر جلدهـــا عـــن لحمها ... وكـــأنّ تبـــراً عـــن لجـــين يقشر
وتقدّمتهـــــا قبـــــل ذاك ثرائـــــدٌ ... مثـــل الريـــاض بمثلهـــن يصـــدّر
ومرقّقـــات كلّـــهنّ مزخـــــرفٌ ... بالبيـــض منهـــا ملبـــس ومدثّـــر
وأتـــت قطائـــف بعـــد ذاك لطائـفٌ ... ترضـــى اللهـاة بها ويرضى الحنجر
ضحـــك الوجـــوه من الطبرزد فوقها ... دمـــع العيـــون مـــن الدهان يعصّر

هدية متأخرة

طلب الشاعر ابن الرومي من صديق له أن يهديه ثوباً ، فوعده به ، ولكنه أبطأ في إنجاز وعده فقال يعاتبه :

جُـــعلتُ فـــداك ، لم أســـألـكَ ذاك الثـــوب للكفن
ســـأَلتكَهُ لألبـــســـه وروحي بـعـــد فـــي البـدن

في اللوزينج

ولم يقل أحد في اللوزينج(١) أحسن من قول ابن الرومي :

لا يخطئنـــي منـــك لوزينـــجٌ ... إذا بـــدا أعجـــب أو عجّـــبا
لـــم تغلـــق الشهـــوة أبوابهـا ... إلا أبـــت زلفـــاه أن يحجبـا
لو شـــاء أن يذهـــب فـــي صخـــرة ... لسهّـــل الطيّـــب لـــه مذهبـا
يـــدور بالنّفخـــة فـــي جامـــه ... دوراً تـــرى الـــدّهن لـــه لولبـا
عـــاون فيـــه منظـــرٌ مخـــبراً ... مستحســـنٌ ساعـــد مستعذبـــا
مستكثـــف الحشـــو ولكنّـــــه ... أرقّ قشـــراً مـــن نسيـــم الصّبـا
كأنمـــا قـــدّت جلابيبـــه ... مـــن أعـــين القـــطر إذا قبّبـــا
يخـــال مـــن رقـــة خرشائـــه ... شـــارك فـــي الأجنحـــة الجندبا
لـــو أنـــه صـــوّر من خبـــزه ... ثغـــرٌ لكـــان الواضـــح الأشنبـا
مـــن كـــل بيـــضاء يـــودّ الفتـــى ... أن يجعـــل الكـــفّ لـــها مركبـا

(١) من الحَلْوى : شِبه القطائف يُؤْدَم بدُهن اللَّوز

مدهونـــــة زرقـــاء مدفونـــــة شهبـــاء تحكـــي الأزرق الأشهبـا
ملـــذّ عـــين وفـــم حسّنـت وطيّبـت حتـى صبـا من صبا
ذيـــق لـــه اللّـــوز فـــما مـرّة مـــرّت علــى الذائــق إلاّ أبــى
وانتقـــد السكّـــر نقّـــاده وشـــاوروا فـــي نقــده المذهبـــا
فـــلا إذا العـــين رأتـــه نبـت ولا إذا الضـرس عــلاه نـــبا
لا تنكـــروا الإدلال مـــن وامق وجّـــه تلقاءكـــم المطلبـــا

هذه الأبيات يقولها في قصيدة طويلة يمدح بها أبا العباس أحمد بن محمد بن عبيد الله بن بشر المرثدي ويهنيه بابن له ولد ، أولها :

بـــدرٌ وشمـس ولـــدا كوكـبا أقسمـــت باللّـــه لقــد أنجبا

شعر ابن الرومي

وقال أبو عثمان الناجم : دخلت على أبي الحسن وهو يعمل هذه القصيدة ؛ فقلت له : لو تفاءلت لأبي العباس بسبعة من الولد ؛ لأن عباس يجيء منكوساً سابع ، فلو تصور ذلك لجاء المعنى ظريفاً ؛ فقال بديهاً :

وقـــد تفاءلـــت لــه زاجــراً كنيتـــه لا زاجـــراً ثعلبـــا
إنّـــي تأمّلـــت لـــه كنيـــةً إذا بـــدا مقلوبهـــا أعجبـــا
يصوغهـــا العكـس أبـا سابـع وذاك فـــأل لـم يعــد معطبـا
وقـــد أتـــاه منهــم واحـــدٌ فلننتظرهـــم ستّـــة غيّـــبا
فـــي مـــدة تغمرهـــا نعمـة يجعلهـــا اللّــه لـــه ترتبـــا
حتـــى تـــراهً جالســـاً بينهـم أجــلّ مـــن رضوى ومــن كبكبا
كالبــدر وافـى الأرض مـــن نـوره بـــين نجـوم سبعــة فاختبـــا
وليشكـــر الناجـــم عـــن هــذه فإنّهـــا مـــن بعــض مـــا بوّبـــا
أســـدى وألحــمت فـتىً لـــم أزل أشكـــر مـــا أســـدى وما سبّـــبا

وقال يصف الرؤوس والرغفان :

مـــا إن رأينـــا مـــن طعـــام حاضـر نعتــــدّه لفجـــاءة الـــزوّار
كمهيئـــين مـــن الطعـــام أصبحـــا شبهـــاً مـــن الأبـــرار والفجّـــار
روس وأرغفـــــة ضخـــام فخمـــة قـــد أخرجـت مـــن جاحم فوّار
كوجـــوه أهـــل الجنـــة ابتسمت لنا مقرونـــة بوجـــوه أهـــل النـــار

السمك وجبته المفضلة

وكان ابن الرومي منهوماً في المآكل وهي التي قتلته ، وكان معجباً بالسمك ، فوعده أبو العباس المرثدي أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا يقطعها ، فبعث إليه منه يوم سبت ثم قطعه ، فكتب إليه :

ما لحيتاننا جفتنا وأنّى | أخلف الزائرون منتظريهم
جاء في السبت زورهم فأتينا | من حفاظٍ عليه ما يكفيهم
وجعلناه يوم عيد عظيم | فكأنّا اليهود أو نحكيهم
وأرهم مصمّمين على الهجـ | ـر فلم يسخطون من يرضيهم
قد سبتنا فما أتتنا وكانوا | يوم لا يسبتون لا تأتيهم

فاتصل ذلك بالناجم فكتب إليه :

أبا حسنٍ أنت من لا تزا | ل يحمد في الفضل رجحانه
فكم تحسنُ الظنّ بالمرثديّ | وقد قلّل اللّه إحسانه
ألم تدر أن الفتى كالسراب مـ | إذا وعد الخير إخوانه
وبحر السراب يفوت الطلوب مـ | ـفقل في طلابك حيتانه

وخرج ابن الرومي مع بعض إخوانه في حداثته إلى بعض المتنزهات ، وقصدوا كرماً رازقياً ، فشربوا هناك عامة يومهم ، وكانوا يتهمونه في الشعر . فقالوا : إن كان ما تنشدنا لك فقل في هذا شيئاً . فقال : لا تريموا حتى أقول ، ثم أنشد بديهاً :

ورازقيّ مخطف الخصور | كأنّه مخازن البلّور
قد ضمّنت مسكاً إلى الشطور | وفي الأعالي ماء وردٍ جوري
لم يبق من وهج الحرور | إلاّ ضياء في ظروف نور
لو أنه يبقى على الدهور | قرّط آذان الحسان الحور
بلا مزيد وبلا شذور | له مذاق العسل المشور
وبرد مسّ الخصر المقرور | ونكهة المسك مع الكافور
ورقة الماء على الصدور | باكرته والطير في الوكور
بفتية من ولد المنصور | أملأُ للعين من البدور
حتى أتينا خيمة الناطور | قبل ارتفاع الشمس للذرور
فانحطّ كالطاوي من الصقور | بطاعة الراغب لا المقهور

والحدرّ عبـــد الحلــب المشطـــــور حتـــى أتانـــا بضـــروع حـــور
مملـــوءة مـــن عســـلٍ محصـــور والطّـــلّ مثـــل اللؤلـــؤ المنثـــور
ينســـاب مثـــل الحيـــة المذعـــور بـــين سماطـــي شجـــرٍ مسطور
ناهيـــك للعنقـــود مـــن ظهـــور فنيلـــت الأوطـــار فـــيً ســـرور
وكـــل مـــا يقضـــى مـــن الأمور تعلّـــةٌ مـــن يومنـــا المنظـــور
ومتعةٌ من متع الغرور

عن بديهة ابن الرومي

قال الناجم : جلست معه على باب داره وقد أبل من علة ، فمر بنا الحاجب ، فقال : قوما عندي نتحدث اليوم ، وعندي مصوص وأشياء لطيفة لا تضرك ؛ وأشرب مع أبي عثمان بحضرتك ونتآنس يومنا .

فقال : إنا نأتيك الساعة وأبو عثمان فامض ونحن في أثرك ؛ فمضى ولحقناه فحجب عنا ، فانصرفنا وأبو الحسن مغضب ، فدخلت على أبي الحسن في ذلك اليوم ، فوجدت بين يديه قصيدة طويلة جداً أولها :

نجـــاك يابـــن الحاجـــب الحاجب وأيـــن ينجـــو منّـــي الهـــارب

فعجبت من سرعة عمله . وقلت : أعزك الله ؛ متى عملتها؟ قال : الساعة . قلت : وأين مسودتها؟ قال : هي هذه . قلت : وما فيها حرف مصلح . قال : قد استوت بديهتي وفكرتي ، فما أعمل شيئاً فأكاد أصلحه .

سبب موته

وكان سبب موته أنه كان منقطعاً إلى القاسم بن عبيد الله بن وهب ؛ وكان القاسم مغرماً بشعره مستظرفاً له ، محسناً إليه . فقال له أبوه : قد أردت أن أرى من روميك هذا؟ فأحضره وحضر أبوه ، فلما انفض المجلس قال له : كيف رأيته؟ قال : أرى ما يسوءني ولا يسرني ، أرى رجلاً صحيح الشعر ، سقيم العقل ، ومثل هذا لا تؤمن بوادره ؛ وأقل غضبة يغضبها تبقي في أعراضنا ما لا يغسله الدهر ، والرأي إبعاده ، قال : وكيف ذلك بعد اتصاله؟ أخاف أن يظهر ما أضمره ، قال : يا بني ؛ اتبع فيه قول أبي حية :

يقلـــن لهـــا في السرّ هديك لا يرح صحيحـــاً وإلاّ تقتليـــه فألمـــم

فأخبر القاسم بقول أبيه ابن فراس ، وكان أشد الناس عداوةً لابن الرومي . فقال : إنما أشار عليك باغتياله ، وأنا أكفيك أمره ، فسم له لوزينجة وقدم له الجام وهي في أعلاه ، فلما تناولها أحس بالموت ونهض قائماً . فقال له : إلى أين يا أبا الحسن؟ قال : إلى حيث أرسلتني . قال : اصرفوه ، فقد غلب عليه السكر ؛ فخرج وهو لما به ؛ فلقي الناجم فقال :

أبا عثمان أنت عميد قومك وجودك للعشيرة دون لؤمك
تمتّع من أخيك فما أراه يراك ولا تراه بعد يومك

وكان شديد التغير ، سريع الانقلاب ، ضيق الصدر ، قليل الصبر ، مفرط الطيرة غالياً فيها ، وكان عظيم التخوف ، كثير التجسس ؛ يراه من يلقاه كالمتوجس المذعور .

شدة خوفه

ذكر بعض أصحابه قال : كنت أسايره ونحن سائرون ، فلم أنشب أن تراءيته قد ترجل عن دابته بسرعة ، ولجأ إلى بعض الدكاكين وأسلم الدابة ؛ فأمرت من أمسكها وأتيت إليه فقلت : ما بالك يا أبا الحسن؟ وإذا هو يضطرب اضطراباً شديداً ؛ فأمسكت عنه حتى سكن وقام فركب الدابة . فقلت له : ما الذي هاجك؟ قال : أما ترى ذاك؟ وإذا برجل من العامة يحمل ذوبينا وهي عصا في طرفها حديد بشعبتين . فقلت : أراه . فقال : أوما ترى البركار الذي بيده ، ما يؤمنني أن يلويه على عنقي فيفتله .

وحكي عنه : أنه سأل الموفق أو غيره في قدح محكم رآه فأعجبه فوهبه إياه . قال بعض إخوانه : وكنت معه ، وقد خرج من دار السلطان ، فوضعه على رأسه ثم أزاله بسرعة ثم وضعه على ركبته ، ثم رمى به فكسره . فقلت له : ما هذا الخاطر الفاسد؟ قال : وصل إلي هذا القدح وما على وجه الأرض أحب إلي منه ، فوضعته على أشرف أعضائي ! ثم ذكرت قول بعض الحكماء : إن الصاعقة إذا قابلت الشيء الشفاف انحدرت إليه ، فخفت أن تقع علي صاعقة فتهلكني ، ثم وضعته على ركبتي ، فخفت أن تصدمني دابة فينكسر فيدخل في جسمي فيكون سبب علة مزمنة ، وخفت أن يكون الذي دعاني إلى طلبه ما أراده الله بي ، فرأيت الراحة في كسره .

حكايات عن تطيره

وكان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش غلام أبي العباس المبرد في أيام ابن أبي أوفى شاباً مترفاً ، وأديباً مستظرفاً ، وكان يعبث به فيقرع عليه الباب . فيقال له : من بالباب؟ فيقول : قولوا لأبي الحسن : مرة بن حنظلة ؛ فيتطير لقوله ويقيم أياماً لا يخرج من داره ، وكان ذلك سبب هجائه إياه .

وقرع عليه الباب يوماً وقيل : إن البحتري وجه إليه من قرع عليه بابه فقال : من هذا؟ فقال : سخطة الحي القيوم ، والمهل والغسلين والزقوم ، والشيطان الرجيم ، وكل بلاء كان أو يكون ، إلى يوم الدين ؛ فأقام مدةً لم يخرج ، فسأل عنه الموفق ، فقيل : هو في حبس البحتري !

وتخلف أياماً عن بعض الأشراف بسبب طيرة عرضت له ، فبعث إليه غلاماً جميلاً فقرع الباب . فقيل : من؟ قال : إقبال ؛ فخرج فرأى وجهاً مستحسن الصورة حسن الهيئة . فقال له : مولاي يرغب في حضورك ، فمشى معه ثم توجس وبقي باهتاً مطرقاً لا ينصرف ، ثم مشى قليلاً ؛ فلما قارب الجسر انفتل بسرعة شديدة ، ثم مضى على وجهه إلى داره ، فأغلق الباب على نفسه ، وكتب إلى الرجل : تخلفت أطال الله بقاءك عن حظي من لقائك ، لاعدمته لي أياماً ، وأنا أتقلى على جماجم الضجر ، بما جرى به القدر ، من كلام سمعته وأمر توقعته ؛ فأتاني غلام جميل اسمه إقبال ؛ فقلت : هذا حسن ، فخرجت معه ، ثم فكرت أن إقبالاً إذا نكس كان لا بقاء ! فقلت : هذا حسن ، فخرجت معه ، ثم فكرت أن إقبالاً إذا نكس كان لا بقاء ! فقلت : هذا من ذاك ؛ فمشيت معه مقدماً رجلاً ومؤخراً أخرى حتى صرت بالجسر ، فرأيت حبالاً مفتولة قد التوت ، فصار كل واحد منها في صورة لام ألف ، فقلت : هذه تحقق ما ظننت من لا بقاء بقولها : لا لا ، فما حصلت في الدار ، إلا بعد خوف مضي المقدار ، فابسط العذر في التأخر ، والسلام .

وقال علي بن إبراهيم كاتب مسرور البلخي : كنت بداري جالساً بباب الشعير على أسرة نصبت لي في صحن الدار ؛ فإذا حجارة قد سقطت علي ، فبادرت هارباً ، وأمرت الغلام بالصعود إلى السطح والنظر إلى كل ناحية من أين تأتينا؟ فقال لي : امرأة من دار ابن الرومي الشاعر قد أشرفت وقالت : اتقوا الله فينا ، واسقونا جرةً من الماء وإلا هلكنا ؛ فقد مات من عندنا عطشاً ؛ فتقدمت إلى امرأة عندنا ذات عقل ومعرفة بأن تصعد إليها وتخاطبها ففعلت . وبادرت بالجرة وأتبعتها بشيء من المأكول .

ثم عادت وقالت : ذكرت المرأة أن الباب مقفل عليها منذ ثلاث بسبب طيرة ابن الرومي ، وأنه يلبس ثيابه كل يوم ويتعوذ ، ثم يصير إلى الباب والمفتاح بيده ، ثم يضع عينه على ثقب في خشب الباب ، فتقع على جار له كان نازلاً بإزائه ، وكان أعور يقعد كل غداة على بابه ؛ فإذا رآه رجع وخلع ثيابه . وقال : لا يفتح أحد الباب . فعجبت من حديثها ؛ وبعثت بخادم لي كان يعرفه فأمرته بأن يجلس بإزاء بابه ، وكانت العين تميل إليه . وتقدمت إلى بعض غلماني أن يدعو الجار الأعور ؛ فلما حضر عندي أدى الغلام إلى ابن الرومي رسالتي يستدعيه الحضور ، فإني لجالس وعندي الأعور إذ وافى أبو حذيفة الطرسوسي ومعه برذعة الموسوس صاحب المعتضد ؛ ودخل ابن الرومي فلما تخطى عتبة باب الصحن عثر فانقطع شسع نعله فدخل مذعوراً ، وكان إذا فاجأه الناظر رأى منه منظراً يدل على تغير حاله ، فدخل وهو لا يرى جاره المتطير منه . فقلت له : يا أبا الحسن ، ما لك؟ أيكون شيء في خروجك أحسن من مخاطبتك للخادم ونظرك إلى وجهه الجميل؟ فقال : قد لحقني ما رأيت من العثرة ؛ لأني فكرت أن به عاهةً وهي قطع أنثييه . فقال برذعة : وشيخنا يتطير؟ قلت : نعم ! ويفرط . قال : ومن هو؟ قلت : أبو الحسن بن الرومي . قال : الشاعر؟ قلت : نعم ! فأقبل عليه وأنشده :

ولما رأيت الدهر يؤذن صرفه ... بتفريق ما بيني وبين الحبائب
رجعت على نفسي فوطّنتها على ... ركوب جميل الصّبر عند النوائب
ومن صحب الدنيا على جور حكمها ... فأيامه محفوفةٌ بالمصائب
فخذ خلسةً من كل يوم تعيشه ... وكن حذراً من كامنات العواقب
ودع عنك ذكر الفأل والزّجر واطّرح ... تطيّر دار أو تفاؤل صاحب

فبقي ابن الرومي باهتاً ؛ ولم أدر أنه شغل قلبه بحفظ ما أنشده ، ثم قام أبو حذيفة وبرذعة معه ، فحلف ابن الرومي ألا يتطير أبداً من هذا ولا من غيره ، وأومأ إلى جاره . فقلت : وهذا الفكر أيضاً من التطير ، فأمسك . وعجب من جودة الشعر ومعناه في حسن مأتاه . فقلت له : ليتنا كتبناه . فقال : اكتبه فقد حفظته ، وأملاه علي .

ومن الدليل على شدة حذره وعظم تطيره

ومن الدليل على شدة حذره ، وعظم تطير ، قوله لأبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة ، وقد ندبه إلى الخروج وركوب دجلة :

حضضت على حطبي لناري فلا تدع ، ... لك الخير ، تحذيري شرار المحاطب

ومن يلق ما لاقيت من كلّ مجتنــــى　من الشوك يزهد في الثمار الأطايـب
أذاقتني الأسفار مـــا كـــرّه الغنـــى　إلــــيّ وأغرانـــي برفض المطالـب
ومن نكبـــة لاقيتهـــا بعـــد نكبـة　رهبت اعتساف الأرض ذات المناكب
وصبـــري علًــى الإقتار أيسر محملاً　عليّ من التغرير بعــد التجـــارب
لقيـــت مــــن البرّ التباريح بعدمـــا　لقيت من البحر ابيضاض الذوائب
سقيـــت على ريٍّ به ألــف مطـــرةٍ　شغفت لبغضيها بحبّ المجـــادب
ولم أسقها بــل ساقهـــا لمكيدتـــي　تحامق دهر جدّ بـــي كالملاعـــب
أبي أن يغيث الأرض حتى إذا ارتمت　برحلي أتاها بالغيـوث السواكـــب
سقى الأرض من أجلي فأضحت مزلّـة　تمايـــل صاحبهـــا تمايــل شارب
فملـــت إلى خان مـــرثٍ بنــــاؤه　مميل غريق الثوب لهفـان لاغـــب
فمـــا زلت في خوفٍ وجوع ووحشـة　وفـــي سهر يستغرق الليل واصب
يؤرّقنـــي سقـــفٌ كأنـــي تحتـــه　من الوكف تحت المدجنات الهواضب
تـــراه إذا مـــا الطـــين أثقـل متنه　تصـــرّ نواحيـــه صرير الجنادب
وكـــم خان سفرٍ خان فانقضّ فوقهم　كما انقضّ صقر الدجن فوق الأرانب
وما زال ضاحـــي البرّ يضـــرب أهله　بسوطي عذابٍ جامد بعد ذائـــب
ألا ربّ نـــار بالفضـــاء اصطليتهـــا　من الضّحّ يودي لفحها بالحواجـب
فـــدع عنـــك ذكر البرّ ، إنّي رأيتـه　لمن خاف هول البحر شرّ المهـــاوب
ومـــا زال يبغينـــي الحتـوف موارباً　يحوم على قتلي وغيـــر مـــوارب
فطـــوراً يغاديني بلـــصّ مصلّـــت　وطوراً يمسّينـــي بـــورد المشـارب
وأمـــا بـــلاء البحـــر عنـدي فإنه　طواني على روع مع الرّوح واقـــب
ولو ثـــاب عقلي لم أدع ذكر بعضـه　ولكنّـــه مـــن هولـــه غير ثائب
ولـــم لا ولـــو أُلقيت فيه وصخـــرةً　لوافيـــت منـــه القعر أول راسب
ولـــم أتعلّـــم قطّ من ذي سباحـــةٍ　سوى الغوص ، والمضعوف غير مغالب
فأيسر إشفاقي مـــن المـــاء أننـــي　أمـــرّ بـــه في الكوز مرّ المجانـب
وأخشى الرّدى منه على نفس شـاربٍ　فكيف بأمنيه على نفس راكـــب
أظـــلّ إذا هزّتـــه ريـــــحٌ ولألأت　له الشمس أمواجاً طوال الغـوارب
كأنـــي أرى فيهـــنّ فرســـان بهمة　يليحون نحوي بالسيوف القواضب
فـــإن قلت لي قد يركب اليمّ طاميـاً　ودجلـــة عند اليمّ بعض المذانب

لدجلـــة خـــبٌّ ليس لليمّ ، إنهـــا　　ترائـــي بحلم تحته جهل واثـــب
وللبحـــر إنـــذار بعـــرض متونـــه　　وما فيه مـــن آذيّـــه المتراكـــب

من هجاء ابن الرومي

كان أبو الحسن جحظة البرمكي أطيب الناس غناء ، وأحسنهم مجالسة ، وأمتهم مؤانسة ، وكان قبيح المنظر جداً جاحظ العينين وفيه يقول ابن الرومي :

نبئـــت جـــحظ يستعير جحوظـــه　　مـــن فيـــل شطرنج ومن سرطان
يا رحمتـــي لمناديـــــــه تحملـــوا　　ألـــم العـــيون للـــــذّة الآذان

ووصف ابن الرومي أنف عدوه ابن حرب فقال :

لـــك أنفٌ يابن حـــربٍ　　أنفـــت منـــه الأنـــوف
أنت في القُـدسِ تصلـــيً　　وهـــو فـــي البيت يطوف

وقال ابن الرومي في رمضان :

إذا بركـــت فـــي صـــوم لقـــوم　　دعـــوت لهـــم بتطويـــل العذاب
وما التبريـــك فـــي شهـــر طويـــل　　يطـــاول يومـــه يـــوم الحساب
فليـــت الليـــل فيـــه كأن شهـــرا　　ومـــر نهـــاره مـــر السحـــاب

تقشف

قال الشاعر ابن الرومي يهجو أوفى بن منصور وكان الأخير شديد البخل :

ما كنـــت أحســـب أن الخبز فاكهة　　حتـــى نزلت على أوفى بن منصور
يَبْس اليدين فما يستطيع بسطهمـــا　　كـــأن كفيـــه شدا بالمساميـــر
الحابس الروث في أحشـــاء بغلتـــه　　خوفا على الحب من نقر العصافيـر

أبو نواس[1]

أعظم شعراء العصر العباسي وهو أول من طور الشعر وأدخل على الشعر

---

(١) أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي . يكنى بأبي علي وأبي نؤاس والنؤاسي . وعرف أبو نواس بشاعر الخمر . قال البعض انه تاب عما كان فيه وأتجه إلى الزهد وقد انشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك .

التشبيهات ، وكان يحفظ القران الكريم كأنه منسوخ نسخاُ ، وتشتهر أشعاره بالفكاهة ، وقد اجتمع طائفة من الشعراء عند المأمون فقال لهم : أيكم القائل

فلمـــا تحســـاها وقفـــنـــا كأننـــا نـرى قمـرا فـي الأرض يبلغ كوكبا

قالوا أبو نواس

قال : فأيكم القائل :

إذا نــزلت دون اللهـاة مــن الفتـــى دعــا همـــه عــن صدره برحـيل

قالوا أبو نواس

قال : فأيكم القائل :

فتمشـــت فــــي مفـــاصلهـــم كتمشــــي الـــبرء فــي الســقم

قالوا أبو نواس قال : فهو أشعركم

دعاء أبي نواس

دخل أبو نواس كرما فرأى عنقودا مازال حصرما فاستقبل القبلة وأنشأ يدعو قائلا : اللهم سود وجهه واقطع حلقه واسقني دمه!!

مادامت تحملك قدماك

سأل رجل أبو نواس : إذا شيعنا جنازة ، نسير أمامها أفضل أم نسير خلفها؟

فقال : إذا لم تكن في النعش ، أمش حيث شئت !

ولما بدا لي أنها لا تحبني

عن علي بن عبد الله الجعفري ، وكان شاعراً وأديباً ، قال : كنت أجلس بالمدينة وأنشد أشعاري ، فحجّ أبو نواس فلمّا صار إلى المدينة وأنا ذات يوم أنشد ، والنّاس مجتمعون علي ، إذ دخل أبو نواس . فرأيته من بين النّاس ثمّ قال : يًا هذا ألا تنشد بيتيك اللذين تكشّحت فيهما؟ فقلت : وما هما . قال : اللذان تقول فيهما :

ولمّا بـــدا لـــي أنهـــا لا تحبّنــــي وأن هواهـــا ليـــس عنّي بمنجلي

تمنّيـــت أن تبلـــي بغيـــري لعلّهـــا تـــذوق حــرارات الهوى فترقّ لي

قلت : أفلا أنشدك بيتي اللذين أتغاير فيهما؟ قال : بلى . فأنشدته :

ربّمـــا سرّنـــي صـــدودك عنّـــي وطلابيـــك وامتناعـــك منّـــي

حــــذراً أن يكـــون مفتـاح غيـــري   فــــإذا ما خلـــوت كنـت التّمني

قال : فسألت عنه . فقيل لي أبو نواس .

وصفات نواسيّة

قيل : جاء رجل إلى أبي نواس يمازحه ، فقال له يا أبا نواس ، إنَّني مريض بجملة أمراض وأَريد أن أُخبرك بها لعلَّك تصفُ لي الدواء الشافي ، فقال : قلْ عساني أجِد لك خير دواء يشفيك . . .

فقال الرجل : إنّني أشعر أنَّ بشعر ذقني مغص ، وأشعر أنَّ ما آكله من الطيِّبات ينزل خبيثاً من أسفل ، وبباطني ظلمة . . فهل لذلك دواءُ؟ فقال أبو نواس : أمَّا ما بشعرِ لحيتكَ من المغص فعليك بالموسى ، وأمَّا ما تأكله من الطيِّبات فينزل خبيثاً من أسفلَ ، فكُلْ خبيثاً ينزل طيباً ، وأما ما تراه من الظلمة في جوفك ، فعليك بفانوس تعلِّقه على باب بدنِك حتَّى يضيءَ لك جوفك؟ فضحك الناس عليه وانصرف الرَّجل خجولاً .

فتح اللهُ عليكَ

قيل : ذهب أبو نواس مع رجل بخيل ليستأجر له داراً للسَّكن . . . فلمّا وقف بباب الدَّار أقبل سائل فقير عليه هيئة العُدم ، وتقدَّم من البخيل وقال له : حسنة لله يا مولاي . . . فقال له فتح الله عليك . . فذهب في سبيله . . وبينما هما واقفان جاء آخر وقال : صدقة يا سيِّدي ممَّا أَعطاك الله . فقال البخيل : حنَّنَ الله عليك ، سِر في طريقك . . فمضى السائل ، وبعد برهة جاء ثالث فصرفه أيضاً ، وجاء رابع فقال : أعطِيني يا سيِّدي ممَّا أعطاك الله . . . فقالَ البخيل : اللهُ يعطيك . فمضى الرجل .

والتفتَ الرجل إلى أبي نواس وقال : لقد أَعْجَبَنِيْ البيت لولا كثرة السائلين في هذه الجهة ؛ فقال أبو نوّاس : لا خوف عليك يا سيِّدي منهم ما دمتَ تحفظ هذه الجملة التي تصرفهم بها . . . وليس يضرُّك من أمرهم شيئاً مهما كثروا أو قلّوا .

فخجل الرّجل وذهب دون أن يستأجر البيت .

زجاجة الخمر

قيل : مرَّ الرشيد ذات يوم بأسواق المدينة ومعه جماعة من أتباعه ، فالتقى بأبي

نواس ، وكان يحمل زجاجة من الخمر . . فقال له : ما هذا الذي بيدك يا أبا نواس؟

فخجل أبو نوّاس ومدَّ يده الثانية من خلف ، فتناول بها الزجاجة ، ومدّ يده التي كانت بها الزجاجة ، إلى الخليفة وقال : لا شيء يا أمير المؤمنين .

فقال الخليفة : أرني يديك الثاني ، فوضع الزجاجة في يده الأولى ، وقدَّم يده الثانية وقال : ها هي ، وليس بها من شيء . وقلب أصابعه ، فقال له الخليفة : أرني الاثنتين معاً ، فتقدَّم إلى الحائط ، فوضع الزجاجة وضغط عليه بظهره ورفع يده إلى أعلى وقال : ها هما يداي معاً يا أمير المؤمنين . . ألا تصدِّقني بعد ذلك؟

فقال له الرّشيد : تقدَّمْ مني . . . فقال أبو نواس : ألا تخاف الفضيحة ، فلو أَنِّي تحرّكتُ لانكَسَرَتْ ، فضحك الرشيد منه وقال له : خذ زجاجتك أيُّها الخبيث وانصرِف .

قصة أبي نواس مع شاعر الأندلس

كان عباس بن ناصح ، الشاعر الأندلسي ، لا يَقْدم من المشرق قادمٌ إلا سأله عمَّن نَجَمَ هناك في الشعر ، حتى أتاه رجل من التجار فأعلمه بظهور أبي نواس ، وأنشده من شعره قصيدتين ؛

إحداهما قوله : جَرَيْتُ مع الصِّبا طَلْقَ الجُمُوحِ

والثانية : أما ترى الشمس حَلَّت الحَمَلا

فقال عباس : هذا أشعرُ الجن والإنس . واللّه لا حبسني عنه حابس .

فتجهَّز إلى المشرق . فلما حلَّ بغداد نزل منزلة المسافرين ، ثم سأل عن منزل أبي نواس ، فأُرشد إليه ، فإذا بقصر على بابه الخُدَّام . فدخل مع الداخلين ، ووجد أبا نواس جالسًا في مقعد نبيل ، وحولَه أكثرُ متأدّبي بغداد ، يجري بينهم التمثل والكلام في المعاني . فسلّم عباس وجلس حيث انتهى به المجلس ، وهو في هيئة السفر .

فلما كاد المجلس ينقضي ، قال له أبو نواس : مَن الرجل؟

قال : باغي أدب .

قال : أهلاً وسهلاً . من أين تكون؟

قال : من المغرب الأقصى . وانتسب له إلى قرطبة .

فقال له : أَتَرْوي من شعر أبي المخشيّ شيئًا؟

قال : نعم .
قال : فانشِدني .
فأنشده شعره في العمى .
فقال أبو نواس : هذا الذي طَلَبَتْه الشعراء فَأَضَلَّتْه . أنشِدني لأبي الأجرب .
فأنشده .
ثم قال : أنشدني لبكْر الكنانيّ .
فأنشده .
ثم قال أبو نواس : شاعر البلد اليوم عباسُ بن ناصح؟
قال عباس : نعم .
قال : فأنشدني له .
فأنشده : فَأَدْتُ القَريض ومَنْ ذا فَأَدْ
فقال أبو نواس : أنت عباس؟
قال : نعم!
فنهض أبو نواس إليه فاعتنقه إلى نفسه ، وانحرف له عن مجلسه .
فقال له مَن حضَر المجلس : من أين عرفَته أصلحك اللّه؟
قال أبو نواس : إني تأمّلته عند إنشاده لغيره ، فرأيته لا يُبالي ما حدث في الشعر من استحسان أو استقباح . فلما أنشدني لنفسه استَبَنْتُ عليه وَجْمَةً ، فقلت : إنه صاحبُ الشِّعر!

أبو نواس وجارية الأمير

حدث أبو جعفر قال : بينا محمد بن وردية الأمين يطوف في قصر له ، إذ مر بجارية له سكرى ، وعليها رداء خز تسحب أذياله ، فراودها عن نفسها ،
فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا على حال ما ترى ، ولكن إذا كان من غد إن شاء الله .
فلما كان من الغد مضى إليها ،
فقال لها : الوعد .
فقالت له : يا أمير المؤمنين : أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار؟
فضحك ، وخرج إلى مجلسه ،

فقال : من بالباب من شعراء الكوفة؟
فقيل له : مصعب والرقاشي وأبو نواس .
فأمر بهم فأدخلوا عليه ، فلما جلسوا بين يديه
قال : ليقل كل واحد منكم شعراً يكون آخره : «كلام الليل يمحوه النهار»
فأنشأ الرقاشي يقول :

متـــى تصحـــو وقلبـــك مستطار ... وقـــد منـــع القـــرار فـلا قرار
وقـــد تركتـــك صبـــاً مستهامـــاً ... فتـــاة لا تـــزور ولا تـــزار
إذا استنجزت منها الوعـــد قالـــت ... كـلام الليـــل يمحـــوه النهـــار

وقال مصعب :

أتعذلنـــي وقلبـــك مسـتطـــار ... كئيـــب لا يقـــر لـــه قـــرار
بحـــب مليحـــة صـــادت فؤادي ... بألحـــاظ يخالطـــها احـــورار
ولمـــا أن مـــددت يـــدي إليهـــا ... لألمسهـــا بـــدا منهـــا نفـــار
فقلـــت لهـــا عدينـــي منك وعداً ... فقالـــت فـــي غـــد منك المزار
فلما جئـــت مقتضـــياً أجابـــت ... كـلام الليـــل يمحـــوه النهـــار

وقال أبو نواس :

وخـــود أقبلـــت في القصر سكرى ... ولكـــن زيـــن السكـــر الوقـــار
وهـــز المشـــي أردافـــاً ثقـــالاً ... وغصنـــا فيـــه رمـــان صغـــار
وقـــد سقـــط الـــردا عن منكبيها ... مـــن التجميـــش وانحل الإزار

فقلت : الوعد سيدتي . فقالت : . . . كلام الليل يمحوه النهار
فقال له : أخزاك الله ، أكنت معنا ومطلعاً علينا؟
فقال : يا أمير المؤمنين عرفت ما في نفسك فأعربت عما في ضميرك .
فأمر له بأربعة آلاف درهم ، ولصاحبيه بمثلها .

خشية أن يمسخني الله مثلك

مر عثمان بن حفص الثقفي وكان قبيح جداً بأبي نواس وقال له : مالي أراك مصفراً؟

فقال أبو نواس : رأيتك فذكرت ذنوبي وخفت أن يعاقبني الله فيمسخني مثلك!

والي القردة والخنازير

كأن أبو نواس خارجاً من دار الخلافة فتبعه الشاعر الرقاشي[(١)] وقال له
أبشر يا علي أن الخليفة قد ولاّك في هذه الساعة ولاية
قال أبو نواس : وما هي ويلك
قال الرقاشي . . ولاّك على القردة والخنازير
فقال أبو نواس إذاً اسمع وأطع

تهكم

قال أبو نواس (وهو الشاعر الفارسي الأصل) يتهكم بالشعراء العرب الأوائل
الذين يفتتحون قصائدهم غالبا بمشهد الوقوف على الأطلال :
قل لمن يبكي على رسم درس
واقفا ماضر لو كأن جلس .!

هجاء بخيل

قال أبو نواس يهجو الفضل :
رأيت الفضل مكتئبًا يناغي الخبز والسمكا
فأسبل دمعة لما رأني قادمًا وبكى
فلما أن حلفت له بأني صائم ضحكا

جارية الحائك الأحمق

قال أبو نواس دعاني يوما بعض الحاكة ، وألح علي ليضيفني في منزله ، ولم يزل بي حتى أجبته ، فسار إلى منزله وسرت معه ، فإذا منزل لا بأس به ، وقد احتفل الحائك فلم يقصر ، فأكلنا وشربنا ، ثم قال : يا سيدي ، أشتهي أن تقول في جاريتي شيئا من الشعر وكان مغرما بجارية له قال أبو نواس فقلت : أرنيها حتى أنظم على شكلها ، وحسنها . فكشف عنها الحجاب ، فإذا هي من أسمج خلق الله وأوحشهم ،

(١) الفضل الرقاشي الفضل بن عبد الصمد الرقاشي . شاعر عباسي ، مولى ربيعة ، نشأ بالبصرة وقدم بغداد وانقطع للبرامكة . كان هجاءً سليط اللسان وقد ناقض أبا نواس .

سوداء شمطاء ديدانية يسيل لعابها على صدرها فقلت لسيدها : ما اسمها؟ فقال : تسنيم . فأنشأت أقول

أسهر ليلي حب تسنيم جارية في الحسن كالبوم
كأنما نكهتها كامخ أو حزمة من حزم الثوم
وضرطت من حبي لها ضرطة أفزعت منها ملك الروم

قال : فقام الحائك يرقص ويصفق سائر يومه ، ويفرح ويقول : شبهها والله بملك الروم .

شعر بلا قافية

اختبر الخليفة الأمين مرةً أبا نواس فقال له :

يا أبا نواس هل تصنع شعراً لا قافية له!؟

قال أبو نواس :

نعم ، وصنع من فوره ارتجالاَ

ولقد قلتُ للمليحة قُولي من بعيدٍ لمن يُحبكِ (مُجْ مُج)

وما بين القوسين هو صوت القُبلة .

فأشارت بمعصم ثم قالت من بعيدٍ خلاف قولي (نُجْ نُجْ)

وما بين القوسينً هو صوت الامتناعً والرفض بمعنى لا لا .

فتأملتُ ساعةً ثم إني قلتُ للبغل عند ذلك (چُچ چُچْ)

وما بين القوسين هو صوت زجر البغل ليتحرك ويمشي

فتعجب جميع من حضر المجلس من حسن نظمه ووصله الأمين وأجزل له الصلة .

رهان الخليفة

قال هارون الرشيد لأبي نواس :

يا أبا نواس : إن تبت ليلة (وانت عريان) على سطح القصر فلك ألف دينار . فقال أبو نواس في سره (عندما يذهب الخليفة للنوم أنزل عن السطح وأصعد عليه قبل أن يستيقظ من النوم بقليل فاكسب الرهان) فأجاب أبو نواس بالقبول .

ثم خلع أبو نواس ثيابه وبدأ يصعد درجات السلم ، وبدأ برد مدينة بغداد يقرصه ، وعندما أصبح أبو نواس على سطح القصر أبعد الخليفة السلم وذهب للنوم .

بقي أبو نواس على سطح القصر حتى الفجر وازرق جسده من شدة البرد ، حتى

جاء أمير المؤمنين ووضع السلم على الجدار .

نزل أبو نواس وكان يرتجف من شدة البرد ، وبعد أن دفئ قليلا

قال : يا أمير المؤمنين أين مبلغ الرهان؟ .

فقال أمير المؤمنين : يا أبا نواس ألم تدفئ نفسك خلال الليل ،

فقال أبو نواس : كيف يا أمير المؤمنين؟

فقال الرشيد : ألم ترى نارا أو نورا؟

فقال أبو نواس : لقد رأيت نورا ولكنه كان بعيدا جدا .

فقهقه الرشيد وقال : لقد خسرت الرهان يا أبا نواس فقد تدفأت على ذلك النور .

سكت ابو نواس وقبل الهزيمة على مضض .

وبعد أن مرت عدة أسابيع جاء أبو نواس إلى أمير المؤمنين ودعاه إلى وجبة غداء في مزرعته الواسعة . قبل أمير المؤمنين الدعوة وذهب إلى المزرعة مع رهط من جلسائه . انتظروا فترة من الزمن

ثم قال أمير المؤمنين : يا أبا نواس أين الطعام؟

فقال أبو نواس : على النار يا أمير المؤمنين .

وبعد فترة قال الرشيد : يا أبا نواس أرني الطعام الذي على النار . فأخذه أبو نواس إلى مكان طهي الطعام . وكانت القدر معلقة على الشجرة والنار على الأرض ، فقال أمير المؤمنين : يا أبا نواس كيف سينضج هذا الطعام وهو بعيد عن النار؟

فأجابه أبو نواس : كما تدفأت على نار بعيدة عني يا أمير المؤمنين

فضحك هارون الرشيد وامر له بمبلغ الرهان .

الضيف الطارق

ويحكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أرق ذات ليلة فقام يتمشى في قصره بين المقاصير ، فرأى جارية من جواريه نائمة فأعجبته ، فداس على رجليها فانتبهت فرأت أمير المؤمنين ، فاستحيت منه وقالت : يا أمين الله ما هذا الخبر .

فأجابها بقوله :

قلت : ضيــــف طــــارق في أرضكم　　　هــــل تضيفــــوه إلى وقت السحر

فأجابته تقول :

بســـــرور وهنـــــاء سيــــدي أخـــدم الضيـف بسمعي والبصر

فبات عندها إلى الصباح ، فسأل أمير المؤمنين من بالباب من الشعراء؟ قيل له : أبو نواس . فمر به فدخل عليه . فقال : هات علي يا أمين الله ما هذا الخبر ، فأنشأ يقول :

طـــال ليلـــي حين وافاني السهـــر فتفكـــرت فأحسنـــت الفكـــر
قمـــت أمشـــي في المجالي ساعـــة ثـــم أجـــري في مقاصير الحجر
فـــإذا وجـــه جميـــل مشـــرقٌ زانـــه الرحمـــن مـــن بين البشر
فلمســـت الرجـــل منـــها موطـئاً فدنـــت منـــي ومـــدت للبصر
وأشـــارت لـــي بقـــول مفصـــح يا أمـــين الـــله مـــا هذا الخبر؟
قلـــت : ضيـــف طارق في أرضكم هـــل تضيفـــوه إلى وقت السحر
فأجابـــت بســـــرور سيـــدي أخـــدم الضيف بسمعي والبصـــر

قال : فتعجب أمير المؤمنين من ذلك وأمر له بصلة .

أبو نواس والرشيد والخيزران

وذكر الخطيب في بعض مصنفاته أن الرشيد دخل يوماً قبل وقت الظهر ، في مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها ، فوجدها تغتسل ، فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيئاً ، فأعجبه ذلك الفعل واستحسنه ، ثم عاد إلى مجلسه وقال : من بالباب من الشعراء؟ قالوا له : أبو نواس وبشار .

فقال : ليحضرا جميعاً .

فأحضرا ، فقال الرشيد ليقل كل منكما أبياتاً توافق ما في نفسي ، فأنشأ بشار يقول :

تحببتكـــم والقلـــب صـــار إليكم بنفســـي ذاك المنـــزل المتحبـــب
إذا ذكروا الهجـران لا عـــن ملالـــة وذكراهـــم ، ينمـــي إلي محبب
وقالـــوا تجنبنـــا ، ولا قـــرب بيننـاً فكيـــف وأنتـــم حاجتي تتجنبوا
على أنهـــم أحلـى من الشهد عندنا وأعذب من ماء الحيـــاة وأطيـــب

فقال : أحسنت ، ولكن ما أصبت ما في نفسي ، فقل أنت يا أبا نواس ، فجعل يقول :

نضـــت عنها القميص لصب مـــاء فـــورد خدهـــا فـــرط الحيـــاء

وقابلت الهواء ، وقد تعرت بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة ، كالماء منها إلى ماء معد في إناء
فلما أن قضت وطراً وهمت على عجل إلى أخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على التداني فأسبلت الظلام على الضياء
فغداب الصبح منها تحت ليل وظل الماء يقطر فوق ماء
فسبحان الإله وقد براها كأحسن ما يكون من النساء

فقال الرشيد : سيفاً ونطعاً .

فقال له : ولم يا أمير المؤمنين؟ قال : أمعنا كنت؟ قال : لا والله ولكن شيء خطر ببالي .

فأمر له بأربعة آلاف درهم وصرفه .

الديك والدجاج

قيل : بينما كان أمير المؤمنين هارون الرشيد في مجلسه وعن يمينه ويساره الوزراء والعظماء من أهل مملكته وأصحاب الرأي عنده . دخل عليه حاجبه معلنا قدوم أبي نواس ، فقال الخليفة : دعه ينتظر قليلا . ثم نظر إلى جلسائه وقال : هذه فرصة سانحة نضحك فيها على أبي نواس ويجب أن أستحضر لكل منكم بيضة تخبوئنها في طيات ثيابكم حتى إذا دخل أبو نواس ، يتكلم كل واحد منكم بكلام فيتكلم أحدكم كلمة أغضب عليكم عند سماعها ، وأقول : يا لكم من ضعاف مثل الفراخ . تالله أذا لم تفعلوا مثل الدجاج ويبيض كل منكم بيضة لأقطعن رقابكم . فقالوا : سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين . وعندئذ طلب الخليفة الحاجب وقال له : اذهب فاستحضر ست بيضات ، ولا تدع أحدا يراك ، خصوصا أبو نواس ، فخرج الحاجب . وعاد منفذا أمر الخليفة وأعطى لكل من الجالسين بيضة ، خبأها بين طيات ثيابه ، وجلسوا ينتظرون . ودخل أبو نواس فسلم على أمير المؤمنين سلام الخلافة ، وأظهر الرشيد انتباهه إلى حديث جلسائه ، ونطق أحدهم بكلمة . فغضب منها الرشيد غضبا شديدا فصاح بهم : ويحكم أيها الجبناء إنكم مثل الدجاج ، ولا أجد فرقا بينكم وبينهم والله وإن لم يبض كل منكم بيضة لأقطعن رقابكم . فأظهروا الاضطراب والخوف ، وأخذوا يفعلون كما تفعل الفراخ . وبعد قليل مد الأول منهم يده إلى مؤخرته ، فأخرج بيضة وقال : ها هي بيضتي يا أمير المؤمنين وأعقبه الثاني

والثالث إلى السادس ، وكان الخليفة يقول لكل من يقدم بيضه : قد نجوت . ولما جاء دور أبو نواس وقف على قدميه ومشى حتى توسط الجميع ، وصار أمام الخليفة وجها لوجه ، ثم صار يقول : كاك ، كاك ، كاك . كما يفعل الديك بين زوجاته الدجاج ، ثم ضرب إبطيه على بعضهما ، وصاح بأعلى صوته كما يفعل الديك تماما ، وقال كوكو ، كو . فقال الخليفة : ما هذا يا أبو نواس . فقال أبو نواس : عجباً يا أمير المؤمنين ، هل رأيت دجاجا تبيض من غير ديك هؤلاء فراخك وأنا ديكهم . فضحك الخليفة حتى كاد يسقط عن كرسيه ، وقال له : يا لك من خبيث ماكر ، تالله لولم تكن فعلت ذلك لعاقبتك ، ثم أمر له بهدية .

الزجاجة الخجول

شاهد الرشيد أبا نواس ، وفي يده زجاجة من الخمر ، فسأله : ماذا في يدك يا أبا نواس

فأجاب : زجاجة لبن يا أمير المؤمنين .

فقال الخليفة : هل اللبن أحمر اللون

فقال : أحمرت خجلا منك يا أمير المؤمنين .

فأعجب الخليفة من بداهته ، وعفا عنه

قاضي المنافقين

طلب رجل من ابي نواس حاجة فوعده بقضائها والحضور بها إلى منزله في صباح اليوم التالي . جلس الرجل في منزله ينتظر ابا نواس منذ طلوع الشمس حتى الغروب ولم يحضر إليه أبو نواس بعد فأغتاظ غيظا شديدا .

وتصادف أن تقابل مع ابي نواس في مساء اليوم التالي فقال له الرجل : إنني لم أر إنساناً أكذب منك ولو علم أمير المؤمنين بحقيقتك لجعلك قاضياً للمنافقين .

وقال ابا نواس ضاحكا : صدقت في قولك إنني فعلا أصلح لهذا المنصب فهل لديك شكوى تعرضها علي؟؟؟؟

فلم يجد الرجل بدأ بالضحك على سرعة بداهة أبي نواس ثم انصرف

قلعت عيناه فأبصر

تذكر الرواية أن أحد الشعراء ويقال أنه أبو نواس دخل على الخليفة ويقال أنه

هارون الرشيد فوجده جالساً وإلى جانبه جارية سوداء تدعى خالصة عليها من الحلي وأنواع الجواهر مالا يوصف فصار الشاعر الذي يمتدح الخليفة الذي كان منشغلاً عنه بجاريته خالصة فلم ينتبه إلى قصيدته ويبدو أنه لم يكافئه عليها فلما خرج الشاعر من مجلس الخليفة وكتب على باب الخليفة :

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع در على خالصة

وخالصة كما ذكر جارية سوداء مطوقة بالحلي عاطلة من الجمال وضاعت روعة الجواهر أمام جمال خالصة المتواضع لكن الخليفة كان يحبها .سمع أو قرأ البيت السابق بعض رجال الخليفة ونقله للخليفة فغضب من لذلك وأمر بإحضار الشاعر وعاتبه على بيته وهم بالفتك به فقال الشاعر : يا أمير المؤمنين كذبوا وإنما قلت :

لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء در على خالصة .

الأعرابي وأبو نواس

قال إبراهيم بن عمر : خرج أبو نواس في أيّام العشر يريد شراءَ أضحية ، فلمّا صار في المربد إذا هو بأعرابي قد أدخل شاةً له يقدمها كبشٌ فارهٌ ، فقال : لأًجرِّبنّ هذا الأعرابي فأنظر ما عنده ، فإني أظنّه عاقلاً ؛ فقال أبو نواس :

(أيا صاحب الشّاة الّتي قد تسوقها بكم ذاكم الكبشٍ الذي قد تقدّما)

فقال الأعرابيّ :

(أبيعكه إن كنت ممّن يريده ولم تكُ مزّاحاً بعشرين درهما)

فقال أبو نواس :

(أجدت رعاًك الله ردَّ جوابنا فأحسن إلينا إن أردت التّكرما)

فقال الأعرابي :

(أحطُّ من العشرين خمساً فإنّني أراك ظريفاً فأقبضنه مسلماً)

قال : فدفع إليه خمسة عشر درهماً ، وأخذ كبشاً يساوي ثلاثين درهماً .

المكيدة الناجحة

قيل أن الرّشيد خرج يوماً إلى الصيد ومعه حاشيته وكان من بين أفراد الحاشية أبو نواس .

ثم ذهب كلٌّ إلى عمله المخصّص له ، وبقي في الصيوان الذي ضُرب للخليفة :

خادم الخليفة ، وطاهي الطعام وكان يدعى فرحات وأبو نواس ، ولّما انتصف النّهار جاع أبو نواس جوعاً شديداً فأقبل على فرحات وقال : أطعمني الآن لأنني أكاد أموت من الجوع ، فقال فرحات : لا أطعم أحداً حتى يعود أمير المؤمنين ، فقال أبو نواس . يجب أن تطعمني لأنّني لا أستطيع الانتظار طويلاً ، فأجابه : قلت لك إنّني لا أطعمك قبل أمير المؤمنين .

فقال أبو نواس : تأكّد بأنّك إذا لم تطعمني فسأكيدنّ لكّ كيداً موجعاً ، فقال فرحات افعل ما بدا لك . . فتركه أبو نواس ، وقد أضمر له الشرّ . . وكان بالقرب من الصيوان بعض الأعراب الرُّحل ، فذهب إليهم وقال : ألا تشترون مني غلاماً عربياً إذا قال لكم : أنا حر ، فلا تصدّقوه ، وإذا كنتم ستتركونه إذا قال لكم ذلك فأخبروني ، كي لا أبيعه لكم ، وأبحث عن غيركم ، فقالوا له : لا نصدّقه مهما قال ، ونشتريه منك على عيبه بهذه الناقة ، فقال أبو نواس ، قبلت الثمن ، بارك الله لكم فيه ، ثم ساق الناقة أمامه ، والقوم خلفه ، حتى وصلوا إلى حيث فرحات فأشار لهم عليه ، وكان واقفاً أمام المرجل يهيئ الطعام لمولاه أمير المؤمنين فقال لهم أبو نواس : ها هو امسكوه . فتقدّم الأعراب وأمسكوه وقالوا له : يجب أن ترافقنا أيّها المبارك فقد باعك لنا مولاك ، فصاح بهم فرحات : ويلكم ، أنا حرٌّ لا أباع ، وهذا رجل منافق كذّاب ، فقال له رئيسهم : ويحك يا رديء الطبع ، إن هذا الذي تقوله الآن قد حذّرنا منه مولاك قبل أن نشتريك منه ، هيّا معنا ، وإلاّ أخذناك قسراً وضربناك بالسّياط ، فأبى أن ينصاع لهم . . فجعل أحدهم الحبل في عنقه وربطوه كما تربط الماشية وجروه بعنف ، وهو يصرخ ويصيح ويقول لهم : اتركوني ، إنّ هذا الخبيث الذي باعني لكم كذّاب مهزار ليس له هنا أيُّ شيء ، فقالوا له ، ويلك أيها العبد العنيد ، هيّا . . . تعالَ معنا . . وصاروا يسحبونه بالقوة وهو يمتنع من الذَّهاب معهم أشدّ الامتناع ، وبينما هم كذلك ، إذا بأمير المؤمنين مقبل من الصيد ، فلمّا سمع الضجّة سأل عن الخبر ، فأخبروه أن أبا نواس باع فرحات لبعض الأعراب ، فضحك حتى كاد يسقط عن جواده ، وقال : لا بارك الله في أبي نواس .

ثمّ تقدم من الأعراب وقال لهم : اتركوا هذا الغلام وخذوا ناقتكم وفوقها ألف درهم . . إنّه حرٌّ لا يباع ، وكلُّنا نشهد بذلك ، فأخذ الأعراب الناقة والدراهم وانصرفوا ، وفكَّ رباط فرحات وأبو نواس واقف يضحك منه ، ولّما عاد الخليفة إلى بغداد من رحلته ، سأل أبا نواس عمّا حمله على أن يفعل بفرحات هذا الفعل ،

فقال : الجوع يا أمير المؤمنين ، لقد أقسمت أن أنتقم منه لأنه لم يطعمني ، فبالله سلْهُ هل اغتاظ أم لا؟ ، فقال الرشيد : وإذا كان غير مغتاظٍ منك فماذا أنت صانع؟ فأجاب : أصنع معه أ :ثر ممّا صنعت ، وأقسم برأس أميـرِ المؤمنين على ذلك ، ولا أحنث بهذا القسم أبداً ، فقال فرحات : عفواً يا أمير المؤمنين ، احمني منه ، إنه يقول ويفعل ، فضحك الخليفة منهما وأمر لكلّ واحدٍ منهما بجائزة .

العامي الظريف

خرج الرشيد يوماً في ثياب العوام ومعه يحيى بن خالد[1] وخالد الكاتب وإسحاق بن إبراهيم الموصلي وأبو نواس وعليهم ثياب العامة ، فنزلوا سهرية مع ملاّح غريب اختلاطا بالعوام . فنزل معهم عامي ، فثقل على الرشيد ، وهمّ بإخراجه وعقوبته ، فقال أبو نواس : عليّ إخراجه من غير إساءةٍ إليه ؛ فقال أبو نواس للجماعة : عليّ مأكولكم من اليوم وإلى يوم مثله ؛ فقال الرشيد : وعليّ مشروبكم من اليوم وإلى يوم مثله ؛ وقال يحيى : عليّ مشمومكم من اليوم وإلى يوم مثله ؛ وقال خالد : عليّ بقلكم من اليوم إلى يوم مثله ؛ وقال إسحاق : عليّ أن أغنيكم من اليوم إلى يوم مثله ؛ ثمّ التفت أبو نواس إلى الرجل ، فقال : ما الذي لنا عليك أنت؟ فقال : عليّ أن لا أفارقكم من اليوم إلى يومٍ مثله ؛ فقال الرشيد : هذا ظريفٌ لا يحسن إخراجه ، فصحبهم في تفرّجهم بقيةً يومهم .

الرشيد يأمر بقتل أبي نواس

ويحكى أن هارون الرشيد أمر بقتل أبي نواس فقال : أتقتلني شهوةً لقتلي؟ فقال : لا ، بل أنت مستحق للقتل .

قال : فيم استحقيت القتل؟

قال : بقولك :

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر

فقال : يا أمير المؤمنين ، أفتعلم أنه سقاني وشربت؟

(١) حيى بن خالد البرمكي كان كاتب هارون الرشيد قبل أن يلي الخلافة ، ثم أصبح وزيره بعد أن تولاها ، وأصبح هو وأولاده الفضل وجعفر من علية القوم في الخلافة الرشيدية .

فقال له أمير المؤمنين : أظن ذلك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أفتقتلني على الظن ، وقد قال الله تعالى : «إن بعض الظن إثم» .

فقال له الرشيد : قد قلت ما تستحق به القتل .

فقال : ما هو؟ فقال له : قولك :

مـــا جاءنـــا أحـــدٌ يخبـــر أنـــه   فـــي جنـــةٍ مـن ماتَ أو في نار

فقال له : يا أمير المؤمنين! هل جاءنا أحدٌ؟ قال : لا .

قال : أتقتلني على الصدق؟ فقال له الرشيد : أولست القائل :

يا أحمـــدُ المرتجـــى فـــي كل نائبة   قـــم سيدي نعص جبار السموات

فقال له : يا أمير المؤمنين! أوصار القول فعلاً؟

قال : لا أعلم .

قال : أفتقتلني على ما لم تعلم .

فقال له أمير المؤمنين : دع هذا كله ، فقد اعترفت في مواضع كثيرة من شعرك بالزنا .

قال أبو نواس : قد علم الله هذا قبل علم أمير المؤمنين بقوله تعالى : ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقلون ما لا يفعلون﴾ .

فقال الرشيد : خلوا عنه .

ومن هذا أخذ الصفي الحلي فقال :

نحـــن الألـــى جاء الكتاب مخبراً   بعفـــاف أنفسنـــا وفسق الألسن

تغفر ذنوبه بأبياتٍ

غفر له بأبيات شعر

وعن محمد بن نافع ، قال : رأيت أبا نواس في النوم بعد موته ، فقلت : يا أبا نواس!

فقال : لاحين كنيت .

فقلت : الحسن بن هانئ .

قال : نعم .

قلت : ما فعل الله بك؟ قال : غفر لي بأبياتٍ قلتها في علتي قبل موتي هي تحت الوسادة .

فسألت أهله فقلت : هل قال أخي شعراً؟ قالوا : لا نعلم! إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندري ما هو .

فدخلت ورفعت وسادته وإذا أنا برقة مكتوب فيها :

يا رب! إن عظمت ذنوبي كثرةً   فلقد علمت بان عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ   فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
مالي إليك وسيلةٌ إلا الرجا   وجميل عفوك ثم إني مسلم

أبو نواس والجماز

لما مرض أبو نواس دخل عليه الجماز يعوده . فقال : اتق الله ، فكم من محصنة قد قذفت ، ومن سيئة قد اقترفت ، وأنت على هذه الحال ؛ فتب قبل الموت . فقال : صدقت . ولكن لا أفعل ! قال : ولم؟ قال : مخافة أن تكون توبتي على يد واحد مثلك .

وقال الجماز : أراد أن يكتب أبو نواس إلى إخوان له دعاهم ، فلم يجد قرطاساً يكتب فيه ! فكتب في رأس غلام له أصلع ما أراد ، ثم قال فيه : فإذا قرأت كتابي ، فأحرقوا القرطاس . فضحكوا منه وتركوا للغلام جلدة رأسه .

الأصمعي

تمتع الأصمعي بشهرة واسعة فقد كانت الخلفاء تجالسه وتحب منادمته ، وقد هيأت مجالس الرشيد له أن يذيع صيته في كل الأوساط والمحافل الأدبية فسعى يجمع الأخبار والأشعار ، ويدقق في اختياره لها وفي إنشاده ، بحيث دفعت هذه الشهرة الرواة أن يضعوا أخباراً وأقوالاً تنسب إليه . ومما يبرهن على شهرته الواسعة ، وتفوقه على أقرانه ما نراه من غالب المصنفين الذين جاءوا من بعده يستقون ثروته اللغوية والأدبية . كما أن كتب اللغة والأدب قد جمعت الكثير من الأخبار والأشعار التي يرويها ، وكان يعلل شهرته بقوله : وصلت بالعلم ، وكسبت بالملح .

كانت للأصمعي مكتبة اختلفت المصادر في ذكر عدد كتبها ، فالأصفهاني ينقل على لسان الأصمعي قائلاً : لما خرجنا إلى الرقة ، قال لي : هل حملت معك شيئاً من كتبك؟ قلت : نعم ! حملت ما خف حمله ، فقال : كم؟ فقلت : ثمانية عشر صندوقاً ، فقال : هذا لما خففت ، فلو ثقلت كم كنت تحمل؟ فقلت أضعافها ، فجعل يعجب !

كان سفيان الثوري[١] يشير إلى وصف ابن مناذر للأصمعي بأنه أحفظ الناس ، وقال الأزهري فيه : وكان أكثر علمه على لسانه . أما الرياشي[٢] فيقول : سمعت الأصمعي يقول قال خلف : يغلبني الأصمعي بحضور الحجة ، وشهد بذلك تلميذه اسحاق الموصلي حيث أشار قائلاً : أعجب من قرب لسانه من قلبه وإجادة حفظه متى أراده .

قال حماد بن إسحاق : سمعت أبي يقول : ما رأيت أحداً قط أعلم بالشعر من الأصمعي ، ولا أحفظ لجيده ، ولا أحضر جواباً منه ، ولو قلت إنه لم يك مثله أحد ، ما خفت كذبا .

وقد نقل أبو العيناء[٣] حديث كيسان فقال : قال خلف الأحمر ويلك الزم الأصمعي ودع أبا عبيدة ، فإنه أفرس الرجلين بالشعر . وقال الأخفش : لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي ، وقال الرياشي فسألته أيهما أعلم؟ قال : الأصمعي ، قلت لما؟ قال : لأنه كان أعلم بالنحو .

وقال إسحاق الموصلي[٤] : لم أرَ كالأصمعي يدعي شيئاً من العلم ، فيكون أحداً أعلم منه . كما قال ابن الأعرابي : شهدت الأصمعي وقد أنشأ نحواً من مائتي بيت ، ما فيها بيت عرفناه . ويقول ابن الأنباري : الأصمعي يد غراء في اللغة لا يعرف فيها مثله ، وفي كثرة الرواية .

(١) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الربابي التميمي من بني تميم ولد في عام كان أحد أئمة الإسلام .

(٢) أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي (٢٥٧ هـ) مولى محمد بن سليمان الهاشمي . من كبار النحاة وأهل اللغة ، راوية للشعر وعالم بأيام العرب . واعتبره ياقوت الحموي «ثقةً فيما يرويه» في كتابه معجم الأدباء .

(٣) العلامة ، الأخباري أبو العيناء ، محمد بن القاسم بن خلاد البصري ، الضرير النديم .

(٤) إسحاق الموصلي هو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن الموصلي التّميمي بالولاء ، الأرجانيّ الأصل المعروف بابن النّديم الموصلي نادم الرّشيد والمأمون والمُعتصم والواثق ولد عام ٧٦٧ م في مدينة الري .

وقال أبو الطيب اللغوي : كان أتقن القوم للغة وأعلمهم بالشعر ، وكذلك ذكر السيوطي : وكان من أعلم الناس في فنه . ويذكر ابن المرزباني : وكان الأصمعي من أروى الناس للرجز ، أما الأزهري فقال : وكان الأصمعي أذكى من أبي عبيدة وأحفظ للغريب منه ، وكان أبو عبيدة أكثر رواية منه .

وسلكه الزبيدي في الطبقة الثالثة من طبقات اللغويين البصريين ، كما عده الأزهري في الطبقة الثانية من اللغويين اللذين أخذ عنهم ، وترتيب كل من الزبيدي والأزهري قائم على التسلسل التاريخي لا المنزلة العلمية .

أعرابي على الطريق

قال الأصمعي : أصابت الأعراب مجاعة فمررت بأعرابي قاعد مع زوجته على قارعة الطريق وهو يقول :

يا رب أني قاعد كما ترى
وزوجتي قاعدة كما ترى
والبطـــن منـــي جائـــع كما ترى   فمـــا تـــرى يا ربنا في ما تـرى؟

الشيخ الفصيح

حكى الأصمعي قال : ضلت لي إبل فخرجت في طلبها وكأن البرد شديداً ، فالتجأت إلى حي من أحياء العرب وإذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد :

أيـــا رب إن البـــرد أصبـــح كالحـاً   وأنـــت بحالـــي يا إلهـــي أعلم
فأن كنت يوماً في جهنم مُدخلـــــي   ففي مثل هذا اليوم طابت جهنـــم

قال الأصمعي : فتعجبت من فصاحته وقلت له : يا شيخ ما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخٌ كبير ، فأنشد يقول :

أيطمـــع ربـــي أن أُصلـــي عاريـــاً   ويكســـو غيـــري كسوة البر والحر
فو الله لا صليـت ما عشـــت عارياً   عشـــاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبـــح إلا يوم شمس دفيئـــة   وأن غيمـــت فالويل للظهر والعصر

وأن يكسني ربـــي قميصـــاً وجبـــة أصلـــي لـــه مهما أعيش مــــن

لا يأخذ الدهر أغلى منه

قال الأصمعي :
سألت أعرابيّة عن ولدها – وكنت أعرفه – فقالت :
مات والله ، وقد آمنني الله بفقده المصائب ثم قالت :
وكنـــت أخـــاف الدهر ما كان باقيا فلمـــا تولى مات خوفي من الدهر

الأصمعي والبقال:

عن الأصمعي قال : كنت بالبصرة أطلب العلم ، وأنا فقير . وكان على باب زقاقنا بقّال ، إذا خرجتُ باكرا يقول لي إلى أين؟ فأقول إلى فلان المحدّث . وإذا عدت مساء يقول لي : من أين؟ فأقول من عند فلتن الإخباريّ أو اللغويّ .

فيقول البقال : يا هذا ، اقبل وصيّتي ، أنت شاب فلا تضيّع نفسك في هذا الهراء ، واطلب عملا يعود عليك نفعه وأعطني جميع ما عندك من الكتب فأحرقها . فو الله لو طلبت مني بجميع كتبك جزرة ، ما أعطيتُك!

فلما ضاق صدري بمداومته هذا الكلام ، صرت أخرج من بيتي ليلا وأدخله ليلا ، وحالي ، في خلال ذلك ، تزداد ضيقا ، حتى اضطررت إلى بيع ثياب لي ، وبقيت لا أهتدي إلى نفقة يومي ، وطال شعري ، وأخلق ثوبي ، واتّسخ بدني .

فأنا كذلك ، متحيّرا في أمري ، إذ جاءني خادم للأمير محمد بن سليمان الهاشمي فقال لي : أجب الأمير .

فقلت : ما يصنع الأمير برجل بلغ به الفقر إلى ما ترى؟

فلما رأى سوء حالي وقبح منظري ، رجع فأخبر محمد بن سليمان بخبري ، ثم عاد إليّ ومعه تخوت ثياب ، ودرج فيه بخور ، وكيس فيه ألف دينار ، وقال :

قد أمرني الأمير أن أُدخلك الحمام ، وأُلبِسك من هذه الثياب وأدع باقيها عندك ، وأطعِمك من هذا الطعام ، وأبخّرك ، لترجع إليك نفسك ، ثم أحملك إليه . فسررت سرورا شديدا ، ودعوتُ له ، وعملتُ ما قال ، ومضيت معه حتى دخلت على محمد بن سليمان . فلما سلّمتُ عليه ، قرّبني ورفعني ثم قال : يا عبد الملك ، قد سمعت

عنك ، واخترتك لتأديب ابن أمير المؤمنين ، فتجهّز للخروج إلى بغداد . فشكرته ودعوت له ، وقلت :

سمعا وطاعة . سآخذ شيئا من كتبي وأتوجّه إليه غدا .

وعدت إلى داري فأخذت ما احتجت إليه من الكتب ، وجعلتُ باقيها في حجرة سددتُ بابها ، وأقعدت في الدار عجوزا من أهلنا تحفظها .

فلما وصلت إلى بغداد دخلت على أمير المؤمنين هارون الرشيد . قال : أنت عبد الملك الأصمعي؟

قلت : نعم ، أنا عبد أمير المؤمنين الأصمعي .

قال أعلم أن ولد الرجل مهجة قلبه . وها أنا أسلم إليك ابني محمدا بأمانة الله . فلا تعلمه ما يُفسد عليه دينه ، فلعله أن يكون للمسلمين إماما . قلت : السمع والطاعة .

فأخرجه إليّ ، وحُوِّلْتُ معه إلى دار قد أُخليت لتأديبه ، وأجرى عليّ في كل شهر عشرة آلاف درهم . فأقمت معه حتى قرأ القرآن ، وتفقّه في الدين ، وروي الشعر واللغة ، وعلم أيام الناس وأخبارهم . واستعرضه الرشيد فأُعجب به وقال :

أريد أن يصلي بالناس في يوم الجمعة ، فاختر له خطبة فحفِّظْه إياها .

فحفّظتُه عشرا ، وخرج فصلى بالناس وأنا معه ، فأعجب الرشيد به وأتتني الجوائز والصلات من كل ناحية ، فجمعت مالا عظيما اشتريت به عقارا وضياعا وبنيت لنفسي دارا بالبصرة .

فلما عمرت الدار وكثرت الضياع ، استأذنتُ الرشيد في الانحدار إلى البصرة ، فأذن لي . فلما جئتها أقبل عليّ أهلها للتحية وقد فَشَتْ فيهم أخبار نعمتي . وتأمّلت من جاءني ، فإذا بينهما البقال وعليه عمامة وسخة ، وجبّة قصيرة . فلما رآني صاح : عبد الملك!

فضحكت من حماقته ومخاطبته إيّاي بما كأن يخاطبني به الرشيد ثم قلت له : يا هذا! قد والله جاءتني كتبي بما هو خير من الجَزَرَة!

الأصمعي وقاضي المدينة

قال الأصمعيّ : أنشدت محمد بن عمران قاضي المدينة :

يا أيها السائل عن منزلي   نزلت في الخان على نفسي
يغدو عليّ الخبز من خابزٍ   لا يقبل الرّهن ولا ينسي

آكـــل من كيســـي ومـــن كسوتي   حتـــى لقـــد أوجعنـــي ضرسي
فقال : اكتبه لي ؛ قلت : أصلحك الله ، إنّما يكتب هذا للأحداث
فقال : ويحك ، اكتبه لي ، فإن الأشراف يعجبهم الملاحة .

ينظم النثر شعراً

قال أبو حاتم : أنشدنا الأصمعي :
إذا جـــاء يـــومٌ صالـــحٌ فاقبلنـــه   فأنـــت علـــى يوم الشقاء قديـــر
ثم قال : أتدرون من أين أخذت هذا؟ أخذته من قول العيّارين : أكثر من التخم ، فإنّك على الجوع قادرٌ .

الأصمعي في امتحان شعري أمام الخليفة أبو جعفر المنصور!

ومن طرائف الشعراء ، قصة الأصمعي ، حيث يُحكى بأن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[١] كان حريصا جدا على أموال الدولة وكان من عادة الخلفاء أن يعطوا الهدايا للشعراء ويغدقوا عليهم بالأموال ، فلجأ أبو جعفر إلى حيلة حتى لا يعطى للشعراء الأموال ، فأصدر بياناً بأن من يأت بقصيدة من بنات أفكاره أخذ وزن ما كتب عليها ذهباً ، فتسارع الشعراء إلى قصر الخليفة ليسردوا شعرهم ولكن المفاجأة الكبرى أنه عندما كان يدخل الشاعر ليقول قصيدته وينتهي منها ، يقول له الخليفة هذه القصيدة ليست من بنات أفكارك لقد سمعتها من قبل ويعيدها عليه فيندهش الشاعر ثم ينادى الخليفة على أحد غلمانه فيقول له هل تعرف قصيدة كذا وكذا فيقول نعم فيعيدها عليهم الغلام ثم ينادى الخليفة لجارية عنده هل تعرفين قصيدة كذا وكذا فتقول نعم وتسردها عليهم فيقف الشاعر ويكاد أن يطير عقله من هذا فلقد سهر طوال الليل يؤلف هذه القصيدة ثم يأتي الصباح يجد ثلاثة يحفظونها!

فقد كان أبو جعفر المنصور يحفظ الكلام من مرة واحدة وكان عنده غلام يحفظ الكلام من مرتين وجارية تحفظ الكلام من ثلاثة فإذا قال الشاعر قصيدته حفظها الخليفة فعاده عليه ويكون الغلام خلف ستار يسمع القصيدة مرتين مرة من الشاعر

(١) أبو جعفر عبد الله المنصور ، واسمه الكامل عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم .

ومرة من الخليفة فيحفظها وهكذا كانت الجارية تقف خلف ستار تسمع القصيدة من الشاعر ثم الخليفة ثم الغلام فتحفظها !

فاجتمع الشعراء في منتداهم مغمومين لما يحدث ولا يدرون كيف أن القصائد الذين يسهرون ليألفوها تأتى في الصباح يحفظها الخليفة والغلام والجارية ، فمر عليهم الشاعر وعالم اللغة الأصمعي فرأى حالهم فقال لهم ما بكم فقصوا عليه قصتهم . فقال إن في الأمر لحيلة ، فعزم على أن يفعل شيئا فذهب إلى بيته ثم جاء في الصباح إلى قصر الخليفة وهو يرتدى ملابس الأعراب «البدو» فاستأذن ليدخل على الخليفة فدخل ، قال للخليفة لقد سمعت أنك تعطى على الشعر وزن ما كتبت عليه ذهباً قال له الخليفة هات ما عندك ، فسرد عليه الأصمعي القصيدة التالية :

صَوتُ صفيرِ البُلبُلِ هَيَّجَ قلبي الثَّمِلِ
المـاءُ والزّهرُ معاً مَعْ زَهرِ لَحْظِ المُقَلِ
وأنتَ يا سيِّدَلي وسيِّدي ومَوْلَى لِي
فَكَمْ فَكَمْ تَيَمُّني غُزَيِّلٌ عَقَيْقَلي
قَطَّفتَهُ مِنْ وَجْنَةٍ مِنْ لَثْمِ وَرْدِ الخَجَلِ
فقالَ لا لا لا لا لا فَوقَدْ غَدا مُهَرْوِلَ
والخُودُ مالَت طَرَباً مِنْ فِعْلِ هذا الرَجُلِ
فَوَلْوَلَتْ وَوَلْوَلَتْ وَلي وَلي ياوَيْلَلي
فَقُلتُ لا تُوَلْولي وبَيِّني اللُؤْلُؤَ لي
قالتْ لَهُ حينَ كذا انهَضْ وجِدْ بالنُّقَلِ
وَفِتْيَةٍ سَقَوْنَني من قَهْوَةٍ كَالعَسَلَ
شَمَمْتُهَا بِأَنفي أَزْكى مِنَ القَرَنْفُلِ
في وَسْطِ بُسْتانٍ حُلي بالزَّهْرِ والسُرُورُ لي
والعُودُ دَنْدَنْ دَنَا لي والطَّبْلُ طَبْطَبْ طَبَ لي
طَبْ طَبِطَبْ طَبْ طَبِطَبْ طَبْ طَبِطَبْ طَبْطَبَ لي
والسَّقْفُ سَق سَقْ سَقَ لي والرَّقْصُ قَدْ طابَ لي
شَوى شَوى وشاهشُ على وَرَقْ سِفَرجَلي
وغَرَدَ القِمْرِ يَصيحُ مَلَلٌ في مَلَلِ
وَلَوْ تَراني راكِباً على حِمارٍ أهْزَلِ

يَمْــشي على ثلاثَة كَــمَــشْــيَــة العَــرَنجلِ
والناسْ تَرْجِمْ جَــمَلي في السُــوقْ بالقُلْقُلَلِ
والكُلُّ كَــعْكَعْ كَــعكَعْ خَلْفي وَمِنْ حُــوَيْلَلي
لكِنْ مَــشَــيتُ هارباً مِن خَــشْــيَــة العَــقَنْقلي
إلى لِقــاء مَلكٍ مُــعَظَّم مُــبَــجَّلٍ
يَأمُــرُني بِخَلْعَــةٍ حَــمــراءْ كــالدَّم دَمَلي
أَجُــرُّ فــيــهــا مــاشــياً مُــبَــغْــدداً للذِّيَلِ
أنــا الأديــبُ الألْمــعــي مــنْ حَــيِّ أَرْضِ المُــوصــلِ
نَظمْتُ قطْعــاً زُخْــرفَت يَعْــجــزُ عَنْهــا الأَدْمُلِ
أَقُــولُ في مَطْلَعِــهــا صَــوْتُ صَــفــيــرِ البُلْبُلِ

فحاول الخليفة أن يعيدها فلم يستطيع فنادى على الغلام هل تعرف هذه القصيدة فقال لا يا أمير المؤمنين ، فنادى على الجارية هل تعرفين هذه القصيدة فقالت لا والله يا أمير المؤمنين ، فقال الخليفة هات ما كتبتها عليه نعطيك وزنه ذهبا ، فقال الأصمعي ورثت عمود رخام من أبى نقشتها عليه وهو في الخارج لا يحمله إلا عشرة من الرجال !

أبو العيناء

كان أبو العيناء قد عمي بعد أن جاوز الأربعين ، وخرج من البصرة ، وكان أحولاً قبل عماه ، ويروي أبو العيناء أن العمى وراثي في أسرته ، ويرجع سببه (كما يقول) إلى دعوة على جده خلاد دعاها الشريف عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عندما اكتشف أن خلاداً كان يتجسس أخباره ، ويوصلها إلى أبي جعفر المنصور حتى قيل : (كل من عمي من ولد أبي العيناء ، فهو صحيح النسب!!) .

وقد لحق به لقب (أبي العيناء) من سؤال سأله لأحد معلميه حيث يقول : (قلت لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري : يا أبا زيد . . كيف تصغر عيناً؟ ، فقال : عييناً . . يا أبا العيناء!! ، فلحقت بي من ذلك) .

أبو العيناء والجماز

قال أبو العيناء : دفع الجمّاز إلى غسّال ثياباً ، فدفع إليه أقصر منها ، فطالبه ، فقال : لّما غسلت تشمّرت . قال : ففي كم غسلةٍ يصير القميص زنقاً .

منادمة المتوكل

بعد أن كُفَّ بصره بلغه أن المتوكل[1] قال : (لولا أنه ضرير لنادمناه) ، فقال أبو العيناء : (إن أعفاني من رؤية الأهلّة ، وقراءة نقش الفصوص . . صلُحتُ للمنادمة) .

مفاجأة الموسم

وقف رجل على الشاعر البغدادي الضرير والظريف أبو العيناء فأحس به فصاح أبو العيناء به : من هذا؟ فارتبك الرجل وقال : أنا رجل من بني آدم! فقال له أبو العيناء : مرحبا بك ، أطال الله بقاءك ، أما زلت في الدنيا ظننت أن نسلكم قد أنقطع

بين أبي العيناء وابن الزيات

دخل أبو العيناء على محمد بن عبد الملك الزيات[2] الوزير ، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه . فقال : إن من حق نعمة الله عليك ، لما قد أهلك له في هذه الحال التي أنت عليها ، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك ؛ فبقضاء الحاجات تدوم النعم .

فقال محمد : أما إني أعرفك فضولياً كثير الكلام ، أوترى أن طول لسانك يمنع مع أن أؤدبك إذا زللت ؛ وأمر به إلى الحبس .

فكتب إليه من الحبس : قد علمت أن الحبس لم يكن تقدم إليك ، ولكنك أحببت أن تريني مقدار قدرتك علي ؛ لأن كل جديد يستلذ ؛ ولا بأس أن تريني من عفوك مثلما أريتنا من قدرتك ، فأمر بإطلاقه .

---

(١) أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (٢٠٥-٢٤٧ هـ) عاش (مارس ٨٢٢ - ١١ ديسمبر ٨٦١ م) وفترة الخلافة (٨٤٧-٨٦١) خلفاً لأخية الواثق بالله وخلفه إبنه المُنتصر بالله . أُمّه أم ولد تركية اسمها «شجاع» .

(٢) محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة ، أبو جعفر ، المعروف بابن الزيات (١٧٣ - ٢٣٣ هـ/ ٧٨٩ - ٨٤٧ م) هو وزير المعتصم بالله وأديب وشاعر عربي .

وانقطع عنه مدةً فلقيه ، فحبس محمد بن عبد الملك دابته عليه . فقال : ما لي لا أراك يا أبا عبد الله تواصلنا حسب إيجابنا لك؟ فقال له أبو العيناء : أما المعرفة بعنايتك فمناكرة ، ولكنني أحسب الذي جدد استبطاءك فراغ حبسك ممن كان فيه ، فأحببت أن تغمرني فيه .

دابة أبي العيناء

حمل عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبا العيناء على دابة ، فأخذها منه ابنه ، وقال : أبعث إليك بخير منها ، فتأخر عنه ذلك ، فلقيه . فقال : ما خبرك؟ فقال ؛ بخير ، يا من أبوه يحمل وهو يرجل . فقال : أنا أنفذ إليك بغلاً فارهاً بغير تأخر ؛ فتأخر عنه ثم لقيه . فقال : كيف حالك يا أبا عبد الله؟ قال : راجل أصلحك الله ! فضحك وأنفذ إليه بغلاً زعم أبو العيناء أنه غير فاره ، فكتب إلى أبيه : أعلم الوزير أعزه الله! أن أبا علي محمداً أراد أن يبرني فعقني ، وأن يركبني فأرجلني ، أمر لي بدابة تقف للنثرة ، وتعثر بالبعرة ، كالقضيب اليابس عجفاً ، والعاشق المجهود دنفاً ؛ قد أذكرت الرواة عروة العذري ، والمجنون العامري ، مساعد أعلاه لأسفله ، حباقه مقرون بسعاله ؛ فلو أمسك لترجيت ، ولو أفرد لتعزيت ، ولكنه يجمعهما علي في الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله النسوان ، ويتناغى من أجله الصبيان ، فمن صائح يصيح داوه بالطباشير ، وقائل يقول نقوا له الشعير ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء بالأمصار ؛ فلو أعين بنطق ، لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر الشعبي ؛ وإنما أتيت من كاتبه الأعور ، الذي إن اختار لنفسه أطاب وأكثر ، وإن اختار لغيره أخبث وأنزر ، فإن رأى الوزير أن يبدلني عنه ، ويريحني منه ، بمركوب يضحكني كما ضحك مني ، يمحو بحسنه وفراهته ، ما سطره العيب بقبحه ودمامته ؛ ولست أذكر أمر سرجه ولجامه ؛ لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه ، أو ينقض ما يمضيه .

فوجه إليه عبيد الله ببرذون[١] من براذينه بسرجه ولجامه ؛ ثم اجتمع مع عبيد الله عند ابنه . فقال عبيد الله : شكوت دابة محمد وقد أخبرني أنه يشتريه الآن منك بمائة دينار ، وما كان هذا ثمنه لا يشتكى ! فقال : أعز الله الوزير لو لم أكذب

---

(١) حمار .

مستزيداً ، لم أنصرف مستفيداً ، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . فضحك عبيد الله ؛ وقال : يا أبا عبد الله ؛ حجتك الداحضة بملاحتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة .

المدح في صورة ذم

قال له بعض الرؤساء : يا أبا العيناء ، لو مت لرقص الناس طرباً وسروراً . فقال بديهة :

أردت مذمتي فأجدت مدحي   بحمد الله ذلك لا بحمدك
فلا تك واثقاً أبداً بعمد   فقد يأتي القضاء بغير عمدك

ثم قال : أجل! الناس قد ذهبوا ، فلوا رآني الموتى لطربوا لدخول مثلي عليهم ، وحلول عقلي لديهم ، ووصول فضلي إليهم ، فما زال الموتى يغبطونكم ويرحمونني بكم .

مكتوب إلى الوزير

وقال : واتصلت أشغال أبي الصقر الوزير ، فتأخر توقيعه عن أبي العيناء برسومه . فكتب إليه : رقعتي ، أطال الله بقاء الوزير ، رقعة من علم شغلك فاطرح عدلك ، وحقق أمرك فبسط عذرك . أما والليل إذا عسعس ، فالبنان لبنات الدنان ، وملامسات الحسان ، وأما والصبح إذا تنفس ، فالبنان للعنان ، ومؤامرات السلطان ، فمن أبو العيناء القرنان! فوقع أبو الصقر تحت سطوره : لكل طعام مكان ، ولكل معوز إمكان ، وقد وقعنا لك بالرسوم ، وجعلنا لك بالرسوم ، وجعلنا لك حظاً من المقسوم ، وكفينا أنفسنا عذرك الذي هو تعزير ، ولسانك الذي هو تحذير . والسلام . ثم لقيه أبو العيناء في صدر موكبه فقال : طاعة شيمك لسلطان كرمك ، ألزمتك الصبر على ذنوبي إليك ، وتجني خلقي عليك . فقال أبو الصقر : كبير حسناتك ، يستغرق يسير سيئاتك . فدعا له وانصرف شاكراً .

رد مسكت

قال : وبسط أبو العيناء لسانه على أهله في بعض الدواوين . فقال له فتى من أبناء الكتاب كانت فيه جرأة : كل الناس لك يا أبا العيناء زوجة ، وأنت زوجة أبي

علي البصير . فقال له أبو العيناء : قد ملكنا عصمتك بيقين فحواك ، ثم ننظر في شكوك دعواك ، وقد طلقت الناس كلهم سواك ، ذلك أدنى ألا نعول ، وفيك ما يروى الفحول ، ويتجاوز السول . قال : ففضحه بهذا الكلام ، فلم يجبه .

الماجن وأبي العيناء

قال : وكان في بني الجراح فتى خليع ماجن فأراد العبث بأبي العيناء ، فنهاه نصحاؤه فأبى ، فقالوا : شأنك . فقال له : يا أبا العيناء ، متى أسلمت؟ فقال : حين آمن أهلك وأبوك الذين لم يؤدبوك . فقال له الفتى : إذاً قد علمت أنك ما أسلمت . فقال أبو العيناء : شهادتك لأهلك دعوى ، وشهادتي عليهم بلوى ، وسترى أي السلطانين أقوى ، وأي الشيطانين أغوى ، وسيعلم أهلك ، ما جنى عليهم جهلك . قال : فأتاه أبوه فتبرأ من ذمته ، ودفعه إليه برمته . فقال له أبو العيناء : قد وهبت جوره لعدلك ، وتصدقت بحمقه على عقلك .

ورطة

قال علي بن سليمان الأخفش[1] : سمعت أبا العيناء يقول : كنت يوماً في الورّاقين ، إذ رأيت منادياً مغفّلاً ، في يده مصحف مخلّق الأداة ، فقلت له : ناد عليه بالبراءة ممّا فيه ؛ وأنا أعني أداته ، فأقبل ينادي بذلك ، فاجتمع أهل السّوق والمارّة على المنادي ، وقالوا لهُ : يا عدوّ الله! تنادي على مصحف بالبراءة ممّا فيه .

قال : وأوقعوا به ، فقال لهم : ذلك الرّجل القاعد أمرني بذلك ؛ فتركوا المنادي ، وأقبلوا عليّ ، ورفعوني إلى الوالي ، وكتب في أمري إلى السلطان ، فأمر بحملي ، فحملت مستوثقاً مني ، واتصل خبري بابن أبي داؤدٍ ، فلم يزل يتلطّف في أمري حتى خلّصني .

مع غلامه

قال أبو العيناء : كان سبب خروجي من البصرة وانتقالي عنها ، أني مررت بسوق النّخّاسين يوماً ، فرأيت غلاماً ينادي عليه وقد بلغ ثلاثين ديناراً وهو يساوي ثلاث مئة دينار ، فاشتريته ، وكنت أبني داراً ، فدفعت إليه عشرين ديناراً على أن ينفقها على الصّناع ، فجاءني بعد أيّام يسيرةٍ ، فقال : قد نفدت النّفقة ، قلت : هات حسابك ؛

فرفع حساباً بعشرة دنانير ، قلت : فأين الباقي؟ قال : اشتريت به ثوباً مصمتاً وقطعته ، قلت : ومن أمرك بهذا؟ قال : يا مولاي [لا تعجل ، فإن أهل المروءات والأقدار لا يعيبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود بالزّين على مواليهم ؛ فقلت في نفسي : أنا اشتريت الأصمعي ولم أعلم] .

قال : وكانت في نفسي امرأةٌ أردت أن أتزوّجها سرّاً من ابنة عمي ، فقلت له يوماً : أفيك خيرٌ؟ قال : إي لعمري ؛ فأطلعته على الخبر ، فقال : أنا نعم العون لك ؛ فتزوجت ، ودفعت إليه ديناراً ، فقلت له : اشتر لنا كذا وكذا ، ويكون فيما تشتريه سمكٌ هازبى ؛ فمضى ، ورجع وقد اشترى ما أردت ، إلا أنّه اشترى سمكاً مارماهى ، فغاظني ، فقلت : أليس أمرتك أن تشتري هازبى؟ قال : بلى [ولكنّي رأيت بقراط يقول : إنّ الهازبى يولّد السّوداء ويصف المارماهى ؛ ويقول : إنّه أقل غائلةً ؛ فقلت : أنا لم أعلم إني اشتريت جالينوس؟] وقمت إليه ، فضربته عشر مقارع ، فلمّا فرغت من ضربه ، أخذني وأخذ المقرعة ، وضربني سبع مقارع ، وقال : يا مولاي [الأدب ثلاث ، والسبع فضلٌ ، ولذلك قصاصٌ ، فضربتك هذه السبع خوفاً عليك من القصاص يوم القيامة ؛ فغاظني جداً ، فرميته ، فشججته ، فمضى من وقته إلى ابنة عمي ، فقال لها : يا مولاتي الدين النصيحة ، وقد قال النبي ﷺ : «من غشّنا فليس منا» وأنا أعلمك أنّ مولاي قد تزوّج واستكتمني ، فلمّا قلت له : لا بدّ من إعلام مولاتي ، ضربني بالمقارع ، وشجّني ؛ فمنعتني بنت عمّي من دخول الدار ، وحالت بيني وبين ما فيها ، فلم أر الأمر يصلح إلاّ بأن طلقت المرأة التي تزوّجتها ، فصلح أمري مع ابنة عمّي وسمّت الغلام ، «النّاصح» ، فلم يتهيّأ لي أن أكلّمه ، فقلت : أعتقه وأستريح ، لعلّه أن يمضي عنّي ؛ فأعتقته ، فلزمني ؛ قال : الآن وجب حقّك عليّ ؛ ثمّ إنّه أراد الحجّ ، فجهّزته وزوّدته ، وخرج ، فغاب عليّ عشرين يوماً ، ثمّ رجع ، فقلت له : لم رجعت؟ قال : قطع الطريق ، وفكّرت ، فإذا الله تعالى يقول : [ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا] . وكنت غير مستطيع ، وفكرت ، فإذا حقك عليّ أوجب ، فرجعت ؛ ثم أراد الغزو ، فجهزته ، فشخص ، فلمّا غاب عني بعت كل ما أملكه بالبصرة من عقارٍ وغيره ، وخرجت عنها خوفاً أن يرجع .

جوابه حاضر

ومن أخباره أنه تأخر مرة عن الحضور إلى مجلس الوزير إسماعيل بن بلبل ، فسأله عن السبب؟ ، فقال : (سُرق حماري) ، فقال له الوزير : (كيف سرق حمارك يا أبا العيناء) ، فقال : (لم أكن مع اللص ، فأخبرك!)

وشكى بعض الوزراء كثرة الأشغال ، فقال أبو العيناء : لا أراني الله يوم فراغك .

وشكى أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان تأخّر رزقه ، فقال : ألم نكن كتبنا لك إلى فلان ، فما فعل في أمرك؟ قال : جرّني على شوك المطل ؛ قال : أنت اخترته ؛ قال : وما عليٍ وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً ، فما كان فيهم رشيدٌ ، فأخذتهم الرجفة ، واختار رسول الله – ﷺ – ابن أبي سرح كاتباً ، فلحق بالكفّار مرتدّاً واختار عليّ أبا موسى ، فحكم عليه؟

قال بعض العلويّة لأبي العيناء : أنت تبغضني ، ولا تصحّ صلاتك إلاّ بالصّلاة عليّ ، لأنّك تقول : اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ ، قال : إذا قلت : «الطّيّبين» خرجت منهم .

وقال له رجل : أشتهي أرى الشيطان ، قال : انظر في المرآة .

وكان في مجلس إسماعيل بن إسحاق القاضي ، فدخل رجل ومشى على رجله فصاح ؛ فقال : بسم الله ! قال : القصاب يذبح ويقول : بسم الله .

وقال له مرة : كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال : في داء يتمناه الناس .

قيل له : وكم سنك؟ قال : قبضة . يريد ثلاثاً وتسعين سنة .

قدم إليه بعضهم قدراً فيه عظام كثيرة ، فقال له أبو العيناء : (هذه قدر أم قبر؟)

سلم نجاح بن سلمة إلي موسي بن عبد الملك ليستخرج منه مالاً احتجزه ، فهلك في يده ، فلقي بعض الرؤساء أبا العيناء فسأله : (ما عندك من خبر نجاح؟) ، فقال : (فوكزه موسي فقضي عليه) ، فبلغت كلمته موسى ، فلقيه ، فقال له غاضباً : (والله لأقومنك!) ، فقال أبو العيناء : (أَتريِدُ أَن تَقْتُلَني كَما قَتلتَ نَفسًا بالأمس) .

سئل أبو العيناء عن مالك بن طوق ، فقال : (لو كان في بني إسرائيل ثم نزلت آية البقرة . . . ما ذبحوا غيره!) .

دخل أبو العيناء بلدة ، والصبية فيها يلعبون ، فرموه بالحجارة ، فوقع حجر على رأسه فشجه ، فذهب أبو العيناء لأمير البلد يشكوهم له ، فقال له الأمير : (في أي يوم دخلت؟) ، فقال أبو العيناء : (في يوم نحس مستمر ، وفي ساعة العسرة ، ونزلت بواد غير ذي زرع) ، فضحك الأمير ، وأنعم عليه بعطية .

اجتمع أبو هفان وأبو العيناء على مائدة ، فقال أبو هفان : (هذه أشد حراً من مكانك في جهنم) ، فقال أبو العيناء : (برِّدها بشيء من شِعرك البارد) .

قال له يوماً نجاح بن سلمة : (ما ظهورك ، وقد صدر أمر أمير المؤمنين بقتل الزنادقة؟) ، فقال أبو العيناء : (نستدفع الله عنك وعن أصهارك - أي نتوسط لكم) .

أكل عنده سائلٌ ، فأكثر ، فقال له : (يا هذا أطعمناك رحمة . . فصيرتنا رحمة) .

قال له الوزير عبيد الله بن يحيى بن سليمان : (اعذرني ، فإني مشغول) ، فقال له أبو العيناء : (إذا فرغت لم أحتج إليك (يريد أنك لن تفرغ حتى تترك الوزارة ولا حاجة لي بك عندها) .

سأل أبو العيناء أحمد بن صالح حاجة ، فوعده ، ثم اقتضاه ، فقال : (دونها المطر والطين) ، فقال أبو العيناء : (فحاجتي إذن صيفية؟؟) .

وزاحمه رجل بالجسر على حماره ، فضرب أبو العيناء بيديه على أذني الحمار ، وقال : (يا فتى . . قل للحمار الذي فوقك : الطريق!!) .

العبث مع العابث

دخل أبو العيناء على ابن منارة الكاتب وعنده أبو عبد الله بن المرزبان . فقال لابن منارة : أحب أن أعبث بأبي العيناء . فقال له : لا تقوم به . فأبى إلا العبث به ، فلما جلس أبو العيناء قال له : يا أبا عبد الله ؛ لم لبست جباعة؟ قال : وما الجباعة؟ قال : التي ما بين جبة ودراعة . قال أبو العيناء : لأنك صفديم . قال : وما صفديم؟ قال : الذي هو ما بين صفعان ونديم .

برذون الوزير

ومن أخبار أبي العيناء أيضاً : أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على برذون زعم أنه غير فاره ، فكتب إلى أبيه : أعلم الوزير أعزه الله تعالى أن أبا علي محمداً أراد أن يبرني فعقني ، وأن يركبني فأرجلني! أمر لي بدابة تقف للنبرة ، وتعثر بالبعرة ، كالقضيب اليابس عجفاً ، وكالعاشق المجهود دنفاً ، يساعد أعلاه لأسفله ، حباقه مقرون بسعاله ، فلو أمسك لترجيت ، أو أفرد لتعزيت ، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله النسوان ، ويتناغى من فعله الصبيان ، فمن صائح يصيح : داوه بالطباشير ، ومن قائل يقول : نق له من الشعير . قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء في الأمصار ، فلو أعين بنطق ، لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر الشعبي . وإنما أتيت من كاتبه الأعور ، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر ، وإذا اختار لغيره أخبث وأنزر . فإن رأى الوزير أن يبدلني ويريحني بمركوب يضحكني كما يضحك مني ، يمحو بحسنه وفراهته ، ما سطره العيب بقبحه ودمامته . ولست أرد كرامه ، سرجه ولجامه ، لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه ، أو ينقص ما يمضيه فوجه إليه عبيد الله برذوناً من براذينه بسرجه ولجامه . ثم اجتمع محمد بن عبيد الله عند أبيه .

فقال عبيد الله لأبي العيناء : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني إنه ليشتريه منك الآن بمائة دينار ، وما هذا ثمنه فلا يشتكي . فقال : أعز الله الوزير لو لم أكذب مستزيداً ، لم أنصرف مستفيداً . وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز : «الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين» . فضحك عبيد الله وقال : حجتك الداحضة ، بملاحتك وظرفك أبلغ

الرد على الوزير

حضر أبو العيناء يوما مجلس أحد الوزراء ، فتحدثوا في البرامكة[(١)] وكرمهم ،

---

(١) البرامكة أو كما يسمون بالفارسية (برمكيان) هم عائلة ترجع أصولها إلى برمك المجوسي من مدينة بلخ ، وقد كان للبرامكة منزلة عاليه واستحوذوا على الكثير من المناصب في الدولة العباسية وكان لهم حضور كبير في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد ، الذي ارضعته زوجة يحيى البرمكي الذي حفظ لهارون الرشيد ولاية العهد بعد أن أراد الخليفة الهادي خلع هارون الرشيد .

فقال الوزير لأبي العيناء وكان قد بالغ في وصفهم ، وما كانوا عليه من البذل : (قد أكثرت يا أبا العيناء من ذكرهم ، ووصفك إياهم ، وإنما هذا تصنيف الوراقين ، وكذب المؤلفين) ، فقال له أبو العيناء : (فـلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير؟) ، فسكت الوزير ، وعجب الحاضرون من جرأته عليه .

التخلص من الثقيل

كان أبو العيناء واقفاً على بابه ، فمر به رجل ثقيل الظل ، فسلم عليه ، فقام أبو العيناء يمشي معه ، فقال الرجل : (لا تتعب نفسك يا أبا عبد الله) ، فقال أبو العيناء : (ما تعب . . من أبعدك عن داره) .

دار المتوكل

قال له المتوكل بعد أن بنى قصره (الجعفري) سنة ٢٤٦هـ ، وكان واسعاً : (ما تقول في دارنا هذه؟!)

فقال أبو العيناء : (إن الناس بنوا الدُّور في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك) .

بين المتوكل وأبي العيناء

قال له المتوكل : (كيف شربك للخمر؟) ، فقال : (أعجز عن قليله ، وأفتضح عند كثيره) ، فقال له : (دع هذا عنك ، ونادمنا) ، فقال : (أنا رجل مكفوف ، وكل من في مجلسك يخدمك ، وأنا محتاجٌ أن أُخدم ، ولستُ آمنُ أن من أن نظر إليّ بعين راضٍ ، وقلبك عليّ غضبان أو بعين غضبان ، وقلبك راضٍ ، ومتى لم أُميِّز بين هذين هلكتُ ، فأختار العافية على التعرض للبلاء .

وسأله المتوكل عن البصرة ، فقال : (ماؤها أُجاج ، وحرُّها عذاب ، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم) .

وقال له المتوكل مرة : (إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك) ، فقال : (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) .

وقال له المتوكل : لا تكثر الوقيعة في الناس . قال : إن لي في بصري لشغلاً . قال : ذاك أشد لحنقك على أهل العافية .

وقال له المتوكل يوماً : هل رأيت طالبياً قط حسن الوجه؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت أحداً يسأل أعمى عن هذا ! قال : لم تكن ضريراً فيما سلف ، وإنما سألتك عما تقدم . قال : نعم ! رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه ، ولا ألطف شمائل . فقال المتوكل : نجده كان مؤاجراً وكنت تقود عليه . فقال أبو العيناء : معاذ الله يا أمير المؤمنين أتراني أترك موالي ، وأقود على الغرباء ! فقال له المتوكل : اسكت يا مأبون . فقال له : مولى القوم منهم .

وكان ولاء أبي العيناء لأبي العباس ، فقال المتوكل : قاتله الله ! أردت أن أشتفي منه فاشتفى مني .

وهذا مجلس له مع المتوكل من طريق الصولي ، وله مجالس يدخل الرواة بعضها في بعض . قال الصولي : حدثني أبو العيناء قال : أدخلت على المتوكل ، فدعوت له وكلمته فاستحسن كلامي ، وقال : بلغني أن فيك بذاء . قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن يكن الشر الذي بلغك عني ذكر المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، فقد زكى الله تعالى وذم ؛ فقال : نعم العبد إنه أواب . وقال : هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم . وقال الشاعر :

إذا أنا لم أمدح على الخير أهله ... ولم أذمم الجبس اللئيم المذمّما
ففيم عرفت الخير والشرّ باسمه ... وشقّ لي اللّه المسامع والفما

وإن كان الشر الذي بلغك عني كفعل العقرب الذي تلدغ النبي والذمي بطبع لا بتمييز ؛ فقد صان الله عبدك عن ذلك . قال : بلغني أنك رافضي . قال : وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة ، ومنشئي في مسجد جامعها ، وأستاذي الأصمعي . وليس يخلو القوم إن كانوا أرادوا ديناً أو دنيا ، فإن كانوا أرادوا الدين فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخروا وإيمان من كفروا ؛ وإن كانوا أرادوا الدنيا فأنت وآباؤك أمراء لا دين إلا بكم ، ولا دنيا إلا معكم . قال : فكيف ترى داري هذه؟ قال : رأيت الناس بنوا دارهم في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك . قال : فما تقول في عبيد الله بن يحيى؟ قال : نعم العبد لله ولك ، مقسم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذة . قال : قد أردتك لمجالستي . قال : أنا رجل محجوب وقد تقدم هذا قال : فوصلني بعشرة آلاف درهم .

وكان نجاح بن سلمة قد ضمن الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك بمال عظيم للمتوكل ؛ فاحتال عبيد الله بن يحيى حتى يضمناه بذلك وعاد عليه الأمر ،

ثم اغتال موسى بن عبد الملك فقتله ، فبلغ الأمر المتوكل ، فأكبره وهم بالإيقاع بموسى ، فتلطف عبيد الله بن يحيى وعمه الفتح بن خاقان حتى سكن غضبه ، واتفق ذلك في ولادة المعتز فاشتغل باللهو والسرور بذلك ، فدخل أبو العيناء بعد ذلك على المتوكل ، وكان واجداً على موسى بن عبد الملك؟ فقال : ما تقول في نجاح بن سلمة؟ قال : ما قاله الله عز وجل : فوكزه موسى فقضى عليه . واتصل بذلك بموسى فلقيه عبيد الله بن يحيى . فقال : أيها الوزير ، أردت قتلي فلم تجد حيلةً إلا إدخال أبي العيناء على أمير المؤمنين مع عداوته لي ؛ فعاتب عبيد الله أبا العيناء على ذلك فقال : ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممت سريرته فيك ، فأمسك عنه .

ثم دخل بعد ذلك على المتوكل . فقال له : كيف كنت بعدي؟ فقال : في أحوال مختلفة خيرها رؤيتك ، وشرها غيبتك . فقال : قد والله اشتقتك . قال : إنما يشتاق العبد ربه ؛ لأنه يعتذر عليه لقاء مولاه ، وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه . فقال له : من أسخى من رأيت؟ قال ابن أبي دواد . فقال له المتوكل : تأتي إلى رجل قد رفضته فتنسبه إلى السخاء . قال : إن الصدق يا أمير المؤمنين ليس في موضع أنفق منه في مجلسك ، وإن الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود ؛ لأن البرامكة منسوب إلى الرشيد ، وجود الحسن والفضل ابني سهل منسوب إلى المأمون ، وجود ابن أبي دواد منسوب إلى المعتصم ، وإذا نسبت الناس الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى إلى السخاء فذاك سخاؤك يا أمير المؤمنين . قال : صدقت ! فمن أبخل من رأيت؟ قال : موسى بن عبد الملك . قال : وما رأيت من بخله؟ قال : رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ، ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة . قال : قد وقعت فيه عندي مرتين ، وما أحب ذلك لك ؛ فالقه واعتذر إليه ، ولا يعلم أني وجهت بك . قال : يا أمير المؤمنين ؛ تستكتمني بحضرة ألف . قال : لن تخاف . قال : علي الاحتراس من الخوف . وسار إلى موسى ، فاعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه وافترقا عن صلح ، فلقيه بعد أيام بالجعفري فقال له : يا أبا عبد الله ؛ قد اصطلحنا ، فما لك لا تأتينا؟ قال : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس . قال موسى : ما أرانا إلا كما كنا .

وقال له المتوكل : إبراهيم بن نوح النصراني واجد عليك . فقال : ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، وقال له : إن جماعة الكتاب يلومونك . فقال :

إذا رضيت عني كرام عشيرتي ... فلا زال غضباناً عليّ لئامها

أسوأ ما في العمى

لقيه المعتزلي ابن أبي دؤاد[1] ، فقال له : (ما أشد ما أصابك في ذهاب بصرك؟) ، فقال : (أُبدأُ بالسلام ، وكنت أحب أن أكون أنا المبتدئ ، وأُحدِّث من لا يُقبل على حديثي ، ولو رأيته لم أُقبل عليه) .

حديث عهد بالصلاة

لما استوزر صاعدٌ عقب إسلامه ، وكان نصرانياً قبل ذلك جاء أبو العيناء إلى بابه ، فقيل له (يُصلي) ، فعاد ، فقيل (يصلي) ، فقال : (معذور . . لكل جديد لذة) .

ما يحب أبو العيناء

مر أبو العيناء على دار عدوٍّ له ، فقال : (ما خبر أبي محمد؟) ، فقالوا : كما تحب ، فقال : (فما لي لا أسمع بكاء ولا عويلا) .

إن بعض الظن إثم

قال أبو العيناء : (مررت يوماً في درب بسُرّ من رأى ، فقال لي غلام : يا مولاي . . في الدرب حَمَلٌ سمين والدرب خالٍ . فأمرته أن يأخذه ، وغطيته بطيلساني ، وصرتُ إلى منزلي ، فلما كان من الغدٍ جاءتني رُقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : (جُعلتُ فداك . . ضاع لنا بالأمس حَمَلٌ ، فأخبرني صبيان دربنا أنك أنت أخذته ، فهل تأمر بردِّه مُتفضلاً) ، فكتبت إليه : (يا سبحان اللهَ! . . ما أعجب هذا الأمر . . مشايخ دربنا يزعمون أنك تدير بيتك للبغّاء ، وأُكذّبهم أنا ، ولا أصدقهم ، وتصدق أنت صِبيان دربك أني أخذت الحمل؟) . قال أبو العيناء : (فسكتَ ، ولم يُعاودني) .

---

(١) هو أبو عبيد الله أحمد بن أبي دؤاد ، عربي من إياد ، ولد سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م في قنسرين ، خرج وهو حدث مع أبيه في تجارة إلى العراق ، حيث استقر هناك وطلب العلم ، وخاصة الفقه والكلام . صحب هياج بن العلاء السُلمي صاحب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال .

جل من لا يخطئ

شكا أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان تأخر أرزاقه ، فقال له : (ألم نكن كتبنا تلك إلى ابن المدبر ، فماذا فعل في أمرك) ، فقال : (جرني على شوك المطل ، وحرمني ثمرة الوعد) ، فقال : أنت اخترته! ، فقال أبو العيناء : (وما عليّ ، وقد اختار موسى سبعين رجلاً من قومه ، فما كان منهم رشيد ، فأخذتهم الرجفة ، واختار النبي ﷺ ابن أبي سرح كاتبا ، فلحق بالمشركين مرتداً ، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري حكما ، فحكم عليه لا له) .

أفحمه الصبي

اعترف أبو العيناء بأن ابناً صغيراً لعبد الرحمن بن خاقان أخجله ذات مرة ، وغلبه إذ رآه أبو العيناء ذكيا لماحا ، فقال له : (وددت لو أن لي ابناً مثلك) ، قال الطفل : هذا بيدك ، فقال أبو العيناء : كيف .؟قال : (تحمل أبي إلى امرأتك ، فتلد لك ابنا مثلي) .

الخمر والميسر

قيل لأبي العيناء : (ما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم؟) ، فقال : (هما الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما!) .

بلا بغل

ذات مرة وعده ابن المدير أن يعطيه بغلاً ، وماطل في ذلك ، وبعد فترة لقيه في الطريق فقال له : (كيف أصبحت يا أبا العيناء؟) ، فأجابه : (أصبحت بلا بغل) ، فضحك منه ، وأرسل إليه ما أراد .

امتحان جارية المتوكل

عرضت جارية أديبة على المتوكل ، فأراد أبو العيناء امتحان معرفتها بالشعر ، فقال لها شعراً :

أحمد الله كثيراً

فقالت :

حيث أنشأك ضريراً

فقال أبو العيناء : (يا أمير المؤمنين . . أحسنت في إساءتها ، فاشترها) .

أبو العيناء ووالده

قال لأبي العيناء أبوه : (يا بني . . أن الله تعالي قرن طاعته بطاعتي ، فقال : (اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْك) ، فقال له : (يا أبت . . أن الله أئتمنني عليك ، ولم يأتمنك عليّ ، فقال : (وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ) .

أمارة العناية وأمارة الشكر

قال أبو العيناء للجاحظ[١] : (طلب مني صديق لي أن أسألك أن تكتب له خطاب توصية إلى والي البصرة) ، فكتب له الجاحظ الخطاب ، وختمه ثم أرسله إلى أبي العيناء ، فلما تسلّمه أبو العيناء أحبّ أن يرى ما كتبه الجاحظ ، فقال لرجل عنده : (اِفتحْه واقرأه عليّ) ، فإذا فيه : (هذا كتابي إليك . . طلبه مني من لا أخافه لمن لا أعرفه ، فافعل في أمره ما تراه ، والسلام) ، فغضب أبو العيناء ، ونهض إلى الجاحظ ، فقال : (أعرّفك باعتنائي بهذا الصديق ، فتكتب له مثل هذا؟!) ، فقال الجاحظ : (لا تنكر ذلك ، فإنها أمارة بيني وبين والي البصرة إذا عُنيت برجل) ، فقال أبو العيناء : (بل أنت ولد زنا) ، قال : أتشتمني؟ ، فقال أبو العيناء : (لا . إنها أمارة لي عند الثناء على إنسان!) .

فن الوصف

وذكر له ولد عيسى بن موسى[٢] ، وكانت أنوفهم كباراً معوجة فقال : كأن أنوفهم قبور نصبت على غير القبلة .

---

(١) لجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها .

(٢) عيسى بن موسى ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ولي العهد أبو موسى الهاشمي أميرٌ عباسي ، من الولاة القادة ، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح ، كان يقال له : شيخ الدولة .

يشتهي موته

قال أبو العيناء لابنه وهو مريض : أي شيء تشتهي؟
قال : اليتم .

جبلا الثلج

دخل أبو العيناء على القائد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[(١)] وهو يلعب بالشطرنج ، فقال له عبيد الله : في أي الحيزين أنت؟ ، فقال : في حيّز الأمير أيده الله ، فغُلِبَ عبيد الله ، فقال : (يا أبا العيناء . . قد غُلِبنا ، وقد أصابك من الرهان أن تأتي بخمسين رطلاً ثلجاً) ، فمضى أبو العيناء إلى ابن ثوابة (وكان يستبرده) ، وقال له : (إن الأمير يدعوك) ، فلما دخلا على عبيد الله قال أبو العيناء : (أيد الله الأمير . . قد جئتك بجبل همذان وماسيذان (وهما جبلان مكسوان بالثلج) ، فخذ منه ما شئت)!

في العمى خير

قالت له قَيْنة : وأنت أيضاً يا أعمى ، فقال لها : (ما أستعين على قبح وجهك بشيءٍ أصلح من العمى) .

عبادة الأصنام

قال له ذو الوزارتين أبو العلاء صاعد يوماً : (ما الذي أخرك عنا؟) ، فقال أبو العيناء : (بنتي) ، فقال : وكيف؟ قال : (قالت لي يا أبت ، قد كنت تغدو من عندنا ، فتأتي بالخلعة السرية والجائزة السنية . . ثم أنت الآن تغدو مسدفاً وترجع معتماً فإلى من؟) ، فقلت : (إلى أبي العلاء ذي الوزارتين) ، فقالت : (أيعطيك؟) . قلت : لا . قالت : (أيُشَفّعُك؟) . قلت : لا . قالت : (أيرفع مجلسك؟) . قلت : لا . قالت : يا أبت ، (لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) .

---

(١) الأمير أبو أحمد ، عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، من بيت إمارة وتقدم ، ولي شرطة بغداد نيابة عن أخيه الأمير محمد بن عبد الله ، ثم استقل بها بعد موت أخيه . وكان رئيسا جليلا ، وشاعرا محسنا ، ومترسلا بليغا .

فراقك عافية

أكثر أبو العيناء على ابن مكرم من المهاترة ، فقال ابن مكرم : (إن زدت على هذا قمت) ، فقال : (أراك تهددنا بالعافية!) .

مضاف إليه

سأل أبو العيناء حاجة من ابن أخت الوزير ، فلم يقضها له ، فقال أبو العيناء : (إنما ألوم نفسي في تأميلك ، وأنت مضاف إلى مضاف!!) .

ألف زائدة

قال رجل لأبي العيناء : (أتأمر بشيئاً؟) ، فقال : (نعم بتقوى الله ، وحذف الألف من شيئاً!!) .

القدر والصرف

سئل أبو العيناء عن حماد بن درهم وحماد بن دينار ، فقال : (بينهما في القدر ما بين أبويهما في الصرف) .

بين أبي علي البصير وأبي العيناء

قال أبو علي البصير لأبي العيناء : في أي وقت ولدت من النهار؟ قال : طلوع الشمس . قال : فلذلك خرجت مكدياً ؛ لأنه وقت انتشار المساكين . فقال له أبو العيناء : بيني وبينك مناسبة العمى ، قال : كلا! إني من عميان الدواب ، وأنت من عميان العصا .

بلغت أبا علي البصير عن أبي العيناء قوارص بظهر الغيب ؛ فكتب إليه : أستزيد الله في بقائك ؛ واستمتعه بإخائك ، واستحفظه النعمى عندك . رب مزح أعزك الله قد بعث جداً ، وجور قد أحدث قصداً ، ورب أمر صغير خطره ، قد أعقب أمراً كبيراً آخرهن ونحن باستزادتنا بعهدك ، ومحاماتنا على ودك ، وتمسكنا بعرى الأسباب التي بيننا وبينك ، واحتراسنا من جناية الدهر علينا فيك ، لا نقتصر على الاستظهار بالحجة ، والإبلاغ في المعذرة ، دون استفراغ المجهود ، وبلوغ الغاية في التأني ، والحيلة في استرجاع ما شذ عنا منك ، وإبطال ما نمت به الأخبار إلينا عنك ، من تحليك بنا

في العيب ، وتناولت إيانا في الغيب ، فلا يزال أخ لك مد الله في عمرك تعد له ، على نفسك ، وثوقه لك وعليك ، قد ساقط إلي أحاديث عنك بطبائعها صلاح القلوب قليلاً بها بقاء المودة ، سريعة في حل عقدتها وقطع مودتها ، أحاديث ، أكره لنفسي بدأها ولك عاقبتها ، وكنت لا أزال أرد ما يرد علي منها بتأول لفظك وحسن الظن بمعناك ، والتماس العذر لك على ضيق مخرجه ، وصعوبة مطلبه ؛ وأغلب رأيي لهواك ، وأقف غضبي على عتباك ، وأحفظ قصدك إلي متنصلاً بما بلغني عنك ؛ إلى حرم بيني وبينك ، لا يجب حفظها علي دونك ، حتى عاد تعريضك تصريحاً ، وتمريضك تصحيحاً ، وفي نسبته في صحتي إلى العمى ، وفي حلمي إلى الضعف ، إلى أن يئس الصديق من نصري ، لما رأى من إغضائي في أمر نفسي ، وقد بقي مع فضلة من أداتي أنت تملكها دوني ، فإن صنتها لي ووفرتها على من أساء الاختيار ؛ ولا أعدم أنصاراً من الأحرار ، أسعد بمؤازرتهم ومكاشفتهم ، وأستغني بنفسي عنهم .

وقد كتبت في هذا المعنى بأبيات هي لما قبلها ولما يكون بعدها ، فرأيك في تفهمها نفعك الله بها :

أبلغ أبا العيناء إن لاقيته	قولاً يكون لدائه حسما
نبئت أنّك في المغيب تسبّني	وإذا التقينا كنت لي سلما
فتروم هجوي جاهداً ونقيصتي	سفهاً أراه بادياً حلما
لا تغتنم لحمي فليس بأكلة	واعلم بأنك واجدٌ لحما
إني أُعيذك أن تكون رميّةً	لسهام رامٍ إن رمى أصمى

كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر

وكتب إلى أبي الصقر كتاباً متضمنه : أنا أعز الله الوزير طليقك من الفقر ، ونقيذك من البؤس ، أخذت بيدي من عثرة الدهر ، وكبوة الفقر ؛ وعلى أية حال حين نفدت الأولياء والأشكال ، والإخوان والأمثال الذي يفهمون في غير تعب ؛ وهم الناس كانوا غياثاً للناس ، فحللت عقدة الخلة ، ورددت إلي بعد النفور النعمة ، وكتبت إلى الطائي كتاباً ، فكأنما كان منه إليك ، أتيته وقد استصعبت علي الأمور ، وأحاطت بي النوائب ، فكثر من بشره ، وأعطى من ماله أكرمه ، ومن بر أحكمه ، ولم يزل مكرماً لي مدة ما أقمت ، ومثقلاً لي من فوائده لما ودعت ؛ حكمني في ماله فتحكمت ، وأنت تعرف جوري إذا تمكنت ، وزادني من طوله فشكرت ؛ فأحسن الله

جزاءك ، وأعظم حباءك ، وقدمني أمامك ، وأعاذني من فقدك وحمامك ، وقد أنفقت علي ما ملكك الله ، وأنفقت من الشكر ما يسر الله لي . والله عز وجل يقول : «لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ من سعته» ؛ فالحمد لله الذي جعلك اليد العليا ، والرتبة السامية ؛ لا أزال الله عن هذه الأمة ما بسط لها من عدلك ، وبث فيها من رفدك .

أبو دلامة(١)

عن محمد بن سلام ، قال : لقي روح بن حاتم بعض الحروب ، فقال لأبي دلامة وقد دعا رجلٌ منهم إلى البراز : تقدم إليه ؛ قال : لست بصاحب قتال ؛ قال : لتفعلنّ ؛ قال : إني جائعٌ ، فأطعمني ؛ فدفع إليه خبزاً ولحماً ؛ وتقدّم ، فهمّ به الرجّل ، فقال له أبو دلامة : اصبر يا هذا ، أيّ محارب تراني؟ ثمّ قال : أتعرفني؟ قال : لا ؛ قال : فهل أعرفك؟ قال : لا }قال : فما في الدنيا أحمق منّا ؛ ودعاه للغداء ، فتغدّيا جميعاً وافترقا ، فسأل روحٌ عما فعل ، فحدّث ، وضحك ، ودعا له ، فسأله عن القصة ، فقال :

إنّي أعوذ بروح أن يقدّمني ... إلى القتال فتخزى بي بنو أسد
آل المهلّب حبُّ الموت ورثكم ... إذ لا أورث حبَّ الموتِ عن أحد

هنيئا لهما

خرج الخليفة المهدي وعلي بن سليمان في رحلة صيد وكأن معهما الشاعر الظريف أبو دلامة . فرمى المهدي ظبيا بسهم فأصابه ورمى علي بن سليمان سهما فأصاب به كلبا فأنشد أبو دلامة قائلاً :

قد رمى المهدي ظبيا شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليمان رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل امرؤ يأكل زاده

جاء شاعران إلى بعض النّحاة ، فقالا : اسمع شعرنا وأخبرنا بأجودنا ؛ فسمع

(١) أبو دُلامة شاعر ساخر عاش في العصر العباسي ، وكا ن عبدا لرجل من اهل الرقه من بني اسد واعتقه في ما بعد ، وهو أحد الشعراء المعاصرين لخلفاء بني العباس الثلاث الأوائل وهم السفاح والمنصور والمهدي ، بل يعتبر شاعرهم ونديمهم الخاص .

شعر أحدهما ، وقال : ذاك أجود ؛ قال له : فما سمعت شعره }؟ ما يكون أنحس من هذا قطّ .

المتنبي

كان أبو الطيب المتنبي[١] عند وروده مدينة السلام التحف رداء الكبر وأذال ذيول التيه وصعر خده ونأى بجانبه ، وكان لا يلقى أحداً إلا نافضاً مذروية ، رافلاً من التيه في برويه ، يخيل إليه أن العلم مقصور عليه ، وأن الشعر بحر لم يغترف نمير مائة غيره ، وروض لم يرع نواره سواه ، فدل بذلك مديدة أجرته رسن الجهل فيها ، فظل يمرح في تثنيه حتى إذا تخيل أنه القريع الذي لا يقارع ، والنزيع الذي لا يجارى ولا ينازع ، وأنه رب الغلب ومالك القصب ، وثقلت وطأته على أهل الأدب بمدينه السلام ، فطأطأ كثير منهم رأسه وخفض جناحه وطامن على التسليم له جأشه ، وتخيل أبو محمد المهلبي أن أحداً لا يقدر على مساجلته ومجاراته ، ولا يقوم لتتبعه بشيء من مطاعنه ، وساء معز الدولة أن يرد عن حضرة عدوه رجل فلا يكون في مملكته أحد يماثله في صناعته ، ويساويه في منزلته . نهدت حينئذ متتبعاً عواره ، ومتعقباً آثاره ، ومطفياً ناره ، ومهتكاً أستاره ، ومقلماً أظفاره ، وناشراً مطاويه ، وممزقاً جلباب مساويه ، متحيناً أن تجمعنا دار فأجرى أنا وهو في مضمار يعرف فيه السابق من المسبوق ، حتى إذا لم أجد ذلك قصدت موضعه الذي كان يحله في ربض حميد ، فوافق مصيري إليه حضور جماعة تقرأ شيئاً من شعره عليه ، فحين أوذن بحضوري واستؤذن عليه لدخولي نهض عن مجلسه مسرعاً ، ووارى شخصه عني مستخفياً ، فنزلت عن بغلة كانت تحتي ناحية وهو يراني نازلاً عنها لانتهائي بها إلى أن حاذيته ، فجلست في موضعه وإذا تحته قطعة من زيلو مخلقة قد أكلتها الأيام وتعاورتها السنون ، فهي رسوم خافية وسلوك بادية ، حتى وإذا خرج إلى نهضت إليه فوفيته حق السلام غير مشاح له في القيام ، لأنه إنما اعتمد بنهوضه ألا ينهض لي عند موافاتي ، وإذا هو قد لبس سبعة أقبية كل قباء منها لون ، وكان الوقت آخر أيام الصيف وأخلقها بتخفيف اللبس ، فجلست وجلس وأعرض عني ساعة لا يعيرني

(١) أبو الطيب المتنبي هو أحمدُ بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي المولد ، نسب إلى قبيلة كندة نتيجة لولادته بحي تلك القبيلة في الكوفة لانتمائه لهم .

فيها طرفه ، ولا يسألني عما قصدت له ، وقد كدت أتميز غيظاً وأقبلت أسخف رأيي في قصده ، وأفنده نفسي في التوجه نحو مثله . ولوى عذراه عني مقبلاً على تلك الزعنفة التي بين يديه ، كل واحد يومئ إليه ويوحي بطرفه ، ويشير إلى مكاني بيده ، ويوقظه من سنة جهله ، ويأبى إلا ازوراراً ونفاراً وجرياً على شاكلة خلقه المشكلة ، ثم رأى أن يثني رأسه إلي ، فوالله ما زادني على أن قال : أي شيء خبرك؟ قلت أنا بخير لولا ما جنيت على نفسي من قصدك ، وكلفت قدمي في المصير إلى مثلك ، ثم تحدرت عليه تحدر السيل إلى القرار وقلت له : أبن لي عافاك الله ممن تيهك وخيلاؤك وعجبك؟ وما الذي يوجب ما أنت عليه من التجبر والتنمر؟ هل ها هنا نسب في الأبطح تبحبحت في بحبوحة الشرف وفرعت سماء المجد به؟ أم علم أصبحت علماً يقع الإيماء إليك فيه؟ هل أنت إلا وتد بقاع في شر البقاع؟ وجفاء سيل دفاع . يا لله استنت الفصال حتى القرعى وإني لأسمع جعجعة ولا أرى طحناً ، فامتقع لونه عند سماع كلامي وعصب ريقه ، وجحظت عيناه وسقط في يده ، وجعل يلين في الاعتذار ليناً كاد يعطف عليه عطف صفحي عنه . ثم قلت : يا هذا ، إن جاءك رجل شريف في نسبة تجاهلت نسبه ، وأو عظيم في أدبه صغرت أدبه ، أو متقدم عند سلطانه لم تعرف موضعه ، فهل العز تراث لك دون غيرك؟ كلا والله! لكنك مددت الكبر ستراً على نقصك ، وضربته رواقاً دون جهلك . فعاد إلى الاعتذار ، وأخذت الجماعة في تليين جانبي والرغبة إلي في قبول عذره واعتماد مياسرته ، وأنا آبي إلا استشراء واجتراء ، وهو يؤكد الأقسام ويواصلها أنه لم يعرفني فأقول : يا هذا ، ألم يستأذن لي عليك باسمي ونسبي أما في هذه العصابة من يعرفك بي لو كنت جهلتني؟ وهب ذلك كذلك ، ألم ترني ممتطياً بغلة رائعة يعلوها مركب ثقيل وبين يدي عدة من الغلمان؟ أما شاهدت لباسي؟ أما شمعت نشر عطري؟ أما راعك شيء من أمري أتميز به في نفسك عن غيري؟ وهو في أثناء ما أكلمه يقول : خفض عليك ، ارفق استأن ، فأصبحت جانبي بعض الإصحاب ولان شماسي بعض الليان ، وأقبل علي وأقبلت عليه ساعة ثم قلت : أشياء تختلج في صدري من شعرك أحب أن أرجعك فيها . قال وما هي؟ قلت خبرني عن قولك :

فإن كان بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول

أهكذا تمدح الملوك؟ وعن قولك :

ولا من في جنازتها تجار يكون وداعهم نفض النعال

أهكذا تؤبن أخوات الملوك؟ والله لو كان هذا في أذني عبيدها لكان قبيحاً . وأخبرني عن قولك :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع   فإن لحت حاضت في الخدور العواتق

أهكذا تنسب بالمحبوبين؟ وعن قولك في هجاء ابن كيغلغ :

وإذا أشار محدثاً فكأنه   قرد يقهقه أو عجوز تلطم

أما كان لك في أفانين الهجاء التي تصرفت فيها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الرذل الذي ينفر عنه كل طبع ، ويمجه كل سمع . وعن قولك :

وضاقت الأرض حتى ظن هاربهم   إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

أفتعلم مرئياً يتناوله النظر لا يقع عليه اسم شيء؟ وما أراك نظرت إلا إلى قول جرير :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم   خيلاً تكر عليهم ورجالاً

فأحلت المعنى عن جهته ، وعبرت عنه بغير عبارته . وعن قولك :

أليس عجيباً أن وصفك معجز   وأن ظنوني في معاليك تظلع

فاستعرت الظلع لظنونك ، وهي استعارة قبيحة وتعجبت من غير متعجب ، لأن من أعجز وصفه لم يستنكر قصور الظنون وتحيرها في معاليه ، وإنما نقلته وأنشدته من قول أبي تمام :

ترقت مناه طود عز لو ارتقت   به الريح فتراً لانثنت وهي ظالع

وعن قولك تمدح كافوراً :

فإن نلت ما أملت منك فربما   شربت بماء يعجز الطير ورده

إنها مدح أو ذم؟ قال : مدح . قلت : إنك جعلته بخيلاً لا يوصلك إلى خيره من جهته ، وشبهت نفسك في وصولك إلى ما وصلت إله منه بشربك من ماء يعجز الطير ورده لبعده وترامي موضعه . وأخبرني أيضاً عن قولك في صفة كلب وظبي :

فصار ما في جلده في المرجل   فلم يضرنا معه فقد الأجدل

فأي شيء أعجبك من هذا الوصف؟ أعذوبة عبارته؟ ، أم لطف معناه؟ ، أما قرأت رجز ابن هانئ وطرد ابن المعتز؟ أما كان هناك من المعاني التي ابتدعها هذان الشاعران وغرر المعاني التي اقتضباها ما تتشاغل به عن بنيات صدرك هذه؟ . وألا اقتصرت على ما في أرجوزتك هذه من الكلام السليم ولم تسف إلى هذه الألفاظ

القلقة والأوصاف المختلفة ، فأقبل علي ثم قال : أين أنت من قولي؟ :

كأن الهام في الهيجاء عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الأسنة من هموم فما يخطرن إلا في فؤاد

وأين أنت من قولي في صفة جيش؟ :

في فيلق من حديد لو رميت به صرف الزمان لما دارت دوائره

وأين أنت من قولي؟ :

لو تعقل الشجر التي قابلتها مدت محيية إليك الأغصنا

وأين أنت من قولي؟ :

أيقدح في الخيمة العذل وتشمل من دهره يشمل
وما اعتمد الله تقويضها ولكن أشار بما تفعل

وفيها أصف كتيبة :

وملومة زرد ثوبها ولكنه بالقنا مخمل

وأين أنت عن قولي؟ :

ألناس ما لم يروك أشباه والدهر لفظ وأنت معناه
والجود عين وأنت ناظرها والبأس باع وفيك يمناه

أما يلهيك إحساني في جميع هذه عن إساءتي في تلك؟ قلت : ما أعرف لك إحساناً في جميع ما ذكرته ، إنما أنت سارق متبع ، وآخذ مقصر ، وفيما تقدم من هذه المعاني التي ابتكرها أصحابها مندوحة عن التشاغل بقولك . فأما قولك : كأن الهام في الهيجا عيون البيت فهو منقول من بيت منصور النمري :

فكأنما وقع الحسام بهامة خدر المنية أو نعاس الهاجع

وأما قولك : في فيلق ، البيت فنقلته . نقلاً لم تحسن فيه من قول الناجم :

ولي في حامد أمل بعيد ومدح قد مدحت به طريف
مديح لو مدحت به الليالي لما دارت علي لها صروف

والناجم إنما نظمه من قول أرسطاطاليس ، قد تكلمت بكلام لو مدحت به الدهر لما دارت علي صروفه . وأما قولك : لو تعقل الشجر التي قابلتها البيت هذا معنى متداول تساجلته الشعراء وأكثرت فيه ، فمن ذلك قول : الفرزدق :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

ثم تكرر في أفواه الشعراء إلى أن قال أبو تمام :

لو سعـــت بقعـــة لإعظـــام أخرى لسعـــى نحوهـــا المكان الجديب

وأخذه البحتري فقال :

لو أن مشتاقـــاً تكلـــف غـــير مـــا فـــي وسعـــه لمشـى إليك المنبر

وأما قولك : وما اعتمد الله تقويضها فقد نظرت فيه إلى قول رجل مدح بعض الأمراء بالموصل وقد كان عزم على السير فاندق لواؤه فقال :

ما كـــان منـــدق اللـــواء لريبـــة تخشـــى ولا أمـــر يكـون مزيلا

لكـــن لأن العـــود ضعـــف متنـه صغـــر الولايـــة فاستقل الموصلا

وأما قولك : وملمومة زرد ثوبها فمن قول أبي نواس :

أمـــام خميـــس أرجـــوان كأنـــه قميـــص محـــوك من قنا وجياد

وأما قولك : الناس ما لم يروك أشباه ، فمن قول علي ابن نضر بسام في عبيد الله بن سليمان يرثيه :

قـــد استـــوى الناس ومات الكمال وصـــاح صرف الدهر أين الرجال؟

هـــذا أبـــو القاســـم في نعشـــه قوموا انظروا كيف تزول الجبـــال؟

فقوله : قد استوى الناس ومات الكمال ، هو قولك : الناس ما لم بروك أشباه . فقال بعض من حضر : ما أحسن قوله : قوموا انظروا كيف تزول الجبال! فقال أبو الطيب : اسكت ما فيه من حسن ، ألم يسرقه من قول النابغة الذبياني؟ :

يقولون حصن ثم تأبـــى نفوسهـــم وكيـــف بحصن والجبال جنـوح؟

فقال الحاتمي فقلت : قد سرقه النابغة من أوس حين قال :

ألم تكســـف الشمـس شمس النها ر والبـــدر للقمـــر الواجـــب

لفـــقد فضالـــة لا يســـتوي الـ ـقعود ولا خلـــة الذاهـــب

قلت : والله لئن كان أخذه فقد أحسن وأخفى الأخذ . فقال الرجل أجل . فقال المتنبي : يا محسد خذ بيده وأخرجه يريد بمحسد ابنه . فرجعت إلى أن تركه ثم قلت له : وأما قولك : والدهر لفظ وأنت معناه ، فمن قول من قول الأخطل إن كان البيت له في عبد الملك بن مروان :

وإن أميـــر المؤمنـــين وفعلـــه لكالدهـــر لا عـــار بما فعل الدهر

وقد قال جرير حين قال له الفرزدق :

فإنـــي أنا المـــوت الـــذي هو نازل بنفســـك فانظر كيف أنت تحاوله؟

وقال جرير :

أنا الدهر يفنـــى والدهــــر خالــــد فجئنـــــي بمثل الدهر شيئاً تطاولــه

ثم قلت له : أترى أن جريراً أخذ قوله : يفنى الموت من أحد ، وأن أحداً شركه في إفناء الموت؟ ففكر طويلاً ثم قال لا ، قلت : بلى عمران بن حطان حيث يقول :

لن بعجـــز الموت شيء دون خالقــة والمـــوت فـــان إذا ما ناله الأجل

وكل كرب أمـــام المـــوت متضـــع بالمـــوت والموت فيما بعده جلـــل

فأمات الموت وأحياه وما سبقه إلى ذلك أحد . ثم قلت له : أترى أن البيت المتقدم الذي يقول فيه : لك الدهر لا عار بما فعل الدهر ، مأخوذ من أحد؟ فأطرق هنيهة ثم قال : وما تصنع بهذا؟ قلت يستدل على موضعك ومواضع أمثالك من سرقة الشعر . فقال : الله المستعان ، أساء سمعاً فأساء إجابة ، ما أردت ما ذهبت إليه . قلت : فإنه أخذه من قول النابغة وهو أول من ابتكره :

وعيرتنـــي بنـــو ذبيـــان خشيتـــه ومـــا علـــي بأن أخشاك من عار

ثم أخذه أبو تمام فأحسن بقوله :

خشعـــوا لصولتـــك التي هي فبهم كالمـــوت يأتـــي ليـــس فيه عار

قال : ومن أبو تمام؟ قلت : الذي سرقت شعره فأنشدته . قال : هذه خلائق السفهاء لا خلائق العلماء . قلت أجل ، أنت سفهت رأيي ولم يكن سفيهاً ألست القائل؟

ذي المعالـــي فليعلـــون من تعالـــى هكـــذا هكـــذا وإلا فـــــلالا

شـــرف ينطـــح الثريـــا بروقيـــــ ـــــه وفخـــر يقلقـــل الأجبـالا

قال بلى . قلت فإنك أخذت البيت الأول من بيت بكر بن النطاح :

يتلقـــى النـــدى بوجـــه حيـــي وصـــدور القنـــا بوجـــه وقـاح

هكـــذا هكـــذا تكـــون المعالـــي طـــرق الجـــد غـــير طرق المزاح

وأخذت البيت الثاني فأفسدته من قول أبي تمام :

همـــة تنطـــح الثريـــا وجـــد آلـــف للحضيـــض فهو حضيض

قال : وبأي شيء أفسدته؟ قلت : بأن جعلت للشرف قرناً ، قال : وأني لك بذلك؟ قلت ألم تقل : ينطح السماء بروقيه؟ والروقان : القرنان؟ قلت أجل ، إنما هي استعارة؟ قلت نعم ، هي استعارة خبيثة . قال : أقسمت غير محرج في قسمي إنني لم أقرأ شعراً قط لأبي تمامكم هذا . فقلت : هذه سوءة لو سترتها كان أولى . قال : السوءة قراءة شعر مثله ، أليس هو الذي يقول :

خشنـــت عليـــه أخت بني خشين وأنجـــح فيـــك قـــول العاذلـين
والذي يقول :
لعمـــري لقـــد حـــررت يوم لقيته لـــو أن القضـــاء وحده لم يبــرد
والذي يقول :
تكـــاد عطايـــاه يجـــن جنونهـــا إذا لـــم يعوذهـــا بنغمـــة طالب
والذي يقول :
تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجـــت أعمارهم قبل نضج التين والعنــب
والذي يقول :
ولي ولم يظلـــم وهـــل ظلـــم امرؤ حـــث النجـــاء وخلفـــه التنين
والذي يقول :
فضربـــت الشتـــاء فـــي أخدعيـه ضربـــة غادرتـــه عـــوداً ركـــو
والذي يقول :
كانـــوا رداء زمانهـــم فتصدعـــوا فكأنمـــا لبـــس الزمـــان الصوفا
والذي يقول :
أقول لقرحان من البين لـــم يصـــب رسيس الهوى بين الحشا والترائب

ما قرحان البين اخرس الله لسانه؟ فأحفظني ذلك وقلت : يا هذا ، من أدل الدليل على أنك قرأت شعر هذا الرجل تتبعك مساويه : فهل في الدالة على اختلاقك إنكاره أوضح مما ذكرته؟ وهل يصم أبا تمام أو يسمه بميسم النقيصة ما عددته من سقطاته وتخونته من أبياته ، وهو الذي يقول في النونية :

نوالـــك رد حســـادي فلـــولا وأصلـــح بـــين أيامـــي وبينـي

فهلا اغتفرت لأول لهذا البيت الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله؟ وأما قوله :

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجـــت أعمارهم قبل نضج التين والعنــب

فلهذا البيت خبر لو استقريت صفحة لأقصرت عما تناولته بالطعن فيه . ثم قصصت الخبر وقلت في هذه القصيدة مالا يستطيع أحد من متقدمي الشعراء وأمراء الكلام وأرباب الصناعة أن يأتي بمثله . قال : وما هو؟ قلت لو قال قائل : إن أحداً لم يبتدي بأوجز ولا أحسن ولا أخصر من قوله :

ألسيف أصدق إنباء مـــن الكتـــب في حده الحد بين الجد واللعـــب

لما عنف في ذلك . وفيها يقول :

رمى بك اللــــه برجيـــــها فهدمـــــها ولـــو رمى بك غير الله لم يصـب

وفيها يقول :

لما رأى الحرب رأى العـــين توفلـــس والحرب مشتقة المعنى من الحــرب

وفيها يقول :

فتح تفتح أبـــواب السمـــاء لـــــه وتبرز الأرض في أبرادها القشـــب

وفيها يقول :

بكر فما افترعتهـــا كـــف حادثـــة ولا ترقـــت إليهـــا همـة النوب

وفيها يقول :

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحـــى يشبهـــا وسطها صبح من اللهـب

حتى كأن جلابيب الدجى رغبـــت عن لونها وكأن الشمس لم تغـــب

وفيها يقول :

أجبتـــه معلنـــاً بالســـيف منصلتاً ولـــو أجبت بغير السيف لم تصب

وأما قوله : أقول لقرحان من البين ، فإنه يريد رجلاً لم يقطعه أحبابه ولم يبينوا عنه قبل ذلك ، وإذا كانت حاله كذلك كان موقع البين أشد عليه وأفت في عضده ، والأصل في هذا : أن القرحان الذي لم يجدر قط . وقد قال جرير :

وكنت من زفرات البين قرحاناً

وفي هذه القصيدة من المعاني الرائعة ، والتشبيهات الواقعة ، والاستعارات البارعة ما يغتفر معه هذا البيت وأمثاله . على أنا أبنا عن صحته معناه وعن أمثاله ، فمن ذلك :

إذا العيـــس لاقـت بي أبا دلف فقد تقطـــع ما بينـــي وبـين النوائب

يرى أقبـــح الأشيـــاء أوبـــة آمـل كستـــه يـــد المأمول حلة خائب

وأحســـن مـــن نور يفتحه النـــدى بياض العطايا في سواد المطالـــب

وقـــد علـــم الأفشين وهو الذي بـه يصان رداء الملك عن كل جـــاذب

بأنك لما استحكم النصـر واكتســـى إهابي تسفى في وجوه التجـــارب

تجللتـــــه بالـــرأي حتـــى أريتـــه به ملء عينيه مكـــان العواقـــب

بأرشـــق إذ سالـــت عليهم غمامـة جرت بالعوالي والتعاق الشـــوارب

ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قـــرت حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه فيـض العقـــول إذا انجلـــت سحائب جود أعقبت بسحائـــب

فبهره مما أوردته ما قصر عنان عبارته ، وحبس بنيات صدره ، وعقل عن الإجابة لسانه ، كاد يشغب لولا ما تخوفه من عاقبة شغبه ، وعرفه من مكاني في تلك الأيام ، وأن ذلك لا يتم له ، فما زاد على أن قال : قد أكثرت من أبي تمام ، لا قدس الله أبا تمام وذويه . قلت : ولا قدس السارق منه والواقع فيه . ثم قلت له : ما الفرق - في كلام العرب - بين التقديس والقداس والقادس؟ فقال : وأي شيء غرضك في هذا؟ فقلت : المذاكرة . فقال : بل المهاترة ثم قال : التقديس : التطهير في كلام العرب ، ولذلك سمي القدس قدساً لأنه يشتمل على الذي به الطهور ، وكل هذه الأحرف تؤول إليه .

فقلت له : ما أحسبك أنعمت النظر في شيء من علوم العرب ، ولو تقدمت منك مطالعة لها لما استجزت أن تجمع بين معاني هذه الكلمات مع تباينها ، وذلك لأن القداس بتشديد الدال : حجر يلقى في البئر ليعلم به غزارة مائها من قلته ، حكى ذلك ابن الأعرابي ، والقداس : الجمان ، حكى ذلك الخليل واستشهد بقوله : كنظم قداس سلكه متقطع والقادس : السفينة . قال الشاعر يصف ناقةً :

وتهفو بهاد لها متلع كما اقتحم القادس الأردمونا

فلما علوته بالكلام قال : يا هذا ، مسلمة إليك اللغة . قلت : وكيف تسلمها وأنت أبو عذرتها؟ ومن نصابها وسرها ، وأولى الناس بالتحقق بها والتوسع في اشتقاقها والكلام على أفانينها ، وما أحد أولى بأن يسأل عن لغته منك . فشرعت الجماعة الحاضرة في إعفائه وقبول عذره والتواطؤ له ، وقال كل منهم : أنت أولى بالمراجعة والمياسرة لمثل هذا الرجل من كل أحد . وكنت قد بلغت شفاء نفسي وعلمت أن الزيادة على الحد الذي انتهيت إليه ضرب من البغي لا أراه في مذهبي ، ورأيت له حق القدمة في صناعته . فطأطأت له كتفي واستأنفت جميلاً من وصفه ، ونهضت فنهض لي مشيعاً إلى الباب حتى ركبت وأقسمت عليه أن يعود إلى مكانه ، وتشاغلت بقية يومي بشغل عن لي تأخرت معه عن حضرة المهلب وانتهى إليه الخبر ، وأتتني رسله ليلاً فأتيته فأخبرته بالقصة على الحال ، فكان من سروره وابتهاجه بما جرى ما بعثه على مباكرة معز الدولة قائلاً له : أعلمت ما كان من فلان والمتنبي؟ قال نعم ، قد شفا منه صدورنا .

المتنبي وكافور الإخشيدي

زار مصر في العصر الإخشيدي بعض الشعراء المشهورين منهم أبو الطيب المتنبي ، فأقام بها أربع سنوات عند كافور الإخشيدي[1] يمدحه بغرض الحصول على منصب هام ولكنه لم ينل بغيته ؛ فانقلب على كافور يهجوه هجاءً قاسيًا .

ومما قاله المتنبي في مدح كافور :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا   وحسب المنايا أن يكن أمانيا

كما مدحه بقوله :

قواصد كافور توارك غيره   ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا إنسان عين زمانه   وخلَّت بياضًا خلفها ومآقيا

ولما لم يحقق المتنبي ما كان يطمع فيه من مناصب ؛ نظم قصيدته الدالية المشهورة التي هجا فيها كافور ومطلعها :

عيدٌ بأيّة حالٍ عُدْتَ يا عيدُ   بما مضى أمِ لأمر فيكَ تجديدُ

ومنها :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه   إن العبيد لأنجاس مناكيد
من علم الأسود المخصي مكرمة   أقومه البيض أم آباؤه الصيد؟
أم أذنه في يد النخاس دامية   أم قدره وهو بالفلسين مردود؟
وذاك أن الفحول البيض عاجزة   عن الجميل فكيف الخصية السود

ومنها :

أكلما اغتال عبدُ السوءِ سيده   أو خانه فله في مصرَ تمهيدُ
صار الخَصيُّ إمامَ الآبقين بها   فالحرُّ مستعَبدُ والعبدُ معبود

المتنبي وزيتون

لقي المتنبي مرة رجل زنجي ، فقال له : ما اسمك؟
قال : زيتون

(١) أبو المسك كافور الإخشيدي لقبه الليثي السوري كان من رقيق الحبشة وأصبح أحد حكام الدولة الأخشيدية في مصر وسوريا ، كان الحاكم الفعلي لمصر منذ ٩٤٦ بعد وفاة محمد بن طغج وأصبح كافور سنة ٩٦٦ م واليا على مصر حيث حكمها ثم توسع إلى بلاد الشام دام حكمه لمدة ٢٣ .

فقال المتنبي :

سمــــوك زيتـــون فمـــا أنصفـــــو   لـــو أنصفـــوا سمــــوك زعــرورا
لأن في الزيتون زيــت يضـــاء بـــه   وأنـــت لا زيـــدت ولا نـــورا

فقال الزنجي : وأنت ما اسمك؟

قال : المتنبي . .

فقال الزنجي :

يا لعنـــة اللـــه صبـــي   علـــى لحيـــة المتنبـــي
إن كنـــت أنـــت نبـــي   فالقـــرد لا شـــك ربـي !

البيت الشعري الذي قتل ابو الطيب المتنبي

قيل أن سبب قتل أبو الطيب المتنبي هو خلاف حدث بينه وبين عضد الدولة بسبب انتقاد أبو الطيب له ووصفه بالبخل وأن سيف الدولة أكثر كرما منه .

مما أوغر صدر عضد الدولة عليه فأرسل له قوما قاموا بقتله وقيل أنه حين خرج من مجلس عضد الدولة محملا بالهدايا والمنح وأراد السفر طلب الخفراء الذين سيقومون بمرافقته وحمايته ٥٠ درهما لكل واحد منهم للسفر معه وحمايته لكنه رفض ذلك بسبب بخله الشديد ولاعتقاده بأن الخفراء أرادوا استغلاله وابتزازه وسافر وحده فوقع له ما وقع حين أعترضه جماعة من قطاع الطرق وقاموا بنهبه وقتله .

مع أن الرواية الأقرب إلى الصحة هي ما أجمع كثير من المؤرخين على ذكرها من أن قاتله هو شخص يدعى فاتك بن جهل الأسدي والرواية تقول :

أن ابن أخت فاتك الأسدي ويدعى ضبه بن يزيد العتبي كان مسافرا إلى الكوفة هو وعائلته وبينما هو في الطريق اعترض له قوم من الأعراب من قبيلة كلاب ودارت بينهم معركه قتل على أثرها والد ضبة وسبيت أمه .

كان ضبة العتبي مشهورا ببذاءة اللسان وبالغدر حتى بضيوفه ولعل ما حدث له هو نوع من الانتقام منه بسبب ذلك ، وفي يوم من الأيام مر قوم من أشراف الكوفة من أمام مضارب ضبة بن يزيد العتبي الذي كان متحاملا على أهل الكوفة بسبب مقتل والده فتعرض لهم يشتمهم بأقذر الألفاظ وجاهر بذلك الشتم وكان لذلك التصرف أسوأ الأثر في نفوس أشراف الكوفة الذين لجأوا إلى أبي الطيب المتنبي لرد اعتبارهم فأنشد قصيدته المشهورة ((ما أنصف القوم ضبة)) فكانت من أفحش

القصائد التي قالها أبو الطيب المتنبي في حياته حتى قيل أن أبي الطيب كان يكره سماعها إذا رويت له وقد تعرض فيها لوالدة ضبة فوصفها بأقذر الصفات وأسوئها وكانت هذه القصيدة السبب الرئيسي لمقتله .

حين علم خال ضبة المدعو فاتك بن جهل الأسدي داخلته الحمية لكون القصيدة تعرضت لأخته بالقبيح فأضمر الشر لأبي الطيب وأقسم بالانتقام منه . كان أبو الطيب في ذلك الوقت في مدينة شيراز وفي طريق عودته إلى بغداد كان معه بغال محمله بالهدايا والطيب والكتب الثمينة والخلع النفيسة وحين اقترابه من منطقة تسمى دير العاقول خرج عليه فاتك بن جهل مباغته ومعه جنده فهاجموا أبو الطيب المتنبي وعملوا تقتيلا في قومه ويقال بأن أبو الطيب المتنبي حاول الهرب لما أحس بالهزيمة لولا أن أحد غلمانه جابهه بقوله :

سيصفك الناس بالجبن لو هربت وأنت القائل :

الخيــــل والليـــــل والبيـــداء تعرفني والسيـــف والرمح والقرطاس والقلم

فعاد أبو الطيب إلى المعركة فقتل مع ولده محمد وكثير من جماعته ونهبت أمواله . وكان مقتله في رمضان بتاريخ ٢٨ من عام ٣٥٤ الموافق ٢٧ أبريل ٩٦٥ .

البحتري[1] يهجو علي بن يحيى

وفي علي بن يحيى يقول البحتري يهجوه :

وأكثـــرت غشيـــان المقـــابر زائـراً علـــيّ بن يحيـى جار أهل المقابر
فإلاّ يكـــن ميـــت الحيـــاة فإنّــه مـــن اللؤم ميت الجود ميت المآثر

البحتري وأبو العنبس

أنشد البحتري المتوكل قصيدته :

مـــن أيّ ثغـــر تبتســـم وبـــأيّ طـــرفٍ تحتكـــم
حســـن يضـــنٌّ بحسنـــه والحســـن أشبـــه بالكرم

(١) البحتري : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي ، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي . يقال لشعره سلاسل الذهب ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم ، المتنبي وأبو تمام والبحتري .

أفديـــه من ظلكم الوشـــا ة وإن أســـاء وإن ظلـــم

وهي حلوة الروي ، مليحة العروض ، حسنة الطبع ، فكان البحتري فيه كبر وإعجاب . فإذا أنشد ، قال : ما لكم لا تعجبون ، أما حسن ما تسمعون؟! فقام إليه أبو العنبس الصيمري وقد قال ذلك فقال :

عـــن أيّ سلـــح تلتقـــم وبـــأيّ كـــفّ تلتطـــم
ذقـــن الوليـــد البحتـــريّ أبـــي عبـــادة في الرّحـــم

أدخلت رأسك في الرحم

فولى البحتري مغضباً ، فقال أبو العنبس : وعلمت أنك تنهزم .

فضحك المتوكل حتى فحص برجليه وأمر بالجائزة لأبي العنبس .

أبو تمام

استهل أبو تمام[١] ذات يوم قصيدة ببيت فيه غرابة في كلماته فقال فيه :

قَـــدكَ اِتَّئِـــب أَربَيـــتَ في الغُلواءِ كَـم تَعذلـــونَ وَأَنتُـــمُ سُجَرائـي

فأشكل فهمه على الفيلسوف الكندي فقال له : لم لا تقول ما يفهم؟

فأجابه أبو تمام وقال له : «و أنت لم لا تفهم ما يقال؟»

فبهت من جوابه اللاذع

الصاحب بن عباد[٢]

حكى الهمذاني قال : كان واحد من الفقهاء يعرف بابن الحصيري يحضر مجلس الصاحب بالليالي فغلبته عيناه مرة وخرجت منه ريح لها صوت ، فخجل وانقط عن المجلس ، فقال الصاحب : أبلغوه عني :

---

(١) أَبو تَمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أحد أمراء البيان ، ولد بجاسم ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها .

(٢) أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني ، الطالقاني ، الاصفهاني ، المعروف بالصاحب بن عباد و«كافي الكفاة» ، كان من كبار علماء وأدباء الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، مشارك في مختلف العلوم كالحكمة والطب والمنطق ، وكان محدثاً ثقة .

يا ابن الحصيري لا تذهب على خجل لحـــادث كان مثل الناي والعـــود
كأنها الريـــح لا تستطيـــع تحبسهــا إذ أنـــت لست سليمان بـــن داود

وعرض مثل ذلك لبعض حاضري مجلسه فقال : إنه صرير التخت ، فقال الصاحب : أخشى أن يكون صرير التحت .

ووقع في رقعة أبي محمد الخازن ، وكان ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه لمعاودة حضرته : (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت) .

ورفع إليه بعض منهي الأخبار أن رجلاً غريب الوجه يدخل داره ويتلطف لاستراق السمع ، فوقع تحتها : دارنا هذه خان يدخلها من وفى ومن خان

وحكى أبو منصور الربيع قال : دخلت يوماً على الصاحب وطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت : لعلي طولت فقال : بل تطولت

ودخل رجلٌ على الصاحب بن عباد ، فقال له الصّاحب : ما الكنية؟ فقال الرّجل :

وتتّفق الأسماء في اللّفـظ والكنـــى كثيـــراً ولكن لا تلاقـــي الخلائق

كأنك هدهد

حكى بديع الزمان أبو الفضل الهمذاني(1) قال : لما أدخلني والدي إلى الصاحب ووصلت إلى مجلسه ، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لي : يا بني أقعد كم تسجد كأنك هدهد .

ويقرب من هذا ما حكى ابن بسام قال : رأيت الفكيك بين يدي الأمير أبي القاسم محمد بن عباد وهو ينشد من قصيدة مطولة :

وأنت سليمـــان في ملكـه كمـــا أنا قدامك الهدهـد

وينشده ويعيده ويسجد ، وفعل ذلك مراراً ، وضحك أبو القاسم وأمر له بجائزة سنية .

---

(1) أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد المعروف ببديع الزمان الهمذاني ، (٣٥٨ هـ/٩٦٩ م – ٣٩٥ هـ/١٠٠٧ م) ، كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة .

حماقة

وحكى أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمذاني حين قدم البصرة حاجاً سنة نيف وستين وأربعمائة أن الصاحب أبا القاسم ابن عباد رأى أحد ندمائه متغير السحنة فقال له : ما الذي بك قال : حما ، قال له الصاحب : قه ، فقال له النديم : تعقيب لفظة حما بما صارت به «حماقة» ولطف النديم في صلة تعقيبه بما جعلت «قهوة» وكذا فلتكن مداعبة الفضلاء ومفاكهة الأدباء الأذكياء .

واستؤذن عليه يوماً لإنسان طرسوسي فقال : الطر في لحيته والسوس في حنطته .

أبو بكر الخوارزمي(١)

من أئمة اللغة والأدب وهو صاحب الرسائل المعروفة برسائل الخوارزمي كما له ديوان شعر ويروى أنه كان ضليعا بكل فن من فنون العربية ولا سيما الكتابة كما كان كثير الحفظ للشعر .

قيل : أنه قصد حضرة الصاحب بن عبادة وهو بأرجان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابه قل للصاحب على الباب أحد الأدباء وهو يستأذن بالدخول فدخل الحاجب وأعلن مولاه ، فقال الصاحب للحاجب قل له قد ألزمت نفسي ألا يدخل من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر ارجع إليه وقل له هذا المقدار من شعر الرجال أم من شعر النساء فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال الخوارزمي ، فقال الصاحب هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له بالدخول .

ويروى عنه أنه كان يقول ((ما فتق قلبي وشحذ فهمي وصقل ذهني وأرهف لساني وبلغ هذا المبلغ بي إلا تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي وامتزجت بأجزاء نفسي))

وسع قبيح في جبهة الخوارزمي

وكان هجا بعض الملوك فظفر به فوسمه في جبهته سطرين فيهما شطران بأقبح

---

(١) محمد بن العباس الخوارزمي ، أبو بكر : من أئمة الكتاب ، وأحد الشعراء العلماء . كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب . وهو صاحب (الرسائل) المعروفة برسائل الخوارزمي .

هجاء ، فكان يشد العمامة على حاجبيه ستراً عليهما . ولذلك قال البديع في مناظرته إياه وقد ذكر مجلساً طويلاً غنى المغني بحضرتنا :

وشبهنا بنفسج عارضيه . . . بقايا اللطم في الخدّ الرقيق

فقال للحاضرين : أنا أروي الشعر الذي منه هذا البيت وهذا لا يرويه . فقلت : روايتي تخالف روايتك ، وإذا أنشدتكها على روايتي ساءتك في استماعها ، ولم يسرك مصنوعها . قال : وكيف روايتك؟ قال قلت :

وشبهنا بنفسج عارضيه . . . بقايا الوسم في الوجه الصفيق

فلما أضجرته النكتة ، أخذته السكتة ، فخمدت ناره ، ووقف حماره .

من مساجلات البديع والخوارزمي

وبين البديع والخوارزمي مراسلات ومساجلات ، ومجالس ظريفة ومقامات ، في ابتداء وجواب ، أخذت بوصل الحكمة وفصل الخطاب ، ومن الهزل والجد .

فمن ظريف ما لأبي بكر من رسالة طويلة يهزأ بها بالبديع : تواضع لنا رحمك الله ، فإن التواضع خلق من أخلاق السلف ، وشبكة من شباك الشرف ، وتصدق علينا ببشرك ، فإن الله يجزي المتصدقين ، وأحسن فإن الله يحب المحسنين ، ولاين إخوانك في قولك وفعلك ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . ولولا أني رحمك الله لا أقول بالرجعة ، ولا أذهب مذهب التناسخية ، لظننت أنك يونس بن فروة إذ قيل فيه :

أمّا ابن فروة يونس فكأنه ... من كبره ذاك الحمار القائم

ما الناس عندك غير نفسك وحدها ... والناس عندك ما عداك بهائم

فلقد أعجبت بنفسك الخسيسة التي لا تستحق العجب ، وأحببت ما لا يساوي الحب ، حتى كأن كسرى أنو شروان حامل غاشيتك ، وكأن قارون وكيل نفقتك ، وحتى كأنك بنيت منارة الإسكندرية من آجر دارك ، وشدت ملعب سليمان من بقايا رخام صحنك ؛ وكأن خاتم الدنيا في خصرك ، وحساب خرجها ودخلها في بنصرك ، وحتى كأن الشمس تطلع من جبينك ، والغمام يندى من يمينك ، وكأن كسرى أنو شروان صاحب نفقة إصطبل دوابك ، ونمرود بن كنعان قهرمانك على ولدك وأهلك ، وحتى كأن الكبريت الأحمر خزف دارك ، والدرة اليتيمة في أخس سوارك .

رحمك الله! دع لليونانية من الحكمة ما ينفق به سوقهم ، واترك لبني العباس

من التملك ما تمشي به أمورهم ، وأبق للشمس والقمر من الحسن بمقدار ما يلوحان به ، ويطلعان فيه ؛ وانظر إلى النساء من وراء حجاب ، ومن خلف برقع ، وإلا خرجن في عشقك من ستر الله ، وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ، ولا تحمل الحرائر على خشونة الطلاق ، ولا تذق المماليك مرارة العناق .

رحمك الله ! لي حوائج إن قضيتها فقد تسلفت شكري وثنائي ، وإن رددتني عنها فقد رأيت أنموذج سخطي وشكواي ، قد اتفق الناس على ضياع النسخة الأولى من كتاب العين فأملها علينا رحمك الله ! والكيمياء فقد أنفقت فيها الأموال ، وتعب فيها الرجال ، ثم لم يحصوا منها إلا على مواعيد مزخرفة ، وأماني مسوفة ، فما عليك لو علمتناها ، وأغنيت الفقراء ، وزدت الأغنياء ، وأرحت الناس من الضرب في البلاد ، ومن الكد والاجتهاد ، ومن أن يخدم فقير غنياً ، ويتخذ بعضهم بعضاً سخرياً .

والزيج الأكبر فقد انقطع أصله ، ومات أهله ، وهو من مفاخر الروم علينا ، ومن محاسنهم دوننا . فاعمل على إصلاحه ، ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين في إبداعه . ومسجد دمشق فهو حسنة يباهي أهل المغرب أهل المشرق ، فابن لنا مثله ، ولا تثبت علينا فضله ؛ فإنما هي ساعة من هندستك ، وجزء نستعمله من أجزاء حكمتك .

أنا لو سلمت أنك إنسان لنفيت عن نفسي الإنسانية ، وقضيت عليها بالبهيمية ، وصرت أعلى منك في النقص حكمة ، وفي الجهل طبقة . وإذا أردت أن تعلم أني في ذمك جاد ، وفي مدحك لاعب ، وفي الشهادة عليك صادق ، وفي الشهادة لك كاذب ، فانظر إلى تهافت كلامي إذا لاينتك وجاملتك ، وإصابتي الغرض وحزي المفصل إذا كاشفتك وباينتك ، وذلك أن الصادق معان مأخوذ بيديه ، والكاذب مخذول مغضوب عليه ، وما كان الله ليوفقني وأنا أجامل من لا يعرف قط إجمالاً ولا تجميلاً ، وأفضل من لم يناسب مذ كان إفضالاً ولا تفضيلاً .

وليس يخفى عليك أكرمك الله تطاول أهل العراق بعبد الله بن هلال الهجري صديق إبليس ؛ فأرنا رحمك الله من عجائب صنعتك ، ولطائف شعبذتك ، وأظهر من كتبك ما تحاكي به كتب اليونانية ، وتكسد شعرهم وتهدم فخرهم ؛ فإن إبليس تلميذ لك ، تعلم منك وأخذ عنك ؛ وشتان بين من يدعي أن إبليس من أعوانه ، وبين من يدعي أنه من غلمانه . وهل استنظر إبليس إلى يوم الوقت المعلوم إلا ليدرك

زمانك ، ويرى برهانك ، أي وفقدك فلا شيء أعز علي منه ! ولا أحسن في عني ، أما سمعت قول علي بن جبلة في أبي دلف :

إنما الدّنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دلفٍ ... ولّت الدّنيا على أثره

إلا غضبت عليه ، واعتقدت أنه أخذ صفتك ، وأعار أبا دلف مدحتك ، ولا سمعت قوله :

إما الدّنيا حميدٌ ... وعطاياه الجسام
فإذا ولّى حميدٌ ... فعلى الدنيا السلام

إلا تمنيت لو عرفت قبره فرجمته ، أو عرفت بيته فهدمته ، ولا سمعت قول ليلى الأخيلية :

فتى كان أحيى من فتاة حيّية ... وأشجع من ليث بخفّان خادر

إلا قلت : كيف لو رأت ليلى أخانا ، فتعلم أين دعواها من دعوانا . ولا أنشدت قول أبي السعلاء في الرشيد :

أغيثاً تحمل الناقة ... أم تحمل هارونا
أم الشمس أم البدر ... أم الدنيا أم الدينا

فإني والله أتعجب حين قاله في غيرك ، كيف لم ترم جهنم بشرارها ، والشياطين بأحجارها ، وأعجب من قول من قال في معن بن زائدة :

مسحت معدّ وجه معن سابقاً ... لما جرى وجرى ذوو الأحساب

كيف يسبق غيرك في حلبة وأنت في عدادها ، أم كيف يكون غيرك سابق جيادها؟ أنت أيدك الله بين هؤلاء الشعراء مرحوم مظلوم ، سلبوك علاك وهي حلاك ، ونحلوها قوماً سواك ، والمدح الكاذب ذم ، والبناء على غير أساس هدم .

وهي طويلة جداً ، مر له فيها إحسان كثير . وإنما احتذى في أثرها مثال رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لأحمد بن عبد الوهاب المعروفة برسالة الطول والعرض وتعرف برسالة التوسع والتدوير ورسالة المفاكهات ، واتبع أيضاً طريق أبي الفضل بن العميد في رسالته لابن سمكة النحوي .

بين الخوارزمي والبديع

وقد جمع بديع الزمان جوامع ما جرى بينه وبينه في كتاب أنفذه إلى بعض

الأشراف ، ها هنا قطعة على اختصار ، وهو وإن كان طويلاً فليس مملولاً ، لما ألبسه من حلل البلاغة ، وحلل البراعة ، وجدته في الآذان ، وحلاوته في الأذهان ؛ وفيه أنواع تنفتح لها الأسماع ، وتنشرح لها الطباع ، مما ألف هذا الكتاب له من الملح الظريفة ، والفكاهات الشريفة .

وأولها : سأل السيد أمتع الله ببقائه إخوانه أن أملي جوامع ما جرى بيننا وبين أبي بكر الخوارزمي أعزه الله من مناظرة مرة ، ومنافرة أخرى ، وموادعة أولاً ، ومنازعة ثانياً ، إملاء يجعل الأسماع له عياناً ؛ فتلقيته بالطاعة ، على حسب الاستطاعة ، ولكن للقضية سبب لا تطيب إلا به ، ومقدمات لا تحسن إلا معها ، وسأسوق بعون الله صدر حديثنا إلى النجز ، كما يساق الماء إلى الأرض الجرز : وأولها : إنا وطئنا خراسان ، فما اخترنا إلا نيسابور داراً ، وإلا جوار السادة جواراً ، لا جرم إنا حططنا بها الرحل ، ومددنا عليها الطنب ، وقديماً كنا نسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ، ونخبر به ونخبره على الغيب فنتعشقه ، ونقدر أنا إذا وطئنا أرضه ، ووردنا بلده ، يخرج لنا في العشرة على القشرة ، وفي المودة عن الجلدة ، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا ، ولحمة الأدب نظمتنا ، وقد قال شاعر القوم غير مدافع .

أجارتنا إنّا غريبان ها هنا وكلّ غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل الإخلاف ، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف ، وقد كان اتفق علينا في ذلك الطريق من العرب اتفاق ، لم يوجبه استحقاق ، من بزة بزوها ، وفضة فضوها ، وذهب ذهبوا به . ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة ، وكيس أخلى من جوف حمار ، وزي أوحش من طلعة المعلم ، بل اطلاعة الرقيب ، فما حللنا إلا قصبة جواره ، ولا وطئنا إلا عتبة داره ، هذا بعد رقعة قدمناها ، وأحوال أنس نظمناها ؛ فلما أخذتنا عينه ، سقانا الدردي من أول دنه ، وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه ، من طرف نظر بشطره ، وقيام دفع في صدره ، وصديق استهان بقدره ، وضيف استخف بأمره ؛ لكنا أقطعناه جانب أخلاقه ، وولبناه خطة رأيه ، وقاربناه إذ جاذب ؛ وواصلناه إذ جانب ، ولبسناه على خشونته ، وشربناه على كدورته ، ورددنا الأمر في ذلك إلى زي استغثه ، ولباس استرثه ، وكاتبناه نستلين قياده ، ونستميل فؤاده ، ونقيم مناده ، بما هذه نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم الأستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه ، أزرى بضيفه إذ وجده يضرب إليه آباط القلة ، في أطمار الغربة ؛ فأعمل في ترتيبه أنواع المصارفة ، وفي الاهتزاز له أصناف المضايقة ، من إيماء بنصف الطرف ،

وإشارة بشطر الكف ، ودفع في صدر القيام ، ومضغ للكلام ، وتكلف لرد السلام .

وقد قبلت ترتيبه صعراً ، واحتملته وزراً ، واحتضنته نكراً ، وتأبطته شراً ، ولم آله عذراً ، فإنما المرء بالمال ، وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال ، وفي هذه الأسمال ، أتقذر صف النعال . فلو أني صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت : إن بوادينا ثاغية صباح ، وراغية رواح ، وناساً يجرون المطارف ، ولا يمنعون المعارف :

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوههم وأنديةٌ ينتابها القول والفعل

فلو طرحت بأبي بكر إليهم طوائح الغربة لوجد منال البشر قريباً ، ومحط الرحل رحيباً ، ووجه المضيف خصيباً .

ورأي الأستاذ أبي بكر أيده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود ، والمر الذي يتلوه موفق إن شاء الله تعالى .

فأجاب بما في نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم : وصلت رقعة سيدي ورئيسي ، أطال الله بقاءه ، إلى آخر السكباج ، وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ، ومؤلم عتبه وعتابه ، وصرفت ذلك منه إلى الضجرة التي لا يخلو منها من مسه عسر ، ونبا به دهر ، والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه ، ومظنة مشتكى ما في نفسه .

أما شكاة سيدي ورئيسي من مضايقتي إياه كما زعم في القيام ، فقد وفيته حقه أيده الله سلاماً وقياماً على قدر ما قدرت عليه ، ووصلت إليه ، ولم أرفع عليه إلا السيد أبا البركات العلوي ، وما كنت لأوثر أحداً على من أبوه الرسول وأمه البتول ، وشاهده التوراة والإنجيل ، وناصره التأويل والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل . فأما القوم الذين صدر عنهم سيدي فكما وصف : حسن عشرة ، وسداد طريقة ، وكمال تفصيل وجملة ، ولقد جاورتهم فأحمدت المراد ، ونلت المراد :

فإن أك قد فارقت نجداً وأهله فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للأحرار كافة ، ولسيدي من بينهم خاصة ؛ فإن أعانني على بعض ما في نفسي بلغت له بعض ما فيه النية ، وجاوزت به مسافة القدرة ، وإن قطع علي طريق عزمي بالمعارضة ، وسوء المؤاخذة ، صرفت عناني عن طريق الاختيار ، بيد الاضطرار :

وما النفس إلاّ نطفةٌ بقرارةٍ إذا لم تكدّر كان صفواً غديرها

وبعد : فحبذا عتاب سيدي إذا استوجبنا عتباً ، واقترفنا ذنباً ؛ فأما أن يسلفنا العربدة ، فنحن نصونه عن ذلك ، ونصون أنفسنا عن احتماله ؛ ولست أسومه أن

يقول : استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين . ولكني أسأله أن يقول : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

فحين ورد الجواب ، وعين العذر رائدة تركناه بعره ، وطويناه على غره وعمدنا لذكره فسحوناه ، ومن صحيفتنا محوناه ؛ وصرنا إلى اسمه فأخذناه ونبذناه ، وربكنا خطته ، وتجنبنا خطته ، فلا طرنا إليه ولا طرنا به . ومضى على ذلك الأسبوع ودبت الأيام ، ودرجت الليالي ، وتطاولت المدة ، وتصرم الشهر ، وصرنا لا نعير الأيام ذكره ، ولا نودع الصدور حديثه ، وجعل هذا الفاضل يستزيد ويستعيد ، بألفاظ تقطفها الأسماع من لسانه ، وتوردها إلي ، وكلمات تحفظها الألسنة من فمه وتعيدها علي ، فكاتبناه بما هذه نسخته : أنا أرد من سيدي الأستاذ أطال الله بقاءه شرعة وده وإن لم تصف ، وألبس حلة بره وإن لم تضف ، وقصاراي أن أكيله صاعاً عن مد ؛ فإني وإن كنت في الأدب دعي النسب ، ضعيف السبب ، سيىء المنقلب : ضيق المضطرب ، أمت إلى عشرة أهله بنيقة ، وأنزع إلى خدمة أصحابه بطريقة ، ولكن بقي أن يكون الخليط منصفاً في الوداد ، إن زرت زار ، وإن عدت عاد . وسيدي أيده الله ناقشني في القبول أولاً ، وصارفني في الإقبال ثانياً . فأما حديث الإقبال ، وأمر الإنزال ، فنطاق الطمع ضيق عنه ، غير متسع لتوقعه منه ، وبعد ، فكلفة الفضل هينة ، وفروض الود متعينة ، وأرض العشرة لينة ، وطرقها بينة ، فلم أختار قعود التغالي مركباً ، وصعود التعالي مذهباً ، وهلا ذاد الطير عن شجر العشرة ، وذاق الحلو من ثمرها ؛ فقد علم الله تعالى أن شوقي إليه قد كد الفؤاد برحاً إلى برح ، ونكأه قرحاً على قرح ، ولكنها مرة مرة ونفس حرة ، لم تقد إلا بالإعظام ، ولم تلق إلا بالإجلال والإكرام ، وإذا استعفاني من معاتبته ، وأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشمها ، فليس إلا غصص الشوق أتجرعها ، وحلل الصبر أتدرعها ، ولم أعره من نفسي ، وأنا أعلم لو أني أعرت جناحي طائر لما طرت إلا إليه ، ولا وقعت إلا عليه :

أحبّك يا شمس المعالي وبدرها　　وإن لامني فيك السّها والفراقد
وذاك لأنّ الفضل عندك باهرٌ　　وليس لأنّ العيش عندك بارد

فلما وردت عليه الرقعة ؛ حشد تلاميذه وخدمه ، وزم عن الجواب قلمه ، وحبس للإيجاب قدمه ، وطلع مع الفجر علينا . ونظمت حاشيتنا دار الإمام أبي الطيب . فقلت : الآن تشرق الحشمة وتنور ، وتنجد في العشرة وتغور ، وقصدناه شاكرين لمأتاه ؛ وانتظرنا عادة بره ، وتوقعنا مادة فضله ، فكان خلباً شمناه ، وآلاً وردناه ، وصرفنا الأمر

في تأخره ، وتأخرنا عنه إلى ما قال عبد الله بن المعتز :

إنّا علـى البعـاد والتفـرّق ... لنلتقـي بالذكـر إن لـم نلتق

وقول آخر وقد أحسن وزاد :

أحبّك في البتـول وفـي أبيهـا ... ولكنّـي أحبّـك مـن بعيـد

وبقينا نلتقي خيالاً ، ونقنع بالذكر وصالاً ، حتى جعلت عواصفه تهب ، وعقاربه تدب ، وهو لا يرضى بالتعريض حتى يصرح ، ولا يقنع بالنفاق حتى يعلن ، وأفضت الحال به وبنا معه إلى أن قال : لو أن بهذا البلد رجلاً تأخذه هزة الهمم ، وتملكه أريحية الكرم ، لجمع بيني وبين فلان يعنيني :

ثـم أرى إذا انجلـى الغبـار ... أفـرس تحتـي أم حمـار

وود فلان بوسطاه ، بل بيمناه ، لو رحلنا وقلنا في المناخ له ، وأتى بكلمات تحذو هذا الحذو ، وتنحو هذا النحو ، وألفاظ أتتنا من علو ، فكان من جوابنا : بعض الوعيد يذهب في البيد . وقلنا : الصدق ينبىء عنك لا الوعيد . وقلنا : إن أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية .

وقد قال بعض أصحابنا : قلت لفلان : لا تناظر فلاناً فإنه يغلبك . قال : أمثلي يغب وعندي دفتر مجلد ، ووجدنا عندنا دفاتر مجلدة ، وأجزاء مجودة ، وأنشدناه قول حجل بن نضلة :

جـاء شقيـقٌ عارضـناه رمحـه ... إنّ بنـي عمّـك فيهـم رماح

هـل أحـدث الدهر لنـا توبـة ... أم هـل رفـت أم شقيق سلاح

وقلنا : إنا نقتحم الخطب ، ونوسط الحرب ، فنردها مفحمين ونصدر بلغاء :

وألسننـا قبـل النزيـل قصيـرة ... ولكنّهـا بعـد النّـزال تطـول

فمـن ظـنّ أن قـد يلاقـي الحـرو ... ب وألاّ يصـاب فقد ظنّ عجـزا

فإنك متى شئت لقيت منا خصماً ضخماً ، ينهشك قضماً ، ويأكلك خضماً ، وحملناه على قول القائل :

السلـم تأخـذ منهـا ما رضيت به ... والحـرب تأخـذ من أنفاسها جزع

وقلنا له :

نصحتـك فالتمس يأويـك غيـري ... طعامـاً إنّ لحمـي كـان مـرّا

ألـم يبلغـك مـا فعلـت ظبـاه ... بكاظمـة غـداة لقيـت عمـرا

وجعل الشيطان يثقل بذلك أجفان طرفه ، ويقيم به شَعرات أنفه :

وحتـــى ظـــنّ أنّ الغـــشّ نصحـــي   وخالفنـــي كأنّـــي قلـــت هجـــرا

واتفق أن السيد أبا علي أدام الله عزه نشط للجمع بيننا ؛ فدعاني فأجبت ، وعرض علي حضور أبي بكر فطلبت ذلك ، وقلت : هذه عدة لم أزل أتنجزها ، وفرصة لا أزال أنتهزها .

فتجشم السيد أبو الحسن أعزه الله مكاتبته يستدعيه ، فاعتذر أبو بكر بعذر في التأخر . فقلت : لا ولا كرامة للدهر أن نقعد تحت ضيمه ، أو نقبل خسف ظلمه . وكتبت أنا له أشحذ عزمته على البدار ، وألوي رأيه عن الاعتذار ، وأعرفه ما في ذلك من ظنون تشتبه ، وتهم تتجه ، وتناذير تختلف ، واعتقادات تخلف ، وقدنا إليه مركوباً لنكون قد ألزمناه الحج ، وأعطيناه الراحلة ؛ فجاءنا بطبقة أف ، وعدد تف :

كـــل بغيـــض طوله أصبع   وأنفـــه خمـــس أشبـــار

مع أصحاب عانات ، وأرباب جربانات ، وسرحنا الطرف منه ومنهم في أحمى من است النمر ، وأعطس من أنف النغر ، فرأينا رجالاً جوفاً ، قد حلقوا صوفاً ، فأمنا المعرة ، ولم نخش المضرة .

والمناظرة بينهما يطول ذكرها ، ويعظم قدرها ، ويخرج بها الكتاب عن حده ؛ ولكني ألمع منها باليسير ، إذ لو ذكرت جميع المعارضات والمناقضات ، والمبادهة والمواجهة ، لأضعفت على ما كتبت .

فمن ذلك أن البديع قال قلت له : اقترح علي غاية ما في طوقك ، ونهاية ما في وسعك ، حتى أقترح عليك أربعمائة صنف من الترسل ؛ فإن سرت فيها برجلين ، ولم أطر بجناحين ، فلك فيها السبق .

مثال ذلك ، أن أقول لك : اكتب كتاباً يقرأ جوابه منه ؛ هل يمكنك أن تكتب؟ أو أقول لك : اكتب كتاباً على المعنى الذي أقترح ، وانظم شعراً وافرغ منهما فراغاً واحداً ؛ هل كنت تمد لهذا ساعداً؟

أو أقول لك : اكتب كتاباً في المعنى الذي أقول وأنص عليه ، وأنشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ولا تغافل ، حتى إذا كتبت ذلك قرئ من آخره إلى أوله ، وانتظمت معانيه إذا قرئ من أسفله ؛ هل كنت تفوق لهذا الغرض سهماً ، أو تجيل قدحاً ، أو تصيب نجحاً؟ أو قلت لك : اكتب كتاباً إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كاتباً ، وإذا عكست سطوره مخالفة كان جواباً ؛ هل كنت في هذا العمل واري الزند ، قاصد القصد؟ أو قلت لك : اكتب كتاباً على المعنى الذي أقترح ، لا يكون فيه معنى

متصل من واو تتقدم الكلمة ، أو منفصل عنها بديهة ، هل كنت تفعل؟ أو قلت لك : اكتب كتاباً خالياً من الألف واللام ، لا تصب معانيه إلا على قالب ألفاظه ، ولا تخرجه من جهة أغراضه ، هل كنت تقف من ذلك موقفاً مشهوراً؟ أو يبعك ربك مقاماً محموداً؟ أو قلت لك : اكتب كتاباً أوائل سطوره كلها ميم ، وآخرها جيم ، على المعنى الذي أريد ، هل كنت تغلو في قوسه غلوة ، أو تخطو في أرضه خطوة؟ أو أقول لك : اكتب كتاباً يخلو من الحروف العواطل ، هل كنت تحظى منها بطائل؟ أو تبل لهاتك بناطل؟ أو أقول لك : اكتب كتاباً إذا قرئ معوجاً ، أو سرد معرجاً ، كان شعراً ، هل كنت تقطع في ذلك شعراً؟ بلى ، والله تصيب ولكن من بدنك ، وتقطع ولكن من ذقنك .

أو أقول لك : اكتب كتاباً إذا فسر من وجه كان مدحاً ، وإذا فسر من وجه آخر كان قدحاً ، هل كنت تقدر على هذه العمدة؟ أو تخرج من هذه العهدة؟ أو أقول لك : اكتب كتاباً كنت قد حفظته من دون أن لحظته ، هل كنت تثق من نفسك به؟ بل است البائن أعلم .

فقال أبو بكر : هذه الأبواب شعبذة فقلت : وهذا القول طرمذة ، فما الذي تحسن أنت من الكتابة وفنونها ، حتى أباحثك عن مكنونها ، وأكاثرك بمخزونها ، وأثير فيها قلمك ، وأسبر لسانك وفمك . فقال : الكتابة التي يتعاطاها أهل الزمان ، المتعارفة بين الناس .

فقلت : أليس لا تحسن من الكتابة إلا هذه الطريقة الساذجة ، وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم ، المتناول بكل يد وفم ، ولا تحسن هذه الشعبذة .

فقال : نعم ! فقلت : هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبل ، وأنابلك بهذا النبل ، ثم تقاس ألفاظي بألفاظك ، ويعارض إنشائي بإنشائك ؛ فأقترح كتاباً يكتب في النقود وفسادها ، وفي التجارات وكسادها ووقوفها ، والبضاعات وانقطاعها ، والأسعار وغلائها .

فكتب أبو بكر بما نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم ، الدرهم والدينار ثمن الدنيا والآخرة ؛ بهما يتوصل إلى جنات النعيم ، ويخلد في نار الجحيم ، قال الله تعالى : ﴿خُذ من أموالهم صدقةً تُطهِّرهم وتزكّيهم بها وصَلّ عليهم إنّ صلاتك سكنٌ لهم واللّه سميع عليم﴾ . وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشد الإكبار ؛ وأنكرناه أعظم الإنكار ، لما نراه من الصلاح للعباد ، وننويه من الخير للبلاد ، وتعرفنا

في ذلك بما يربح الناس في الزرع والضرع إلى كلمات لم تعلق بحفظنا .

فقلت : إن الإنكار والإكبار ، والبلاد والعباد ، وجنات النعيم ونار الجحيم ، والزرع والضرع ، قد نبت عن العد ، وزلت عن اليد ، وقد كتبت كما ترى بما ساوق فيه اللسان القلم ، وسابقت اليد الفم ، ولا أطالبك بمثل ما أنشأت . فاقرأه ولك اليد ، وناولته الرقعة فبقي وبقيت الجماعة ، وبهت وبهتت الكافة .

وهذا ما كتب البديع ارتجالاً : بسم الله الرحمن الرحيم : الله شاء أن المحاضر صدور بها وتملأ المنابر ، ظهور لها وتفرع الدفاتر ، وجوه بها وتمشق المحابر ، بطون لها ترشق آثاراً ، كانت فيه ، آمالنا مقتضى على أياديه ، في تأييده الله أدام الأمير جرى ، وإذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع الدين ، أهل عن الكل هذا يحط أن في إليه نتضرع ، ونحن واقفة ، والتجارات زائفة ، والنقود صيارفة ، أجمع الناس صار فقد كريماً نظراً إلينا لينظر شيمه ، مصاب وانتجعنا كرمه ، بارقة وشمنا هممه ، على آمالنا رقاب وعلقنا أحوالنا ، وجوه له وكشفنا آمالنا ، وفود إليه بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا أن ونعماءه تأييده وأدام بقاءه الله أدام الحال الجليل الأمير رأى أن وصلى الله على النبي محمد وآله وصحبه وسلم .

فجعلت أقرأه منكوساً ، وأسرده معكوساً ، والعيون تبرق وتحار . فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر أحد الخصمين . وقال الناس : قد عرفنا الفاضل من المفضول ، ثم ملنا إلى اللغة والعروض والنحو والشعر والحفظ ، فلما برد ضجر الناس وقاموا يفدونني بالأمهات ، ويشتمون الفرس المنبت ؛ وقام أبو بكر فغشي عليه ، وقمت إليه فقلت :

يعزّ عليّ في الميدان أنّي ... قتلت مناسبي جلداً وقهرا
ولكن رمت شيئاً لم يرمه ... سواك فلم أطق يا ليث صبرا

وخرجت وقد اجتمع الناس ؛ فتلقوني بالشفاه تقبيلاً ، وبالأفواه تبجيلاً ، وانتظروا خروجه إلى أن غابت الشمس فلم يظهر أبو بكر ، حتى خفره الليل بجنوده ، وخلع عليه الظلام خلع بروده .

الخبزأرزي

أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري ، المعروف بالخبزأرزي الشاعر المشهور ؛ كان أمياً لا يتهجى ولا يكتب ، وكان يخبز خبز الأرز بمربد البصرة في دكان ، وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون

باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره ، وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك ، البصري الشاعر المشهور- مع علو قدره عندهم - ينتاب دكانه ليسمع شعره ، واعتنى به ، وجمع له ديواناً ، وكان نصر المذكور قد وصل إلى بغداد وأقام بها دهراً طويلاً .

بخور غير طائل

حكى أبو محمد عبد الله بن محمد الأكفاني النصري ، قال : خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر وأبي الحسين ابن لنكك وأبي عبد الله المفجع وأبي الحسن السباك ، في بطالة عيد ، وأنا يومئذ صبي أصحبهم ، فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبرأرزي ، وهو جالس يخبر على طابقه ، فجلست الجماعة عنده يهنونه بالعيد ويتعرفون خبره ، وهو يوقد السعف تحت الطابق ، فزاد في الوقود فدخنهم ، فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان ، فقال نصر بن أحمد لأبي الحسن ابن لنكك : متى أراك يا أبا الحسين؟ فقال له أبو الحسين : إذا اتسخت ثيابي ، وكانت ثيابه يومئذ جدداً على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد ، فمشينا في سكة بني سمرة ، حتى انتهينا إلى دار أبي أحمد ابن المثنى ، فجلس أبو الحسين ابن لبكك ، قال : يا أصحابنا إن نصراً لا يخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ، ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا ، واستدعى دواة وكتب :

لنصر في فؤادي فرط حب ... أنيف به على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخوراً ... من السعف المدخر للثياب
فقمت مبادراً وظننت نصراً ... أراد بذاك طردي أو ذهابي
فقال : متى أراك أبا حسين؟ ... فقلت له : إذا اتسخت ثيابي

وأنفذ الأبيات إلى نصر ، فأملى جوابها ، فقرأناه فإذا هو قد أجاب :

منحت أبا الحسين صميم ودي ... فداعبني بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كقتير شيب ... فعدن له كريعان الشباب
ظننت جلوسه عندي لعرس ... فجدت له بتمسيك الثياب
فقلت : متى أراك أبا حسين؟ ... فجاوبني : إذا اتسخت ثيابي
فإن كان الترفه فيه خير ... فلم يكنى الوصي أبا تراب

ابن يونس يصف غلاماً

وقال أبو الحسن بن يونس المصري يصف غلاماً :

يجري النسيم على غلالة خدّه ... وأرقّ منه ما يمرّ عليه
ناولته المرآة ينظر وجهه ... فعكست فتنة ناظريه إليه

وأهدى بعض الكتاب إلى رئيسه مرآة ؛ فقال : من أين وقع اختيارك عليها؟ قال : لتذكرني بها كلما نظرت إلى وجهك الحسن .

قال محمد بن عبد الملك الزيات في عيسى بن زينب :

إنّ عيسى أنف أنفه ... أنفه ضعفٌ لضعفه
لو تراه وهو في السر ... ج وقد مال بعطفه
لحسبت الأنف في السر ... ج وعيسى مثل ردفه

الأدب يرفع النسب

رئي قبران مكتوب على أحدهما : من رآني فلا يغتر بالدنيا ، فإني كنت من ملوكها ، أصرف الريح كيف شئت . وعلى الآخر مكتوب : كذب ، إنما كان حداداً ينفخ بالزق .

وكان بالكوفة رجل باقلاني ، فخرج الطائف ليلاً فأخذه سكران ؛ فقال : من أنت؟ فقال :

أنا ابن الذي لا تنزل الدّهر قدره ... وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره ... فمنهم قيامٌ حولها وقعود

فقال الطائف : قد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : تجاوزوا عن ذوي الهيئات ؛ خلوا سبيله . فلما أصبح سأل عنه فإذا هو ابن باقلاني . فقال : إن لم يترك لنسبه فقد ترك لأدبه .

ومثله من المعاريض قول ابن شبرمة(١) ؛ وقد سئل عن رجل ، فقال : إن له شرفاً وقدماً وبيتاً ، فنظر فإذا هو ساقط . فقيل له في ذلك . فقال : ما كذبت : شرفه : أذناه وقدمه التي يمشي عليها ، ولا بد أن يكون له بيت يأوي إليه .

وسئل آخر عن رجل ؛ فقال : رزين المجلس ، نافذ الطعنة ؛ فحسبوه سيداً ، فإذا هو خياط طويل الجلوس نافذ الإبرة .

(١) عبد الله بن شبرمة الإمام العلامة ، فقيه العراق أبو شبرمة . قاضي الكوفة .

قصيدة لابن طباطبا في دعوة

وهذا كلما ذكر ابن طباطبا العلوي[(١)] وقد دعاه بعض إخوانه فتأخر عنه الطعام إلى أن اشتد به الجوع ، ثم قدم إليه جدياً هزيلاً فقال :

يــا دعــوة مغبّــرةً قاتمــة   كأنهــا مــن سفــرة قادمه
قــد قدّمــوا فيها مسيحيةً   أضـحت على إسـلامـهـا نادمـه
وبعــد شطرنجيــة لم تـزل   أيد وأيـد حولهــا حائمــه
فلم نزل في لعبهـا ساعــةً   ثــمّ رفعنًاهــا على قائمـه

وكرر الأرز ، فقال :

أرزٌّ جــــاء يتبعــــه أرزّ   هو الإيطاء يتّخذ اتخــاذا
فإيطاء القريض كما علمنـا   وإيطاء الطعام يكــون هــذا

فدعا الرجل جماعةً من الشطرنجيين ، وقال : تعالوا حتى تروا الشطرنجية ، فكتب إليه :

ورقعــة كنّــا رفعناهــــا   نشرتهــا لمّــا طويناهــــا
أعــددتً للعاب شطرنجها   لو أمكــن القمــر قمرناها
واللّه لو أحضرتــها زيريــا   ما ميّــز الفرزان والشّاهــا

بين أبي السمراء وعبد الله بن طاهر

وكان أبو السمراء العلاء بن عاصم بن عصمة العسكري نديم عبد الله بن طاهر[(٢)] يأنس به ، ويجاريه الشعر ، فكتب إليه :

تقــول لمّا جعلــت أبكــي   سلــوه باللّــه ممّ يبكــي؟
فقلــت أبكــي لمــا أراه   عمّــا قليــل يكون منــك
قالت فلا تخش قلت ما لي   قلــبٌ على الدّهر يأتمنـــك
لا غرّنــي الدهــر منك ودٌّ   قالت ولا غرّنــي التبكّــي

فوقع ابن طاهر في ظاهرها بديهاً :

(١) أبو الحسن بن طباطبا محمد بن أحمد بن محمد الهاشمي القرشي عالم وشاعر وأديب ولد في أصبهان وتوفي فيها .

(٢) عبد الله بن طاهر الخراساني كان الحاكم الطاهري على خراسان من عام ٨٢٨ وحتى وفاته . وربما كان أشهر حكام الطاهريين .

لا أشتكـــي مـــن هواك إلاّ　　إليـــك لـــو ينفـع التشكي
حلفت جهد اليمـــين أن لا　　أزول إلاّ إليـــك عنـــــك
كلفتني السعي في طريـــقٍ　　وعرٍ قليل الأنيس ضنـــك
فرحت بي في إسار قلبـــي　　ثم تشاغلـــت عنـــد فكّي

ومن جيد شعره في جارية له توفيت :

يقـــول لـــي الخـــلاّن لو زرت قبرهـــا　　فقلـــت : وهل غير الفؤاد له قبـــر
على حين لم أحدث فأجهـــل فقدهـا　　ولـــم أبلغ الســـنّ التي معها صبر

وهذا مأخوذ من قول أبي مسلم عبد الرحمن بن سلم ، في فصل من كتاب كتبه إلى عبد الله بن علي عند محاربته إياه ، لما خلع أبا جعفر المنصور : لأنزلنك موارد ضيقة ، حتى أبدلك بالحلاوة علقماً ، تمج من تمطقها دماً ؛ أمنت صولتي ، وقد كبرت عن صغر ، وصغرت عن كبر ، فأنا كما قال الأول :

وهـــل يخشى وعيـــد النـــاس إلاّ　　كبيـــر الســـنّ والضّرع الصغيـــر

الصابئ في حبسه

وكتب أبو إسحاق من الحبس إلى بعض إخوانه : نحن في الصحبة كالنسرين لكني واقع ، وأنت طائر ، وعلى الطائر أن يغشى ويراجع .

وزاره أبو الفرج الببغاء الشاعر زورة ثم قطعه ، فكتب إليه :

أبا الفرج اسلم وابق وانعـــم ولا تـــزل　　يزيدك صرف الدهر حظّاً إذا نقـص
مضـــت مـــدة أستـــام ودك غالـــياً　　فأرخصتـــه والبيع غالٍ ومرتخص
وآنستنـــي فـــي محبســـي بزيـــارةٍ　　شفت قرماً من صاحبٍ لكَ قد خلص
ولكنّهـــا كانـــت كحســـوة طائـــرٍ　　فواقاً كما يستفرض السادة الفرص
وأحسبك استوحشت من ضيق محبســـيٍ　　وعادك عيد من تذكّـــرك القفـــص
من المنســـر الأشفى ومن حزّة المدى　　ومن بندق الرامي ومن قصّة المقـص
ومن صعدة فيها مـن الدّبـــق لهـــذم　　لفرسانكم عند الطعان بها قعـــص
فهذي دواهي الطير ، وقّيـــت شرّهـــا　　إذا الدهر من أحداثه جرّع الغصص

فأجابه أبو الفرج :

أيـــا ماجـــداً قد يمّم المجد ما نكـــص　　وبـــدر تمـــام مذ تكامل ما نقـــص
ستخلـــص مـــن هذا السّرار وأيّمـــا　　هلال توارى في السرار فما خلص

بدولــة تــاج الملّــة الملــك الــذي   له في أعالي قبّة المشتري خصص
تقنّصــت أنصافي وما كنت قبــل ذا   أظــنّ بــأنّ المرء بالبــرّ يقتنــص
وبعــد فلا أخشى تقنّــص جــارح   وقلبك لي وكرٌ ورأيك لــي قفص

رسالة الصابئ

في رسالة لأبي الخطاب الصابئ ، أجاب بها عن أبي العباس بن سابور إلى الحسين بن صبرة ، عن رقعة وصلت منه في صفة حمل أهداه ، كتبتها على اختصار : وأبو الخطاب هذا هو عم أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ :

وصلت رسالتك ففضضها عن خط مشرق ، ولفظ مونق ، وعبارة مصيبة ، ومعان غريبة ، واتساع في البلاغة يعجز عنها عبد الحمد في كتابته ، وسحبان في خطابته ، وتصرف بين جد أمضى من القضاء والقدر ، وهزل أرق من نسيم السحر ، وتقلب في وجوه الخطاب ، الجامع لفنون الصواب ، إلا أن الفعل قصر عن القول ؛ لأنك ذكرت حملاً جعلته بصفتك جملاً ، وكان كالمعيدي تسمع به لا أن تراه ، وحضر فرأيت كبشاً متقادم الميلاد ، من نتاج قوم عاد ، قد أفنته الدهور ، وتعاقبت عليه العصور ، فظننته أحد الزوجين اللذين حملها نوح في سفينته ، وحفظ بهما جنس الغنم لذريته ، صغر عن الكبر ، ولطف عن القدم ، فبانت دمامته ، وتقاصرت قامته ، وعاد ناحلاً ضئيلاً ، بالياً هزيلاً ، بادي السقام ، عاري العظام ، جامعاً للمعايب ، مشتملاً على المثالب ، يعجب العاقل من حلول . الحياة به ، وتأتي الحركة له ؛ لأنه عظم مجلد ، وصوف ملبد ، لا تجد فوق عظامه سلباً ، ولا تلقى يدك منه إلا خشباً ، لو ألقي للسبع لأباه ، ولو طرح للذئب لعافه وقلاه ، وقد طال للكلأ فقده ، وبعد بالمرعى عهده ، لم ير القت إلا نائماً ، ولا عرف الشعير إلا حالماً .

وقد خيرتني بين أن أقتنيه فيكون فيه غنى الدهر ، أو أذبحه فيكون فيه صب الرحل ؛ فملت إلى استبقائه لما تعرفه من محبتي للتوفير ، ورغبتي في التثمير وجمعي للولد ، وادخاري للغد ؛ فلم أجد فيه مستمتعٌ لبقاء ، ولا مدفعاً لفناء ؛ لأنه ليس بأنثى تحمل ، ولا بفتىً ينسل ، ولا بصحيح يرعى ، ولا بسليم يبقى ؛ فملت إلى الثاني من رأييك ، وعملت على الأخير من قوليك ، وقلت : أذبحه فيكون وظيفةً للعيال ، وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال ؛ فأنشدني وقد أضرمت النار ، وحدت الشفار ، وشمر الجزار :

أُعيذهـا نظـرات منـك صادقـةً أن تحسب الشحم فيمن شحمـه ورم

وما الفائدة لك فيَّ ذبحي ، وأنا لم يبق فيّ إلا نفس خافت ، ومقل إنسانها باهت ؛ ولست بذي لحم فأصلح للأكل ، لأن الدهر قد أكل لحمي ، ولا جلدي للدباغ يصلح ؛ لأن الأيام قد مزقت أديمي ؛ ولا صوفي يصلح للغزل ؛ لأن الحوادث قد حصت وبري ، فإن أردتني للوقود فكف حطب أبقى من ناري ، ولا تفي حرارة جمري بريح قتاري ، فلم يبق إلا أن تطالبني بذحل ، أو بيني وبينك دم .

فوجدته صادقاً في مقالته ، ناصحاً في مشورته ؛ فلم أعلم من أي أمريه أعجب ؛ من مماطلته الدهر بالبقاء ، أم صبره على الضير والبلاء ، أم قدرتك عليه مع إعواز مثله ، أم تأهيلك الصديق به مع خساسة قدره؟ ويا ليت شعري إذ كنت والي الغنم ، وأمرك ينفذ في الضأن والمعز ، وكل كبش سمين ، وحمل بطين ، مجلوب إليك ، مقصور عليك ، تقول فلا ترد ، وتريد فلا تصد ، وكانت هديتك هذا الذي كأنه ناشر من القبور ، وقائم عند النفخ في الصور ؛ فما كنت مهدياً لو كنت رجلاً من عرض الكتاب ، كأبي علي وأبي الخطاب ، ما كنت تهدي إلا كلباً أجرب ، أو قرداً أحدب .

من شعر الصابئ

وقال أبو إسحاق الصابئ :

جملـة الإنسـان جيفـه وهيـولاه سخيفـة
فلمـاذا ليـت شعـري قيـل للنفـس الشريفـة
إنمـا ذلـك فيـه قـدرة اللّـه اللطيفـة

وقال :

وأحـقّ مـن نكستـه بالصفـع مـن درجاتـه
مـن مجـده مـن غيـره وسفالـه مـن ذاتـه

الصابئ وعضد الدولة

وأهدى الصابئ إلى عضد الدولة في يوم مهرجان اسطرلاباً[(١)] بقدر الدرهم ،

(١) الأَسْطُرلاب (ويقال له : الأصْطُرلاب) هو آلة فلكية قديمة وأطلق عليه العرب ذات الصفائح . وهو نموذج ثنائي البعد للقبة السماوية ، وهو يظهر كيف تبدو السماء في مكان محدد عند وقت محدد .

وكتب معه ، وكان حينئذ معتقلاً :

أهــدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا   في مهرجانٍ جديـدٍ أنــت تبليــه
لكــنّ عبــدك إبراهيــم حــين رأى   سموّ قدرك عــن شــيءٍ يساميه
لم يرض بالأرض يهديها إليــك فقد   أهدى لك الفلك الأعلى بمـا فيــه

فرضي عنه وأخرجه من السجن .

وقال الصابئ لأبي القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب :

اللّــه حسبــي فيــك مـن كلّ مــا   يعــوّذ العبــد بــــه المولــــى
واسلــم وعــش لا زلت في نعمــةٍ   أنــت بهــا مـــن غيــرك الأولى

نقد لشعر امرئ القيس

وصل إلى حضرة سيف الدولة[1] رجل من أهل بغداد يعرف بالمبحث ، وكان ينقر على العلماء والشعراء بما لم يدفعه الخصم ولا ينكره الوهم ، فتلقاه سيف الدولة باليمين ؛ وأعجب به إعجاباً شديداً ؛ فقال يوماً : أخطأ امرؤ القيس في قوله :

كأنــي لــم أركــب جــواداً للــذّة   ولــم أتبطّــن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبــأ الــزّقّ الــرويّ ولــم أقل   لخيلــي كــرّي كرّةً بعد إجفــال

وهذا معدول عن وجهه لا شك فيه . فقيل : وكيف ذلك؟ قال : إنما سبيله أن يقول :

كأنــي لــم أركب جواداً ولــم أقـل   لخيلــي كــرّي كــرةً بعد إجفال
ولــم أسبــأ الــزقّ الــرويّ للــذة   ولــم أتبطّــن كاعباً ذات خلخال

فيقترن ذكر الخيل بما يشاكلها في البيت كله ، ويقترن ذكر الشرب واللهو بالنساء . ويكون قوله : للذة في الشرب أطبع منه في الركوب .

فبهت الحاضرون ، واهتز سيف الدولة ، وقال ؛ هذا التهدي وحق أبي ! فقال بعض الحاضرين من العلماء للمبحث : أنت أخطأت وطعنت على القرآن إن كنت تعمدت؟ فقال سيف الدولة : وكيف ذلك؟ فقال : قال الله تبارك وتعالى : إن لك ألا

(١) سيف الدولة الحمداني علي ابن أبو الهيجاء ابن حمدان ابن الحارث سيف الدولة التغلبي معروف باللقب الأكثر شيوعا سيف الدولة ، هو مؤسس إمارة حلب ، التي تضم معظم شمال سوريا وأجزاء من غرب الجزيرة ، وأخ لحسان ابن عبدالله .

تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى . وعلى قياسه يجب أن يكون : إن لك أن لا تجوع فيها ولا تظمأ ، ولا تعرى فيها ولا تضحى . وإنما عطفه امرؤ القيس بالواو التي لا توجب تعقيباً ، ولا ترتب ترتيباً ؛ فخجل وانقطع .

أبو فراس يستميل سيف الدولة إلى الغناء

ومن مليح هذا المعنى قول أبي فراس[(١)] : كان سيف الدولة لا يشرب النبيذ ولا يسمع القيان ويحظرهما ، فوافت ظلوم الشهرامية ، وكانت إحدى المحسنات ، وكان بحضرته ابن المنجم أحد المحسنين ، فتاقت نفسي إلى سماع ظلوم ؛ فسألت الأمير أن يحضرهما لأسمعهما مجتمعين ؛ فوعدني بإحضارهما مجلسه من يومه ، فانصرفت وأنا غير واثق بذلك لعلمي بضعف نيته في مثله ، ووجهت إلى ظلوم أتقدم إليها بالاستعداد ، وحصلت عندي ابن المنجم ، وأقمت أنتظر رسوله إلى أن غربت الشمس ، فكتبت إليه :

محلّك الجوزاء بل أرفع   وصدرك الدهناء بل أوسع
وقلبك الرّحب الذي لم يزل   للجدّ والهزل به موضع
رفّه بقرع العود سمعاً غدا   قرع العوالي جلّ ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات أبا محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبي ؛ فأمر بها فلحنت وغني بها ، فلم يشرب بقية يومه ذلك إلا عليها .

بين أبي فراس وسيف الدولة

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة وقد سار إلى منزله : كتابي أطال الله بقاء الأمير من منزلي ، وقد وردته ورود السالم الغانم موقر الظهر وفراً وشكراً ؛ فاستحسن سيف الدولة بلاغته فقال :

هل للفصاحة والسما   حة والعلا عنّي محيد
في كل يوم استقيـ   ـد من العلاء وأستفيد

---

(١) أبو فراس الحمداني هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الوائلي ، . هو شاعر من أسرة الحمدانيين ، وهي أسرة عربية حكمت شمال سوريا والعراق وكانت عاصمتهم حلب في القرن العاشر الميلادي .

ويزيـد فـيّ إذا رأيـتك في الندى خلقٌ جدي

وأهدى الناس إلى سيف الدولة في بعض الأعياد فأكثروا ؛ فاستشارهم أبو فراس فيما يهديه إليه ، فكل أشار بشيء ، فخالهم وكتب إليه :

نفسـي فداؤك قـد بعثـت بمهجتـي بيـد الرسول
أهديـت نفسـي ، إنمـا يهدى الجليل إلى الجليـل
وجعلـت ما ملكـت يدي بشـرى المبشّـر بالقبـول

ووقع بين أبي فراس وبين بني عمه عداء وهو صغير ؛ فمزح سيف الدولة معه بالتعصب عليه فقال :

قد كنـت عدّتي التي أسطو بهـا ويدي إذا خان الزمان وساعـدي
فرميـت منـك بضـدّ مـا أمّلتـه والمـرء يشـرق بالـزّلال البـارد
فصبـرت كالولـد التقـيّ لبـرّه أغضى على مضضٍ لضرب الوالـد

وقال يفخر :

لنـا بيتٌ علـى طنـب الثريـا بعيـد مذاهـب الأكناف سامـي
تظلّلـه الفـوارس بالعوالـي وتفرشـه الولائـد بالطعـام

وقال يصف السبي .

وخريـدة كرمـت علـى آبائهـا وعلـى بـوادر خيلنـا لم تكـرم
خطبـت بحدّ السيف حتى زوّجت كرهـاً وكـان صداقهـا للمقسم
راحـت وصاحبهـا بعرس حاضـرٍ يرضـي الإلـه وأهلهـا فـي مأتم

لبيد بن ربيعة في مجلس النعمان

لما أراد لبيد بن ربيعة[1] أهله على إحضاره مجلس النعمان[2] ، ومقاولة ابن زياد العبسي على ما خاطب به أهله بحضرة النعمان ، أراد أهله أن يختبروه لأنهم

(١) أبو عقيل لَبيد بن ربيعة بن مالك العامِري من عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، عمه ملاعب الأسنة وأبوه ربيعة بن مالك والمكنى ×بربيعة المقترن× لكرمه .

(٢) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي ، الملقب بأبي قابوس كان مسيحيا نسطوريا تسلم مقاليد الحكم بعد أبيه ، وهو من أشهر ملوك المناذرة قبل الإسلام . كان داهية مقداما .

استصغروه ؛ فنظر عمه إلى بقلة لاصقة بالأرض وهي جدير الأرض فقال : صف لنا هذه البقلة حتى أسمع . فقال لبيد : إن هذه البقلة رذلة دقيقة الخيطان ، ذليلة الأغصان ، لا تذكي ناراً ، ولا تستر جاراً ، ولا تؤهل داراً ، عودها ضئيل ، وخيرها قليل ، وبلده شاسع ، ونبتها خاضع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع ، أقصر البقول فرعاً ، وأخبثها مرعىً ، وأصعبها قلعاً ، فحرباً لجارها وجدعاً ، فالقوا إلي أخا عبس ، أرجعه عنكم بتعس ، وأتركه من أمره بلبس . فقال له : سر! فلما قدم على النعمان وعنده الربيع أنشده :

نحن بنو أمّ البنين الأربعة   الضاربون الهام تحت الخيضعة
والمطعمون الجفنة المدعدعة

الحمدوني يصف أضحية

وقال الحمدوني في أضحية أهداها إليه سعيد بن أحمد جوسبنداد :

أسعيد قد أهديتني أضحيّةً   مكثت زماناً عندكم ما تطعم
نضواً تغامزت الكلاب بها وقد   شدّوا عليها كي تموت فيولموا
فإذا الملاح ضحكوا بها قالت لهم   لا تهزؤوا بي وارحموني ترحموا
مرّت على علفٍ فقامت لم ترم   عنه وغنّت والمدامع سجّم
وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي   متأخّرٌ عنه ولا متقدّم

وقال :

أبا سعيد لنا في شاتك العبر   جاءت وليس لها بولٌ ولا بعر
وكيف تبعر شاةٌ عندكم مكثت   طعامها الأبيضان الشمس والقمر
لو أنها أبصرت في نومها علفاً   غنّت له ودموع العين تنحدر
يا مانعي لذّة الدنيا بما رحبت   إني ليمتعني من وجهك النّظر

وقال :

شاة سعيدٍ في أمرها عبر   لما أتتنا قد مسّها الضرر
وهي تغنّي لسوء حالتها   حسبي بما قد لقيت يا عمر
مرّت بقطف خضر ينشّرها   قومٌ فظنّت بأنّها خضر
فأقبلت نحوها لتأكلها   حتى إذا ما تبيّن الخبر

وأبدلتها الظّنون من طمع   يأساً تغنّت والدمع ينحدر
كانوا بعيداً وكنت آملهم   حتى إذا ما تقرّبوا هجروا

وقال :

لسعيد شويهةٌ   سلّها الضّرّ والعجف
قد تغنّتْ وأبصرت   رجلاً حاملاً علف
بأبي من بكفّه   برء ما بي من الدّنف
فأتاها مطمّعاً   فأتته لتعتلف
فتولّى فأقبلت   تتغنّى من الأسف
ليته لم يكن وقف   عذّب القلب وانصرف

الحاتمي واللص

ومن الظريف ما أنشده أبو علي الحاتمي[1] في حكاية اللص :

يعجبني أنّك لا تربط من   خيل ولا تركب إلاّ النّجبا
لمّا رأيت الشّقر خيلاً سبّقاً   ملكتَ منها أشقراً محنّبا
به سماتٌ من قرونٍ سلفت   يعرف من أقربها المهلّبا
فللكلاب حوله تهاوشٌ   لمّا دعاهم أجلٌ قد قربا
لا تيأسن ما عشت في تشييعه   مستعملاً فيه العزا والعقبا
خلناه تحت الجلّ إذ جلّلته   قرون ضأنٍ جعلت ملء العبا
في كل رجلٍ ويدٍ زائدةٍ   وهو على جِردانه قد شطبا
كم مرّةً رأيته في جرمه   فخلته بالحائط منه القبقبا
تحيّر البيطار لمّا أن رأى   في رأسه مرقّعاً معتصبا
مقيّراً موصّلاً كأنّما   قد رم منه زورقاً أو زبزبا
فهو لنارٍ شعلةٌ لو لصقت   طاقة كبريت به لالتهبا
كم فيه من فائدة قد صحّحت   كتب التباريح لمن تطيّبا
قد خلق اللّه لناً من برّه   ومن نبات البحر خلقاً عجبا
يمشي إلى الإسراج مشي القهقرى   لكن إلى المعلف ينزو خببا

(١) هو أبو علي محمد بن الحسن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي (٣١٠ - ٣٨٨هـ) .

مـــن كثـــرة القـــردان في صهوتـــه   تحسبـــــه مجــــــدّراً محصّـــــبا
لـــو أن سلطانـــــــاً رأى راكبــــه   لـــم يـــأل أن عــــذّره وأدّبـــــا
أقـــام طـــول الصيـــف في الماء إلـــى   أن أنبـــت المـــاء علـــيه الطحلبـا
ظننتــــه والشمـــس لـــم تبيضّ مـن   شمـــس الضحى ولم تحلّ الغيهبا
مـــن بعـــض أكواخ النواطير ســـرى   بالريـــح إذ هبـــت له ريح الصّـــبا
بالـــغ فيـــه الجـــوع حتـــى إنـــه   إذا رأى القـــتّ بكـــى وانتحـــبا
وجـــاذب المقـــود مجهـــوداً ومـــا   كـــاد لـــه المقـــود أن ينجذبـــا
حمحـــم للقـــتّ وقـــد مـــرّ بـــه   ثـــم تغنّـــى طربـــــاً وأطربــــا
يأيهـــا الباخـــل بالوصـــل أمـــا   ترحـــم صبّـــاً كلفـــاً معذّبـــــا

وصف الشمس

قال رجل من بني الحارث بن كعب يصف الشمس :

مخبـــأة أمّـــا إذا الليـــل جنّهـــا   فتخفـــى وأمّـــا بالنهـــار فتظهـــر
إذا انشقّ عنها ساطع الفجر وانجلـــى   دجـا الليل وانجاب الحجاب المستّر
وألبـــس عـــرض الأرض لونـــاً كأنّه   على الأفق الغربيّ ثـوبٌ معصفـــر
تجلّـــت وفيهـــا حين يبدو شعاعهـــا   ولم يعـــل للعـــين البصيرة منظـر
عليهـــا كـــردع الزعفـــران يشبّـــه   شعاعٌ تلالا فهـــو أبيـــض أصفـر
فلمّـــا علـــت وابيضّ منها اصفرارها   وجالت كما جال المنيـــح المشهّـــر
وجلّلـــت الآفـــاق ضـــوءاً وأسعرت   بحرٌّ لها منـــه الضّحـــى يتسعّـــر
تـــرى الظّل يطوى حين تبدو ، وتـــارةً   تـــراه إذا زالـــت عن الأرض ينشر
كمـــا بـــدأت إذ أشرقت في مغيبهـا   تعـــود كمـــا عاد الكبير المعمّـــر
وتدنـــف حتـــى ما يكـاد شعاعهـــا   يبـــين إذا ولّـــت لمـــن يتبصّـــر
وأفنـــت قروناً وهي في ذاك لم تـــزل   تميـــت وتحيـــي كـــلّ يـــومٍ وتنشر

دعوة بالخطأ

قال عثمان بن عيسى الهاشمي : كنت عند المعتز ، وكان قد كتب أبو أحمد ابن المنجّم إلى أخيه أبي القاسم رقعةً يدعوه فيها ، فغلط الرسول ، فأعطاها لابن المعتز وأنا عنده ، فقرأها ، وعلم أنّها ليست له ، فقلبها وكتب :

دعانـــــي الرســـول ولـــم تدعنـــي ولكـــــن لعلّـــي أبـــو القاســـــم
فمـــا أن يطـــاق إذا مـــا جـــددت وهزلـــك كالشهـــد للطاعـــــم
فـــدى لـــك مـــن كـــل ما يتّقيـــه أبـــو أحمـــد وأبـــو القاســـــم

قال : فقام ، ومضى إليه .

غلب الجاحظ

قال الجاحظ ما غلبني أحد قط إلا رجل ، كنت مجتازا في بعض الطريق فإذا برجل قصير بطين كبير الهامة

طويل اللحية مؤتزر بمئزر وبيده مشط يمشطها

فقلت في نفسي : رجل قصير بطين ألحى ! فاستزريته فقلت :

أيها الشيخ لقد قلت فيك شعرا فترك المشط من يده وقال : قل

فقلت :

كأنـــك صعـــوة فـــي أصـــل حش أصـــاب الحـــش طش بعـــد رش

فقال اسمع جواب ما قلت فقلت هات ! فقال

كأنـــك جنـــدب فـــي ذيل كبـــش تدلـــدل هكـــذا والكبـــش يمشي

الجاحظ والثقيل

قال الجاحظ : جاءني يوماً بعض الثقلاء فقال : سمعت أن لك ألف جواب مسكت ، فعلمني منها؟ فقلت : نعم . فقال : إذا قال لي شخص ، يا جاهل! يا ثقيل الروح ، أي شيء أقول له؟ فقلت : قل له : صدقت

الجاحظ وغلامه

دخل على الجاحظ يوما غلامه ، فرآه مجتهدا في الدعاء فقال له : ما بك يا مولاي؟

قال : قد وجدت نفسي أني صرت سخرية للناس ، فأدعو ربّي أن يصلح ما بي من العيوب .

فقال الغلام : أيسرُ عليه أن يصنعك من جديد

في مرض الجاحظ

قال أَبُو معاذ عبدان الخولى المتطبيدخلنا يوما بسر من رأى عَلَى عمرو بْن بحر الجاحظ نعوده وقد فلج ، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل فِيهِ فقَالَ : وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ، ولعاب سائل؟ ثم أقبل علينا فقَالَ : ما تقولون فِي رجل لَهُ شقان : أحدهما لو غرز بالمسال ما أحس ، والشق الآخر يمر بِهِ الذباب فيغوث ، وأكثر ما أشكوه الثمانون؟ ثم أنشدنا أبياتا من قصيدة عوف بْن محلم الخزاعى .

قَالَ أَبُو معاذ : وكان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل عَلَى عَبْد اللَّه بْن طاهر ، فسلم عَلَيْهِ عبد الله فلم يسمع ، فأعلم بذلك ، فزعموا أنّهُ ارتجل هذه القصيدة ارتجالا ، فأنشده :

يا بن الَّــذِي دان لَـــهُ المشرقــــان   طــرا وقــد دان لَــهُ المغــــربان
إن الثمانـــــــــين وبلغتهـــــــا   قد أحوجت سمعي إِلَى ترجمــان
وبدلتنـــــي بالشطـــــاط الانحـــنا   وكنت كالصعدة تحــت السنـــان
وبدلتنـــي مــــن زمــــاع الفتـــى   وهمتــي هُــم الجبــان الهــدان
وقاربـــت منـــى خطـــا لـــم تكـــن   مقاربـــاتٍ وثنـــت مـــن عنـــان
وأنشـــأت بيـــني وبـــين الـــورى   عنانـــة مـــن غير نســـج العنـــان

الاسترزاق بالأدب

حـقـال أَبُو بَكْرِ بن دريد ، رحمه الله : حَدَّثَنَا عبد الأول ، قَالَ : سمعت الكتنجي ، يقول : أملقت[1] حتى لم يبق فِي منزلي إلا بارية ، فدخلت إِلَى دار المتوكل ، فلم أزل مفكراً فحضرني بيتان ، فأخذت قصبة وكتبت عَلَى الحائط الذي كنت إِلَى جنبه :

الرزق مقســـومٌ فأجمـــل فِي الطلب   يأتي بأسباب ومن غـــير سبـــب
فاستـــرزق اللـــه ففـــي اللـــه   غنـــىً الله خيرٌ لك من أبٍ حدب

قَالَ : فركب المتوكل فِي ذلك اليوم حماراً وجعل يطوف فِي الحجر ، ومعه الفتح بن خاقان ، فوقف عَلَى البيتين ، وقَالَ : من كتب هذين البيتين؟ وقَالَ للفتح : اقرأ هذين البيتين ، فاستحسنهما ، وقَالَ : من كان فِي هذه الحجرة؟ فقيل : الكتنجي ، فقَالَ : أغفلناه وأسأنا إليه ، وأمر لي ببدرتين .

(١) أي فقرت ومنه قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾

الشاعر والملك

دخل شاعرٌ على ملك وهو على مائدته فأدناه الملك إليه وقال له : أيها الشاعر قال : نعم أيها الملك ،

قال الملك : «و ا » ، فقال الشاعر على الفور ، «أن» ، فغضب الملك غضباً شديداً وأمر بطرده فتعجّب الناس وسألوه : لم نفهم مالذي دار بينكما أيها الملك ،

أنت قلت «وا» وهو قال «أن» فما «وا» و«أن»

قال : أنا قلت له : «وا» أعني قول الله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ .

فردّ عليّ وقال : «أن» يعني قوله تعالى ﴿أن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾

مائة ألف أو يزيدون

ذهب رجل إلى الملك وأنشده شعرا

قال الملك : أحسنت . . اطلب ما تشاء

قال هل تعطيني؟؟؟

قال : أجل

قال : أريد أن تعطيني دنانير بمقدار الرقم الذي أذكره في الآيات القرآنية

قال : لك ذلك

قال الشاعر : قال الله تعالى : ﴿إلهكم إله واحد﴾

فأعطاه دينارا

قال : ﴿ثاني أثنين إذ هما في الغار﴾

فأعطاه دينارين

قال : ﴿لقد كفر اللذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾

فأعطاه ثلاثة دنانير

قال : ﴿قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك﴾

فأعطاه أربعة

قال : ﴿ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾

فأعطاه خمسة دنانير وستة دنانير أخرى

قال : ﴿الله الذي خلق سبع سموات﴾

فأعطاه سبعة

قال : ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾

فأعطاه ثمانية

قال : ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض﴾

فأعطاه تسعة

قال : ﴿تلك عشرة كاملة﴾

فأعطاه عشرة دنانير

قال : ﴿إني رأيت أحد عشر كوكبا﴾

فأعطاه أحد عشر

قال : ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله﴾

فأعطاه اثنا عشر

ثم قال الملك : أعطوه ضعف ما جمع واطردوه

قال الشاعر : لماذا يا مولنا

قال الملك : أخاف أن تقول : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ .

أبيات المروءة

عن الهيثم بن عدى ، قَالَ : كنا نقول بالكوفة : إنه من لم يرو هذه الأبيات فلا مروءة له ، وهي لأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي

قَالَ : وأنشدنا أَبُو العباس أحمد بن يحيى النحوي عَنِ ابن الأعرابي ، والألفاظ فِي الروايتين مختلطة :

وصهبــاء جرجانيــة لم يطــف بهـا	حنيــف ولم تنغــر بها ساعةً قدر
ولم يحضــر القــس المهينــم نارهــا	طروقا ولم يشهد عَلَى طبخها حبــر
أتانــي بها يحيــى وقــد نمت نومـة	وقد غابت الشعرى وقد جنح النسر
فقلــت اغتبقهــا أو لغيري فاسقهـا	أنـــا ويبـــك والخمــــر
تعففــت عنها فِي العصور التي خلت	فكيـف التصابي بعد ما كلأ العمر
إذا المــرء وفــى الأربعــين ولم يكن	له دون ما يأتـي حيــاء ولا ستــر
فدعه ولا تنفس عليه الــذى ارتــأى	وإن جــر أسباب الحياة له الدهــر

بين أديبين ووالدهما

كان لرجل من مقاول حمير ابنان يُقَال لأحدهما : عمرو وللآخر : ربيعة ، وكانا قد برعا فِي الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى عَلَى الفناء ، دعاهما ليبلو عقولهما ، ويعرف مبلغ علمهما ، فلما حضرا قَالَ لعمرو ، وكان الأكبر أَخْبَرَنِي عَنْ أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك ، قَالَ : السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذواد ، الصادر الوراد .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : ما أحسن ما وصف! وغيره أحب إِلَى منه ، قَالَ : ومن يكون بعد هذا؟ قَالَ : السيد الكريم ، المانع للحريم ، المفضال الحليم ، القمقام الزعيم ، الذي إن هم فعل ، وإن سئل بذل .

قَالَ : أَخْبَرَنِي يا عمرو بأبغض الرجال إليك ، قَالَ : البرم اللئيم ، المستخذي للخصيم ، المبطان النهيم ، العي البكيم ، الذي إذا سئل منع ، وإن هدد خضع ، وإن طلب جشع .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : غيره أبغض إِلَى منه ، قَالَ : ومن هو؟ قَالَ : النؤوم الكذوب ، الفاحش الغضوب ، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام .

قَالَ : أَخْبَرَنِي يا عمرو ، أي النساء أحب إليك؟ قَالَ : الهركولة اللفاء ، الممكورة الجيداء ، التي يشفى السقيم كلامها ، ويبرى الوصب إلمامها ، التى إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استعتبتها أعتبت ، الفاترة الطرف ، الطفلة الكف ، العميمة الردف .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : نعت فأحسن! وغيرها أحب إِلَى منها ، قَالَ : ومن هى؟ قَالَ : الفتانة العينين ، الأسيلة الخدين ، الكاعب الثديين ، الرداح الوركين ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة الكلام ، الجماء العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام .

قَالَ : فأي النساء إليك أبغض يا عمرو؟ قَالَ : القتاتة الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطوافة الهبوب ، العابسة القطوب ، السبابة الوثوب ، التي إن ائتمنها زوجها خانته ، وإن لان لها أهانته ، وإن أرضاها أغضبته ، وإن أطاعها عصته .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : بئس والله المرأة ذكرا! وغيرها أبغض إلى منها ، قَالَ : وايتهن التي هي أبغض إليك من هذه؟ قَالَ : السليطة اللسان ، المؤذية للجيران ،

الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وترته ، وإن ناطقها انترته .

قَالَ ربيعة : وغيرها أبغض لي منها قَالَ : ومن هي؟ قَالَ : التي شقي صاحبها ، وخزى خاطبها ، وافتضح أقاربها .

قَالَ : ومن صاحبها؟ قَالَ : مثلها فِي خصالها كلها ، لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها .

قَالَ : فصفه لي؟ قَالَ : الكفور غير الشكور ، اللئيم الفجور ، العبوس الكالح ، الحرون الجامح الراضي بالهوان ، المختال المنان ، الجعد البنان ، القئول غير العقول الملول غير الوصول ، الذي لا يرع عَنِ المحارم ، ولا يرتدع عَنِ المظالم .

قَالَ : أَخْبَرَنِي يا عمرو ، أي الخيل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران للتجالد؟ قَالَ : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفيت العريق ، الشديد الوثيق ، الذي يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طلب .

قَالَ : والله نعت! نعم الفرس قَالَ : فما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : غيره أحب إِلَى منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الحصان الجواد ، السلس القياد ، الشهم الفؤاد ، الصبور إذا سرى ، السابق إذا جرى .

قَالَ : فأي خيل أبغض إليك يا عمرو؟ قَالَ : الجموح الطموح ، النكول الأنوح ، الصئول الضعيف ، الملول العنيف ، الذي إن جاريته سبقته ، وإن طلبته أدركته ، قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : غيره أبغض إليك منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : البطيء الثقيل ، الحرون الكليل ، الذي إن ضربته قمص ، وإن دنوت منه شمس ، يدركه الطالب ، ويفوته الهارب ، ويقطع بالصاحب .

قَالَ ربيعة : وغيره أبغض إِلَى منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الجموح الخبوط ، الركوض الخروط ، الشموس الضروط ، القطوف فِي الصعود والهبوط ، الذي لا يسلم الصاحب ، ولا ينجو من الطالب .

قَالَ : أَخْبَرَنِي يا عمرو أي العيش ألذ؟ قَالَ : عيش فِي كرامة ، ونعيم وسلامة ، واغتباق مدامة .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : والله وصف! وغيره أحب إِلَى منه ، نعم العيش قَالَ : وما هو؟ قَالَ : عيش فِي أمن ونعيم ، وعز وغنى عميم ، فِي ظل نجاح ، وسلامة مساء وصباح ، وغيره أحب إِلَى منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : غنى دائم ، وعيش سالم ، وظل ناعم .

قَالَ : فما أحب السيوف إليك يا عمرو؟ قَالَ : الصقيل الحسام ، الباتر الجذام ، الماضي السطام ، المرهف الصمصام ، الذي إذا هززته لك يكب ، وإن ضربت به لم ينب .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : نعم السيف نعت! وغيره أحب إِلَى ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الحسام القاطع ، ذو الرونق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذي إذا هززته هتك ، وإذا ضربت به بتك .

قَالَ : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو؟ قَالَ : الفطار الكهام ، الذي إن ضرب به لم يقطع ، وإن ذبح به لم ينخع .

قَالَ : فما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : والله ذكرا! وغيره أبغض إِلَى منه ، بئس السيف قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الطبع الددان ، المعضد المهان .

قَالَ : فأَخْبَرَني يا عمرو ، أي الرماح أحب إليك عند المراس ، إذا اعتكر الباس ، واشتجر الدعاس؟ قَالَ : أحبها إِلَى المارن المثقف ، المقوم المخطف ، الذي إذا هززته لم ينعطف ، وإذا طعنت به لم يقصف .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : نعم الرمح نعت! وغيره أحب إِلَى منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الذابل العسال ، المقوم النسال ، الماضي إذا هززته ، النافذ إذا همزته .

قَالَ : فأَخْبَرَني يا عمرو عَنْ أبغض الرماح إليك ، قَالَ : الأعصل عند الطعان ، المثلم السنان ، الذي إذا هززته انعطف ، وإذا طعنت به انقصف .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : بئس الرمح ذكرا! وغيره أبغض إِلَى منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الضعيف المهز ، اليابس الكز ، الذي إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقصم .

قَالَ : انصرفا الآن طاب لي الموت

جحدر في الحبس

لجحدر وكان لصا مبرا فأخذه الحجاج فحبسه ، فقَالَ فِي الحبس :

تأوبني فبت لها كنيعاً ... همومٌ ما تفارقني حواني
هي العواد لا عواد قومي ... أطلن عيادتي في ذا المكان
إذا ما قلت قد أجلين عني ... ثنى ريعانهن عَلَى تاني
وكان مقر منزلهن قلبي ... فقد أنفهنه والهم آن

ألیـــــس اللـــه یعلـــم أن قلبـــــي یجبـــك ایهـــا البـــرق الیمانـــي
وأهـــوى أن أرد إلیـــــك طرفــــــي عَلَـــى عدواء من شغلي وشانـــي
نظـــرت وناقـــتاي عَلَـــى تعـــــاد مطاوعـــة الأزمـــــة ترحـــــلان
إلـــى ناريهمـــــا وهمـــــا بعيـــدٌ تشوقـــان المحـــب وتوقـــــدان
ومـــا هاجنـــي فـــازددت شوقـــــاً بكـــــاء حمامتـــين تجاوبـــان
تجاوبتـــــا بلحـــــن أعجمـــــيٍّ عَلَـــى غصنـــين مـــن غربٍ وبان
فكـــــان البـــان أن الْبـــــان أت وفـــي الغرب اغترابٌ غير دانٍـــي
أليـــس الليـــل يجمـــع أم عمـــرو وإيانـــا فـــذاك لنـــــا تدانـــي
نعـــــم وتـــرى الهـــلال كمـــا أراه ويعلوهـــا النهـــار كمـــا علانـــي
فمـــا بـــين التفريـــق غيـــر سبـــع بقـــين مـــن المحـــرم أو ثمانـــــي
فيـــا أخـــويّ مـــن كعب بن عمـــرو أقـــلا اللـــوم إن لـــم تنفعانـــــي
إذا جاوزتهـــما سعفـــــات حجـــر وأوديـــة اليمامـــــة فانعيانـــــي
وقـــولا جحـــدرٌ أمســـــى رهيـــناً يحـــاذر وقـــع مصقـــول يمانـــــي
يحـــاذر صولـــة الحجـــاج ظلمـــــا ومـــا الحجـــاج ظـــلام لجانـــــي
إلـــى قـــوم إذا سمعـــوا بقتلـــــي بكـــى شبانهـــم وبكى الغوانـــي
فـــإن أهلـــك فـــرب فتـــىً سيبكي عَلَـــى مهـــذبٍ رخص البنـــــان
ولـــم أك قد قضيت حقـــوق قومـــي ولا حـــق المهنـــــد والسنـــــان

الحارث وابن أبي ربيعة

ذكر شعر الحارث بن خالد وعمر ابن عبد الله بن أبي ربيعة ، عند ابن أبي عتيق ، وفي مجلس رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام ابن المغيرة ، وقَالَ صاحبنا : الحارث أشعرهما ، فقَالَ ابن أبي عتيق : بعض قولك يا بن أخي ، فلشعر ابن أبي ربيعة لوطة بالقلب ، وعلق بالنفس ، ودرك للحاجة ليس لشعر ، وما عصى الله بشعر أكثر مما عصي بشعر بن أبي ربيعة ، فخذ عني ما أصف لك : أشعر قريش : من رق معناه ، ولطف مدخله وسهل مخرجه ومتن حشوه وتعطفت حواشيه وأنارت معانيه وأعرب عَنْ صاحبه ، فقَالَ : الذي من ولد خالد بن العاص : صاحبنا الذي يقول :

إنـــي ومـــا نحـــروا غـــداة منـــى عنـــد الجمـــار تئودهـــا العقـــل

لـــــو بدلـــت أعلـــى مساكنهــــا سفـــلا وأصبـــح سفلهـــا يعلـــو
فيكـــاد يعرفهــــا الخبيــــــر بهـــا فـــيرده الإقـــــــواء والمحــــــل
لعرفـــت مغناهـــا لمـــا احتملـــــت منـــي الضلـــوع لأهلهـــا قبـــــل

فقَالَ ابن أبي عتيق : يا ابن أخي ، استر عَلَى صاحبك ولا تشاهد المحاضر بمثل هذا ، أما تطيّر الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ، ما بقي إلا أن يسأل الله حجارة من سجيل ، ابن أبي ربيعة كان أحسن صحبة للرّبع من صاحبك وأجمل مخاطبة حين يقول :

سائـــــلاً الربــــع بالبلـــــى وقولا هجـــت شوقـــا لـــي الغداة طويلاً
أيـــن حـــيٌ حلـــوك إذ أنت مســـر وربهـــم أهـــــــل أراك جميـــــلاً
قَـــالَ ســـاروا فأمعنـــوا فاستقــــلوا وبكرهـــي لـــو استطعـــت سبيلاً
سئمونـــا ومـــا سئمنـــــا مقامـــاً واستحثّـــوا دماثـــــة وسهـــــولا

الخيار ومعاوية

دخل الخيار بن أوفى النَّهدي عَلَى معاوية فقَالَ له : يا خيار ، كيف تجدك وما صنع بك الدهر؟ فقَالَ : يا أمير المؤمنين ، صدع الدهر قناتي ، وأثكلني لداتي ، وأوهى عمادي ، وشيب سوادي ، وأسرع فِي تلادي ، ولقد عشت زمناً أُصبي الكعاب ، وأسر الأصحاب ، وأُجيد الضرّاب ، فبان ذلك عني ، ودنا الموت مني ، وأنشأ يقول :

غبـــرت زمانـــاً يرهـــب القرن جانبي كأنّـــي شتيـــمٌ باسل القلب خادر
يخـــاف عـــدوي صولتـــي ويهابنـــي ويكرمنـــي قرنـــي وجـــاري المجاور
وتصبـــي الكعـــاب لمتـــى وشمائلي كأنـــي غصـــنٌ ناعم النبت ناضر
فبـــان شبابـــي واعترتنـــي رثيـــــةٌ كأنـــي قنـــاةٌ أطّرتهـــــا المَاطـــر
أدبُ إذا رُمــــت القيـــــام كأننـــي لـــدى المشـــي قـــوم قيده متقاصر
وقصـــر الفتـــى شيبٌ وموتٌ كلاهما لـــه سائـــق يسعـــى بذاك وناظر
وكيـــف يلذّ العيش من ليس زائـــلاً رهـــين أمـــور ليـــس فيها مصادر

فقَالَ معاوية : أحسنت القول ، واعلم أن لها مصادر ، فنَسأل الله أن يجعلنا من الصادرين بخير ، فقد أوردنا أنفسنا موارد نرغب إِلَى الله أن يصدرنا عنها وهو راضٍ

ما قاله بعض الأدباء فِي وصف بعض الثقلاء

قَالَ العباس بن الحسن العلوي : ما الحمام عَلَى الإصرار ، وحلول الدّين مع الإقتار ، وطول السّقم فِي الأسفار ، بألم من لقائه!

وأنشد أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : أنشدنا أَبُو العباس وأبي ، واللفظ مختلط ،

ثقيلٌ يطالعنا من أمم … إذا سرّه رغم أنفي ألمّ
أقول له إذ أتى لا أتى … ولا حملته إلينا قدم
عدمت خيالك لا من عمى … وسمع كلامك لا من صمم
تغطّ بما شئت عَنْ ناظري … ولو بالرّداء به فالتثم
لنظرته وخرة فِي القلوب … كوخز المحاجم فِي الملتزم

قَالَ : وأنشدنا عبد الله بن خلف :

وثقيل أشدّ من ثقل الموت … ومن شدة العذاب الأليم
لو عصت ربها الجحيم … لما كان سواه عقوبةً للجحيم

قَالَ : وأنشدنا عبد الله بن خلف ، وغيره ، لمحمد بن نصر بن بسام :

يا ثقيلاً عَلَى القلوب إذا … عَنْ لها أيقنت بطول الجهاد
يا قدي فِي العيون يا غلة بين … التّراقي حزازة فِي الفؤاد
يا طلوع العذول يا بين إلف … يا غريما أتى عَلَى ميعاد
يا ركوداً فِي يوم غيم وصيف … يا وجوه التّجار يوم الكساد
خلِّ عنَّا فإنما أنت فينا … واو عمرو وكالحديث المعاد
وامض فِي غير صحبة الله ما عشت … ملّقى من كلِّ فجّ وواد
يتخطى بك المهامه والبيد … دليل أعمى كثير الرّقاد
خلفك الثائر المصمم بالسيف … ورجلاك فوق شوك القتاد

قَالَ : وأنشدنا أبي :

ربّما يثقل الجليس وإن كان … خفيفاً فِي كفّة الميزان
ولقد قلت حين وتد فِي البيت … ثقيلٌ أربَى عَلَى ثهلان
كيف لم تحمل الأمانة أرضٌ … حملت فوقها أبا سفيان

الشعراء والحجاج

اجتمع الشعراء بباب الحّجاج وفيهم الحكم بن عبدلٍ الأسدي ، فقالوا : أصلح

الله الأمير ، إنما شعر هذا فِي الفأر وما أشبهه ، قَالَ : ما يقول هؤلاء يا بن عبدل؟ قَالَ : اسمع أيها الأمير ، قَالَ : هات ، فأنشده :

وإنّـــي لأستغنـــي فمـــا أبطر الغنـى | وأعرض ميسوري لمن يبتغي عرضي
وأعســـر أحيانـــاً فتشتـــدّ عسرتـــي | فأدرك ميسور الغنى ومعي عرضـــي
وما نالنـــي حتّـــى تجلّت فأسفـــرت | أخـــو ثقـــة فيها بقرضٍ ولا فرض
ولكنـــه سيـــب الإلـــه وحرفتـــي | وشـــدّى حيـــازيم المطيّة بالغـــرض
لأكـــرم نفســـي أن أرى متخشّعـــاً | لذي مّنة يعطي القليل عَلَى النّحـض
قد امضيت هذا فِي وصيّة عبدلٍ | ومثل الذي أوصى به والدي أمضـــى
أكفّ الأذى عَنْ أَسرتي وأذوده | عَلَى أنني أجرى المقارض بالقرض
وأبذل معروفي وتصفو خليقتي | إذا كدّرت أخلاق كلّ فتىً محض
وأقضي عَلَى نفسي إذا ألحقّ نابنـــي | وفي الناس من يقضي عليه ولا يقضى
وأمضـــى همومـــي بالزّمـــاع لوجهها | إذا ما الهموم لم يكد بعضها يمضي
وأستنقذ المولى مـــن الأمـــر بعـــد ما | يـــزلّ كمـا زلّ البعير عَنِ الدّحض
وأمنحـــه مالـــي وودّي ونصرتـــي | وإن كان محنّى الضلوع عَلَى بغضـــي
ويغمره سيبـــي ولـــو شئـــت نالـــه | فوارع تبرى العظم من كلم مـــضّ
ولست بذي وجهين فيمـــن عرفتـــه | ولا البخل فاعلـم من سمائي ولا أرضي

قَالَ : فلما سمع الحجاج هذا البيت : ولست بذي وجهين فيمن عرفته فضّله عَلَى الشعراء بجائزة ألف درهم

نصف بيت شعر

قال أبو عمرو بن العلاء : اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل : أي نصف بيت شعر أحكم وأوجز؟ فقال أحدهم : قول حميد بن ثور الهلالي :

وحسبك داء أن تصح وتسلما

وقال الثاني من الرواة الثلاثة : بل قول أبي خراش الهذلي

نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي

وقال الثالث من الرواة : بل قول أبي ذؤيب الهذلي :

وإذا ترد إلى قليل تقنع

الشعر والنوم

قال رجل لخالد بن صفوان : ما لي إذا رأيتكم تتذاكرون الأخبار وتتدارسون الآثار ، وتتناشدون الأشعار ، وقع عليّ النوم؟ قال : لأنك حمار في مسلاخ إنسان

إنما المرء بأصغريه

لما دخل ضمرة بن ضمرة ، على النعمان بن المنذر ، زرى عليه ، للذي رأى من دمامته وقصره وقلته . فقال النعمان : «تسمع بالمعيديّ لا أن تراه» .

فقال : «أبيت اللعن! إن الرجال لا تكال بالقفزان ، ولا توزن بالميزان ، وليست بمسوك يستقى بها ، وإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، إن صال صال بجنان ، وإن قال قال ببيان» .

الشيطان والشعر

قال : وقال بعض الشعراء لرجل : أنا أقول في كلّ ساعة قصيدة ، وأنت تقرضها في كل شهر . فلم ذلك؟ قال : لأني لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبل من شيطانك .

ضحك في معرض الرثاء

قال اليزيدي في رثاء يحيى بن المبارك وكان يستثقله .

يا رجلاً خف عنده الثقل حتى به صار يضرب المثل

قصة رجل مع معن بن زائدة[1]

معن ابن زائدة الشيباني ، ويضرب به المثل في الحلم والكرم ، وهو أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، ثم استقر به الأمر أن يكون قريباً من أبي جعفر المنصور ، وهو الذي قيل إنه جاءه رجل يختبر حلمه ، قال :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة   وإذ نعلاك من جلد البعير

(١) معن بن زائدة أمير العرب أبو الوليد الشيباني ، من أكرم وأجود الناس . كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة ، وله أخبار في السخاء ، وفي البأس والشجاعة ، وله نظم جيد .

قال : أذكر ولا أنساه ، قال :

فسبحـــان الـــذي أعطـــاك ملكـــاً   وعلمـــك الجـــلوس علـــى السرير

قال : سبحانه على كل حال ، قال :

فلســـت مسلمـــاً مـــا عشـــت دهراً   علـــى معـــن بتسليـــم الأمـــير

قال : يا أخ العرب إن السلام سنة تأتي به كيفما شئت ، قال :

فجـــد لـي يـا ابن ناقصة بشـيءٍ(*)   فإنـــي قـد عزمـت على المســير

فقال يا غلام أعطه ألف دينار ، قال :

قليل ما أتيـت بـــه وإنـــي   لأطمع منك في المال الوفيرِ

قال : يا غلام أعطه ألف أخرى ، قال :

سألـــت الله أن يبقيك دهراً   فمالك في البرية من نظيـــر

قال : يا غلام أعطه ألف أخرى ، فأماط اللثام وقال : يا معن والله ما جئتك لأطلبك وإنما جئتك لأختبر حلمك لما بلغني عنك ، وإن الله أعطاك حلماً لو قُسّم على الناس لكفاهم ، فقال : يا غلام كم أعطيته على نظمه؟ قال : ثلاثة آلاف ، قال : أعطه ثلاثة آلاف أخرى على نثره ، فمضى بها .

إنهم بقر

قال أحدهم للشاعر الظريف كلثوم بن عمرو العتابي(١) ، عندما كان يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام :

- فقال العتابي : لو كنت في حظيرة ، أكنت تستحي أن تأكل وما فيها من بقر يراك؟

- بالطبع ، لا .

- إذاً ، انتظر حتّى أُريك أنّهم بقر .

فَوَقَفَ العتابي يخطب في الناس ، ويعظ ، ويدعو حتى كثر عليه الزحام ، ثم قال لهم :

(*) وهو ابن زائدة .

(١) العتابي كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي أبو عمرو من بني عتاب بن سعد كاتب حسن الترسل وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشاعر .

روى لنا غير واحد أنّه من بلغ لسانه أرنبة أنفه دخل الجنة !
فأخذ كل واحد من الحضور يخرج لسانه ، ويقيسه ليراه إذا بلغ أرنبة أنفه أم لا .
ولمّا تفرق الجمع ، قال العتابي للرجل :
ألم أقل لك إنّهم بقر؟!
مهاجاة بين ابن المعتز وابن بسام
وكان ابن المعتز(١) يهاجيه ، فمن ذلك قوله فيه :

يا ثقيلاً على القلوب إذا عـ ـنّ لها أيقنت بطول الجهاد
يا قذىً في العيون يا حرقةً بيـ ـن التّراقي حزازةً في الفؤاد
يا طلوعِ العذول ما بين إلفٍ يا غريماً وافى على ميعاد
يا ركوداً في يوم غيم وصيفٍ يا وجوه التّجار يوم الكساد
خلِّ عنّا فإنما أنتً فيناً واو عمروٍ أو كالحديث المعاد

فأجابه ابن بسام بقوله :

فقدتك يا قذاةً في شرابٍ دخلت من الدناءة كلّ باب
لئيم الفعل أشأم من غرابٍ وضيع القدر أطفل من ذباب
وأثقل حين تبدو من رقيبٍ وأكذب حين تنطق من سراب
وأغدر للصديق من الليالي وأنكى للقلوب من العتاب

من ملح المهاجاة

ومن ملح هذا الباب قول جحظة :

يا لفظة النعيّ بموت الخليل يا وقفة التوديع بين الحمول
يا شربة اليارج يا أجرة الـ منزل يا وجه العذول الثقيل
يا طلعة النعش ويا منزلاً أقفر من بعد الأنيس الحلول
يا نهضة المحبوب عن غضبة يا نعمةً قد آذنت بالرّحيل
ويا كتاباً جاء من مخلفٍ للوعد مملوءاً بعذرٍ طويل

(١) عبد الله بن المعتز بالله خليفة عباسي وكنيته أبو العباس ، ولد عام ، في بغداد ، وكان أديبا وشاعرا ويسمى خليفة يوم وليلة ، حيث آلت الخلافة العباسية إليه ، ولقب بالمرتضي بالله ، ولم يلبث يوما واحدا حتى هجم عليه غلمان المقتدر وقتلوه في عام ، وأخذ الخلافة من بعده .

يا بكـــرة الثكلـــى إلـــــى حفـــرة مستـــودع فيهـــا عـــزيز الثكـــول
يا وثبــــة الحافـــظ مستعجـــــــلاً لصرفـــه القينـــات عند الأصيـــل
ويا طبيبـــــاً قـــد أتـــــى باكـــــراً علـــى أخـــي سقـــم بماء البقول
يا شوكـــةً فـــي قـــــدم رخصـــــة ليـــس إلـــى إخراجهاً من سبيـل
يا عثـــرة المجـــذوم فـــــيً رجلـــــهً ويا صعـــود السّعـــر عند المعيـــل
يا ردّة الحاجـــــب عـــن قســـــوةٍ ونكســـةً من بعـــد برء العليـــل

وجحظة هذا أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك .

قال أبو الحسن محمد بن محمد بن مقلة الوزير : سألت جحظة من لقبك بهذا اللقب؟ فقال : أبو العبر لقيني فقال : ما هو حيوان إن نكسوه أتانا آلة للمراكب البحرية . فقلت : علق إذا نكسوه صار قلعاً . فقال : أحسنت يا جحظة ؛ فلزمني هذا اللقب . وكان طيب الغناء حسن المسموع ؛ إلا أنه ثقيل اليد في الضرب . وكان حلو النادرة كثير الحكاية صالح الشعر ، ولا تزال تندر له الأبيات الجيدة .

هجاء بشر بن هارون

أنشد بشر بن هارون في أبي طاهر :

أبـــــا عبـــــد الإلـــه وأنـــت حرّ مـــن الأحـــرار منـــزوع القـــلادة
سألتـــــك بالإلـــــه لتخبرنّـــــي أجهلـــك مستفـــــاد أم ولاده
فـــإن يـــك فيـــك مولـــودا فعـــذر وإن يـــك حادثـــا لـــك باستفادة
فواعجـــبا يزيـــــد النـــاس فضـــلا وأنـــت تزيـــد نقصـــا بالزيـــادة!

وقال بشر بن هارون :

إن أبـــــا موســـى لـــه لحيـــــة تدخـــل فـــي الجحـــر بـــلا إذن
وصـــورة فـــي العـــين مثل القـــذى ونغمـــة كالوقـــــر فـــــي الأذن
كم صفعـــة صاحـــت إلى صافـــع بالنّعــــل من أخدعه : خذنـــي

محاولة شعرية فاشلة

يحكى أن أحد الشعراء كان جالسا مع أصحابه يوما . . في أرض خضرة جميلة . . فأراد أن يقول شعرا . . فقال . .

الأرض أرض والسمــاء سمــــــاء   والنـــــار قالــوا أنها حمــــراء .
فلما قيل له أنه لم يأت بجديد . . أضاف . .
كأننـــا والمـــاء مــــن حولنا   قوم جلــوس حولهـم ماء !!

في الوصف

قال شاعر يصف بخيلاً آخر :
رأى ضيفـــــك بالــــدار   وكــرب الجــوع يغشــــاه
علــى خبــزك مكتوبــــاً   (سيكفيكهـــــــمُ اللــه)
قال أحد الشعراء يصف زيارة حبيبه فقال :
بأبــي مـــن زارني مكتتما   خائفــا من كل شيء جزعا
ركـــب الأهــوال في زورته   ثـم ما سلّــم حتـــى ودعا
فقال آخر يعارضه ويصف زيارة ثقيل :
وثقيلٍ قد شنئْنا شخصــه   مـــذ عهدنــاه ملحّا مبرمــا
ثقّل الوَطــأةَ فـــي زورتـــه   ثم مـــا ودع حتـــى سلّمـا

شاعران على المائدة

جلس الشاعران العراقيان الزهاوي والرصافي يأكلان ثريداً فوقه دجاجه محمّرة . وبعد قليل مالت الدجاجة ناحية الزهاوي فقال : (عَرَف الخير أهله فتقدما) . فقال الرصافي : (كَثُر النبش تحته فتهدــما) .

شعراء ماتوا قتلاً

وثلاثةٌ من شعراء أولاد العجم مّمن كأن مشتهراً بالقول مذكوراً ، بالشّعر بالبادية ، كلّهم قتلوا منهم : وضّاح اليمن ، ويسار الكواعب ، وسحيم عبد بني الحسحاس . وإنما قتلوا كفّاً عن أولئك النّساء ، وحفظاً لهنّ ، حين رأوا التعرّض ، وشنعة تلك الأشعار لا يشغلهم عنها إلاّ قتلهم مخافة أن يكون ذلك القتل يحقّق المقالة القبيحة . ألا ترى أن الحجّاج بن يوسف في عتوّه لم يتعرّض لابن نمير في تشبّهه بزينب أخته مخافة أن يكون ذلك سبباً للخوض في ذكرها . فيزيد زائدٌ ، ويكثر مكثّرٌ . وكذلك معاوية بن

أبي سفيان لم يعترض لعبد الرّحمن بن حسان بن ثابت وكأن يتشبّب بابنته ، حتّى قال :

ثمّ حاضرتها إلى القبّة الخضراء . . . تمشي في مرمرٍ مسنون

دعوة الشاعر

قال أبو الحسن المدايني[(١)] : قال بعض العلماء :

كان لنا صديق من أهل البصرة ، وكان ظريفا أديبا ، فوعدنا أن يدعونا الى منزله ، فكان يمرّ بنا ، فكلما رأيناه قلنا :

﴿متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ .

فيسكت ، الى أن اجتمع ما يريده ، فمرّ بنا ، فأعدنا عليه القول فقال :

﴿انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون﴾ .

قيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أتقول الشعر مع النّسك والفضل والفقه؟ فقال : «لا بد للمصدور من أن ينفث» .

قال عمر بن الخطاب رحمه الله : خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، يستميل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم

جواب بالشعر

دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن الرجل؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

أذا غَضبتْ عليكَ بنو تميـمِ ... حسبتَ الناسَ كلّهم غِضابا

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذينَ يقول لهم القائل :

يزيـد بنو سعد على عـدد الحصـى ... وأثقـل مـن وزن الجبال حلومها

قال : فمن أيها أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

ثيـابُ بنـي عـوف طهـارى نقيةُ ... وأوجههُم عنـد الشاهـدِ غُـرّانُ

قال : فمن أيهم أنت؟ قاً ل : من الذين يقول لهم الشاعر :

فـلا وأبيـك مـا ظلمـت قريـع ... بأن يبنـوا المكـارم حيـث شاؤوا

قال : فمن أيهم أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهمُ ومن يسوّي بأنفِ الناقةِ الذنبا

قال : اجلس لا جلست والله لقد خفت أن تفخر علي .

تأبط شراً

قال عمرو بن أبي عمرو الشيباني : نزلت على حي من فهم إخوة بني عدوان من قيس فسألتهم عن خبر تأبط شراً فقال لي بعضهم : وما سؤالك عنه ، أتريد أن تكون لصاً؟ قلت : لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين ، فأتحدث بها ، فقالوا : نحدثك بخبره : إن تأبط شراً(١) كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين وكان إذا جاع لم تقم له قائمة فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله .

وإنما سمي تأبط شرا لأنه فيما حكي لنا لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال له رحى بطان في بلاد هذيل فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه فقالوا له لقد تأبطت شرا فقال في ذلك :

(ألا مَنْ مُبلغٌ فِتيانَ فَهم بما لاقيتُ عند رَحَى بطانِ)
(وأنّي قد لقيتُ الغولَ تهوي بسَهْب كالصحيفة صحصحانِ)
(فقلت لها كلانا نِضْو أَيْن أخو سفر فخلّي لي مكاني)
(فشدَّت شدَّةً نحوي فأَهْوَىَ لها كفّي بمصقول يَماني)
(فأَضربها بلا دَهَش فَخَرّت صريعاً لليدين ولِلْجِرانِ)
(فقالت عُد فقلت لهَا رُوَيداً مكانَك إنني ثَبْتُ الجَنانِ)
(فلم أنفكَّ مُتّكِئاً عليها لأنظر مُصبِحاً ماذا أتاني)
(إذا عينان في رأس قبيح كرأس الهِرِّ مَشْقوق اللِّسانِ)
(وساقا مُخدجٍ وشَواةُ كلْب وثوب من عَباءٍ أو شِنانِ)

---

(١) تأبط شراً واسمه ثابت بن جابر الفهمي ، أحد شعراء الجاهلية الصعاليك وعدائيهم من أهل تهامة ، وكانت معظم إغاراته على بني صاهلة من قبيلة هذيل وبني نفاثة من قبيلة كنانة .

علي بن الجهم والمتوكل

قدم علي بن الجهم[1] وكان بدوياً جافياً على المتوكل العباسي ، فأنشده قصيدة ، منها :

أنـــت كالكلـــب فـــي حفاظك للود وكالتيـــس فـــي قِـــراع الخطـوب
أنـــت كالدلـــــو ، لا عدمنـــــاك دلـــواً من كبار الدلا كثير الذنـوب

فعرف المتوكل حسن مقصده وخشونة لفظه ، وأنه ما رأى سوى ما شبهه به ، لعدم المخالطة وملازمة البادية ، فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة ، فيها بستان حسن ، يتخلله نسيم لطيف يغذّي الأرواح ، والجسر قريب منه ، وأمر بالغذاء اللطيف أن يتعاهد به ، فكان – أي ابن الجهم – يرى حركة الناس ولطافة الحضر ، فأقام ستة أشهر على ذلك ، والأدباء يتعاهدون مجالسته ومحاضرته ، ثم استدعاه الخليفة بعد مدة لينشده ، فحضر وأنشد :

عيون المـها بـــين الرصافـــة والجســـر جلبن الهـوى من حـيث أدري ولا أدري

فقال المتوكل : لقد خشيت عليه أن يذوب رقة ولطافة

الشعر الماجن والشيخ

كان بكار المرواني يقطن في مدينة أشبونة إحدى مدن الأندلس وذكر صاحب السقط : إنه ذهب إليه ونقر بابه فنادى : من هذا؟ فقلت : رجل ممن يتوسل لرؤيتك بقرابة ، فقال : لا قرابة إلا بالتقى ، فإن كنت من أهله فادخل ، وإلا فتنحَّ عني ، فقلت : أرجو في الاجتماع بك والاقتباس منك أن أكون من أهل التقى ، فقال : ادخل ، فدخلت عليه فإذا به في مُصلاة وسبحة أمامه ، وهو يعد حبوبها ويسبح فيها ، فقال لي : ارفق علي حتى أتمم وظيفي من هذا التسبيح ، وأقضي حقك ،

(١) هو علي بن الجهم بن بدر بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرار بن بكعب بن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وكنيته أبو الحسن وأصله من خراسان ، المولود في ١٨٨ للهجرة في بغداد ، سليلاً لأسرة عربية متحدرة من قريش أكسبته فصاحة لسان وأحاطت موهبته الشعرية بالرازنة والقوة ، وحمتها من تأثير مدينة بغداد التي كانت تعج بالوافدين من أعاجم البلاد المحيطة بها .

فقعدت إلى أن فرغ ، فلما قضى شغله عطف علي وقال : ما القرابة التي بيني وبينك؟ فانتسبت له ، فعرف أبي وترحم عليه ، وقال لي : لقد كان نعم الرجل ، وكان لديه أدب ومعرفة ، فهل لديك أنت مما كان لديه شيء؟ فقلت له : إنه كان يأخذني بالقراءة وتعلم الأدب ، وقد تعلقت من ذلك بما أتميز به . فقال لي : هل تنظم شيئاً؟ قلت : نعم ، وقد ألجأني الدهر إلى أن أرتزق به . فقال : يا ولدي إنه بئس ما يُرتزق به ، ونعم ما يتحلى به إذا كان على غير هذا الوجه ، وقد قال رسول الله ﷺ : (إن من الشعر لحكمة) ولكن تحل الميتة عند الضرورة ، فأنشدني أصلحك الله تعالى مما على ذُكرك من شعرك ، قال : فطلبت بخاطري شيئا أقابله به مما يوافق حاله فما وقع لي إلا فيما لا يوافقه من مُجون .

قال : فرأيت الشيخ قد اختلط ، وجعل يجيء ويذهب ثم أفاق وقال : أعد بحق آبائك الكرام ، فأعدت فأعاد ما كان فيه وجعل يردده ، فقلت له : لو علمت أن هذا يحركك ما أنشدتك إياه ، فقال : وهل حرك مني إلا خيرا وعظة؟ يا بني إن هذه القلوب المخلاة لله كالورق التي جفت ، وهي مستعدة لهبوب الرياح ، فإن هبّ عليها أقل ريح لعب بها كيف شاء ، وصادف منها طوعه ، فأعجبني منزعه ، وتأنست به ، ولم أر عنده ما يعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجماع والانكماش ، بل ما زال يبسطني ويحدثني بأخبار فيها هزل ، ويذكر لي من تاريخ بني أمية وملوكها ما أرتاح له ، ولا أعلم أكثره ، فلما كثر تأنسي به أهويت إلى يده كي أقبلها ، فضمها بسرعة ، وقال : ما شأنك؟ فقلت : راغباً لك في أن تنشدني شيئاً من نظمك ، فقال : أما نظمي من زمان الصبا فكان له وقت ذهب ، ويجب للنظم أن يذهب معه ، وأما نظمي في هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله ، وهو يثقل عليك ، فقلت له : إن أنصف سيدي الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدني من نظم صباه ، ومن نظم شيخوخته ، فيأخذ كلانا بحظه ، فضحك وقال : ما أعصيك وأنت ضيف وقريب ولك حرمة أدب ووسيلة قصد .

قال : فوالله لقد أدركني فوق ما أدركه ، وغُلبَ على خاطري بما سمعت من هذه الأبيات ، وفعلت بي من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص إلا بعد حين ، فقال لي الشيخ : إن هذه يقظة يرجى معها خيرك ، والله مرشدك ومنقذك ، ثم قال لي : يا بني هذا ما نحن بسبيله الآن ، فاسمع فيما مضى والله ولي المغفرة ، وإنا لنرجو منه غفران الفعل .

قال : فسمعت ما يقصر عنه صدور الشعراء ، وشهدت له بالتقدم ، وقلت له : لم أر أحسن من نظمك في جد ولا هزل ، ثم قلت له : أأرويه عنك؟ فقال : نعم ، ما أرى به بأسا بعد اطلاع من يعلم السرائر ، على ما في الضمائر ، فما قدر له هذه الفكاهة في إغضاء من يغفر الكبائر ، ويغضي عن العظائم؟

قال : فقلت له : فإن أسبغت علي النعمة بزيادة شيء من هذا الفن فعلت ما تملك به قلبي آخر الدهر ، فقال : يا بني لا ملك قلبك غير حب الله تعالى ، ثم قال : ولا أجمع عليك رد قول ومنعا ، ثم قال : حسبك وإن كلفتني زيادة فالله حسبك ، فقلت له : قد وكلتني إلى كريم غفور رحيم ، فبالله إلا ما زدتني وأكببت لأقبل رجليه ، فضمهما .

وقال صاحب السقط : فملأ سمعي عجائب ، وبسط أذني ، وكتبت كل ما أنشدني ، ثم قلت له : لولا خوفي من التثقيل عليك لم أزل استدعي منك الإنشاد حتى لا تجد ما تنشد . فقال : إن عدت إن شاء الله تعالى إلى هنا تذكرت . وأنشدتك ، فما عندي مما أضيفك غير ما سمعت . وما تراه . ثم قام وجاء من بيت آخر في داره بصحفة فيها حساء من دقيق وكسور باردة ، فجعل يفت فيها . ثم أشار إليّ أن أشرب فشربت ثم شرب إلى أن أتينا على آخرها ثم قال لي : هذا غذاء عمك نهاره ، وإنه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتصالها . قال : فقلت له : يا عم ، ومن أين عيشك؟ فقال : يا بني عيشي بتلك الشبكة اصطاد بها في سواحل البحر ما أقتات به ، ولي زوجة وبنت يعود من غزلهما مع ذلك ما نجد فيه معونة ، وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير ، جعلنا الله تعالى ممن يلقاه على حالة يرضاها . وختم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة . قال فتركته وقمت في نيتي أن أعود إلى زيارته ، ونويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف التثقيل . فعدت إليه بعد ثلاثة أيام ، فنقرت الباب ، فكلمتني المرأة بلسان عليه أثر الحزن ، وقالت : إن الشيخ خرج إلى الغزو ، وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ، ناله الجنون ، فقلت له : ما شأنك؟ فقال : أريد أن أموت شهيداً في الغزو ، وهؤلاء جيران لي قد عزموا على الغزو ، وأنا إن شاء الله تعالى ماض معهم ، ثم احتال في سيف ورمح وتوجه معهم ، وقال : نفسي هي التي قتلتني بهواها ، أفلا أقتص منها فأقتلها؟ قال : فقلت لها : من خلف للنظر في شأنكم؟ فقالت : ليس ذلك لك ، فالذي خلفنا له لا نحتاج معه إلى غيره ، فأدركني من جوابها روعة ، وعلمت أنها مثله زهداً وصلاحاً ، فقلت : إني قريبه ، ويجب عليّ

أن أنظر في حالكم بعده ، فقالت : يا هذا إنك لست بذي محرم ، ولنا من العجائز من ينظر ومن يبيع غزلنا ويتفقد أحوالنا ، فجزاك الله تعالى عنا خيرا ، انصرف عنا مشكورا ، فقلت لها ، هذه دراهم خذوها تستعينوا بها ، فقالت : ما اعتدنا أن نأخذ شيئا من غير الله تعالى ، وما كان لنا أن نُخل بالعادة فانصرفت نادما على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ والتبرك بزيادة دعائه ، ثم عدت بعد ذلك لداره سائلا عنه ، فقالت لي المرأة : إنه قد قبله الله تعالى ، فعلمت أنه قد قُتل ، فقلت لها : أقُتل؟ فقرأت }وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ - {فانصرفت معتبراً من حاله ، رحمه الله تعالى ورضي الله عنه .

الحارث وكسرى

لما وفد الحارث على كسرى أذن له بالدخول عليه ، فلما وقف بين يديه منتصباً قال له من أنت؟ قال أنا الحارث بن كلدة الثقفي ، قال فما صناعتك؟ قال الطب ، قال أَعربيّ أنت؟ قال نعم من صميمها وبحبوحة دارها قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها ، وضعف عقولها ، وسوء أغذيتها؟ قال أيها الملك ، إذا كانت هذه صفتها ، كانت أحوج إلى من يصلح جهلها ، ويقيم عوجها ، ويسوس أبدانها ، ويعدل أمشاجها ، فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه ، ويمز موضع دائه ، ويحتزر عن الأدواء كلها بحسن سياسته لنفسه ، قال كسرى فكيف تعرف ما توره عليها؟ ولو عرفت الحلم لم تنسب إلى الجهل قال الطفل يناغي فيداوى ، والحية ترقى فتحاوى ، ثم قال أيها الملك ، العقل من قِسَم اللّه تعالى قسمَه بين عباده ، كقِسمة الرزق فيهم ، فكلٌ من قمسته أصاب ، وخص بها قوم وزاد ، فمنهم مثر ومعدم ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العليم ، فأعجب كسرى من كلامه ، ثم قال فما الذي تحمد من أخلاقها؟ ويعجبك من مذاهبها وسجاياها؟ قال الحارث أيها الملك ، لها أنفس سخية ، وقلوب جُرية ، ولغة فصيحة وألسن بليغة ، وأنساب صحيحة ، وأحساب شريفة ، يمرق من أفواههم الكلام مروق السهم من نبعة الرام ، أعذب من هواء الربيع ، وألين من سلسبيل المعين مطعمو الطعام في الجدب ، وضاربو الهام في الحرب ، لا يرام عزهم ، ولا يُضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل أكرمهم ، ولا يقرون بفضل للأنام ، إلا للملك الهمام الذي لا يقاس به أحد ، ولا يوازيه سوقة ولا ملك ، فاستوى كسرى جالساً ، وجرى ماء رياضة الحلم في وجهه ، لما سمع من

محكم كلامه ، وقال لجلسائه أني وجدته راجحاً ولقومه مادحاً ، وبفضيلتهم ناطقاً ، وبما يورده من لفظه صادقاً ، وكذا العاقل من أحكمته التجارب .

أبو جعفر المنصور يتعزى بقصيدة

لما مات جعفر ابن أبى جعفر المنصور ، مشى أبوه في جنازته ، من المدينة إلى مقابر قريش ، ومضى معه الناس أجمعون حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره ، واقبل على الربيع حاجبه . . . . فقال : «يا ربيع انظر من أهلي من ينشدني «أمن المنون وريبها تتوجع؟» حتى اتسلى بها عن مصيبتي .

قال الربيع : فخرجت الى بنى هاشم وهم اجمعهم حضور ، فسألتهم عنها ، فلم يكن فيهم احد يحفظها ، فرجعت اليه فأخبرته . . . . . فقال : «والله لمصيبتي في اهل بيتي اكبر ، افلا يكون فيهم احد يحفظ هذه الدرر ، ان والله لقلة رغبتهم فى الادب اعظم واشد عليّ من مصيبتي في ابنى!!!!

ثم قال : «انظر هل في القوّاد والعوّام من الجند من يعرفها؟؟ . . فإني احب ان اسمعها من انسان ينشدها . . . . . . قال الربيع : فخرجت الى الجيش واعترضت الناس اصيح فيهم ، فلم اجد احدا يحفظها الا شيخا كبيرا . . . فسألته : هل تحفظ شيئا من الشعر؟؟ فقال : «نعم . . . شعر ابى ذؤيب!» فقلت : اذن أنشدني . . . . فابتدأ ينشد القصيدة العينية التي يبغيها المنصور . . . . . فقلت له : انت بغيّتى!!! ثم اوصلته الى المنصور . . . . . فاستنشده اياها ، فانشد تلك الابيات حتى اتى الى آخرها . . . فأمر له بمائة درهم مكافأة وهو يجهش من البكاء!!!!

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أميمة ما لجسمك شاحبا ... منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
فأجبتها أن مالجسمي أنه ... أودى بني من البلاد فودعوا
أودى بني وأعقبوني غصة ... بعد الرقاد وعبرة لاتقلع
سبقوا هوي وأعنقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع
فغبرت بعدهم بعيش ناصب ... وإخال أني لاحق مستتبع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم ... فإذا المنية أقبلت لاتدفع
وإذا المنية أنشبت ظفارها ... ألفيت كل تميمة لاتنفع
فالعين بعدهم كأن حداقها ... سملت يشوك فهى عور تدمع

حـــتى كأنـــي للحـــوادث مـــــروة   بصفـــا المشـــرف كل يوم تقـــرع
لابـــد مـــن تلـــف مقيـــم فانتظـــر   أبـــأرض قومك أم بأخرى المصرع
ولقـــــد أرى أن البكـــاء سفاهـــــة   وليوسف يولـــع بالبكا من يفجـــع
وليأتـــــين علـــــيك يـــــوم مـــرة   يبكـــى عليـــك مقنعا لاتسمـــع
وتجلـــــدي للشامتـــــين أريهـــــم   أني بريـــب الدهـــر لاأتضعضـــع
والنفـــس راغبــــــة إذا رغبتهــــا   فـــإذا تـــرد إلـــى قليـــل تقنـــع
كم من جميع الشمل ملتئمي الهـوى   باتـــوا بعيـــش ناعم فتصدعـــوا
فلئـــن بهـــم فجـــع الزمان وريبـــه   إنـــي بأهـــل مودتـــي لمفجـــــع
والدهـــر لايبقـــى علـــى حدثانـــه   فـــي رأس شاهقـــة أعـــز ممنـــع

إياك أعني واسمعي يا جارة

خرج «سهل بن مالك الفزاري» يريد «النعمان» ، فمرَّ ببعض أحياء طيء ، فسأل عن سيد الحيّ ، فقيل له : حارثه ، فأمَّ رحلهُ فلم يصبه شاهداً ، فقالت له أحد النساء : أنزل في الرَّحب والسعة ، فنزل فأكرمته ولاطفته ، ثم خرجت من خبائها ، فرأى أجمل أهل دهرها وأكملهم ، وكانت عقيلة قومها وسيّدة نسائها ، فوقع في نفسه منها شيء ، فجعل لا يدري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك . فجلس بفناء الخباء يوماً وهي تسمع كلامه ، فجعل ينشد ويقول :

يا أخـــتَ خيـــر الـــبدو والحَضـــاره   كيــــــف تَريـــن فـــي فتى فـزارة
أصبـــح يَهـــوى حُـــرَّةً معطـــــــارهْ   إيـــاك أعنـــي واسمعـــي يا جَارة

(وكان أول من قال «إياكَ أَعني واسمعي يا جَارة» ثم صارت مثلا) .

فلما سمعت قوله ، عرفت أنه إياها يعني ، فقالت : ماذا بقول ذي عقل أريب ، ولا رأي مُصيب ، ولا أنف نجيب ، فأقم ما أقمت مكرماً ، ثمّ ارتحل متىً شئت مُسلَّماً .

فاستحى الفتى وقال : ما أردت مُنكراً ، واسوأتاه .

فقالت : صدقت .

فكأنها استحيت من تسرعها إلى تهمته .

فارتحل ، فأتى النعمان فحيّاه ، وأكرمه . فلما رجع نزل على أخيها . فبينما هو مقيمٌ عندهم تطلعت إليه نفسها ، وكان جميلاً ، فأرسلت إليه : أن اخطبني إن كان

لك إليَّ حاجة يوماً من الدهر ، فإني سريعةٌ إلى ما تريد .

فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه .

أضغاث أحلام

قال كتب أبو صاعد الشاعر إلى الغنويِّ رقعة فيها :

رأيْــتُ فــي النــوم أني مالكٌ فرساً ولــي نصيــفٌ وفــي كفي دنانير
فقــال قــومٌ لهــم علــمٌ ومعرفــةٌ رأيْــتَ خيــراً وللأحــلام تفسير
أُقْصُــصْ منامَــك في دار الأمير تجدْ تحقيــقَ ذاكَ وللفــالِ التباشَيــــر

فلما قرأها كتب في ظهرها : أضغاثُ أحلامٍ

وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين

أَيُباعُ الرُّطَبُ ، بالخُطَب؟

أخـذتُ أُسْـهبُ في مـدح الأدب ، وأفـضِّل رَبَّه على ذي النَّشَب ، وأبو زيد ينظر إليّ نَظَرَ المُسْتَجهِل ، ويغْضي عني إغضاء المتمهِّل فلمّا أفرطتُ في العصبية ، للعُصْبة الأدبيـة ، قـال لي : فـأمــا الفـقــيـر فخيـر لـه من الأدب القـرص والكامخ ثم قـال : سيـتضـح لك صدق لهجـتي ، واستنارة حُـجّتي . . ودخلنا قـرية للارتيـاد ، وكـلانا مُنْـفضٌ من الزاد . فلَقينا غلامٌ حيّاه أبو زيد تحيّة المُسْلم ، وسأله وَقْـفَةَ المُفْهِم . فقال : وعَمَّ تسأل وفـّقك الله؟ قال أبو زيد : أيُباعُ ها هُنا الرُّطَـب ، بالخُطَـب؟ قال الغلام : لا والله! قـال : ولا البلح ، بالمُلَح؟ قـال : كـلا والله! قـال : ولا الثـمَـر ، بالسَّـمَـر؟ قـال : هيـهاتَ والله! قال : ولا العصـائد ، بالقصـائد؟ قـال : اسكت عـافاك الله . قـال : ولا الثـرائد ، بالفـرائد؟ قـال : أين يُذْهَبُ بك ، أرشـدك الله؟ قـال : ولا الدقـيق ، بالمعنى الدقيق؟ قال : عَدِّ عن هذا أصلحك الله! أمّا بهذا المكان فلا يُشتَـرى الشِّعر بشعيرة ، ولا النثر بنثارة ، ولا القصص بقُصاصة . ولا الرسالة بغسالة ولا حِكم لقمان بلُـقْمة ، ولا أخبـار الملاحم بلحـمة . وأما جيلُ هذا الزمـان فـمـا منهم من يميح ، إذا صـيغ له المديح ، ولا من يُجيـز ، إذا أُنشـدَ له الأراجيـز ، ولا مَنْ يُغـيث ، إذا أطربه الحـديث . وعندهم أن مَثلَ الأديب ، كالرَّبْع الجَديب إنْ لم تُجد الرَّبْعَ ديمةٌ ، لم تكن له قيـمة . فقال أبو زيد : أعلمتَ الآن أن الأدب قد بار ، وولَّت أنصارُه الأدبار؟ وأن الأسجاع ، لا تُشْبع مَنْ جاع؟

أثر الصناعة

قال الحسن بن علي بن مقلة : كان أبو علي ابن مقلة يوماً يأكل ، فلمّا رفعت المائدة ، وغسل يده ، رأى على ثوبه نقطةً صفراء من الحلواء التي كان يأكلها ، ففتح الدواة ، واستمد منها ، ونقطها على الصفرة حتى لم يبق لها أثرٌ ، وقال : ذلك عيبٌ ، وهذا أثر صناعة ؛ ثم أنشد :

(إنّما الزّعفران عطر العذارى ومداد الدّوي عطر الرجال)

أدب العيادة(١)

قال السري : اعتللت بطرطوس علة الذرب ، فدخل عليّ هؤلاء القرّاء يعودوني ، فجلسوا ، فأطالوا ، فآذاني جلوسهم ، ثمّ قالوا : إن رأيت أن تدعو الله؟ فمددت يدي ، فقلت : اللّهمّ علّمنا أدب العيادة .

بين شاعرين

قال شاعرٌ لشاعر : أنا أقول البيت وأخاه ، وأنت تقوله وابن عمّه .

صداقة الأدباء

قال بعض الأدباء لصديق له : أنت والله بستان الدنيا

فقال له الآخر : أنت النّهرً الذي يشرب منه ذلك البستان .

أشد من الضرائر

قال الزبير بن بكار : قالت بنت أختي لأهلي : خالي خير رجل لأهله ، لا يتخّذ ضرّةً ، ولا يشتهي جاريةً ؛ قالت : تقول المرأة : والله لهذه الكتب أشدّ عليّ من ثلاث ضرائر .

وقال أبو القاسم عبيد الله بن عمر البقال : تزوّج شيخنا أبو عبد الله ابن المحرّم ، وقال لي : لّما حملت إليّ المرأة جلست في بعض الأيّام أكتب شيئاً على العادة ، والمحبرة بين يديّ ، فجاءت أمّها ، فأخذت المحبرة ، فضربت بها الأرض ، فكسرتها ، فقلت لها في ذلك ، فقالت : هذه شرّ على ابنتي من ثلاث مئة ضرّة .

---

(١) زيارة المريض .

طرائف شعرية

ابن البقلاوي

قال مصعب الزّبيري : أتي العريان بسكران ، فقال له : من أنت؟ فقال :

(أنا ابـــن الـــذي لا ينزل الدّهر قدره   وإن نزلـــت يومـــاً فســـوف تعود)
(ترى النّاس أفواجاً إلى ضـــوء نـــاره   فمنهـــم قيـــامٌ حولهـــا وقعـــود)

فخلاّه ، فإذا به ابن بقلاّويّ .

في رثاء الحذاء

قال محمد بن سكرة : دخلت حماماً ، وخرجت وقد سرق مداسي ، فعدت إلى داري حافياً ، وأنا أقول :

إليـــــك أذم حمّـــام ابـــن موســـى   وإن فـــاق المنـــى طيبـــاً وحـــرّا
تكاثـــرت اللّصـــوص عليـــه حتـــى   ليحفـــى مـــن يطيـــف به ويعرى
ولم أفقـــد بـــــه ثوبـــــاً ولكـــــن   دخلـــت محمـــداً وخرجت بشراً

يوم السبت

قال الشاعر الأندلسي المُجيد ، أبو الحسن علي بن عطية الزّقاق مفضلا يوم السبت ، عطلة اليهود ، على بقية أيام الأسبوع :

وحبّـــبَ يـــومَ السبـــت عنـــدي أنه   ينادمنـــي فيـــه الـذي أنا أحببتُ
ومن أعجـــب الأشيـــاء أنـــي مسلم   حنيـــف ولكن خير أيامي السبتُ

ويقول بعد أن يفدي حبيبة له نحيفة الخصر بأبيه وغير أبيه :

بأبـــي وغيـــر أبـــي أغـــنّ مهفهـفٌ   مهضـومُ ما خلف الوشاح خميصُهُ
لبـــسَ الفـــؤادَ ومزقتـــــه جفونـــهُ   فأتـــى كيوســـفَ حين قدّ قميصُهُ

غزل جميل

قال أبو الحسن السّلاميّ الشاعر : مدح الخالديان سيف الدّولة ابن حمدان بقصيدة أوّلها :

(تصـــدّ ودارهـــا صـــــدد   وتوعـــــده ولا تعـــــد)

(وقـــد قتلتـــه ظالمــةً فــلا عقـــلٌ ولا قــود)

وقال فيها في مدحه :

(فوجـــهٌ كلّــهُ قمـــرٌ وسائـــر جسمـــه أســد)

فأعجب بها سيف الدّولة واستحسن هذا البيت ، وجعل يردّده ؛ فدخل عيه الشّيظميُّ الشاعر ، فقال له : اسمع هذا البيت ؛ وأنشده ؛ فقال الشيظميُّ : احمد ربّك فقد جعلك من عجائب البحر .

مدح يسير

مدح رجلٌ رجلاً اسمه يسيرٌ ، فقال :

(ومدح يسير في البلاد يسيرُ . . .)

فقيل له : إنَّه لا يعطيك شيئاً ، فقال : إذا لم يعطني قلت بيدي هكذا ؛ وضمّ أصابعه ؛ يعني : إنّه قليلٌ .

بيت شعر للرشيد

وقال هارون الرشيد للمُفَضّل الضَّبِّي [(١)] :

أنشدنا بيتاً أوله أعرابي في شَملته ، هَبَّ من نَومته ،

وآخره مَدنيّ رقيق ، غُذِّي بماء العَقيق .

قال المُفضل : هَوَّلتَ عليَّ يا أمير المؤمنين ،

فليت شعري ، بأيّ مَهر تُفتضّ عَروس هذا الخدْر؟

قال هارون : هو بيتُ جَميل حيث يقول :

ألا أيهــا النّـــوام ويحكُـــم هُبُّـــوا أُسائلكــم هـل يَقتل الرجلَ الحبُّ

فقال له المفضل : فأخبرني يا أمير المؤمنين

عن بيت أوله أكثمُ بن صَيفيّ في إصابة الرأي ،

وآخره بُقراط الطبيب في معرفته بالداء والدواء؟

قال له هارون : ما هو؟

---

(١) المُفَضَّل أو المُفَضَّل الضَّبِيّ هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم ، بن الرمال . بن أبي سَلْمى بن ربيعة بن زبان بن عامر من بني ثعلبة بن السيد بن ضبة ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وأبو العباس وكان ثقة من أكابر الكوفيين . ، ويلقب بالكوفي .

قال : هو بيتُ الحسن بن هانئ حيث يقول :

دع عنــكَ لَومــي فــإنّ اللومَ إغـراء   وداونــي بالّتــي كانت هي الدواء

قال : صدقت .

في الحبس

وقال أعرابيّ وهو محبوس :

أقيــداً وسجنــاً واغترَابــاً وفُرقـــةً   وذكــرى حبيــب إنَّ ذا لعظيــمُ

وإنَّ امــرَأً دَامَــت مواثِيــقُ عهــدِهِ   علــى كــلِّ مــا لاقيتُــهُ لكَـرِيمُ

الحرب والحب

قول كثير :

أقــولُ لهــا يا عــزُّ كــلُّ مصيبــةٍ   إذا وُطِّنَــتْ يوماً لها النفسُ ذلَّــتِ

وكان عبد الملك بن مروان يقول :

لو كان قال هذا البيت في صفة الحرب لكان أشعر الناس .

في هجاء مساور

دخل أعرابي على المساور بن هند وهو على الريّ ، فلم يعطه شيئا ؛ فخرج وهو يقول :

أتيــت المســاور فــي حاجــة   فمــا زال يسعــل حتــى ضرط

وحــــكّ قفــــاه بكرسوعــه   ومسّــــح عثنونــه وامتخـــط

فأمسكــت عــن حاجتــي خيفــة   لأخــــرى تقطّــع شرج السّفـط

فأقســم لــو عــدت في حاجتــي   للطّــخ بالسلــح وجــه النّمــط

وقــال غلطــنا حســاب الخــراج   فقلــت مــن الضّــرط جاء الغلط

وكان كلما ركب صاح الصبيان : من الضرط جاء الغلط . حتى هرب من غير عزل إلى بلاد أصبهان .

قال أحد الشعراء يصف داره واسمه الجزار

ودار خــراب بهـا قد نزلت   ولكـــن نزلـت الى السابعة

فــلا فــرق مابين ان اكون بهــا او اكــون في القارعة
تساورهــا هفــوات النسيم فتصغــي بــلا اذن سامعه
واخشى بها ان اقيم الصلاة فتسجــد حيطانها الراكعة
اذا مــا قــرأت اذا زلزلـت خشيــت ان تقــرأ الواقعة

حذاء توفيق

أهدى أحد الشعراء إلى صديق له اسمه (توفيق) حذاء وكتب معه هذين البيتين :

لقــد أهــديت توفــيــقــاً
حــذاء فقــال القائلــون وماعليه
أما قال الفتى العربي يومــا شبيه الشيء منجذب إليــه

فرد عليه (توفيق) قائلا :

لــو كأن تهدى إلى الإنسان قيمتــه كأنت هديتك الدنيا وما فيهــا
لكنْ تقبلت هــذا النعــل معتقــداً أن الهدايــا على مقدار مهديهــا

من الأشعار التي قيلت في ذم بخلاء الصائمين قول الشاعر :

أتيت عــمــرًا ســحــرًا فــقــال أنــي صــائم
فــقلت أني قــاعــد فــقــال أنــي قــائم
فــقلت آتيك غــدًا فــقــال صــومي دائم

هدية في رمضان

أهدى أحد الأدباء في شهر رمضان صديقاً له نوعاً من الحلوى قد فسد مذاقها لقدمها ، وبعث معها بطاقة كتب فيها : أني اخترت لهذه الحلوى السكر المدائني والزعفران الأصفهاني ، فأجابه صديقه بعد أن ذاق طعمها : والله مأظن حلواك هذه صنعت إلا قبل أن تفتح المدائن وتبنى أصفهان

هجاء طريف

قال أحد الشعراء يهجو جاره :

لـو كـنـت ريـحــــــا كـــــــانـت الـدبـورا
أو كنت غـــــيـــــمـــا لـم تكـن مطيــــرا
أو كـنـت مـــــــــاء لـم تـكـن نميـــــــرا
أو كـنـت بـردا كـنـت زمـــــــهــــــــريرا
أو كنت مـــــخـــــا كنت مـــــخـــــاريرا

وقال آخر

لـو كـنـت مــــــــاء لـم تـكـن بـعـــــــــذب
أو كنت ســــــيــــفـــا لـم تكن بعـــــضب
أو كـنـت لحـــــــمــــــا كـنـت لحـم كـلـب

في رجل قصير

أبو حاتم عن أبي زيد ، قال : أنشدنا أعرابي في رجل قصير :

كـــاد خليلـــي من تقـــارب شخصه　　يعـــضّ القـــراد استـــه وهو قائـم

في امرأة قبيحة

وذكر أعرابي امرأة قبيحة ، فقال : «ترخي ذيلها على عرقوبي نعامة ، وتسدل خمارها على وجه كالجعالة» .

وقال سعيد بن سلم الباهلي : مدحني أعرابيّ ، فاستبطأ الثواب فقال :

لكـــلّ أخـــي مـــدح ثـــواب يعـدّه　　وليـــس لمـــدح الباهلـــيّ ثـــواب
مدحـــت سعيـــدا والمديـــح مهـــزّة　　فكـــان كصفـــوان ، عليـــه تـراب

سمّاها ليلى

قال الزّبير بن بكار : خرج أبو السّائب المخزومي وعبد الله بن جندب إلى موضع يتنزّهان فيه ، فلقيا ابن المولى الشّاعر ، فصلح به ابن جندب . فقال : ما شأنك؟ً وأنشد :

وأبكـــي فلا ليلـــى بكت من صبابة　　لما بـــي ولا ليلـــى لذي الودّ تبذل
واخضع للعتبـــى إذا كنـــت مذنبـــاً　　وإنّي إذ نبت كنت الذي أتنصّـــل

وقد زعمـت أنّـي سلـوت وأننـي ثباتـي عـن إتيانهـا متعلّـل

قـال ابن جندب : من ليلى هذه؟ امـرأته طالقٌ إن لـم أفـدها . قـال : هي والله يا أخي فرسي سمّيتها ليلى .

هدية عاشق

كان بأصبهان رجل حسن النعمة واسع النفس كامل المروءة يقال له سماك بن النعمان ، وكان يهوى مغنية من أهل أصبهان لها قدر ومعنى تعرف بأم عمرو . فلإفراط حبه إياها وصبابته بها وهبها عدةً من ضياعه ، وكتب عليه بذلك كتباً ، وحمل الكتب إليها على بغل ، فشاع الخبر بذلك ، وتحث الناس به واستعظموه ؛ وكان بأصبهان رجل متخلف بين الركاكة يهوى مغنية أخرى فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله أن سماكاً أهدى إلى أم عمرو جلوداً بيضاً لا كتابة فيها ، وأن هذا من الهدايا التي تستحسن ويجل موقعها عند من تهدى إليه ، فابتاع جلوداً كثيرة ، وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية سماك ، وأنفذها إلى التي يحب ، فلما وصلت الجلود إليها ووقفت على الخبر فيها تغيظت عليه ، وكتبت إليه رقعة تشتمه وتحلف أنها لا تكلمه أبداً ، وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتاً في هذا المعنى لتودعها الرقعة ، ففعل ، وكانت الأبيات :

لا عـاد طوعك من عصاكا وحرمـت مـن وصل مناكا
فلقد فضحت العاشقـين بقبـح ما فعلـت يداكـا
أرأيت من يهدي الجلـود إلـى عشيقتـه سواكـا
وأظـن أنـك رمـت أن تحكي بفعلك ذا سماكا
ذاك الـذي أهدي الضياع لأم عمـرو والصكاكـا
فبعثـت منتنـةً كـأنك قـد مسحـت بهن فاكـا
من لي بقربـك يـا رقيـع ولسـت أهـوى أن أراكـا
لكـن لعلـي أن أقطع مـا بعثـت على قفاكـا

مهر الشاعر وحمار الغلام

اللبادي الشاعر خرج من بعض مدن تحويل أذربيجان يريد أخرى ، وتحته مهر له رائع ، وكانت السنة مجدبة ، فضمه الطريق وغلاماً حدثاً على حمار له ، قال :

فحادثته فرأيته أديباً راوية للشعر ، خفيف الروح حاضر الجواب جيد الحجة ، فسرنا بقية يومنا ، فأمسيا إلى خان على ظهر الطريق فطلبت من صاحبه شيئاً نأكله ، فامتنع أن يكون عنده شيء ، فرفقت به إلى أن جاءني برغيفين ، فأخذت واحداً ودفعت إلى ذلك الغلام الآخر ، وكان غمي على المهر أن يبيت بغير علف أعظم من غمي على نفسي ، فسألت صاحب الخان عن الشعير فقال : ما أقدر منه على حبة واحدة ، فقلت : فاطلب لي ، وجعلت له جعيلة على ذلك ، فمضى وجاءني بعد وقت طويل وقال : قد وجدت مكوكين عند رجل حلف بالطلاق أنه لا ينقصهما عن مائة درهم ، فقلت : ما بعد يمين الطلاق كلام ، فدفعت إليه خمسين درهم ، فجاءني بمكوك ، فعلقته على دابتي وجلست أحادث الفتى ، وحماره واقف بغير علف ، فأطرق ملياً ثم قال : تسمع ، أيدك الله ، أبياتاً حضرت الساعة؟ فقلت : هاتها ، فأنشد :

يا سيد شعري نفاية شعرك ... فلذاك نظمي ما يقوم بنثرك
وقد انبسطت إليك في إنشاد ... ما هو في الحقيقة قطرة من بحرك
آنستني وسررتني وبررتني ... وجعلت أمري من مقدم أمرك
وأريد أذكر حاجة إن تقضها أك ... عبد مدحك ما حييت وشكرك
أنا في ضيافتك العيشة ها هنا ... فاجعل حماري في ضيافة مهرك

فضحكت واعتذرت إليه من إغفالي أمر حماره ، وابتعت المكوك الآخر بخمسين درهماً ، ودفعته إليه .

أحمق بلحية طويلة

قال البهاء زهير(١) واصفا لحية طويلة لأحمق :

وأحمق ذي لحية كبيرة منتشرة
طلبت فيها وجهه بشدة فلم أره
معرفة لكنه أصبح فيها نكرة
ثور غدا اعجوبة بلحية مدورة

---

(١) البهاء زهير شاعر من العصر الأيوبي . ولد في تهامة قرب مكة سنة ٥٨١ هـ ، نزحت أسرته وهو صغير إلى مصر بمدينة قوص مجتمع بعض الأمراء والعلماء والفقهاء وتلقى تعليمه فيها وتنقل بين القاهرة وغيرها في مصر .

لو كـــان ذاك الثـــور عـــجـــلا عـــبـــدته الســـحـــرة
تبـــا لهـــا من لحـــيـــة كـــبـــيـــرة مـــحـــتـــقـــرة
عظيـــمـــة لكنهـــا ليـــست تســـاوي بعـــرة
كم قـــرية للنحل في حـــافـــتـــهـــا ومـــقـــبـــرة
يقـــسم عـــشـــر عـــشـــرها يكفي رجـــالا عـــشـــرة
يحـــســـدها الخنزير إذ يبـــصـــرها منتـــشـــرة
ويشـــتـــهي لو أنه يملك منهـــا شـــعـــره
قـــد نبـــتت في وجـــهـــه فـــوق عظام نخـــره
باردة ثقـــيـــلـــة مظلـــمـــة منكـــدره
كـــأنهـــا ســـحـــابة فـــوق البـــلاد ممطره
قـــد تركت صـــاحـــبـــهـــا منهـــا بحـــال منكره
اذا خطت أقـــدامـــه كـــأنت بهـــا مـــبـــعـــثـــره
وأن مـــشى رأيت فـــوق الارض منهـــا غـــبـــره

الشاعر الأحمق

دخل أحد الشعراء المغفلين مسجد الكوفة في يوم الجمعة وقد أنتشر خبر موت الخليفة المهدي العباسي . وكأن الناس ينتظرون قراءة بيان الوفاة عليهم .

فقام الأحمق رافعا صوته : مات الخليفة أيها الثقلان !!

فقالوا هذا أشعر الناس ، فأنه نعى الخليفة إلى الأنس والجن في نصف بيت !!

ومد القوم أبصارهم وأسماعهم اليه !! فأكمل يقول : فكأنني أفطرت في رمضان فضحك الناس . واشتهر هذا الشاعر بالأحمق .

حسان بن ثابت

وقد قالوا : إنَّ لحسَّان بن ثابت أفخرَ بيت قالته العرب ،

وأحكمَ بيت قالته العرب .

فأما أفخر بيت قالته العرب ، فقوله :

وبيـــوم بَدْرٍ إذ يرد وجوهَهم　　　جِبريـــل تحت لِوائنا ومحمدُ

وأما أحكم بيت قالتهً العرب ، فقوله :

وإنَ امرأً أَمسى وأصبح سالماً   من النَّاس إلا ما جَنى لسعيدُ

أبرد بيت شعر

قال أبو محمد المطراني :
وشتاءٍ يخنق الكلب فلا يعلو هريره
كلما رامٍ هريراً زم فاه زمهريره
هو من قول الراعي :
لا ينبح الكلب فيها غير واحدةٍ   حتى يلف على خرطومه الذنبا
قال الرشيد : ما أبلغ بيت في شدة البردً؟
فأنشد هذا البيت بعضهم ،
فقال : أبلغ منه :
وليلةٍ قر يصطلي القوس ربها   وأسهمه اللاتي بها يتنبل
فقال : حسبك ما بعد هذا شيء .

العادة تكسب الاحتمال

وقيل لأعرابي : أما تجد البرد؟
فقال : لا لأن العري اتصل على بدني فاعتاده كاعتياد وجوهكم .
وقيل لآخر : ما أصبرك على البرد !
قال : كيف لا يصبر عليه من طعامه الريح
وسراجه الشمس وسقفه السماء؟

شاعر ولسانه

عن عيسى ابن عمر قال : كان نابغة بني شيبان ينشد الشعر فيكثر ، حتى إذا فرغ قبض على لسانه فقال : لأسلطن عليك ما يسوؤك : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

شاعر يفشل في إقناع امرأة بالزواج منه!

ومن طرائف الشعراء أيضاً ، يُحكى أن شاعرا أقدم على طلب يد امرأة يحبها ولم

يعرف ما يخبئ له القدر منها . ذلك أنها كانت من أجمل نساء المنطقة ، فرفضت طلبه فألح عليها أن يعرف السبب . فردت عليه ببيت من الشعر قائلة :

يا خليلــى وأنــت خــير خليــل   أرأيــت راهـــبا بـــــلا دليـــل
أنت ليل وكـل حسنــاء شمـــس   واجتماعـــي بــك مـن المستحيل

فعاد خائبا فرآه صديقه الشاعر فعلم منه مصيبته وهون عليه ببيت من الشعر قائلا له :

هـــي الشمـــس مسكنها في السماء   فعـــز الفـــؤاد عـــزاءا جميـــــلا
فلن تستطيع إليها الصعود   ولـــن تستطيـــع إليـــك النـــزولا

الشاعر سليمان الطويل يتهرب من «دائنه»!

حاول الشاعر سليمان الطويل التهرب من دائنة المسمى شبيب بالالتجاء للمسجد وماترك فرض ولا نافلة إلا صلاها ليطيل في ذلك أملا في ذهاب شبيب عنه ولكن دون جدوى . . وحين أتم صلاته قال :

صليـــت بالجـــامع وسبحت تسعين   مع كثـــرهن واتبعتهـــن بتهليلـه
وقـــريت عـــمّ والمـــدثر وياســـين   ادخـــل على الله مايخيب دخيلـه
وقريـــت وِردي عن جميع الشياطـين   وشبيـــب ماســـوى به الورد حيله

الحسن الرصافي يشكو حاله مع زوجته !

ومن طرائف الشعراء ما قاله الحسن بن زياد الرصافي يشكو حاله مع زوجته :

شكوت فقالـــت : كـــل هذا تبرمـــا   بحبـــي أراح اللــه قلبك من حبي
فلمـــا كتمـــت الحب قالت لشد مـا   صبرت وما هذا بفعل شجي القلــب
وأدنو فتعصينـــي فأبعـــد طالـــبا   رضاها فتعتد التباعد مـــن ذنبـــي
وشكـــواي تؤذيهـــا وصبـري يسوؤها   وتغضب من بعدي وتنفر من قربي

فراسة

كـان لأحد الشعراء عدوٌ : فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدُوه ، فعلم الشاعر أن عدُوه قاتله لا محالة .

فقال له : يا هذا أنا أعلم أن المنيّة قد حضرت ، ولكن سألتك الله إذا أنت

قتلتني أن تمضي إلى داري ، وقِفْ بالباب وقل : ألا أيها البنتان إن أباكما
فقال سمعاً وطاعة ، ثم قتله ، فلما فرغ من قتله أتى إلى داره ، فوقف بالباب .
وقال : ألا أيها البنتان إن أباكما
وكان للشاعر ابنتان ، فلما سمعتا قول الرجل ألا أيها البنتان إن أباكما ، أجابتاه بفم واحد : قتيلُ خُذا بالثأر ممن أتاكما
ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه إلى الحاكم فاستقرره فأقرّ بقتله فقتله قصاصًا .

أقوال بليغة

قال : قيل لإبراهيم المحلِّميّ : أيُّ رجل أنت لولا حدّةٌ فيك؟
قال : أستغفر اللَّه مِمَّا أملك ، وأستصلِحُه ما لا أملك

وقال أبو عمرو المدينيّ : لو كانت البلايا بالحِصَص ،
ما نالني كما نالني : اختلفت الجاريةُ بالشاة إلى التَّيَّاس
اختلافاً كثيراً ، فرجعت الجارية حاملاً والشاة حائلاً .

وقال جعفر بن سعيد : الخلافُ موكّل بكلِّ شيء يكون ،
حتى القَذاة في الماء في رأس الكوز ،
فإن أردتَ أن تشرب الماء جاءتْ إلى فيك ،
وإن أردتَ أن تصبَّ من رأسِ الكوزِ لتخرج رَجَعت .

أخبرني محمَّد بن عبَّاد بن كاسِب ،
كاتبُ زهير ومولى بَجِيلة من سَبي دابق ،
وكان شاعراً راوية ، وطلاّبة للعلم عَلاّمة ،
قال : سمعت أبا داود بن حَريز يقول وقد جَرى شيءٌ
من ذكر الخُطَب وتحبيرِ الكلام واقتضابِه ،
وصعوبةِ ذلك المَقام وأهواله ،
فقال : تلخيص المعاني رِفْقٌ ، والاستعانة بالغريب عَجْز ،
والتَّشادقُ مِن غير أهل البادية بُغْض ،

والنَّظَر في عيون النَّاس عِيّ ،
ومَسُّ اللِّحية هُلْك ، والخروجُ مِمَّا بُنِي عليه أوَّلُ الكلام إسهاب

الفضيل بن عياض[١]

حدثنا أحمد بن سهل ، أبو عبد الرحمن ، قال :
قدم علينا سعد بن زنبور ، فأتيناه فحدثنا ، قال :
كنا على باب الفضيل بن عياض ، فاستأذنا عليه ، فلم يؤذن لنا ،
قال : فقيل لنا : إنه لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن ،
قال : وكان معنا رجل مؤذن ، وكان صيتاً فقلنا له : اقرأ
فقرأ : ﴿ألهاكم التكاثر﴾ ، ورفع بها صوته ،
قال : فأشرف علينا الفضيل ، وقد بكى حتى بلَّ لحيته بالدموع ،
ومعه خرقة ينشف بها الدمع من عينيه ، وأنشأ يقول :

بلغت الثمانين أو جزتها ... فماذا أؤمل أو أنتظر؟
أتاني ثمانون من مولدي ... وبعد الثمانين ما ينتظر؟

علتني السنون فأبلينني .
قال : ثم خنقته العبرة ،
قال : وكان معنا علي بن خشرم فأتمه له ، فقال :
فدقت عظامي وكلّ البصر

شعراء العصر الحديث

نوادر علي الجارم

ومن الأدباء والشعراء الذين تحلوا بروح الفكاهة والمداعبة : الأديب المصري علي الجارم[٢] ، الذي وصفه عباس العقاد[٣] بقوله «كان علي الجارم زينة المجالس ، كما

(١) الفضيل بن عياض ، أحد أعلام التصوف في القرن الثاني الهجري ، لقب بـ «عابد الحرمين» .
(٢) علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم أديب وشاعر وكاتب ، ولد عام ١٨٨١ في مدينة رشيد في مصر .
(٣) عباس محمود العقاد أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري . وعضو سابق في مجلس النواب المصري .

كان يقال في وصف الظرفاء من أدباء الحضارتين العباسية والأندلسية ، تجلس إليه فتسمع ما شئت من نوادر أدبية أو مُلحة اجتماعية أو شاهد من شواهد اللغة أو نكته من نكت الفكاهة ، ولا تدري كلما تهيأ للكلام ماذا أنت سامع بعد هنيهة . . فقد تترقب النكتة فتسمع الفائدة ، وقد تسأل عن الشاهد فتسمع القافية ، ولكنك واثق في النهاية أنك خرجت بفصل ممتع من طراز فصول العقد الفريد أو الكامل أو نفح الطيب ، وإنك لو اخترت الحديث واقترحته لما ظفرت بخير مما استوفيته عفو الخاطر بغير سؤال» .

ويظهر جده الباسم وفكاهته فيما كتبه من أشعار أثناء بعثته العلمية في إنجلترا ، فقد كتب في عامه الأول يقول :

لبست الآن قبعة بعيداً
عن الأوطان معتاد الشجون
فإن هي غيرت شكلي فإني
متى أضع العمامة تعرفوني

وفي عام ١٩١٠م شاهد الجارم الضباب في إنجلترا يتكاثف ، فإذا المبصرون أنفسهم يضلون الطريق حائرين ، وإذا العميان يقودونهم خلال هذا الضباب ، فكتب يقول :

أبصرت أعمى في الضباب بلندن ... يمشي فلا يشكو ولا يتأوه
فأتاه يسأله الهداية مبصر ... حيران يخبط في الظلام ويعمه
فاقتاده الأعمى فسار وراءه ... أنى توجه خطوة يتوجه

ونرى الجارم برقته ودعابته حين نسمع حنينه إلى الشباب يقول :

هات عهد الشباب إن غاص في الماء ... وإن غاب في السماء فهاته
ما أراني من غيره غير ثوب ... ضم أردانه على علاته
ربّ شيخ في عالم الطب حي ... ويراه الزمان من أمواته

ويقول عن الشيخ المتصابي في رقة ودعابة :

لنا شيخ تولى أطيباه ... يهيم بحب ربات القدود
يغازل إذ يغازل من قيام ... وإن صلى يصلي من قعود

الإمام العبد ومحمود

الشاعر المصري الإمام العبد[1] ، اشتهر بسرعة خاطره ولباقة نكاته . وكان له صديق يدعى الشعر اسمه محمود يمازحه أحيانا ويبالغ في المزاح حتى حدود الوقاحة أحيانا .

في إحدى السهرات العائلية قال هذا الشاعر للإمام العبد :

كلما رأيتك تذكرت قصيدة المتنبي والبيت الرائع فيها :

لا تشتــر العبــد إلا والعصا معه   إن العبيــد لأنجــاس مناكيــد

أجاب الشاعر . . . لكن هذا البيت في القصيدة عينها أشد روعة وهو :

ما كنــت احسبني أحيا إلى زمــن   يسيئنــي فيــه كلب وهو محمود

حافظ إبراهيم وأحمد شوقي

كان يطيب للشاعر حافظ إبراهيم[2] «شاعر النيل» أن يداعب أحمد شوقي[3] أمير الشعراء . وكان شوقي جارحا في رده على الدعابة . ففي إحدى ليالي السمر أنشد حافظ إبراهيم بيتاً من الشعر ، ليستحث شوقي على الخروج عن رزانته المعهودة

يقولــون إن الشــوق نـــار ولوعــة   فمــا بال شوقي أصبح اليوم باردا

فرد عليه أحمد شوقي بأبيات قارصة قال في نهايتها :

وأودعــت إنسانــا وكلبــا وديعــة   فضيعهــا الإنسان والكلب حافـظ

---

(١) محمد إمام العبد . ولد في القاهرة وتوفي فيها . قضى حياته في مصر . حفظ القرآن الكريم والتحق بالمدرسة الابتدائية وأمضى بضع سنوات فيها ولم يتم تعليمه . تنقل بين عدة مهن بسيطة وعانى شظف العيش فكان يحاول التكسب بنشر شعره وأزجاله في بعض الصحف والمجلات . اتسمت حياته بالبؤس والفقر حتى لقب بإمام البؤساء ، إلا أنه كان يشارك في المنتديات ومجالس الشعر والسمر بشغف ، ولم يتخل عن روح الدعابة التي ظهرت في أزجاله وشعره ، فكان يعد مسامرًا مرغوبًا في مجالس الكبراء .

(٢) محمد حافظ بن إبراهيم ولد في محافظة أسيوط ٢٤ فبراير ١٨٧٢ – ٢١ يونيو ١٩٣٢م . شاعر مصري ذائع الصيت . عاصر أحمد شوقي ولقب بشاعر النيل وبشاعر الشعب .

(٣) أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك ، شاعر مصري يعد من أعظم وأشهر شعراء العربية في جميع العصور ، يلقب بـ«أمير الشعراء» .

الشاعر عبد الله البردوني..

وللشاعر اليمني الكبير عبد الله البردوني[١] الكثير من النوادر والطرائف ، حتى وهو على فراش المرض . ففي نهاية السبعينات جاء أحد الشعراء(النظامين) إلى منزل البردوني زائرا ، وفي أثناء الحديث أراد الشاعر أن يلفت انتباه البردوني فقال : لقد اتجهت أخيرا وعن قناعة إلى كتابة الشعر الحديث!!وأسمعه بعض مقاطع وكان منها مقطع يقول (الشمس تقبل وجنة حبيبتي)

فقال له البردوني : يا عزيزي ليس في ما أسمعتني أي جديد!

فقال الشاعر : (الشمس تقبل وجنة حبيبتي) هذه صورة فنية حداثية إبداعية!!

فرد عليه البردوني : ليس في هذا أي جديد ، فالشمس تقبل حتى وجنة الكلب!

نزار قباني والبردوني ؛

عندما انتهى الأديب البردوني من قراءة قصيدته (أبو تمام وعروبة اليوم) تقدم إليه نزار قباني[٢] واحتضنه وعرفه بنفسه : أنا نزار . فرد البردوني ببديهية قل نزار– بفتح النون– ولا تقل نزار بكسرها فإنها تعني الشيء القليل فكان هذا اللقاء عربون صداقة بين نزار والبردوني .

الغيبة حرام ؛

كان البردوني ذات يوم في مجلس حكومي رفيع المستوى فسأله أحدهم بقصد إحراجه وكان ذلك قبل قيام الوحدة اليمنية لماذا يا أستاذ عبدالله لا تكتب عن الديمقراطية والحرية؟ فأجاب على الفور : الغيبة حرام!!

وكان البردوني ذات مرة في حلقة نقاش على الطائرة فتعجب من اللهجة التي

---

(١) عبد الله صالح حسن الشحف البردوني شاعر وناقد أدبي ومؤرخ ومدرس يمني تناولت مؤلفاته تاريخ الشعر القديم والحديث .

(٢) نزار بن توفيق القباني ديبلوماسي وشاعر سوري معاصر ، ولد في ٢١ مارس ١٩٢٣ من أسرة دمشقية عريقة إذ يعتبر جده أبو خليل القباني رائد المسرح العربي .

يتحدث بها المثقفون والتي هي مزيج من الفصحى والعامية فعلق عليها بالقول إنها تمثل نوعا من «الفصعمي»!

أحمر

وفي المهرجان الثقافي اليمني الذي أقيم في الكويت ، كان البردوني على رأس المشاركين وبينما هو يلقي إحدى قصائده ، صاح أحدهم : اسكت يا أحمر- يقصد يا شيوعي- فرد عليه قائلا : إنني أتمثل ما قاله جدي بشار بن برد :

وخـذي مـلابس زينة ومـصـبـغـات في أفـخـر
وإذا دخلت تزيني بالحـسن إن الحـسن أحـمـر

البردوني يشيد بلحم الحمير!

استضاف الأديب أحمد الجرموزي[1] في منزله بمدينة تعز الأستاذ البردوني ، وبعد ساعات رأى الجرموزي الشرطة وهي تجر الجزار الذي اشترى منه اللحم ، فقد اكتشف أنه يذبح حميراً ، فرجع إلى بيته مسرعا يطمئن على صحة البردوني وقال له يا أستاذ : كيف صحتك ، الجزار غشنا وباعنا لحم حمار فرد البردوني بسخرية : والله يا أحمد إنه أحسن مرق شربناه!

(١) أديب يمني .

الفهرس